

بمقتضى قرار
مجلس إدارة

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان غسان بن برد الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الكتاب

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع القوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

المجلد الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
وأسسها محمد حسن الحلبي رحمه الله

كتاب الحَيَوَانِ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بمحقق كثر

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

ذِكْرُ الْحَمَامِ^(١)

وَمَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٢) مِنْ ضُرُوبِ الْمَعْرِفَةِ ، وَمِنْ الْخِصَالِ
الْمَحْمُودَةِ ، لِتَعْرِفَ^(٣) بِذَلِكَ حِكْمَةَ الصَّانِعِ ، وَإِتْقَانَ صُنْعِ الْمَدْبُرِ^(٤) .

(استنشاط القارئ ببعض المزل)

وإن كنّا قد أمَلْنَاكَ بِالْجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحةِ والمروّجةِ^(٥) ،
لتكثيرِ الخطايرِ ، وتشحّدَ العقولَ - فإنّنا سننشطُكَ^(٦) ببعضِ البطّالاتِ ،
وبذكرِ العللِ الظّرفيّةِ ، والاحتجاجاتِ الغريبةِ ؛ فربّ شعْرٍ يبلغُ بقرطٍ
غباوةَ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، مالا يبلغه [حشدُ
أحرّ النوادر ، وأجمعِ^(٧) المعاني .

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وما أودعه الله جلّ ذكره » .

(٣) في الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفي س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروّجة : التي روجها صاحبها ، وجعلها تسيّر في الناس . ويقال : روج
الدراهم : جعلها تنفق في السوق . وفي ط ، س : « المزوجة » . والأشبه
ما أثبت من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « فاستنشطك » . وفي س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وما كتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرفُ أمرين استظرافاً شديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخرُ احتجاجُ متنازعينِ في الكلام ، وهما لا يحسانِ منه شيئاً ؛ فإتھما يُثيرانِ من غريبِ الطَّيِّبِ ^(١) ما يُضحِكُ كلَّ ثُكْلانٍ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانٍ وإن أحرَّقه لُھِبُ الغضبِ . ولو أنَّ ذلك لا يَحِلُّ ^(٢) لكان في باب اللّهُو والضَّحِكِ والسُّرُورِ والبَطالةِ والانشاغُلِ ، ما يجوز في كلِّ فنٍّ ^(٣) .

وسنذكر من هذا الشكل عللاً ، ونوردُ عليك من احتجاجاتِ الأغنياء حُجَجاً . فإن كنتَ ممن يستعملُ الملالةَ ، وتَعَجَّلُ إليه السَّامةُ ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلبك ، وجماماً لقوتك . ولنبتديَّ النَّظَرَ في باب الحمام وقد ^(٤) ذهب [عنك] الكَلالُ وحدثَ النشاطُ .

وإن كنتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنتَ ^(٥) ممرئاً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقييرٍ ، ودراسةٍ كُتُبٍ ، وحِلَفَ تَبَيُّنٍ ^(٦) ، وكان ذلك عادةً لك لم يضرَّكَ مكانه من الكتابِ ، وسمَّطَه ^(٧) إلى ما هو أولى بك .

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفكاهة ، كما في هذا الجزء ص ٣٩ . وفي القاموس « وفاكهة : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أي مازحه وجاء في البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فقي طيب من ولد يعقوب لا يصحو » وطيب بمعنى فكاه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « ما يجوز كل فن » .

(٤) كذا في س . وفي ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبيين : التضمين . وفي ط ، س : « تبين » . وما أثبت من ل أشبه بكلام المباحث .

(٧) التخطي : مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنوع في التأليف)

وعلى أنى قد عزمْتُ - واللهُ الموفقُ - أنى أوشح هذا الكتابَ وأفصلُ أبوابه ، بنواذِرَ من ضُروبِ الشُّعر ، وضُروبِ الأحاديث ؛ ليخرج قارئُ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فلمنى رأيتُ الأسماعَ تملأُ الأصواتَ المطربةَ والأغانيَ الحسنةَ والأوتارَ الفصيحةَ ، إذا طال ذلك ^(١) عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة ، التى إذا طالت أورتت الغفلة . وإذا كانت الأوائلُ قد سارت في صغارِ الكتب هذه السيرةَ ، كان هذا التدبيرُ لِمَا طالَ وكثُرَ أصلحَ ، وما غابتنا من ذلك كله إلا أن تستفيدوا خيراً .

وقال أبو الدرداء : لئن لأجُمُ نفسى بِنَفْسِ الباطل ، كراهةً أن أجمل عليها من الحق ما يعلمها !

(ادعاء أبى عبد الله الكرعى الفقه)

فن الاحتجاجات الطيبة ^(٢) ، ومن العِللِ الملهمة ، ما حدثنى به ابنُ المسدينى ^(٣) قال : تحوّل أبو عبد الله الكرعى اللّحيانى إلى

= وأما له . وإذا حملت غيرك على أن يخطو قلت أعطيته . وكلمة « تحطيه » هي في س : « تحطيه » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ماقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ما سبق في ص ٦ . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « الطيبة » مصحفة .

(٣) هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السمنى ، مولاهم =

الخرّية^(١) فادّعى أنّه فقيه ، وظنّ أنّ ذلك يجوز له ؛ لمكانٍ لحيته وسمته .
قال : فأتى على باب داره البواري^(٢) ، وجلس [وجلس] إليه [بعض]
الجيران ، فاتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله ! رجلٌ أدخل إصبعة في أنفه
فخرج على آدم ، أى شئ يصنع ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدتَ
طيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبي عبد الله المروزيّ)

وحدّثني شمعون^(٣) الطيّب قال : كنتُ يوماً عند ذى اليمّين طاهر
ابن الحسين^(٤) فدخل عليه أبو عبد الله المروزيّ فقال [طاهر] : يا أبا عبد الله

« ويعرف بابن المنّين ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الخلفيّة في عصره ،
والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحد بن حنبل ، وكان لا يسميه ، إنما يكتبه
تجيلاً له . اتصل بالقاضي أحمد بن أبي داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد
سنة إحدى وستين ومائة ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ
بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الخرية : محلة كبيرة شهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله
البليخي الراوندى ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضاً في البيان ٢ : ٣٢١ .
س : « الخرية » ل : « الخرية » صوابهما في ط . ونحو هذا الخبر للشمسي
في المقدّم ٦ : ١٥٢ .

(٢) الجورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصى المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شعبة هذه في أخبار الطراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف في هذا الاسم : « شمعون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء ، كان أديباً حكماً
شجاعاً ، وهو الذى وطد الملك المأمون العباسى ، وهو الذى قتل الأمين ،
وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته «

مَنْ كَمْ دَعَلْتَ الْعِرَاقَ ؟ قَالَ : مِنْذَ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَأَنَا صَاحِبُ مِنْذَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ^(١) . قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، سَأَلْنَاكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَبْتَنَا عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ !

(جواب شيخ كندی)

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْجَهَّاجِ ^(٢) قَالَ : أَدْعَى شَيْخٌ عِنْدَنَا أَنَّهُ مِنْ كِنْدَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْ نَسَبِ كِنْدَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدِي : مَنْ أَنْتَ يَا [أَبَا] فُلَانٍ ؟ قَالَ : مِنْ كِنْدَةٍ . قُلْتُ : مَنْ أَهْلُهُمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ [هَذَا] الْكَلَامِ ، عَافَاكَ اللَّهُ !

(جواب خَتَنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بَرِيرَةَ)

وَدَخَلْتُ عَلَى خَتَنِ [أَبِي بَكْرٍ بْنِ] بَرِيرَةَ ، وَكَانَ شَيْخًا يَنْتَحِلُ قَوْلَ الْإِبَاضِيَّةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْعَجَبُ مِنْ بَأْخَذِهِ النَّوْمُ وَهُوَ [لَا] يَزْعُمُ [أَنَّ] الْإِسْتِطَاعَةَ مَعَ الْقَعْلِ ^(٣) ! قُلْتُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْأَشْعَارُ الصَّحِيحَةُ . قُلْتُ : مِثْلَ مَاذَا ؟ قَالَ : مِثْلَ قَوْلِهِ :

= نَفْسُهُ بِإِسْتِقْلَالِهَا ، وَحَالَاتُ دُونِ ذَلِكَ مِثْلُهُ . وَبِمِثْلِ ذَا الْيَمِينِ لِأَنَّهُ ضَرَبَ شَخْصًا فِي وَقْتِهِ مَعَ عَلِي بْنِ مَاهَانَ بِالسَّيْفِ فَقَدَهُ نَصْفَيْنِ ، وَكَانَتْ الضَّرْبَةُ بِبِصَارِهِ فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

« كَلَّمَا يَدِيكَ يَمِينٍ حِينَ تَقْصِرُهُ »

فَلَقِبَهُ الْمَأْمُونُ : ذَا الْيَمِينِ . انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٣٢ - ٢٣٣ تَمْلِيحَانِ آخِرَانِ . وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ ١٠ : ١٤١ وَ ١٥٥ فِي حَوَادِثِ ١٩٥ وَالذِّيَارَاتِ لِلشَّاهِدِيِّ ٩١ - ٩٢ . وَلِدِ طَاهِرِ سَنَةِ ١٥٩ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٧ .

(١) ل : « وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ مِنْذَ ثَلَاثِينَ سَنَةً » .

(٢) س : « أَبُو الْجَهَّاجِ » وَهُوَ تَجْرِيْفُ . وَلَأَبَى الْجَهَّاجِ حَدِيثُ فِي الْبُخْلَاءِ ص ٣٦ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ص ٢٢ س : ٣

(٤) مِنْ أَصُولِ الْمُتَرْتِلَةِ أَنَّ اسْتِطَاعَةَ الْقَعْلِ تَسْبِقُ الْقَعْلَ ، وَجَهْلُورُ الْإِبَاضِيِّينَ عَلَى أَنَّ =

• مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَقَعَا^(١) .

ومثل قوله :

• يَهْوِينَ شَيْئًا وَيَقَعْنَ وَقَعًا .

ومثل قولهم في المثل : « وَقَعَا كَعَمَكَيْ عَيْر^(٢) » [

وكقوله^(٣) أيضاً :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مِمَّا

كَجُلُودٍ صَغُرَ حَطْلُهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ^(٤)

وكقوله :

أَكْفُ يَدِي عَنْ^(٥) أَنْ تَمْسُ أَكْفَهُم

إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتْنَا^(٦) مِمَّا

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : أَمَا فِي هَذَا مَقْنَعٌ ؟ قلت : بلى ، وفي دون هذا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . افرق ٨٤ .
وكلمة « الفعل » هي في ط ، س : « القتل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون
الأخبار ٢ : ٦٠ حيث يوجد هذا الخبر .

(١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ما أثبت من ل .

(٢) التمسك ، بالكسر : التمسك بكسر اللين . والعير : الحمار . ووقع : ألقى
حصلا ، فهذا في التوازن والتعادل سواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن السكين
في الأكثر إذا سل أحدهما سقطا معاً . والمثل يضرب للمتساويين . أمثال
الميداني ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرهان عكبي عير وكعكي صير :
وقعا معاً لم يصرح أحدهما صاحبه . لسان العرب وفي الأصل ، وهو هنال :
« كعطي عير » وهو تحريف .

(٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتي من مطلقته المشهورة .

(٤) هذا الشطر ليس في ل .

(٥) ل ، س : « من » .

(٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجل من أهل الكوفة لهشام بن الحكم^(١) : أترى الله عز وجل في عدله وفضله كلّفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا ؟ ! قال : قد والله فعل ، ولكننا لانستطيع أن نتكلم به ! ٤

(سؤال مرور لأبي يوسف القاضي)

وحدثني محمد بن الصباح قال : بينا أبو يوسف القاضي يسيرُ بظهر الكوفة - وذلك بعد أن كتبَ كتابَ الحِيل^(٢) - إذ عرضَ له مرورُ عندنا أطيّب الخلق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ في كتاب الحِيل^(٢) ، وقد بقيتُ عليك مسائلُ في الفِطْن ، فإن أذنت لي سألتك عنها . قال : قد أذنتُ لك فسل . قال : أخبرني عن الحرِّ كافرٍ هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحرِّ دينُ المرأةِ ودينُ صاحبةِ الحرِّ : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ما صنعت

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب المشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والنشيه ، وآرائه مفصلة في الفرق ٤٧ - ٥٣ ، والمثل والتحل ٢ : ٢١ - ٢٣ .

(٢) هي الحيل الشرعية ، التي يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دريد في كتابه « الملاحن » المطبوع في مصر سنة ١٣٤٧ . وفي س : « الحيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذَنْ ، إذ لم ترض بقولي ^(١) . فقال : الجُرُّ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأة إذا ركعت أو سجّدت استدبر الجُرَّ القبلة واستقبلت هي القبلة ، ولو كان دينه دين المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدة يا أبا يوسف . قال : صدقت . [قال : فتأذن ^(٢) لي في أخرى ؟ قال : نعم . قال : أخبرني ^(٣) عنك إذا أتيت صحراء فهجمت على بول وخراء كيف تعرف أبول امرأة هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدري ! قال أجل والله ما تدرى ! قال : [أ فتعرف أنت ذاك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخراء وبين يديه فهو بول امرأة ، وخراء امرأة . وإذا رأيت البول بعيداً من الخراء فهو بول رجل وخراء رجل . قال : صدقت ! قال : وحكي لي جواب مسائل فنسيت ^(٤) منها مسألة ، فعاودته فلماذا هو لا يحفظها .

(جواب الحاج العبسي)

وحدّثني أيوب الأعور ، قال قائل للحجاج العبسي ^(٥) : ما بال شعر الاست ^(٦) إذا نبت أسرع والتف ؟ قال : لقربه من السّهاد ^(٧) والماء هطل عليه ^(٨) ! !

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولي » .

(٢) أراد الاستحمام .

(٣) ل : « أخبرني » .

(٤) ل : « نسيت » .

(٥) ل : « لحجاج العبسي » ، ويظهر أنه من الخثين .

(٦) ل : « است المرأة » .

(٧) السّهاد ، بالفح : أصله سرقين الدواب . وأريد به هنا النّجو ، وفي ط :

« السّهاد » وهو تحريف ما في ل .

(٨) ماء هطل : متتابع القطر عظيمه . وفي ل : « ويسق من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدثني محمد بن حسان قال : وقفتُ على نوفلٍ عريفِ الكناسين ،
وإذا موسوسٌ قد وقف عليه ، وعنده كلُّ كناسٍ بالكَرْخ ، فقال له
الموسوس : ما بال بنتِ وردان^(١) تدعُ قمرَ البئر وفيه كُرٌّ^(٢) خِراء وهو
لها مُسَلَّمٌ وعليها موفر ، ونجىء تطلب اللطاحة التي في آست أحدنا وهو
قاعدٌ على المقعدة^(٣) ، فنلزم نفسها الكلفة الغليظة ، وتعرض للقتل ،
ولأما هذا الذي في أسناها قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدرهم
[وافيًا]^(٤) واقرأ . قال : فضحك القوم ، فحرك نوفلُ رأسه ثم قال :
أنضحكون ؟ ! قد والله سأل الرجل^(٥) فأجيبوا ! وأما أنا فقد - والله -
فكرت فيها منذ ستينَ [سنة]^(٦) ، ولكنكم لا تنتظرون في شيء من
أمر صناعتكم . لاجرم أنكم لا ترتفعون أبداً ! [قال له الموسوس : قل -
يرحمك الله - فأنت زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أن الرطب

= المجامع هذا ساقط من س . ويجد في محاضرات الرافع ٢ : ١١٧ - ١١٨

حليثا مثله يروي عن « غنث » .

- (١) بنت وردان يقال لها في مصر « غنثس » . مجمع الملووف ٣٦ .
- (٢) الكر : بالفم : مكيا لالمراق ، أو مئة أوقار حمار ، أو سون قفزا ،
أو أريون إردبا . وفي ط : ل : كل » وهي تصحيف . وأثبت ما في س .
- (٣) المقعدة : عني جاء ما وضع له اسم « للرحاض » في عصرنا هذا . وفي ط ، س :
« المقعد » . وأثبت ما في ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .
- (٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم واقرأ » وهو تحريف .
- (٥) ط : « الرجل » ، وتصحيحه من ل ، س .
- (٦) الزيادة من ل ، س وفي ط : « منذ ستين » .

أَطِيبُ مِنَ الثَّمَرِ ، والحديثَ أطرف^(١) من العتيق ، والشئ من معدنه
أَطِيبُ ، والفاكهة من أشجارها أطرف^(٢) . قال : فغضب شريك^(٣)
مسيح^(٤) الكتّاس ثم قال : والله لقد وبختنا ، وهولت علينا ، حتى ظننّا
أنّك ستجيب بجوابٍ لا يحسنه أحد ، ما الأمرُ عندنا وعند أصحابنا هكذا .
قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاكم^(٥) الله ، فلأني ما نمتُ البارحة
من الفكرة^(٦) في هذه المسألة ؟ قال مسيح^(٧) : لو أنّ لرجلٍ ألفَ جاريةٍ
حسنة^(٨) ثم عتقنَ عنده لبردتْ شهوتهُ عنهنَّ وقترت ، ثم إن رأى واحدةً
دونَ أحسنهن في الحسن صبا إليها^(٩) ومات من شهوتها . فبنت وردان
تستظرف^(١٠) تلك اللطاحة^(١١) وقد ملّت الأولى^(١٢) ، وبعضُ الناسِ

(١) كذا في ط ، س وفي ل : « أطرا » .

(٢) ل : « ألد » .

(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .

(٤) كذا ضبط الاسم في ل . وجاء في ط ، س : « مسيح » . ولسج هذا

حديث في الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فقال له الموسوس : ما الجواب عافاك » .

(٦) ل : « الفكر » .

(٧) انظر التنبيه رقم ٤ من هذه الصفحة .

(٨) ط : « جوارى حسنا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور .

وصوابه في ل ، س .

(٩) ل : « وأثبا » مكان : « صبا إليها » .

(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستظرف » .

(١١) س : « اللطاقة » . وهو تحريف ما أثبت من ط ، ل .

(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه^(١) من الخمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يَمْنَعُ الشَّهْوَةَ ، ويورث الصدوف^(٢) . قال : فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مسيِّح ، بعد أن كان لا يرى جواباً إلَّا جوابَ نوفل^(٣) - : لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدرة ، ولقد^(٤) سألتُ علماءها عنه منذَ عشرينَ سنةً فما تخلصَ أحدٌ منهم إلى مثل ما تخلصتم إليه . وقد والله - أنتم عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أن كلَّ شيءٍ يُستَلَبُ استلاباً أنه ألدُّ وأطيب . ولذلك صارَ الذَّيِّبُ إلى الغِلانِ ونيكهم على جهة القهر^(٥) ألدُّ [وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبه الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذي يرثه أو يوهب^(٦) له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدثني أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعِي أَوْجَبُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يرأى فيه الأفراد ، ويصح أن يرأى فيه اكتساب الجمعية مما أصيب إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تمرقتنا كنى الأيتام فقد أبى اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ - ٣١٣ لبيك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ٢٥ : ١ بولاق .

(٢) الصدوف : المزوف عن الشيء والانصراف عنه . وفي ط ، س : « الصلود » وهو يمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لا جواب إلَّا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذي يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنِيَّةً^(١) ، وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يجعل فيها مَثْنِيَّةً^(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل من هذا الباب ، فلم يدخل ، كلَّ لى دمه !

(احتجاج مدني وكوفي)

قال : وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله التوفلي قال : قال رجل من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحن أشدُّ حبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم وعلى آله - مِنْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ! فقال المدني : فما بَلَغَ مِنْ^(٣) حُبِّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدْتُ أَنْ أُقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - وأنه لم يكن وصلَّ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا في غيره من الأيام شيءٌ من المكروه^(٤) يكرهه إلا كان بي دونه ! فقال المدني : أَفَإِنَّكَ غَيْرُ هَذَا ؟ قال : وما يكون غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتُ أَنْ أبا طالبٍ كان آمَنَ فسرُّ به النبي صلى الله عليه وسلم وأنى كافر^(٥) !

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استسلم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أول الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسموا المراعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسموا الله ولرسوله ولكتابه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شيء يكرهه » . وفي ط : « شيء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة

إلا ببناء « وصل » المفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنى » هي في ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدثني أبان بن عثمان قال : قال ابن أبي ليلى ^(١) : إني لأسأير رجلاً من وجوه أهل الشام ، إذ مرَّ بحمالٍ معه رمان ، فتناول منه رمانةً فجعلها في كُمه . فعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسي وكذبت بصرى ، حتى مرَّ بسائلٍ فقير ^(٢) ، فأخرجها فناوله إياها . قال : فعلتُ أنى رأيتها ، فقلتُ له : رأيتك قد فعلتَ عجباً ^(٣) . قال : وما هو؟ قلت : رأيتك أخذتَ رمانةً من حمالٍ وأعطيتها ^(٤) سائلاً ؟ قال : وإنك ممن يقولُ هذا القول ؟ ٦ أما علمتَ أنى أخذتها وكانت سيئةً وأعطيتها فكانت عشرين حسنةً ؟ قال : فقال ابن أبي ليلى : أما علمتَ أنك أخذتها فكانت سيئةً وأعطيتها فلم تُقبَلْ منك ؟ !

(١) ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار .
 ولى محمد القضاء لبنى أمية ، ثم ولىه لبنى العباس . وكان قتيها مفتياً بالرأى .
 انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عينى حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجباً » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع ^(١) : قلت لأعرابي : أَنَهَمَزُ إِسْرَائِيلَ ؟ قال : إِنِّي إِذَا لَرَجُلٌ سَوَّهَ ؟ قلت : أَنَجَرُ ^(٢) فَلَمَطِينَ ؟ قال : إِنِّي إِذَا لَقَرَوِي .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وَحَدَّثَنَا حَسَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَهُ مِخْجَنٌ ^(٣) يَتَقَاوَلُ بِهِ مَتَاعَ الْحَاجِّ ^(٤) سَرَقَهُ ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ : سَرَقْتَ ! قَالَ : لَمْ أَسْرِقْ ، لِمَا سَرَقَ مِخْجَنِي ! قَالَ : فَقَالَ حَسَّادُ : لَوْ كَانَ هَذَا الْيَوْمَ حَيًّا لَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ !

(الأعمش وجليسه)

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ الْأَعْمَشُ لَجَلِيسٍ لَهُ : أَمَا تَشْتَهِي بَنَاتِي ^(٥) زُرْقَ الْعُيُونِ نَعِيَّةَ الْبَطُونِ ، سُودَ الظُّهُورِ ، وَأَرْغِفَةَ

(١) هو الربيع بن حبه الرحمن السلمي ، كما في البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أَنَهَمَزُ أَمَ إِسْرَائِيلَ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فَتَجَر » وأثبت ما في ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناها الاصطلاحي وفهم الأعرابي من الهمز اللغز ، أو النخس ، أو الدخ ، أو القرب ، أو المض ، كما فهم من الجر معناه القوي .

(٤) المِخْجَنُ : العصا الملوحة .

(٥) الْحَاجُّ : الحجاج إلى البيت الحرام - وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) الْبَنَى : يضم الياء : غريب من السمك . والعامة في مصر يكسرون ياءه . وجمه « بَنَاتِي » . وجاء في ط : « بَنَاتِي » وفي ل : « بَنَاتِيَا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حَارَّةٌ لَيْتَنَ ، وَخَلًّا حَازِقًا ؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجُلُ :
فنهضتُ مَعَهُ ودخل منزله . قال : فأومأَ إليَّ : أَنْ خُذْ تِلْكَ السَّلَّةَ . قال :
فكشفتُها فإذا برغيفين يابسين ^(١) وسُكَّرَجَةٍ كَامَخٍ ^(٢) شَبِثٍ ^(٣) . قال : فجعل
يأكل . قال : فقال لي تعالَ كُلْ . فقلت : وأين السمك ؟ قال : ماعندى ،
[سمك] ، إنما قلت لك : تشتهى !

(رأى حفص بن غياث في فقه أبي حنيفة)

قال : وسُئِلَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ^(٤) عَنْ فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : كَانَ
أَجْمَلَ النَّاسِ بِمَا يَكُونُ ^(٥) ، وَأَعْرَفَهُمْ بِمَا لَا يَكُونُ .

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) السكايخ ، بفتح الميم : ضرب من مشجيات الطعام ، قوامه البقول والملح
واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأباذير . انظر كتاب الطبخ للبغدادى ص ٦٨ وشفاء
الغليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء في ل : « شبت » . وفي
القاموس : « الشبت كطير : هذه البقلة المعروفة » . وفي تذكرة داود :
« شبت بالثنية ويقال بالثناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولده هارون القضاء ببغداد
بالشرقية ، ثم ولده قضاء الكوفة ، فأتى بها سنة ١٩٤ . وكان مثلاً في الزهد
والعفة ، وروا أنه مرض خمسة عشر يوماً فنفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : أمس
بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوماً ، لم أحكم فيها بين المسلمين ،
لا حظ لي فيها ! وقد سيق الخبر في ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث
المشول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشنَم^(١) بن هند ، فإنَّ خشنام بن هند كان شيخا من الغالية^(٢) ، وكان ممن إذا أراد أن يسميَ أبا بكر وعمرَ قال : الجبثُ والطاغوت ، ومُنكر ونكير ، وأفَّ وتَفَّ ، [وكُسِرَ] وعَوِرَ^(٣) . وكان لا يزال يُدخل دارَه حمارَ كَسَّاح^(٤) ويضربه مائةَ عصا^(٥) على أنَّ أبا بكر وعمرَ في جوفه . ولم أرَ قطُّ أشدَّ احترافاً^(٦) منه . وكان مع ذلك نبيلياً وصاحبَ هامٍ^(٧) . ويُشبه في القَدِّ والخرط شيوخَ الحريَّةِ^(٨) . وكان من [بني] غُبَر^(٩) [من] صميمهم . وكان له بُنى يتبعه ، فكان يزني أمه عند^(١٠) كلِّ حقٍّ وباطل ، وعندَ كلِّ جدٍّ وهزل . قلت له يوماً - ونحن

-
- (١) في القاموس : « خشنام : علم ، مغرب غوش قام ، أى الطيب الاسم » .
 (٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والعلوية والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا في حقِّ أئمتهم حتى أعرجوهم من حدود الخلقة وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .
 (٣) انظر الاستراكلت في نهاية هذا الجزء .
 (٤) الكساح : الكناس . والمكسة : المكنة . والكساحة ، بالقسم : الكناسة
 (٥) ط ، ل ، هـ : « عسى » . والوجه كتابته بالألف كما في س .
 (٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفي ط ، هـ : « احترافاً » .
 (٧) أى يلبس بالحمام ويقامر به .
 (٨) الحرية : حملة كبيرة ببغداد ، قنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي . انظر ص ٨٠ .
 (٩) غبر ، كثر : قبيلة من يشكر ، كما في تلج العروس . وفي ط ، هـ : « غير » .
 وتصحيحه من ل .
 (١٠) ل : « وفي » . يزنيها : يلقفها بالزنى .

عند بنى ربيعى : وَنَحَكَ ، بَأَى شَيْءٍ نَسْتَحِلُّ أَنْ تَقْذِفَ أُمَّهُ بِالزَّنَا ؟ فقال :
لو كَانَ عَلَى فِى ذَلِكَ حَرَجٌ لِمَا قَذَفْتَهَا ! قلت : فَلِمَ زَوَّجْتَ امْرَأَةً لَيْسَ
فِى قَذْفِهَا حَرَجٌ ؟ قال : لَأَنِّى قَدْ احْتَلْتُ حِيلَةً حَتَّى حَلَّ لِي مِنْ أَجْلِهَا مَا كَانَ
يَحْرَمُ . قلت : وما تلك الحيلة ؟ قال : أَنَا رَجُلٌ حَدِيدٌ ، وَهَذَا غُلَامٌ عَارِمٌ ،
وَقَدْ كُنْتُ ^(١) طَلَقْتُ أُمَّهُ فَكُنْتُ إِذَا اقْتَرَبْتُ عَلَيْهَا ^(٢) أَثَمْتُ ، فَقُلْتُ فِى نَفْسِى :
إِنْ أَرَاَهَا ^(٣) وَخَدَعْتُهَا حَتَّى أَنْيَكَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً حَلَّ لِي بَعْدَ ذَلِكَ اقْتِرَائِى
عَلَيْهَا ^(٤) ، بَلْ لَا يَكُونُ قَوْلِي حِينَئِذٍ فَرِيَةً ، وَعَلِمْتُ أَنَّ زَنِيَّةً وَاحِدَةً لَا تَعْدِلُ
عَشْرَةَ ^(٥) آلَافِ فَرِيَةٍ . فَأَنَا الْيَوْمَ أَصْدُقُ وَلَسْتُ أَكْذِبُ . وَالصَّادِقُ مُأْجُورٌ .
لَأَنِّى وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ اللَّهَ إِذَا عَلِمَ أَنَّى لَمْ أَزِنْ بِهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ ^(٦) إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْإِثْمِ ٧
إِذَا قَذَفَهَا ^(٧) — أَنَّهُ سَيَجْعَلُ ^(٨) تِلْكَ الزَّنِيَّةَ لَهُ طَاعَةً ^(٩) قُلْتُ : أَنْتَ الْآنَ عَلَى
[يَقِين] أَنَّ زَنَاكَ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؟ قال : نَعَمْ .

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلمتا العبارتين .

(٣) أَرَاَهَا : أَرَدْتُهَا وَطَلَبْتُهَا أَوْ خَادَعْتُهَا . وَفِى ط : « أَحْبَبْتُهَا » وَفِى س :
« أَحْبَبْتُهَا » ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ مَا أَثَبْتُ مِنْ ل .

(٤) فِى الْأَصْلِ : « عَشْر » . وَالْأَلْفُ مَذْكُورٌ .

(٥) س : « الْمَرَأَةُ » ، وَتَصَحُّحٌ بِتَكْلُفٍ .

(٦) ل : « قَذَفَتْ » ، وَصَحَّحَ الْمَعْنَى بِالْعِبَارَتَيْنِ .

(٧) ل : « فَجَعَلَ لِي » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) ط : « طَاعَةٌ لِلَّهِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا فِى ل .

(حجة الشيخ الإباضي في كراهية الشيعة)

قال الشيخ الإباضي [وقد ذهب عنى اسمه وكنيته] وهو خنّ أبى بكر ابن بَريرة^(١) - وجرى يوماً [شئ من] ذكر التشيع والشيعة ، فأنكر ذلك واشتد غضبه عليهم ، فتوهّمت أن ذلك إنما اعتراه للإباضية التى فيه ، [وقلت]^(٢) : وما على إن سأله ؟ فإنه يُقال : إنَّ السائل لا يعلمه أن يسمَعَ الجواب حُجَّةً أو حيلةً [أو ملحة]^(٣) - فقلتُ : وما أنكرت من التشيع [من ذكر] الشيعة ؟ قال : أنكرتُ منه مكان الشين التى فى أوّل الكلمة ، لأننى لم أجد الشين فى أوّل كلمةٍ قطُّ إلا وهى مسخوطة^(٤) مثل : شؤم ، وشر ، وشيطان ، وشغب ، وشج^(٥) ، وشمال ، وشجن^(٦) ، وشيب ، وشين^(٧) ، وشراسة ، وشنج^(٨) ، وشك ، وشوكة ، وشبث ، وشرك ، وشارب^(٩) ، وشطير ، وشطور ، وشرة^(١٠) وشان^(١١) ، وشتم ،

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما فى ل . انظر ص ٩ س ٩ .

(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « إلا مسخوطة » .

(٥) كذا فى س ، ط . وفى ل : « وشيج » .

(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفى ل : « وشخت » .

(٧) بدل هاتين الكلمتين فى س ، « وشيب وشيت » وفى ل : « وشيت وشيب » .

(٨) الشنج ، بالصرح : نقبض الجله . وبده فى ل : « وشج » .

(٩) فى ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفى ط أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبت » و « شرك » . الشبث ، محرّكة : المنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التى وردت فى ل ، هو الخشن ، أو الضامر اليأس .

(١٠) كذا فى ل . ويراد بها شعر السانة . وفى ط ، س : « شعر » محرّكة .

(١١) الشان ، غشت الشان : المبخض الملو . وفى ط : « شان » . وفى ل

« شابس » وأثبت ما فى س . وقد جاء الحفاظ ما فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتم^(١) ، وشيطرج^(٢) ، وشنة ، وشناعة ، وشامة^(٣) ، وشوصة ، وشتر
وشجوب^(٤) وشجة ، وشطون ، وشاطن^(٥) ، وشن^(٦) ، وشلل ، وشيص^(٧)
وشاطر ، وشاطرة^(٨) ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلمًا قط يقول هذا ولا يلغّه ، ولا يقوم هؤلاء
القوم قاعةً بعد هذا^(٩) !

-
- (١) الشتم : الكره الوجه .
(٢) الشيطرج : نبت يورجد بالقبور الحراب ، ورائحته ثنية حسادة ، وطعمه إلى
مرارة . وفي س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف مائل لـ .
(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشامة والمشامة ، من الشوم ، ضد
أهية والمهينة ، من اتين .
(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع في البطن ، أو ريح تمتقب في الأمعاء ،
أو ورم في حجابها . والشر ، بالفتح : انقطع ، أو انقلاب الجفن من أهل
وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما في ل
بمذكلة : « شاطرة » .
(٥) الشطون : البيلة . والشاطن : الخبيث .
(٦) الشن ، بالفتح : القرية الخلق الصغيرة .
(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ القمر ، ووجع الفرس أو البطن .
(٨) الشاطر : الذي أعيا أهله ومؤديه غشياً ، وقد يراد بها اللص . وفي ل :
« وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .
(٩) هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ - حديثاً بينه وبين الشيخ الإباضي - نجده
في العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضاً حديثاً بين وجبل من رؤساء التجار
وشيخ شرس الأخلاق كان راكباً مع التاجر في سفينة . ولست أدري من أي
كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر هل ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا
الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدراً بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لي
ذاكر من شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعثى أبو كعب القاص^(١) بطفشيل^(٢) كثير اللوبيا ، وأكثرت منه ، وشرب نبيذ تمر ، وغلّس إلى بعض المساجد ليقصّ على أهله ، إذ^(٣) انفلت الإمام من الصلاة فصادف زحاما كثيرا ، ومسجدا مستورا بالبوارى^(٤) من البرد والرّيح والمطر ، وإذا محراب غائر في الحائط ، وإذا الإمام شيخ ضعيف ، فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح ، وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه إلى وجوه القوم^(٥) ، وطبق وجه المحراب بحجسه وفروته وعمامته وكسائه ، ولم يكن بين فتحته وبين أنف الإمام كبير شيء ، وقصّ وتحرك بطنه ، فأراد أن يفرج بفسوة وخاف أن نصير ضراطا^(٦) ، فقال في قصصه : قولوا جميعا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم : وقسا فسوة في المحراب فدارت فيه وجشت^(٧) على أنف الشيخ واحتملها ، ثم كدّه بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم . فأرسل فسوة أخرى فلم تخطى أنف الشيخ ،

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جملة (طفشيل) وزان صديد ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنويرات ، أي الأطعمة التي تنضج في التنور . وجاء في سباج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطاني ، أي الحبوب ، كالقمح والجلبان ، وما أشبه ذلك . وانظر الحيوان : ٢٢٦ .

(٢) في الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضربة » . وفي س : « ينفرج » بدل : « ينفرج » .

(٦) جشت : لزمت مكانها . وفي ط : « جشت » ، والوجه ما في ل ، س .

وَاخْتَنَقَتْ^(١) فِي الْمَحْرَابِ . فَخَمَّرَ الشَّيْخُ^(٢) أَنْفَهُ ، فَصَارَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ .
 إِنَّهُ هُوَ تَنْفَسَ قَتْلَهُ الرَّاحَةَ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَتَنَفَسْ مَاتَ كَرْبًا . فَمَا زَالَ يُدَارِي
 ذَلِكَ ، وَأَبُو كَعْبٍ يَقْصُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَبُو كَعْبٍ أَنْ احتَاجَ إِلَى أُخْرَى . وَكَلِمَا
 طَالَ لُبُّهُ تَوَلَّدَ فِي بَطْنِهِ مِنَ التَّفْخِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ . فَقَالَ : قُولُوا جَمِيعًا :
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! وَارْفَعُوا بِهَا أَصْوَاتَكُمْ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنَ الْمَحْرَابِ - [وَأُطْلِعَ ٨
 رَأْسَهُ وَقَالَ] - : لَا تَقُولُوا ! لَا تَقُولُوا ! قَدْ قَتَلَنِي ! لِمَا يَرِيدُ أَنْ يَفْسُو !
 ثُمَّ جَذَبَ إِلَيْهِ ثَوْبَ أَبِي كَعْبٍ وَقَالَ : جَنَّتْ إِلَى هَاهُنَا لِنَفْسٍ^(٣) أَوْ تَقْصُ ؟
 فَقَالَ : جَنَّتْ لِنَقْصٍ^(٤) ، فَإِذَا نَزَلَتْ بَلِيَّةٌ فَلَا بَدَّ لَنَا وَلَكُمْ مِنَ الصَّبْرِ ! فَضَحَكَ
 النَّاسُ ، وَاخْتَلَطَ الْمَجْلِسُ .

(جواب أبي كعب القاص)

وَأَبُو كَعْبٍ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَقْصُ فِي مَسْجِدِ عَتَابٍ كُلِّ أَرْبَعًا^(٥)
 فَاحْتَبَسَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَطَالَ انْتِظَارُهُمْ لَهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ
 رَسُولُهُ فَقَالَ : يَقُولُ لَكُمْ أَبُو كَعْبٍ : انْصَرَفُوا ، فَإِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ
 [الْيَوْمَ] مَحْمُورًا !

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « اخْتَنَقَتْ » .

(٢) نَحَرُ أَنْفِهِ : فَطَاهُ .

(٣) ل : « تَقْصُ » .

(٤) ل : « نَقْصُ » .

(٥) هُوَ مَقْصُورٌ : « أَرْبَعَةٌ » .

(علة عبد العزيز)

وَأَمَّا علة عبد العزيز بشكست فلأنَّ عبد العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاء وقتُ الزَّكاةِ وجاء القَوَادُّ بـغلامٍ مؤاجرٍ^(١) ، قال : يا غلامُ ألك أمٌ ؟ ألك^(٢) خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خذْ هذه العشرة الدراهم — أو خذْ هذه الدنانير — مِنْ زكاةِ مالى ، فادفعها لإيِّهنَّ ، وإنْ شئتَ أنْ تُبركنى^(٣) بعد ذلك على جهةِ المكارمة ، [فافعل] ، وإنْ شئتَ أنْ تُتصرف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغلامَ لا يمتنعُ بعد أخذِ الدراهم ، وهو يعلمُ أنه لن^(٤) يبلغَ مِنْ صلاحِ طباعِ المؤاجرِينَ أنْ يؤدُّوا الأماناتَ . فقَبر^(٥) بذلك ثلاثين سنةً وليس له زكاةٌ إلَّا عندَ أمَّهاتِ المؤاجرِينَ وأخواتهم وخالاتهم .

(١) لفظة عباية ، يقصد بها من يستأجره اللاحقة . انظر كنايات الجرجاني ص

١٢٠ ص ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جملة يبركه . وقد كفى بقوله . وفى ط « تلزمنى » وأثبت . ماقى ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « قَبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت ماقى ل ، س ، وغير .

بمعنى بى وظل .

(احتجاج طيب كوفي للتسمية بمحمد)

وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال : قال لي الفضل بن مروان^(١)
 شيخ من طيِّب^(٢) الكوفيِّين وأغنيائهم^(٣) : إِنَّ وَلَدَ لَكَ مائَةَ ذَكَرٍ فَسَمِّهِمْ
 كُلَّهُمْ مُحَمَّدًا ، [وَكُنْهُمْ بِمُحَمَّدٍ] ؛ فَإِنَّكَ سَتَرَى فِيهِمُ الْبِرَّكَ . أَوْ تَلْزِمُ
 لَأَيِّ شَيْءٍ كَثْرَ مَالِي ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي . قَالَ : إِنَّ مَا كَثُرَ مَالِي لِأَيِّ
 شَيْءٍ نَفْسِي فِيهَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ! وَإِذَا كَانَ اسْمِي عِنْدَ اللَّهِ مُحَمَّدًا فَمَا أُبَالِي
 مَا قَالَ النَّاسُ !

(جواب أحمد بن رباح الجوهري)

وشبه هذا الحديث قول المروزي^(٤) : قُلْتُ : لِأَحْمَدَ بْنِ رِبَاعٍ الْجَوْهَرِيُّ
 اشْتَرَيْتَ كِسَاءً أبيضَ طَبْرِيًّا بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ - فَمَا تَرَى
 عِبْرَتَهُمْ قَوْمِي^(٥) ؟ يَسَاوِي مِائَةَ دِرْهَمٍ . قَالَ : إِذَا عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ طَبْرِيٌّ فَاعْلَمْ أَنَّ
 قَالَ النَّاسُ ؟ !

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطيِّب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان

٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسبويه ٢ : ٢١١ . و ما سبق في ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واحتضت ماق ل . انظر ص ٦ ص ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومي : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كما في القاموس . أو بضم القاف
 وكسر الميم كما في المعجم . وهي صفة كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاج حارس يكنى أبا خزيمه)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خزيمه ، فقلت يوماً - وقد خطر على بالي - : كيف اكنى هذا العليجُ الألكنُ بأبي^(١) خزيمه ؟ ثم رأيتُه فقلت له : خبرني عنك ، أكان أبوك يسمى خزيمه ؟ قال : لا . قلت : فجدك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنُ يسمى خزيمه ؟ قال : لا . قلت : فكان في قريبك رجلٌ صالح أو فقيهٌ يسمى خزيمه ؟ قال : لا . قلت : فلم اكنيت بأبي^(٢) خزيمه ، وأنت عليجُ الألكن ، وأنت فقيرٌ ، وأنت حارس ؟ قال : هكذا اشتهيت . قلت : فلأى شيء اشتهيت هذه الكنية من بين جميع الكنى ؟ قال : ما يدريني . قلت : فتبيها الساعةً بدينارٍ ، وتكتنى بأبي كنيةٍ شئت ؟ قال : لا والله ، ولا بالذنيا^(٣) وما فيها !

(جواب الزيادي)

٩ وحديثي مسعدة بن طارق ، قلت للزيادي - ومررت به وهو جالسٌ في يوم غرق^(٤) حارٌّ وميد^(٥) ، على باب داره في شروع نهر

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف في « اكنى » أن يتدى بالياء كما في اللسان . وأما الذي يتلى بنفسه أو بالياء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غرق ، كفرج ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خفة وفساد . وفي ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الثنى يجي في صميم الحر من قبل البحر .

الجوبار^(١) بأردية^(٢) ، وإذا ذلك البحر يبحر في أنفه^(٣) - قال : فقلت له
بعث دارك وحفظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان ، وتركت مجلسك
في ساباط غيث^(٤) ، وإشراكك على رجة بنى هاشم ، ومجلسك في الأبواب
التي تلى رجة بنى سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم ،
ورضيت به جارا ؟ قال . نلت أطول آمالي في قرب هؤلاء [البزّازين] . قلت
له : لو كنت بقرب المقابر فقلت نزلت^(٥) هذا الموضع للاتعاط به والاعتبار
كان ذلك وجهاً . ولو كنت بقرب الحدادين فقلت لأتذكر بهذه
النيران والكيران^(٦) نار جهنم ، كان ذلك قولاً . ولو كنت اشترت
داراً بقرب العطارين فاعتللت بطلب^(٧) رائحة الطيب كان ذلك وجهاً

(١) الجوبار : بضم الجيم : حلة بأسيهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر
الصغير ، وبار كأنه سيله . فمعناه على هذا سيل النهر الصغير » قال صاحب
الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى
من الأدوات التي تدل على الكثرة » . وفى ط ، س « الخوان ، وتصحيحه
من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست فى ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « يتجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هى
فى ل : « النهر » .

(٤) الساباط : الحقيقة بين دارين تحتهما طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب
الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه يوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث »
هى فى ط ، س : « حيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س .

(٦) جمع كبير : وهو الزق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ل : « يطلب » .

فَأَمَّا قُرْبُ الْبَرَازِينَ^(١) فَقَطْ فَهَذَا مَا لَا أَعْرِفُهُ . أَفَلَاكَ فِيهِمْ دَارُ غَلَّةٍ ، أَوْ هَلْ لَكَ عَلَيْهِمْ دُبُونٌ حَالَةٌ ، أَوْ هَلْ لَكَ فِيهِمْ أَوْ عِنْدَهُمْ غِلْمَانٌ يُوَدُّونَ الضَّرْبِيَّةَ ، أَوْ هَلْ لَكَ مَعَهُمْ شِرْكَةٌ مُضَارَبِيَّةٌ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَمَا تَرْجُو إِذَا مِنْ قَرِيبِهِمْ^(٢) ؟
فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا : نَلْتُ آمَالِي^(٣) بِقُرْبِ الْبَرَازِينَ .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وَحَدَّثَنِي ثَمَامَةُ بْنُ أَثْرَسٍ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مَمْرُورٌ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ فِيأَفَى دَالِيَةِ لَقُومٍ ، وَلَا يَزَالُ يَمْشِي مَعَ رِجَالِ الدَّالِيَةِ عَلَى ذَلِكَ الْجَذْعِ^(٤) ذَاهِبًا وَجَائِيًا ، فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . حَتَّى إِذَا أَمْسَى زَلَّ إِلَيْهِمْ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا فَرْجًا وَمَخْرَجًا ! ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ . فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ .

(بين أعمى وقائده)

وَحَدَّثَنِي الْمَكِّيُّ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقُودُ أَعْمَى بِكَرَاهٍ^(٥) ، وَكَانَ الْأَعْمَى رَجُلًا عَتَرَ الْعَسَاةَ وَنُسِيبَ النَّسَكَةِ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ

(١) الْبَرَاز : بَاتِعُ الْبَرِّ يَفْتَحُ الْبَاءَ ، وَهُوَ الثَّيَابُ ، أَوْ مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الثَّيَابِ . وَالْبَرَازُ : بِيَاعُ بَزْرِ الْكُتَّانِ ، أَيْ زَيْتُهُ بِلُغَةِ الْبَغَادَةِ . وَفِي ط : « الْبَرَازِينَ » وَأُثْبِتَ مَا فِي س ، ل .

(٢) ل : « قُرْبِ الْبَرَازِينَ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ هُنَا : « قُلْتُ لِأَمَالِي » ، وَجِهَهُ مَا أُثْبِتَ .

(٤) ط « الْجَذْعُ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٥) الْكَرَاهُ : الْأَجْرَةُ .

لى^(١) به قائدٌ خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لى^(٢) به أعمى خيراً لى منه .

(حافاة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزلٍ صاحب لنا ، إذ خرج واحدٌ من جماعتنا ليقيلَ فى البيت الآخر^(٣) ، فلم يلبث إلا ساعةً حتى سمعناه يصيح : أوو^(٤) ! أوه ! قال : فنهضنا بأجمعنا إليه فرعينا ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائمٌ على شقهِ الأيسر ، وهو قابضٌ على خصيته بيده^(٥) . فقلت له : لم صحت ؟ قال : إذا غمرت خصيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتها صحت . قال : فقلنا له : لاتغيزها بعدُ حتى لاتتشكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حافاة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن على مولاةٌ عجوزٌ خراسانيةٌ تصرخ بالليل من ضربانٍ ضررس لها ، فكانت قد أرقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لاتدعُ أكلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أناكلين التمر بالنهار وتصبحين بالليل ؟ فقالت : إذا اشتيتُ أكلت وإذا أوجعتى صحت !

(١) فى صيوات الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد التبر : « أبدلى » .

(٢) قال يقيل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزباده .

(٤) ل : « يديه » .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

١٠ وحديثي ثمامة قال : مررتُ في غبٍ مطيرٍ والأرضُ نديّةٌ ، والسَّمَاءُ متغيّمةٌ ، والريّحُ شماليٌّ ، وإذا شَيْخٌ أَصْفَرُ كَأَنَّهُ جَرَادَةٌ ، وقد جلسَ على قارعة الطَّرِيقِ ، وَحِجَامٌ زُرْنَجِيٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهله وأخذَ عِيَهُ مُحَاجِمٌ ، كلٌّ عِجْمَةٍ كَأَنَّهُمَا قَعْبٌ ، وقد مَصَّ دَمَةً حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَفْرِغَهُ . قال : فَوَقَفْتُ عليه فقلت : يا شَيْخُ لِمَ تَحْتَجِّجُمُ في هذا البردِ ^(١) ؟ قال لمكانِ هذا الصَّفَارِ ^(٢) الذي بي .

(صنيع ممرور)

وحديثي ثمامة قال : حدثني سعيد بن مسلم ^(٣) قال : كُنَّا بِمُحْرَاسَانَ في منزل بعض الدّهَاقِينِ ونحنُ شَبَابٌ ، وفيْنَا شَيْخٌ . قال : فَأَتَانَا رَبٌّ لِمَنْزِلِ بَدُئِهِ طَيِّبٌ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ ، وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ

(١) الزيادة من القند ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يمتزج في البطن ، أو دود فيها . كذا في القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتي « البرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر في ميون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي س : « سلم » . وهذا الحديث الآتي تجلده أيضا في ميون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شارِبِه ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ بِدِيهِ وَأَمَرُنَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَعْضُنَا أَخَذَ بِطَرَفِ
إِصْبَعِهِ فَأَدْخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبِه . فَعَمَدَ ^(١) الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدَّهْنِ
فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : وَيْحَكَ ، خَالَفْتَ أَهْمَابَكَ كُلَّهُمْ ! هَلْ رَأَيْتَ
أَحَدًا إِذَا أَتَوْهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ صَبَّهَ ^(٢) فِي أُذُنِهِ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا
يَضْرِبُنِي ^(٣) ؟

(أَمْرٌ عِيصٍ ، سَيِّدُ بَنِي تَيْمٍ)

وَحَدَّثَنِي مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقٍ [الدَّرَّاعُ] ^(١) قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ
عَلَى حُلُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ ، وَنَحْنُ فِي خِصْمَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ [عِيصٌ] ^(٢)
سَيِّدُ بَنِي تَيْمٍ وَمُوسِرُهُم ^(٣) وَالَّذِي يَصُلِّي عَلَى جَنَائِزِهِمْ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا
إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : حَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ،
هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ ^(٤) ؟ ! قَالَ مَسْعَدَةُ : فَأَنَا مُنْذُ سَنِينَ ^(٥)

(١) عمد : قصد . وفي ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود
« إلى » ، وصوابها في ل .

(٢) ل : « نضبه » وهو تحريف ما في ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنا مع ذلك تضرني » ولها وجه ، أي فإن تلك النملة ، وقد
أثبت ما في ل .

(٤) ص : بكلمة : « الدراع » من يذرع الأرض ، أي يقبضها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيم . وفي ط « مؤسرم » محرفة .

(٧) كذا في ل ، س . وفي ط : « أهدنا » وجهه يخف اتهمام الكلام ،
مع أن الغاية من الحديث بيان شدة اتهمام حديث التيمى . وكلمة « بعضها » هي
في ل : « بعض » . وفي العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك في العقد .

أَفْكَرُ فِي كَلَامِهِ مَا أَدْرَى مَا عَنَى بِهِ . [قَالَ : وَقَالَ لِي مَرَّةً : مَا مِنْ شَرٍّ مِنْ ذَيْنِ ! قُلْتُ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ جَرَا يَتَعَلَّقُونَ] .
وَحَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ يَحْيَى السُّلُوكِيُّ قَالَ : نَازَعَ التَّمِيمِيُّ بَعْضَ بَنِي عَمِّهِ فِي حَاطِطٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا لِنَشْهَدَ عَلَى شَهَادَتِهِ ^(١) ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ^(٢) الْحَمِيرِيُّ وَالزَّهْرِيُّ ، وَالزَّيَادِيُّ ، وَالْبِكَرَاوِيُّ . فَلَمَّا صِرْنَا إِلَيْهِ وَقَفَ بِنَا عَلَى الْحَاطِطِ وَقَالَ : أَشْهَدُكُمْ جَمِيعاً أَنَّ نِصْفَ هَذَا الْحَاطِطِ لِي !

(جواب ممرور)

قَالَ : وَقَدِيمُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ حَبِيبٍ ، وَأَدْعَى عَلَيْهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ : مَا أَعْرِفُ نَمَّا قَالَ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً ، وَلَا لَهُ عَلَى شَيْءٍ !
قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى ! فَاسْتَبْرَأَ بِإِنْكَارِهِ . قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : الْإِنْكَارُ لَا يَفُوتُكَ ^(٣) ، مَتَى أَرَدْتَهُ فَهُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ !

(أمنية أبي عتّاب الجرّار)

قَالَ : وَقُلْتُ لِأَبِي عَتَّابِ الْجَرَّارِ ^(٤) : أَلَا تَرَى عَبْدَ الْعَزِيزِ الْغَزَّالَ وَمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فِي قَصَصِهِ؟ قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ ^(٥) قَالَ؟ [قُلْتُ] : ^(٦) قَالَ : لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) في الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما في البيان (٢ : ٣١٨) وحيون الأخبار ٢ : ٨٨ والمقدّم ٤ : ١٩٧ . و « الجرّار » هي كذلك في ط ، س ، وفي ل : « الحزان » وفي البيان : « الجزار » . واسم إبراهيم بن جامع كما في الحيوان ٥ : ١٦٧ .

(٥) في الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُنْ خَلْقَتِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعور ! قَالَ أَبُو عَتَاب ^(١) : [وقد قَصَّرَ في القول ،
وَأَسَاءَ في التَّمْنَى . وَلَكِنِّي أَقُول] : لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلْقَتِي وَأَنَا السَّاعَةَ
أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ !

(تعزية طريفة لأبي عتاب الجرار)

ودخل أبو عتاب على عمرو ^(٢) بن هذَّاب وقد كُفَّ بَصَرُهُ ، والناس
يُعْزُونُهُ ، فثَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ كَالْجَمَلِ الْمَحْجُومِ ^(٣) ، [وَ] لَهُ صَوْتُ جَهِيرٍ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، لَا يَسُوءُ نَكَ ^(٤) ذَهَابُهُمَا ، فَلَوْ رَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَنَيْتَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ بِدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَدَقَّ ظَهْرَكَ ، وَأَذَى ضِلْعَكَ ^(٥) .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وبينا داودُ بنَ الْمُعْتَمِرِ الصُّبَيْرِيِّ جَالِسٌ مَعِيَ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ
لَهَا قَوَامٌ وَحُسْنٌ ، وَعَيْنَانِ عَجِيبَتَانِ ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ ، فَتَهَضَّرَ دَاوُدُ ١

(١) ط : « ابن عتاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التظية : من
الصفحة السابقة .

(٢) ل : ط : « عمر » ، وأثبت ما في س وحيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب
البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذي وضع على فمه الخجام - ككتاب - لنلا يعض ؛ فعوته
أقوى صوت . وجاء في حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح
الصيحة يكاد من ممها يصق » ، كالبعير المحجوم . في ط : ل : « المحجوم » .
وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسوك » وهي مصيبة . وأثبت ما في ل وحيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلفك » و« ل » : « ظلفك » . والظلف ، أصله البقرة والشاة والظلي : من
القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بصر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨

فلم أشك أنه قام ليَتَّبِعْهَا ، فبعثتُ غلامى ليعرف ذلك ، فلما رجع قلت له :
 قد علمت [أنك] ^(١) إنما قُتَّ لتكلمها ، فليس ينفَعُكَ إِلَّا الصَّدْقُ ،
 ولا ينجيك منى الجحود ، وإنما غايى أن أعرف كيف ابتدأت القول ^(٢) ،
 وأى شئ قلت لها - وعلمت أنه سأتى بآبدة . وكان ملياً بالأوابد ^(٣) -
 قال : ابتدأت القول ^(٤) بأن قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليك ^(٥) من سياء
 الخير لم أتبعك . قال : فصَحِحتُ حتى استندتُ إلى الحائط ، ثم قالت :
 إنما يمنع مثلك من اتباع مثلى والطمع فيها ^(٦) ، ما يرى من سياء الخير
 فأما إذ قد صار سياء الخير هو الذى يُطمعُ فى النساء فإننا لله وإنا
 إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة ^(٧) ، فلم يزل يُطربها ^(٨) حتى أجابت ،
 ودفعها على المنزل الذى يمكنها ^(٩) فيه ما يريد ، فتقدمت المفاجرة وعرض له

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س : « ابتدأت القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « ملياً » وفى ل : « مليثاً » . قال ابن منظور : « الملى بالهمز :
 اللثة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان
 صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو القطة الغريبة .

(٤) ط ، س : « ابتدأت » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ما عليك » ل : « لولا ما رأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) :
 « لولا ما رأيت عليك » وقد أثبت ما فيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطربها : يبالغ فى الثناء عليها ، ومن يفترون بذلك . وفى ط : « يطربها » . وليس بشئ .
 وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت ما فى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما بيان .

رجلٌ فشغلُهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القَوْمُ حوائِجَهُمْ وأَخَذَتْ حاجَتها ، فلم تنتظره^(١) . فلما أتاهُم ولم يرَها قالَ : أين هي ؟ قالوا : والله قد فرَغنا وذَهَبَتْ ! قال : فأى طريقٍ أَخَذَتْ ؟ قالوا : [لا] والله ما ندري ؟ قال : فإن عَدَوْتُ في إثرِها حتَّى أَقُومَ على مجامعِ الطُرُقِ^(٢) أَتُرَوْنِي ألحقها ؟ قالوا : [لا] والله ما تلحقها ! قال : فقد فاتتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فحسبي أن يكون خيراً ! فلم أسمعَ قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أنَّ السَّلامةَ من الذنوب خيراً [غيره]^(٣) .

(قول أبي لقمان المروور في الجزء الذي لا يتجزأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لُقمان المروور عن الجزء الذي لا يتجزأ : ما هو ؟ قال :
الجزء الذي لا يتجزأ هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد^(٤) :

(١) ل : « وأبت أن تنتظره » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « في مجامع الطريق » معرفة .

(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزئ كما في ط . وفي ل :
« فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك في أن السلامة من الذنوب خير من غيرها » .

(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الحاشي بالولاء ، مولى أبي جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والعمري . وكان فصيحاً ظريفاً لساناً . دخل عل المتوكل في قصره المعروف بالجعفرى فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجباً منه ومن بكوره : يا أبا عبيد الله ، أتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أناشركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيه بأبي العيناء المذكور في وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفي سنة ٢٨٢ . انظر نكت المهيان ٢٦٥ .

أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره؟ قال: بلى حزة جزء لا يتجزأ، وجعفر جزء لا يتجزأ! قال فما تقول في العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزأ مرتين، والزبير يتجزأ مرتين. قال: فأى شيء تقول في معاوية؟ قال: لا يتجزأ [ولا لا يتجزأ].

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام^(١) جزءاً لا يتجزأ^(٢) إلى أى شيء ذهب، فلم تقع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره، وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذي لا يتجزأ.

وقد تسخفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسندكر قبل ذكرنا [القول] في الحمام جلاً من غرر ونوادير وأشعار وتنف وفقر من قصائد قصار وشوارد وأبيات، لنعطى قارى الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً إن شاء الله.

(١) المراد بالإمام: حل بن أبي طالب. وفي ط، س: «الأنام» بمعنى الخلق، وأثبت ما قبل.

(٢) كذا في س، ل. وفي ط: «أجزاء لا تتجزأ» فيكون صواب ما في ط: «جعل الأنام أجزاء لا يتجزأ» والمراد بالجزء الذي لا يتجزأ، أن الأجسام تحل إلى أجزاء صفار لا يمكن ألبة أن يكون لها جزء. وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه، وهكذا إلى غير نهاية. وقد تبهم في ذلك النظام وبعض المتزلة، فنحن الجزء الذي لا يتجزأ. انظر الفصل ٥: ٩٢ - ١٠٨ والفرق ص ١٢٣. وقد صنف جعفر ابن حرب المتزلة كتاباً في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ. الفرق ١١٥.

(٣) الزيادة من س.

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكل ضرب من الحديث ضربٌ من اللفظ ، ولكل نوعٍ من المعاني ١٢
نوعٌ من الأسماء : فالسَّخِيفُ للسَّخِيفِ ، والخَفِيفُ للخَفِيفِ^(١) ، والجَزَلُ
للجَزَلِ ، والإفصاحُ في موضع الإفصاح ، والكنايةُ في موضع الكناية ،
والاسترسال في موضع الاسترسال .
وإذا^(٢) كان مَوْضِعُ الحديثِ على أَنَّهُ مُضْحِكٌ ومُلْهِ^(٣) ، ودَاخِلٌ
في باب المزاح والطَّيِّبِ^(٤) ، فاستعملتَ فيه الإعراب ، انقلبتَ عَنْ جِهَتِهِ .
وإنْ كان في لفظه سُخْفٌ وأَبْدَلْتَ السَّخْفَةَ بِالْجَزَالَةِ ، صارَ الحديثُ الذي
وَضِيعَ على أَنَّ بَسْرَ النَّفْسِ يُكْرَهُهَا ، وَيَأْخُذُ بِأَكْثَامِهَا^(٥) .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب يمسح المزول والفكاهة . وفي ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما في

ط ، س . وانظر التنبية الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو خرج النفس . والكلام في استعمال
الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للمحاضر مظهر في الجزء الأول

(الوقار المتكلف)

وبعضُ الناسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الحِرِّ والأُبرِ والنَّيكِ ارتدَّع وأظهرَ
التَّقَرُّزَ^(١) ، واستَعْمَلَ بابَ التَّوَرُّعِ . وأكثرُ مَنْ تجده كذلك فإِنَّمَا هو
رجلٌ ليس مَعَهُ من العَفَافِ والكَرَمِ ، والنُّبُلِ والوَقَارِ ، إِلَّا بِقَدَرِ هذا
الشَّكْلِ من التَّصْنَعِ . ولم يُكْشَفْ قَطُّ صَاحِبُ رِيَاءٍ وَنِفَاقٍ ، إِلَّا عَنِ
لُؤْمٍ مُسْتَعْمَلٍ ، ونَدَالَةٍ مُتَمَكِّنَةٍ .

(تسمُّح بعض الأئمة في ذكر ألفاظ)

وقد كان لهم في عبادة الله بن عباسٍ مَقْنَعٌ ، حينَ سَمِعَهُ بعضُ الناسِ^(٢)
يُنْشِدُ في المسجد الحرامِ^(٣) :
وَهُنَّ يَمْشِينَ بَنَاتُ هَمِيصًا إِنْ تَصَدَّقِي الطَّيْرُ فَنَنْكَ لَيْسَا^(٤)

(١) التَّقَرُّزُ : التَّيَاعُدُ مِنَ النَّفْسِ . وفي ط ، س : « التَّمَرُّزُ » بمعنى التَّكِبَرِ
والْتَشَدُّدِ ، كما في اللسان ، وأثبت ما في ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما في حيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) في المقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز في الطريق بالبيت الآتي في طريقه إلى مكة .
وفي السبعة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من روث القول ؟
فأنشد البيت وقال : « إنما لروث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس في الخبر
عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل يشمل به كما
في اللسان (هـ) .

(٤) الهَمِيصُ : اللَّحْيُ الخُلَى الحَسَى . ليس : اسم امرأة .

فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الرَّفْتُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ .
وَقَالَ الضَّمْحَاكُ : لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ رَفْتًا لَكَانَ قَطْعُ لِسَانِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِنْ أَنْ يَقُولَ هُجْرًا ^(١) .

قَالَ شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ ^(٢) ، لَيْلَةَ بَيْتِ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ ^(٣) :
• مَنْ يَنْكِحِ الْعَبْرَ يَنْكِحْ نَيْكََا •

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ
الْأَمْرَاءِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ ؟ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ : عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ

(١) الْكَلَامُ مِنْ مَبْدَأٍ • وَقَالَ الضَّمْحَاكُ : كَانَ فِي الْأَصْلِ مُتَأَخِّرًا عَنْ مَكَانِهِ ، بِمَدِّ
نَهَايَةِ خَبَرِ شَيْبِ بْنِ الْآقَى . وَقَدْ رُدَّتْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْعَلِيِّ . وَالضَّمْحَاكُ هَذَا هُوَ
الضَّمْحَاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالُ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ انْضَمَّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاسٍ فِي خُرُوجِهِ
عَلَى حُلٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ . انْظُرْ تَفْصِيلَ هَذَا فِي الْمَقْدَمِ ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هُوَ شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ نَعِيمٍ الْخَارِجِيُّ ، كَانَ مَعَ صَالِحِ بْنِ مَسْرُوحٍ رَأْسَ الصَّفَرِيَّةِ .
خَرَجَ شَيْبُ بِالْمَوْصِلِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحِجَابُ خَمْسَةَ قَوَادٍ فَقَتَلَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ .
وَفِي إِحْدَى حُرُوبِهِ نَفَرٌ بِهِ قُرْمَةٌ عَلَى نَهْرِ دَجِيسَلٍ - دَجِيسَلُ الْأَهْوَازِ لِادَجِيسَلِ بِهَدَادٍ -
فَنَفَرَ فِيهِ وَكَانَتْ تَشْتَرِكُ مَعَهُ زَوْجَةُ غَزَالَةَ وَكَلَدَا أُمَّهُ جَهِيْزَةً فِي مَقَاوِمِ الْحِجَابِ .
وَلَمَّا دَخَلَ هُوَ وَزَوْجُهُ غَزَالَةَ عَلَى الْحِجَابِ فِي الْكَوْكُوفَةِ ، تَحَصَّنَ مِنْهَا وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ
قَصْرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ - وَقَدْ كَانَ الْحِجَابُ لَجَّ فِي طَلَبِهِ - :

أَسَدُ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعْمَةً رَهْدَاءُ تَجِفُّلٍ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ !

هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوُغَى يَلُ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ !

وَلَدَ شَيْبُ سَنَةَ ٢٦ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧ . انْظُرِ الْمَعَارِفَ ١٨٠ ، وَوَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ،
وَالْأَغْنَى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « لَيْلَةُ فِي بَيْتِ » ل : « لَيْلَةُ بَيْتِهِ » ، وَالصَّوَابُ مَا ثَبَتَ مِنَ الْمَعَارِفِ ١٨٢ .
وَبَيْتُ الْمَدَى : أَوْقَعَ بِهِ لَيْلًا .

(٤) عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، كَانَ يَكْنَى أَبَا وَرْقَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَادِ الْعَرَبِ ، وَفِي عِدَّةِ
وَلَايَاتٍ ، وَقَادَ عِدَّةَ جِيُوشٍ .

(٥) يُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ يَغَالِبُ الْغُلَّابَ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ فِي أَمْشَالِ الْمِيدَانِيِّ ٢ : ٢٣٢ -
٢٣٣ . وَقَدْ سَبَقَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ٢٥٦ .

العرب ، قال علي : « مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَقِبْ بِهِ » (١) .

فَقُلَّ عَلَى رَضَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ - يَعُولُ (٢) فِي تَنْزِيهِ اللَّفْظِ وَتَشْرِيفِ
الْمَعْنَى (٣) .

وقال أبو بكر - رَضَى اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ (٤) لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئْنَا بِمَجْرَاثِكَ وَسُودَانِكَ ، وَلَوْ قَدْ مَسَّ هَؤُلَاءِ
وَنَحْنُ (٥) السَّلَاحُ لَقَدْ أَسْلَمُوكَ ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضَى اللَّهُ عَنْهُ - : عَضِضْتَ
بِنَظَرِ اللَّاتِ !

(١) قال الميبداني في الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثرة إخوته اشتد ظهوره
وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشريف » هي في ط ، س : « شرف »
وأثبت ما في ل .

(٤) بدیل بن ورقاء ، صحابي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة ١ : ١٤٦ وكان
من الرجال البارزين في يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمروفي
في كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفي . جاء في سيرة
ابن هشام ، عند الكلام في أمر الحلبية : « فخرج - يعني - عروة بن مسعود
الثقفي - حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال :
يا محمد ! أجمعت أرواشب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش
قد خرجت معها المود المطلقين ، قد ليسوا بجلود الثور ، يماهلون الله لا تدخلها
عليهم عتوة أبدا ! وإني والله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال :
وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعه ، فقال : امصص
بنظر اللات ! أنعن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا
ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عنني لكافأئك بها ،
ولكن هله بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ .
وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ .

(٥) الوغز : الطعن الخفيف الضميف . وفي ل : « حر » .

وقد روّوا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعَذِّرُنِي مِنْ [ابن] أَمْ سِبَاعٌ »^(١)
مُقَطَّعةً الْبُظُور ؟ » .

(لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ)

ولو كان ذلك الموضوعُ موضعَ كُتابةِ هي المستعملة . وبعد فلو لم يكن
لهذه الألفاظُ مواضعُ استعمالها أهلُ هذه اللُّغة وكان الرأىُ ألا يُلفَظَ بها ، لم
يَكُنْ لأوّل كونها معنىً إلا على وجه الخطأ ، ولكان في الحزم والصّونِ لهذه
اللُّغة أن تُرْفَعَ هذه الأسماءُ منها .
وقد أصاب كلَّ الصّوابِ انذى قال : « لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ »^(٢) .

(صَوْرٌ مِنَ الْوَقَارِ الْمَتَكَافِ)

ولقد دخل علينا قتيّ حَدَّثُ كان قد وَقَعَ إلى أصحابِ عبد الواحد
ابن زيد^(٣) ونحنُ عند مُوسى بنِ عِمْران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال القتيّ : ١٣
أفطرتُ البارحةَ على رَغِيْفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونة وثلاث ، أو زيتونة
وثلثي زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أسكه « وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حنّظلة بن عبد المطلب .
انظر مفاخرة الجوارى والنّلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ - ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ
الطبري القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزيز النخشانى .
وفى ص : « سِبَاع » مصحفة . وقد قتل حنّظلة بن عبد المطلب يوم أحد .
السيرة ٦١١ وكانت أمه خاتنة بجعة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر الملل في كتاب الميداني (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخاً الصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى^(١)، فقال موسى : إِنَّ مِنَ الْوَرَعِ مَا يُبْغِصُهُ اللَّهُ، عَلِمَ اللَّهُ، وَأُظُنُّ وَرَعَكَ
هذا من ذلك الورع .

وكان العُتْبَى^(٢) رَجُلًا قَالَ : فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ كَذَا وَكَذَا ، حِينَ صَارَ
التَّجَمُّ عَلَى قِفَّةِ الرَّأْسِ ، أَوْ حِينَ جَازَنِي^(٣) شَيْئًا ، أَوْ قَبْلَ^(٤) أَنْ يَوَازِيَ^(٥)
هَامَتِي . هَكَذَا هُوَ عِنْدِي ، وَفِي أَغْلَبِ ظَنِّي ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُجْزِمَ عَلَى شَيْءٍ
وَهُوَ كَمَا قُلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَرِيبًا مِمَّا نَقَلْتُ . فَيَتَوَقَّفُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي
لَيْسَ مِنَ الْحَدِيثِ فِي شَيْءٍ . وَذَلِكَ الْحَدِيثُ إِنْ كَانَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
لَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ خَيْرًا ، وَإِنْ كَانَ مَعَ غُرُوبِهَا لَمْ يَنْقُصْهُ ذَلِكَ شَيْئًا :
هَذَا وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ فِي نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ قَطُّ وَلَمْ يَصِلْ هُوَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ .
وهُوَ مَعَ ذَلِكَ زَعَمَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ فَعَرَفَ عَدَدَهُمْ ، وَكَانَتْ
عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سَبْيَةٌ^(٦) وَكَلَبُهُمْ مُمِطُّ الْجِلْدِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ .

= قَالَ حُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ : لَوْ قَسَمَ حَدِيثُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَوْ سَمِعُوا .
وَلَكِنَّهُ كَانَ مَتْنًا فِي حِفْظِهِ ، كَثِيرُ الْوَحْمِ . لِسَانُ الْمِيزَانِ (٤ : ٨٠) . وَقَدْ
ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَتِّيبِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٢٦٠ مِصْرَ ١٨٣ لَيْسَ لَكَ ، ضَمِنَ الْمِهَادِ وَالزَّهَادِ .
وَانظُرْ خَبْرِينَ مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِهِ فِي الْبَيَانِ (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أَيْ مِنْ دَهْنَةٍ أُخْرَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ فِي ط : « أَمْرِي » مُحَرَّفَةٌ صَوَابِهَا
فِي س ، ل .

(٢) الْمَتْنِيُّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٥٤ . وَفِي ل :
« الْقَتِّيبُ » مُحَرَّفَةٌ ، صَوَابِهَا فِي س ، ط .

(٣) ط : « جَازَنِي » ، وَالْوَجْهُ مَا ثَبَتَ مِنْ ل ، س .

(٤) ل : « قَبْلَ » .

(٥) ط : « يَوَازِي » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٦) ثِيَابٌ سَبْيَةٌ : نَسَبَةٌ إِلَى سَبَنِ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَبْقَ بِهِ يَاقُوتٌ . =

(بعض نواذر الشعر)

وسنذكر من نواذر الشعر جملةً ، فإن نشطت لحفظها فاحفظها ؛ فإنها
من أشعار المذاكرة . قال الثقفى ^(١) :
مَنْ كَانَ ذَا عَصْبٍ يُدْرِكْ ظَلَامَتَهُ
إِنْ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصْبُ
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضِّمَمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدَدُ ^(٢)
وقال أبو قيس بن الأسلت ^(٣) :

-
- = والفيروزي يروي جملة قرية بيتداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف المتفرون فيها ،
فن قال إن الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرر . ومن قال
إنها صُرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلف ما يكون . وهذا المعنى الأخير
هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هي ف ط ، س : « الثنية » تحريف ما أثبت من ل .
- (١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من
الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيان الآتيان رواهما الجاحظ
في البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة في حيون الأخبار ٣ : ٢ .
- (٢) ط : « وتأنف » وتصميه من ل ، س : والبيان وحيون الأخبار . وأثرى
عده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .
- (٣) أبو قيس ، قال صاحب الأضاني ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه .
والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهي نسبه إلى الأوس . وأبو قيس
شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد استنوا
أمرهم في يوم بعثت إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر
حتى شحب وتقير ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فشق على
امرأته فتحت له ، فأهوى إليها بيده فمقته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس !
فقال : والله ما عرفتك حتى تكلمت ! فقال في ذلك أبو قيس ، القصيدة
التي أولها :

بُرْ أَمْرٌ^(١) مُسْتَبْسِلٌ حَازِرٌ^(٢) لِلدَّهْرِ ، جِلْدٌ غَيْرٌ يَجْزَعُ
الْكَيْسُ^(٣) وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ^(٤) الْإِشْفَاقِ^(٥) وَالْهَاجِ^(٦)
وقال عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ :

رَبُّ حَبَانَا بِأَمْسَوَالٍ مُخَوَّلَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَحْوِيلُ
وَالْمَرءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُعٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ
وكان عمرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضى الله تعالى عنه - يردّد هذا النصف
الآخِرَ ، وَيَعْجَبُ مِنْ جَوْدَةِ مَا قَسَمَ^(٧) .

-
- = قالت ولم تقصد لقليل الخنا مهلا فقد أهلت أسمى
استكبرت لوئاً له شاحياً والحرب غول ذات أوجاع
قلت : والقسمية من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر
في الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « يختلف في اسمه : فقيل صيل ،
وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف في إسلامه .
وانظر الخزانة ٣ : ٣٧٥ - ٣٧٨ .
- (١) البُرْ : السلاح ومثلها البُرّة . وجاءت الرواية في ط ، س : « إلى أمرٍ »
وأثبت رواية ل . وهي الموافقة لما في المفضليات .
- (٢) الحَازِرُ : المتأهب للشارك السابح ، وجاء مثل هذا في قول التتائل :
- وَبِرَّةٌ فَوْقَ كَيْسٍ حَازِرٍ وَدَرَّةٌ صَلْبَتْهَا عَنْ عَامِرٍ
وجاء في ط : « حازر » بالزاي ، وهو تحريف صوابه في س ، ل ، والمفضليات .
- (٣) رواية المفضليات : « الحزم » .
- (٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : المين . والإشفاق : الحلف .
- (٥) اللفظة : الهمي . وجاء في ط ، س : « القمية » وهي إن صحت في اللفظ
كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفسكة »
والفسكة : استرخاء الرأى . والهاج : سوء الحرص مع الفسح . وهذه
هي رواية ل ، والمفضليات . وفي ط ، س : « الهاج » وجاء في اللسان
والقاموس : صبح بالتشديد ، يعنى همي . ولم ترد فيهما لفظة « الهاج » .
- (٦) انظر المقادير ٣ : ٣٨٧ والبيد ١ : ٢٤٠ - ٢٤١ والمصنعتين ٣٣١ .

وقال المتلمس :

وَأَعْلَمُ عِلْمٍ حَقٌّ غَيْرَ ظَنٍّ وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ
لِحِفْظِ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاةٍ^(١) وَضَرْبِ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ ١٤
وَقَالَ آخَرُ :

وَحِفْظُكَ^(٢) مَالًا قَدْ عُنِيتَ بِجَمْعِهِ

أَشَدُّ مِنْ الْجَمْعِ^(٣) الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أَتَشْغَلُ عَنَّا يَا بَنَ^(٤) عَمَّ فَلَنْ^(٥) تَرَى

أَخَا^(٦) الْبَخْلِ إِلَّا^(٧) سَوْفَ يَحْتَلُّ بِالشَّغْلِ

وقال ابن أحر :

هَذَا الشَّاءُ وَأَجْدَرُ أَنْ أَصَاحِبَهُ وَقَدْ يَدُومُ رَيْقُ الطَّامِعِ الْأَمَلِ^(٨)

(١) يقال : بنى كشي يبنيه بقاء وبني وبنية ، بضمهم . وما أثبت هو ما في س .
وقل : « غير من بغاة » ، وهي رواية البحري في حاشيته ص ٣٤٣ . وفي ط :
« أيسر من فناء » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناء : فناءه ، وقصر
لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية في للمخى رواية البغدادي في الخزائن ٣ : ٧٢ :

• لحفظ المال خير من ضياع •

وقد خصص البحري الباب الثلاثين والمائة لما قيل في إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية في س : « حفظك » بجرم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ما أثبت من ل ، والبخل ١٤٢ . قال الجاحظ :
« وقد قصوا بأن حفظ المال أشد من جمه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « يابن » ولعل الوجه ما أثبت من ط ، س . وهو الأتية بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفي ط ، س : « سوف يحتل »

وتصحيحه من ل .

(٨) « الشاء » جاءت في ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِي الدَّهْرَ إِلَّا تَارَتَانِ ، فَنَهْمَا

أَمُوتَ وَأُخْرَى ابْتَغَى الْعَيْشَ اكْتَدَحُ^(١)

وكلتاها قد خُطَّ لي في صحيفة

فَلَا أَمُوتُ أَهْوَى لِي وَلَا الْعَيْشُ أُرُوحُ^(٢)

وقال عمرو بن هند :

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يُتَاغَى نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طُرَّةِ الْبَرْدِ^(٣)

يُعَلَّلُ وَالْأَيَّامُ تُنْقَضُ مُعْسَرَةً^(٤)

كما تنقص^(٥) النيران^(٦) من طرف الزند

= والبيان ١ : ١٨٠ واقسان (مادة دوم) . وجاء في س : « فأجد » .
وكلمة « صاحبه » هي في الأصل « صاحبه » معرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان .
قال ابن بري في هذا البيت : « يقول : هذا ثنائي حل النيران بن بشير ،
وأجد أن صاحبه ولا أفارقه . وأمل له يبق ثنائي عليه ، ويدوم ديق في في
بالقضاء عليه » .

(١) الرواية المشهورة في البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والكمال
٣٨ . ليسك وحامة البحرى ١٨٣ وكتاب سيويه ١ : ٣٧٩ . واستشهد به
المبرد وسيويه حل حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فهما
تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى في حامة البحرى : « فلا الموت أهواه » وما
هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفة .

(٤) ط ، س : « نملل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ماق ل ، والبيان ٣ : ٣٤
وما سيأتي في ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقص » وله وجه . س : « تنقص » وليس بشيء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف مأثبات من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّةٌ - إن كان قالها ^(١) - :

رُبَّمَا تَجْزَعُ الثُّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِلَهُ فَرْجُهُ كَحَلِّ الْعَقَالِ

(شعر في الغزل)

وقال آخر ^(٢) :

رَمَتْنِي وَسَيَّرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ ^(٣)

أَلَا رُبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَتْنَهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمٌ ^(٤)

رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْنَتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ بِسِمٍ ^(٥)

وقال آخر :

لَمْ أُعْطَهَا بِبَيْدِي إِذْ بَتُّ أَرْغُفَهَا إِلَّا تَطَاوَلَ عُصْنُ الْجَبَدِ لِلْجَبَدِ ^(٦)

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النخعي كما في الكامل ١٩ ليسك والحامسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ :

٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رميت بطرفها . وفي بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام

الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر

الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحامسة : « ونحن بأكتاف الحجاز » .

ورميم هي خليلته .

(٤) قال المبرد في شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفنت

كما فنتت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح في « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من

الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٦) في اللسان : صلا الشيء يسطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءٍ نَاعِمَةٍ مَطْوَقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ^(١)
فَلَنْ سَمِعْتَ بِهِلِكَ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُخْفًا لَهُ مِنْ هَالِكِ مُودِي

(شعر في الحكم)

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٢) :

المَرْءُ يَسْعَى ثُمَّ يُدْرِكُ نَجْدُهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ^(٣)
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ غَيِّهِ^(٤) يُرَى وَيَقْدَفُ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ

[وقال دريد :

رئيسُ حروب لا يزال ريشةً مشيحٌ على محقوق الصُّلب مُلْبِدِ^(٥)
صَبُورٌ عَلَى رِزْءِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ^(٦)
وَهُوَ وَجْدِي أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذَبْتُ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي]

(١) خضراء ، هي بها شجرة أو أكمة . والناعمة : الخضراء الناعسة . نعم المود : اغضر ونضر . والمطوقان : حاتنان مطوقتان . وتطاعهما : أن يندخل الذكر فيه في قم أثناء . وفي ط ، ل : « مطوقات أصاحت » ، والوجه ما أثبت من ل ، والسان (طم) .

(٢) الدؤلي : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزمية . يقال في النسبة إليه دؤلي ودؤلي بفتح عينها ، ودئلي بكسر الدال ، ودؤلي بكسرتين . وجاء في س : « الدئلي » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان حلاقا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع علي ، وولي البصرة لابن عباس ومات بها - وقد أسن - سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أي يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيبه » .

(٥) يقال احتوقف ظهر الجير والفرس : إذا طال واهوج ، وعنى بالمحقوق فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه القيد .

(٦) الرواية في الحاشية : « فليل التشكي الصبيات حافظ » . والأبيات من قصيدة روى بها دريد أمه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام في الحاشية .

وقال سعيد بن عبد الرحمن ^(١) :
 وإن أماً أجمسى ويصبح سألماً
 من الناس إلا ما جنى لسعيد ^(٢)
 (شعر في الزهد)

وقال أكرم بن صبيح :
 نربى وبهك آباؤنا وبينا نربى
 وبينا فنينا وقال بعض المحدثين :
 فالآن أتممت للخطوب فلا
 يلقى فؤادي من حادث يجب ^(٣)
 قلبي الدهر في قوالبه وكل شيء
 لبومه سبب وقال آخر ^(٤) :
 لدوا للموت وابنوا للخراب
 فكلكم يصير إلى ذهاب ^(٥)
 ألا ياموت لم أر منك بدا
 أبيت فاشيف ولا تحابي ^(٦)
 كأنك قد هجمت على مشبي
 كما هجم المشيب على شبابي ^(٧)

(١) هذا ماقول ، ومثله في الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثاني من البيان . وفي س ، ط :
 وقال آخر . وجاء في حيون الأغيار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعرا
 لم أقل مثله . وأنشده البيت .

(٢) إلا ما جنى ، يريد إلا جزء ما جنى . وجاءت هذه الكلمة في س : « عني »
 وفي ط : « جنتا » وما تحريف ما أثبت من ل والبيان وحيون الأغيار .

(٣) أصبح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب
 القلب وجبا ووجيبا ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً في ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت في الأغاني
 ٣ : ١٥٥ إلى أبي المتماية . وهي في ديوان أبي المتماية أيضاً ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الرواية في ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما في ل والديوان ،
 وهو الموافق لما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفي ط ، س « تحيف » وهو تصحيف ما في ل .
 وفي الديوان : « قسوت فاشكفت وما تحابي » .

(٧) ط والديوان : « هل للشباب » وفي الديوان أيضاً : « هجمت على حياتي » .

وقال آخر ^(١) :

ياتفس غرضي بحارَ العلمِ أوغوصي فالناس من بين معومٍ ومخصوص ^(٢)
لاشئ في هذه الدنيا يحاط به إلا إحاطةً منقوص بمنقوص

(شعر في التشبيه)

وانشدنا للأحير ^(٣) :

بأقْبَ منطلقِ الألبانِ كأنه سيد تنصل من حُجورِ سَعَالِي ^(٤)
وقال الآخر ^(٥) :

أراقب ^(٦) لحاً من سبيلِ كأنه إذا ما بدّأ من دُجبة الليل بطرف ^(٧)
وقالوا ^(٨) قال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيتٍ لأمرئ القيس ،

وهو قوله :

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما في ل . وجاء في
أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وانشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال : أظنهما له »
ثم روى البيهقي .

(٢) ط : « بين معوم » وصوابه في س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س : « وانشد الأحير » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضمار البطن ، حتى به فرسا . الألبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد
بانطلاق الألبان انبساطه واستواءه . وفي الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح
وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : اللذبة . تنصل من حُجور السعال :
خرج منها . والسملاة - فيما يزعم العرب - : القول . يقول : كأنه ذئب غييث
فهو سريع العدو . جاء في ل : « تنصل في » .

(٥) هو جبران الود . والبيت من تصيفة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ .

(٦) هذا ما في ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفي ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية في الديوان ص ١٤ وكذا في ل : « من آخر الليل » . والدجبة ، بالفهم : الظلمة
وجمعها دجج . ويطرف : أي كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ وَزَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ^(١)
وَلَا أَجْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ^(٢) :

لَهُ أَيْظَلًا ظَجِرٌ وَسَاقًا نَعَامَةٌ وَإِرْخَامٌ سِرْحَانٍ وَتَقَرُّبٌ تَنْفُلٌ
وَقَالُوا : وَلَمْ نَرِ^(٣) فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ ، حِينَ شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي حَالَتَيْنِ

مُخْتَلِفَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ١٦

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا الْمُتَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(قِطْعَةٌ مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ)

وَسَنَذَكُرُ قِطْعَةً مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ . قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ^(٤) :

رَأَتْ نِضْمَ أَصْفَارٍ أُمَيْمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْمِ أَصْفَارٍ فَجَنُّ جُنُونِهَا
فَقَالَتْ : مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ، وَمَنْ تَسْكُنُ

فَأَنْتَكَ مَوْلى فِرْقَةٍ لَا تَزِينُهَا

(١) كَذَا فِي لَوْثٍ عِنْدَ الْمَكْبَرِيِّ ٢ : ٧٢ . وَجَاءَ فِي ط ، س :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ

وَقَدْ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ أَمْرِ الْقَيْسِ أَبُو الْعَمَيْلِ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ :

أَصْدَقَ وَهَفَ وَبَرَّ وَأَصْبَرَ وَاحْتَمَلَ وَأَصْفَحَ وَدَارَ وَكَافَ وَأَهْذَلَ وَأَشْجَعَ

ثُمَّ الْمُنْتَهَى فِي قَوْلِهِ :

أَقْلَ أَنْزَلَ أَقْطَعَ أَحْمَلَ عَلَى سَلٍّ أَعْلَى زِدْ هَشٍّ بِشٍّ تَفْضُلَ ادْنَسَرِّ صَلِّ

انْظُرِ الْوَسْاطَةَ ٢٥٣ وَالْمَكْبَرِيُّ .

(٢) كَذَا فِي ن وَفِي ط ، س : : « وَقَالُوا » : وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : لَمْ أَرِ أَجْمَعَ
مِنْ بَيْتِ أَمْرِ الْقَيْسِ .

(٣) س : « بَرَى » .

(٤) كَذَا . وَالشَّعْرُ كَمَا تَرَى ، يُنْطَلَقُ بِأَنِّ قَائِلَهُ رَجُلٌ .

(٥) الْفَرَقَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْجُلُوعَةُ . ط ، س : « وَفَرَّقْنَاهَا » صَوَابُهُ فِي لَوْثٍ وَنَقَدَ الشَّعْرَ ٧٣
وَالسَّانَ (خُصًا ٢١٢) حَيْثُ أَنْشَدَ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ .

وقالت امرأة من خثعم :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أَحِبُّ فَلْيَنْزِي

أَحِبُّ ، وَبَيْتِ اللَّهِ ، كَعَبَّ بْنَ طَارِقٍ

أَحِبُّ الْفَقِي الْجَعْدَ السُّلُوِيَّ نَاضِلًا^(١) عَلَى النَّاسِ مُعْتَادًا لَضَرْبِ الْمَفَارِقِ

وقالت أخرى :

وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَفِي الدَّارِ خَالِدٌ وَأَقْبَحَهَا لَمَّا تَجَهَّزَ غَادِيَا

وقالت أم فروة^(٢) الغطفانية :

فَمَا مَاءٌ مَزِنَ أَيْ مَاءٌ تَقُولُهُ تَحْدَرُ مِنْ غُرٍّ طَوَالَ الذَّوَائِبِ^(٣)

بِمُنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنٍ وَادٍ تَحْدَرَتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٤)

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ الْقَذَا عَنْ مَتُونِهِ فَمَا إِنَّ يَوْمَ عَيْبٍ يَكُونُ لِعَائِبٍ^(٥)

بِأَطْيَبِ يَمْنٍ يَقْصُرُ الطَّرْفَ دُونَهُ تَقَى اللَّهُرَّ وَاسْتَحْيَاهُ بَعْضُ الْعَوَاقِبِ

(١) يقال فضله ، إذا غلبه في الرمي . وجاء في ل : « فاضلا » وأثبت ما في ط ، ص .

(٢) كذا في ص والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفي ط « أم فروة » وفي ل :

« امرأة فروة » . والشعر الآتي قد نسب في زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى

حاتكة المرية في ابن عم لها راودها عن نفسها . وفي أمالي القتال (٢ : ٨٧)

شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية ، تقوله في ابن عم لها يقال له المنيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أي ماء تقوله » . وعنى بالفر السحاب ،

وبلوايتها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفي الجزء الخامس من

الحيوان : « تحدت » موضع « تحدت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفي الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بمض' العشاق^(١) :

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَفْتِنِي^(٢) دَلَجَ السَّرَى
وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُنُومُ^(٣)
وَأَنْتِ الَّتِي أَوْزَنْتِ قَلْبِي حَرَارَةً
وَقَرَحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ^(٤)
وَأَنْتِ الَّتِي أَسْخَطْتَ قَوْمِي^(٥) فَكَلَّهُمْ
بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّلُودِ كَظِيمُ^(٦)

فَقَالَتِ الْمَعْشُوقَةُ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى^(٧) زَكَنْتِي
غَلَوُ أَنْ قَوْلًا يَكِلُّ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا
بِجَلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كُتُومُ

وقال آخر^(٨) :

شَهِدْتُ وَبَيَّتَ اللَّهُ أَنْكَ غَادَةٌ
رَدَّاحُ وَأَنْ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقُ^(٩) ١٧
وَأَنْكَ لَا تَجْمِزْنِي بِمُودَةٍ
وَلَا أَنَا لِلْهَجْسِرَانِ مِنْكَ مُطِيقُ

(١) هو ابن البينة ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أمية » فهام بها مدة فلما وصلت نجى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتي . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحامسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن البينة ٣٦ - ٣٧ . والآيات الثانية في البيان ٣ : ٣٧٠ والأغاني ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفني » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) ضى بالجلهتين ناحيق الوادى . وقى س : « بالجهتين » وهو محرف .

(٤) في الحامسة والديوان ، « قطعت قلبى حرازة » والحرازة : الوجه . وفيهما أيضا « وقرحت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرحت » يقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء في المعاهد : « ومزقت » وفي المعاهد والحامسة : « فهو كليم » وفي الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا في ل . وقى ط ، س : « أخفطت قلبى » وهو تحريف . والرواية في المعاهد والحامسة والديوان : « أخفقت قوى » . وأحفظه : أغضب .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالنضب .

(٧) الرواية في جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو تقيس لبني ، كما في تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْتَ وَبَيَّتَ اللَّهَ أَنَّكَ بَارِدٌ ۖ
وَأَنَّكَ مَشْبُوحُ الذَّرَاعِينَ خَلَجَمٌ^(١) وَأَنَّكَ إِذَا تَخَلَّوْا بِهِنَّ رَفِيقٌ^(٢)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

الله يعلم يا مغيرة أنني قد دُستها دَوس الحصان الميكل
فأخذتها أَخَذَ الْمُقْصَبُ شَانَهُ عَجَلَانٍ يَشْوِيهَا لِقَوْمٍ نَزُلُ^(٣)]
وقال كعبُ بنُ سعدٍ الْغَنَوِيُّ^(٤) :

وَحَدَّثَنِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَلْبُ

(١) كذا في ط ، س . وفي ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف »
وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسم العظيم . وفي ط ،
س : « خلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) في ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر المعجاج ، كما في السان (فتح) .

(٥) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، وهو أحد بني سالم بن عبيد بن سعد
ابن عوف بن كعب بن جيلان بن غنم بن غنم بن عاصم . كذا قال أبو عبيد البكري
في شرح أمالي القائل في موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء
لأن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجد ترجمته في أحدهما إلا ما قاله أبو عبيد
الذكوري ، والظاهر أنه تابعي . غزاة الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات
الآتية من مراثية له طويلة رواها ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (٢٧ -
٣٠) والقائل في أماليه (٢ : ١٤٨ - ١٥١) يرتى بها أخاه أبا المغوار ، واسمه
هرم أو شبيب . وفي أمالي القائل أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ،
ويضعهم يروجا بأسرها لمهم الغنوي ، وهو من قومه وليس بأخيه ، ويضعهم
يروى شيئا منها لمهم .

وماء مماء^(١) كانَ غيرَ مَحْمَةٍ^(٢) بِرِيَّةٍ تَجْرِي عَلَى جنوب^(٣)
ومنزلة في دارِ صَدِيقٍ^(٤) وَغِيطةٍ وما أَقْتَالَ في حُكْمٍ عَلَى طَيِّبٍ^(٥)
وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

رئيسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَيْبَةً مشيحٌ عَلَى مُحْقَوفِ الصُّلْبِ مُلْبِدٌ^(٦)
صَبُورٌ عَلَى رُزْءِ المَصَائِبِ حَافِظٌ مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
وهُونٌ وَجَدَى أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتُ وَلَمْ أَتُخَلِّ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

(قطع من البديع)

وقطعةٌ من البَدِيعِ قوله^(٧) :

إِذَا حَدَّاهَا صَاحِبِي وَرَجَّعَا وَصَاحَ فِي آثَارِهَا فَأَسْمَعَا

-
- (١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) الهجمة : مكان جوم الماء ، أى كثرته . والهجمة بالحاء : المكان تكثر فيه الحمى .
جاء فى ط ، س : « بين هجمة » ، وأثبت حافى ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ربيع الجنوب منها الخمر والمطر والتلطيف . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابي :
الجنوب فى كل موضع حارة إلا يشهد فإنها باردة . جاء فى ط ، س : « بلى شربة »
مكان « بيرة » التى أثبتنا من ل ، واللسان .
(٤) كذا فى ط ، س : واللسان . وفى ل : « آمن » .
(٥) أقال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة فى ل : « أقال » وفى س : « أقالك »
وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء فى ط : « أقات » وهى صحيحة ،
فى معنى : « أقال » . وكلمة « فى » هى فى كل من س ، ل ولسان العرب :
« من » . وقد حنى بالكلام أن أعياه لم يعرض فيحتاج إلى الطيب .
(٦) « محقوف » : هى فى الأصل : « محرووف » وليس غذه وجه . وقد سبق الكلام
فى هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت حافى ل .

يَبْقَى^(١) مِنْ جُلَلَا أُنْثَمَا^(٢) أَدْمَكُ فِي مَاءِ الْمَهَاوَى مُنْقَعًا^(٣)

وقال الراجز في البديع المحمود :

قَدْ كُنْتُ إِذْ حَبْلُ صِيَاكَ مُدْمَشْ^(٤) وَإِذْ أَهَاضِيبُ الشَّيَابِ تَبْغَشْ^(٥)

ومن هذا البديع المستحسن منه ، قول حُجْر بن خالد بن مرثد^(٦) :

سَمِعْتُ يَفْعِلُ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَفْعِلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَانَلًا^(٧)

يُسَاقُ الْقَمَامُ الْغَرُّ مِنْ كُلِّ بِلْدَةٍ إِلَيْكَ فَأُضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلًا^(٨)

(١) في الأصل : « يتبهن » وهو ظاهر التحريف . وقد هي بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء في ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل المنق .

(٣) كلما جاء في البيت في ط ، ل . وفي س : « أرمك » وفي ل : « ماء المهاري » .

(٤) في اللسان : « أدمج الخيل : أجاد فطه . . . » وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدش ؛ إنما أراد : مدحج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى . « فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأمضوية : النعمة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع ماها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء في ط ، س : « تمش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن عمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهل كان معاصرا لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فظلمه عمرو في مجلس الملك ، ثم انتص منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظر شرح التبريزي الحماسة ٧ : ٣٩ والحماسة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هي في ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هي كذلك في ط ، والحماسة . وفي ل : « فعلا » .

(٨) في صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلى الفيث » ، و « فسيق إليه الفيث » ، و « فساق الإله الفيث » ، و « فسيق القام الفر » . وهي صورة تطلمك على ماتفل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبح منه كلُّ وادٍ حلقته

وإن كان قد حوى^(١) المرایع^(٢) سائلا
فإن أنت تهلك يهلك الباع والتدا^(٣)
فلا ملك ما يبلغنك سعيه ولا سوقة ما تمدحك باطلا^(٤)

١٨

باب

في صدق الظن وجودة الفراسة

قال أوس بن حجر :

[الألعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقال عمر بن الخطاب : « إنك لا تنتفع بعقل الرجل حتى تعرف
صدق فطنته » .

(١) خوى النجم : سقط ولم يطر في نوره ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم .
انظر تفصيل ذلك في الأزمة والأمكنة للمرزوق ٢ : ١٧٩ - ١٨٥ ، وبلوغ
الأرب ٣ : ٢٢٩ - ٢٦١ . وفي الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المرایع : النجوم التي يكون بها المطر في أول الأتواء . ط : « المرایع »
وتصحىحه من س ، ل . يقول : يسير الخير في ركابك ، فلو أنك نزلت
في مكان محروم من نعمة الفئث ، أفقت عليه من خير ما يفهمه .

(٣) الباع : الشرف والكرام . قال رؤبة :

• إذا الكرام ابتلوا بالباع بدر •

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هي ق س : « الحب » محرفة
وقد ل « الحى » ، ولما وجه . وفي الحماصة : « الحرب » وهي رواية جيدة . والحائل
من النوق : التي حمل عليها فلم تلقح .

(٤) لتبريزي كلام جيد في هذا البيت .

وقال أوس بن حجر [:

مليحٌ سيجحُ أخو مَازِقِ نِقَابٌ مُحَدَّثٌ بِالْغَائِبِ ^(١)

وقال أبو القُضَّة ، قَاتِلٌ ^(٢) أَحْمَرُ بْنُ شَيْطٍ :

فَلَا يَأْتِيكُمْ خَبَرٌ يَقِينٌ فَلَنْ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقيل لأبي الهذيل : إِنَّكَ إِذَا رَاوَعْتَ وَاعْتَلَلْتَ - وَأَنْتَ تَكْلُمُ النِّظَامَ

[وقت] - فَأَحْسَنُ حَالَتِكَ أَنْ يَشْكُ النَّاسُ فَيْكَ وَفِيهِ ! قَالَ : خَمْسُونَ شَكًّا

خَيْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَاحِدٍ ! !

وَقَالَ كَثِيرٌ فِي عِيدِ الْمَلِكِ :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةً جَمْعُ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابَ ^(٣)

فَقُلْتُ لَهُ ، وَلَا أَغْيَا جَوَابًا : إِذَا شَابَتْ لِدَاتُ الْمَرْءِ شَابَا

وَلَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إِذَا مَا قَالَ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا ^(٤)

وليس في جَوْدَةِ الظَّنِّ بَيْتٌ شَعْرٍ أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِ بُلْعَاءِ ^(٥) بْنِ تَيْسٍ :

(١) أخو مَازِقِ : أى هو حسن التخلص من المَازِقِ . وروى : « أخو مَاقِطِ » .
والنِقَابُ : الرجل العالم بالأشياء النفعن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه فى ل . وانظر ما كتبت فى الشيعية ص ٢٦٨
من الجزء الثانى .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هى فى ط ، س : « وما » ، تحريف
مافى ل ، واللسان (مادة مرضى) . وفى البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف
يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفى م :
« أغرض » ولا وجه له ؛ وصوابه فى البيان واللسان . وكلمة : « قال » فى البيت بمعنى
« ظن » وهذه الأخيرة جاءت الرواية فى البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبلعا » وأثبت مافى ل . وبلعا هذا كان رأس بنى كنانة فى أكثر
حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشمارا جيادا
المؤتلف ١٠٦ . مات بلعا قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار
الأخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وَأَبْغَى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِيرُهُ
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ .
وَقَالَ ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ فِي الظَّنِّ :

وَدَعَانِي إِلَى الرَّشَادِ فَوَادٍ كَانَ لِلْغَى مَرَّةً قَدْ دَعَانِي
ذَلِكَ دَهْرٌ لَوْ كُنْتُ فِيهِ قَرِينِي ^(١) غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِصْبَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَهْ لَمْ إِلَّا الظُّنُونُ إِنِّي مَكَانِي

(من مختار الشعر)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ :
وَجِلَّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْمَعًا مَطْبِعًا
أَطَافٌ بِغِيَّةٍ ^(٢) فَتَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا إِنِّي وَعَصَى أَنْيَانَهَا جَمِيعًا
وَقَالَ مَعْقَرُ بْنُ حَمَارٍ الْبَارِقِيُّ ^(٣) :

(١) الرواية في الديوان ص ٦٦ : « قريبي » وهي رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب في الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بهيه » والوجه ما أثبت من ل ، س . ولها يعود التفسير في « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارق اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلي .
سمى معقرا بقوله في قصيدة مشهورة :

طأ ناهض في الزكرة قد مهدت له كما مهدت الجبل حسناء عاطر

معجم المرزباني ٢٥٤ وخزانة البغدادي ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت
المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معيه بن حماد » وجاء على الصواب الذي أثبت في ل .

الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَغْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقْصَرُ عَنْ رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِذُ يَفْهِنَ بِالْخُلُصْلِ^(١)

(أَيَّاتُ الْمُحَدِّثِينَ حِسَانٌ)

- ١٩ وَأَيَّاتُ^(٢) لِلْمُحَدِّثِينَ [حِسَانٌ^(٣)] ، قَالَ الْعَتَّابِيُّ^(٤) :
- وَكَمْ نِعْمَةً آتَاكُمُهَا^(٥) اللَّهُ جَزَلَةً مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَلْذِمُهَا^(٦)
- فَسَلَّطَتْ^(٧) أَخْلَاقًا عَلَيْهَا ذَمِيمَةً تَعَاوَرْنَهَا حَتَّى تَفَرَّى أَدِيمَهَا
- وَلَوْعًا وَإِشْفَاقًا وَنَطَقًا مِنْ الْخَنَا بَعُورَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا^(٨)
- وَكُنْتُ أَمْرًا^(٩) لَوْ شِئْتُ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى^(١٠)
- بَلَغْتَ بِأَدْنَى نِعْمَةٍ^(١١) تَسْتَدِيمُهَا
- وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرَ مِمَّا^(١٢) مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّامِعِينَ رُومَهَا^(١٣)

(١) الخُصْلُ ، بِالْفَتْحِ : الغلبة في النضال .

(٢) ل : « أَيَّاتٍ » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابي ، سبقت ترجمته في الجزء الثاني ص ٢٩٦ . وقد روى
الراغب البيهقي الأخيرين في محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم
وصوابه ما ذكرت ، كما في البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتَى بِهَا » ، وَأَثْبَتَ مَاتِي ل .

(٦) ذامه يذمه : عابه .

(٧) ط : « فَسَلَّطَ » ، وَأَثْبَتَ مَاتِي س ، ل .

(٨) التيم مثل التهمة . و « نَطَقًا » أي هو يتنطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المي » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غَايَةٍ » .

(١١) كذا في ط ، س والبيان . وفي ل والمحاضرات : « أَثَقَلُ » .

(١٢) س فقط : « بِرُومِهَا » وليس بشيء .

وقال أيضاً :

وكنْتُ امرأً هَيَّابَةً نَسْتَفِيزُنِي رِضَاعِي بِأَدْنَى ضُجْعَةٍ اسْتَلْبَيْتُهَا^(١)
أَوَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَيْمَةٍ تَوَقَّلُ^(٢) فِي نَيْلِ الْمَعَالَى فَتَوُّنُهَا
رَعَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقَّ فَهُوَ أَمِينُهَا
وَيَسْتَنْتِجُ الْعَقَاءَ^(٣) حَتَّى كَانَمَا تَغْلُغَلُ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِينُهَا
وَمَا كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصَّوْىَ يَسْتَبِيدُهَا^(٤)
مُقِيمٌ بِمُسْنَى الْعُلَا ، حَيْثُ تَلْتَقَى طَوَارِفُ أَبْكَارِ الْخَطُوبِ وَعُودُهَا^(٥)
وقال الحسن بن هانئ :

قَوْلًا لِهَارُونَ إِمَامِ الْهَدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ^(٦) وَإِشْفَاقُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
بَصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانِيَا وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ^(٧)

(١) ط ، س : « تستلبيها » .

(٢) تَوَقَّلَ : تَوَقَّلَ ، بِمَعْنَى تَصَدَّقَ . وَهَذِهِ رَوَايَةُ ل . وَفِي ط ، س : « تَوَقَّلَ » .

(٣) يَسْتَنْتِجُ الْعَقَاءَ : يَحْمِلُهَا تِلْكَ . وَهَذَا كِتَابَةٌ عَنْ قَدْرَتِهِ عَلَى التَّغْلِبِ عَلَى الْمَصَاصِ .
فِي ط ، س : « الْعَقَاءَ » وَهِيَ ذَلِكَ الطَّائِفَةُ الْخَالِيَةُ الَّتِي لَا وُجُودَ لَهُ ، وَهِيَ بِمَصْحِ
الْمَعْنَى أَيْضًا . أَيْ هُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَحْصِلَ عَلَى مَا لَا يَنْتَهِلُهُ غَيْرُهُ .

(٤) ط ، س : « وَمَا كُلُّ » ، وَهِيَ عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . أَمْ : تَصَدَّقَ . وَالصَّوْىَ : جَمْعُ
صَوَاةٍ بِالْقَمِ : وَهِيَ حَجَرٌ يَكُونُ هِلَالَةً فِي الطَّرِيقِ .

(٥) الْمُسْنَى : مَسْكَانُ الْإِسْتِنَانِ ، وَهُوَ سُرْعَةُ الْمَسَدِ . وَالطَّوَارِفُ : الْحَدِيثَاتُ ،
وَفِي ط : « طَوَارِقُ » . وَالْمُونُ : جَمْعُ عَوَانٍ ، وَهِيَ الَّتِي وَلَدَتْ بَعْدَ بَطْنِهَا الْبَكْرَ .

(٦) هُوَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ . وَأَرَادَ أَبُو نَوَاسٍ اسْتِطْلَافَ الرَّشِيدِ عَلَى الْفَضْلِ .

(٧) يَقُولُ : هُوَ يَخْلُصُ فَكَ فِي حَضْرَتِكَ وَفِي غَيْبِكَ .

أَنْتَ عَلَى مَا بَيْكَ مِنْ قُدْرَةٍ مَا أَنْتَ مِثْلَ الْقَضَلِ بِالْوَاجِدِ
أَوْحَدَهُ (١) اللَّهُ فَا مِثْلُهُ لَطَالِبٍ ذَاكَ وَلَا نَشِيدِ
وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ (٢) أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدِ
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلُ :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتُّ أَجْمَعَ بَيْنَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسَنَادَهَا
نَظَرَ الْمُضَفِّ فِي كُتُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا (٣)
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا (٤)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

(شعر لبنت عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشعراءِ ببابِ عدى بن الرقاعِ يُريدونَ
مُتَانَتَهُ وَمُسَاجَلَتَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ بِنْتُ لَهُ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَتْ :
يَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَمَنْزِلٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْمٌ قِرْنٌ وَاحِدٌ (٥)

- (١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جملة واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وحيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشيء .
- (٢) كلما فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وحيون الأخبار : « وليس به مستكر » .
- (٣) الثغاف ، بالكسر : ماتوى به الراح . والمتاد : الموج . وفى الأصل : « متادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .
- (٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو على بن الرقاع ، لقوله :
وعلمت حتى ما أسأل واحدًا عن علم واحدة لى أزدادها
ثم أسأله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر - وهو زيادة بن زيد - لقوله :
- (٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضا فى الشعراء ١٤٥ . ووردى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمنُ بنُ حسانِ الأنصاري ، وهو صغير ^(١) :
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُشْتَغِلًا فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيَا ^(٢)
 وقال لأبيه وهو صبي ^٣ - ورجع إليه وهو يبيكي ويقول : لسعني طائر !
 قال : فصفه لي يا بني ! قال كاذبه ثوبُ حَبْرَةٍ ^(٤) ! قال حسان : قال ابني
 الشعرَ وَرَبَّ الكعبة !
 وكان الذي لسهه زنبورًا .

-
- = ٣٥٩ ، وذيل الأمل ٧٠ : « وبلدة » . وفي الكامل ١٤٩ ليسك وشرح المقامات
 للشرقي ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد الثعالبي في الخبر : « فاستحيوا ورجعوا »
 وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشرقي : « فأنفحتم ورجعوا
 بأغزى حالة » .
 (١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء في الكامل ١٤٩ ليسك : « وبرى
 أن مله عاقب الصبيان على ذنب وأراد به بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . الخ .
 (٢) اليسوب : أمير النحل .
 (٣) الرواية في الكامل ١٤٩ ليسك : « كآله ملتف في بردى حبرة » . والمبرة ،
 بالتحريك ، أو كنية : ضرب من برود الخبز .
 (٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهو صحيفة في العربية ،
 على تقدير ضمير الشأن . وبذلك اللفظ جاء قول المجير :
 إذا مت كان الناس صفتان شامت وآخر مئن باللي كنت أصنع
 انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفضل ٣ : ١١٦ س .

(شمر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سهلُ بن هارون ، وهو يختلف إلى الكتابِ لجارٍ لهم :
نُبِّيتَ بِعَمَلِكَ مَبْطُونًا فَقُلْتُ لَهُ : فَهَلْ تَمَائِلُ أَوْ نَأْتِيهِ عَوَادًا^(١) ٢٠

(شمر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :
يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِحَمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْفُ بَيْضِي وَاصْفَرِّي^(٢)
وقال بعض الشعراء^(٣) :
إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فِجِي^٤ بَرَادٍ

(١) ط : « نبت بفلك » ص : « نبت بفلك » ل : « نبت لملك » وصوابه ما أثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكي بطنه . و « فقلت » هي في ل : « فرغت » وفي البغال : « فرغت » . و تَمَائِلُ : دنا من الشفاء . ط ، ص : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) روى الدميري سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين فزلوا على ماء فذهب طرفة بنفخ له فتصبه للقنابر ، وبق عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حل فنه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلغظن مائثر لمن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميري واللسان (قبر) .
وقال ابن بري : هو لكليب بن ربيعة . وانظر للشراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصمق الكلبي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكنيات الجرجاني ٧٣ والانتصاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقمي كما في حواشي الكامل ٩٨ ليسك . وللابيات غير فيما عدا الأول ، وكذا في المقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ : ١٧١ وأدب للكتاب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الطراف ٢٤ . ورواها الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

بُخَيْرٍ أَوْ يَلْحَمُ أَوْ يَسْنِي أَوْ الشَّيْءُ الْمَلْفُ فِي الْجَادِ^(١)
 تَرَاهُ يَطُوفُ بِالْأَفَاقِ^(٢) حِرْصاً لِيَا كُلَّ رَأْسٍ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(٣)
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الشَّيْءُ الْمَلْفُ فِي الْجَادِ : الْوَطْبُ^(٤) :
 وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

أَلَا بَكَرَتْ تَلْحَى فَتَبْلُغُ بَعْدَمَا بَدَأَ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَيْضُ وَاضِحُ
 لَتُدْرِكَ بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْعِ نَرْوَةً مِنْ الْمَالِ أَفْتَتَهَا السُّنُونُ الْجَوَائِحُ
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْدِلْنِي فَإِنَّمَا يَذْكُرُ النَّدَى تَبِيحِي عَلَى النَّوَائِحِ^(٥)

(أشعار في معانٍ مختلفة)

وَقَالَ بَشَّارٌ أَيْتَانًا تَجُوزُ فِي الْمَذَاكِرَةِ^(٦) ، فِي بَابِ^(٧) [الْمُنَى ، وَفِي بَابِ]
 الْحَزْمِ ، وَفِي بَابِ الْمَشُورَةِ . وَنَاسٌ [يَجْعَلُونَهَا لِلْجَمْعِ جَاعِ الْأَزْدَى ، وَنَاسٌ]
 يَجْعَلُونَهَا لغيره ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

- (١) الجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .
- (٢) روى : « يطوف الآفاق » كما في س .
- (٣) الصاملي في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالمعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهي بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خفافان ! » .
- (٤) في اللسان : « الملف في الجاد : وطب البين ، يلف فيه ليحمي ويدرك » .
- (٥) س : « تبكي عليك » ، وما هنا أجود .
- (٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .
- (٧) ط ، س : « وفي باب » ، وأثبت ما في ل .

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ ^(١) حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانُ الْخَوَافِ رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ ^(٢)
وَأَذِّنْ مِنَ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبِ نَفْسَهُ وَلَا تَشْهَدْ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ ٢١
وَمَا خَيْرٌ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلَّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرٌ نَصْلٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ ^(٣)
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ الْمَهْمَ بِالْمَلَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَّا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
وقال بعض الأنصار ^(٤) :

وَبَعْضُ خَلَاتِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءُ الشَّيْخِ لَيْسَ ^(٥) لَهُ شِفَاءٌ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ ^(٦) كَمُخَضِّ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ ^(٧)
وقال تَابُطُ شَرًّا - إِنْ كَانَ قَالِمًا ^(٨) - :

-
- (١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصيحة » وهي صحيحة ، يقال نصحه نصحا ،
بالضم ، ونصاحته ، ونصاحية . والاسم النصيحة .
(٢) مر الكلام في ريش الطائر بالجزء الثاني ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفي س ،
ط : « رواية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخواف قوة » . وفي
كنايات الجرجاني ٦٠ : « فريش الخواف » .
(٣) التصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . في ل ، « وما خير سيف »
وأثبت ما في ط ، س .
(٤) الشعر في البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبي الحقيق .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية في ل : « كداء البين ليس له دواء » .
(٦) أصل العنّاج للداو ، وهو غيل أو سير يشد في أسفلها ثم يشد في عروتها . وهذه
رواية ل واللسان . وفي ط : « عماد » . والبيت ساقط من س .
(٧) الخفض : أصله اللبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .
(٨) يمد هذه الكلمة في ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال
المنرى : وما يدل على أنه مولد قوله :

شامِسُ في القَرِّ حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرَدٌ وَظِلٌّ^(١)
 وَلَهُ طَعْمَانِ : أَرَى وَشَرَى وَكَلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ^(٢)
 مُسْبِلٌ في الحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَيَسْمَعُ أَرْزَلُ^(٣)
 وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنْهُ ابْنُ أَخْتِ مَصْبَعٌ عَقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ^(٤)
 مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ سُبْحًا ، كَمَا أَطَرَقَ أَفْعَى يَنْفُتُ السَّمَّ حِيلُ
 خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمِلٌ جَلَّ حَ دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ^(٥)

— فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً . أما النثرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما في خزنة الأدب (٣ : ٣٣٢ ، ٤٤١ بولاق) وهو ينقل في شرحه عن كتاب للمعانى لأحمد بن حاتم الباهل ، وهذا توفي سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجاني ، يروي عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي الذي قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النثرى في شرحه للحماسة نقل عنه الغندجاني في الخزنة كثيراً . وهذه الزيادة تجدناها في شرح التبريزي للحماسة (٢ : ١٦٠ - ١٦١) مع بسط وتفصيل .

(١) شامس في القَرِّ : يعني أن من لجأ إليه في القَرِّ وجده كالشمس التي تدق . والنثرى : كوكب يظهر في شدة الحر .

(٢) الأرى : السبل . والنثرى : الخنظل .

(٣) مسبل في الحَيِّ : أي هو في حال السلم من يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكتير اللحم . ويغْدُو : أي في حال الحرب . والسبع : ولد الذئب من الفصيح . والأزل : التليل لحم العجز والفخذين .

(٤) ل : « ووراء الثَّارِ مِنْهُ » وهي رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حل الضمير في « مِنْهُ » حل التجريد . والمصح : الشنيد المقاتلة .

(٥) المصمِل : الشنيد . وفي ل : « خبر ماجاناً » .

كُلُّ ماضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنَّا الْبَرْقَ إِذَا مَا يُسَلُّ^(١)
 فَاسْقِنِيهَا^(٢) يَاسَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي نَحْلٌ^(٣)
 وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ^(٤) :
 سَأَجْزِيكَ بِالْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَصَحُ لِي سَوْفَ أَجْزِيكَ صَغَصَا
 سَأُهِدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِبُيُوتِكَ لَعَلًا^(٥)
 فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدًا أَبُوكَ فَإِنَّا وَجَدْنَاكَ مُحَمَّدًا الْخَلَّاقَ أَرْوَعًا
 فَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً^(٦) وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مِائَةً مَعًا^(٧)
 فَقَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٨) بَشْرُ^(٩) بَنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ : الثَّنَاءُ وَالْمِدْحَةُ^(١٠)

- (١) قبل هذا البيت في الخامسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :
 يركب الهول وحيداً ولا يصح حيه إلا البياني الأفل
 وفنو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا اتجهاب حلوا
 أراد بالماضي الأول الرجل الشديد، والثاني السيف القاطع . تردى بالسيف : تقلده بحامله.
 (٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .
 (٣) انحل : للمهزول . وفي ل : « بعد حال » مصحفة .
 (٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، ويبت بها إلى صمصمة بن محمود . (البيان ٣ : ٢١٨) .
 (٥) كذا الرواية في ل ، والبيان . وفي ط : « سأهني بتثليث إليك هدية توافيك لو » .
 وفي س محل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مائة » و « توافيك »
 بكلمة « قوافيك » .
 (٦) كذا الرواية في ل والبيان . وفي ط ، س : « أهدينا إليك ثنائنا » .
 (٧) حتى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحمرو بن جندل ، الأسير .
 (٨) ل : « من » .
 (٩) س : « بشير » . وفي البيان : صمصمة بن محمود بن عمرو بن مرثد .
 (١٠) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « الثناء والحمد واللمح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحر^(١) بن جندل أسيراً في يده ، فخلَّ سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حجر ، في هذا الشكل من الشعر - وهو يقع في باب الشكر والحمد - :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاهُ ثَوْبُهَا حَلِيمَةٌ إِذْ أَلْتِي مِرَاسِي مَقْعَدِ^(١)
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَاتِي وَحَلَّ بِفُلْجٍ فَالْقَنَافِذِ عُوْدِي^(٢) ٢٢
وَفَدَّ غَبَرْتُ شَهْرِي رُبَيْعٍ كُلَيْهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْخِيَاءِ الْمَمْدُ^(٣)
وَلَمْ تُلْهِمَا نِلْكَ التَّكَالِيفُ لَانَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَحْرُدِ^(٤)
سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبُ^(٥) وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي^(٦)

(١) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « أحد » .

(٢) يقال ألتى مراسي : أى استقر ، ومثله ألتى عصاه . وكلمة « مقعد » هي في ط ، س :

« ومقعد » ، صوابه في ل ، ويبنى بالمقد نفسه . وانظر الديوان « والبيان » (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافة : موضعان . والحدود : جمع عائد للذى يزور المريض . قالوا : وكان

أوس قد جالت به ناقته في سفر قصرته فانلقت فخذاه ، فأواه فضالة بن كعدة ،

وكانت حليلة بنت فضالة تنق به في أثناء مرضه . (الأغاني ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت » ، وهي رواية الديوان ومؤداها واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرود من قولهم خريفة ، وهي الحية الطويلة السكونت الخافضة الصوت الخفرة

المكسرة ، قد جاوزت الإعصار ولم تمنس . و « تحرد » هي رواية ل والديوان والبيان

واللسان (مادة خرد) . وفي ط : « تحفوى » بالواو ، والياء في آخرها زيادة

ناسخ . وفي س : « تجرد » .

(٦) المثوب : اللبيب . وفي التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أنيت هو

رواية ل والديوان والأغاني . وفي ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائي .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أجزه إلا المودة جاهاً وحسبك مني أن أود وأجهداً^(١)

(من شعر الإيجاز)

وأبيات^(٢) تضاف إلى الإيجاز وحذف الفضول . قال بعضهم ووصف

كَلَابًا فِي حَالٍ شَدَّهَا وَعَلَّوْهَا ، وَفِي سُرْعَةٍ رَفَعَ قَوَائِمَهَا وَوَضَعَهَا - فقال :

• كَأَنَّمَا تَرَفَعُ مَا لَمْ يُوضَعْ^(٣) .

ووصف آخر ناقةً بالنشاط والقوة فقال :

• [خرقاء]^(٤) إلا أنها صنّاع .

وقال الآخر :

• الليل أخفى والنهار أفضح^(٥) .

ووصف الآخر قوساً^(٦) فقال :

• فِي كَفِّهِ مُعْطِيةٌ مَنُوعٌ .

(١) أي وأجهد في الود . وفي ط ، س : « وأجهدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت في الجزء الثاني ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والصدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله في البيان (١ : ١٥٠) :

• إِنَّكَ يَا بَنَ جَعْفَرٍ لَا تَقْلَح .

(٦) في الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه في البيان (١ : ١٥٠) ودويان

المعاني (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت قهبا إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر^(١) :

وَمَهْمِهِ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّمَا دَلِيلُهُ مَطْوَحٌ]^(٢)
يَذَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا كَأَنَّمَا بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

ومثل هذا^(٣) البيت الأخير^(٤) [قوله] :

وَكَأَنَّمَا بَدَرَ وَصِيلُ كُتَيْفَةٍ^(٥) وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ
ومثله^(٦) :

تَجَاوَزْتُ حُمْرَانَ فِي لَيْلَةٍ وَقُلْتُ قُسَّاسٌ مِنَ الْحَرَمَلِ^(٧)
ومن الباب الأول قوله :

عَادَنِي الِهْمُ فَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْجٍ
وهذا الشعر لجعفران الموسوس^(٨) .

وقال الآخر^(٩) :

(١) هو مسعود أخو ذي الرمة ، كما في ديوان المماني (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو في أصله متأخر عن البيت الذي بعده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت مافي س ، ل .

(٥) كُتَيْفَةٍ : اسم جبل . وفي س : « كُتَيْفَةٍ » . وفي ل : « كُتَيْفَةٍ » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعي ، كما في ذيل أمالي القائل ٩١ . والبيت من سيمية أبيات لما قصة في ذيل الأمالي .

(٧) في ذيل الأمالي : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه في ط ، س . وهو جعفران بن علي بن أصغر ابن السري ، أبوه من أبناء الجند الفرسانية . ولد جعفران ونشأ ببغداد ، وكان أدبياً شاعراً ، تغلب عليه السوداء حيناً ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغاني

(١٨ : ٦١) . والبيت السابق خبر في الأغاني (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما في نهاية أمالي للمرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أَقْصِرْ مِنْ صَحْبَةِ زَيْدٍ أَرَبِي قَى إِذَا نُبِّهَتْهُ ^(١) لَمْ يَغْضَبِ
أَبْيَضُ بَسَامٌ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبْ وَلَا يَضُنْ ^(٢) بِالْمَتَاعِ الْمُحَقَّبِ
مُوكَلُّ النَّفْسِ يَحْفَظُ الْغَيْبِ أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ
وَقَالَ دُكَيْنٌ ^(٣) :

وَقَدْ تَمَلَّتُ ^(٤) دَمِيلَ الْعَنْسِ بِالسَّوْطِ فِي دُمُومَةٍ كَالْأَثَرِ
• إِذْ عَرَجَ اللَّيْلَ بِرُوحِ الشَّمْسِ ^(٥) •

وَقَالَ دُكَيْنٌ أَيْضاً :

بِمَوْطِنٍ يُنْيِطُ فِيهِ الْمُحْتَمِي ^(٦) بِالْمَشْرِفِيَّاتِ نِطَافَ الْأَنْفَسِ ^(٧)

٢٣

(١) هذه الرواية موافقة لما في عيون الأخبار (٣ : ٢٢) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يطن » بالبناء للمفعول : أي يتم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمي ، وكان من أجازته عمر بن عبد العزيز - وعمر الفنينين
بإجازة لشعراء - أجازته وهو والى المدينة ، كما أجازته وهو خليفة . الشعراء
لابن قتيبة . والرجز يروى في المؤلف ١٠٤ منسوباً إلى منظور بن حبة الأمدى .

(٤) كذا في الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تملأت » كما
في المؤلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (حل) . يقال :
تمالت الثاقة : إذا استخرجت معاندها من السير . والذميل : حُرْب من
سير الإبل .

(٥) في البيان والمؤلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبه . والبروج : الظهور .

(٦) س : « الخنس » وهو تحريف . وينيط : يطق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ،
وهي قليل الماء يبق في دلو أو قرية . وتعلق النطاف في المشرفيات عبارة عن
شعة الحرس حل الماء ، وذلك يكون في المهامة الجديدة . وفي ط ، س :
« لطاف » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

وقال الراجز :

طالَ عليهنَّ تكاليفُ السُّرى والنَّصُّ في حينِ الهَجْرِ والضُّحى
حتَّى عُجَاهُنَّ فما تحت العُجى^(١) رَوَاعِفُ يُخَضِّبُنَّ مُبَيَّضُ الخصى^(٢)
وفي هذه الأرجوزة يقول :

• وَضَحِكَ المزن بها ثمَّ بكى^(٣) •

ومن الإيجاز المخلوف قولُ الراجز ، ووصفَ سَهمه حينَ رَمَى عِيراً
كيف [نَفَذَ سَهمه ، وكيف [صرَّعه ، وهو قوله^(٤) :
” حتَّى نَجَا مِن جوفه وما نجا^(٥) “

(شعر في الاتعاض والزهد)

وما يجوز في باب الاتعاض قولُ المرأة وهي تطوفُ بالبيت :

أنت وهَبْتَ الفِيتِيَّةَ السَّلاهِبَ^(١) وَهَجَمَ^(٢) يَحَارُ فيها الطَّالِبُ^(٣)

(١) العجى ، واحدها العجاية والعجاة بضم العين في كليهما ، وهي عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رشح الدابة . والرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر في وصف سهم رام أصالب حمارا . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول : نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار - من التجو - وما نجا من الهلاك .

(٦) وهيم السلاهب : أى التليل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإيل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وَعَمَّا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٍ
[ومثله قولُ المسعودي :

أَخْلِفَ وَأَنْطَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ ^(١)]
وقال القُدار ^(٢) ، وكان سيِّدَ عَنَزَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

أَهْلَكْتُ مُهَرِّى فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّحَاجَةِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً :
إذا أنت لم تنفع فضررٌ فلانما يُرَجَّى الفنى كما يضرُّ وينفعا]
وقال الأخطل :

تُمْسُ الْعِدَاوَةَ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهَا وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وقال حارثة بن بدر :

طَرِبْتُ بِفَانُورٍ ^(٣) وَمَا كَدْتُ أَطْرِبُ ^(٤) سَفَاهًا وَقَدْ جَرَّبْتُ فِيمَنْ يَجْرِبُ
وَجَرَّبْتُ مَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا تَعَلَّةٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجُونٌ يَقْلَبُ ^(٥)
وما اليومُ إِلَّا مِثْلُ أَمْسِ الَّذِي مَضَى وَمِثْلُ غَدٍ الْجَائِى وَكُلُّ سَيِّدٍ ذَاهِبٌ ^(٦)

(١) في اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر وأما « أنطف » فلم أجد إلى وجه فيها ، وهي في البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ : « أطف » .

(٢) ط ، س : « الفرار » وأثبت ما في ل .

(٣) فانور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . في ط : « بفانور » وصوابه في س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) في شرح شواهد المفنى للسيوطى ٧٩ : « المنجون بفتح الميم : « الدولاب الذى يستقى عليه . وجهه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « قلب » . ومثله قول الفائق :

وما الدهر إلا منجوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا مطبها

(٦) منع تنوين : « غد » لفوردة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى » بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارثة بن بدر الغداني (١) أيضاً :

إذا ألمَّ أُمِّي وَهُوَ ذَاكَ فَأَلْقِهْ وَلَسْتُ بِمُخْضِبِهِ وَأَنْتَ تَعَادِلُهُ (٢)
فَلَا تَنْزِلْنِ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا رَأَى أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ
وَقُلْ لِقَسْوَادٍ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرُّوْعِ أَفْرَحُ أَكْثَرُ الرُّوْعِ بَاطِلُهُ

(شعر في الغزو)

وقال الحارث بن يزيد (وهو جدُّ الأَحْمِرِ السَّعْدِيِّ) وهو يقع في باب
الغزو وتُعْلِحُّهم بِيَعْدِ الْمَغْزَى (٣) :

لَا لَا أَعُقُّ وَلَا أَحْوِبُ وَلَا أَغْبِرُ عَلَى مُضَرٍّ
لَكُمَا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدُّبَرِ
وقال ابن عَضُّضٍ (٤) المازني :

(١) هو حارثة بن بدر بن حسين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج :
كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك
النبي صلى الله عليه وسلم . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل
أنه هُزِلَ في ولاية عبد الله بن الحارث حل العراق . وذلك سنة أربع وستين .
الإصابة ١٩٣٣ . وفي ط ، س : « الفزاري » وصوابه في ل ، كما يتضح
من نسبة وكاف في أمال المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتي .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فَأُلْقِهْ » . تعادله ، هو من قولهم :
أنا في عدال من هذا الأمر - بكسر اللين - أي في شك منه ، أُلْقِي عليه أم أتركه .
يقول : اجزم بطرد ألم ولا تردد في ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا في الحيوان ١ : ٢٣ وهما
كلّك في البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « تخفّض » . وقد اختلف في ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة في خزنة =

إِنْ تَكْ دِزَعِي يَوْمَ صَحْرَاهُ كَلْبَةٍ^(١) أَصْبَيْتَ فَمَاذَا كُمْ عَلَى بَعَارِ
أَلَمْ تَكْ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَا كُمْ عَلَى وَقَبَى يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ^(٢)
[فَتَكْ مَرَايِلَ ابْنِ دَاوُدَ بَيْنَنَا عَوَارِيٍّ وَالْأَيَّامِ غَيْرِ قَصَارِ^(٣)
وَنَحْنُ طَرْدْنَا الْحَيَّ بِكَرْبَنٍ وَائِلٍ إِلَى سَنَةِ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارِ^(٤)
وَمُومٍ وَطَاعُونَ وَحُمَى وَحَصْبَةٍ وَذِي لَيْدِيَعَتْنِي الْمَهْجُوجِ صَارِي^(٥)
وَحَكْمٍ عَدُوٍّ لَاهْوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزِلٍ ذَلٌّ فِي الْحَيَاةِ وَعَارِ

= البغدادى ٢ : ١٠٥ - ١١٠ هـ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه مأثبت من ل .
وابن محض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محض ، من بنى مازن
ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو غنصرم له فى الجاهلية أشعار ، وهامش
إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو الهجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآبائهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيسا الأمير . من يقول
هذا ؟ قال : حريث بن محض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : صاحبك على
قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محض ، فإنك أنشدت شمرى فأخذتنى
أرحمته ! قال : فخلاه . الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلبه ، بضم الكاف : واد من أودية العلاء بالبحمة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبه »
وصوابه من ص ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلبه » ، وهى
موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقيى » ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسراييل : دروع . وابن داود
هو سليمان ، وقد أعطى حريث نسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه
وانظر نظير هذا الخطأ فى شمر النابغة والحطيئة فى المغرب للجوالقي ص ٨٥ - ٨٦ .
عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو ماهاجر .

(٤) قال أبو عل : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو عل :
« مثل السنان » .

(٥) الحرم ، بالضم : الجدرى الكثير المتراكب . والمهجع : من يزجر السبع
يصيح به : هج هج .

وقال آخر^(١) :

خُذُوا الْعَقْلَ إِن أَعْطَاكُمْ الْقَوْمَ عَقْلَكُمْ

وكونوا كَمَنْ سَمِيَ الْهَوَانَ فَأُرْتِعَا^(٢)

ولا تُكثِرُوا فِيهَا الضُّجَاجَ فَإِنَّهُ نَحَا السَّيْفَ مِاقَالَ ابْنِ دَارَةَ أَجْمَعَا^(٣)

وقال أبو ليلى :

كَأَنَّ قَطَاتَهَا كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلُصَةً عَلَى سَائِي ظَلِمِ^(٤)

(شعر في السيادة)

وقال أبو سليمان^(٥) :

لَا بَدْءَ لِلسُّودِّ^(٦) مِنْ أَرْمَاحٍ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمٍ النَّجَاحِ

(١) هو الكيت بن ثعلبة كما في خزنة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ .

أو هو الكيت بن معروف ، كما في حسانة البحري ١١ ، وشرح التبريزي

لحسانة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف السِّل . وأرتع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاءت

وحده رواية لـ ، وانخراة . وفي ط ، س : « فأتيا » وفي حسانة البحري :

« فأديها » .

(٣) ابن دارة هو سالم بن مسافع بن ربوع ، كان يهجو بني فزارة هجوا شغيا ، فقتله

زميل للفزاري ، فقال الكيت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح

الحسانة للتبريزي ، وخزنة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطاة : العجز ، أو ما بين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير

الحجم . وكلمة « ساق » هي في الأصل : « ساق » ولا وجه لها ، وتصحيحها

كما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى » . وقد سبق للرجز في الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « السود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

• وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ •

وقال الهذلي :

وإِنَّ سَيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمَ لَهَا صَعْدَاءَ مَطْلِبِهَا طَوِيلَ^(١)

وقال حارثة بن بدر^(٢) ، وأنشده سفيان بن عيينة^(٣) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدَى بِالسُّودِ

(شعر في هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة :

وإِنَّ بِقَوْمٍ سَوَّوْكَ لِفَاقَةً إِلَى سَيِّدٍ ، لَوْ يَنْظُرُونَ بِسَيِّدٍ

وقال إياس بن قتادة ، في الأحنف بن قيس :

٢٥ وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطْعَمْتَهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُوقُ سَعِيرَهَا^(٤)

وقال حميفة^(٥) بن حذيفة :

أَيُظْلِمُهُمْ قَسراً فَتَبّاً لَسَعِيرِهِ وَكُلَّ مَطَاعٍ لَا أَبَالِكَ يَظْلِمُ

(١) انظر كلاس على هذا البيت في الجزء الثاني ص ٩٥ .

(٢) في الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه في البيان ٣ : ٢١٩ وأمال المرتضى

٢ : ٥٣ . وانظر أمال الزجاجي ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتبية في المصارف ٢٢١ في أصحاب الحديث ،

ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد

الناس اختصاراً . سئل عن قول طلوس في ذكاة السمك والجراد ، فقال :

ذكاته صيده . وجاء في المقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات

نظرائه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . الخ .

(٤) س : « يفوق سعيها » . والبيت في البيان ٣ : ٣٢٦ .

(٥) كلاني في ل . وفي ط ، س : « حميفة » .

وقال آخر :

فأصبحت بعد الحلم في الحى ظالما نَحْمَطُ فيهم والموءُ يَظْلُمُ^(١)
وكان أنس بن مدركة^(٢) [الخشمى] يقول :

عزمت على إقامة ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسوءُ مَنْ يسوءُ^(٣)
[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمٍ رامٍ لقد جَمَعْتُ من شيءٍ لأمرٍ
وقال أبو حية :

إذا قلنَ كلاً قال والنَّقع ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجراء أباجله [
وقال آخر^(٤) :

إني رأيت أبا العوراء مرتفعاً^(٥) بشطِّ دجلةٍ بشرى التمر والسماكا
كشدة الخيل تبق عند مذودها والموت أعلم إذ فنى بمن تركا^(٦)
هذه مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

(١) التخطيط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهل . انظر تحقيق العلامة الراجكوفى في حواشي الخزائن ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيويه ١ : ١١٦ يولاتى ، وقد تكلم فيه صاحب الخزائن ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجددها أيضا في الجزء الخامس ص ٩٨ .

(٥) في الجزء الخامس : « مرتقما » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كثرة الخيل » . وفى ل : « كثرة »
وكلمة « تبق » ساقطة من س ، وهى فى الجزء الخامس « تبنى » . و : « إذ فنى »
هى فى الجزء الخامس « من يلقى » .

وقال شميم بن خويلد ، [أحد بني غراب بن فزارة] :

وقلت لسيدينا يا حليمُ إنك لم تأسُ أسوأَ رقيقاً^(١)
أعنتَ عدياً^(٢) على شأوها تُعادي فريقاً وتُبقِ فريقاً
زحرت^(٣) بها ليلةٌ كلها فجئتَ بها مؤيداً خنفيقاً^(٤)
وقال ابن ميادة^(٥) :

أتيتُ ابنَ قشراءَ العِجَانِ^(٦) فلم أجِدْ لدى بابِهِ إذناً يسيراً ولا زُزلاً^(٧)
وإنَّ الذي ولَّكَ أمرَ جماعةٍ لانتقصُ من يمشي على قَدَمِ عَمَلَا

(شعر في المجد والسيادة)

وقال آخر^(٨) :

ورثنا المجد عن آباءِ صِدْقٍ أسأنا في ديارِهِمُ الصَّنِيعَا

(١) أنشد ابن الأثير في الأنداد ٢٢٥ وقال : « أراد ياحليم عند نفسك ، فأما عندى فأتى سفيه » .

(٢) كذا في ل ، ومعجم المرزبانى ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفي ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو التمس بأعين .

(٤) قال الجاسط في البيان : « مؤيد : داعية . خنفيق : داعية أيضا » . ط : « مریدا خنفيقاً » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وجاء في الجزء الخامس نسبة البيت إلى ابن آخر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية في الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيراً » هي في ط ، س : « يسر » ، وأثبت طاق ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم التون والزاى ، وسكن للشر . والنزل : ما أعد للضيف .

(٨) هو من بن أوس المزني ، كما في الأغاني ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كقولك في حيون الأخبار : ١١٣ .

إذا المجدُّ الرَّفِيعُ تَعَاوَرَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا
وقال الآخر :

إذا المرءُ أَثَرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا السَّيِّدُ الْمُفَضَّلُ إِلَيْهِ الْمُعَمَّمُ^(١)
ولم يَعْطِهِمْ خَيْرًا أَبَوَا أَنْ يَسُودَهُمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَعْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ^(٢)
وقال الآخر^(٣) :

٢٦

رَكَتُ لِبَحْرِ دِرْهَمِي وَلَمْ يَكُنْ لِيَدْفَعْ عَنِّي خَلْفِي دِرْهَمًا بَحْرُ^(١)
فَقُلْتُ لِبَحْرِ خَذْهُمَا وَاصْطَرِفْهُمَا وَأَنْفَقْهُمَا فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا أَجْرٍ
أَتَمَنَعُ سُؤَالَ الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا تَسَمَّيْتَ بَحْرًا وَاكْتَبْتَ أَبَا الْعَمْرِ
وقال الهليل :

وَكُنْتُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً أَقُولُ شَوَى ، مَا لَمْ يُعَيِّنْ صَبِيحِي^(١)
وقال آخر في غير هذا الباب :

سَمِعْتُ اللَّهَ أَرْضًا يَعْزَمُ الضَّبُّ أَنَّهَا بَعِيدٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ^(٢) طَبِيبَةُ الْبَقْلِ
بَنَى بَيْتَهُ فِي رَأْسِ نَشْرٍ وَكُدَيْةٍ^(٣) وَكُلُّ أَمْرٍ فِي جَرْفَةِ الْعَيْشِ دُوْ عَقْلٍ

(١) في حيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفنى إليه المعظم » . ونسب في أمال الزجاجي ١٨ إلى المفيرة بن حبيانه .

(٢) في حسانة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم قتله » .

(٣) في العقد ٢ : ٢٧٥ : « سأل أمراي رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال ، « وأنشد البيهقي الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولي رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا القمير يمشى كور غراسان ، ففقه شاعر فأعطاه درهمين فقال « . وأنشد البيهقي الأولين . وانظر حيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) في الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والمثلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت في الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى عين حقير .

(٦) الأدواء : جمع داء ، وفى ل : « الأرواء » .

(٧) في الأصل : « بنا » . النشز : المكان المرتفع . والكديّة : الأرض المليظة .

(أبو الحارث جَمِين والبرذون)

وحدَّثني المكيُّ قال : نظر أبو الحارث [جَمِين ^(١)] إلى برذون يُسْتَقَى عليه ماء ، فقال : المرءُ حيثُ يَضَعُ نَفْسَهُ ^(٢) ! هذا لو قد هَلَجَ لم يُبْتَلِ بما تَرى !

(بين العقل والحظّ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :
وما تُبُّ ^(٣) الأيّبُ بغيرِ حظٍّ بأغنى في المعيشة من قَتيل ^(٤)
رأيت الحظَّ يَسْتَرُ كُلَّ عَيْبٍ وَهَيْهَاتَ الحُظُوظُ من العقول

(١) كذا في ل ، وفي مواضع متعددة من البيان ، وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جَمِين » قال - في مادة جَمِين - : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاي المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :
إن أبا الحارث جَمِيناً قد أوقى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه في البيان ٢ : ١٠٢ :

« وما المرء إلا حيث يحمل نفسه »

وهو صدر بيت لحريث الحمام (الواسطة ١٥٦) وعجزه :

« فأبصر بعينيك امرأاً حيث يعمد »

(٣) ط ، س : « لَيْث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) القَتِيل : الهنة التي في شق الثنائة . وفي ط : « قَتِيل » تحريف ما في س ، ل .

(هجو الخلف)

وقال الآخر^(١) :

ذهبَ الذينَ أحبُّهمُ سلفاً^(٢) وبقيتِ كالمقهورِ في خلفٍ^(٣)
من كلِّ مطوًى على حنقٍ متضجّعٍ يُكفَى ولا يكفَى^(٤)

(عبد العین)

وقال آخر :

وموئى كعبدِ العینِ أما لِقَاؤُهُ فبرضى وأما غيْبُهُ فظنونٌ^(٥)
ويقال للمرائى ، ولمن إذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمةَ والسرعةَ
في طاعته فإذا غابَ عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنما هو عبدُ عینٍ »^(٦) .

(١) هو الأصوص ، كما في البيان ٢ : ١٨٤ . والبيان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .

(٢) ل : « أحب قريهم » . وفي البيان : « أحبهم قرطاً » .

(٣) في الجزء الثاني من البيان : « كالمقهور » . وفي الثالث : « كالمقهور » .
وكلمة « خلف » هي في ط : « خلق » محركة .

(٤) للتضجع : من تَضَجَّعَ في الأمر ، إذا تقهقّر ولم يقم به .

(٥) في تيسار القلوب ٢٦٣ : « فقتنين » ، وهو تحريف ما هنا . وفي البيان ٣ : ٢٠٤ :

ومولى كداء البينِ أما لقَاؤُهُ فسلم وأما غيْبُهُ فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المهم الذي لا يوثق به . ويصح أن تقرأ يضم
الناء جماً للظن .

(٦) للبدياني مثل هذا الكلام في أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال :
فلان أخو عین ، وصديق عین : إذا كان يرأى فيرضيك ظاهره » .

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ يَدْبِرْ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ غَائِبًا ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرنا أبحاثاً تُضاف إلى الإيجاز وقلة الفصول ، ولى كتابٌ جَعَتْ فيه آياتُ من القرآن ، لتعرفَ بها [فصل] ما بين الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والفصول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجُمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة [على الذي كتبتُه لك في باب الإيجاز وترك الفصول] . فنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جُمعتا جميعَ عيوبِ خمرِ أهلِ الدنيا .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ حينَ ذكرَ فاكهةَ أهلِ الجنة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعاني . [وهذا كثيرٌ قد دَلَّكَ عليه ، فإن أردته فوضعه مشهور] .

(رأى أعرابي في تسمير المال)

وقال أعرابيٌّ من بني أسد :
يَقُولُونَ ثَمَرٌ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَإِنَّمَا لِوَارِثِهِ مَا ثَمَرَ الْمَالِ كَاسِبُهُ
فَكَلَّهُ وَأَطِيعُهُ وَخَالِسُهُ وَارِثًا شَحِيحًا وَدِهْرًا تَعْتَرِيكَ نَوَائِبُهُ^(١)

(١) خاله ، من الخالة ، وهي الأخت في نِزاة وخالطة .

(شمر في المجاء)

وقال رجلٌ من بني عَبَس :

أبلغُ قُرَاداً لَقَدْ حَكَمْتُ رجلاً^(١)

لا يَعْرِفُ النِّصْفَ بل قد جَاوَزَ النِّصْفَ^(٢)

كان امرأً ثاراً والحقُّ يَغْلِبُهُ فجَانِبَ السَّهْلِ سَهْلُ الحقِّ واعتسف
وذاكمُ أنْ ذلَّ الجارِ حَالَفَكُم وأنْ أنفَكُم لا يعرفُ الأنفا
إنَّ المحكمَ ما لم يَرْتَقِبْ حَسَباً

أو يَرَهَبِ السَّيْفَ أو حَدَّ القَنَا جَنَفًا^(٣)

مَنْ لاذَ بالسَّيْفِ لاقى قَرْضَهُ عَجَبًا^(٤) موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنْتَصِفًا
يَبْعُوا الحَيَاةَ بها إذ سَامَ طَالِبُهَا إمَّا رَوَاحاً وإما يَبِئَةَ أنفًا^(٥)

(١) ط ، س : « أبلغ قُرَادى لقد حركته » ، وهو تحريف مأثب من ل .

وقرأ : اسم قليلة .

(٢) النصف مئة والنصف بالتحريك : الإلتصاف . والنصف بالتحريك : الاسم

منه . والآيات في البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : ما لم مع أحد المتصين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : ما يجازى به الناس بينهم . وجاء في ل ، والبيان ١ :

٣١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : ييمرو الحياة بالحياة . ويقال سام باللمة وسام واستام بها وعليها : غال .

وقد تصلى للفعل هتا بنفسه . في ط ، س : « قام » وليس بشئ .

وأثبت ما في ل .

ليس امرؤ خالداً والموت يطلبه هاتيك أجساد عادٍ أصبحت جيفاً
أبلغُ لديكَ أبا كعب^(١) مغلفةً أن الذي بيننا قد مات أو دنفا^(٢)
كانت أمورٌ فجابت عن حُلومكم نوبَ العزيمَةِ حتى انجاب وانكشفنا^(٣)
إني لأعلمُ ظهرَ الضغنِ أعدله عيٌّ ، وأعلمُ أني أَكُلُ الكفنا^(٤)

(شعرٌ حكيمٌ)

وقال أسقفُ نجران^(٥) :

منعَ البقاءَ تصرفُ الشمسِ وظلوعُها من حيث لا نُمحي
وظلوعُها ببيضاء صافيةً وغروبُها صفراء كاللوزس
اليوم أعلم ما يمحي به ومضى بفضل قضائه أفس

(١) ل : « سمع » . والمغلفة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشق على الموت . وق س : « قد بات » بحرف .

(٣) كذا في ط ، س . وق ل : « فجابت » و « مال فانكشفنا » .

(٤) كذا في ل ، وق ط ، س : « أين أكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤول الكف » كناية عن الخلق .

(٥) الشعر نسب في معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . ونسب في العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابدين من نجران ، وق معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن الباهل ، وهو تبع للثاني أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وانظر خبراً متعلقاً به في كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالي القائل ٢٩ .

وقال غيبذ بن الأبرص ^(١) :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَتُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَحْبُ
[وعافرٌ مثلُ ذاتِ رحمٍ - وغائمٌ مثلُ مَنْ يَحْبُ]
أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ ^(٢) بِالْقَهْرِ
المرءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُولِ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ
وقال آخر ^(٣) :

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَوْصَابُهَا تَعَادُهَا فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر ^(٤) ، وكانت مُلَكَّةً ^(٥) لمحمد ^(٦) المخلوع

حينَ قُتِلَ :

(١) كذا في ل . والشعر من قصيدته المشهورة التي أولها :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِ مَلُحُوبٍ فَالْقَطِيعَاتِ فَالْأَنْوَابِ

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زور بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة .
انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً في الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد

(٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبي جعفر المنصور ، ولي البصرة وكورها وفارس
والأهواز والحامية والسند ، ومات بدير بين بندا وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) ملكة ، من الإغلاك ، وهو عقد الزواج . وفي ط « ملكها » وهو
تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفي العقد (٢ : ١٧٨) أن
اسم المرأة لبانة بنت ربيعة بن عل ، وفي مروج الذهب (٢ : ٣١٦) بية أنها

لبانة ابنة علي بن المهدي ، وفيها زيادة في الشعر . وفي البيان (٣ : ١٢١) أنه لا امرأة في
بعض الملوك . وفي الطبري ١٠ : ٢١٠ أن الشعر : لبانة أو لبانة عيسى بن جعفر .

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالزُّنُحِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ قُجِغْتُ بِهِ أَرْمَلَتِي قَبْلَ لَبَلَةِ الْعُرْسِ

(من نعت النساء)

وقال سلمٌ الخمار^(١) :

تَبَدَّتْ قُفْلَتُ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِجِدِّ نَقْيِ اللَّوْنِ مِنْ أَرَى الْوَرَسِ^(٢)
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قَلْتُ لِصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ: مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ!

(١) هو سلم بن عمرو ، مولد في تيم بن مرة ، شاعر بصري قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة . قالوا : سمي بالخمار لأنه ودرث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبوراً . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غمًا وغاز بالقة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويه . وجاء اسمه في الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ .

وعما ينص على تعيين اسمه قول أبي المتأخرية له :

سلم يا سلم ليس دونك سر حبس الموصل فالعيش مر

وقوله :

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

واقفة واقفة ما أبالي متى ماتت يا سلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أصدقاء الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، يحمل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير

« هي » . ن : « بجهد في القرن . أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر^(١) :

كَفَى حَزَنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَتَى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا^(٢)

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم الثقفي :

بِزَيْنِ سَنَا الْمَاوِيَّ^(٣) كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَى غَفَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمَتَجَمِّلِ^(٤)
وَجُودَ لَوْ أَنَّ الْمَذْلُومِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي^(٥)
وقال الشمر دَل :

إِذَا جَرَى الْمُسْلُكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ

(١) هو أبر التهاية يرى على بن ثابت الأنصاري ، كما في معاهد التنصيص (٢) :

(١٨٥) . أو ولدا له كما في العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليسك

وفيل الأمل ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمصطف (٢ : ٢٩٤) .

(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .

(٣) الماوي : لغة في الماوية أي المرأة ، أوجع لها عند ابن الأعرابي . وفي ط :

« الماضي » وفي س : « للمازي » وفي ل : « الماضي » وكل ذلك تحريف

ما أثبت ، كما في اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .

(٤) في الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩)

ومجالس طلب ٢٧٧ . وهي مصدر من تجمل .

(٥) انظر تفسيره في اللسان (عشا ٢٨٧) .

يَشْبَهُونَ ملوكاً من تَجَلَّتْهُمْ^(١) وطول أنضية الأعناق والأُمم^(٢)
[النضى^٣ : السهم الذي لم يرش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية^(٤) .
والأُمم^(٥) : القمامات] .

وقال القتال الكلابي :

٢٩ بَالَيْتَنِي ، وَالْمُنَى لَيْسَتْ بِنَافَعَةٍ^(٦) لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارٍ^(٧)
طَوَالَ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا رِيحَ الْإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارٍ^(٨)
لَمْ يَرْضَعُوا الدَّهْرَ إِلَّا ثُدَىً وَاضِحَةً لَوَاضِحَ الْوَجْهِ يَحْمِي بِأَحَةِ الدَّارِ^(٩)
وقال آخر :

إِذَا كَانَ عَقْلٌ قَلْتُمْ إِنَّ عَقْلَنَا إِلَى الشَّاءِ لَمْ تَحُلْ عَلَيْنَا الْأَبَاعِرُ
وَلِنْ أَمْرًا بَعْدِي يُبَادِلُ^(١٠) وَدَّكُمْ بُودٌ بَنِي ذِيانٍ مَوْلَى نَحَاسِيرُ

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليسك) ، وأمال القال (١ : ٢٣٨) : « في تجلَّتْهم » .
والجدة : العظة . وفي العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « في تجلَّتْهم » . ورواية
الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبون سيوفاً في صراحتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية في ل والأمال والحماسة ، ويروي : « المم » جمع
لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوقرة .

(٣) جاء في الكامل : « فالنضى مركب التصل في السنخ . وضربه ملا . وإنما أراد
طوال الأعناق » .

(٤) الأُمم : جمع أمة ، يضم الهمزة .

(٥) ل : « بغيثة » .

(٦) قال المبرد في الكامل ٣٥ ليسك : « وقوله لمالك أو حصن أو لسيار » ، فهؤلاء
بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما في الكامل واللسان
(مادة زفر) . وفي س : « بأذفار » فيكون جمع زفر بالتحريك ، وهو
خبط الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أي خالصة في نهبها ، وليست بأمة .

(٩) في هامش س : « خ : تبدل » إلى في نسخة .

أولئك قومٌ لا يَهَانُ هَدْيُهُمْ ^(١) إِذَا صَرَحَتْ كَمَحْلٌ وَهَبَتْ أَعَاصِرُ ^(٢)
مَذَالِيقِ ^(٣) بِالْحَيْلِ الْعِتَاقِ إِذَا عَدُوا ^(٤) بَأْيَسِهِمْ خَطْبَةٌ وَبَوَاتِرُ
وَقَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ التَّمِينِيُّ فِي الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَا :

كَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ وَفِي بَعْقَدِ الْجَارِ ، حِينَ يُفَارِقُهُ
يَكَادُ الْقَمَامُ الْغُرَّ يُرْعِدُ أَنْ رَأَى وَجْوهَ بَنِي لَامٍ وَبَنَاهُ بَارِقُهُ
وَقَالَ لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ ^(٥) :

وَلَوْ أَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجُومٌ سَمَاءٌ كَلِمَا غَارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَصْغَاتُ لَمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقُطَّ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ ^(٦)
وَقَالَ بَعْضُ التَّمِيمِيِّينَ ، يَمْدَحُ عَوْفَ بْنَ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ زُرَّارَةَ :
بِحَقٍّ أَمْرِي سِرْوَعِيَّةٍ خَالَهُ ^(٧) وَأَنْتَ لِقَعْقَاعٍ وَعَمَلِكُ حَاجِبُ
[دَرَارِي نَجُومٍ كَلِمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ رَفُضٌ عَنْهُ السَّكَاكِبُ]

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يَأْتِي الْقَوْمَ يَسْتَجِيرُ بِهِمْ أَوْ يَأْخُذُ مِنْهُمْ عَهْدًا . فَهُوَ
مَالِمٌ يَجِرُ أَوْ يَأْخُذُ الْمَهْدَ هَدًى ، فَإِذَا أَخَذَ الْمَهْدَ مِنْهُمْ فَهُوَ حَيْثُ جَارٌ لَهُمْ .
اللسان (هدى) .

(٢) كمل ، بالفتح ، هـ التمتع والجلب ، . وصرحت : صارت خالصة في شذتها
وجدها . وهو مثل . انظر الميداني ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفي س :
« كمل » محرفة .

(٣) كذا في ل . والمذلاق : السريع الجري ، جسمه مَذَالِيقٌ . وفي ط ، س :
« مَذَالِيقٌ » من الدليف ، وهو المسمى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبي الطمحن التميمي في السكائل ٣٠ لبسك والوسامة ١٥٩
والحماسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا في ط ، س . وفي ل : « سِرْوَعِيَّةٌ » ، وفي الشطر تحريف .

وقال طفيلُ الغنويُّ :

وَكَانَ مُرِيْمٌ مِنْ سِنَانٍ خَلِيْفَةً وَعَمْرُو وَمِنْ أَسْمَاءَ لَمَّا تَفَيَّبُوا
نَجْمٌ ظَلَامٌ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَأَ سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبٌ^(١)
وقال الحرَّامِيُّ^(٢) ، يمدح بني خُرَيْمٍ^(٣) ، من آل سنان بن أبي حارثة :
بَقِيَّةُ أَقْسَارٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبَتْ^(٤) لَطَلَّتْ مَعْدٌ فِي الدُّجَى تَتَكَسَّمُ^(٥)
إِذَا قَرَأَ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا بَدَأَ قَرَأَ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ^(٦) يَلْمَعُ
وقال بعضُ غنيٍّ^(٧) ، وهو يمدح جماعةً لإخوة ، أنشدنيها أبو قطن ،
الذي يقال له شهيد الكرم :

٣٠ حَبْرٌ ثَنَاءٌ^(٨) بَنِي عَمْرٍو فَلَانَهُمْ أُولُو فَضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارٍ^(٩)
إِنْ يَسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ ، وَإِنْ جُهِدُوا فَلْجُهِدْ يُخْرَجَ مِنْهُمْ طَيْبٌ أَخْبَارٍ^(١٠)

-
- (١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار كوكب » . ل : « بدا وانجلت عنه النجدة كوكب » .
(٢) الحرَّامِيُّ بالراء تقلعت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٣) ط ، ل : « حزم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحرَّامِيِّ .
(٤) ط ، س : « أقوام » موشع « أقار » . و « الفر » هي كذلك في س .
وفي ل : « المر » ، وفي ط : « المر » ، محرفتان .
(٥) في اللسان : « وتكسع في ضلّاله : ذهب ، كتكسع . عن ثعلب » .
(٦) الرواية في الوساطة ١٥٩ : « في جانب الأفق » .
(٧) أي أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به في الجزء الثاني ص ٨٩ .
(٨) ط ، س : « حبر ثنائي » وتصحيحه من ل . والتجسير : تحمين الخط أو الكلام أو الشعر .
(٩) الفضول : ما يفتق من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .
(١٠) جهدوا : أساهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

وإن تَوَدَّدْتَهُمْ لَا تَوْأا ، وإن شِهِمُوا كَشَفْتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغَارٍ^(١)
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ نَقْلَ لَا قَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارَى
وقال رجلٌ من بني نهشل^(٢) :

إِنِّي لِمِنْ مَعْشَرٍ أَفْقَى أَوَائِلَهُمْ قَبِيلُ الْكُفَاةِ إِلَّا أَيْنَ الْمُحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارَسَ خَالَهُمْ لِإِيَّاهُ يَعْنُونَا^(٣)
وَلَيْسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا أَفْطَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا^(٤)

وفي المعنى الأول يقول التابعة الديباني :

وَذَاكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً^(٥) تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَنَّبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

وفي غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وَأَتَيْتُ حَيًّا فِي الْحُرُوبِ عَمَلُهُمُ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ

[وفي ذلك يقول الفرزدق :

لَتَبْكُ وَكَيْمًا خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرَةٌ تَسَاقِي السَّمَاءَ بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّعْمَرِ^(٦)

(١) انظر تفسير البيت في الجزء الثاني ص ٨٩ . وجاء في س : « وإن شتموا » محركة .

وفيها أيضا : « أذمار شر » وفي ل : « شد » وفيها : « غير أشراده » .

(٢) هو بشاشة بن حزن النهشل كما في شرح التبريزي للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال صلف حل العدو : مال عليه .

(٤) الانتلاء : الانضمام والأخذ من الأم .

(٥) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبي سود اللخاني . والسلام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦

والكمال ٧٦٥ ليسك : « الخايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلهم فاستهزؤهم بدعوة دعؤها وكيعاً والرماحُ بهم تجرى^(١)
وأما قول الشاعر :

• تخامل المحتد أو هزام^(٢) •

فلما ذهبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها [خامل الذكر والنسب^(٣)]
فلا يحسده من أكفائه أحدٌ ، وأما [إذا قام بها^(٤)] مذكورٌ بيمين
النَّفِيَّةِ ، وبالظَّفَرِ المتتابع ، فذلك أجود^(٥) ما يكون ، وأقربُ إلى
تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصْرَمُ مَيَّ^(٦) وَدُ بَكْرٍ بِنِ وَأَتْلُ وما كان وُدِّي عَنْهُمْ يَتَصْرَمُ
قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلُّ الْقَطَرُ الْأَنَاءُ قَيْقَمُ^(٧)
وقال الفرزدق^(٨) :

وقالتُ أَرَاهُ واحداً لا أخا له^(٩) يؤمِّله في الوَارِثِينَ الأَبَاعِدُ

(١) رواية الديوان والكمال : « واجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأتمى .

(٢) كذا جاء .

(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .

(٤) ليست بالأصل والكمال في حاجة إليها .

(٥) س : « أجود » .

(٦) كذا في ل ، ، وفي ط ، س : « تذكر حبي » وهو تحريف .

(٧) ل : « الآق » . وهو الجدول تؤتيه إلى أرضك .

(٨) الشعر الآق قاله الفرزدق عند معايرته زوجه نوار بأنه لا ولد له . عيون الأخبار

٤ : ١٢٢ ومماحه التنخيص ١ : ١٠٢ . وفي الديوان ١٧٢ أن لقي ميرته

هي امرأته طيبة بنت المجاج الحباشي . وينسب الشعر أيضاً إلى ابن علقم

الفرزاري . معجم المرزبانى ٣٤٣ .

(٩) في الديوان : « طاح أهله » ، وفي المعجم : « باد أهله » .

لعلك يوماً أن ترينى^(١) كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد^(٢)
فإن تيماً قبل أن يلد الحصى^(٣) أقام زماناً وهو فى الناس واحد

وقال الفرزدق أيضاً^(٤) :

فإن كان سيفٌ خانٍ أو قدّر آنى^(٥) ليلقات يوم حنّفه غير شاهد^(٦)
فسيف بنى عبّسٍ وقد ضربوا به نبيدنى ورّقاء عن رأس خالد^(٧)
كذلك سيوفُ الهندِ تنبؤ طلباتها ويقطعن أحياناً مناطَ القلائدِ

(١) ط ، س « ترانى » وهو تحريف ، وصوابه من ل وحيون الأخبار . وفى الديوان : « فأنى صى أن تبصرين » .

(٢) الحوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخلق الشديد الحياة . ورواية الديوان : « الرواب » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما المزة الكثر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلع الروى فى وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبى رغوآن سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعت يدك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر فى الأغاني (١٤ : ٨٢ - ٨٣) والفيث المنسجم (٢ : ١١٣) واللمدة (١ : ١٢٦) والتناقض ٣٨٤ .

(٥) س : « آنى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت فى حاسة البحرى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حنّتها » .

(٧) ورّقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العيسى . وخالد ذلك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالد قد رك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حتاج بين البكاه العامرى ، وقال : نبح أرسلك بأبأ جزء - يعنى خالد - فحنى خالد رأسه ، وضرب حتاج رأس زهير ، وضرب ورّقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنيا سيف ورّقاء ، فقال فى ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإن أحببت أن تروى من قصار القصائد شعراً لم يُسمع بمثله ^(١) ،
فالتيسر ذلك في ^(٢) قصار قصائد الفرزدق ؛ فإنك لم تر شاعراً قط يجمعُ
التجويد في القصار والطوال غيره .

وقد قيل للكميت : [إن] الناس يزعمون أنك لا تقدر على القصار ؟
قال : من قال الطوال فهو على القصار أقدر ^(٣) .

هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأي والظن ، ولم نجد ذلك عند التحصيل
على ما قال .

= وأيت زهيراً تحت كل كل جعفر فأقبلت أسمى كالمجول أبادر
إلى بطلين يهضمان كلاهما يريمان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه عنى الحديد المظاهر
الأغاني (١٠ : ١٤) . . . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدي
أقْبَسَ من الروم ، فأمر يقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب
هذا الصلح ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فغير به قومه إلى
اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أحفيتك . انظر أدب الدنيا والدين
٦ - ٧ . والفرزدق في شعره يمرض سليمان بن عبد الملك ويميره بنو سيف
ورقاء الهبي عن خاله ، وبنو عيس أخوال سليمان . الأغاني (١٤ : ٨٣) . أو
هو قال ذلك لأن صنيع بن عيس كان مع جرير - يعني أنه كان موالياً لهم - الأغاني
(١٠ : ١٥) . وجرير ليس عيسياً ، بل هو كلبي .

(١) ل : « تسع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجريـر)

وقيل لعقيل بن علفـة : لم لاتطيل المجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق ^(١) » .

وقيل لجريـر : إلى كم تهجو الناس ؟ قال : إني لأبتدى ، ولكي أعتدى ^(٢) .

وقيل له : لم لاتقصـر ^(٣) ؟ قال : « [إن] الجراح يمنع الأذى ^(٤) ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نُبئتُ أن بئى جديلة أوغبوا [نقرأ] من سلمى لنا وتسكبوا ^(٥)

(١) المعروف في المثل : « حبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميداني (١) :

١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسياني في ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمهاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أي تقصر قصائدك ، وكان جريـر يطيل قصائده المجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس من التعرض لصاحبه . والجراح

أصله للخنيل تغلب صاحبها وتطير به . في ط ، س : « قال الجراح يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : سبي من ملئء . أوغبوا : أي لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً .

تكتبوا : صاروا كتاب . وفي ط ، س : « تكتبوا » وتصحيحه من ل

والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس قعيد كالحراوة أعصب^(١)
 وأبو الفراح على خشاش هشيمة متنكب ليط الشائل يتعب^(٢)
 [فتجاوزوا ذاكم إلينا كله عدوا وقرطبة^(٣) فلما قرئوا
 طعنوا^(٤) بمران الوشيج فأتى خلف الأمانة غير عرق يشخب^(٥)
 وتبدلوا اليعسوب بعد إلههم صمًا^(٦) فقرئوا^(٧) يا جديلا وأعدبوا^(٨)

(١) يقول : قد جرى ليبي جديدة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التيعيف :
 من الصيانة ، وهي هنا بمعنى التشلثم . والقعيد : الذي يأتي من الخلف . وجعل التيس
 كالحراوة في صفحتها واندماجها . والأعصب : المكسور انقرون . وهو ما
 يتشام به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراح ، عني به الغراب . والحشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له
 من اللواب ، مثل الحيات والنظايا . وشبه فراح الغراب لمعطها بالحنافس . وروى
 في س : « خشاش » ، وهي بالكسر بمعنى الجانب ، كما في القاموس . ومتنكبا ليط
 الشائل ، أي مائلا عن جهتها . والشائل : جمع شال ، وهي الريح الشمالية .

(٣) « ذاكم » عني به التيعيف والزجر . و « قرطبة » أي عدوا شديداً . وفي الأصل
 « قرضة » تصحيف مأثنت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهي ضرب
 من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه مأثنت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح .
 يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعسوب : صنم جديدة ، وكان لهم صنم أعلاه منهم بنو أمد ، رهن عبيد
 ابن الأبرص ، فقتلوا اليعسوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) في الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البهائي : « أي لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء في ل
 والخزانة . وفي ط ، س : « أوعدبوا » .

وقال آخر :

أَلَمْ تَرَ حَسَّانَ بْنَ مَيْسَرَةَ الَّذِي يُجَوِّحُ^(١) ، إِلَى جِيرَانِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ
مَتَارِبُ^(٢) مَا تَنَفَّكَ مِنْهُمْ^(٣) عِصَابَةٌ إِلَيْهِ سِرَاعاً يَحْصُدُونَ وَبِزْرَعُ

(شعر في معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وباب^(٤) آخر مثلُ قوله^(٥) :

• يريد أن يُعَرِّبَهُ فَيُعْجِمَهُ •

وقال آخر :

• كَأَنَّ مَنْ يَحْفَظُهَا يُضْعِجُهَا •

(١) ما عدا ل : « يجوح » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متارِب : جمع مترَب ، كعَمَن ، وهو الذي قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ،
والأكثر فيه أن يستعمل للذي كثر ماله . والمعروف في الذي قل ماله : تَرَب كفرح ،
من الثلاثي . انظر اللسان (تَرَب) . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « متَ
ريب » ، وهي على الصواب في س .

(٣) ط ، س : « مت » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل : « فإن الآتي يخالف السابق .

(٥) هو الحظيعة ، والبيت الآتي من أرجوزة له ، أولها كما في العدة ١ : ٧٤ ،
والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الخفيض قسسه والشعر لا يستطيعه من يظلمه

وهذه :

ولم يزل من حيث يأتي يحمره من يسم الأعداء يبق موصه

وقال آخر :

• أهوجُ لا يَنْفَعُهُ التَّقِيْفُ •

وقال بعض المحدثين [في هذا المعنى] :

إِذَا حَاوَلُوا أَنْ يَشْعُبُوهَا رَأَيْتَهَا مَعَ الشَّعْبِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيًا^(١)

وقال صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُلُوسِ :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ^(٢)

إِذَا ارْتَعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَلَرَى الضَّنَا عَادَ إِلَى نُسْكِهِ

ومثل هذا قوله :

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْحَرَمِ

وقال حُسَيْلُ^(٣) بن عُرْقُطَةَ :

لِيَهْنِكَ بُخْضُ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَةِ^(٤) وَتَعْدِيَتُكَ الشَّقَى الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ

وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكٌ^(٥) ، ومثل الشرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعي : التناقل . وهذا البيت هو الثاني من أبيات عددها اثنا عشر بيتاً في البخلاء ١٨٨ هجر بها الشاعر قوماً بخلاء ، فوصف قلوبهم بما يقتضيه الحباء .

(٢) البيان ١١ : ١٢٠ و التثيل والمخاضة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرقطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن قعس الأسدي ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو من خير الرسول الكريم أصحابهم ، فساه « حسيئا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جمعه أبو زيد في نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ما تقدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم خطه الأخفش في ذلك . انظر النوادر في الموضمين . وقد جاء هذا الاسم في كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة في البقال ٢٣٩ .

(٤) في البيان والبقال : « لهنك » وهما صهيحان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفي ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت ما في ل والبيان والبقال .

وَأَنْتَ مِهْدَاءُ أَخْلَنَّا نَطِيفُ النَّثَا ^(١) شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِيَةُ
ظِلْمِ أَرْمِثِلُ الْجَهْلُ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى ^(٢) وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ عَمَضَ صَاحِبُهُ

(كَلِمَةُ لِلزُّرْقَانِ)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ الزُّرْقَانُ بْنُ بَدْرٍ : حَصَلَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِي
السُّوءُ : شِدَّةُ السَّبَابِ ، وَكَثْرَةُ اللَّطَامِ ^(٣) .

(شَمْرُ فِي تَجْمِيدِ الْأَقَارِبِ)

وَقَالَ [خَالِدٌ] بْنُ نَضْلَةَ :

لَعَنَرِي لَرَفَعْتُ الْمَرْءَ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَلَوْ عَالَوَا بِهِ كُلُّ مُرَكَّبٍ ^(١)
مِنَ الْجَانِبِ الْأَفْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى كَثِيرٍ ^(٢) وَلَا يُنْبِكَ مِثْلُ الْمَجْرَبِ
إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ عِدَا لَسْتُ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عَلِفْتَ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ ^(٣)
فَلَنْ تَلْتَبِسَ بِي خَيْلُ دُودَانَ لَا أَرِمُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ وَإِنْ غَبَرَ مُذْنِبٍ

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفي ط ، س ، والبيان :

« النثا » ، وهو تعريف ما أثبت من له . والنطف : المثلج المرعب .

(٢) الردى : الهلاك . وفي الأصل : « الرضا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أي وإن أركبوه المراكب الصلبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحسامة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هي في ط ،

س : « كثير » ، وإنما هو صفة للندي .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرياء كما جاء في الضم ١٢ : ٥٢

رواية من ابن السكيت ، قال : « ولم يأت قبل - أي بكسر فتحة - في الصفات

غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولما نادى الأصبط بن قريع في بني سعد^(١) نحوّل عنهم إلى
آخريّن فأذوه فقال : بكلّ وادٍ بنو سعد !

(مقطّعات شقي)

وقال سُهَيْمُ بن وَثِيل :

ألا ليسَ زَيْنَ الرَّحْلِ قِطْعٌ وَتُمْرُقٌ ولكنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يائِي رَاكِبُهُ^(٢)

وقال أعرابي :

فما وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ المِمْ حُلَّتْ عن الماءِ حَقٌّ جَوْفُهَا يَتَصَلَّصُلُ^(٣)
تَحْمُومٌ وَتَغَشَّاهَا العِصْيُ وَحَوْهَا أَقْطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
بِأَكْثَرِ مِثْقَى غُلَّةٍ وَتَعْطُفُ^(٤) إلى الورد^(٥) ، إِلَّا أَنِّي أَجْمَلُ

(١) ط ، س : « سُهَيْم » ، والصواب : « سعد » كما في ل ، وما سبق في الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) أقطع ، بكسر القاف : البساط ، أو الفرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته .
وفي ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والفرق والفرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرجل . وقد حُرف الناسخون البيت في ميون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزباني في معجمه ٣٩٠ لمخرس بن ربيع .

(٣) حلت : تمت من الماء . وفي ط ، س : « خلّت » . والميم : الإبل المطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت ما في ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « الممد » وصواب هذا « المدم » بالكسر ، وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان^(١) ، في عيب أخذ العقل والرضا
بشيء دون الدَّم ، فقال :
وإنَّ الذي أصبحمُ تحلبونه دَمٌ غيرَ أنَّ اللونَ ليسَ بأحمراً
فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بعدَمَا رَضِيْتُمْ وزوجمُ سَيْالَةَ مِسْهَرَا^(٢)
وأعجبَ قِرْدٍ يقصمُ القملَ حالقاً^(٣) إذا عِبَ منها في النِّقِيَةِ بَرَّأ^(٤)
إذا سَكَبُوا في القَعْبِ من ذى إناثهم رأوا لونه في القَعْبِ ورداً وأشقرأ^(٥)

٣٣

باب آخر

في ذكر الغضب ، والجنون ، في المواضع التي يكون فيها محموداً^(٦) .
قال الأشهب بن رُمَيْلة^(٧) :

-
- (١) ط ، س : « الصبان » ، وهو تحريف مأثبت من ل والقاموس . والطيفان
هي أم خالد . وكلمة « ابن » هي في الأصل مخلوطة الألف وهو خطأ ، وقد جاء
على الصواب الذي أتبعه في الأغاني ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصراً
لجرير والفرزدق .
- (٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ،
ولعل صواب « حولتم » فيه « حولتم » .
- (٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأحكم فرداً يقصم الليل جالاً » !
- (٤) منها : أي من إبل الدينة . والنقية : الطليعة الفرح من التوق . وفي ل :
« النقية » ، وهي الجزور تجزور لفضيافة . والبريرة : الصياح .
- (٥) ط : « القعب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إناثهم ، ولذلك نظائر في
كلامهم . انظر خزنة الأدب ٤ : ٣٣١ - ٣٣٢ سلفية .
- (٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « في مثل ذلك من الغضب » ، وفي ذكر الجنون
في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً .
- (٧) الأشهب بن رُمَيْلة : شاعر إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هر^(١) المَقَادَة^(٢) من لا يَسْتَعِيدُهَا^(٣) وَأَعَصَوْ حَبَّ السَّيْرِ وَارْتَدَّ الْمَسَاكِينُ^(٤)
مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ قَدْ مَالَتْ عِمَامَتُهُ كَأَنَّهُ مِنْ ضِرَارِ الضَّيْمِ مَجْنُونُ^(٥)
وقال في شيء فَلَكَ أَبُو الْغُولِ الطُّهُوِيُّ^(٦) :

قَدَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مَعَاشِرَ صُدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي^(٧)
مَعَاشِرَ لَا يَجْلُونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطُّمَحُونُ^(٨)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلْظِ بِلَدِينِ^(٩)
وَلَا تَبْلَى بَسَائِلُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

= تعرف له مصبة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « ديلة » هي أمه . واسم أبيه ثور
ابن أبي حارثة ، ينهى نسيه إلى تميم . وكان الأشهب بن حاجي الفرزدق ، وقد
سبق رجز له في ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هـ في الخزانة ٤ : ١٠٠ هـ بولاق . جاء
في ط : « ديلة » وهو تحريف . وجاء بعد هذا في كل من ط ، س :
كلمة « بعد ذلك » .

- (١) هر : كره . وفي ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .
- (٢) المقادة : القود ، وهو نفيس السوق . وفي ل : « الوفادة » وأحبها تحريفاً ،
ولعل الكلام في صفة ركب مسافرين في قلاة .
- (٣) ل : « يستعيد لها » .
- (٤) أعصوب السير : صار عصيباً شاقاً . وفي ل : « أعصوب السير » .
- (٥) مالت عمامته ما لبس النوم به . والضرار : الضر . وفي ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .
- (٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولاً يقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامي .
- (٧) التبريزي (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبي) . وفي ل : « النفسى » وهو تحريف .
- (٨) قال التبريزي : « يروى : صفوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنوني ، ويسكون
ظنوني في موضع وقع بصدقت » ، أي فاعلاً لصدقت .
- (٩) في ل ، وكذا في الحاشية : « غوارس » وفيها أيضاً : « الحرب الزبون » .
- (٩) في ل ، وكذا في الحاشية : « ولا يجزون من حسن بى » . والى بالفتح .

هُمْ أَحْمَوًا حَمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ^(١)
فَسَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادَى وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجَنُونِ

وقال ابن الطُّرَيْة^(٢) :

[لو أُنْثَى لَمْ أُنْزِلْ مِنْكُمْ مَعَابِقَ إِلَّا السَّنَانُ لَذَاقَ الْمَوْتِ مَطْعُونُ
أَوْ لاختطبتُ فإني قد همت به بالسيف إن خطيب السيف يَجْنُونُ^(٣)

وقال آخر :

حمرَاءُ تَامِكَةِ السَّامِ كَأَنَّهَا بَهْلٌ بِهَوْدَجٍ أَهْلُهُ مَقْطُونُ^(٤)
جَادَتْ بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلْنَا يَدَيَّ عَمَرُوا الْغَدَاةَ يَمِينُ^(٥)
مَا إِنْ يَجُودُ بِمِثْلِهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الْحِمِّ أَوْ مَجْنُونُ^(٦)

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان .

في ل ، والمقصود والحامة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء في ل نسبة البيتين الآتين إلى ابن الطرية ، ونسبة الثلاثة التي بعدها إلى « آخر » ، لكن في ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطرية . ولم أعر حل مرجع لماتين المقطوعتين .

(٣) في الأصل : « لاشتت » ، صوابه من ل : ٢٤٥ .

(٤) تامة السام : عطية . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجليل المظنون : الذي شد هودجه بالظلمان ككتاب ، وهو جبل الهودج . فجعلها كجمل لوناقة خلقها ، ثم أنشأ إلى التمت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه في السطاء ، مبالغة في وصفه بالسطاء . وجاء في الحديث : « كلتا يديه يمين » فترجم بعضهم التشبيه ، وود عليهم ابن تقيبة في تأويل مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « في مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وغيره : « يمثليها »
عاقه إلى الناقة الحمراء . وغيره « مثله » إلى يوم الوداع . وأنهم
بالسكر : السجدة .

وفي هذا المعنى يقول حسان ، أو ابنه عبد الرحمن بن حسان :
 إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْوَءَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
 إِنَّ يَكُنْ غَثٌّ مِنْ رَقَاشِ حَلِيبٍ فِيمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا^(١)
 وفي شبيه بذلك قول الشنفرى :
 فَلَقْتُ وَجَلْتُ وَاسْبَكْرْتُ وَأَكْمَلْتُ

فلو جُنَّ إنسانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ^(٢)
 وقال القطاوى - حين وصف إفراط ناقتيه فى المرح والنشاط :
 ٣٤ يَتَّبِعْنَ سَامِيَةَ^(٣) الْعَيْنَيْنِ نَحْسِبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تُرَى مَا لَا تَرَى الْإِيلُ
 وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ ، فى معنى التشبيه والاشتقاق :

يَهَجُلُ مِنْ قَسَا ذَفْرِ الْخَزَايِ تَدَاعَى الْجُرِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا^(٤)

-
- (١) شرح الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنها لاصطحابها صاروا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يماصيا . أمال ابن الشجرى (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد فى الكامل ٩٧ هـ ليبيك والسكرى فى الصنائع ١٨٥ .
 (٢) هذا البيت ليس فى ل . والبيتان فى الديوان ١٣٤ - ١٤٤ فى سبعة أبيات .
 (٣) يقول : دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها النقة ، وعظم فى الأجزاء التى يرفضها العظم . واسيكرت : استقامت واعتدلت . وقصينة البيت بديمة ، وهى من الفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .
 (٤) سامية : عالية ، وفى ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

- (٥) الهجل ، بالفتح : المظلم من الأرض . وفى ل : « لجو » وهو تحريف . وفى س : « بجو » وهى صحبة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمان ، كما فى اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما فى المقصور . و « الخزاي » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكر الرائحة . و « تداعى » هى فى ط « تداعى » وهى رواية أخرى ، كما فى اللسان (جرب) . والجرياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفى ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان فى مواضع متعددة والكامل ٦٤ هـ ليبيك ومعجم البلدان (قسا) والمقصود ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمفصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقُّا فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى وَجُنَّ الْخَازِبَارِ بِهِ جُنُونًا^(١)

وفي مثل ذلك يقول الأعشى :

وَإِذَا الْغَيْثُ صَوْبُهُ وَضَعَ الْقِدْرَ حَ وَجُنَّ الثَّلَاحُ وَالْآفَاقُ^(٢)

لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةُ الْحَمْرِ وَلَا اللَّهُوْ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

وقال آخر في باب المزاح والبطالة ، مما أنشدني أبو الأصمغ^(٣)

ابن ربيع :

أَتُونِي بِمَجْنُونٍ يَسِيلُ لُغَاتِهِ وَمَا صَاحِبِي إِلَّا الصَّحِيحُ الْمُسَلَّمُ

وأنشدني^(٤) إبراهيم بن هاني ، وعبد الرحمن بن منصور^(٥) :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ طَبِيبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

(١) تفقأ : تعصب ، وق : س : « تكسر » ، وهي رواية أخرى كما في أمثال الميداني (١) :

(٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها

الجبال ، الواحدة قلعة . والخازبار : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة ،

أوهو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدتا في ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصمغ جاء في الأصل « أبو الأصمغ » . صوابه من البخل ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره

المجاط في البيان (٤ : ١٩) ضمن النوك وأشباههم . وروى أنه قيل له :

أما تسمع بالعدو وما يصنعون في البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا

لا أعرفهم ولا يعرفوني ، فكيف صاروا لي أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل ، « وأنشد » ، وأثبت ما في ص موافقاً ما في الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) في الجزء السادس زيادة : « قبل أن يحن » .

(إبراهيم بن هاني والشعر)

وكان إبراهيم [بن هاني] لا يقيم شعراً^(١) . ولا أدرى كيف أقامَ

هذا البيت !

وكان يدعى بحضرة أبي إسحاق^(٢) علم الحساب ، والكلام ،
والمناسة ، والمجون ، وأنه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحنك
في هذه الأمور ، فلك أن تدعيها عندنا^(٣) . كيف صرتَ فدعي قولَ
الشعر ، وأنت إذا رويتَ لغيرك كسرته ! قال : فإني هكذا طبعْتُ ، أن أقيمه
إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابي)

وقلت لأعرابي ، أيما أشدُّ غلماً : المرأةُ أو الرجل ؟ فأنشد :

فوالله ما أدرى ولأني لسائلُ
والأبى أذن للفقور أو الحرُ
وقد جاء هذا مُرخياً من عنانه وأقبلَ هذا فأتحاً فاه يهلر^(٤)

(١) وكان ماجناً غليماً كثير العبث متردداً . انظر أعباره وأحاديثه في الجزء الأول
من البيان ٩٣ - ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عتقا » .

(٤) يهز : من الحذر ، وأصله تردد صوت البعير في حنجرته . وفي ط ، س :
« يهر » بالباء محركة . وهي على الصواب الذي أثبت في ل ومحاضرات الراجح
(٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبهوماً يقلب لقطرب - يعني النحوي .

(مقطعات شقی)

وأنشد بعضهم :

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاکْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضِ قِنَاعَا
ثُمَّ وَلَّى الشَّابُّ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْبَى^(١) الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا

وأنشد محمد بن يسير^(٢) [لبعضهم] :

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي لِقَبَائِبِهَا^(٣) حَوْدٌ تَأْطُرُ نَاعِمٍ بِكَرٍّ^(٤)
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّابَّ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عَذْرُ ٣٥

وقال الآخر في خلاف ذلك ، أنشدني محمد بن هاشم السدري^(٥) :

فَلَا تَعْذُرَانِي فِي الإِسَاءَةِ إِنَّهُ أَشْرُ الرِّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُعْذَرُ^(٦)

(١) ط ، س : « يَأْبَى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٢٣٤) .

(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه في ل . وقد سبق ترجمته في الجزء الأول .
والشعر في البيان (١ : ١٩٨) مسجوق بمقابلة : « وأنشد الأحموس بن محمد » .

(٣) جاء في البيان ، من تفسير الجاحظ البيت : « تخاصرنى : أخذ بيدها وتأخذ بيده » .
وكلمة : « لقبها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت في الجزء الأول من البيان
وكذا في الثالث منه ص ٣٤١ : « يفتنها » ، وفسرها الجاحظ في الجزء الأول بقوله :
« والفتنة (واحدة الفتن . وهى) : المواضع الغليظة من الأرض في صلابة » .

(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتنق وتصف . و « ناعم » هكذا جاءت في ط ، س .
وقول والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .

(٥) ط : « السيدى » صوابه ما فى ل ، س . ترجم له المرزبانى فى مجله ٤٣١

(٦) قال الجوهرى فى الصحاح : « لا يقال أشر إلا فى لغة رديئة » . وهكذا جاءت
الرواية فى ط ، ل . وفى س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا فى أدب الدنيا والدين

ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة^(١) :

فَلَيْتَ قَلَوِصِي عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنٍ فِي دَارِهِ وَابْنُ جَعْفَرٍ^(٢)
إِلَى مَعَشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَالَمُ يُخْصَرْ^(٣)

وقال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ ، وهو أَبُو نَفَرٍ^(٤) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَارَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الضَّبِّ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلٍ^(٥)

(١) ط ، س : « ابن قُزُب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر في الأغاني (١٩) : ١٤٤ (١) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته في الجزء الثاني من ١١ .

(٢) كذا على الصواب في ل والأغاني . وفي ط : « إلى حرمي داري بن جعفر » وفي س : « إلى حنيني داري » والتحريف فيها ظاهر . وفيها أيضا « إذ رحلتها » وهو خطأ صوابه في ل والأغاني .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبتية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ في البيان ٣ : ١٠٩ - ١١٣ . والنعل المفصرة : المعتدلة الوسط .

(٤) كذا في ل ، وهو الصواب كما في الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغاني ١٠ : ١٤٨ . وفي ط : « نَقِير » وفي س : « بَقِير » محرفتان . والطرماع : شاعر إسلامي في النحلة المروانية ، ومولده ومثواه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردوا من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب النشأة والأراقة . وكان شاعرا فصيحاً ، يكثر في شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماع فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً لكسيت الشاعر لا يكاودان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحيلة ، وكفته ، بالكسر ، هي حبالته . في ط : « حائل » محرفة ، صوابها في ل ، س والإغاني والشعراء . والبيت نظير في اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتني أغرَضْتَ عني كأنَّ الشمسَ من قبلي تدور
وقال الحرَّمي^(١) وذَكَرَ عماه^(٢) :

أصغى إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عنَّ مُحِيتي
أريدُ أن أعدلَ السَّلامَ وأن أفصلَ بينَ الشَّريفِ والدُّونِ
أسمعُ ما لا أرى فأكره أن أخطي^(٣) ، والسَّمْعُ غيرُ مأمون^(٤)
لِلَّهِ عيني التي فجئتُ بها لو أن دهرًا بها يوانيني^(٥)
لو كنتُ خيرتُ ما أخذتُ بها تعميرَ نوحٍ في مُلكِ قارون
وقال بعضُ القدماء^(٦) :

ألم ترَ حوشبًا أضحى بُني قصورًا نفعها لبني نُفيله^(٧)
يؤمِّلُ أن يُعمَرَ عُمرَ نوحٍ وأمرُ اللهِ يحدثُ كلَّ ليلة^(٨)

(١) في الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الحرَّمي » - بالزاي - وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الحميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه في الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « و عى عينه » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطي » .

(٤) كذا في ل والمراجع المتقدمة . وفي ط ، س : « دهرًا تول فأتواتني » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى في المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأخبار التي يدعى رصافة أبي العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : أدخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمحل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغانى (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما في عيون الأخبار والمقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا في ل ، س ومعظم الروايات . وفي ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهي رواية غريبة .

وقال ابن عباس بعد ما ذهب بصره^(١) :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورُهُمَا فَنِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ^(٢)
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورٌ

[وقال حسان يذكر بيان ابن عباس^(٣) :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرَكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ لِعَيٍّْ وَلَمْ يَنْزِلِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يَصْرُفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ]

(شعر في الخصب والجذب)

وقال بعض الأعراب يذكر الخصب والجذب :

٣٦

مُطَرَّنَا فَلَمَّا أَنْ رَوَيْنَا تَهَادَرَتْ شَقَاشِقُ فِيهَا رَائِبٌ وَحَلِيبٌ

(١) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الميمان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا

عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والمقدمة

٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب المقدمة سبب الشعر . وشذ أبو علي القتال في ذيل

الأمال ص ١٥ فنسب البيت إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص ١٦٥ .

ويرى الجبان أيضا لأبي علي البصير كما في المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبي الميناء

في معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفي ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمي » ، وهو خطأ .

(٢) س : « فني لسانتي وصمى » وفي عيون الأخبار : « فني قواذى وصمى » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . وحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان

ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً من رجال ظُلامه وعُدَّتْ دُحُولُ بينهم وذُنُوبُ^(١)
 ونُصِتَ رِكابُ للصَّبَا فترَوَّحتَ لهنَّ بما هَاجَ الحبيبَ حَبيبُ^(٢)
 وطَنُ فناء الحى حَتَّى كَانَهُ رَحَى مَنَهْلٍ مِنْ كَرَّهِنَ نَجِيبُ^(٣)
 بنى عَمَّا لَا تَعَجَّلُوا ، يَنْضُبُ التَّرَى قَلِيلًا وَيَشْفَى الْمُتَرَفِّينَ طَيبُ^(٤)
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتُ وَامْتَرَتِ الْقَرَى وَحَنَّتْ رِكابُ الحى حِينَ تَتُوبُ^(٥)
 وصَارَ غُبُوقُ الخُودِ وهى كَرِيعَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ، ذُو جُدَّتَيْنِ مَشُوبُ^(٦)
 [وصار اللى فى أنفهِ خُزُوانَةٌ يَنَادَى إِلَى هَادَى الرَّحَى فَيَجِيبُ^(٧)]
 أولئك أَيَّامُ تَبَيُّنٍ مَا لَقِيَ أَكَابِ سَكَيْتُ أَمْ أَشْمُ نَجِيبُ

(١) ل : « ورايت رجال » و « دحول بيننا » . وانظر الإبتاح والمؤانسة ١ : ١٩٦
 - ١٩٧ وديوان الماتى ٢ : ٤٥ .

(٢) « فترأجت » كذا فى س والخميص ١٠ : ١٨٠ . وفى ط ، ل :
 « فترأجت » . وفى ط ، س : « هاج الحبيب » وتصحيحه من ل والخميص .
 قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركباً لصبا ، فإن طلب اللهو بما يبعث
 عليه الفراغ ورغاه البال » . و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء .
 و « خبيب » هى بالنسبة للمحببة ، وممتاها سرعة المجرى . ل والخميص :
 « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحبين
 ويهيم أشواقهم .

(٣) ط : « وطن » ، ل : « ودير » محرفان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكية ، ومعنى بالطيب هنا الجلب وشدة الزمان .

(٥) قول : أخذ فى الميج . وامترت القرى : جلب ما فيها . ط ، س : « وابتزت
 القرى ، وصرايه من ل والخميص . وفى الخميص : « تتوب » ، وهما بمعنى .

(٦) التبروق ، بالفتح ، ما يشرب بالمشى . والنود : الشابة الحسنه الخلق . وفى ط ،
 س : « حروق الجود » تحريف ما أثبت من ل والخميص . والجدة بالضم :
 الخط ، ومعنى يلدو الجدتين البن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوباً ، أى
 مخلوطاً باللأ . وفى ط ، س : « مشوب » ، تحريف ما فى ل .

(٧) الخزوانة : الكبر . وهادى الرعى : مقبضها . وفى الخميص يبايع يمكن ساء
 ما هنا .

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال : ولما ولي حارثة بن بندر سرق^(١) ، كتب إليه أنس بن

أبي إياس^(٢) [الدلي] :

أحار بن بندر قد وليت ولاية
وباه نجا بالغي ، إن للغي
[ولا تحقرن يا حار شيئا ملكته
فلن جميع الناس إنما مكذب^(٣)
يقول بما يهوى ، ولما مصدق^(٤)
لوقيل هاتوا حقوا لم يحققوا

وقال بعض الأعراب :

فلما رأينا القوم ثاروا بجمعهم
وأدر كنا من عز^(٥) قيس حفيظة
رغينا الحديث وهو فيهم مضيع^(٦)
ولا خير فيمن لا يضرب وينفع

(١) سرق ، بالفهم وتشديد الراء المفتوحة : إجلس كور الأهواز . وفي ط : « سرف » محركة .

(٢) ويرى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة في أمال المرتضى ٢ : ٤٩ - ٥١ والقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان رسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات في المراجع المتقدمة وكلاعيون الأعيان ١ : ٥٨ ، ومعاشر الراسب ١ : ٨٣ . والفهم أن الشعر الآن ملامية لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله : جزاك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفًا وأوصيت كافيا أشرت بأمر لو أشرت بغيره لألتفتي فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كلما في ل . وفي ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إن رجلاً قال لبعض السلاطين : الدنيا بما^(١) فيها حديث ، فإن استطعت أن تكون من أحسنها حديثاً فافعل !

(أقوال مأثورة)

وقال حذيفة بن بدر لصاحبه^(٢) يوم جُفِرَ الهبَاء^(٣) ، حينَ أعطاهم بلسانه ما أعطى : إياك والكلام المأثور^(٤) .

وأنشد الأصمعي :

كلُّ يومٍ كأنه يومٌ أضحى عندَ عبدِ العزيزِ أو يومٍ فطرٍ
وقال : وذكر لي بعضُ البغداديين أنه سمع مَدَنِيًّا مرَّ ببابِ الفضلِ
ابنِ يحيى - وعلى بابه جماعةٌ من الشعراء - فقال :

مالقينا من جودِ فضلِ بنِ يحيى تركَ الناسَ كلُّهمُ شعراءَ ٣٧

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حل بن بدر ، كما في العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لميس حل ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حل ، سدا بني

قزارة . المصدا ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ :

٣٥٢ . وفي ط : « الهبَاء » وهو حل الصواب في س ، ل .

(٤) المأثور : الذي ينقله الخلف عن السلف . وفي س : « المائق » ، وفي ط :

« السائر » والأشبه ما أثبت من ل : موافقاً لما في العقد .

وقال الأصمعي : قال لي خَلَفُ الأحمر : الفارسيُّ إذا تظَرَّفَ^(١) تساكنت ، والنَّبْطِيُّ إذا تظَرَّفَ^(٢) أكثر الكلام .

وقال الأصمعيُّ : [قَالَ رجلٌ] لأعرابيٍّ : كيف فلانُ فيكم ؟ قَالَ : مرزوقٌ أحق ! قَالَ : هذا الرَّجُلُ الكامل .

قَالَ : وقال أعرابيٌّ لرجل : كيف فلانُ فيكم ؟ قَالَ : غَيَّيْ حَظِّي^(٣) قَالَ : هذا من أهل الجَنَّةِ !

(السواد والبياض في البادية)

الأصمعيُّ قَالَ : أخبرني جَوْسَقُ قَالَ : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ الْبَيَاضُ قُلَّ السَّوَادُ » ، وإذا ظَهَرَ السَّوَادُ قُلَّ الْبَيَاضُ . قال الأصمعيُّ : يعني بالسَّوَادِ التَّمَرُ ، وبالبياضِ اللَّبَنُ وَالْأَقِطُ^(٤) . يقول : إذا كانت السَّنَةُ مُحْصِيَةً كَثُرَ الْأَقِطُ وَاللَّبَنُ وَقَلَّ التَّمَرُ ، وإذا كانت السَّنَةُ مجْدِبَةً كَثُرَ التَّمَرُ وَقَلَّ اللَّبَنُ [وَالْأَقِطُ] . وقال : إذا كان العام خصيباً^(٥) ظهر [في صدقة الفِطْرِ] البياضُ ، يعني الْأَقِطُ ، وإذا كان جَدِيْباً^(٦) ظهر السَّوَادُ ، يعني التَّمَرُ . وتقول القُرْسُ : إذا زَخَرَتِ الْأَوْدِيَةُ بالماء كَثُرَ التَّمَرُ^(٧) ، وإذا اشْتَدَّتِ الرِّيحُ كَثُرَ الْحَبُّ .

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفي ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من س .

(٢) ط ، س : « غيى حظي » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الْأَقِطُ : شيء يتخذ من اللبن الخفيف يطبخ ثم يترك حتى يحصل .

(٤) ط : « خصباً » .

(٥) ط ، س : « جيباً » .

(٦) ط : « السن » ، وأثبت ما في س : ب .

(قول في أثر الريح في المطر)

وحدثني محمد بن سلام^(١) ، عن شعيب بن حجر^(٢) قال : جاء رجلٌ
على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعتدكم الريحُ التي تُكْبُ
البحر^(٣) ؟ قالوا : لا . قال : فتدري الفارس^(٤) ؟ قالوا : لا . قال : فكما
تكون يكون مطركم .

وحدثني العُتبي^(٥) قال : هَجَمْتُ على بطنِ بينَ جبَلين ، فلم أرَ وادياً
أُخْصَبَ منه ، وإذا رجالٌ يتركون^(٦) على مساحيم ، وإذا وجوهٌ مهجئة ،
وألوانٌ فاسدة . فقلتُ : واديتكم أخصبُ وادٍ ، وأنتم لا تشبهون المخاصيبَ^(٧)
قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجعفي صاحب
الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين .
لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البحر : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذوت الريح الشيء وأذرت : أطارته .

(٥) ل : « اللقي » ، وهو تحريف ثعلبنا عليه كثيراً .

(٦) في القاموس : « تركل بمحذاته : ضربها برجله لتفتل في الأرض » . في ط

« يتحركون » ، وفي ط : « يتحركون » ، وأثبت باقي ل .

(٧) المخاصيب : جمع خصب أو مخصاب . وفي ط فقط : « المخاصب » .

(شعر في الحصب)

وقال النمر بن تولب :

كَأَنَّ حَصْدَهُ^(١) ، أَوْ عَزَّتْ لَهَا شَبَّهَا فِي الْعَيْنِ يَوْمًا تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامِ
مِيشَاءَ جَادَ عَلَيْهَا وَابِلٌ هَطِلٌ فَأَمْرَعَتْ لاحتِيَالٍ فَرَطَ أَعْوَامِ^(٢)
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا بِلَهَا دِيمٌ مِنْ كَوَكَبٍ بَزَلِ بِالسَّاءِ سَجَامِ
لَمْ يَرَعْهَا أَحَدٌ وَارِبَتْهَا زَمْنَا^(٣) فَلَوْ مِنْ الْأَرْضِ مَحْفُوفٌ بِأَعْلَامِ^(٤)
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلًا كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصَوَاتُ جُرَامِ^(٥)
كَأَنَّ رِيحَ خَزَاهَا وَحَنَوْتَهَا بِاللَّيْلِ رِيحُ يَلَنُجُوجِ وَأَهْضَامِ^(٦)

(١) ل فقط : « بحرة » .

(٢) لاحتِيَال : أى بعد احتيَال . والاحتِيَال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال ليلى :

هَلْ لِنَفْسٍ إِلَّا مَتَمَّةٌ مُسْتَعَارَةٌ تَمَارُ فُتَاقٍ رَجَا فَرَطُ أَشْهَرِ
وَفِي ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفي اللسان مادة (فَأَوْ) : « وَأَكْمَ وَوَسْتَهَا » .

(٤) الْفَأْو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلا . ط : « فَأَوْ » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون انتم ، أى يقطعونه . وقد عني الانبساط . وفي ط ، س : « حوام » بحرف .

(٦) الخزاي والخنوة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفي ط : « يلتنجوج » محرفة . والأهضام : واحدا هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شيء يقيش به غير العود واللبى .

قال : فلم يَدْعُ مَعْنَى مِنْ أَجْلِهِ يُخَصِّبُ الْوَادِي وَيَعْمُ نَبْتُهُ إِلَّا ذَكَرَهُ .
وصدق الفراء (١) !

وقال الأسدي في ذِكْرِ الْخَصْبِ وَرُطُوبَةِ الْأَشْجَارِ (٢) وَلَدُونَةِ الْأَغْصَانِ
وَكثْرَةِ الْمَاءِ :

وَكَاَنَّ أَرْحَلَنَا بِجَوْ مُحْصَبٍ يَلِي عُنَيْزَةً مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ (٣)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَايَ عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهِ لَمْ يُقْبَسِرْ (٤)
ذهب إلى أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الرُّطُوبَةِ فِي أَغْصَانِهِ وَعِيدَانِهِ (٥) ، أَنَّهُ إِذَا ٣٨
حُكَّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ لَمْ يَقْلَحْ (٦) .

وفي شبيهه بذلك يقول الآخر (٧) ، وَذهب إلى كَثْرَةِ الْأَلْوَانِ (٨)
وَالْأَزْهَارِ وَالْأَنْوَارِ :

(١) في ل : « وصدق حديث القتيبي في قوله : فالومن الأرض مخفوف بأعلام » .
وليس بشيء .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الأشطاب » محرف . وفي البيان (٣ : ٢٤) :
« الورق » . وفي الحيوان ٤ : ٦٥ « أن الشمر للبرار بن منقذ » .

(٣) في الأصل : « أَرْحَلْنَا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) .
والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومكة ومعنى . ورواية
المخصص : « يوهده محصب يعني عُنَيْزَةً » ، والوهده : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس :
ماء لبني أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص :
« مفقش » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا في ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٧) . وفي ط ، س
والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقفح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست في ل .

[كانت لنا مِنْ عَطْفَانٍ جَارَةٍ] كَأَنهَا مِنْ دَبَلٍ وَشَارِهِ^(١)
وَالْحَلَى حَلَى الثَّبَرِ وَالْحِجَارَةِ^(٢) مَدْفَعٌ مِثْلَهُ إِلَى قَرَارَةٍ^(٣)
[ثُمَّ قَالَ :

« إِيَّاكَ أَغْنَى وَاسْمِعِي يَا جَارَهُ^(٤) » .

وَقَالَ بَشَّارٌ :

وَحَدِيثٍ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرُّوِّ ضَرَّ فِيهِ الْحَمْرَاءُ وَالصُّفْرَاءُ

بَابُ

مِنَ الْفَعْلَنِ وَفَهْمِ الرِّطَانَاتِ وَالْكُنَايَاتِ وَالْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ

(حَدِيثُ الْمَرْأَةِ الَّتِي طَرَقَهَا اللَّصُوصُ)

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ [تَنْزِلُ] مَتْنَحْبَةً مِنَ الْحَيِّ ، وَتَحْبُ الْغُرْلَةَ
وَكَانَ لَهَا غَمٌّ ، فَطَرَقَهَا اللَّصُوصُ فَقَالَتْ لِأَمَتِهَا^(٥) : أَخْرِجِي ! مَنْ هَاهُنَا ؟

(١) الدَّبَلُ : بِالتَّحْرِيكِ : أَصْلُهُ فِي الْبَحْرِ أَنْ يَمْتَلِءَ شَحْمًا وَلَحْمًا . وَفِي ط ، ص « ذَبَلٌ »
مَعْرُفَةٌ . وَالشَّارَةُ : السِّنُّ ، أَوْ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ، وَفِي الْخَصْمِ وَالسَّانِ (مَادَّةُ حَل) .
« كَأَنهَا مِنْ حَسَنٍ وَشَارِهِ » .

(٢) اسْتَشْهَدَ هَذَا الْبَيْتُ ابْنَ سِينَةَ فِي الْخَصْمِ (٤ : ٤٠) عَلَى أَنَّ الْخَلَّ مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ مِنْ
مَصَوِّغِ الْمَعْنِيَّاتِ وَالْحِجَارَةِ .

(٣) الْمِثْلَاءُ : الْأَرْضُ الْبَيْتَةُ . وَالْقَرَارَةُ : الْمَطْمُنُّ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْمَدْفَعُ : الْمَجْرَى .

(٤) الْبَيْتُ فِي أَثْنَالِ الْمِيدَانِ (١ : ٤٣) مَعَ آيَاتٍ أُخْرَى مَنْسُوبَةٍ إِلَى سَهْلِ
ابْنِ مَالِكِ الْقُرَازِيِّ .

(٥) ط ، ص : « لَا يَنْتَهَا » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانُ ، والحمارس ^(١) ، وعامر ^(٢) والحارثُ ، ورأسُ
عَتر ^(٣) وشادن ^(٤) . وراعياً بهمناً ^(٥) . [فتحنُ ما أولئك . أى : فنحن أولئك] .
فلما سمِعُوا ذلك ظنُّوا أنَّ عِنْدَهَا بَنِيهَا . وقال الأصمعيُّ ^(٦) مرَّةً ^(٧) : فلما
سمِعَت جِسمهم قالت [لَأَمْتِهَا] : أَخْرِجِي سُلُحَ بَنِيَّ مِنْ هَاهُنَا .
قال : وسُلُحُ جمع سُلَاح ^(٨) . وحَيَّان والحمارس ^(٩) : أسماءُ ثيوس لها .

(قصة المَهْمُورَةِ الشَّيْءِ وَالْحَمْرُ)

قال الأصمعيُّ : تزَوَّجَ رجلٌ امرأةً فساقى إليها هَهْرَهَا ثلاثين شاةً ،
وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بَرَقَ خَمْرٍ . فَعَمَدَ الرَّسُولُ فذَبِیحَ شاةً في الطَّرِيقِ
فأكَلَهَا ، وَشَرَبَ بَعْضَ الزُّقِّ . فلما أتَى المرأةَ نظرت إلى تسعٍ وعشرين
ورأت الزُّقَّ ناقصاً ، فعَلِمَتْ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَبِيعُ إِلَّا بِثَلَاثِينَ وَزَقَ ^(١) مملوءاً

(١) ل : « الحمارس » .

(٢) ط ، س : « وعامراً » ، محرقة .

(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ما ذبَح .

(٤) ط ، س : « بارق » .

(٥) ط ، س : « وراعيها بهمناً » ، تحريف ماق ل .

(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .

(٧) السُّلُح ، بالقم : النجر .

(٨) ل : « الحمارس » . وكذا أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق

معنى الجمعية .

(٩) ط ، س : « وزقا » .

فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِمَا حَبَبَكَ ^(١) : إِنْ سَحِبًا قَدْ رُئِمَ ^(٢) ، وَإِنْ رَسُولًا
جَاءَنَا فِي الْمَحَاقِ ! فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالرَّسَالَةِ : قَالَ بِاعِدُوا اللَّهَ ، أَكَلْتُمْ مِنْ
الثَّلَاثِينَ شَاةً شَاةً ، وَشَرِبْتُمْ مِنْ رَأْسِ الزَّرْقِ ! فَأَعْتَرَفَ [بِذَلِكَ ^(٣)] .

(قِصَّةُ الْمُنْبَرِيِّ الْأَسِيرِ)

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ قَالَ : أَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ
رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، قَالَ : دَعَوْنِي حَتَّى ^(٤) أُرْسَلَ إِلَى أَهْلِ لَيْفَدُونِي ^(٥) . قَالُوا :
عَلَى الْأَ تَسْكُلُمُ الرَّسُولَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِينَا . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَالَ لِلرَّسُولِ ،
إِنِّي أَهْلِي قَتَلَ : إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ . وَقُلْ : إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اسْتَكْتَتْ
وَخَرَزَتْ الْقِرْبَ ^(٦) . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ
تَعْقِلُ فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : اللَّيْلُ . قَالَ : أَرَأَيْكَ تَعْقِلُ ! انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِي فَقُلْ لَهُمْ :
عَرُّوا جِلِّي الْأَصْهَبِ ، وَارْكَبُوا نَاقَتِي الْحُمْرَاءَ ، وَسَلُّوا حَارِثًا عَنْ أَمْرِي - وَكَانَ
حَارِثٌ صَدِيقًا لَهُ - فَذَهَبَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَدَعَوْا حَارِثًا فَقَصَّ عَلَيْهِ
الرَّسُولُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ أَمَّا قَوْلُهُ « إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ » فَقَدْ تَسَلَّحَ الْقَوْمُ .

(١) ل : « قُلْ لَهُ » .

(٢) رُئِمَ : كَسَرَ أَفْهَ أَوْ فَوَّهَ حَتَّى تَقْطُرَتْ الدَّمُ ، أَوْ لَطِخَ بِاللِّمِّ .

(٣) حَذَفَ الزِّيَادَةُ مِنْ سَ فَقَطْ . وَالْمُنْبَرِيُّ فِي الْبَيَانِ (٣ : ٢١١) بِرَوَايَةِ أُخْرَى ، وَقَدْ
مِيزَ اسْمَ الرَّجُلِ بِأَنَّهُ قَسَمَةٌ بَيْنَ زُهَيْرِ الْمُنْبَرِيِّ . وَانْظُرْ كَذَلِكَ كُنَايَاتِ الْجُرْجَانِيِّ ٦٤
وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاهِبِ (١ : ٦٧) حَيْثُ سَبَّ الْمُنْبَرِيُّ فِي الْآخِرَةِ إِلَى أَمْرِ الْقَتْلِ .

(٤) حَذَفَ الْكَلِمَةُ سَائِلَةً مِنْ ل .

(٥) ط ، س : « إِلَى صَاحِبِي » ، وَفِي ط فَقَطْ : « يَفْعَدُونِي » .

(٦) حَذَفَ الْجُمْلَةُ لَيْسَتْ فِي ل . وَهِيَ فِي أَصْلِهَا : « وَجَرَّتِ الْقِرْبُ » وَلَيْسَ لَذَلِكَ
وَجْهٌ ، وَقَدْ اعْتَمِدْتُ فِي تَصْحِيحِهَا عَلَى مَا فِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ١ : ٣٨٤ : وَالْمُرَادُ بِالْخَرَزِ
هَذَا الْإِصْلَاحُ اسْتِدَادًا لِلْعَرَبِ .

وأما قوله : « إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَيْتِ وَخَزَزْتَ الْقَرِيبَ ^(١) » فيقول : قد
اغتذت الشُّكَا ^(٢) وَخَزَزْتَ الْقَرِيبَ لِلْفَزْوِ . وأما قوله : « هَذَا اللَّيْلُ » فإنه
يقول : أَنَا كَمْ جَيْشٌ مِثْلُ اللَّيْلِ . وأما قوله : « عَرُّوا جَمْلِي ^(٣) الْأَصْهَبُ »
فيقول : ارْتَحَلُوا عَنِ الصَّيَّانِ . وأما قوله : « اركَبُوا نَاقَتِي الْحَمْرَاءَ » فيقول :
انزِلُوا الدَّهْنَاءَ .

وكان القوم قد تهيَّئوا لِفَزْوِهِمْ ، فخافوا أَنْ يَنْزِلَهُمْ ، [فَأَنْزَرَهُمْ] وهم
لا يشعرون ، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم ^(٤) .

(قصة المطاردى)

وكذلك صنع المطاردى فى شأن [شعب] جبلة ، وهو كريب بن صفوان ؛
وذلك أَنَّهُ حِينَ لَمْ يَرْجِعْ لَهُمْ قَوْلًا حِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يَقُولَ ، وَرَمَى بِصُورَتَيْنِ فى
إِحْدَاهُمَا شَوْكًا ، وَالْأُخْرَى تَرَابًا ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زَهَبٍ : هَذَا رَجُلٌ مَأْخُوذٌ
عَلَيْهِ إِلَّا بِشَكْلٍ ، وَهُوَ يَنْذِرُكُمْ عَدَدًا ^(٥) وَشَوْكَةً ^(٦) .
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

(١) س فقط : « وجررت القرب لفزو » ، والكلمة الأخيرة تفقد الكلام ، وتصحح

كلمة « جررت » هنا وفيما سياتى قريباً ، امتدعت فيه على ما فى السكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكرة بالفتح : وعاء الماء أو اللبن من آدم .

(٣) ط ، س : « جالى » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن حيد ربه فى القند ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ فى يده كلامه على

يوم الرقبط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً فى أمال القاتل :

١ : ٦ والمسترضى ١ : ١٢ والمعلقة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب

١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكتابات المرحبانى ٦٤ ومعاني الأشتاندى

٥٧ وطراز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الظراف ٧٠ والمعلوف ١ : ٤٢ .

(٥) أى جنوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفى ط ، س : « غدرا »

وليس يضى .

(٦) للشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، فى كامل

ابن الأثير ١ : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(شمر في صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة^(١) :

لما رأيت الدينَ ديناً يُؤفكُ وأمسيت القبة لا تستمسك^(٢)
يُفتقُ من أغراضها ويُهتك^(٣) سرت من الباب فطار الذكك^(٤)
منا الدجوجي ومنها الأرملك^(٥) كالليل إلا أنها تحركُ
وقال منصور النخري :

ليلٌ من النقع لا شمس ولا قرُّ إلا جيئك والمدروبة الشرع^(٦)
وقال آخر :

كأنهم ليلٌ إذا استنفروا^(٧) أو لجةٌ ليس لها ساحلُ

(١) في الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راوي بهذا الاسم . وأبو نخيلة

تقدمت ترجمته في ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهلك » .

(٤) الذكك : ماتكيس واستوى من الرمل ، أو ما ألبس منه بالأرض . في ط ، س
« فطار ذكك » ، وقول : « فطار الذكك » ، وقد جئت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجي : الشديد السواد . والأرملك : الذي يتخالط حرته سواد ، وقد تكلم
المسكوي في هذا البيت والذي بعده . وهما في صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المدروبة : المحفدة . وفي ط س : « المدوية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

و ديوان المعاني ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . في ط : « استنفروا » وصوابه في س ، ل .

وقال العجاج^(١) :

كأَنَّمَا زُهاؤه إِذَا جُهِرَ^(٢) لَيْلٌ وَرِزٌّ وَغَرٌّ إِذَا وَغَرَ^(٣)
 . سارٍ مَرَى مِنْ قَيْلِ الْعَيْنِ فَجَرِ^(٤) .

وفي هذا الباب وليس منه^(٥) يقول بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُفُوسِهِمْ^(٦) [وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
 وقال عمرو بن كلثوم :

تَبَيَّنَ سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ [سَقَفًا^(٧) كَوَاكِبَهُ الْبَيْضُ الْمَبَايِرُ
 وهذا المعنى قد غلب عليه بشار ، كما غلب عنتره على قوله :

فَرَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغْفَى وَحَدَهُ هَزَجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتَرِّمِ
 غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلُ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْلَمِ
 فلو أن امرأ القيس عَرَضَ في هذا المعنى لعنتره لافتَضَحَ .

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت ماق ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفي ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعاني
 ٧١ : ٢ . وجهر : نظر إليه باستظام . ورواية ديوان المعاني واللسان (مادة
 جهر ، وجر) : « لمن جهر » . والشعر في نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . وجر الجيش : صوته وجلبته . وفي ط ، س
 « ووزر وهره إذا وعر » ، وهو تشويه لإصلاحه من ل وديوان المعاني واللسان .

(٤) ل : « فخر » ، وفي الأصل : « المير » صوابه في ديوان العجاج ١٨ وديوان المعاني
 والمفصّل ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ما بين قبة العراق .

(٥) ل : « ٩٥ » .

(٦) ط ، س : « كأنما النفع يوما فوق أروسهم » ، وبذلك يَحْضِلُ الوزن ، وأثبت
 ماق ل وحيون الأشعار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رؤوسنا »
 انظر الوساطة ٢٣٧ وحامدة ابن العجري ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه في ل .

(مقطعات شتى)

وقال بعضهم [فى] غير هذا [المعنى] :

وفلاة كائما اشتمل اللب لى على ركبها بأبناء حام^(١)
 ٤. خضت فيها إلى الخليفة بالز قة^(٢) بحرى ظهيرة وظلام
 وقال العرجى^(٣) :

سميتى خلقاً بخلّة قدمت^(٤) ولا جديداً إذا لم يلبس الخلق
 يا أيها المتحلّى غسيرة شيمته وبين خلافة الإقصاد والملق^(٥)
 ارجع إلى خبيك العروف ديدنه إن التخلق يأتى دونه الخلق^(٦)
 وقال آخر^(٧) :

أودى الخيار من الماثير كلهم واستب بَعْدَكَ يا كليب المجلس
 وتنازعوا فى كل أمر عظمة لو قد تكون شهدتهم لم ينسوا^(٨)

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنج ، والأحياس ، والنوبة .

(٢) للرة : مدينة على الفرات . ط ، س : « بالشرقة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت ما فى ل موافقاً لما فى المقه ٢ : ٢٤

وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشرع ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن واصة

كما فى البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبى زهده ١٨١ . وهو يكون نسبة فى مجالس ثعلب ٣٠٠ .

(٤) ط : « بخلّة قدمت » س : « لحة قلمت » ، وأثبت ما فى ل

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدقت فقتلت .

(٦) الخيم : بالكسر : الحجية .

(٧) هو مهلول ، كما سيق ، وكافى ديوان الماتى ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم ينسوا » .

وأيات أبي نواس على أنه مؤلف شاطر ، أشعر من شعر مهلهل في إطراق
الناس في مجلس كليب ، وهو قوله ^(١) :

على خبز إسماعيلَ واقيةُ البخلِ ^(٢) وقد حلَّ في دارِ الأمانِ مِنَ الأكلِ
وما خبزُهُ إلا كآوى يرى ابنها ولم تُرَ آوى في الحزون ولا السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلا كمنقاه مُغربِ تُصوِّر في بسطِ الملوك وفي المشلِ
يحدث عنها النَّاسُ من غيرِ رؤيةٍ سيوى صورةٍ ما أن تُحْمِرُ ولا تُحْمِلِ
وما خبزُهُ إلا كليبُ بنُ وائلٍ ليالى يحمى عزه منبتُ البقلِ
وإذ هو لا يستبُ خَصمانِ عنده ولا القولُ مرفوعٌ يجِدُ ولا هزلِ

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نبيخت ، كما في الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس
١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتى على خوان
إسماعيل بن نبيخت كما ترتى الإبل في الحمض بعد طول الخلة » ثم كان جزاءه منه
أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرغا

وقال :

وما خبزُهُ إلا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفي رسالة الحاسد والحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ
يرتج على مائدة إسماعيل الهاشمي ، وكان من المطعين الطعام للمرتين ، فمارس
الحسن بن هانئ يوماً بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل .
فقال له : ما أطعمكم ؟ فقال : أطيننا دماغ كلب في قصف خنزير . فلم يكن
منه هذا القول إلا حل وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور في أخبار أبي نواس برواية : « واقية النمل » ، كما يقال :
« واقية الكلاب » .

فإنَّ خَبْرُ إِسْمَاعِيلَ حَلٌّ بِهِ الَّذِي أَصَابَ كَلِيلاً لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ بَذَلٍ ^(١)
وَلَكِنْ قَضَاءٌ لَيْسَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِحِيلَةٍ ذِي دَهْيٍ وَلَا فِكْرٍ ذِي عَقْلٍ ^(٢)

(شعر العرب والمولدين)

وَالْقَضِيَّةُ الَّتِي لَا أَحْتَشِمُ مِنْهَا ^(٣) ، وَلَا أَهَابُ الْخَصُومَةِ ^(٤) فِيهَا : أَنَّ ^(٥)
عَامَّةَ الْعَرَبِ وَالْأَعْرَابِ وَالْبُدُوَ وَالْخَضِرَ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ ، أَشْعَرُ مِنْ [عَامَّةِ]
شُعْرَاءِ الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى ، مِنَ الْمَوْلُودَةِ ^(٦) وَالنَّابِتَةِ ^(٧) . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِوَاجِبٍ
لَهُمْ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ ^(٨) .

وَقَدْ رَأَيْتُ نَاسًا مِنْهُمْ ^(٩) يَهْرِجُونَ أَشْعَارَ الْمَوْلُودِينَ ، وَيَسْتَقِطُّونَ مِنْ
رَوَاهَا . وَلَمْ أَرِ ذَلِكَ قَطُّ إِلَّا فِي رَاوِيَةٍ لِلشَّعْرِ غَيْرِ بَصِيرٍ بِمَجْهَرِ مَا يَرَوِي . وَلَوْ
كَانَ لَهُ بَصَرٌ ^(١٠) لَعَرَفَ مَوْضِعَ الْجَيْدِ مِمَّنْ كَانَ ، وَفِي أَيْ زَمَانٍ كَانَ .

(١) فِي دِيْوَانِ الْخَافِي وَالنَّشَارِ : « عَنْ ذَلِ » ، وَفِي الدِّيْوَانِ : « مِنْ ذَلِ » ، وَأَنَا
أَرْتَفِئُ مَا هُنَا .

(٢) لَ : « بِحِيلَةٍ ذِي مَكْرٍ وَلَادَهِي ذِي عَقْلٍ » . وَالْدَهْيُ : النِّعَامُ .

(٣) كَذَا فِي س ، ل . وَفِي ط : « وَالْقَضِيَّةُ هَذِهِ أَحْتَشِمُ مِنْهَا » مَحَرَقَةٌ .

(٤) ط ، س : « وَلَا أَطْلُبُ الْخَصُومَةَ » ، لَ : « وَلَا أَهَابُ الْخَصُومِ » ، وَقَدْ عُدِلَتْ
الْقَوْلُ بِمَا تَرَى .

(٥) ط : « إِذْ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س ، لَ .

(٦) لَ : « الْمَوْلُودِينَ » .

(٧) ط : « وَالثَّانِيَّةُ » وَلِ « الثَّانِيَّةُ » س : « الثَّانِيَّةُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٨) ط ، لَ : « وَقَدْ قَالُوهُ » ، وَالْوَجْهُ مَا كَتَبْتَ مِنْ س .

(٩) ط : « نَشَأْتِهِمْ » س : « نَسَائِهِمْ » لَ : « نَاسًا » ، وَلَمَّا الصُّوَابُ فِيهَا أَثْبَتَ .

(١٠) لَ : « وَلَدٌ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ .

وأنا رأيت^(١) أبا عمرو [الشياني] وقد بلغ من استجاداته هذين البيتين ،
ونحن في المسجد يوم الجمعة ، أن كلّف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً ٤١
حتى كتبهما له . وأنا أزم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً .
ولولا أن أدخل في [الحكم] بعض الفتك^(٢) لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً
أبداً^(٣) ، وهما قوله :

لَا تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَىٰ فَلَمَّا مَوْتُ سَوَالِ الرُّجَالِ^(٤)
كَلَامُهَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَفْطَحَ مِنْ ذَلِكَ لَذَلِكَ السُّوَالِ^(٥)

(القول في المعنى واللفظ)

وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى ، والمعاني مطروحة في الطريق
يعرفها المعجمي^١ والعربي^٢ ، والبدوي^٣ والقروي^٤ ، [والمديني] . وإنما الشأن
في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ^(٦) ، ومهولة المخرج^(٧) ، [وكثرة المساء] ،

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المحون . وفي ط ، س : « القتل » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا في ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفي ل : « أشد من ذلك على

كل حال » . وفي المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذلك لذل السؤال » . ومن

الغريب أن ينسب الجاحظ على أبي عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره

فيجعل البيتين في مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « تميز » وفي س : « وتخيّر » .

(٧) ط : « ومهولته ومهولة المخرج » .

وفى صحة الطبع وجودة السبك^(١) ، فإنما الشعر صناعة^(٢) ، وضرب من النسيج^(٣) ، وجنس من التصوير .

وقد قيل للخليل بن أحمد : مالك لا تقول للشعر ؟ قال : «الذى يجيئنى لأرضاه ، والذى أرضاه لا يجيئنى » .

فأنا أستحسن هذا الكلام ، كما أستحسن جواب الأعرابي حين قيل له : كيف تمجدك ؟ قال : [أجدنى] أجد ما لا أشتهى ، وأشهى ما لا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفع : مالك لا تجوز^(٤) البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إن جُرئتها^(٥) عرفوا صاحبها . فقال له السائل : وما عليك أن تعرف بالطوال الجياد ؟ ! [فعمل أنه لم يفهم عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابي)

ونقول : إن^(٦) الفرق بين المولد والأعرابي : أن المولد يقول^(٧) بنشاطه وجمع^(٨) باله ، الأبيات^(٩) اللاحقة بأشعار أهل البدو ، فإذا^(١٠) أمعن انحلت قوته ، واضطرب كلامه .

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » ما سبق .

(٢) ل : « صياغة » .

(٣) ط فقط : « النسيج » .

(٤) أى تتجاوز . وفى ط ، س : « تجوز » بحرفه .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « جودتها » وهو تحريف .

(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف : « ونقول » .

(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .

(٨) ط : « وجمع » ، والوجه ما أثبت من س ، ل .

(٩) كذا فى ل . ويخالف ط ، س : « فنبه » .

(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر في تعظيم الأشراف)

وفي شبيه بمعنى مهلهل وأبي نؤاس ، في التعظيم والإطراق عند السادة ،

يقول الشاعر^(١) في بعض بني مروان :

في كفه خيرَ رآنٍ ربحه عيِّقٌ في كفٍّ أروعَ في عرينه شَمٌّ^(٢)
بفضي حياءٍ وبفضي من مهابة فإ يكلم إلا حين يتيمم
إن قال قال بما يهوى جميعهم وإن تكلم يوماً ساخت الكلم
كم هاتف بك من داعٍ وهاتفٍ يدعوك يا قدام الخيرات يا قدام^(٣)

وقال أبو نؤاس في مثل ذلك^(٤) :

فترى السادات مائلة^(٥) يسلي الشمس من قمر
فهم شقى طئوهم حذر المطوى من خبر^(٦)

(١) هو الفرزدق يقوله في هشام بن عبد الملك كما في أمال المرتضى (١ : ٤٨)
وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزبن الكنانى في عبد الملك بن مروان كما في ديوان
الحصاة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق في حل بن الحسين كما في الصدة (٢ : ١١٠)
وأمال المرتضى . أو لعين المنقري فيه ، كما في الصدة . أو لكثير بن كثير السجى
في محمد بن حل بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لدود بن سلم في قم بن العباس ، كما
في الصدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ
من النسبة هنا ، وكذلك في البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة في
حيون الأعيان (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منها .

(٢) ل ، س : « ربحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يملح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، كما في الديوان ٦٦ من قصيدته
المشجورة التي مطلعها :

أيا المتألم من حفره لست من ليل ولا صبره

(٥) مائلة : واقفة ، يعنى لإجلاله . وهذه رواية ل والديوان . وفي ط ، س :

« مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) في الديوان : « حذر الكتون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرَمَةَ في مديحِ المنصور ، وهو شبيهُ بهذا
وليس منه :

له لحظات عن خِفَائِي سريره^(١) إذا كَرَّها فيها عقابٌ وناقلٌ^(٢)
٤٢ فأمَّ الذي أَمُنْتَ آمِنَةَ الرَّدَى وأُمَّ الذي أوعدتَ بالشكلِ ثاكلٌ^(٣)

(شعر في الحلف والعقد)

وقال مُهلِلٌ ، وهو يقع في باب الحلف وكُدَّ بعقد^(٤) :

[ملنا على وائل وأفلتنا يوماً عدى جَرِيَمَةَ الذَّقَنِ^(٥)]
دفعْتُ عنه الرِّمَاحَ مجتهداً حِفْظاً لِحَلْقِي وحلف ذى يَمَنِ^(٦)
أذكرُ مِنْ عهدنا وعهدِهِمْ عهداً وثيقاً بِمَسْحَرِ البُدنِ
مابلٌ بِحَرٍّ كفا بصوقها^(٧) وما أنافَ الهضابُ من حَضَنِ^(٨)
يزيده اللَّيْلُ والنَّهَارُ معاً شَدّاً ، خِرَاطُ الجُمُوحِ في الشُّطُنِ^(٩)

(١) كذا في س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعبون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفي ل :

« عن خفان » وفي ط : « في خفان » . وفي العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن
خفاه سريرة » . وفي المدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفاني سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردي » وتصحيحه من س ، ل . وفي ل : « حاولت بالفكل »
وفي س : « أنكلت » .

(٤) ط فقط : « في باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال في المثل : أفلني جريمة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن
ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلاً لإفلات الجبان . اللسان (جرح) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يني » وهو تحريف .

(٧) في اللسان : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحده
صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكله مابل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها »
وهو تحريف .

(٨) حَضَن ، بالتحريك : جبل بأصل نجد . وفي ط ، س : « حَضَن » مصحف .
وفيها أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماع . والشطن : الحيل . ط ، س : « خراط الجموع »
وصوابه من ل .

(شعر في مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حنّ^(١) التغلبي :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهم ولسنا كمن يرضيكم بالعلق^(٢)
فائل شرّحيلاً بنا ومحلاً غداة نكر الخيل في كلّ خندق^(٣)
لعمرك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموقر^(٤)
فقام ابنُ كلثوم إلى السيف مُفضباً فأمسك من ندمائه بالخنق^(٥)
وعمه عمداً على الرأس ضربةً بذى شطبٍ صافي الحديد عصفق^(٦)

(١) جابر بن حنّ أحد شعراء المفضليات . وفي ط ، ص : « ضابي بن حينا »
وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أنثون التغلبي كما في الشعراء ٩٦ والأغاني (٩ :
١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ما أثبت من ط ، ص .

(٣) ط : « فائل شريكاً نائباً ومحلاً » . ص : « فائل شريكاً نائباً ومحلاً » ، وأثبت
ما في ل . وفي ص : « تكرر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليل أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة .
انظر لها الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) اللثمان ، بالفتح ، التدم ، والمراد به عمرو بن هند . وفي ل : « ندمائه »
وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالحنق » وهو تحريف كذلك . وفي ص :
« بالحنق » .

(٦) الشطب : طرائق السيف . و « الحديد » هي في الأصل « الحديد » ، وأثبت ما في
الأغاني ليستقيم الشعر . والحنق ، كتبت : العريض من السيوف . وفي ط :
« حنق » وفي ص : « محقق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر في الأقارب)

وقال المتلمس :

على كلهم آسى وللأصل زلقة فزحزح عن الأدنين أن يتصدعوا
وقد كان إخواني كريماً جوارهم ولكن أصل العود من حيث ينزع

وقال المتلمس :

ولو غير أخواي أراؤوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرائن ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفد بكف له أخرى فأصبح أجلدا
يداه أصابت هذه حنف هذه فلم تجدد الأخرى عليها مقلدا
فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساعداً لتأبيه الشجاع نصمدا^(١)
أحارث إنا لو تساط دماؤنا نزايلن حتى لا يمسه دم دما^(٢)

(تفسير كلمة لعر)

قال : وسألت عن قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لأبي
مريم الحنفي^(٣) : والله لأننا أشد بغضاً لك من الأرض للدم^(٤) ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخطط . وفي ط ، س : « تساطط » ، وصوابه في ل . وكانوا يمتثلون
أنه إذا غلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه لياس بن صبيح ، كان من أهل البصرة وكان من أصحاب مسيامة ، وهو قتل
زيد بن الخطاب بن نفيل يوم البصرة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة
بعد عمران بن الحصين في زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) :
وقال أبو الحسن في شرح الكامل : ثقة كوفي . الكامل ٣٤٦ لبيسك .

(٤) النص في الكامل : « والله لا أعيبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال :
أعنتني حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّمَّ الجارى من كلِّ شىءٍ بَيْنَ ، لا يفيضُ فى الأرض ، ومتى جفَّ
[وتجلَّب] ففرقه ^(١) رأيتَ مكانه أبيض .

إلا أنَّ صاحب المنطق قال فى كتابه فى الحيوان : كذلك الدَّماء ، إلاَّ ٤٣
دَمَ البعير .

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوَلَّبٍ ^(٢) :

إذا كنتَ فى سعدٍ ، وأملكُ منهمُ غريباً فلا تفرُّكْ أملكَ من سعدٍ ^(٣)
وقال ^(٤) :

وإنَّ ابنَ أختِ القومِ مُصغى إنَّؤه إذا لم يُزَاحِمْ خالهُ بأبٍ جَلَدٍ ^(٥)

(١) قرره : نشره . وفى ط ، س : « فقرقه » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) فى محاضرات الرأغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن علة . وفى الحاشية
(١ : ٢٠٠) إلى حسان بن علة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يفرُّك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليسك
ومحاضرات الرأغب والعهده (١ : ٤٣) والحاشية ، وعيون الأغيار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذلك بالأصل . والبيتان متصلان كما فى جميع المراجع السابقة ماعدا العقدة ، والرواية
فيها جميعاً ماعدا العقدة ؛ فإنه لم يرو البيت الثانى : « فإنَّ ابنَ أختِ القومِ » . وبهذه
البيت السابق ، كما فى العقد وشرح التبريزى (٢ : ٤١) :

إذا صادوا كيسان كانت كهولهم إلى القدر أدنى من شياهم المرء
قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون
القدر فى الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إنَّؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المحقق (١٣ : ١٦١) .
وفى اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَحَيَّرَهُ اللهُ الْفَسَادَ لِدِينِهِ عَلَى عِلْمِهِ وَاللهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسٌ^(١)

وقال آخر :

وَمَا تَرَكَ الْمَاجُونَ لِي فِي أَدِيمِكُمْ مَصْحًا وَلَكِنِّي أَرَى مُتَرَقِّعًا^(٢)

وقال العجلي ، أو العكلى^(٣) ، لنوح بن جرير :

[أَتَسْبِي فَأَرَاكَ مِثْلَ سُبَّةٍ وَأَسْبُ جَدَّكَ سَبِيٍّ أَيْنَا]

ولقد أرى والمقتضى متجوز^(٤) يانوحُ أَنْ أَبَاكَ لَا يُوفِينَا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَصِلَّهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْ

(شعر في صاحب السوء)

وقال المقتنع الكندي^(٥) :

وَصَاحِبِ السُّوءِ كَالذَّاءِ الْعِيَاءِ إِذَا مَا أَرَفَضَ فِي الْجُوفِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا^(٦)

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « تخيَّره رب العباد . . . بالعبد أمرت » .

(٢) المصح : موضع الصفة . س : « مترفعاً » وهو تصحيف ، صوابه في اللسان والمقاييس (رفع) .

(٣) كذا في س . وفي ط : « وقال العجلى ، أو العكلى » وفي ل :

« وقال العكلى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفي س : « ولقد

رأونا والقضا متخون » .

(٥) المقتنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا سفر اللثام عن

وجهه أصابته العين ، فكان لا يمشي إلا مقنناً . واسمه محمد بن ظفر بن صير .

شاعر مقل من شعراء النحلة الأموية . الأغاني (١٥ : ٧٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) ذاء عياء : لا يبرأ منه . وفي ل : « كالهاء الضال » .

يُنْبِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفَنًا^(١)
كَمُهِرٍ سَوَاهٍ إِذَا رَقَعَتْ سَيْرَتَهُ رَامَ الْجَمَاحِ وَإِنْ خَفَضَتْ حَرَنًا^(٢)
إِنْ يَنْحَى ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَنْزِلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَعْرِفْ لَهُ جَنَّتَنَا^(٣)

باب^(١)

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أَنَّ الذَّنْبَ^(٥) يَصِيدُ الطَّيْرَ وَيُرِيغُهُ^(٦) وَيُعَارِضُهُ ، فَإِذَا دَخَلَ
الحرم كَفَّ عَنْهُ .

ومن خصاله أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى الْكَعْبَةِ حَامٍ^(٧) [إِلَّا وَهُوَ عَلِيلٌ . يُعْرِفُ
ذَلِكَ مَنْ امْتَحَنَ وَتَعَرَّفَتْ حَالُهُ^(٨) . وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا] مَا دَامَ صَحِيحًا .
ومن خصاله أَنَّهُ إِذَا حَاذَى أَعْلَى الْكَعْبَةِ عَرَفَةً^(٩) مِنَ الطَّيْرِ كَالْإِلَهِامِ
وغيره ، انْفَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمِهَا^(١٠) طَائِرٌ مِنْهَا .

(١) ل : « يَجْرَى وَيُخْبِر » ، وفي الشعراء : « يَنْبِي وَيُخْبِر » .

(٢) رفع سَيْرَتِهِ : زَادَ فِي سِرْعَةِ سَيْرِهِ .

(٣) الْجَنَنُ ، بِالْتَّحْرِيكِ : الْقَبْرِ . وفي ل : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ لَا تَشْهَدُ لَهُ جَنَّتَا » ، وهو
تَحْرِيفٌ مِمَّا فِي الشُّعْرَاءِ : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَشْهَدُ » .

(٤) قِيلَ هَذَا فِي ل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

(٥) كَذَا فِي ل وَتَمَارِ الْقُلُوبِ ١٣ وَمُعَاضِرَاتُ الرَّاغِبِ (٢ : ٢٦٣) . وفي ط ،

س : « الْكَلْب » ، وَلَيْسَ مُرَادًا .

(٦) يَرِيغُهُ : يَطْلُبُهُ .

(٧) ط ، س : « عَلَى الْكَعْبَةِ حَامٍ » .

(٨) فِي تَمَارِ الْقُلُوبِ : « عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ امْتَحَنَهُ وَتَعَرَّفَ حَالَهُ » .

(٩) الْعَرَفَةُ ، بِالْتَّحْرِيكِ : السُّطْرُ مِنَ الطَّيْرِ ، أَوْ الْخَلِيلُ ، وَالْجَمْعُ عَرَقٌ . وفي ط ، س

و عَرَفٌ وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(١٠) ط : « يَعْلَمُهَا » وَصَوَابُهُ فِي س ، ل .

ومن خصاله [أنه ^(١)] إذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق ، كان الخصب والمطر في تلك السنة في شق العراق ، [وإذا أصاب الذي من ^(٢) شق الشام كان الخصب ^(٣) والمطر في تلك السنة في شق الشام] ، وإذا ^(٤) عم جوانب البيت كان المطر والصب عامًا في سائر ^(٥) البلدان .

٤٤ ومن خصال الحرم أن حصى الجوار يرمى بها في ذلك المرمى ، مَذْيُومٌ حَجَّ النَّاسُ الْبَيْتَ عَلَى طَوَالِ الدَّهْرِ ، ثُمَّ كَانَتْهُ عَلَى مَقْدَارٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ لَا مَوْضِعُ الْآيَةِ وَالْعَلَامَةِ وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي فِيهَا ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَالْجِبَالِ . هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكْسَحَهُ السُّيُولُ ، وَيَأْخُذَ مِنْهُ النَّاسُ .

ومن سننهم : أن كلَّ مَنْ علا الكعبة من العبد فهو حرٌّ ، لَا يَرُونَ الْمَلِكَ عَلَى مِنْعِهَا ، وَلَا يَجْمَعُونَ بَيْنَ [عَزَّ] عَلَوُهَا وَذِلَّةِ ^(٦) الْمَلِكِ . وَبِمَكَّةَ رَجَالٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ لَمْ يَدْخُلُوا الْكَعْبَةَ قَطْرًا .

وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَبْنُونَ بَيْتًا مَرْبِعًا ، نَعْظِيًا لِلْكَعْبَةِ . [وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ بَيْتٍ مَرْبِعٍ كَعْبَةً ، وَمِنْهُ : كَعْبَةُ نَجْرَانَ] . وَكَانَ ^(٧) أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتًا مَرْبِعًا حُمَيْدُ بْنُ زَهْرٍ ^(٨) ، أَحَدُ بَنِي أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى .

ثُمَّ الْبَرَكَةُ وَالشِّفَاءُ الَّذِي يَجِدُهُ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليتا بالأصل . وهما من ثمار القنوب .

(٣) في الأصل ، أَى لَ الَّتِي مِنْهَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ : « الْمَطَرُ » ، وَتَصْغِيرُهُ مِنْ ثَمَارِ الْقُنُوبِ .

(٤) ل : « فَإِذَا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل واثبات .

(٦) كَذَا فِي ل . وَقَطْ س : « وَبَيْنَ » . وَقِي الثَّمَار : « وَذَلِ الرَّق » .

(٧) كَذَا فِي ل . وَقَطْ س : « فَكَانَ » .

(٨) هُوَ حُمَيْدُ بْنُ زَهْرٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ . وَكَانَتْ لَهُ دَارٌ مُلَاصِقَةٌ لِلْمَسْجِدِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِسَابَةِ ١٨٣٣ .

وكثرة من يُقيم عليه يجد فيه الشفاء ، بعد أن لم ^(١) يدخ في الأرض حمة ^(٢)
إلا أنها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع ^(٣) فيها .

هذا مع شأن القيل ، والطير الأبايل ، والحجارة السجيل ، وأنهم لم
تزل أمنا ولقاحاً ^(٤) ، لا تؤدى إناوة ، ولا تدن للملوك ، ولذلك سُمي البيت
العتيق ، لأنه لم يزل حرًا لم يملكه أحد .

وقال حرب بن أمية في ذلك ^(٥) :

أبا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلَاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَى مِنْ قَرِيْشٍ ^(٦)
فَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَعِيشَ فِيهِمْ أبا مَطَرٍ هَلَيْتَ لِحَبْرِ عَيْشٍ ^(٧)
وَتَنْزِلَ بِلَدَةٍ عَزَتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ ^(٨)
وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَحَابَّةً لِلنَّاسِ وَآمَنًا
وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عز وجل ، حكاية عن إبراهيم

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبج ، يستنق بها الأملاء .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفي ط ، س : « وانتقع » ، والوجه
مألوف من ل .

(٤) في السكامل ٧٠٦ ليسك : « والقاح : الذي ليس في سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبي مَطَرٍ الحَضْرَى ، يدعوهُ إِلَى حَلْفِهِ وَنَزُولِ مَكَّةِ . كَامِلُ الْمَبْرَدِ .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت في السكامل ضبط قطام . وقال ياقوت
في المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال الصبراني : وفي كتاب
التسكيلة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب « ينحى التنوين . في س : « فتكفك »
وفي المعجم : « ليكفك » ، وفي السكامل « فتكفك كالتدائى » ، والمعنى مستقيم بالجمع .

(٧) س : « فتأمن وسطهم » .

(٨) كذا في ط ، س ، والمعجم ، والسكامل . وفي ل فقط : « عزت لقاحا »

وفي المعجم : « أن يثلك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هي طيبة ، ولطيفها قيل تليظ خبثها وينصع طيبها . وفي ربح ترابها وبنة^(١) تربتها ، وعرف ترابها^(٢) ونسيم هواؤها ، والنعمة^(٣) التي توجد في سِكَكِهَا وفي حيطانها - دليل على أنها جعلت آية حين جعلت حرماً .

وكل^(٤) من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق [ربح] الهواء والبرية^(٥) في كل بلدة فإنه لا بد عند الاستنشاق والتثبت من أن يجدها مننة . فذلك^(٦) على طبقات من شأن البلدان ، إلا ما كان في مدينة الرسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فللمصباح^(٧) والعطر والبحور

(١) البنية ، بالفتح : الريح الطيبة . وفي س : « ثبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا في ط ، س ، وثمان القلوب ٤٣٦ . وفي ل : « والنعمة » ، وهذه محرفة لاريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « نعمة » من نعم الملك البيت : طيبة .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه في س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) المصباح ، بوزن كتان : صطر . ط ، س : « فللمصباح » تحريف ما أثبت .

وفي ل : « والمصباح » .

والنضوح^(١) ، من الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعافُ ما يوجد له في غيرها من البلدان ، وإن كان الصِّيَّاح^(٢) أجود ، والعطر أفخر ، والبخور أثمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

وَرُبَّتْ بلدةٌ يستحيل^(٣) فيها العطرُ وتذهب رائحته ، كقَصَبَةِ الأهواز . ٤٥
وقد كان الرشيدُ همُّ بالإقامة بأنطاكية ، وكره أهلها ذلك ، فقال شيخٌ منهم ، وصدَّقه : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنَّ الطَّيِّبَ الفاخرَ يتغيَّرُ فيها حتَّى لا يُنْضَعَ منه بكثير^(٤) شيء ، والسَّلاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلعةٍ الهند^(٥) ، ومن طبع^(٦) اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

(١) النضوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « والنضوح » ، وفي س : « والنضوح » ، وفي ل : « والنضوح » ، والصواب ما أثبتت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س : للصباح ، تحريف ما أثبت من ل . وانظر التلطيح الذي قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد محوه في معجم البلدان يرسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه القلعة تقرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان يرسم (القلعة) . وفي ط : « فلق » ، وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . واللى باليمن هو « القلعة » كما في المعجم والقاموس . وأثبت ما في ل .

شهرين ، ليس فيه سكoon^(١) . فلم يُقيم بها^(٢) . ثم ذكر المدينة فقال :
وإن الجهورية السوداء ، لتجعل في رأسها شيئاً من بلح ، وشيئاً من
نضوح ، مما لا قيمة له ، لهوانه على أهله ، فتجد لذلك^(٣) خُصرة طيبة^(٤)
وطيب رائحة لا يعلها^(٥) بيت عروس من ذوى الأقدار . حتى إن النوى
المنقع ، الذى يكون عند أهل العراق فى غاية النتن ، إذا طال إنقاعه ،
يكون عندهم فى غاية الطيب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب

ذكر الحمام^(١)

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشي^٢ ، وأهلي^٣ ، وبيوتي^٤ ، وطوراني^(٥) .
وكل طائر يعرف بالزواج ، وبحسن الصوت ، والمديلى ، والدعاء ، والترجيع
فهو حمام ، وإن خالف بعضه بعضاً فى بعض الصوت واللون ، وفى بعض القد

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكoon » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقرها » وتصح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه فى ل وثمار القلوب .

(٤) الخصرة ، معلقة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لا يعلها » . يعطها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .

(٧) الطوراني : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل ^(١) . وكذلك تختلف أجناس الدجاج ^(٢) على مثل ذلك ^(٣) ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دجاجاً : كالذيك الهندي والحيلامي ^(٤) والنبيطي ، وكذلك الدجاج ^(٥) السندي والزنجي وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعراب ^(٦) والبخت ، والقوالج ، والبهوئيات ^(٧) والصراصريات ^(٨) ، والخوش ، والنجب ^(٩) ، وغير ذلك من فحول الإبل ، ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلا .

وما ذاك إلا كمخالفة الجرذان والفار ، والنمل والذر ، وكاختلاف ^(١٠) الضأن والمعز ، وأجناس البقر الأهلية والبقر ^(١١) الوحشية ، وكقراية ما بينهما ^(١٢) وبين الجواميس .

(١) كذا في ل. وفي ط ، س : « وفي بعض النوح والهديل » . وفيها أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حمام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما في ل لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) اللاسي ، بالكسر : الذيك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها في ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العراب » .

(٧) البهوئيات من الإبل : ما بين الكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصراصريات : ما بين البخاق والعراب . ط : « الصراصريات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والخوش والخوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف في » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحياتُ والعقاربُ بضروب الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحياتٍ . وكذلك الكلابُ ، والفُرَّبان .
وحسبك بتفاوت ما بين الناس : كالزَّنج والصقالبة ، في الشعور والألوان ، وكياجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثل الكنعانيين^(١) والعماليق .
فقد تخالف الماعزة الضائنة^(٢) حتى لا يقع بينهما تماثل ولا تلاقح .
وهي في ذلك غنمٌ وشاء .

قال : والقمرى حمام ، والفاختة حمام ، والورشان حمام . والشفنين^(٣) حمام ، وكذلك الحمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التي فيها
٤٦ ترجع إلى الحمام التي لا تعرف^(٤) إلا بهذا الاسم .

قال : وقد زعم أفليمون^(٥) (صاحب الفراسة) أن الحمام يتخذُ
لضروب : منها ما يتخذ للأنس والنساء والبيوت ، ومنها ما يتخذ
للرجال^(٦) والسباق .

(١) ط : « الكنعانيين » ، محرقة .

(٢) ط ، س : « الضائنة » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « الشفنين »
تصحيف ما أثبت من س . « وافقنا لما في العمري .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « التي لا يعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير في فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصراً لبقراط ، وأظنه
شأن البار ، كان غريباً بالفراسة ، عالماً بها ؛ إذا رأى الشخص تركيبه ،
استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى
العربية . القفطي . قلت : وقد طبع كتابه في حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع في
خمس وأربعين صفحة . وفي ط ، س : « أفليمون » .

(٦) في الأصل : « لرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ .
وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزُّجَال : إرسال الحمام الموادي^(١)] .

(من مناقب الحمام)

ومن مناقب الحمام حبه للناس ، وأنس الناس به ، وأنت لم ترَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً ، ولا أقصد^(٢) مرتبةً من الحمام . وأسفل^(٣) النَّاس لا يكون دُون أن يتخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتخذها . وهي شيء يتخذ^(٤) ما بين الحجام إلى الملك^(٥) الحمام .

والحمام مع عمومِ شهوةِ النَّاس له ، ليس شيء مما يتخذونه همُّ أشدَّ شغفاً به^(٦) ولا أشدَّ صبايةً^(٧) منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك في الخِصيان كما تجده في الفحول ، وتجد^(٨) [في الصبيان كما تجده في الرجال ، وتجد^(٩) في الفتيان^(١٠) كما تجده في الشيوخ ، وتجد^(١١) في النساء كما تجده في الرجال . والحمام من الطير الميامين . وليس من الحيوان الذي تظهر له عورة وحجم قضيب^(١٢) كالكلب والحمار وأشباه ذلك ، فيكون ذلك مما يكون يجب على الرجال ألا يدخلوه دورهم .

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفي س : « أقصر » ، محركة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتخذها » ، وأثبت ما في ل . ط : « وهي شيء » ، ل : « وهو شيء » ، وأثبت ما في س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شغفاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت ما في ل .

(٧) ط فقط : « ضيافة » ، وهي تحريف ، لوجود الباء في كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل : « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب » ، بإتحام الواو .

(كلمة لمنى في الحمام)

قال مثنى بن زهير : ومن العجب أن الحمامَ مَلَقَى ، والسَّكْرَانِ مَوَقَى ،
فأنشده ابن يسير ^(١) بيت الخرمي ^(٢) :
وأعددتُه دُخْرًا لكلِّ مُلِمَةٍ وسهمُ النّايَا بالذّخائرِ مَوْلَعُ ^(٣)

(شرب الحمام)

ومنى رأى إنسانُ عطشانُ الدُّبِكَ والدّجاجةَ يشربان الماء ، ورأى
ذئبًا وكلبًا يلطعان الماء لطمًا ، ذَهَبَ عطشُهُ من قُبْحِ حَسْوِ الدبِكِ نَغْبَةً نَغْبَةً ^(٤) ،
ومن لطمِ الكلبِ . وإنَّه لَيَرى الحمامَ [وهو] يَشْرِبُ الماء ! وهو ^(٥) رِيَّانٌ ،
فيشتهي أن يَسْكِرَحَ في ذلك ^(٦) الماء معه .

- (١) هو محمد بن يسير ، نقلت ترجمته في (١ : ٥٩) . وفي الأصل : « ابن بشر »
وهذا تحريف .
(٢) في ط : « الخزمي » وفي س : « الخزمي » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب
إسحاق بن حسان . نقلت ترجمته في (١ : ٢٢٤) .
(٣) انظر المبرور (٦ : ٤٢٣) .
(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمدة والضم للاسم . وفي س :
« نغبة نغبة » ، وهو تحريف .
(٥) أي الإنسان .
(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفي ط ، س : « يشتهي أن يكون » ،
وله وجه .

(صدق رغبة الحمام في النسل)

والذيك والكلبُ في طلب^(١) السِّفاد [وفي طلب الذَّرء] كما قال
أبو الأَخير^(٢) الحِماني :

• لَا مَبْتَغَى الصَّنْه وَلَا بِالْمَازِلِ^(٣) •

والحمام أكثر معانيه الذَّرء وطلبُ الولد . فإذا علم الذَّكَرُ أَنَّهُ قد أودَعَ
[رحم] الأنثى ما يكون منه الولدُ تقدَّمَا في إعدادِ العشِّ ، ونقلِ القَصَبِ^(٤)
وشقِّق^(٥) الأنحوص ، وأشياء ذلك من العِيدان الخوَّارة الدَّقَاقِ^(٦) حتَّى يعملَا
أفحوصة وينسجاها^(٧) نسجًا مداخلًا ، وفي الموضع الذي قد [رُضِيَا به] واتَّخِذَاهُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأَخير » وصوابه في ل . قال فيه صاحب المثلث ٥٢ : « أحد
بنَي عبد العزى بن كعب بن سمه بن زيد مائة بن تميم . وعبد العزى هو حان .
راجز محسن مشهور » .

(٣) الصَّنْه ، بالفصح ويكسر : الولد . وفي ط ، س : « الصنر » ، وصوابه في ل
والجزء الأول ص ١٩٥ والمازل فسرهُ الجاحظ في الجزء الأول ١١٠ . وفي ط ،
س : « بالمائل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفي ل :
« المازل » .

(٤) ل : « تقدما في نقل القصب » .

(٥) الشَّقِيق : جمع شقة بالكسر ، وهي القطعة المشقوقة ، ونصف الشيء إذا شق .
وفي ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت ماق ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوَّارة : الضعيفة . وفي ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه في ل ونهاية
الأرب . وفي ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على الصواب في ل ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « حتَّى يعملَا الخووص
وأشياء ذلك وينسجاها » .

واصطلماه ، بقدر جئان الحمامة ، ثم أشخصاً لتلك الأفحوصة حُرُوفاً غير مرتفعة ؛ لتحفظَ البَيضَ وتمنَّه من التَّدحرج ، [ولتلتزمَ كَتَفَيَّ ^(١)] الجَوْجُو [وتكون ^(٢)] رِفْداً لصاحبِ الحُضْنِ ، ومنَداً للبيض . ثمَّ يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القُرْمُوصَ ^(٣) . وتلك الأفحوصة ، يستخنانها ويدفئانها ^(٤) ، ويطيئانها ، وينفيان عنها طياعها الأول ^(٥) ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقةً من طياعهما ، ومستخرجةً من راحتي أبدانها وقواهما الفاصلة ^(٦) [منها ؛ لكي تقع البيضة إذا وقعت ، في موضعٍ أشبه الموضع طياعاً بأرحام الحمام] ^(٧) ، مع الحضانة والوثارة ^(٨) ؛ لكي ^(٩) لا تنكسر البيضة ببس الموضع ، ولتلاينكر طياعها ^(١٠) طياع المكان ، وليكونَ على مقدار من البرد والسخانة ^(١١) والرخاوة والصلابة . ثمَّ لِنَ صَرَبِهَا الخاضِ وطَرَقَت ^(١٢)

(١) في أصلها أي ل وكذا في نهاية الأرب . « كتفي » ، والوجه ما أثبت . والكنتف : الجانب . والجوجو من الطائر : صدره .

(٢) ط ، س : « ليكون » ، وفي ل : « وتكون » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .

(٣) القرموص ، بالضم : الشئ يبيض فيه الحمام . وفي ط : « القرموص » ، وصوابه في س ، ل .

(٤) ط فقط : « ويرقيانها » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الطياع ، بالكسر : الطبع .

(٦) الفاصلة : المتفصلة . وفي ط ، س : « الفاصلة » ، وما كتبت من ل أشبه .

(٧) حله الزيادة من ل ونهاية الأرب . ويلحق في ط ، س : « من أرحامهما » .

(٨) الوثارة : أن يكون الشئ موطأً مهاداً . وفي ط : « والاثارة » ، وصوابه في ل ، س .

(٩) ط : « لكن » وصوابه في ل ، س ونهاية الأرب .

(١٠) الطياع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طياعها » وفي س : « طياعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .

(١١) في ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وما بمعنى .

(١٢) طرقت تعريقاً : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

جبيضتها ، بَدَرَتْ ^(١) إلى الموضع الذي قد أَعَدَّته ، وتَحَامَلَتْ إلى المكان الذي اتَّخَذَتْه وصنعته ، إِلَّا أَنْ يُقَرَّعَهَا ^(٢) رَعْدُ قَاصِفٍ ، أو رِيحٌ عَاصِفٌ فَلِئِنَّهَا رُبَّمَا رَمَتْ بِهَا دُونَ كَيْفِهَا وَظَلَّ حُشْبُهَا ، وَيَقِيرُ مَوْضِعُهَا ^(٣) الذي اختارته . وَالرَّعْدُ رُبَّمَا مَرَّقَ ^(٤) عِنْدَهُ الْبَيْضَ وَفَسَدَ ، كَالْمَرَأَةِ الَّتِي تُسْقِطُ مِنَ الْفَرْعِ ، وَيَمُوتُ جَنْبَيْهَا مِنَ الرُّوعِ ^(٥) .

(عناية ذكر الحمام وأثناءه بالبيض)

وَإِذَا وَضَعَتِ الْبَيْضَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَلَا يَزَالَانِ يَتَعَاقَبَانِ الْحَفْنَ وَيَتَعَاوَرَانِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ ذَلِكَ الْبَيْضُ مَدَاهُ وَانْتَهَتْ أَيْامُهُ ، وَتَمَّ مِيقَاتُهُ الَّذِي وَطَّئَهُ خَالِقُهُ ، وَدَبَّرَهُ صَاحِبُهُ ^(٦) ، انْصَلَعَ الْقَيْضُ ^(٧) عَنِ الْفَرْخِ ، فَخَرَجَ

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقيل هذه الكلمة في ط ، س : « ففصلت

أرحامها » ، وهي عبارة مشوَّعة وليست في ل ولا في نهاية الأرب .

(٢) كذا في ل ، س ونهاية الأرب . والتقرير : الإقلاق وهو الإزماج . ويجوز

أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْفَرْخِ بِمَعْنَى الضَّرْبِ . وَفِي ط فَقَطْ : « يَفْرَعُهَا » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط ما بين الكلمتين من كلام .

(٤) موقوت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مابل : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القَيْضُ ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التي يخرج ما فيها

من فرخ ، أو ماء . وَفِي ط ، س ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ : « الْبَيْضُ » ، وَالْمَعْنَى يَصْحُ بِكُلِّ نَحْوِهَا .

عارى الجِلْد ، صغيرَ الجَنَاح ، قليلَ الحِيلَة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانه على خلاصه من قيضه ^(١) وترويعه من ضيق هَوْتِه ^(٢) .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يعلمان أن الفرخين لا تنسج حلوقهما وحواصلهما ^(٣) للغذاء ، فلا يكون لهما ^(٤) عند ذلك همٌ إلا أن ينفخا في حلوقهما ^(٥) الريح ، لتتسع الحوصلة بعد التحامها ، وتنفث بعد ارتفاقها . ثم يعلمان ^(٦) أن الفرخ وإن اتسعت حوصلته شيئاً ، أنه لا يحتمل في أول اغتدائه أن يزق بالطعم ^(٧) ، فيزق عند ذلك باللعب المختلط بقواهما وقوى الطعم - وهم يسمون ذلك اللعاب الآباء ^(٨) - ثم يعلمان أن طبع حوصلته يرق ^(٩) عن استمراء الغذاء

(١) في الأصل : « يقيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الموة بالفتح : أصل منها الكوة ، وهى الحرق في الخائط ، والنقب في البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيص . والكلام من مبدل : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى ق ط : « هوانه » وقى س : « هوانه » وأوجه ما أثبت .

(٣) خبر عن المثنى بالجمع ، كما في الكتاب للمريز : « فقد صفت قلوبكما » أى صفا قليلا كما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبى .

(٥) ل : « حلقه » ، وأوجه ما أثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت ما فى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وقى ط ، س : « إنه أن امتنت الحوصلة شيئاً لا يحتمل في أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا ، والمعروف : « الآباء » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يصف » ، وصوابه من س .

وهضم الطعم^(١) ، وأن الحوصلة تحتاج إلى دبغ وتقوية ، ونحتاج إلى أن يكون لها بعض المتانة والصلابة ، فيأكلان من شورج^(٢) أصول الخيطان ، وهو^(٣) شيء بين المالح الخالص^(٤) وبين التراب المالح^(٥) ، فيزقانه به^(٦) حتى إذا علما أنه قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي قد غب^(٧) في حواصلهما ثم زقاه بعد ذلك بالحب الذي^(٨) هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزقانه بالحب والماء على مقدار قوته ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبض نحوهما^(٩) حتى إذا علما أنه قد أطاق اللقط منعه بعض المنع ، ليجتاح إلى اللقط فيتموده ، حتى إذا علما أن أذاته^(١٠) قد تمت ، وأن أسبابه قد اجتمعت وأنها إن قطعاه فطما مقطوعا مجلودا^(١١) قوى على اللقط ، وبلغ لنفسه منتهى حاجته - ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونفياه متى رجع إليهما^(١٢)

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشورج : نوع من المالح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهذه الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « صروج » وفي س : « صروج » ، ل وهيون الأختار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « سورج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : « هو » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما في ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما في ل .

(٦) كذا في ل : ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « فيزقان القرخ » .

(٧) غب : أصل منها بات . والمراد مكث طويلا حتى لان .

(٨) في الأصل ، أي ل : « الحب » ، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله في الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتملق يشفيه .

(١٠) ط : « أذاته » ، وصوابها في ل ، س .

(١١) أي منقطعا لا عودة بعده إلى الترق . وفي ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة في ط ، س كلمة : « العادة » وليست في ل ، ولا في نهاية الأرب .

ثم تَنْزَعُ [عنهما] تلك الرحمة العجيبة منهما له ، وينسيان ذلك العطف المتمكّن عليه ^(١) ، ويُذهَلان عن تلك الأثرة [له] ، والسكّد المضنى ^(٢) من الغدوّ عليه ، والرواح إليه ^(٣) . ثم يتبديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك النظام وعلى تلك المقدمات ^(٤) .

٤٨ فسبحان من عرفهما وألفهما ، وهما ^(٥) ، وجعلهما دلالةً لمن استدلّ ، ونخيراً صادقاً لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين .

(حالات الطّم الذى يصير فى أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطّم الذى يصير فى أجواف الحيوان ، وكيف تتصرّف به الحالاتُ ، وتختلف فى أجناسه الوجوه ^(١) : فمنها ^(٢) ما يكون مثل زق الحمام لفرخه ، والزق ^(٣) فى معنى القىء أو فى معنى التقبؤ وليس بهما ^(٤) ، وجرة البعير والشاة والبقرة فى معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

(١) ليست فى ل .

(٢) ل : « والسكّد عليه » .

(٣) « من الغدوّ . . . » إلخ ليس فى ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ماو ل : به تصحيح

كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) فى الأصل : « وهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف فى أجناسها الوجوه » ، ل : « فى أجناسه فى الوجوه »

وصحبت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أى من الحالات . وق ل : « فته » .

(٨) ط ، س : « التقبؤ وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود في خَفَظِهِ^(١) الأول واستقصاء طعمه . وربما كانت الجِرَّةُ رجيعاً .
والرجيع : أن يعود على ما قد أعاد عليه مرَّةً حتَّى ينزعه من جوفه ، ويقبله
عن جهته .

(زَقَّ الحَمام)

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُسْتَكَنِّهِ وقراره^(٢) ، وموضع حاجته
واستمرائه ، بالأثرَةِ والبيرِّ ، إلى حوصلة ولده . [قد] ملك ذلك وطابت به نفسه
ولم تَغْنَثْ عليه نفسه^(٣) ولم يَتَقَدَّرْ^(٤) من صنيعه ، ولم تَحْبُبْ نفسه^(٥) ، ولم
تتغير شهوته . ولعلَّ لَذَّتْ^(٦) في إخراجِه أن تكونَ كَلَذَتْ^(٧) في إدخاله ،
ولنما اللذة في مثل هذا بالمجاري^(٨) ، كنحو ما يعتري سَجْوَى النُطفَةِ من
استلذاذ مُرور النُطفَةِ ، فهذا شأنُ قَلْبِ الحَمام ما في جوفه ، وإخراجه بعد
إدخاله . والتساح يخرجه^(٩) على أَنَّهُ رجعه ونجوه^(١٠) الذي لا يخرج له ولا فرج
[له] في سواه .

-
- (١) كذا في ط ، س . وفي ل : « طعمته » .
(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما في ل أشبه
بلفظ الجاحظ .
(٣) يقال غنثت نفسه : لقيت ، أي غثيت غثياناً . وفي ط ، س : « تغنث » ، ولم
أجد لها وجهاً . وهذه الجملة ساقطة من ل .
(٤) س : « يتقزز » ، ومؤدماً واحد .
(٥) انظر ما جاء خاصاً بهذا التعبير في ١ : ٣٣٥ س ١٠ .
(٦) ط ، س : « لذاته » .
(٧) ط ، س ، « كلذاته » .
(٨) ط ، س : « كالمجاري » ، تحريف مأثبات من ل .
(٩) ط ، س : « والتساح إخراجُه » ، وصوابه في ل . وانظر ما سبق .
(١٠) ط ، س : « ونجوه » ، وهو تصحيف ما في ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسان لما يعرض من الداء ، فلا يعرف ^(١) إلا الأكل والقىء ، ولا يعرف النجوى إلا في الحين على بعض الشدة . وليس ما عرّض بسبب آفة كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسُّنور والكلب على خلاف ذلك كله ، لأنهما يُجْزَّان بعارض يعرض لهما من خُبث النفس ، ومن الفساد ^(٢) ، ومن التَّوْثِير والانتقاض ^(٣) ثمَّ يعودان بعد ^(٤) ذلك فيه من ساعتها ، مشتهين له ، حريصين عليه . والإنسان إذا ذرعه ذلك لم يكن شيء أبغض إليه منه ، وربما استقاء وتكلّف ذلك لبعض الأمر . وليس التكلف في هذا الباب إلا له .

وذوات الكروش كلها تَقَعَصُ ^(٥) بجرّتها ، فإذا أجادت مضغّه أعادته ، والجرّة هي ^(٦) القرث ، وأشدُّ من ذلك أن تكون ^(٧) رجيعاً ، فهي تجمد مضغّها وإعادتها إلى مكانها ، إلا أن ذلك مما لا يجوز أفواهاها ^(٨) . وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير ، بوجه من الوجوه .

(١) ل : « يعرض » .

(٢) المراد بخبث النفس ما يعرض لها من التقرّز والفتيان . وفي س : « من حيث النفس والفساد » ، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاض » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القمص الطعن الوحى ، أى السريح .

(٦) ط ، س : « وهو » ، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لا يجوز أفواهاها » .

[وقد يعترى سباع الطير شبيه بالقىء ، وهو الذى يسمونه « الزُمَج » ^(١) .
وبعضُ السَّمَكِ يقيء قيئاً خريماً ، كالبلال ، فإنه ربما دسَّح الدَّسَمَة ^(٢) ،
فتلقى ^(٣) بعض المراكب ، فيلقون من ذلك شدة . والناقَة الضجور ربما
دسَّعتُ بِجَرَّتِهَا في وجه الذى يرُحِّلُهَا ^(٤) أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدَّ
الأذى . ومعلومٌ أَنَّهَا تفعلُ ذلك على عمد .

فلنوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولنوات الكروش من الظلف
وانخف فى ذلك مذهب ، ولنوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسمك
والتمساح الذى يشبه السمك فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن ^(٥) هو إلا معاليق ^(٦) فيه ، وأنه فى صورة
الجراب ، مفتوح القم ، مسدود الدُّبُر ، ولم أحقَّ ذلك ، وما أكثر من
لا يعرف الحال فيه .

(الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القول فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نزعَت
الرحمة منه ، وذلك أنه يبتدىء الذكرُ الدَّعْءَ والطرْدَ ، وتبتدىء الأنثى بالتأنُّى

(١) الزمَج : أحد نوعى العقاب ، والثالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف
الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك . النيمرى .

(٢) دسَّح : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرُحِّلُهَا ، بضم الحاء : يحيط عليها الرجل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا . وزدتها لتعاجة إليها .

(٦) جميع معلاق ، وهو الثَّانِ .

والاستدعاء ، ثم تزيّف وتتشكّل^(١) ، ثم تمكّن وتمنع ، وتجيّب وتصدف^(٢) بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاولان ، ويحدث لهما من الغزل والغفل^(٣) ، ومن السوف^(٤) والقبل ، ومن المصّ والرشف ، ومن التنفّخ والتنفّج ، ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم في جوف الفم ، وذلك من التطاعم ، وهى المطاعمة . وقال الشاعر :

لم أعطها يلى إذ بثّ أرشّفها إلا تطاول غصن الجيد بالجميل^(٥)
كما تطاعم في خضراء ناعمة مطوّقان أصباخا بعد تغريد
هذا مع إرسالها جناحها وكفها على الأرض ، ومع تدرعها وتبعلها^(٦)
ومع تصاوله وتطاوله ، ومع تنفّجه وتنفّخه ، مع ما يعتريه مع الحكمة والغفل^(٧)
والتنفّش^(٨) حتى تراه وقد رى فيه بمثله^(٩) .

ثم الذى ترى من كسحه بذنبه^(١٠) ، وارتفاعه بصدرة ، ومن ضربه بجناحه ، ومن فرحه ومراحه بعد قمطه والفراغ من شهوته ، ثم يعتريه ذلك في الوقت الذى يفتر فيه أنكح الناس .

-
- (١) تزيّف : تنشر جناحها وذنبها وتسحبها على الأرض . وتشكّل : من الشكل بالفصح : وهو التفج والدلال والغزل .
- (٢) الغفل : التلوى .
- (٣) السوف : الشم .
- (٤) عطا الشيء يعلوه : تناوله بيده .
- (٥) في الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . الخ . وكلمة « هو » لا حاجة إليها . والتدروع : أصل معناه لبس الدرع . والتبيل : التزين للجميل .
- (٦) التنفّش : بالفاء ، هو أن ينفخ الطائر ريشه . وفي الأصل : « والتنفّش » .
- (٧) كذا . وهنا تنهى الزيادة لى ابتدأت من مبدأ الصفحة السابقة ، وهى من ل .
- (٨) كسحه : كسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخصلة يفوق بها جميع الحيوان ، لأنَّ الإنسان الذى هو أكثرُ الخلق فى قوة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوان [فى التصنُّع و] التَّنْزَل ، والتشكُّل والتفُّل^(١) أقترُ ما يكون إذا فرغ ، وعندها ٤٩ يركبه الفُتور ، ويحبُّ فراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطه ، وترجعُ إليه قُوَّته .

والحمامُ أنشطُ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل^(٢) ، واللهو والجذل ، أبردُ ما يكون الإنسانُ وأقتره ، وأفطعُ ما يكون وأقصره^(٣) .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْلُ الشَّهْوَةِ ، والأخرى دوام الشهوة فى جميع الدهر ، والأخرى قوة التصنُّع والتكلف ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصَالَه كلها كانت دونَ قُوَّةِ الحمام عندَ فراغه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنسَكِرُها أحدٌ ، ومزِيَّةٌ لا يجحدُها أحدٌ !!

(١) ط ، س : « واتنح والشكل والتفيل » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الفنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد ما يكون الإنسان وأقتر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنَّ النَّاسَ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ نَشَاطِ الْحِمَامِ فِي وَقْتِ فِتْرَةِ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَا وَجَدُوهُ فِي الْبِغَالِ ؛ فَإِنَّ الْبِغَالَ تَحْمِلُ أَثْقَالَهَا عَشِيَّةً ، فَتُسِيرُ بَقِيَّةَ يَوْمِهَا وَسَوَادَ^(١) لَيْلَتِهَا ، وَصَدَرَ نَهَارٍ غَدِهَا^(٢) ، حَتَّى إِذَا حَطُّوا عَنْ جَمِيعِ مَا كَانَ حَمَلًا مِنْ أَصْنَافِ الدَّوَابِّ أَحْمَلَهَا^(٣) ، لَمْ يَكُنْ لَشَيْءٍ مِنْهَا هَمٌّ ، وَلَا لِمَنْ رَكِبَهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمَرَاغَةُ^(٤) وَالْمَاءُ وَالْعَلْفُ ، وَلِلْإِنْسَانِ الْاسْتِغْلَاءُ وَرَفْعُ الرُّجُلَيْنِ وَالْعُغْزُ وَالنَّأُوهُ^(٥) ، إِلَّا الْبِغَالَ فَلَيْلَتُهَا فِي وَقْتِ إَعْيَاءِ جَمِيعِ الدَّوَابِّ وَشِدَّةِ كَلَالِهَا ، وَشَغْلَهَا بِأَنْفُسِهَا مِمَّا مَرَّ عَلَيْهَا ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَمَلٌ إِلَّا أَنْ تَدُلِّيَ أَيْوَرَهَا وَتَشْطَّ^(٦) وَتَضْرِبَ بِهَا بِطُونَهَا ، وَتَحْطَّهَا وَتَرْفَعَهَا . وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَوْ رَأَى الْمَكَارِي أَمْرًا حَسَنًا لَمَا انْتَشَرَهَا وَلَا هَمَّ بِهَا . وَلَوْ كَانَ مُنْعِظًا ثُمَّ اعْتَرَاهُ بَعْضُ ذَلِكَ الْإِعْيَاءِ لَنَمَى الْإِنْعَاطُ .

وهذه خَصْلَةٌ تَخَالَفُ فِيهَا الْبِغَالُ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ . وَتَزْعُمُ الْعَمَلَةُ^(٧) أَنَّهَا تَلْتَمِسُ بِذَلِكَ الرَّاحَةَ وَتَتَدَاوَى بِهِ . فَلَيْسَ الْعَجَبُ — إِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا — إِلَّا فِي إِمْكَانِ ذَلِكَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ شَهْوَةٍ وَشَبَقٍ مُفْرِطٍ .

(١) ط ، س : « وسائر » .

(٢) ط ، س : « وصدر نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها » .

(٤) المِراغة : اسم من مرغه في التراب جملة يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من ميدل : « وللإنسان ساقط من ل » .

(٦) شط وأشط : أنشط . ط ، س : « تنشط » .

(٧) العلة ، بالتحريك : المايلون بأيديهم . وفي ل : « العوام » .

(النشاط المعجب لدى الأتراك)

وشبه آخرُ وشكلٌ من ذلك ، وذلك كالذى يُوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعدَ مسير الليل كله ويغضّر النهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقتِ ليس لهم إلا أن يتمددوا ويقبضوا^(١) دوابهم . والتركى فى ذلك الوقت إذا عاب طبيباً أو بعضَ الصَّيْد ، ابتَدَأ الرَّكْضَ بمثل نشاطه قبل أن يسيرَ ذلك السير ، وذلك وقتَ يَهْمُ فيه الخارجى والخصى أنفسهما^(٢) ، فإنَّهما المذكوران بالصبر على ظَهَر الدَّابَّة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرض بهيمةٌ تَفْطِمُ ولدَها عن اللبن دَفْعَةً واحدةً ، بل تجِدُ الطَّيِّبَةَ أو البَقْرَةَ أو الإِثْنَانَ أو الناقةَ ، إذا ظَنَّتْ أَنَّ ولدَها قد أَطَاعَ الأَكْلَ مَنَعَتْهُ بعضَ المنع ، ثم لا تزال تُنْزِلُ^(٣) ذلك المنع وترتبه وتدرجه ، حتَّى إذا علمتْ أَنَّ به غنى عنها إنْ هى فطمته فطاماً لا رَجْعَةً فيه ، مَنَعَتْهُ كُلَّ المنع .

(١) ل : « ويقعدوا » ، تحريف ماق ط ، ص .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما الجيول والمحاذر لقرى رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال من عهد والليف ينيو بيد الشارى

رسائل الجاسط ٢٧ ساسى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمى هذا التدبيرَ من البهائم التّعفير^(١) ، ولذلك قال ليبيد :
لمعقرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُجِنُّ طَعَامُهَا^(٢)
وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكونُ عملُ الحمامِ في فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنه يقلب بيضه ، حتى يصير الذى كان منه
يَلِي الأرضَ يَلِي بدنَ الحمام من بطنه وباطنِ جَنَاحِهِ ، حتى يُعْطَى جميعَ
البيضةِ نصيبها من الحظن ، ومن مَسَّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك
العملُ يفسدُه] .

وخصلةٌ أخرى محمودَةٌ في الحمام ، وذلك أن البغلَ المتولّد بينَ الحمامِ
والرَّمَكَةِ لا يبقِ له نسل ، والرَّاعِي^(٣) المتولّد فيها بينَ الحمامِ والوَرِشَانِ ،
بكثرِ نسله ويطولُ عمرُ ولده . والبُحْتُ والقوالج ، إن ضَرَبَ بعضها بعضاً
خرج الولدُ منقوصَ الخلق لا خير فيه . والحمامُ كيفما أدْرَتَه ، وكيفما
زَاجَتَ بينَ متفِقها ومختلفها ، يكونُ الولدُ^(٤) تامَّ الخلق ، مأمولَ الخير .

(١) « التّعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ٢ : ١٩٨ . س : « غُبْسٌ » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزراعى » ، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترميب ، وهو شاة
الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راضب .
السان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فن نتاج الحمام إذا كان مركباً مشتركاً [ماهو] ^(١) كالرابعي ^(٢) والورداني .
وعلى أن للورداني غرابية لون وظرافة ^(٣) قد ، وللرابعي ^(٤) فضيلة في عظم
البدن والفيراخر . وله من ^(٥) الهدبلر والقرقرة ما ليس لأبويه ، حتى صار ذلك
سبباً للزيادة في ثمنه ، وعلة للحرص على اتخاذه .

والغنم على قسمين : ضأن ومعر ، والبقر على قسمين : أحدهما الجواميس ،
إلا ما كان من بقر الوحش . [والظلف] إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافد
ولا تلاحح ، فهذه فضيلة للحمام في جهة الإنسال ^(٦) والإلقاح ، واتساع
الأرحام لأصناف القبول . وعلى أن ^(٧) بين سائر أجناس الحمام من الوردانيين ،
والقارئي ، والقواخت ، تسافداً وتلاححاً ^(٨) .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

ومما أشبه فيه الحمام الناس ، أن ساعات الحضان أكثرها على الأنثى ،
ولمّا يحضن الذكر في صدر النهار حصناً يسيراً ، والأنثى كالمرأة التي تكفل

(١) زدتها لينتم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالأربعي » ، وتصحيحه من ل . وانظر التبيين الثالث من
الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفاً ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « قراغي » ، وانظر ماسبق .

(٥) ط فقط : « ق » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه ق ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاحح » ، والوجه ما أثبت من ل .

الصبي تَفْطِمْهُ وتَمْرُضْهُ^(١) ، وتَمَهِّدْهُ بِأَمْهَيْدٍ والتَّحْرِيكَ . حتَّى إذا ذهب الحَضَنُ وانصرم وقته ، وصارَ البيضُ فِرَاحاً كالِيعَالِ في البيت ، يحتاجون إلى الطَّعامِ والشَّرَابِ ، صارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الزَّقِّ على الذَّكْرِ كما كان أَكْثَرُ سَاعَاتِ الحَضَنِ على الأنثى .

ومما أشبه فيه الحمام النَّاسَ [ما^(٢)] قال مثنى بن زهير (وهو إمام النَّاسِ في البصرة^(٣)) بالحمام وكان جيِّدَ القِرَامَةِ ، حاذقاً بالعلاج ، عارفاً بتدبير الخارجى إذا ظَهَرَتْ فِيهِ مَخِيلَةُ الخَيْرِ - و [اسم] الخارجى عندهم : المجهول - وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظَهَرَتْ فِيهِ عِلَامَاتُ السُّفْلَةِ وسوء الهداية^(٤) . وقد يمكن أن يَخْتَلِفَ ابْنُ قُرَشِيَّينَ^(٥) [وَيَنْتَدِبُ^(٦) ابن خُوَزَيٍّ^(٧) من نبطية^(٨)] . وإنما فَضَّلْنَا نِتَاجَ الْعِلْيَةِ على نِتَاجِ السُّفْلَةِ لِأَنَّ نِتَاجَ النُّجَابَةِ فِيهِمْ أَكْثَرُ ، والسُّقُوطُ في أولاد السفلة أعمُّ . فليس يوجب أن يكون السفلة^(٩) لَا تَلِدُ^(١٠) إِلَّا السُّفْلَةَ^(١١) وَالْعِلْيَةُ لَا تَلِدُ^(١٢) إِلَّا الْعِلْيَةَ . وقد يلدِ المَجْنُونُ العاقلَ ، والسخى البخيلَ ، والجميلُ القبيحَ .

٥١

-
- (١) التمرض : حسن القيام على المريض ، وكأنَّ التَّطْمِيعَ في سبيل المريض . وفي س : « تمرعه » أى تدلكه باللعن . وربما كانوا يطمعون ذلك بالقطم .
 (٢) زيادة يقتضيا الكلام . (٣) ط ، س : « في البصرة » ، وصوابه في ل .
 (٤) ما يأتى من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهير سيبدأ في السطر السادس من الصفحة الآتية .
 (٥) ط ، س : « قرشيين » وما صحیحان ، يقال قرشى وقرشى . ويختلف ، بضم اللام : يحمق .
 (٦) ينتدب : يكون ندبا ، أى ظرفاً نجيباً . في ل : « ينتدب » وس : « يندو » ولعل الصواب فيما وجهت به .
 (٧) الخوزى : المنسوب إلى خوزستان . وفي س : « خسروى » ، وهو تحريف ما في ل .
 (٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .
 (١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعي أن رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تزوّجت امرأة من العرب فأنظر إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فلنراها لا تخطئ الشبهة بواحدٍ منهم ! وإن كان هذا الموصى والحكيم ^(١) ، جعل ذلك حكماً عاماً ، فقد أسرف في القول ، وإن كان ذهب إلى التخويف والزجر والترهيب ، كي يختار لنفسه ، [و] لأن المتخير أكثر نجاسة ^(٢) فقد أحسن .

وقال مثنى بن زهير ^(٣) : لم أر شيئاً قط في رجلٍ وامرأة إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحام : رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، كالمرأة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيت حمامة لا تمتنع شيئاً من الذكورة ، ورأيت امرأة لا تمتنع يد لأمس ، ورأيت الحمامة لا تزيغ إلا بعد طرد شديد وشدة طلب ^(٤) ، ورأيتها تزيغ لأول ذكر يريد لها ساعة يقصده إليها ، ورأيت من النساء كذلك ، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمسك ذكر آخر لا تعدوه ، ورأيت مثل ذلك من النساء ، [و] رأيتها تزيغ لغبر ذكرها وذكرها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن ، ورأيت الحمامة تقمط الحام الذكور ^(٥) ، ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لي لا تقمط [إلا ^(٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط ، ولا تدع أنثى تقمطها .

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة » تحريف ما أثبت من ل .

(٣) انظر السند ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذلك في ل ، ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيت ذكراً [يَمُطُ الذُّكُورَةَ وتَمُطُه ، ورأيت ذكراً]
يَمُطُهَا و [لا] يدعها تَمُطُه ^(١) ، ورأيتُ أنثى تُزِفُ للذُّكُورَةِ ولا تدع
شيئاً منها يَمُطُهَا .

قال : ورأيتُ هذه الأصنافَ كُلَّهَا في السَّحَابَاتِ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ
وَالْمُؤَنَّثَاتِ ، وفي الرِّجَالِ الْحَلَقِيِّينَ ^(٢) وَاللُّوْطِيِّينَ ^(٣) . وفي الرِّجَالِ مِنَ لَا يَرِيدُ
النِّسَاءَ ، وفي النِّسَاءِ مِنَ لَا يَرِيدُ الرِّجَالَ ^(٤) .

قال : وامتنعتُ عَلَى خَصَلَةٍ ، فوالله لقد رأيتُ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ تَزْنِي
أَبداً وتَسَاقِقُ أَبداً ولا تَتَزَوَّجُ أَبداً ، [وَمِنَ الرِّجَالِ مَنْ يَلُوطُ أَبداً ، وَيَزْنِي أَبداً
ولا يَتَزَوَّجُ ^(٥)] ، ورأيتُ حَامِلاً ذَكَراً يَمُطُ مَالِئِي وَلَا يَزَاجُ . ورأيتُ حَامِئَةً
تَمُكِّنُ كُلَّ حَامِلٍ أَرَادَهَا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَتَقْمُطُ الذُّكُورَةَ وَالْإِنَاثَ ،
ولا تَزَاجُ . ورأيتها تَزَاجُ وَلَا تَبْيِضُ ، وَتَبْيِضُ فَيَفْسُدُ بَيْضُهَا ، كَالْمَرْأَةِ
تَتَزَوَّجُ وَهِيَ عَاقِرٌ ، وَكَالْمَرْأَةِ تَلِدُ وَتَكُونُ خُرْقَاءَ وَرُهَاءَ . ويعرض لها الغِلْظَةُ ^(٦)
وَالْحَقُوقُ لِلْأَوْلَادِ ، كَمَا يَعْتَرِي ذَلِكَ الْعُقَابُ .

وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ رَأَيْتُ الْجَفَاءَ لِلْأَوْلَادِ شَائِئاً فِي اللَّوَاتِي حَمَلْنَ مِنَ الْحَرَامِ .
وَلَرُبَّمَا وَلِدَتْ مِنْ زَوْجِهَا ، فَيَكُونُ عَطْفُهَا وَتَحْنُّهَا كَتَحْنِ ^(٧) الْعَفِيفَاتِ .

(١) زيادة : « لا » ن س ، ل . وفي ط : « ويدعها حتى تَمُطُه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلق : التي فسد عضوه فانعكس ميل شهرته ، وهو من ألقاب المولدين .
شفاه القليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللواطين » .

(٤) ل : « من لا يريد إلا » في الموضعين .

(٥) ط ، س : « من تزني أبداً ولا تتزوج وتساقي أبداً ولا تتزوج أبداً » . وإصلاح
العبارة وكلاهما من ل ، ونهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب في ل وفي ط ، س : « الغلظة »

(٧) ل : « وتحنيها كتحني » . والتحني والتحني بمعنى ، وهو السلف .

السَّيِّرات ، فما هو ^(١) إِلَّا أَنْ تَزَيَّ أَوْ تَقْحُبَ فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضْرِبْ بَيْنَهَا ٥٢
وبين ذلك الولد [بـ] شبكة رَحِم ، [و] كَأَنَّهَا لَمْ تَلِدْهُ .

قال مثنى بن زهير : ورأيتُ ذكراً له أثنيان وقد باضتاً منه ، وهو
يَحْضُنُ مع هذه ومع تلك ، ويزُقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثى تبيض
بيضة ، ورأيتُ أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .
وزعم أَنَّهُ لَمَّا جَزَمَ بذلك فيها ولم يظنه بالذكر ، لأنها قد كانت قبل
ذلك عند ذكرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنا حمامةً في المنزل لم يعرض لها ذكرٌ إِلَّا اشتدَّت نحوهُ بمحادةٍ
وزَقٍ ^(٢) وتسرع ، حتَّى تنفر أين صادفتُ منه ، حتَّى يصدَّ عنها ^(٣) كالهارب
منها . وكان زوجها جليلاً في العين راعياً ، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين
[وبنات ^(٤)] وبنات بنات ، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهن ^(٥) ؛
وقد بَلَغَ من حظوته أني قلماً رأيتُهُ أرادَ واحدةً من عرض تلك الإناث ^(٦)
فامتعتُ عليه ، وقد كُنْ يمتنعن من غيره . فبينما أنا ذات يوم جالسةٌ بحيث
أراهن إِذْ رأيتُ تلك الأنثى قد زافتْ لبعض بنينا ! فقلت لحادي ^(٧) :

(١) ل : هـ هـ ، وما صحيحان في العربية ، أي فالشأن أو فالقصة .

(٢) التزق : الطيش والتسرع . في ط ، ل : « تزق » محرفة . س : « تزف » أي
تسرع إسراعاً . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينفر » حرف . ط ، س : « صادفته » وأثبت ماقى ل . وفي ل :
« حتَّى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لحادي لى » .

ما الذى غيرَها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إني رَحَلْتُ زوجها من القاطول^(١) فذهب ، ولهذا شهر^(٢) . فقلت : هذا عذر ! قال مثنى بن زهير : وقد رأيت الحماة تزوج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، ورأيت ذكراً فَعَلَ^(٣) مثل ذلك فى الإناث . ورأيت الذَّكَرَ كثيرَ النسل قوياً على القمط ، ثم يُصْنَى كما يُصْنَى الرَّجُلُ إذا أَكْثَرَ من النسل والجماع^(٤) . ثم عَدَّدَ مثنى أبواباً غيرَ ما حَفِظْتُ ممَّا يُصَابُ مثله فى الناس .

(خبيرة مثنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أَنَّ مثنى كان ينظر إلى العاتق والمخلف^(٥) ، فيظن أنه يحمي . من الغاية [فلا يكاد ظنه يخطئ] . وكان إذا أظهرَ ابْتِئَاعَ حمامٍ أغلوه عليه ،

(١) القاطول : نهر كان فى موضع سادرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « غليت » مسكان « رحلت » وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصح الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أَكْثَرَ من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق التامض ، وذلك فى أول ما يتحسر ريشه ونبت له ريش جللى ، أى

شديد ، والجماع حق . الخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « العاتق »

وفى س : « العاتق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ ص ٧ .

والمخلف : المراد به المن . وأصله فى الإبل ما فوق البازل : الذى فى التامض .

وقالوا : لم يطلبْهُ إِلَّا وقد رأى فيه علامةَ المحيىء من الغاية ، وكان يدسُّ في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه ، فربما اشترى نصفه وثله ، فلا يقصِّر عند الزُّجَال^(١) من الغاية .

وكان له خَصِيٌّ يقال [له^(٢)] خديج ، يجري مجراه ، فكانا إذا تناظرا في شأنٍ طائر لم تُخْلِفْ فراسَتَهُما .

(المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السنة ، فإذا صانوه وحفظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تمهَّده ، باضَ في جميع السنة .
قالوا : والدِّجاجة تبيض في كلِّ السنة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدِّجَاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضن ،
ومن الدِّجَاج ما يبيض ستين بيضة . وأكثرُ الدِّجَاج العظيم الجثَّة يبيضُ
أكثرَ من الصغير الجثَّة^(٣) .

(١) الزججال : إرسال الحمام كما سبق في ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل :
« الرجال » ، وصوابه ما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجَاجُ التي نسبت إلى أبي ريانوس^(١) الملك ، فهو طويلُ
البدن ويبيض في كلِّ يوم ، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريجها .
ومن الدَّجَاج الذي يربى في المنازل ما يبيض مرَّتين في اليوم ، ومن
الدَّجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرَض^(٢) .

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والحُطَّافُ تبيض مرَّتين^(٣) في السنة ، وتبنى بيتهما في أولئ
مكانٍ وأعله .
فأما الحمام والفواخت ، والأطُرُ غَلَّات^(٤) والحمام البرى^(٥) ، فلأنها تبيض
مرَّتين في السنة . والحمام الأهلي يبيض عشرَ مرات . وأما القَبِجُ والدُّرَّاج
فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سبباً فيما طال شتاً والتوى :

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيْرُ بيضاً لم تخرُج البيضة^(٦) من حدِّ التحديد والتلطيف ،
بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنَّ
الرأسَ المحدد هو الذي يخرج أولاً .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « أرديسانوس » . وانظر الاستدراكات
بتصر هذا الجزء .

(٢) أي ما يعرض لها من كثرة البيض . ط : « الغرض » ، ل ، س : « الغرض » ،
وما تحريف ما أثبت .

(٣) كذا في ط . وفي ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطُرُ غَلَّات » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدد الأطراف فهو للإناث ،
وما كان مستديراً عريضاً الأطراف فهو للذكور .
قال : والبيضة عند خروجها لينة القشر ، غير جاسية ^(١) ولا يابسة
ولا جامدة :

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض ^(٢) الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو ^(٣)
فى الطيب دون الآخر ^(٤) . ويكون بيضُ الريح من الدجاج والقيج ^(٥) ،
والحمام ، والطاوس ، والإوز .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحضن الطائر وجثومه على البيض صلاح لبذن الطائر ، كما يكون
صلاحاً لبذن البيض . و [لا ^(٦)] كذلك الحضن على الفراخ والفرايح ^(٧)
فربما ^(٨) هلك الطائر عن ذلك السبب .

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبيض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والشميرى حيث يقول : « وأغذى
البيض وألطفه ذوات الصفرة » ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لما « يضى بذلك
البيض للتراب . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أحلب من
الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القيج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الذرايح » ، وفى س :
« الذرايح » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة
كما ترى .

(تكوّن يبيض الريح)

وزعم ناسٌ أن يبيضَ الرِّيحَ إنما تكوّن^(١) من سفادٍ متقدّم . وذلك خطأ من وجهين : أمّا أحدهما فإنّ ذلك قد عُرِفَ^(٢) من فرّاريج لم يَرَيْنَ ديكاً قط . والوجه الآخر : أن يبيضَ الرِّيحَ لم يكن منه فرّوج^(٣) قطّ إلّا أن يسفدَ الدجاجةَ ديكاً ، بعد أن يمضي^(٤) أيضاً خلقُ البيض .

(معارف شتى في البيض)

قال : ويبيض الصَّيفُ المحضون أسرعُ خروجاً منه في الشتاء ، ولذلك تحضن الدجاجة البيضةَ في الصَّيفِ خمس عشرة ليلة^(٥) .

قال : وربما عَرَضَ غَيْمٌ في الهواء أو رَعْدٌ ، في وقتِ حضن الطائر ، فيفسدُ البيض . وعلى كل حالٍ ففساده في الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها في ذلك الزمان أعم . وأكثرُ ما يكونُ فسادُ البيض في الجنائب^(٦) ، ولذلك كانَ

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهي مصيبة ، وأثبت ماقي س ، ل ونهاية الأرب .

١٨٠ : ١٠

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ،

كما في القاموس .

(٤) ل : « يم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بالنفع ، وهي الريح الجنوبية .

ابن الجهم^(١) لا يطلب من نسائه الولد إلا والرياح شمال . [وهذا عندي تعرض للبلاء ، وتحكك بالشر ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم^(٢) يسمى بيض الرياح : البيض الجنوبي ؛ لأن أصناف الطير تقبل الرياح في أجوافها .

وربما أفرخ^(٣) بيض الرياح بسفاد كان ، [و] لكن لونه يكون متغيراً . وإن سفد الأنثى طائر من غير جنسها^(٤) ، غير خلق [ذلك] المخلوق الذي كان من الذكر المتقدم . وهو^(٥) في الديكة أعم .

ويقولون : إن البيض يكون من أربعة أشياء : فإنه ما يكون من التراب ، و [منه ما يكون] من السفاد ، ومنه ما يكون من التسم إذا وصل إلى أرحامهن وفي بعض الزمان^(٦) ، ومنه شيء يعزى الحجل وما شاكله ٥٤ في الطبيعة ؛ فإن الأنثى ربما كانت على سفالة الرياح التي تهب من شق^(٧) الذكر في بعض الزمان فتحشى من ذلك بيضاً . ولم أرهم يشكون أن النحلة المطلعة^(٨) تكون بقرب الفحال^(٩) وتحت ريعه ، فتلقح بتلك الرياح وتكتفي بذلك .

(١) هو محمد بن الجهم البرمكي ، أسلفنا ترجمته في ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « أفرخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهي » .

(٦) ل : « ومنه ما يكون من تسم ريح إذا وصل إلى أرحامها في بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطلعة : التي أدركت أن تبيض . يقال : أطلعت الشجرة . وانظر الحيوان

٢ : ٢٣٨ ، ٥ : ٢٠٩ والمقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) للفحال : ذكر النحل .

قال : وبِضُّ أَبْكَارِ الطَّيْرِ أَصْغَرُ ، وكذلك أولادُ النساءِ ، إلى أن تتسع الأرحام وتنتفع الجنوب ^(١) .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفَيَّ] ضئيلاً ، فإذا زقَّ مِرَارًا فَتَحَ الزَّقُّ جِلْدَةَ غَبِيهِ ^(٢) وحوصلته ، فخرَجَ الصَّوْتُ أَغْلَطَ وَأَجْهَرَ .

(حياة البكر)

وهم لا يثِقون بحياة البكر ^(٣) من النَّاسِ ^(٤) كما يثِقون بحياة الثاني ^(٥) وورون أن طَبِيعَةَ الشَّبابِ والابتداء لا يعطيان ^(٦) شيئاً إِلَّا أَخَذَهُ تَضَائِقُ مكانِهِ مِنَ الرَّحِمِ ، ويحبُّون أن تَبْكُرَ بِجارية ! وأظُنُّ أن ذلك إنما هو لشدَّةِ خوفِهِم على الذكر . وفي الجملة لا يَتِمُّونَ بالبكر الذكر ^(٧) . فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاعَمُوا ^(٨) به ، فإن كان البكرُ ابنَ بَكْرَيْنِ فهو في الشُّومِ

(١) كذا في ل. وفي ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنتفع الجنائب » .

(٢) الفب : ماتحت الحنك . وفي ط ، س : « مينة » ، وهو تحريف صحيح .

(٣) كذا في ل ، س. وفي ط : « بحيات ولد البكر » ، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات » ، س : « أنثى » ، تحريفان .

(٦) أي يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يقيمون : من التَّيْمَنِ : ضد التشاؤم . ط ، س : « لا يقيمون البكر » ، وهو

على الوجه في ل. وانظر الحيوان : ٣٣١ .

(٨) في الأصل : « تشام » ، وإنما يقال هله لمن انتسب إلى يلاذ الشام .

مثل قيس بن زهير ، والبسوس^(١) ، فإن قيساً كان أزرق^(٢) وبكراً ابن بكرين .
ولا أحفظُ شأنَ البسوس حفظاً أجزمُ عليه .

(ما يسترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأما الحمام فإنه إذا قَطَّ تَنَفَّشَ^(٣) وتكَبَّرَ وَنَفَضَ ذَنِبُهُ^(٤)
وضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ، وأما الإوزُ فإنه إذا سَفِدَ أكثر من السباحة ، واعتراه
في الماء من المَرَحِ مثل ما يعترى الحمام في الهواء .

(١) هي البسوس بنت منتد القميية ، قالوا : استجار بها جبار لها من جرم ومنه ناقة له ،
فرماها كليب بن وائل لما رأها في حماء ، فلقبها الجري إلى البسوس ، فبهيت أهلها
الحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب
البسوس - شمار القلوب ٢٤٥ والمقد ٣ : ٢٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣
وأمثال المبدأي ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة
زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الخلقة . التخصص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون
ذلك ويهاجون به . قال :

لقد زرقت عينك يا ابن مكبر كذا كل ضبي من القوم أزرق
وجاء في القرآن : « ونعشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أي زرق العين . وكان
شؤم قيس بن زهير في إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس :
فصل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وترأثنا على السياق ، وحدث
غلاف بينهما في مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد
٣ : ٣١٣ . وانظر كامل ابن الأثير ١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣
وأمثال المبدأي ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش : نفش ونفشه .

(٤) س : « توبه » .

قال : ويبيض الدجاج يتم خلقه في عشرة أيام وأكثر شيئاً^(١) ، وأما
بيض الحمام ففي أقل من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربما احتبس البيض في جوفها بعد الوقت^(٢) لأمور تعرض لها : إما لأمراض عرض لعشها [وأفحوصها] ، وإما لتنف [ربشها]^(٣) ، وإما لعلّة وجع من أوجاعها^(٤) ، وإما لصوت رعد ؛ فإن الرعد إذا اشتد لم يبق طائر على الأرض واقع^(٥) إلا عدّا فزعا ، وإن كان يطير رى بنفسه إلى الأرض^(٦) . قال علقمة بن عبدة :

رغاً فوقهم سقب السماء فداخض بشكته لم يستلب وسليب^(٧)
كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن دبيب^(٨)

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء في قوله :

« كما الناس مجروم عليه وجسارم »

(٢) أي بعد الوقت المقدّر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقفا » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س : « وإن كان يطير إلا رى » ، ل : « وإن يطير رى » ، وجملت الكلام كما ترى .

(٧) سقب السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلاً في الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفي اللسان : « دحض برجله ودحس : فحس برجله » . وروى الثعالبي البيت في أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان يحض العلماء برويه : (فداخض) . وهذا البيت أحد ما نسب فيه إلى التعريف . ولعله يعني الجاحظ . والشك : السلاج .

(٨) طير الصواعق : طيراتها ، أي سرعتها . وفي س : « لطير من دبيب » ، أي إن تلك الصواعق التي تنزل بهم تجلب الموت فتحرك الطير لتأكل من القتل . أي إن الصواعق سبب لدبيب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التقبيلُ إلَّا للحمام والإنسان ، ولا يدعُ ذلك ذكرُ الحمام
إلَّا بعد الهرم . وكان في أكثر الظنِّ أنه أحوَجُ ما يكون [إلى] ذلك
التهييج . به عند الكبير والضعف .

وترجم العوام أنَّ تسافدَ الغرَّبان هو تطاعُهما بالمناكير ، وأنَّ إلقاحها إنما
يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماء يعرفون هذا .

- قال : وإنَّاتُ الحمام إذا تسافدت أيضاً قَبَلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقالُ لِنَها ٥٥
تبيضُ عن ذلك ، ولكن لا يكونُ عن ذلك البيضُ فراخ ، وإنَّه في سبيل
بيض الريح ^(١) .

(تكونُ الفرخ في البيضة)

قال : ويستبينُ خلقُ الفراخ إذا مضت لها ثلاثة أيَّامٍ بلياليها ،
وذلك في شَبَاب اللِّجاج ، وأمَّا في المَسَانِّ منها فهو أكثر . وفي ذلك الوقت
تُوجد الصُّفرةُ من الناحيةِ العليا ^(٢) من البيضة ، عند الطَّرَفِ المحدِّد [و]
حيث يكونُ أوَّلُ نَقَرِها ، فَنَمَّ ^(٣) يستبين في بياضِ البيضة مثلُ نقطةٍ من
دَم ، وهي تختلجُ وتتحرَّك : والفرخُ إنما يُخلقُ من البياض ، ويتخلَّى

(١) سماء في ٢ : ٢٤١ « البيض التراب » .

(٢) ط : « العليا » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفْرَةُ ، ويتمُّ خَلْقُهُ لعشرةِ أَيَّامٍ . والرَّأْسُ وَحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائرِ البدنِ .

(البيضُ المجيب)

قال : ومن الدَّجاجِ ما يبيضُ بيضاً له صُفْرَتَانِ في بعضِ الأحايين ، خبرني بذلك كم شئتَ^(١) ، من ثِقَاتِ أَهْلِنَا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دَجَاجَةً ثَمَانِيَ عَشْرَةَ بَيْضَةً ، لكلِّ بَيْضَةٍ مِخْنَانِ^(٢) ، ثُمَّ سَخَّنَتْ وَحَضَّنَتْ ، فَخَرَجَ مِنْ كُلِّ بَيْضَةٍ فَرُوجَانِ ، ما خلا البيضُ الذي كان فاسداً في الأصل . وقد يخرج من البَيْضَةِ فَرُوجَانِ^(٣) ، ويكون أحدهما أعظمَ جَنَّةً ، وكذلك الحمام . وما أَقَلُّ ما يَهِدِرُ الحمامُ أن يكون أحداً الفَرُخَيْنِ^(٤) ذَكَراً ، والآخَرَ أنثى .

(معارف في البيض)

قال : وربما باضت الحمامةُ وَأَشْبَاهُهَا مِنَ الْقَوَائِحِ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ ، فَأَمَّا الْأَطْرُغَلَاتُ وَالْقَوَائِحُ^(٥) فَلَهَا تَبْيَضُ بَيْضَتَيْنِ ، وربما باضت ثَلَاثَ

(١) كذا في ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البقال ٢٦٤ .
وقط : « شيت » ، تحريف .

(٢) الهبة والملح : صفرة البيض . جاء في س : « عان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرغان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) في الأصل : « للفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « القوائح » ، ووجه ما أثبت من ل .

بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحداً فقط .

قال : وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مرور الحول عليه كملأ^(١) ، والحمامة في أكثر أمهرها يكون أحد فرغها ذكراً والآخر أنثى ، وهى تبيض أولاً البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوماً ولبلة ، ثم تبيض الأخرى ، وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين ، على قدر اختلاف طبع الزمان ، والذي يعرض لها من الملل . والحمامة أبر بالبيض ، والحمام أبر بالفراخ .

[قال :] و [أما] جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويخرج أكثر من مرة واحدة ، ما خلا الحطاف فإنه يبيض مرتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعقاب تبيض^(٢) ثلاث بيضات ، فيخرج لها فرخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ، وقال آخرون : قد تحضن ويخرج

(١) كلاً : أى كاملاً . وبالأخيرة جاءت الرواية في ط ، س .

(٢) في الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثة أفراخ ، ولكنها ترى بواحد^(١) استقلالاً للتكسب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلا بما^(٢) يعترىها من الضعف عن الصبء ، كما
يعترى النفساء من الوهن والضعف ، وقال آخرون : العقاب طائر سيئ
الخلق ، ردىء التربية ، وليس يستعان^(٣) على تربية الأولاد إلا بالصبر .
٥٦ وقال آخرون : [لا ، و] لكنها شديدة النهم والشر ، وإذا لم تكن
أم الفراخ ذات أمة لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا في العقق ، عند إضعافها لفراخها ، حتى قالوا : « أحق
من عقق » ، كما قالوا : « أحذر من عقق » .
وقالوا : وأما الصرخ الذي يخرج من العناب ، فإن المكلفة ، وهي طائر
يقال لها كاسير النظام^(٤) ، تقبله^(٥) وتربيته .
والعقاب تحصى^(٦) ثلاثين يوماً ، وكذلك كل طائر عظيم الجثة ، مثل
الأوز وأشباه ذلك ، فأما الوسط فهو يحصى عشرين يوماً . مثل الحدا^(٧)
ومثل أصناف البراة^(٨) كالباشي واليآي^(٩) .

(١) ط ، س : « بواحدة » .

(٢) بما : بمعنى لما . وفي ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .

(٣) ل : « يقوى شيء » .

(٤) ل : « يقال لها قينا » .

(٥) تقبله : تكفله . والقيل : الكفيل .

(٦) في الأصل : « يحصى » . والعقاب هنا مؤنثة .

(٧) هو جمع حدا . وفي ط ، ل : « الحدا » .

(٨) ط : « البراة » ، وصوابه في س ، ل . وهو جمع باز .

(٩) اليآي : جمع يوي ، وهو طير جارح يشبه الباشق . قال أبو نواس
في طردية :

حفظ المهين يوي وراح ما في اليآي يوي شواه

أي شبيهه . ط : « اليآي » . س : « اليي » ، وهما تحريف ما أنبت

وهذه الكلمة والتي قبلها سلطان من ل .

والحدة^(١) تبيضُ يبيضَتين . وربما باضت ثلاثَ يعضاتٍ وخرجَ منها ثلاثةُ فراخ .

قالوا : وأما العقبان السودُ الألوان ، فإنها تربى وتحصن^(٢) .
وجميعُ الطير المعقف المخالب تطردُ فراخها من أعشاشها^(٣) عند قوتها على الطيران . وكذلك سائر الأصناف من الطير^(٤) ، فإنها تطردُ للفراخ [ثم] لا تعرفها ، ما عدا الغداف^(٥) ، فإنها لا تزالُ لولدها قابلة ، ولحالهِ متفقدة .

(أجناس العقبان)

وقال قوم^(٦) : إنَّ العقبانَ والبزاة الثامنة ، والجهازرانك^(٧) ، والسمنان^(٨) .

(١) س : « والحدة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتحصن » .

(٣) ط ، س : « أمشها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون المش على حشاش ، وعششة وأمشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان الثامنة : الثامنة الأوصاف ، وهو من تمييز البزودة ، كتب بذلك إلينا حفرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهاز رنك » أو « الجهاز رنك » هي مركبة من « جهاز » أي أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أي لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأسود والفسارب إلى الأبيض والأسود والأزرق فيها . واللونان الأولان بالصغير ، أي الفسارب إلى الأبيض والفسارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين في ريش تلك الطير . وقلت : هذه الكلمة هي في الأصل معرفة في ط ، س : « الجهادانك » وفي ل : « الجهاز رانك » . وقد اتضح للصواب ما تفضل به حفرة الأب . (٨) كذا في ط ، س . وفي ل : « النيمات » . وقد تفضل حفرة المحقق الكبير -

وَالزَّمَامِجَ ^(١) وَالزَّرَارِقَةَ ^(٢) إِنهَا كُلُّهَا عِقْبَان . وَأَمَّا الشَّوَاهِينُ وَالصُّقُورَةُ ،
وَالْيَوَائِي ^(٣) ، فَلِهَا أَجْناسٌ أُخَر .

(حَضْنُ الطَّيْرِ)

[قَالَ : وَقَالُوا : فَرَاخَ الْبَرَاةِ سَمِيئَةً طَيِّبَةً جَدًّا] . وَأَمَّا الْإِوزَةُ فَلِهَا
[الَّتِي] تَحْضُنُ دُونَ الذَّكَرِ ^(٤) ، وَأَمَّا الْغِرْبَانُ فَعَلَى الْإِنْثَاءِ الْحَضْنُ ، وَالذَّكَوْرَةُ
تَأْتِي الْإِنْثَاءَ بِالطَّعْمَةِ ^(٥) .

وَأَمَّا الْحَجَلُ فَإِنَّ الزَّوْجَ مِنْهَا ^(٦) يَهَيِّئَانِ لِلْبَيْضِ عُشَّيْنِ وَثَقِيْنِ ^(٧)

= الأب أنثى ، فكذب إلى : « والعمان من البراة والجوارح : كل ماطن منها
في السن ، وهي جمع سمين . والعمان من المرائين يسمونها : سمنا - كرففان -
فهي إذا طمعت في السن ضغمت جسمها وقصفت عن الصيد . » والتسميات
منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البراة ،
أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهي تكون في أغلب الأحيان أشد صيداً وجراءة من
نظائرها الكبيرة الجسم أو الجففة . ويؤق بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء
الجبالية . وعقب حضرته حل ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور في كتب البزدرية
التي سرفت مني . وكان عندي منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات . »

(١) الزَّمَامِجُ : جمع زَمَج ، يضم الزاي وتشديد الميم المفتوحة .
(٢) الزَّرَارِقَةُ : جمع زَرَقَ يضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زَرَارِيقُ . وفي
الأصل : « الزَّرَارِقَةُ » ، وهو تحريف .

(٣) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وهو جمع يَوْيُؤُ . ط ، س : « وَالْيَوَائِي » .
(٤) كَذَا فِي ل . وهو الصَّوَابُ . وفي ط : « وَأَمَّا الْإِوزُ فَلِهَا تَحْضُنُ دُونَ
الذَّكَوْرَةِ » ومثله في س بزيادة « الَّتِي » بدل « فَلِهَا » .

(٥) فِي السَّانِ : « الطَّعْمَةُ » ، بِالضَّمِّ : شِبْهُ الرِّزْقِ . وفي ل : « بِالطَّعْمِ » ، ومثله
فِي مِوَنِ الْأَعْيَارِ (٧ : ٩٤) وهو بِالضَّمِّ : الطَّعَامُ .

(٦) ل ، ط : « مِنْهَا » ، وصوابه فِي س .

(٧) الْوَيْثِيُّ : الْحَكَمُ . وَبَدَلَهَا فِي ط : « بَيْضَتَيْنِ » وفي س : « بَيْضَيْنِ »
وهو تحريف صحيح .

مقسومين^(١) عليهما ، فيحصن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى^(٢) ، وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيش خمساً وعشرين سنة ، ولا تلحق الأنثى بالبيض^(٣) ولا يُلحق الذكر إلا بعد ثلاث سنين .

(الطاوس)

قال : وأما الطاوس فأول ما تبيض فإنها تبيض ثمانين^(٤) بيضات . وتبيض أيضاً ببيض الربيع . والطاوس يلقى ريشه في زمن الخريف إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط^(٥) . وإذا بدأ الشجر يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوس فأكتسى^(٦) ريشاً .

(١) ط فقط : « مقسومين » .

(٢) فصلت هذا الفصط لما جاء في نهاية الأرب نقلاً عن الجاحظ : « وإذا باغست المجلة ميز الذكر الذكور منها فيحصنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحصنها ، وكذلك هما في التربية » . ومثل هذا الكلام عند النعماني ، مع نسبة إلى التوحيدي .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ما أثبت كافي ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ل : « يلقى ورقه » وفي ط « فإذا بدأ » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير النَّقِيل الجُثَّة فليس يَبْئُ ليضيه عُشًّا ، من أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُجِيدُ ^(١) الطَّيْرَان ، ويثقل عليه النهوض ولا يَتَحَلَّقُ ^(٢) ، مثل الدُّرَّاج والقَمِيج ، [وِعمَا يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفرايح الدَّجاج ، وكذلك فرايح البطِّ الصَّيْنِي ، فإنَّ هذه كلها تخرُج من البيض كاسية [كاسية ^(٣)] تُلْقَط من ساعتها ، وتَكُنِّي نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عُشِّ القَبْجَةِ ^(٤) وَلَهَا فَرَاخٌ ، مرَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَرًّا غَيْرَ مُقَيَّتٍ ^(٥) ، وأطمعته في نفسه لِيَتْبِعَهَا ^(٦) ، فتمرُّ الفَراخ في رجوعها إلى موضع عُشِّهَا ^(٧) . والفَراخ ^(٨) ليسَ معها من المِداية مامع

(١) ط ، س : « يجيد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أي طار واستدار في طيرانه ، لكن هكذا جاءت في ل . وانتظر • ١٥٢ . وفي ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريبا أنها ليست ذات عش . فالمراد أقصوصها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفَراخ وثلاثا تغلط في رجوعها إلى موضع عَشِّهَا » .

(٨) ل : « فلها » .

أَمَّا . وعلى أَنَّ الْقَبَجَةَ سَيِّئَةُ الدَّلَالَةِ وَالْهِدَايَةِ ، وكذلك كُلُّ طَائِرٍ يَعَجِّلُ لَهُ
السَّكِينُ وَالْكُسُوءُ ، ويعَجِّلُ لَهُ السَّكِينُ فِي صَغَرِهِ .
وهذا إِنَّمَا اعْتَرَاهَا لِقَرَابَةٍ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّيَكِ .

قال : فإذا أَمِنَ الصَّائِدُ خَلْفَهَا وَقَدْ خَرَجْتَ الْفَرَاخُ مِنْ مَوْضِعِهَا ، طَارَتْ ٥٧
وَقَدْ نَحْنَهُ ^(١) إِلَى حَيْثُ لَا يَبْتَدِي الرُّجُوعَ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِ عَشْبَا ^(٢) ، فإذا سَقَطَتْ
قَرِيباً دَعَتْهَا بِأَصْوَاتٍ لَهَا ، حَتَّى يَجْتَمِعَنَّ إِلَيْهَا .

قال : وَإِنَّا نَتْلُو الْقَبَجَ تَبْيِضُ [خَمْسَ عَشْرَةَ بَيْضَةً إِلَى سِتِّ عَشْرَةَ
بَيْضَةً . قال : وَالْقَبَجُ طَيْرٌ مُنْكَرٌ] وَهِيَ تَفْرُ ^(٣) بَبَيْضِهَا مِنَ الذَّكَرِ ؛ لِأَنَّ الْأُنْثَى
تَشْتَغِلُ بِالْحَضْنِ عَنْ طَاعَةِ الذَّكَرِ فِي طَلَبِ السَّقَادِ . وَالْقَبَجُ الذَّكَرُ يُوصَفُ
بِالْقُوَّةِ عَلَى السَّقَادِ ، كَمَا يُوصَفُ الدِّيَكُ وَالْحَجَلُ وَالْعُصْفُورُ .

قال : فإذا شَغِلَتْ عَنْهُ بِالْحَضْنِ ، طَلَبَ مَوَاضِعَ بَيْضِهَا حَتَّى يَفْسِدَهُ ^(٤)
فَلِذَلِكَ تَرْتَادُ ^(٥) الْأُنْثَى [عَشْبَا] فِي خَيْائِي ^(٦) إِذَا أَحَسَّتْ بِوَقْتِ الْبَيْضِ .

وإذا قَاتَلَ بَعْضُ ذُكُورَةِ الْقَبَجِ بَعْضاً فَالْمَغْلُوبُ مِنْهَا مَسْفُودٌ ، وَالْغَالِبُ

(١) ط : « نَحْت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يُقَالُ : هُوَ لَا يَبْتَدِي الطَّرِيقَ ، وَلَا يَهْدِي - يَفْتَحُ الْبَاءَ وَالْهَاءَ وَتَشْدِيدُ الدَّالِ
الْمَكْسُورَةِ - ، وَلَا يَهْدِي - يَفْتَحُ الْيَاءَ وَكسرِ الْهَاءَ وَالدَّالِ الْمَشْدُودَ ، كُلُّ أَوَّلِكَ
يَمْحَى لَا يَبْتَدِي إِلَيْهِ . فِي ط : « إِلَى مَوْضِعِهَا » .

(٣) س : « تَشْتَغِلُ » .

(٤) ل : « يَفْسِدُهَا » ، وَلَهَا وَجْهٌ .

(٥) تَرْتَادُ : تَطْلُبُ . وَفِي ل : « تَوَفَّلُ » ، وَلَا يُقَالُ أَوْغَلَهُ .

(٦) ط ، س : « خَيْائِي » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرضُ للدَّيِّكَة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَلَ بين الدَّيِّكَة^(١) ذيكُ غريب ، فأَكْثَرَ ما يجتمع عليه حتى تَسْفَدَه ! .

(ونب اللذ كورة على الذ كورة)

وسفادُ ذُكُورَة هذه الأجناس إنما يعرض لها هذه الأسباب ، فأما ذُكُورَة الحمير والخنزير والحمار ، فإن ذُكُورَها تَتَبُّ على بعض من جهة الشهوة .

وكان عند يعقوب بن صباح^(٢) الأشعثي ، هِرَانِ ضَخْمَان ، أحدهما يكومُ الآخر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراه ، وَمِنْ غيرِ أَنْ يكونَ المسفودُ يريدُ من السَّافِدِ مثلاً ما يريدُ منه السَّافِدُ . وهذا البابُ شائعٌ في كثيرٍ من الأجناس ، إلَّا أَنَّهُ في هذه [الأجناس]^(٣) أُوْجِدَ .

(صيد البُرَاة للحمام)

ثمَّ رَجَعَ بنا القَوْلُ إلى ذِكْرِ الحمام ، من غيرِ أَنْ يَشَاب^(٤) بلذكر غيره .

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح به « انتشاب » أي تعلق . وأثبت ما في ل . ويشاب : يغلط .

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُرَّاقَةَ عشرة أجناس ، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائحة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ [لأ وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرَانِهِ ولا في حالِ جثومِهِ ، [ولا يعرض له] [لأنَّه يجمده^(١) في بعض الأغصان ، أو على [بعض] الأنشاز^(٢) والأشجار . فعَدَّدَ أجناسَ صيدها ، ثم ذكر أنَّ الحمامَ^(٣) لا يخفى عليه في أوَّل ما يرى البازي في الهواء أي البُرَّاقَةُ هُوَ ، وأي نوع صيده^(٤) ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال : أوَّل ذلك أنَّ الحمامَ في أوَّل سُهوْضِهِ يفصلُ بين النَّسر والعقاب ، وبين الرَّحمة والبازي ، وبين الغراب والصَّقر ، فهو يَرى الكُرْكُ والعُطْرَيْن^(٥) ولا يستوحشُ منهما ! ويرى الزُّرْقَ فيتضاءل . فإن رأى الشَّاهِنَ فَقَدْ رَأَى السَّمَّ اللداعف النَّاقِعَ^(٦) .

(إحساس الحيوان بمدوّه)

والثَّعْجَةُ ترى القَيْلَ والزَّنْدَبِيلَ والجَامُوسَ والبَعِيرَ ، فلا يَهْزُها^(٧) ذلك ، وترى السَّبُعَ وهي لم تره قبل ذلك^(٨) ، وَعضوٌ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نَشْر ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، والقول ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « صيده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا في ل ، س . والمعروف في الطبرزين أنه الفأر التي يلقبها الفارس في سرج جواده . انظر معرب الجواليقي ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفي

ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « وقد رأى السم النَّاقِعَ » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « التي لم تره قبل فتحه » وفيه تحريف .

وهي أهول في العين وأشنع ، ثم ترى الأسد فتخافه . وكذلك الببر والنمر .
فإن رأيت الذئب [وحده] اعتراها منه وخذه مثل ما اعتراها من تلك
٥٨ الأجناس لو كانت مجموعة في مكان واحد . وليس ذلك عن تجربة ،
ولا لأن منظره أشنع وأعظم ، وليس في ذلك علة ^(١) إلا ما طُيعت عليه من
تمييز الحيوان عندها . فليس بمستغرب أن تفصيل الحمامة بين البازي ^(٢)
والبازي ، كما فصلت بين البازي والكركي .

فإن زعمت أنها تعرف بالمخالب ^(٣) فينقار الكركي أشنع [وأعظم]
وأفطع ^(٤) ، وأطول وأعرض ^(٥) . فأمّا ^(٦) طَرَفُ منقار [الأيغث ^(٧)] فما
كان ^(٨) كل سنان وإن كان مندرّباً ^(٩) [ليبلغه .

(١) ط : « عليه » ، وهي حل الصواب في ل ، س .

(٢) أي تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك في الصفحة السابقة س ٦ .

ل فقط : « الرخة » تحريف .

(٣) في الأصل : « تضرب غالب » .

(٤) ل : « وأفطع » .

(٥) ليست في ل .

(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .

(٧) في القاموس : أن الأيغث طائر ، ولم ينه .

(٨) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٩) مندرّباً ، بالذال المصممة : محسداً . وفي الأصل ، وهو هنا ل :

« مندرّباً » ، تصحيف .

(بلامه الحمام وخرقه)

قال صاحب الذئب : وكيف يكون للحمام من المعرفة^(١) والفطنة
ما تذكرون ، وقد جاء في الأثر^(٢) : « كُونُوا بُلْهًا^(٣) كالحمام » ؟ !

وقال صاحب الذئب : تقول العرب : « أَخْرَقَ مِنْ حَمَامَةٍ » ، ومما يدل
على ذلك قول عبيد بن الأبرص :

عَيَسُوا بِأَفْرِهْمُ كَمَا عَيَتْ بِبَيْضِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ نَشَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(٤)

(١) ط ، س ، الحركة ، ووجهه ما في ل .

(٢) كذا في ل ، س . وهو الموافق لما جاء في البيان (٢ : ٢٧٥) :
« وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفي
ط : « وقد جاء في الحديث » كذا في محاضرات الراهب (٧ : ٣٠٠) . وجاء
في ميون الأغيار (٢ : ٧٢) : « وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال
للمواريين : كونوا حلياء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص في إنجيل متى
(الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كنتم في وسط ذئاب فكونوا
حكاه كالحيات وبسطاه كالحمام » .

(٣) في الأصل : « بلها » ، وإنما هي « بلها » كما في ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به
الغافل من الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . والثمامة : واحدة
انثى ، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين
ضعيف وقوى : فيتكسر عشها ويقع البيض فيتكسر . انظر ميون الأغيار (٢ :
٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميداني (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عبيدٌ إنما عني حمامةٌ من حمامكم هذا الذي أنتم به تفخرون ،
فقد أكثرتم في ذكر^(١) تدبيرها لمواضع بيضها ، وإحكامها لصنعة
عاشائها^(٢) وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنه إنما عني بعضَ أجناسِ الحمام الوحشي والبرّي ، فقد
أخرجتم بعضَ الحمام من حُسن التّديير . وعبيدٌ لم يُخصَّ حماماً دونَ حمام .

(رغبة عثمان في ذبح الحمام)

وحدثَ أسامةُ بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشباختنا منذُ زمانٍ ، يحدثُ
أنَّ عثمانَ بنَ عفّانَ - رضى اللهُ تعالى عنه - أراد أنْ يذبحَ الحمامَ ثم قال :
« لولا أنّها أُمّةٌ من الأممِ لأمرتُ بذبّهم^(٣) » ، ولكنَّ قصّوهنَّ . [فدلَّ بقوله :
قصّوهنَّ] على أنّها إنما تُذبحُ لرغبة^(٤) مَنْ يتخذهنَّ ، ويلعبُ بهنَّ من
الفتيانِ والأحداثِ والشّطّار^(٥) ، وأصحابِ المراهنة والقيار ، والذين

(١) ل : « ذلك » . وهو تحريف . والمراد بالإكثار التّزيد والمبالغة .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أمشها » وانظر التّفيه رقم ٣

ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبّهم » . وأثبت ما في ل .

(٤) ل : « لسووعة » !

(٥) الشّطار : جمع شاطر ، وهو الذي أعباه أهله ومؤدبه عيباً ، وشطر عن الطريق

السوى : أي عدل عنه . وفي ل فقط : « الشّطار » وهو تصحيف . واللبّ بالحمام

التّسابق به ، على نحو ما يفصل بالتحليل . انظر صورة من ذلك في أخبار

الطراف ص ٣٨ .

بشرفون^(١) على حُرَم الناس والجيران ، ويخْتَدِعُونَ^(٢) بفراخ الحكماء أولاد الناس ، ويرمون بالجلالين^(٣) وما أكثر مَنْ قد فقأ عيناً وهشم أنفاً ، وهَمَّ قِئاً ، وهو لا يدري مَا يصنع ، ولا يَقِفُ على مقدارِ مَا رَكِبَ به القوم . ثم تذهب^(٤) جَنَابَتُهُ هَلْوَاً ؛ ويعودُ ذلك الدَّمُ مطلوباً بلا عقل ولا قوَدٍ ولا قِصَاص ولا أَرْش^(٥) ، إذْ كَانَ صَاحِبُهُ مَجْهُولاً .

وعلى شبيهِ بذلك كَانَ عمرُ - رضى الله عنه - أمرَ بِذَبْحِ الدِّيَكَةِ^(٦) وأمرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكَلَابِ .

قالوا : ففيما ذكرنا دليلٌ على أَنَّ أَكْلَ لَحْمِ الْكَلَابِ لم يكنْ مِنْ دِينِهِمْ ولا أَخْلَاقِهِمْ ، ولا مِنْ دَوَاعِي^(٧) شهواتِهِمْ . ولولا ذلك لَأَجَاء الْأَمْرُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ - رضى الله تعالى عنهما بِذَبْحِ الدِّيَكَةِ والحكماء ، وقَتْلِ الْكَلَابِ . [ولولا أَنَّ الْأَمْرَ على مَا قلنا ، لَقَالُوا : اقتلوا الدُّبُوكَ والحكماءَ كما قال : اقتلوا الْكَلَابَ] . وفى تفريفهم بينها دليلٌ على افتراقِ الْحَالَاتِ عِنْدَهُمْ .

(١) التَّشْرِفُ : التَّطَلُّع . وفى ط فقط : « يشرفون » من الإِشْرَافِ : أى الإِطْلَاع . وما ثبتَ أَقْرَبُ وَأَشْبَه .

(٢) ط ، س : « ويخْتَدِعُونَ » .

(٣) الجَلَالَيْنِ : هو الطَّيْنُ المَدُورُ المُلْتَصِقُ ، يرمى به عن القوس ، فارسى ، أصله جَلَامَه . الجوالين ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهبت » .

(٥) العقل : الدِّية . والتَّوَدُّدُ ، بالتَّحْرِيكِ ، بمعنى الْقِصَاصِ ، وهو قَتْلُ النَّفْسِ بالنفس . والأَرْشُ : ديةُ الْجَرَاحَاتِ .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س : « أراد عمر رضى الله عنه أَنْ يذبح الدِّيَكَةَ » .

(٧) ط ، س : « ولا كَانَ دَوَاعِي » .

٥٩ قال : حدثني أسامة بن زيد^(١) ، وإبراهيم بن أبي يحيى ، أن عثمان شكوا إليه الحكماء ، وأنه قال : « مَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ شَيْئاً فَهُوَ لَهُ » . وقد علمنا أن اللفظ وإن كان قد وقع على شكاية الحكماء ، فإن المعنى إنما هو على شكاية أصحاب الحكماء ، لأنه ليس في الحكماء معنى يدعو إلى شكاية^(٢) .

قال : وحدثنا عثمان قال : سئل الحسن عن الحكماء الذي يصطاده الناس ، قال : لا تأكله ، فإنه من أموال الناس ! فجعله مالاً ، ونهى عن أكله بغير إذن أهله . وكل ما كان مالاً فيعه حسنٌ وابتباعه حسن . فكيف يجوز لشئ هذه صفته أن يُذبح ، إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن اتَّخَذَهُ لِمَا لَا يَحِلُّ ! !

قال : ورووا عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : نهى عثمان عن الألباب بالحمام^(٣) ، وعن روى الجلاء^(٤) . فهذا يدل على ما قلنا .

(أمن حمام مكة وغيرانها)

والناس يقولون : « آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ » ، ومن غيران مكة . وهذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحدٌ ممن يعرف الأمثال والشواهد . قال عقبه الأسد^(٥) لابن الزبير :

(١) ل : « به » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) حقيق بن هيرة الأسدي : شاعر جاهل إسلامي . اللؤلؤ ١٤٩ . وانظر الأغاني ١٨ : ١٢٨ . وفي الأصل : « حقيق » ، تحريف .

مازلت مذ حَجَّجَ بِمَكَّةَ مُحَرَّمًا^(١) فِي حَيْثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَمَامٌ
فَلْتَنْهَضَنَّ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي الْأُبْرَا يَحْتَبِنَ عُرْضَ مَحَارِمِ الْأَعْلَامِ^(٢)
أَبْنُو الْمُغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ ٩ ! يَا لَرِّجَالِ خَلْفَةِ الْأَحْلَامِ^(٣) !
وَقَالَ النَّابِغَةُ فِي الْغَزْلَانِ وَأَمْنِيهَا ، كَقَوْلِ جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ فِي الْحَمَامِ :
لَا وَالَّذِي آمَنَ الْغَزْلَانُ تَمَسُّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ^(٤)
وَلَوْ أَنَّ الطُّبَّاءَ ابْتُلِيَتْ يَمْنٌ يَتَّخِذُهَا بِمِثْلِ^(٥) الَّذِي ابْتُلِيَتْ بِهِ الْحَمَامِ
ثُمَّ رَكِبُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْغَزْلَانِ بِمِثْلِ مَا رَكِبُوهُمْ بِهِ فِي الْحَمَامِ ، لَسَارَوْا فِي ذَبْحِ
الْغَزْلَانِ كَسِيرَتِهِمْ فِي ذَبْحِ الْحَمَامِ .

وَقَالُوا : إِنَّهُ كَيْلُغُ مَنْ تَعْظِيمُ الْحَمَامِ حُرْمَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ
يَشْهَدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا حَرَامًا قَطُّ سَقَطَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، إِلَّا مِنْ

(١) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الْوَجْهَ . . . وَفِي ط ، س : « مَلْحَدًا » ، مِنْ الْإِلْحَادِ بِمَعْنَى
الظُّلْمِ فِي الْحَرَمِ . وَلَا يَصِحُّ لِأَنَّ الشَّمْسَ مَلَحٌ . وَقَدْ أَشَارَ حَقِيقَةُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي مَكَّةَ ، حَيْثُ بَوَّعَ لَهُ بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَرْبَعِ سَنِينَ ، وَعَلَى يَزِيدَ
ابْنَ مَعَاوِيَةَ ، وَأَقَامَ بِهَا تِسْعَ سَنِينَ وَقَتْلَ فِي عِلَاقَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى يَدِ الْحِجَاجِ
بِمَكَّةَ سِتَّةَ ثَلَاثَ وَسِمِينَ . انْظُرْ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ ص ٥١ .

(٢) الْعَيْسُ ، الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالُطُ بِيَاضِهَا شُقْرَةَ . وَالْبُرَا : جَمْعُ بَرَّةَ ، كَتَبَةٌ ، وَهِيَ
الْحَلَقَةُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ . يَحْتَبِنُ : يَقْطَعُنُ . وَالْمَحَارِمُ : الطَّرِيقُ فِي الْأَرْضِ الْغَلِيظَةِ .
س : « يَحْتَبِنُ عُرْضَ مَحَارِمِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) بَنُو الْمُغِيرَةِ هُمُ بَنُو مَرْوَانَ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُمْ هَالِثَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بِنْتُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
ابْنِ أُمَيَّةَ . انْظُرْ الْإِسَابَةَ ٧٠٩ مِنْ قِسْمِ النِّسَاءِ ، وَالْعَقْدَ ٣ : ١٤٨ . وَآلُ خُوَيْلِدٍ
هُمُ بَنُو الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ النَّوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى . انْظُرْ
الْمَعَارِفَ ٩٦ .

(٤) ط ، س : « وَالْمُؤْمِنُ الْمَائِذَاتِ الطَّيْرِ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ لِهُ هُوَ الْوَجْهَ ؛ لِأَنَّ سَبْقَ
مِنْ الْكَلَامِ . وَالْغَيْلُ ، بِالْكَسْرِ ، وَالسَّعْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ : أَجْمَعَانِ كَانَتَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَمَدِينَةٍ . شَرَحَ الْمَطْلُوعَاتُ لِلتَّبْرِيزِيِّ ٣٠٠ .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « يَمْنٌ يَتَّخِذُهَا مِثْلُ » .

عَلِيٍّ عَرَضَتْ لَهُ . فَإِنْ ^(١) كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اكْتِنَاباً مِنَ الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ
جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلُّ ذِي أَرْبَعٍ . وَإِنْ كَانَ هَذَا إِتِمَاكَانَ [مِنْ] طَرِيقِ الْإِلْهَامِ ،
فَلَيْسَ مَا يُلْهِمُهُمْ كَمَا لَا يُلْهِمُهُمْ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ بَيْتِي تَفَرَّغَ فِي الذَّوَاتِبِ وَالسَّانِمِ .
وَأَنَا نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ تَبَيَّنَ بِمَكَّتْهَا الْبُيُوتُ مَعَ الْحَمَامِ ^(٣)
وَقَالَ كَثِيرٌ - أَوْ غَيْرُهُ مِنْ ^(٤) بَنِي سَهْمٍ - فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَعَنَّ اللَّهَ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سَوْقَةٍ وَإِمَامٍ .
أَيَسَّبُ الْمُطِيبُونَ جَدُودًا ^(٥) وَالْكَرَامُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ .
يَأْمَنُ الطَّبِي ^(٦) وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْمَنُ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ !!
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا قَامَ قَامَتْ بِسَلَامٍ ^(٧)

(١) ط : « فَإِذَا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما في المؤتلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) في المؤتلف : « بِمَكَّتْهَا » . وفي الأصل : « مِنْ الْحَمَامِ » ، صوابه في المؤتلف .

(٤) ط ، س : « فِي » وتصحيحه من ل . والسهمي هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمي ، قال الجاحظ في البيان ٣ : ٣٥٩ : « وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ السَّهْمِيُّ وَكَانَ يُشَيِّحُ لَوْلَادَهُ كَانَتْ نَالَتَهُ ، وَصَمِعَ عَمَّالَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُمَرِيِّ يُلْعَنُونَ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ عَلَى الْمَنَابِرِ » . وَأُنْشِدَ الشُّعْرَ الْآتِي . أَوْ هُوَ كَثِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ السَّهْمِيِّ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِيِّ ٣٤٨ ، قَالَهُمَا لِمَا كَتَبَ حُشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَأْخُذَ النَّاسَ بِسَبِّ عَلِيٍّ .

(٥) المطيبون : المطهرون . في ل : « أَيَسَّبُ الْمُطِيبِينَ » ، وفي المعجم « أُنْسَبُ الْمُطِيبِينَ » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت في المعجم وبعد البيت الذي يليه في البيان :

طَبْتُ بَيْتًا وَطَابَ بَيْتُكَ بَيْتًا أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الْإِسْلَامِ » ، وهي رواية عخرقة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأن ابن الزبير وشأن ابن الحنفية^(١) ، فقال :

ومن يرَ هذا الشيخَ يا خليفَ من مَنى^(٢)

بَنَ النَّاسَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ

سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ^(٣) وَفَكَأَنَّ أَغْلَالَ وَنَفَاعَ غَارِمٍ

أَبَى فَهُوَ لَا يَشْرِي هُدًى بِضَلَالَةٍ وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَمٍ

وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ حُلُولاً بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفِ الْحَارِمِ^(٤)

بِحَيْثُ الْحَمَامُ آمَنَاتٌ سَوَاكِنُ وَتَلْقَى الْعَدُوَّ كَالْوَلِيِّ الْمَسْلَمِ

(حماسة نوح)

قال صاحب الحمام : أمّا العرب والأعراب والشعراء ، فقد أطبقوا على

أَنَّ الْحَمَامَةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ دَلِيلَ نُوحٍ وَرَأْدَهُ^(٥) ، وَهِيَ الَّتِي اسْتَجَعَلَتْ^(٦)

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابني علي
بيد أن والده هذين هي فاطمة الزهراء ، وأم ذلك هي غولة بنت جعفر الحنفية ،

فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً
واسع العلم . وكان المختار الثقف يدهو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدي ،

وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برغوى . ولد بالمدينة سنة ٢١
وتوفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من مَنى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم الرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجاوزون
في مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « الحارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً في الأرض يصلح مرقاً للبقية . انظر الحيوان

(٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجمالة — كسحابة — وهي الرشوة . والرشوة : العطاء في

مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الَّذِي فِي عُنُقِهَا ، وعند ذلك أعطاه الله تعالى تلك الحِلْيَةَ ،
وَمَنَحَهَا تلك الزَّيْنَةَ ، بدعاء نوح عليه السلام ، حينَ رَجَعَتْ إِلَيْهِ وَمَعَهَا من
الكَرَمِ مَا مَعَهَا ، وفي رجليها من الطَّيْنِ والحِمْيَةِ ما برجليها ، فَعَوِضَتْ من
ذلك الطَّيْنِ خِضَابَ الرُّجُلَيْنِ ، ومن حُسْنِ الدَّلَالَةِ والطَّاعَةِ طَوْقَ العُنُقِ .

(شعر في طرق الحمامة)

وفي طوقها يقول الفرزدق ^(١) :

فَن يَكُ خَائِطاً لِأَذَاةٍ ^(٢) شِعْرِي فَقَدْ أَمِنَ الْهِجَاءُ بَنُو حَرَامٍ
هَم قَادُوا ^(٣) سَفِيهِهْمُ وَخَافُوا قَلْبِي مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
وَقَالَ فِي ذَلِكَ بَسْكَرُ بْنُ النَّطَّاحِ ^(٤) :

(١) يقول هذا الشعر في رجل من بني حرام ، كان قد هجا الفرزدق ، فغشى قومه من لسان
الفرزدق فجاؤا به يقدونه إليه ، فقال البيهقي . أنظر العمدة (١ : ٣٨) .
والبيهقي لم أجدهما في الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبي في النماز ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفي ط فقط : « لأذات » محرقة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س والعمدة . وهذا في النماز :
« منوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان في زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ،
وكان يماثر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من
الحدادين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر
صاحب المقطعة الرقيقة التي تنفيها في صعرنا هذا زعيمة الفناء أم كلثوم .
وأول هذه المقطعة :

أَكْذِبْ نَفْسِي عَنْكَ فِي كُلِّ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ أَذْنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
وهي صوت من أصوات الأغاني (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غَنَنْتِي بِبَغْدَادَ قَيْنَتَ وإن شئتُ غَنَانِي الْحَمَامُ الْمَطُوقَ
لباسي الحسامُ أو إزارُ مُعْصَرُ وِدِرْعُ حَلِيدٍ أَوْ قَيْصُ عَمَلَقِ^(١)
فذكر الطوقَ ، ووصفها بالغناء والإطراب . وكذلك قال حميد بن ثور :
رَقُودُ الضُّحَى لَا تَعْرِفُ الْجَبِرَةَ^(٢) الْقَصَا^(٣)
ولا الجبرة الأذنينَ إِلَّا تَجَشَّأ^(٤)
وليستَ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ حَدِيثُهَا أَمَامَ بَيُوتِ الْحَيِّ إِنَّ وَإِنَّمَا
ثمَّ قال :
وما حاجَ هذا الشَّوْقَ إِلَّا حَامَةً دَعَتْ سَاقَ حَرٍّ تَرَحُّمَةً وَتَرْتُمَا^(٥)

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدروع الحديد في حال الحرب ، والإزار المعصر والقميص الخلق في حال السلم . الخلق : الملبس بالخلوق ، وهو يفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجبرة : جمع جابر ، مثل قاع وقبة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفيرة بمدح زيارتها لجاراتها أو ندوة ذلك . قال أبو قيس بن الأملث :

ويكرمها جاراتها فيزورنها وتمتل من إتيانها فتصدر
وليس لها أن تستبين بمجاعة وليكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل في امرأة عفرة . الأغاني (٩٥ : ١٥٩) . ل :
« الجيزة » تصحيف .

(٣) القصا : جمع قصوى ، وهي البعيدة . وقد رسمت في ل : « القصى » وهي كتابة جائزة ، فإكان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسورا أو مضموما ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا . انظر المقصور ص ٦ .

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حل نفسه عليه وتكلفه . وفي ل : « تجشما » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القهارى ، أو هو صوت الحمام . وروى في ل وكذا السان (حرر) : « في حلم نوما » وأثبت ما في ط ، س ، وكذا السكامل ٥٠٣ ليسك وزهر الأداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب الكتاب ٢٣ ونثار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترجمة : ضد الفرسة .

مطوّقة خطباء^(١) تصدّحَ كلما دنا الصّيفُ وانجاب الربيعُ فأنجما^(٢)

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنّني بأجزاعٍ بيّشةٍ أو السّخلِ من تّثليثٍ أو يلملما^(٣)

عجبتُ لها ، أنّي يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمنطقها فإ

ولم أرَ محزوناً لهُ مثلُ صوتها ولا عريباً شاقه صوتُ أعجبا

وقال في ذكر الطّوق - وأنّ الحماة نواحة - عبد الله بن أبي بكر^(٤)

وهو شهيد يوم الطائف^(٥) ، وهو صاحبُ ابن صاحب^(٦) :

(١) الخطباء : التي فيها خطبة ، أي سواد ويابس . وفي س فقط : « غنّباء »
أي حمرة الساتين ، ويبرز هذه ما ورد في الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهي رواية
المقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفي ل « وازال » وهي صحيحة ، يقال : ازال
عنه : فارقه . وأنجم : ألقع وولى . وفي س : « بأنجما » تحريف .

(٣) الأجزاء : جمع جزع بالكسر ، وهو منحى الوادى . وبيشة ، بالكسر :
بلد جنوبي مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلمل :
موضع على ليلتين جنوبي مكة . ويقال له أيضاً « الملم » و « برمرم » . وجاء
في ل : « بينمنا » ولم أر هذه اللفظة . وفي س : « يلملما » وهي تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبي بكر وهما
في الغار ومعه أخبار قريش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش .
وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر في حصارها ، فأت شهيدا
في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة ذنانير فاستكثرها أبو بكر .
المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة . لما انتهزت
ثقيف في غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرم بالطائف ثيفا وعشرين يوما
ثم انصرف عنهم . وفي الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا
اليوم كان في سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي بعد
وفاته عبد الله بنو خمسين سنة . وانظر التنبية السابق وحيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق^(١)
 أعانك لا أنساك ما هبت الصبا وما نأح قري السهام المطوق
 وقال جهنم بن خلف ، وذكرها بالنورح ، والغناء ، والطوق ، ودعوة
 نوح ، وهو قوله :

وقد شافني نوح قريه طروب العشي هتوف الضحى
 من الورق نواحة باكرت عسيب أشاء بذات الغضا^(٢)
 تغت^(٣) عليه بلحن لها يهيج للصب ما قد مضى
 مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها إذ دعا^(٤)
 فلم أر باكية مثلها تبكي ودمعتها لا ترى^(٥)
 أضلت قريحا فطافت له^(٦) وقد علقته حبال الردى
 فلما بدا اليأس منه بكنت عليه ، وما ذا يرئ البكا
 وقد صاده ضررم ملحم خفوق الجناح حيث النجا^(٧)

- (١) يشير بذلك إلى زوجة ، عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسنة جميلة فأولع بها وشغفه عن مفازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبتها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجىها . الإصابة ١٩٢ قسم النساء ، والمقدمة ٤ : ١٧٥ - وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبتها نفسه - وتيمم الراغب الأصفهاني في المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الطراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .
 (٢) الأشاء : صفار النخل ، أوعاته . والعسيب : الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف .
 (٣) ل : « ففتت » ، وما أتيت أجزل .
 (٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .
 (٥) هذا البيت أثبت في ط بعد البيت الآتي . والوجه ما كتبت من ل ، س .
 (٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أى من أجله أيضا .
 (٧) الضررم : الشديد الجوع . والملاحم ، بكسر الميم : الذى يطعم صاحبه لحم الصيد ، ويفتح الميم : الذى يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحديث النجا : السريع الطيران . وقد عني به البازي أو الصقر .

حَدِيدَ الْمُخَالِبِ عَارِي الْوَطِيءِ فِ ضَارٍ مِنَ الْوُزْقِ فِيهِ قَنَا^(١)
تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ جَوَامِزَ^(٢) مِنْهُ إِذَا مَا اغْتَدَى

(نزاع صاحب الدِّيكِ في الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأنا قوله :

مَطْوَقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوْقًا وَلَمْ يَخْصُصْ بِهِ^(٣) طَيْرًا سِوَاهَا
٦٢ كَيْفَ لَمْ يَخْصُصْ بِالْأَطْوَاقِ^(٤) غَيْرَ الْحِمَامِ ، وَالتَّنَادِرِجُ أَحَقُّ بِالْأَطْوَاقِ
وَأَحْسَنُ أَطْوَاقًا مِنْهَا ، وَهِيَ فِي ذِكْوَرَتِهَا أَعْمَ ؟ ! وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصِفْ بِالطَّوْقِ
الْحِمَامَةَ الَّتِي فَاخَرْتُمْ بِهَا الدِّيكَ ، نَكُنَّ الْحِمَامَةُ لَيْسَتْ بِمَطْوَقَةٍ ، وَإِنَّمَا الْأَطْوَاقُ
لِلذَكَوْرَةِ^(٥) الْوَارِشِينَ [وَأَشْبَاهُ الْوَارِشِينَ ، مِنْ] نَوَاحِ الطَّيْرِ وَهَوَاتِفِهَا
وَمَغْنِيَّاتِهَا . وَلِلذَلِكَ قَالَ شَاهِرُكُمْ ، حَيْثُ يَقُولُ^(٦) :

(١) الورد : جمع أورد ، وهو ما في لونه يباين إلى سواد . وفي ل : « الأزرق »
وما جاء في وصف الصقر بالزرقه قول ذي الرمة :

نظرت كما جل على رأس وهوة من الطير أفنى ينقض الظل أزرق

والثنا : تنو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا في الفرس عيب ،
وفي الصقر والبازي ملح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جز إذا دعا .

(٣) في الأصل : « بها » والفسير « أنه إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه في ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبي بكر كما سبق في ص ١٩٩ .

أَعَاتَكَ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَحَّ قُرَى الْحَمَامِ الْمَطْوِقُ^(١)
وقال الآخر^(٢) :

وقد شاقني نوحَ قسريةٍ طروبِ العشيِّ هتوفِ الضحى
ووصفها فقال :

مطوقةٌ كسيت زينةً بدعوةٍ نوحٍ لها إذ دعا
فإن زعمت أن الحمامَ والقمرى واليمامَ والفواخيتَ والدُّبَّاسى^(٣) والشفانينَ
والوراشينَ حمامٌ كله ، قلنا : إننا نزعم أن ذكورةَ التَّدَارِجِ وذكورةَ
الْقَبِجِ ، وذكورةَ الحَجَلِ ديوكٌ كلها . فإن كان ذلك كذلك ، فالقمرُ
بالمطوقِ نحن^(٤) أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمى هذه الأجناسَ كلها حماماً ،
فجمعوها بالاسم العام ، وفرَّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صورها متشابهة^(٥)
وإن كان في الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفي الجثثِ بعضُ الاختلافِ^(٦)
وكذلك المناقيرِ . ووجدناها تتشابه^(٧) من طريقِ الزَّواجِ ، ومن طريقِ

(١) يدل هذا الشطر الأخير في كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن غلف كما سبق في ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدُّبَّاسى : جمع دُبى بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشى
ط ، س : « الدبسى » ل : « الدبسى » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بخلاف اتاء الأولى .

الدَّعَاء والغناء والنُّوح ، وكذلك هي في القُدُودِ وصُور الأعناق ، وقصب
الريش ، وصِبْغَة^(١) الرُّعُوس والأرجل والسُّوق والبرَّائِنِ^(٢) . والأجناسُ
التي عدتْ ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زِواج . وليس بين
الذَّيْكَة وبين تلك المذكورة نسبٌ إلَّا أنَّها من الطَّيْرِ الموصوفة^(٣) بكثرةِ
السَّفَاد ، وأنَّ فِرَاحَها وفرارِيجَها تخرُج من بيضها كاسية [كاسية] . والبَطُّ
طائرٌ مثقل ، وقد ينبغي أن يجعلوا فرخَ البَطَّة فرُوجاً ، والأنثى دجاجةٌ
والذَّكَرُ دِيكاً ، ونحنُ نجدُ الحُكَّامَ ، ونجدُ الوراشرين ، تتسافد وتتلَاقح ،
[ويحيى منها الراعيُّ والوردانيُّ ، ونجدُ القَوَاحِثَ والقَهَّارِيَّ تتسافد وتتلَاقح] ،
مع ما ذكرنا من التشابُّه في تلك الوجوه . وهذا كُلُّهُ يدلُّ على أنَّ بعضها
من بعضٍ كالْبُهْخِثِ والعَرَابِ ونتائج ما بينهما^(٤) ، وكالبراذين والعِناق ،
وكلها خيَلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التُّدَارِجِ والقَبَجِ والحِجَلِ
والذَّجَاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا

وعلى أنَّنا قد وجدناَ الأطواقَ عامَّةً في ذواتِ الأوضاحِ مِنَ الحُكَّامِ ،
لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشَّيَاطِ وَأَشْكَالِ [و]^(٥) ألوان الريش
ما ليس لغيرها من الطَّيْرِ : وَلَوْ احْتَجَجْنَا بالتَّسَافُدِ دُونَ التَّلَاقُحِ ، لكان
٦٣ لِقَائِلُ مقال ، وَلَكِنَّا وَجَدْنَاهَا تَجْمَعُ^(٦) الْخَصْلَتَيْنِ ، لأنَّنا قد نجدُ سَفْهَاءَ

(١) الصبغة ، بالكسر : الحية والخلفة . وفي ط ، س : « صبغة » .

(٢) البرائن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « ونتائج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وجدنا ما يجمع » .

النَّاسَ ، ومن لا يَتَّقِدُ^(١) من الناس والأحداث^(٢) ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، وَيَقْبِلُ طُرُوقَهُ^(٣) ، وتطول عُرْبَتُهُ^(٤) ، كالمُغْرَبِ^(٥) من الرِّعَاءِ^(٦) فإنَّ هذه الطَّبَقَةَ من النَّاسِ ، لم يَدْعُوا^(٧) نَاقَةَ ، ولا بَقَرَةَ ، ولا شاةً ، ولا أُنثَاءً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْرًا ، ولا كَلْبَةً ، إلَّا وقد وقعوا عليها .

وَلَوْلَا أَنَّ في نفوسِ النَّاسِ وشمواتهم ما يدعو إلى هذه القاذورة^(٨) ، لَمَا وجدتَ هذا العَمَلِ شائعاً في أهل هذه الصِّفَةِ^(٩) ، وَلَوْ جَمَعْتَهُمْ لَجَمَعْتَ أَكْثَرَ من أهلِ بَغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلْقَحْ واحد^(١٠) منهم شيئاً من هذه الأجناس على أَنَّ بعض هذه الأجناس يتلقى^(١١) ذلك بالشهوة المفرطة .

ولقد خَبَّرَنِي من إخواني من لَا أَنَّهُمْ خَبَّرَهُ أَنَّ مملوكاً كان لبعض أهل القطيعة — أعنى قطيعة الربيع^(١٢) — وكان ذلك المملوكُ يَكُومُ بغلة

(١) ل ، س : « يَتَّقِدُ » ، ومعناها متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفي الأصل : « تَقِلُّ طُرُوقُهُ » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرأة أهل .

(٥) المغرب : الذي أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرهما : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في ل .

(٧) ط ، س : « لم يَرْعُوا » ، وليست ترحى الكلبة .

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « في هذه الصِّفَةِ » ولعل صوابها : « في هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) حل بمعنى مع . وفي ط ، س : « وعَلَّ أَنَّهَا تَتَلَقَّى ذَلِكَ بِالشَّهْوَةِ الْمَفْرُطَةِ » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التي لملك لأحد عليها ، ولا عمارة توجب ملكاً لأحد . ويظهر أن أول من توسع في هذا النظام في الإسلام هو الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردي في الأحكام السلطانية (١٦٨ — ١٧٥) حديثاً سهياً في هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت يكرخ بغداد . معجم البلدان .

وَأَنبَأَ كَانَتْ تَوَدَّقُ وَتَلْمِظُ ^(١) وَأَنبَأَ ^(٢) فِي بَعْضِ تِلْكَ الرَّقَعَاتِ تَأَخَّرَتْ
وَهُوَ مَوْعِبٌ فِيهَا ذِكْرَهُ تَطْلُبُ الزِّيَادَةَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَمْلُوكُ يَتَأَخَّرُ وَتَتَأَخَّرُ الْبَغْلَةُ
حَتَّى أَسْنَدَتْهُ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْإِصْطِيلِ ، فَأَضْطَخَتْهُ حَتَّى بَرَدَ ^(٣) ، فدخل
بَعْضُ مَنْ دَخَلَ فَرَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ^(٤) فَصَاحَ بِهَا [فَتَنَحَّتْ] وَخَرَّ
الْغَلَامُ مَيِّتًا ^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي صَدِيقٌ لِي قَالَ : بَلَغَنِي عَنْ بَرْدُونٍ لَزَرْقَانَ ^(٦) الْمَتَكَلِّمُ ، أَنَّهُ
كَانَ يَدْرِخُ ^(٧) لِلْبَغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالْبَرَاذِينِ حَتَّى تَكُونَهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا فِي ذَلِكَ
الْإِصْطِيلِ ، فَتَنَاولْتُ الْمَجْرَقَةَ ^(٨) ، فَوَضَعْتُ رَأْسَ عَوْدِ الْمَجْرَقَةِ ^(٩) عَلَى

(١) تَوَدَّقَ : تَرِيدُ الْفَعْلَ . ل : « تَوَدَّقَ » . تَلْمِظُ : تَخْرُجُ لِسَانَهَا كَتَلْمِظِ الْآكِلِ .
ط س : « تَلْمِظُ » .

(٢) ط : « فَأَنبَأَ » وَجِهَهُ ق ل ، س .

(٣) « أَضْطَخَتْهُ » بِقَلْبِ تَاءِ الْإِفْصَالِ ضَادًا ، شَفَوُذٌ صَرَقٌ ، قِيَاسُهُ : أَضْطَخْتُهُ .
وَحَكِي صَاحِبُ اللِّسَانِ : « أَضْطَخْتُ » . قَالَ : « وَالْقِيَاسُ أَضْطَلَطُ » . وَلَمْ أَرَاهَا
إِلَّا مُتَضَدِّيةً بِعَلٍ . وَبَرَدَ : مَاتَ .

(٤) ل : « فَذَاذَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ » .

(٥) ل : « فَخَرَّ الْغَلَامُ مَيِّتًا » . خَرَّ : سَقَطَ .

(٦) زَرْقَانٌ هَذَا هُوَ غَلَامٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارِ النَّظَّامِ وَتَلْمِيزُهُ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ شَدَّادِ بْنِ حَبِيبٍ ،
كَانَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (الْمَسَامَةِ) . وَقَدْ حَكِيَ زَرْقَانُ عَنِ النَّظَّامِ أَقْوَالًا فِي الْفَرَقِ ٥٠ - ٥١ .
وَقَدْ عَمِدَ الْمَسْعُودِيُّ فِي التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ ٣٤٢ . ط ، س : « لَوْزَقَانَ » ل : « لَزَرْقَانَ »
وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) يَدْرِخُ لَهَا : يَطَارِعُهَا فِيمَا تَطْلُبُ مِنْهُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي الْحَمَامِ . وَفِي ط ، س :
« يَشْمَعُ » وَمُقَوِّدَاهُمَا وَاحِدٌ .

(٨) الْمَجْرَقَةُ : الْمَكْتَمَةُ وَزَنَا وَمَعْنَى . ط ، س : « الْمَجْرَقَةُ » تَصْغِيرُ
مَاتِي ل .

مَرَّانِهِ ^(١) وَإِنَّهُ لَا كَثْرَ مِنْ ذَوَاعٍ وَنَصَفٍ ^(٢) ، وَإِنَّهُ نَحْلَسِنْ غُلِظْتُ غَيْرَ
مَحْكُوكٍ [الرأس] وَلَا تَمْلَسِهِ ^(٣) ، فَدَفَعْتَهُ حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى الْعُودِ ، وَامْتَنَعَ مِنْ
الدُّخُولِ بِيَدِنِ الْمَجْرُفَةِ . فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا رَأَهُ تَأَطَّرَ وَلَا انْتَفَى .

قال صاحب الحمام : فهذا فرق ما بيننا وبينكم .

(ما وصف به الختام من الإسماعاد وحسن الفناء والإطراب)

وَتَذَكَّرَ ^(٤) مَا وُصِفَ بِهِ الْحَمَامُ مِنَ الْإِسْمَاعَادِ ^(٥) ، وَمِنْ حُسْنِ الْفَنَاءِ وَالْإِطْرَابِ
وَالنُّوْحِ وَالشَّجَا ^(٦) . قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ :
إِذَا ثَنَّنْتَ الْفُصُونَ جَلَّتِي فَيَنَانُ مَا لِي أَدْرِيهِ جُوبٌ ^(٧)

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : عجز الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) في الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسماعاد : المعاونة والمشاركة في البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام . والشعر
الآتي وما بعده ناظم له . وفي الأصل : « الأشعار » وهو تحريف حق ،
صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجي » ومادته واوية .

(٧) ثنته الفصون ، يعني ظل العنب . جالتي : غطائي . والفينان : أصله الحسن الشعر
الطويله ، وأراد به الفصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح يعني
الفجوة . وفي ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود
وأصح . وقيل هذا البيت في الديوان ٢٤٢ :

قطريل مريمي ولي يقرى الكر خ مصيف وأي العنب
ترغمني درما وتلحقني يظلمها والمجير يلهب

نَيْتٌ فِي مَأْتِمٍ حَائِمَةٍ كَمَا تُرْنُ الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ (١)
يَهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخْفِضُنَا طَرْبُ (٢)
وقال آخر (٣) :

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَتْنٍ وَهْنًا (٤) وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فَقُلْتُ اعْتِدَارًا عِنْدَ ذَلِكَ وَإِنِّي (٥) لِنَفْسِي تَمَّا قَدْ سَمِعْتُ لِلنَّائِمِ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقَتْني بِالْبُكَاءِ الْحَمَامَةُ
وقال نصيب :

٦٤

وَلَوْ قَبِلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتٍ صَبَابَةٍ بَسْعَدَى شَفَيْتِ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدِيمِ
وَلَكِنْ بَكْتُ قَبْلَ فَهَيْجٍ لِي الْبُكَاءِ بُكَاهَا فَقُلْتُ التَّضَلُّ لِلْمُتَقَدِّمِ
وقال أعرابي :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَاطِعَةَ الْقَوَى (٦) عَلَى أَنْ قَلْبِي لِلْفِرَاقِ كَلِيمٌ

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والصويت . وفي ل : « ترني » وهي صيحة ، يقال رنى الميت ورنه ، بالتشديد : بكاه وهدد بحاسته . وفي الديوان : « تراى » وهي رواية غير مقبولة . الفوائد : جمع فاقده ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفوائد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بن مروان ، كما في جملة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) ألومن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكي » وأثبت ما في ل والحامسة .

(٥) ط : « ذا عتلك » وهو تحريف مطيعي صوابه في س والحامسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الجبل : طاقاته ، جمع قوة ، أراد أنها قطعت جبل وده .

قريحٌ بتغريد الحمام. إذا بكث^(١) وإن هبَّ يوماً للجنوبِ نسيم^(٢)

[وقال] المبتون ، أو غيره :

ولولم يسجني^(٣) الرائحون لهاجني حمامٌ ورقٌ في الدِّيارِ وقوعٌ

تجاوِزٌ فاستسكينَ من كانَ ذا هوًى نوائحُ لا^(٤) تجري لمن دموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسيَّلاتِ الدَّحائلِ^(٥) باللوى^(٦)

عليكنَّ من بين السَّيالِ سلامٌ

أرى الوحشَ آجالاً^(٧) إليكنَّ بالضحى

لمنَّ إلى أفيائكنَّ^(٨) بُغام^(٩)

(١) ل : « يقرعه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسم » . س : « لو أن هب للجنوب نسم » .

(٣) ل : « ترعى » وصواب هذه الرواية : « يرضى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب في الأرض ضيق فيه ، ثم يتسع أسفلهُ حتى يمشي فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه الخافي الصنعية التي يمتشى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا في البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محركة في الأصل ، فهي في ط : « الأعايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدعايل » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسمابة ، وهي واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه البن .

(٦) ل : « بالفضى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقرة الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس آحادا » .

(٨) الأفياء : جمع أفى ، وهو القفل . ط فقط : « أفئانكن » تحريف يتألف به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم التثنية ، ولم أرها وجهها .

وَأَيُّ الْمُحْلُوبِ لِي الشُّوقُ كَلِمَا تَرَّيْتُمْ فِي أَفْئَانِكُنَّ^(١) حَمَامُ

وقال عمرو^(٢) بن الوليد :

حَالٍ مِنْ دُونِ أَنْ أَحْلِلَ بِهِ النَّأَى

فَتَبَدَّلْتُ مِنْ مَسَاكِينِ قَوْنِي

كَلِّ قَصْرِ مَشْيِدٍ ذِي أَوَاسٍ^(٣)

تَتَغَنَّى عَلَى ذُرَاهِ الْحَمَامِ

وقال آخر^(٤) :

أَلَا يَا صَبَا نَجِدَ مَتَى هِجَّتَ مِنْ نَجْدٍ

أَنَّ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْقِ الضُّحَى

فَقَدْ هَاجَ لِي مَسْرَاكَ وَجَدَ أَعْلَى وَجَدَ^(٥)

عَلَى غُصْنٍ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ^(٦)

(١) ص : « أفئانكن » تحريف .

(٢) ل : « عمرو » وصوابه ما أثبت من ط ، ص والأغاني (١ : ٦) ، وكذا

ذكره المرزبانى فى الشعر . ٢٤٠ فىمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو

ابن الوليد بن عتبة بن أبي معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » .

وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من

أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شرى وأين متى ليت أعلى العهد يلبن فبرام

أم كمهدى العقيق أم غيرته بطى الخلدانات والأيام

وبأهل بدلت هكنا ونلما وجدانا وأين متى جذام

(٣) ل : « أسئل به النأى » محرف . والحرب المقام ، بهم العين ،

وفضحا : الشديدة .

(٤) أواس : جمع أسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويرى : « أواس »

قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية لى متقوثة .

(٥) هو عبد الله بن النعمان الكنعنى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان

ابن النعمان ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الرجح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) آن : لى الآن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فن » . والرند :

شجر طيب الرائحة .

بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ
جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي^(١)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحَبَّ إِذَا دَنَا^(٢) يُحْمَلُ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(أَنَسَابُ الْحَمَامِ)

وَقَالَ صَاحِبُ الْحَمَامِ : لِلْحَمَامِ مَجَاهِيلٌ ، وَمَعْرُوفَاتٌ ، وَخَارِجِيَّاتٌ ،
وَمَنْسُوبَاتٌ . وَالَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ دَوَائِنُ أَصْحَابِ الْحَمَامِ أَكْثَرُ مِنْ كُتُبِ
النَّسَبِ الَّتِي تَضَافُ إِلَى ابْنِ السَّكَيْتِ ، وَالشَّرْقِيِّ بْنِ الْقَطَايَ ، وَأَبِي الْيَقْظَانَ^(١) ، ٦٥
وَأَبِي عُيَيْدَةَ النَّحْوِيِّ ، بَلْ إِلَى دَغْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَابْنِ لِسَانَ الْحُمْرَةِ^(٢) ،
بَلْ إِلَى صَحَّارِ الْعَبْدِيِّ . وَإِلَى أَبِي السَّطَّاحِ الْخَمِيِّ^(٣) ، بَلْ إِلَى النَّخَّارِ

(١) الْجَلِيدُ : الصَّيُور . ط ، س : « كُنْتُ لَا تَبْدِي » وَاثْبُتَ رَوَايَةُ لِ
وَالْحَمَامَةِ وَالْهَيَوَانِ .

(٢) ط ، س : « نَأْي » وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَفْسُدُ الْمَعْنَى ، وَهُوَ عَلَى الصَّوَابِ فِي لِ
وَالْحَمَامَةِ وَالْهَيَوَانِ .

(٣) يَمْدُ هَذَا الْبَيْتِ - وَكَانَ جَدِيراً بِالْمُجَاحِظِ أَنْ يَنْتَبِهَ ؛ لِأَنَّهُ يَتِمُّ الْمَعْنَى - :
عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِلَى وَدِ
(٤) فِي الْأَسْلَسِ : « ابْنُ أَبِي الْيَقْظَانَ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ . وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ أَبِي الْيَقْظَانَ
فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ١٠ .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ٢٠٠) ، وَتَرْجُمَةُ صَحَّارِ فِي (١ : ٩٠) .
(٦) وَكَذَا فِي الْبَيَانِ (١ : ٣٦٢) وَفِي بَعْضِ نَسَخِ الْبَيَانِ : « أَبُو السَّطَّاحِ » ، وَفِي الْقَفْهَرِ مَسْتُ
١٥٦ : « ابْنُ السَّطَّاحِ » ، وَذَكَرَ أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ .

العذرى^(١) ، وصبيح^(٢) الطائي ، بل إلى منجور^(٣) بن غيلان الضبي^(٤) ، وإلى سطيح^(٥) اللثبي^(٦) ، بل ابن شربة^(٧) الجهمي^(٨) ، وإلى زيد بن الكيس^(٩) النعمري^(١٠) ، وإلى كل^(١١) نسابة^(١٢) راوية^(١٣) ، وكل^(١٤) متفن^(١٥) علامة .

ووصف المذيل المازني^(١٦) ، مثنى^(١٧) بن زهير^(١٨) وحفظه لأنساب الحمام ، فقال : والله لو أنسب^(١٩) من سعيد بن المسيب^(٢٠) ، وقتادة بن دعام^(٢١) للناس ، بل هو أنسب^(٢٢) من أبي بكر الصديق^(٢٣) رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل

(١) البخار العلوي ، هو البخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب^(٢٤) العرب . وكان معاصرا لجليل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأناضول (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ في البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالبخار : قال : « كان إذا تكلم في الحاصلات ، وفي الصلح والاحتكام ، وإصلاح ذات البين ، وتخفيف الفريقتين من التفاني واليوار - كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حتى فخر » . وفي البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلطف معاوية مع في البيان (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفي البيان (١ : ٣٠٤) : « صح الحق » .

(٣) ط : « منجور » س : « منجور » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١) . وفيه يقول القلاخ بن حزن المقرئ :

إذا قال به القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالهتق

ولجرير فيه هجاه . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح اللثبي ، قال ابن إسحق في السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : اللثبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهل ، وهو وثق الكاهن المعاصر له ، كانا قد طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليميرا له رؤيا حاله - زحوا - فاتفقا في تمير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدهما في أوائل السيرة . ط ، س : « البلي » ، وهو تحريف صوابه في السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر في المصيرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شربة - ويقال سربة ، ويقال سارية - الجرهمي ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبي سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده في مجمع الأدباء (١٢ : ٧٣) والمصيرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليسك ١٢٢ مصر . وشربة ، يوزن عطية ، كما في الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعام السدوسي البصري ينتهي نسب إلى الحارث بن سلس ، ولد =

أعرف بالأمهات المنجيات من سُحيم بن حفص^(١) ، وأعرف بما دخلها من الهجنة والإقراف ، من يونس بن حبيب .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

قال : ومما أشبه فيه الحمامُ النَّاسَ في الصُّورِ والشَّائِلِ ورَقَّةَ الطَّبَاعِ ، ومُرَّةَ القَبُولِ والانقلاب^(٢) ، أَذْكَ إِذَا كُنْتَ صَاحِبَ قِرَاسَةٍ ، فَرُّكَ بِكَ رِجَالُ بَعْضِهِمْ كَوْفٌ ، وَبَعْضُهُمْ بَصْرِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ مَدَنِيٌّ^(٣) ، وَبَعْضُهُمْ شَائِيٌّ وَبَعْضُهُمْ يَمَانِيٌّ ، لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ أُمُورُهُمْ فِي الصُّورِ وَالشَّائِلِ وَالْقُدُودِ وَالنَّغَمِ أَيْتَهُمْ^(٤) بَصْرِيٌّ ، وَأَيْتَهُمْ كَوْفٌ ، وَأَيْتَهُمْ شَائِيٌّ ، وَأَيْتَهُمْ يَمَانِيٌّ ، وَأَيْتَهُمْ مَدَنِيٌّ . وكذلك الحمام ، لا^(٥) تَرَى صَاحِبَ حَمَامٍ تَخْضِي عَلَيْهِ نَسَبَ الْحَمَامِ^(٦) وَجَنَسَهَا وَبِلَادُهَا إِذَا رَأَاهَا .

= أسمى ، وكان تابعيا عالميا كبيرا نساية ، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقه ، أخذ من الحسن البصري وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئا قط ! ثم قال : يا غلام ناولني نعل . فقال : نعلك في رجليك ! ! ولد سنة ٦٠ وتوفي سنة ١١٧ في أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدياء ، والمعارف .

- (١) هو أبو اليقظان الذي سبقت ترجمته في (٢ : ١٠) .
- (٢) ط ، س : « لالقلاب » .
- (٣) كذا في ط ، س وهو الوجه . جاء في معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ، مدني ، مطلقاً . وإك خبرها من المدن ، مدني ؛ ففرق لا لمة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدني . » وفي ل : « مدني » .
- (٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيتهم » في مواضعها الخمسة .
- (٥) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ألا » .
- (٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخر ، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسةِ دنانير ، ولا يبلغ ^(١) ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا صقرٌ ولا عقابٌ ، ولا طائوسٌ ، ولا ندرجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردنا أن نحقق الخبرَ بأنَّ بردونا أو فرساً يبيع بخمسةِ دنانير ، لما قدرنا عليه إلا في حديث السمر ^(٢) .

وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ، ثم دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية يبيع الفرج الذكر من فراخه بعشرين ديناراً أو أكثر ، ويبتع الأنثى بعشرة دنانير أو أكثر ، ويبتع البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزوج منهما [في الغلة] مقام ضيعة ، وحتى ^(٣) ينهض بمؤنة العيال ، ويقضى الدين ، وتبنى من غلاته وأثمان رقابهِ الدُّورَ الجياد ^(٤) ، وتبتاع الحوانيت المغلة . هذا ، وهي في ذلك الوقت ملهى عجيبٌ ، ومنظرٌ أنيقٌ ، ومعتبرٌ لمن فكر ، ودليلٌ لمن نظر ^(٥) .

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليل . ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن القيم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرس (المقالة الثالثة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » جمع جنة ، والجنان ليست ما

يبنى . وصوابه في ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحجر ورأى قصورها^(١) المبينة لها بالشامات^(٢) وكيف
اختزان^(٣) تلك الغلات ، وحفظ^(٤) تلك المشونات ؛ ومن شهد أرباب الحمام ،
وأصحاب الهدى^(٥) وما يحتملون فيها من الكلف الغلاظ أيام الرجل ،
في حملاتها على ظهور الرجال ، وقبل ذلك في بطون السفن ، وكيف تفرّد^{٦٦}
في البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرّق إذا كانت التفرقة أمثل^(٦)
وكيف تنقل^(٧) الإناث عن ذكورها ، [وكيف تنقل الذكورة عن
إناثها] إلى غيرها ، وكيف يخاف عليها الضوى^(٨) إذا تقاربت أنسابها ،
وكيف يخاف على أعراقها من دخول الخارجيات فيها ، وكيف يحنط^(٩)
في حمة طرفها وتجلها^(١٠) ، لأنه لا يؤمن^(١١) أن يحمط الأنثى ذكر من

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شعلان ، كسلطان : حصن في جبل الكمام قرب
أنطاكية . والتصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .

(٢) الشامات هي بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة
وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحلث وبنارس وغير ذلك . ط ،
س : « بالسامان » محرف .

(٣) ط ، س : « القرآن » ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٤) ل : « وخفة » تحريف .

(٥) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) في التنبيه الثالث .

(٦) هذه الجملة ليست في ل .

(٧) ط ، س : « تنقل » ، وصوابه في ل .

(٨) الضوى : الهزال واللقة والصف . ط ، س : « يحنط » .

(٩) ط ، س : « يحنط » .

(١٠) النجل : النسل وزنا ومعنى .

(١١) في الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ نَى الشَّجَرِ بنصيبٍ ، فتعثر به الهُجْنَةُ — والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرَقِهَا ^(١) . وهم لا يحوطون أرحام نساءهم كما يحوطون أرحامَ المتنجِّيات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلِها من الغاية ، والذين يعلِّمون ^(٢) الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيف يتخيَّرون الثقة وموضع ^(٣) الصدق والأمانة ، والبُعد من الكذب والرشوة ، وكيف يتوخَّون ذَا التَّجربة والمعرفة اللطيفة ، وكيف تسخو أنفسهم بالجمالة ^(٤) الرقيقة ، وكيف يختارون حملها من رجال الأمانة والجلد والشفقة والبصر وحسن المعرفة — لعلَّ عند ذلك ^(٥) صاحب الديك والكلب أنهما لا يجريان في هذه الحلبة ، ولا يتعاطيان هذه الفضيلة ^(٦) .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات الحفظ والذكر ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ما ليس لشيء]

(١) طَرَقِها : أى طارقتها ، وهو فعل الأنثى .

(٢) ل ، ط ، « يملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه في س .

(٣) ط ، س : « في موضع » ووجه ما أثبت من ل .

(٤) الجمالة ، مثلثة : ما جعل للإنسان في مقابل عمله .

(٥) لعل : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ في ص ٢١٣ . ط ، س :

« ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القنص » ، بمعنى الحكم .

وكفالك اعتداه ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يحمى من برغثة^(١) ،
لا بَلْ من العليق ، أو من خَرشنة^(٢) [أ] و من الصفصاف^(٣) ، لا بَلْ
من البُغراس^(٤) ، ومن لؤلؤة^(٥) .

ثمَّ الدَّلِيلُ على أنه يستدلُّ بالعقل والمعرفة ، والفِكرَةُ^(٦) والعناية ،
أنه إنما يحمى من الغاية على تدريج وتدريب وتنزيل^(٧) . والدليل على علم
أربابه بأن تلك المقدمات قد نجحَ فيه ، وعلن في طباعه ، أنه إذا بلغ الرقعة
غمرُوا به بِكَرَّةٍ^(٨) إلى الدَّرب وما فوق الدَّرب من بلاد الروم ، بل
لا يجعلون ذلك تغميراً^(٩) ؛ لكان المقدمات والترتيبات التي قد عُملت فيه
وحدِّقته ومَرَّتته .

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٢١) .
وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة-وفين مجمعة مفتوحة وميم مفتوحة .
ط ، س : « ركة » ل : « رمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خَرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفي ط ، س :
« حوساه » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية
وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم ما يهيمنه اليوم بتركيا آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة في لُف جبل الكام - يضم اللام - بينها وبين
أنطاكية أربعة فراسخ . وفي الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت
من المعجم والقاموس . وهذه الكلمة وكلمة « من » بهما ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كلما في ل . وفي ط : « عن التدريج والتعوب والتنزيل » وفي س مثل
ما في ط مع إبدال كلمة : « والتدريب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمروا به : دفنوا به . في ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف
صوابه في ل .

(٩) ط ، س : « تغميزاً » ، وهو تصحيف ما في ل .

ولو كان الحمام مما يُرسل بالليل^(١) ، لكان مما يستدلُّ بالنجوم ،
لأننا رأيناها يلزم بطنَ الفُرات ، أو بطنَ دجلة ، أو يُطون الأودية التي قد مرَّ
بها ، وهو يرى ويُبصرُ ويفهمُ انحدارَ الماء ، ويعلمُ بُعدَ طولِ الجولانِ
[و] ^(٢) بُعدَ ^(٣) الزُّجَال ، إذا هو أشرف على الفُرات أو دجلة ، أن طريقه
وطريقَ الماء واحد ، وأنه ينبغي أن يتحدَّيَّ معه :

وما أكثرَ ما يستدلُّ بالجِوَاد^(٤) من الطُّرُق إذا أُعِيَتْهُ بطون الأودية .
فإذا لم يَدْرِ أمْصَعِدْهُ هو أمْ مُنْحَلِدْ ، تعرَّفَ ذلك بالريِّح ، ومواضع ^(٥) قُرَصِ
الشمس في السماء . ولا مما يحتاج إلى ذلك كله إذا لم يكن وقعَ بعدُ على رسمٍ يعملُ
٦٧ عليه ^(٦) . فربما كَرَّ ^(٧) حين يزجل به ^(٨) [يميناً و] شمالاً ، وجنوباً وشمالاً ،
وصباً ودُبوراً - الفَرَا سِيخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة .

(١) ل : « بالليل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها حاجة الكلام إليها .

(٣) كذا في ل ، ط ، وفي س : « بقدر » .

(٤) الجِوَاد : جمع جادة ، وهي معظم الطريق . وفي ط ، س : « بالجِوَاد »
أو « تحريف » .

(٥) كذا في ل ونثار الأزهار . وفي ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفي الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت
من نثار الأزهار .

(٧) كَرَّ : حلف ، أي مال في سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « حتى يرسل » وهذا تحريف وتصحييف .

(الغمر والمجرب من الحمام)

وفي الحمام الغمر والمجرب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغمر عريفاً^(١) فصاحبه يضمن به ، فهو يريد أن يدرّبه ويمرّنه^(٢) ثم يكلفه بعد الشيء الذي اتّخذ له ، وبسببه^(٣) أصطنعه [واتّخذهُ] . وإثماً أن يكون الغمر مجهولاً ، فهو لا يتعنى^(٤) ويُشقى نفسه ، ويتوقّع^(٥) الهداية من الأغمار المجاهيل .

وخصلة أخرى : أن المجهول إذا رجع مع الهدى^(٦) المعروفة ، فحملهُ معها إلى الغاية^(٧) فجاء سابقاً ، لم يكن له كبيرُ ثمنٍ حتى تتلاحق به^(٨) الأولاد . فإنّ اتّجَبَ فيهنّ صار أباً^(٩) مذكوراً ، وصار نسباً^(١٠) يرجع إليه ، وزاد ذلك في ثمنه .

(١) العريف : المعروف ، وبه سُمي عريف القوم : أي رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفي ل : « عريفاً » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو عل أن يدرّبه أو يمرّنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتّخذ » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : يتصّب ، أي يتصّب . ط ، س : « ييق » تحريف ما في ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقّع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثاني من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من

الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفي س : « معه » ويصح

فإن « الهدى » جمع هداد كما سبق في الجزء الثاني . والأفضل ما أثبت

من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبداً » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيباً » .

فأما المجرب غير الغمر ، فهو الذى قد عرفه الورود والتحصب ^(١) ،
لأنه متى لم يقدر على أن ينقص حتى يشرب الماء من بطون الأودية ^(٢)
والأنهر والغدران ، ومناقع ^(٣) المياه ، ولم يتحصب ^(٤) بطلب
بُزور البرارى ، وجاع وعطش - التمس مواضع الناس . وإذا
مر بالقرى والعمران ^(٥) سقط ، وإذا سقط أخذ بالبايكير ^(٦)

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفى ط ، س « بالورود » ولا يصح ؛ لأن
« عرف » لا تعنى بالياه ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه زيد ، أى سمه
زيد ، وعرفه بكذا : أى سمه به . انظر اللان . والتحصب ، بالحاء المهملة :
خروج الحام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك لبتاد البعد من
المدن حتى لا يقع فى أيدي الناس . ط : « والتحصب » ، س : « والتخشب »
وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوساط الأودية » . وفى ل : « من
أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س :
« مواقع » ، وليس من لغة المجاظر .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخشب » ، س : « يتخشب »
مخرفتان عما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع المأمرة بالناس . ل : « العمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حفصة المحقق الكبير الأب أنشاس ماري السكريل ، بما يأتى :
« البايكير » بيا موصلة تحمية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فكاف فارسة
مثناة مكسورة ، فياء مثناة تحمية ساكنة فراء - : كلمة فارسية مركبة من : باى
وهو نوع من الطير يسمى بالبرية : بوحة ، وبالفرنسية : Effraie naine
وبالإلمية باوا . ومن « كهر » ، ومماها جاذب . ومحصل اللفظين : حالب البوحة
ويراد بذلك مصيدة تحبك بالخيال عيوننا كميون شبكة صيد السمك ، وتجعل على
شكل سلة كبيرة تقلب على قها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصل ،
وباب داخل ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصل ، يراه كل ناظر إليه . أما
الداخل فيكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر
الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى -

وبالْقَاعَة^(١) وبِالْمَقَفِ^(٢) وبِالتَّذْبِيقِ^(٣) وبِالدُّشَاخِ^(٤) ، ورمى أيضا
بِالْجَلَاهِقِ^(٥) ، وبغير^(٦) ذلك من أسباب الصيد .

والحمام طائرٌ مُلْقَى غير مُوقَى^(٧) ، وأعداؤه كثير ، وسباع الطير تطلبه
أشدَّ الطلب . وقد يرفع مع الشاهين^(٨) ، وهو للشاهين أخوف . فالحمام

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر في أول
صنع المصيدة ، فإذا وجهه وجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذي يطلبه .
فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لا يمتدئ إلى الباب الداخل
لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيراً ، أو يحاول التخلص من مأزقه .
ووضعت البوطة لتكون ملوآحا لسائر الطير ، فإن هذا الملوأح يضطرب قترأه بعض
إخوته الطير ، فتدخل لتتقلده من ورطته ، أو لترافقه في أسره ، أو لتشاطره
طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعمه . فيؤخذ المخلوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة
على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد . اهـ .

(١) القفاعة كرمانة : شيء يتخذ من جريد الخيل ، ثم يندف به على الطير فيصاد .
يندف : يسيل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : « بالقف » .

(٣) التذبيق : الاصطياد بالذيق . والذيق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الدشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو)
أي اثنين ، و (شاخ) أي شعبة ، أو طرف أو رأس . ويحصل منها : ذو
الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ما تكون هذه الآلة من حديد ،
يصاد بها السمك ، في دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا .
كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرمل . قلت :
وهذه الكلمة هي في ط ، س : « وبالقف » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهق : البندق الذي يرى به الصيد . فارسي معرب . ل : « وبالرمي
بِالْجَلَاهِقِ » .

(٦) ل : « وبغيره » .

(٧) ملق : أي يلقى عتاً من الناس والطير . وبغير موقى : غير مصون من الأذى .
ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يرفع منه : أراد يطير منه طيراً سريعاً .

أُطِيرَ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، وَلَكِنَّهُ يُذْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ
وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَيَّارَ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَأَاهُ ^(١) ، وَالشَّاةُ إِذَا رَأَتْ اللَّذْبَ ،
وَالْفَارَةَ إِذَا رَأَتْ السُّتُورَ .

(سرعة طيران الحمام)

وَالْحَمَامُ أَشَدُّ طَيْرَانًا مِنْ [جَمِيعِ] سَبَاعِ الطَّيْرِ ، إِلَّا فِي انْقِضَاضِ
وَانْخِدَارِ ^(٢) ؛ فَإِنَّ تِلْكَ تَنْحَطُّ انْحِطَاطَ الصَّخُورِ . [وَ] ^(٣) مَتَى التَّقَتْ أُمَةٌ ^(٤)
مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، أَوْ جُفَالَةٌ ^(٥) مِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ ، أَوْ طِرْنٌ عَلَى عَرَقَةٍ ^(٦) وَخَيْطٍ
مَمْدُودٍ ، فَكُلُّهَا يَعْتَرِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّقْصِيرُ عَمَّا ^(٧) مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، إِذَا طَارَتْ ^(٨)
فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ .

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا في الانقضااض والانسكدار » . والانسكدار بمعنى الانقضااض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالفهم : الجماعة ، كما في اللسان . ل : « وامة » س : « وامة » ط :
« وامة » ، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجمع : الجماعة ، وفي ط ، س : « حفالة » بالحاء المهملة ،
وهي بمعنى الحفالة : الردى من كل شيء . وليس مراداً هنا ، فهي مصحفة عما في ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضاً . وفي ط ،
س : « غرقة » ولا تصح . و « طرن » بحرفة في الأصل فهي في ط ، س : « طرف »
وفي ل : « كن » ، وقد جعلها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند » ، تحريف .

(٨) ل : « إذكانت » .

ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثُرَ من الحمام ، فإِنَّهُنَّ كلما
الضغن وضاق موضعُهُنَّ كان أشدَّ لطيرَهنَّ : وقد ذكر ذلك الثَّابِغَةُ الدُّبَيَّانِي
في قوله :

وَأَحْكَمُ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَى إِذْ نَظَرَتْ

إلى حمامٍ شراعٍ واردٍ الشَّمَدِ^(١)

يَحْفُهُ جَانِباً نَبِيْقِي وَيَتَّبَعُهُ

مِثْلُ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ^(٢)

قالت : أَلَا لَيْتَنَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَامَتِنَا وَنِصْفَهُ قَقَدِ^(٣)

فَحِسْبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا حَسِبَتْ تِسْعَاوَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ^(٤)

فَكُنْتُ مِائَةً فِيهَا حَامَتُهَا وَأَسْرَعَتْ حَسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ^(٥) ٦٨

(١) احكم : كن حكيماً . وأراد بفتاة الحى : زرقاء الحمامة . و « شراع » هي رواية الأصمعي
كما في الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشراع : التي شرعت في الماء . والرواية
المعروفة : « سراع » بالمهملة ، جمع سريعة . وهذه أوجه ، فإن الأول يكون
التكرار ، إذ الشراع من الواردات . والثد : الماء القليل . والحمام وما أشبهه
من أسماء الأجناس يجوز أن يختص بجمعاً مفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتيبه » من الإتيان
كما في الخزانة ، وشرح التبريزي للمعطيات . والفاعل في الرواية الأولى هو كلمة :
« مثل » وفي الثانية الضمير المستكن الرابع إلى « فتاة الحى » . وأراد : « مثل
الزجاجة » عني الزياء . يقول : هي صافية كما صفت الزجاجاة . و « لم تكحل من
الرمد » أي لم ترمد فتكحل ، كقولاه :

• حل لاحب لاجلى بمناره •

(٣) التثوينين كلام طويل في هذا البيت ، تجده في مراجع النحر في الكلام حل « ليت » .

وانظر الكلام حل « ونصفه » في الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبوهُ : عدَّوه .

(٥) كان الحمام الذي رأته ستا وستين ، وهو ونصفه مع حامتها مائة .

قال الأصمعي^(١) : لما أراد مديح الحاسب وسرعة إصابته ، شدد الأمر وضيقه عليه ؛ ليكون أحملاً له إذا أصاب ؛ فجعله حَزَرَ^(٢) طيراً ، والطير أخف من غيره ، ثم جعله حماماً والحمام أسرع الطير ، وأكثرها اجتهداً في السرعة^(٣) إذا كثرت عدهن ؛ وذلك أنه يشتد^(٤) طيرانه عند المسابقة والمنافسة . وقال : يحفه جانباً يتيق ويتبعه ، فأراد أن الحمام إذا كان في مضيق من الهواء كان أسرع منه إذا اتسع عليه القضاء .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرب ويمرن ويُنزل في الزُّجال ، والغاية يومئذٍ واسط^(٥) . فكيف يصنع اليوم بتعريفه الطريق وتعريفه الورود والتحصن^(٦) ، مع بُعد الغاية ؟ !^(٧) .

(١) الحزر ، بالزى الساكنة : التدبير .

(٢) « وأكثرها اجتهداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توصلت بين البصرة والكوفة ، فيبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخاً . ويدلها ق ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصن : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التحصن » ل .

س : « التحصن » ، مصفقتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزجل من الحمام)

والبغداديون يختارون للزجال من الغاية الإناث ، والبصريون يختارون الذكور . فحجة البغداديين أن الذكر إذا سافر وبعد عهده بقمط الإناث ، وتاقت نفسه إلى السفاد ، ورأى أنشاه في طريقه ^(١) ، ترك الطلب إن كان بعد في الجولان ، أو ترك السير إن كان وقع على القصد ، ومال إلى الأني وفي ذلك الفساد ^(٢) كله .

وقال البصري : الذكر أحن إلى بيته لمكان أنشاه ، وهو أشد متناً وأقوى بدناً ، وهو أحسن اعتداء . فنحن لا ندع تقديم الشيء القائم إلى معنى قد يعرض وقد لا يعرض .

(نصيحة شذويه في تربية الحمام)

وممعت شذويه السلاطحي ^(٣) من نحو حسين مسنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار ^(٤) : اجعل كعبة حمامك في صحن دارك ، فإن الحمام إذا كان متى خرج من بيته إلى المعللة لم يصل إلى معللته إلا بجمع النفس والجناحين ، وبالنهوض ومكابدة الصعود — اشتد متنه ، وقوى

(١) ل : « في طريقه ويجيه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « سرفوعة السامعي » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أبي النمان » .

جناحه ولحمه . ومتى أرادَ يَبْتَهَ فاحتاج^(١) إلى أن يبتكس ويحيى منقضاً -
كَانَ أَقْوَى عَلَى الارتفاع في الهواء بعد أن يروى^(٢) . وقد تعلمون أن
الباطنيين أشدَّ [مثناً] من الظاهريين^(٣) ، وأنَّ النَّقْرَسَ لَا يُصِيبُ الباطنيَّ
في رجله^(٤) ليس ذلك إلَّا لأنَّه يصعد إلى العَلَالَى^(٥) فوق السَّكَادِيجِ^(٦)
درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درَبتم الحَمامَ [على]^(٧) هذا الترتيب
كَانَ أَصَوَّبَ . ولا يعجبنى تَدْرِيبُ العاتق وما فوق العاتق^(٨) إلَّا من الأماكن
الغريبة ، لأنَّ العاتقَ كالفَتَاةِ العاتق ، وكالصبيِّ الغرير ، فهو لَا يَعْلَمُهُ ضَعْفُ
البدن ، وَقَلَّةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجِبُنِي أَنْ تتركوا الحمامَ حَتَّى

(١) ط : « فاحتاج » ، تحريف ما في س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هي في ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « يمد »
ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » في ل . وإن كان وجهه
في الثرية : « الباطنيات » و « الظاهريات » إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام
« شافويه » كأوقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجسمه جمع العاقلين .
وفي ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف .
والباطني : نسبة إلى الباطن ، وهو الذي تكون تربته في باطن بيت مكنون قد مهدت
له في داخله كناديج : أي درجات يصعد عليها إلى قمرموصه . والظاهري : نسبة إلى
الظاهر ، والمراد به ما كان صموده إلى قمرموصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران
لأبالصعود التدريجي كما يصنع الباطني .

(٤) ل : « لا يصيب الباطني في رجله » .

(٥) العلالى : جمع عالية ، بالفهم والكسر ، وهي التفرقة .

(٦) السكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالفهم ، وهي خشبة عظيمة يستخدمها
الباني في بناء الجدران والطاقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت :
« الكندجة » في التاموس بفتح الكاف والذال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات
التي يصعد عليها الحمام . وفي ط : « الكساويج » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرسه ما لم يستحكم . ل : « المتق » في الموضعين .

إذا صار في عدد المسانِّ واحتل ، وولّد البطونَ بعدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوّة شبابِهِ ، حملتموه على الرّجلِ ، وعلى الثّمّرينِ ، ثمّ رميت به أقصى غايةٍ .
 لا ، ولكنّ التّدريبَ مع الشبابِ ، وانتهاء الحِلّة^(١) ، وكال القوّة ، ٦٩
 من قبل أن تأخذ القوّة في التّقصانِ . فهو يلقّن بقره من الحداثة^(٢) ،
 ويُعرّف بخروجه من حدّ الحداثة^(٣) . فابتدئوا به التّعليمَ والتّمّينَ في هذه
 المنزلّة الوُسطى .

(الوقت الملائم لتّمرين فراخ الحمام)

وهمُ إذا أرادوا أن يمرّنوا^(٤) الفراخَ أخرجوها وهي جائعة ، حتّى إذا
 ألّفوا إليها الحبّ أسرعّت النزول . ولا تُخرَحُ والريّح عاصف ، فتخرج قبل
 المغربِ وانتصافِ النهار . وحذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنّ
 الذّكورة يعمرها النّشاط والطّيّران والتّباعدُ ومجاورة القبيلة . فلن طارت
 الفراخُ معها سقطتْ على دُور الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ
 وعنايةٍ ، وإلى صبرٍ ومطاوَلَةٍ ؛ لأنّ الذي يُراد منها إذا احتيج^(٥) إليه بعد هذه
 المقدّمات كان أيضاً من العجَب العجيب .

(١) س : مع انتهاء الحلة والشّام .

(٢) كذا في ل : وفي ط ، س : بقوته مع الحداثة .

(٣) ل : الحداثة ، تحريف .

(٤) ل : يشبعوا .

(٥) ل : جئ .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار الحمام)

وحدثني بعض من أثقُ به أنَّ يعقوب بن داود ، قال لبعض من دخل عليه - وقد ذهب عني اسمه ونسيته ، بعد أن كنتُ عرفته - : أما ترى كيف أخلفَ ظنُّنا وأخطأ رأينا ، حتَّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أما كان في جميع من اصطغنناه واخترناه ، وتفرَّسنا فيه الخير وأردنناه ^(١) به - واحد ^(٢) تكفيناً معرفته ^(٣) [مؤنة] الاحتجاج عنه ، حتَّى صرْتُ لا أقرع ^(٤) إلا بهم ، ولا أعاب ^(٥) إلا باختيارهم ! قال : فقال له رجل إنَّ الحمام يُختار من جهة النَّسب ، ومن جهة الخِلقة ، ثم لا يرضى له أربابُه بذلك حتَّى ترتبه وتنزله وتدرجه ^(٦) ، ثم تُحمل الجماعة منه ^(٧) بعد ذلك الترتيب والتدريج إلى الغاية ، فيذهب الشطر ويرجع الشطر ، أو شيبة بذلك أو قريب ^(٨) من ذلك . وأنت عمدتَ إلى حمام لم تنظر في أنسابها ولم تتأمل مخيلة الخبير في خلقها ^(٩) ثم لم ترضَ حتَّى ضربتَ بها بكرة ^(١٠) واحدة .

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرفته » بحرفة ، وبعد هذه الكلمة أو حلقها .

(٤) كذا في ل ، س . وهو الصواب . وفي ط : « أقرع » .

(٥) ط ، س : « آداب » بحرف .

(٦) كذا في ط ، س ، وفي ل : « حتَّى يرتبه وينزله » .

(٧) ط ، س « منه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شيباً » و « قريباً » والوجه الرض كافي ل .

(٩) الخيلة : موضع النتن ، فهي كالظننة . انظر اللسان . ط ، س : « غيلة »

موضع الخير وفيها أيضاً : « في غلقتها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما في ل .

إلى الغاية^(١) ، فليس بعَجَبٍ ولا مُسْكِرٍ^(٢) ألا يرجع إليك واحدٌ منها ، وإنما كان العَجَبُ في الرجوع ، فأما في الضلال فليس [في] ذلك عَجَبٌ^(٣) . وعلى أنه لو رجع منها^(٤) واحدٌ أو أكثرٌ من الواحدِ لكان خطؤك موقراً عليك ، ولم ينتقصه خطأ من أخطأ ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجيء طائراً من الغاية على غير [عِرْقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحمام الإلف والأنس والتزاع والشوق . وذلك يدلُّ على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يُحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصاب . وإنه يُخلَقُ صدق^(٥) في بني آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق^(٦) في بعض الطير .

وقد قالوا : عَرَّ الله البلدان بحبِّ الأوطان^(٧) .

قال ابن الزبير : ليس النَّاسُ بشيءٍ من أقسامهم^(٨) أَفَنَعَ منهم بأوطانهم !

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا مبتكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا مبتكر » .

(٤) ط ، س : « منها » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالصنف ، أي الخلق الكامل .

« لم يصدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبه إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الخط والنصيب : ل : « شيء » .

تحريف . ط ، س : « في أقسامهم » ، ووجه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عز وجل عن طبائع الناس في حب الأوطان ، فقال : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ (١) وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ (٢) .

وقال الشاعر :

وكنْتُ فيهم كمنطُورٍ يبلُتُهُ فُسْرٌ أَنْ جَمَعَ الْأَوْطَانُ وَالْمَطْرَا (٣)
فتجدهُ يرسلُ مِنْ موضعٍ فيجىء ، ثم يخرج من بيته إلى أضيق موضع
وإلى رخام (٤) ونقان (٥) فيرسل من أبعد من ذلك فيجىء . [ثم يصنع به مثل
ذلك المرات الكثيرة ، ويزاد في الفراسخ] ، ثم يكون جزاؤه (٦) أن يغتر
به (٧) [من] (٨) الرقعة إلى لؤلؤة (٩) فيجىء . ويُسترق من منزل

(١) هذا القول حكاية عن بني إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم - وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميراً يتولى قيادتهم في حرب المملقة وكان المملقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبي قال لهم : « هل صيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقفاً جبهم عن القتال - فأجابوه بما في هذه الآية . انظر التفسير .

(٢) قال العسكري في ديوان المعاني (٢ : ١٨٧) تمقياً حل هذه الآية : « فجهل خروجه من ديارهم كفه قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده في الخنيز إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعاني ١ : ١٩٠) :

كمنطُورٍ يبلُتُهُ فأضى خنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحقه . وفي ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، يضم النون ويكسر : اسم جبل في بلاد أرمينية . وفي ط ، س : « قنار » : وفي ل : « نقاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « الحرارة » ! وفي س : « الجرارة » .

(٧) يضم به : أي يقطع به . س : « يضر » تصحيف .

(٨) التكلمة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه^(١) فيقص^٢ ، وَيَغْبُرُ هناك حولاً وأكثرَ من الحول ، فحينَ يَنبِت جناحُه يحنُّ إلى إلفه وَيَنْزِعُ إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثَّانِي أنفعَ له ، وأنعمَ لباله . فِيَهَبُ فُضْلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذي لو أصاب في غير بلاده الرِّيفَ لم يقعْ ذلك في قلبه ، وهو يعالجهم^(٣) على أن يُعطى عُشْرَ ما هو فيه^(٤) في وطنه .

ثمَّ رُبَّما باعه صاحبه ، فإذا وجدَ مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى رُبَّما فَعَلَ ذلك مراراً . ورُبَّما طارَ دَهرُهُ وجالَ في البلادِ ، وألفَ الطَّيْرانَ والتَّغْلِبَ في الهواء ، والنَّظَرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه^(٥) فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه في درعِاس^(٦) ، فينبِت جناحُه ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّرُ له . نَعَم ، حَقٌّ رُبَّما جَدَفَ^(٧) وهو مقصوصٌ ، فأَما صارَ إليه ، وإِما بَلَغَ عُدْرًا .

(١) يَسْتَرْق : من الاستراق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفي ل : « يصلحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له في الأمر : نشأ له فيه رأي .

(٥) الدِّعَاس بالكسر : السكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه

الكلية محرقة في الأصل ، فهي في ط ، س : « جد » ، وفي ل :

« حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومنى قصّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطيران ، ومتى قصّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولكنه لا يُبعد ، لأنه إذا كان مقصوفاً من شقٍّ واحدٍ اختلفَ خلقه ، ولم يَعتدلْ وزنه ، وصارَ أحدهما هوائياً والآخرُ أرضياً .
فإذا قصّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوفاً فقد بلغَ بذلك التعديلَ من جناحيه^(١) أكثرَ مما كانَ يبلغُ [بهما] إذا كانَ أحدهما [واهياً] والآخرُ ممتوراً^(٢) .

فالكلبُ الذى تدّعون له الإلفَ وثباتَ العهدِ ، لا يبلغُ هذا . وصاحبُ الدّبكِ الذى لا يفخرُ^(٣) للدّبكِ بشيءٍ من الوفاءِ والحفاظِ والإلفِ ، أحقُّ بآلاً يعرّضُ فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسانُ شديدَ الخُصْرِ ، فإذا قُطعتْ إحدى يديه فأرادَ العدوُّ كانَ خطؤه أقصرَ ، وكانَ عن ذلك القصدِ والسَّنِ أذهبَ ، وكانت غايتهُ مجهوده أقربَ^(٤) .

(١) فى الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قصّ أحدهما وترك الآخرَ واهياً » .

(٣) أى لا يجد شيئاً من وفاء الدّبكِ يستطیع أن يفخر به .

(٤) ل : « أقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبرني كم شئت^(١) ، أن نباتة الأقطع [وكان] من أشداء القتبان^(٢) وكانت يده قطعت^(٣) من دوين المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ، فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه ، فإن أصاب الضريبة ثبتت ، ٧١ وإن أخطأ سقط لوجهه ، إذ لم يكن جناحه^(٤) [الأيسر] يمسكه ويقلعه حتى يعتدل بدنه .

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ . وزعموا أن الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة ، وإذا كانت ثلاثة

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق في ص ١٧٨ وكذا : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤

وكتاب البغال من رسائل الجاحظ : ٢ : ٢٦٤ .

(٢) في الأصل : « من أشداء القتبان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعه » .

(٤) الجناح ، ليس عامسا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أي يده ، أو ضده أو إبطه .

كان^(١) صاحبُ الثلاثةِ كالجاذِبِ^(٢) من الطَّير ، الذى أحدُ جناحيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيرُ أنْ لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافيًا والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَطُّهُ وصارَ بَعْضُهُ يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدى والأرجلَ فى جميع الحيوان لا تكون إلا أزواجاً . فلو جعلتمُ لكلَّ واحدٍ منهم مائةَ جناحٍ لم تُنكرُ ذلك . وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم يُجوزَ . قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن ، ورأينا ماله قرنانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لما شُعِبَ فى مقاديم القرون^(٣) ، ورأينا بعضها جُماً ولاخواتها قرون ، ورأينا منها ما لا يقال لها جُمٌ لأنها ليست لها شكلُ ذواتِ القرون ، ورأينا لبعضِ الشاءِ عِدَّةَ^(٤) قرونٍ نابتةٍ فى عظم الرأسِ أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرونًا جوفاً فيها قرون ، ورأينا قرونًا لا قرونَ فيها ، ورأيناها مُصمَّتةً ، ورأينا بعضها ينصلُّ قرْنُهُ فى كلِّ سنة ، كما تسليخُ الحيةِ جلدها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرونُ الأيائلِ . وقد زعموا أنَّ للحمارِ الهندى^(٥) قرناً واحداً .

(١) كذا فى ط : وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجاذِب : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالحاذق » وفى ل ، س : « كالجاذِب » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندى هو الكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهندى هو

أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد

ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندى » .

وقد رأينا طائراً شديداً الطيران بلا ريشٍ كالأخفاش ، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافى الجناح ، ورأينا طائراً لا يمشى وهو الزرّزور . ونحن نؤمن بأن جعفر الطيّار ابن أبي طالب ، له جناحان يطير بهما في الجنان ، جعلاً له عوضاً من يديه اللتين قطعنا على لواء المسلمين في يوم مؤتة ^(١) . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم - وهو سهلٌ جائزٌ شائعٌ مفهوم ، ومعقولٌ قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه ألا يطير ^(٢) إلا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوضع ، وركّب غير هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق ^(٣) تلك الطبيعة . ولو كان الوطواط في وضع انحلاله ^(٤) وأعضائه وامتزاجاته ^(٥) كسائر الطير ، لما طار ^(٦) بلا ريش .

(١) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حلّ لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمل جعفر بيته فقطعت ، ثم بشاله فقطعت ، فاحتضنها بمضديه فقتل وغر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضاً يلقب بذي المجنّين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصالة ١١٦٢ وجهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ - ٦٩ .

(٢) ط : لا يسير . س : لا تليق . وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملازمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر السان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الثلاث .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : وضع في انحلاله .

(٥) ط ، س : وامتزاجه .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : كان .

(الطير النائم الطيران)

وقد زعم البحريون أنهم يعرفون^(١) طائراً لم يسقط قط ، وإنما يكون سقوطه من لدن خروجه من بيضه [إلى] أن يتم^(٢) قصب ريشه ، ثم يطير ٧٢ فليس له رزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض ، إلا أنه قصير العمر سريع الانحطام .

(بقية الحديث في أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزج^(٣) الطائر ويُعجنَ غيرَ عجنه الأول^(٤) [فيميشَ ضعفَ ذلك العمر] . وقد يجوز أيضاً أن يكونَ موضعُ الأجنحة الثالث بين^(٥) الأجنحتين ، فيكون الثالث للثاني كالثاني للأول ، وتكون كل واحدة من ريشة عاملة في التي تليها من ذلك الجسم^(٦) ، فتستوى في القوى وفي الخصص .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذي حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزويني في مجالب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « يمزج » . وفي س : « يمزج » ، محرّكان .

(٤) س : « غير جنة الأرواب » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعلَّ الجناح الذى أنكره المَلْحَدُ الضَّيِّقُ الْعَطَنُ^(١) أن يكونَ مركزُ
قَوادِمِهِ في حَاقِّ الصُّلْبِ^(٢) .

ولعلَّ ذلكَ الجناح أن تكونَ الريشة الأولى منه مَعِينَةً لِلجَنَاحِ الأيمنِ
والثَّانِيَّةُ مَعِينَةً لِلجَنَاحِ الأيسرِ . وهذا مما لا يَضِيقُ عنه الوهم ، ولا يعجز
عنه الجواز^(٣) .

فإذا كان ذلك ممكناً^(٤) في معرفة العبد بما أعاره الربُّ جَلَّ وعزُّ ،
كان ذلك في قدرةِ الله أجوز . وما أكثرَ من يَضِيقُ صدرُهُ لقلَّةِ علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أن كلَّ ذى أربعٍ فَإِنَّهُ إذا مشى قَدَمٌ إحدى يديه ، ولا^(٥)
يجوز أن يستعمل اليَدَ الأخرى ويقدمها بَعْدَ الأولى حَتَّى يستعمل الرَّجُلَ
المُخَالِفةَ لتلك اليد : إن كانت اليَدُ المُتَقَدِّمةُ اليمنى حَرَكَةَ الرَّجُلِ اليسرى ،
وإذا حَرَكَةَ الرَّجُلِ اليسرى لم يحرك الرَّجُلَ اليمنى - وهى أَقْرَبُ إليها^(٦)
وأشبهُ بها - حَتَّى يحركَ اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

(١) الضيق البطن : الضيق الصدر ، السريع النفس . وأصل البطن مريض الإبل
والغَنَمِ حول الماء . ط ، ل : « لضييق البطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا في ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفاً » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا في ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و^(١)] في طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فلانما رُكِبَتْه
في رجله ، وجميع ذوات الأربع فلانما رُكِبها في أيديها . وكلُّ شيء
ذو كَفٍّ وبَنان كالإنسان ، والقرد ، والأسد ، والضَّب ، والدَّب ، فكفُّه
في يده . والطَّائِر كفُّه في رجله .

(استعمال الإنسان رجله فيما يعمل في المادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلّا وهو يعمل برجله ما كان [يعمل^(٢)]
بيديه ، وما أقف على شيء من عمل الأيدي إلّا وأنا قد رأيتُ قوماً
يتكلّفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفْرِغَ رجله ما في
دَسْتِجَةٍ^(٣) نبيذ في قناني رطلَيّات وفُقَاعِيّات^(٤) ، فراهنوه ، وأزعجني
أمرُ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُّ في خبرهم ، فزعموا أنّه وَفَى وزاد . قلت :

(١) الزيادة من ص .

(٢) التكلّة من ل ، ص .

(٣) الدسّيجة : واحدة للدسّيج ، وهي - كما في تاج العروس - : آنية تحول باليه
وتنقل . فارسيّ معرب : «دستى» . وأصل «دست» في الفارسية بمعنى اليد .
انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطلَيّات ، أي تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعيّات : ضرب من القوارير صغار ،
ولم أجدها نصّاً يفسرها .

قد صرّفتُ قولكم « وفى » فامعنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنّه لو صبّ
من رأس الدّسنيجة حوائى أفواهِ الفنّانى كما يعجز عن ضَبْطه جميعُ أصحاب
الكمال فى الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرّغ ما فيها فى جميع الفنّانى
فما ضيّع أوقيةً واحدة .

(قيام بعض الناس بعمل دقيق فى الظلام)

ونجّزنى الخزائى^(١) عن خليل أخيه^(٢) ، أنّه متى شاء أن يَدْخُلَ
فى بيتٍ ليلاً بلا مصباح ، ويفرغ [قرية]^(٣) فى قنّانى فلا يصبُّ إستاراً^(٤)
واحداً فعلة .
و [لو] حكى لى الخزائى هذا الصّنيعَ عن رجلٍ وُلِدَ أعمى أو عمى
فى صباه ، كان يعجبني منه أقلُّ . فأما من تعود أن يفعل مثل ذلك وهو
يبصر فما^(٥) أشدُّ عليه أن يفعله وهو مغمض العينين . فإن كان أخوه قد
كان يقدر على ذلك إذا غمض عينيه فهو عندى عجب . وإن كان يبصر
فى الظلمة فهو قد أشبه فى هذا الوجه السّنُورَ والنّارَ ؛ فإنّ هذا عندى عجبٌ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد
له حديثاً فى البخله ٤٧ - ٥٤ . وفى ط ، س : « الخزائى » وفى ل :
« الخزائى » .

(٢) ل : « عليك » .

(٣) الزيادة من س . وبطلنا فى ل : « قرابة » معرفة .

(٤) الإستار : ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وتثلاثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدنيا كثيرة عند كل من كان كلفاً بتعريفها ، وكان له في العلم أصل ، وكان بينه وبين التبيين^(١) نسب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لا تجدهم إلا في حالتين : [إما في حال]^(٢) إعراض عن التبيين وإهمال للنفس^(٣) ، وإما في حال^(٤) تكذيب وإنكار وتسرع إلى أصحاب الاعتبار وتبخر الغرائب ، والرغبة في القوائد . ثم يرى بعضهم أن له بذلك التكذيب فضيلة^(٥) ، وأن ذلك باب من التوقي ، وجنس من استعظام الكذب ، وأنه لم يكن كذلك إلا من حاق^(٦) الرغبة^(٧) في الصدق . وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول . والحق^(٨) الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحث عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقض واستحال ، والآخر ما امتنع في الطبيعة ، وخرج من طاقة الخلقة . فإذا خرج الخبر من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم^(٩) الجواز ، فالندير^(١٠) في ذلك التثبت

(١) التبين : التفهم . وفي ط س : « التبيين » ، وتوجيه من ل . و « نسب »

هي في الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما في ل ، س .

(٥) ط ، س : « قوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها في ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان :

« وبئس الشيء » . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك ، والصدق هو بُغيتك ، كأنما
ماكان ، وقَعَ منك بالموافقة ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أن
ثواب الحق وثمره الصدق أجدى عليك من تلك الموافقة لم تقَع^(١) على أن
نعطى الثبوت حقه .

(تشبيه رماد الأتافي بالحمام)

قال : وهم يصفون الرماد الذى بين الأتافي بالحمامة ، ويجعلون الأتافي
أظناراً لها ، للاختناء الذى فى أعلى تلك الأحجار ، ولأنها كانت معطفاتٍ
عليها وحائياتٍ على أولادها . قال ذو الرمة :
كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُزُقَى فِي الدَّارِ جَثِمَتْ عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الْأَتَافِي جَوَازِئِهِ^(٢)
شبه الرماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجثوم فى الطير^(٣) مثل الربوض
فى الغنم . وقال الشباخ :
وَلِإِثْرِ رَمَادٍ كَالْحَمَامَةِ مِثْلُ وَنُوبَيْنِ فِي مَظْلُومَتَيْنِ كَذَاهُمَا^(٤)

(١) ل : « لم تقَع » .

(٢) ط : « أجتم مكان جثمت » ، وهو تحريف صوابه فى ل ، س والديوان ٤٦٥ . وروى فى
أمال المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقت » . قال المرتضى : « شبه الأتافي بالحمام الورق ،
وجعلها ظئوراً لتسقطها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه .
والجوازىل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « اتليل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنزوى بالضم : سفيرة تحفر حول النباه يحمل ترابه حاجزاً
لمنع المطر . والمظلمة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والسكنى :
جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الفليطة . والرواية فى ديوان الشباخ : « ونوبان » .
وقيل البيت :

أقامت على دبعيها جارتا صفا كيتا الأعلى جونتاً مصلاًهما

وبعده :

أقاما الليل والرباب وزللتا بذات السلام قد صفا ملاًهما

وقال أبو حبة :

[مِنْ الْعَرَصَاتِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ نُؤْيِي كِبَافِي الْوَحْيِ خُطُّ عَلَى إِمَامٍ ^(١)
وغيرِ خَوَالِدٍ لَوْحْنٍ حَقِّي بِهِنَّ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ] ^(٢)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطِيرْنَ مَعَ الْحَمَامِ
وقال العرجي :

وَمَرْبِطُ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٌ مُصَرَّعٌ وَهَابٍ كَجُئَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدٌ ^(٣)
وقال البعيث :

وَسُفْعٌ ثَوَيْنِ الْعَامِ وَالْعَامَ قَبْلُهُ وَسَحْقٌ رَمَادٍ كَالنَّصِيفِ مِنَ الْمَصْبِ ^(٤)

(بعض ما قيل من الشعر في نوح الحمام ، وفي بيوتها)

وقالوا في نوح الحمام ، قال جبران العود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ كَأَنَّهُ صَوْتُ أَنْبَاطٍ مَثَاكِيلِ ^(٥)

(١) الخند : موضع الخند ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب .

وفي القرآن الكريم : « يوم ندهو كل أمانس بإمامهم » أي كتابهم .

(٢) لوسن : غيرتين النار . وعنى بالخوالد الأثافي لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن

ودروس ربوهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود في البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب في القيتظ وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد

من الأخبية . وقيل : هي عيدان يبنى عليها الخيام . والماني : الرقيق الدقيق المرتفع ،

وأراد به الرماد .

وقيل البيت كان في ديوان العرجي ١١٧ :

فَوَادِكَ أَنْ يَتَبَجَّ لَمَّا يَدَا لَهُ رِسُومُ الْمَغَانِي وَالْأَثَافِي الرُّوَاعِدِ

(٤) النصف : ماله لوزان . والنصب : ضرب من البرود اليمنية ، يعصب غزلاً

أى يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً ، أبقاه ما عصب منه أبيض

لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « ودنيا » .

وقالوا في ارتفاع مواضع بُيوتها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العِرضَ أصبحَ بطنُه نَخِيلاً وزرعاً نابئاً وفصافِصاً^(١)
وذا^(٢) شُرُفات يقصرُ الطرفُ دونَه تَرى للحمام الورقَ فيه قرأصاً^(٣)
وقال عمرو^(٤) بن الوليد :

فنبذتُ من مساكنِ قومي والقصورِ التي بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مثيِّدٍ ذى أوامرٍ تنغى على ذُراه الحمام^(٥)
والحمام أيضاً ربما سكن أجوافَ^(٦) الرُكَايا ، ولا يكون ذلك إلا
لِلوَحْشَى منها ، وفي البير التي لا تُورَد . قال الشاعر :
بدلو^(٧) غير مُكْرَبَةٍ أصابت^(٨) حماماً^(٩) في مساكنِه فطَارَا
يقول : استقى بِسُقْرَتِه^(١٠) من هذه البئر ، ولم يستقِ يَدْلُو . وهذه
بئر قد سكنها الحمام لأنها لا تُورَد .

-
- (١) الفصافص : جمع فصص أو نصفصة ، بكسر الفامين من كل منها ، وهي رطب الفت .
(٢) ط ، س : « ولى » .
(٣) القرامص : جمع قردوص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء
القراميص للشر .
(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق
في التنبيه الثاني ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .
(٥) سبق الكلام في شرح الشر وأصله ص ٢٠٨ .
(٦) ط ، ل : « أجواف » جمع جوف ، والمراد به الحفرة في جدار الركية .
(٧) ط : « بدلو » وصوابه في ل ، س .
(٨) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : س : « أطابت » . والمكربة :
ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .
(٩) ط : « حمام » وهو تطيع .
(١٠) السفارة : ما يمشح فيه المسافر طمائه ، وأكثر ما يكون ذلك جلداً مستديراً . ط :
« بملقوة » س : « بملقوة » .

وقال جهنم بن خلف^(١) :

وقد هاج شوقى أن تغت حمامة مطوقة ورقاء تصدح في الصجر
متوف تبكى ساق حراً ، ولن ترى لها دمة يوماً على خدّها تجرى
تغت^(٢) بلحن فاستجابت لصوتها نوائج بالأصياف^(٣) في فنّ السدر^(٤)
إذا فترت كرت بلحن شعر لها^(٥)
يهيج^(٦) للصبّ الحزين جوى الصنبر
دعتهن مطراب العشيات والضحي بصوت يهيج المستهام على الذكر
فلم أر ذا وجد يزيد صباية عليها ، ولا نسكى تبكى على بكر^(٧)
فاسمذنّها بالنوح حكا شرين سلافاً من معتقة الخمر^(٨)
تجاوبن لحناً في الغصون كأنها نوائج ميث يلتدمن لدى قبر^(٩)
بسرقة واد من تبالة مؤنق كما جانبيه الطلح واعتم بالزهر^(١٠)

-
- (١) جهنم بن خلف المازني : رواية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمعي ، وله شعر في الحشرات والجوارح من الطير . الفهرست ٤٧ ليمسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابي » وأثبت ما في ل .
- (٢) ل : « لغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .
- (٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأصياف » وهما تصحيف .
- (٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فنّ » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير في كلامهم .
- (٥) ط ، س : « شجونها » .
- (٦) ط ، س : « يهيج » .
- (٧) يزيد صباية ، أى تكون صباية أشد وأعنف من صبايتها . ط ، س : « حل وكر » والوجه ما أثبت من ل .
- (٨) ل : « فاسمذنّها بالموج » ! وطمهن قد شرين الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العريضة .
- (٩) يلتدمن ، من الالتطام ، وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة .
- (١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنفرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارى والقواخى والدبابى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدل يهدلاً . فإذا طَرَبَ قبل غُرْدٍ يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .
وأما أصحابنا فيقولون : إنَّ الجمل يهدر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل ٧٥
وربما كان بالراء .

وبعضهم يزعم أنَّ الهديلَ من أسماء الحمام الذكور . قال الراعى وأسمه عبيد بن الحصين - :

كهداهدٍ كَسَرَ الرُّمَّةُ جَنَاحَهُ يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلًا^(١)

(ساق حرّ)

وزعم الأصمعى أنَّ قوله : « هتوفُ تبكى ساقَ حرٍّ » إنما هو حكاية صوت وحشى الطير من هذه النواحيات . وبعضهم يزعم أنَّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطرمّاح فى تشبيه الرّماد بالحمام ، فقال :
بين أظآرٍ بمظلومةٍ كسَرةِ السّاقِ ساقِ الحمامِ^(٢)

(١) الهداهد : المدهد . وقد شبه بذلك المدهد الذى كسر جناحه ، وجلا أعده المصدق إليه . وقيل البيت :

أغثوا حولته فأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه غرق تجر به الرياح ذويلا
وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البهتادى فى الخزانة (٣ : ١٢١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظآر : الأظفار . والمظالمة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسرة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرمّاح ٩٥ - ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغاني .

(صفة فرس)

وقال آخر^(١) يصف فرساً :

ينجيه من مثلي حمام^(٢) الأغلال رفع يدي عجل ورجل شمال
تظلم من تحت وتروى من عال^(٣) .

الأغلال^(٤) : جمع غلر ، وهو الماء الذي يجري بين ظهري الشجر^(٥)

قال : والمعنى : أن الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها . وقوله : شمال أي خفيفة .

ب^(٦)

ليس في الأرض جنس يعتريه الأوضاح والشيات ، ويكون فيها
المصمت والبهيم أكثر ألواناً ، [و] من أصناف التماسين^(٧) ما يكون
في الحمام ، فما ما يكون أخضر مصمتاً ، [وأحر مصمتاً] ، وأسود

(١) هو دكين الراجز ، كما في السان (غلل) .

(٢) يقول : ينجي هذا الفرس من خيل سراح في الغارة كالحمام الواردة . ل : حمام تصحيف .

(٣) تظلم : أي تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود في الفرس . وفي الأصل : « يظلم » . وتروى : أي يكثر لحمها . من عال : من أهل .

(٤) قيل هذه الكلمة في ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهري الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرائيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، ويظلم : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التماسين : جمع تمسين . وفي ط : « التماسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا ^(١)] ، وضربوا من ذلك ، كلها مصمته . إلا أن الهداية للخضر والنمر ^(٢) . فإذا أبيض الحام [كالفقيع] فقله من الناس الصقلابي ^(٣) ، فإن الصقلابي ^(٤) فطير ^(٥) خام ^(٦) لم تنضج الأرحام ، [إذ كانت الأرحام] في البلاد التي شمها ضعيفة .

وإن أسود ^(٧) الحام فلأنما ذلك احتراق ، ومجازة لحد النضج . ومثل [سود الحام ^(٨)] من الناس الزنج ، فإن أرحامهم جاوزت حد الإنضاج إلى الإحراق ، وشيطت ^(٩) الشمس شعورهم فتقبضت . والشعر إذا أدنيت من النار تجمد ، فإن زدته تقلقل ^(١٠) ، فإن زدته احترق .

وكما أن عقول سودان الناس وحرانهم دون عقول السمر ، كذلك يبيض الحام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية .

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أتمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى موداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلابي » ، نسبة إلى صقلب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وق ط : « قطار » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحام : أصل معناه الدبس الذي لم تحم النار ، وكذلك الجله لم يدبغ أو لم يبالغ في دبه ، وهي كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » وق ط ، س .

(٨) شيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مقلقل : شديد الجمودة . في الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لنوى)

وأصل الخضره إنما هو لون الریحان والبقول^(١) ، ثم جعلوا بعد الحديده أخضر ، والسماء خضراء ، حتى سمو بذلك الكحل والليل . قال الشماخ بن ضرار :

٧٦ ورُحْنٌ رَواحاً مِنْ زَرُودٍ فَنَازَعَتْ زَبَالَهَ جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا^(٢)
وقال الراجز :

حتى انتضاء الصُّبْحِ من لَيْلٍ خَضِرٍ^(٣) مثل انتضاء البَطَلِ السَّيْفِ الذَّكَرِ^(٤)
• نضو هوَى بالِ على نَضْوٍ سَفَرٍ^(٥) •

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُسَكَّدَتَانِ . مُدْهَمَّتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرُّى سوداوان . ويقال : إن العراق إنما مئى سوداً بلون السَّعَف الذى فى النَّخْلِ ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء^(٦) أسود إذا كان مع التمر ، وأبيض إذا كان مع اللبن .

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فَنَازَعَتْ جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا » ، وأثبت البيت كاملاً من ل . حل أن صواب روايته : « وراحت رواحاً » لأنه فى صفة نافذة واحدة كما فى النيران ص ٣٦ وما قبلها وكذا فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الشملىة والخزيمية . وزباله ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتى انتضاء » .

(٤) السيف الذكر : الجليد الحديده الشديدها . ل : « الليل الذكر » تعريف .

(٥) حتى بالنضو البال : الراكب . والنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فلألاء » .

ويقولون : سَوْدُ البِطُونِ وَحُمْرُ الكَلَى^(١) ، ويقولون : سَوْدُ الأكباد
يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادهم^(٢) . ويقال للحافر أسود
البطن ؛ لأن الحافر لا يكون في بطونها شحم^(٣) .

ويقولون : نحن بخير ما رأينا سواد فلان بين أظهرنا ، يريدون شخصه .
وقالوا : بل يريدون ظله .

فأما خَضِرُ محارب^(٤) ، فلما يريدون السُود^(٥) وكذلك : خَضِرُ غسان .
ولذلك قال الشاعر :

إِنَّ الخُصَامَةَ الخَضِرَ الَّذِينَ غَدَوْا أَهْلَ البَرِيصِ ثَمَانٍ مِنْهُمْ الْحَكَمُ^(٦)
ومن هذا المعنى قول القرشي^(٧) في مديح نفسه :

(١) الكل : جمع كلية . وفي الأصل : « سود البطن حر الكلا » ، وهذا
تحريف وتشويه .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، ص : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا في ل ، ص . وفي ط : « لأن الحوافر لا يكون في بطونها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، ص : « السود » وليس مراداً ، وجاء في الرسائل

٧٢ ساسي : « وقد فحرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخسفارة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو المديد المحمول . وفي الأصل :

« الخسفارة » وصوابه في رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر

دمشق ، حيث ملك القمامة . وفي الأصل : « البريص » بالصاد المعجمة ، خطأ

تصويبه من الرسائل . وفي الرسائل : « ثمانى » ، أى ارتفع نسبي إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كما في رسائل الجاحظ ٧١ أو النفس

ابن العباس الهبسي ، كما في الرسائل أيضاً والكمال ١٤٣ ليسك ومعجم المرزبانى

٣٠٩ وكتايبات الجرجاني ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هي التبعة

الصحيحة . وابن الأنبارى في الأضداد يرى أن معنى الخسرة السخاء والسخاء .

وأنا الأخضرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
وإذا قالوا : فلان أخضرُ القفا ، فإنما يعنون به أَنَّهُ قد ولدتهُ سوداء .
وإذا قالوا : فلان أخضرُ البطن ، فإنما يريدون أَنَّهُ حائك ، لِأَنَّ الحائكَ
بطنهُ لطول^(١) الزاقي بالخشبة التي يطوى عليها الثوب يسود .

(عداوة العروضي للنظام)

وكان سبب عداوة العروضي^(٢) لإبراهيم النظام ، أَنَّهُ كان يسميه
الأخضرَ البطن ، والأسودَ البطن ؛ فكان يكشفُ بطنه للناس — يريدُ
بذلك تكذيبَ أبي إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزوان : إنَّما يريد
أَنَّك من أبناء الحاكمة ! فعاداه لذلك .

(استطرد لغوى)

فإذا قيل أخضر النواجذ ، فإنما يريدون أَنَّهُ من أهل القرى ، ثَمَنُ
ياكل الكُرَّاث والبصل .
وإذا قيل للثور : خاضب ، فإنما يريدون أَنَّ البقل قد خَضَبَ أظلافه
بالخضرة . وإذا قيل للظليم : خاضب ، فإنما يريدون^(٣) حمرةً وظيفه^(٤)

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النسيج .

(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد في البخلاء ص ٥٥ ، وهو من معاصري الجاحظ .

(٣) كلما في ص . وفي ط ، ل : « يرون » .

(٤) الوظيف : مستند الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وظيفة » .

وعله تحريف .

فلَئِذَا يَحْمَرُّانَ فِي الْقَيْظِ ، وَإِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ خَاضِبٌ ، فَلَئِذَا يَرِيدُونَ الْحِنَاءَ
فَإِذَا كَانَ خَضَابُهُ بِغَيْرِ الْحِنَاءِ قَالُوا : صَبَّغَ ^(١) وَلَا يُقَالُ خَضِبَ .

ويقولون في شيءٍ بِالبَابِ الْأَوَّلِ : الْأَحْرَانِ : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ
وَالْأَبْيَضَانِ : الْمَاءُ وَاللَّبَنُ ، وَالْأَسْوَدَانِ : الْمَاءُ وَالْحَمْرُ .

ويقولون : أَهْلَكَ النِّسَاءُ الْأَحْرَانُ ^(٢) : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ ، وَأَهْلَكَ
النَّاسَ الْأَحْمَارَ : الذَّهَبَ ، وَالزَّعْفَرَانُ ، وَاللَّحْمَ ، وَالْحَمْرُ .

وَالْجَلِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُمَا الْمُلَوَّنَانِ ^(٣) .

وَالْعَصْرُ : الدَّهْرُ ، وَالْعَصْرَانِ : صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ ^(٤) ،
وَالْعَصْرَانِ : الْغَدَاةُ وَالْمَشْيُ ^(٥) ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٦) :

وَأَمْلَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِ

وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

(١) ط ، س : « صَبَّغَ » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط : « الْأَحْمَارَانِ » وَفِي س :

« الْأَحْمَارُ يَرَادُ » . وَانْظُرْ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ لِلْمَجْهُوسِ ١٦ - ١٧ .

(٣) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط ، س : « لَوْنَانِ » .

(٤) جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « حَافِظُ عَلَى الْعَصْرَيْنِ » أَيْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَسَمَّى
الْعَصْرَيْنِ لِأَنَّهُمَا يَقَعَانِ فِي طَرَفِي الْعَصْرِ ، وَهُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . وَجَاءَ أَيْضًا تَفْسِيرُهُ
فِي الْحَدِيثِ : « قِيلَ : وَمَا الْعَصْرَانُ ؟ قَالَ : صَلَاةُ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةُ قَبْلِ
غُرُوبِهَا » - وَكَلِمَةٌ : « الْفَجْرُ » هِيَ فِي الْأَصْلِ « الْعَصْرُ » مُحَرَّفَةٌ . وَ« صَلَاةُ
الْعِشَاءِ » بِخِلَافِ ط ، س : « الْمَشَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٥) هُوَ عَبِيدُ بْنُ الْأَرْبَعِ الْأَسَدِيُّ كَمَا فِي حِمَاةِ الْبَحْتَرِيِّ ٤١٥ . وَقِيلَهُ :

أَلَيْسَ إِذَا لَانَ الْفَرَسُ وَأَلْعَى إِذَا اشْتَدَّ حَتَّى يَنْدُرَكَ الدِّينَ قَاتِلُ

(٦) رَوَى : « وَأَمْلَلَهُ » فِي أَمَالِ الْمُرْتَضَى (٢ : ٣٨) وَهِيَ لَفَةٌ . وَكَلِمَةٌ « رَاغِمٌ »

هِيَ فِي ط : « زَاغِمٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س وَاللَّسَانِ وَالْأَضْدَادِ ١٧٥

وَمُحَاضِرَاتُ الرَّاغِبِ (١ : ٢٢٩) حَيْثُ تَجِدُ تَطَاثُرَ هَذَا الْمَعْنَى .

ويقال : « البائع بالخيار » وإنما هو البائع والمشتري ^(١) ، فدخل
المبتاع في البائع .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَبْيُحِّهِمْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأم في اسم الأبوة ، كأنهم يجمعون على أبيه ^(٢) الاسمين
وكقولهم : فيرين ^(٣) ، والبصرتين ^(٤) . وليس ذلك بالواجب ، وقد قالوا :
سيرة العمرين ، وأبو بكر فوق عمر ، قال القرظقي :

أخذنا بأفانٍ السَّاءِ عليكم لنا قمرًاها والنجوم الطوالع
وأما قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس أدرعته بأربعة والشخص في العين واحد ^(٥)
فإنه ليس يريد لون الجلباب ، ولكنه يريد سبوغه .

(١) ل : « إنما هو بائع ومشتري » .

(٢) أنه الاسمين : أشهرهما وأحرفهما . وفي ط ، س : « ابته » وصوابه في ل .

(٣) فيران : هما فير وحراء كما في المزهري (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من
جبال مكة ، وفي ثانيهما النار المشهور . وبدل ما أثبت من ل في كل من ط ،
س : « كالبجرين والمسلمين والزعميين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأول أقدم من الثانية .

(٥) أدرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد قرئ ذو الرمة الأريمة التي شخصها واحد
في العين ، أي التي يراها الناظر شخصاً واحداً ، بقوله بعده :

أحم علاق وأبيض صارم وأبيض مهري وأرواح ما جد

فالأحم الملاقي ، بكسر العين ، هو الرجل . والأحم : الأسود . والعلاق : المنسوب
إلى علاق : رجل من الأزد صانع الرجال . والأبيض الصارم حتى به سيفه القاطع .
والأبيض : الذي خالط بياضه شقرة . وعنى جملة . والمهري : منسوب إلى مهرة بن
حيان . والأرواح : الذي يجهل حسه . وعنى نفسه .

ولقمر حديث في ديوان المعاني (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩)

والمناعين ٢٢١ .

(جواب أعرابي)

قال : وكذلك قول الأعرابي حين قيل له : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : « إذا استفاضت خالصتها ، ودجت شعرها ^(١) » . فاللداجي هاهنا اللابس .

قال الأصمعي ومسعود [بن فيد ^(٢)] الفزاري : ألا ترونه يقول : « كان ذلك وثوب الإسلام داج » . وأما لفظ الأصمعي فإنه قال : كان ذلك منذ دجا الإسلام . يعني أنه ألبس كل شيء ^(٣) .

(شيات الحمام)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر شيات الحمام .
وزعموا أن الأوصاح كلها ضعف ، قليلها وكثيرها ، إلا أن ذلك بالحصص على قدر الكثرة والقلّة ، كذلك هي في جميع الحيوان سواء مستقبلها ومستدبرها . وذلك ليس بالواجب حتى لا يفادر شيئاً ألبتة ، لأن الكلبة السلوقيّة البيضاء أكرم وأصيد ، وأصبر من السوداء ^(٤) .
والبياض في الناس على ضروب : فالمعيب منه يياض المغرب ^(٥)

(١) انظر : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المنيعة من ل ، هي في الأصل « قيد » بالتألف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أي قوى وانتشر ، كما في اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السوداء » ، وصوابه في ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شيء منه أبيض . ط : « البياض للمغرب »

وتصححه من ل ، س .

والأشقرُ والأحمرُ أقلُّ في الضعف والفساد ، إذا^(١) كان مشتقاً من بياض
البيهي والبرصر والبرش [والشيب] .
والمغرب عند العرب لا خير فيه البتة . والفقيع^(٢) لا ينبغي ، وليس
عنده إلا حسن بياضه ، عند من اشتبه ذلك .

(سوابق الخيل)

وزعم ابن سلام الجمحي أنه لم يرق قط بقاء ولا أبقى [جاء] سابقاً .
وقال الأصمعي : لم يسبق الحلبة أهضم قط ، لأنهم يمدحون المجر^(٣) من
الخيول ، كما قال^(٤) :
٧٨ خيط على زفرة فتم ولم يرجع إلى دقة ولا هضم^(٥)
ويقولون : إن الفرس بعنقه وبطنه .
وخبرني بعض أصحابنا ، أنه رأى فرساً للمأمون بقاء سبقته الحلبة .
وهذه نادرة غريبة .

(١) كذا في ل ، ص ، وفي ط : : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهي وسط الفرس .

(٤) هو النافذة الجملي ، كما في أدب الكاتب ٨٩ والاقتضاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلا جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم .
والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعال البطن . وهذا البيت ساقط
من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو في ط : ص
محرف هكذا :

خيط على زفرة قم ولم يرجع إلى دقة وهضم

(نظافة الحمام ونقع ذرقه)

والحمام طائر ألوف مألوف ومحبيب ، موصوف بالنظافة ، حتى إن ذرقه لا يعاف^(١) ولا تنن له ، كسلّاح^(٢) الدجاج والدبّكة . وقد يُعالج بذرقه صاحبُ الحصاة . والفلاحون يحملون فيه أكثرَ المنافع . والخبّاز يُلقى الشيء منه في الخمير لينضخ العجينُ ويعظمَ الرغيف ، ثمّ لا يستبينُ ذلك فيه . ولذرقه غلاتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الحَجَر . وهو يصلحُ في بعض وُجوه الدبّغ .

باب (٣)

[وقال صاحبُ الدبّك : الحمام طائرٌ لثيمٌ قاسى القلب ، وإن برّ بزعمكم^(٤) ولدَ غيره ، وصنّعَ به كما يصنع بفرخه ؛ وذلك أنها يحضنان كلَّ بيض ، ويزقان كلَّ فرخ ، وما ذاك منهما إلّا في الفَرَط .

(لزوم الحمام)

فإنّما لزومه فن^(٥) طريق الغيرة ، فإنّه يرى بعينه الذكّر الذى هو أضعف منه ، وهو يطرُدُ أنشاه ويكسحُ بذنبه حَوْلهَا ، ويتطوَّس^(٦) لها

(١) لا يعاف : لا يكره .

(٢) السلّاح ، بالضم : النجس .

(٣) ليست في ل .

(٤) كذا في ط ، س . وفي ل : « وإن برعم بیره » ، وليس يستقيم هذا .

(٥) كذا في ل . ويلحق في ط س : « في » وأثبت الصواب .

(٦) التطوَّس : التزيّن . ويراد به هنا إبداء المحاسن في الشكل والحركة .

ويستملها ، وهو يرى ذلك بعينه - ثم لم نر قط ذكراً واثبَ ذكراً عند
مثل ذلك .

فإذا قلت : إنه يشتدُّ عليه ويمتنع إذا جثمت ^(١) له وأراد أن يعلوها ؛
فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من
طريق الغيرة ، ولكنه ضربٌ من البُخل ومن التَّفاسة ^(٢) . وإذا لم يكن
من ذكِّرها إلا مثلُ ما يكون من جميع الحمام علمُ أنَّ ذلك منه ليس من
طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهضَ تفعل ذلك ، وتقطع على الذكر بعدَ
أن يعلوَّ على الأنثى] .

قال : وأما ما ذكرتم من أن الحمامَ معطوفٌ على فراخه ما دامت محتاجةٌ
إلى الزَّق ، فإذا استغنتْ نَزَعَتْ منها الرحمةُ ، فليس ذلك كما قلتم . الحمامُ
طائرٌ ليس له عهد ، وذلك أنَّ الذَّكرَ ربما كانت معه الأنثى السَّنينَ ،
ثم تُنْقَلُ عنه وتوَارَى [عنه] شهراً واحداً ، ثم تظهر له مع زوجٍ
أضعفَ منه ، فيراها طولَ دهره وهي إلى جنب بيته وتمايده ^(٣) فكانه
لا يعرفها بعد معرفتها الذَّهرَ الطويل ^(٤) ، وإنما غابت عنه الأيامُ اليسيرةُ .
فليس بوجهٍ ^(٥) ذلك الجهلُ الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت ، إلا على

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقفت على صدرها . ويُلخا في ط : « اجتمعت » .

(٢) التَّفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، يكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلاً .

(٣) التَّمَايِد : جمع تمَّراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام ليبيضه . ط :

« وجرآه » . س : « يمدداته » وهذه معرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س : « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب في ل ، س . وفي ط : « بوجه » .

الغياوة وسوء الذكر ، وأن الفرخ حين استوى ريشه وأشبّه غيره من الحمام
جهل الفصل (١) الذى بينهما .

فإن كان يعرف أنه وهو يجهلها مع ذكره ضعيف وهو مسلم لذلك ٧٩
وقانع به ، وقليل الاكتراث به ، فهو من لؤم في أصل الطبيعة .

(قسوة الحمام)

قال : وباب آخر من لؤمه : القسوة ، وهى الأم اللؤم ، وذلك أن الذكر
ربما كان فى البيت طائر ذكر قد اشتد ضعفه ، فينقر رأسه والآخر
مستخذ^(١) له ، قد أمكنه من رأسه خاضعاً له ، شديد الاستسلام لأمره ،
فلا هو يرمحه لضغفه وعجزه عنه ، ولا هو يرمحه لخضوعه ، ولا هو يمل^(٢)
وليس له عنده وتر . ثم ينقر بأفوخه حتى ينقب عنه ، ثم لا يزال ينقر
ذلك المكان بعد النقب حتى يخرج دماغه فيموت بين يديه :

فلو كان مما يأكل اللحم واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ، إذ لم
يعد ما طبع الله عليه مباح الطير .

فلذا رأينا من بعض بهائم الطير من القسوة ما لا نرى من مباح الطير
لم يكن لنا إلا أن نقضى عليه من اللؤم على حسب مباينته لشكل

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشئ .

(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س نقط : « مستخز » ، وهو تصحيف .

(٣) ن : « ولا يميل » .

البهيمة ، ويزيد^(١) في ذلك على ما في جوارح الطير من^(٢) السَّيِّئَةِ .

(أقوال لصاحب الديك في الحمام)

وقال صاحب الديك^(٣) :

زعم أبو الأصبح بن ربيع^(٤) قال : كان رَوْحُ أبو همام صاحب المعنى ، عند مثنى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء جماعة فصعدوا . فلم يلبث أن جاء آخرون ، ثم لم يلبث أن جاء مثلهم ، فأقبل عليهم فقال : أى شئ جاء بكم ؟ وما الذى جمعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذى يرجع فيه مزاجيلُ الحمام من الغاية . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم نَتَمَتُّعُ بالنظر إليها إذا أقبلت . قال : لكننى آتَمَعُ بتغميض العين إذا أقبلت ، وتركِ النَّظَرَ إليها !! ثم نَزَلَ وجلس وحده .

(التلغى بالحمام)

وقال مثنى بن زهير ذات يوم : ما تَلْهَى النَّاسُ بشئٍ مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئاً مما يتخذه النَّاسُ ويُلْعَبُ بِهِ وَيُلْهَى بِهِ ، يخرج من أبواب

(١) ل : « ويزيد » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه في ل .

(٣) هذه الجملة ليست في ط ، س . وبها كلمة « ياب » .

(٤) ما عدا ل : « أبو الأصبح بن ربيع » . وانظر ص ١٠٩ .

الغزل إلى أبواب الجَدِّ - كالحمام - وأبو إسحاق^(١) حاضر - فغاظه ذلك ، وكظم على غيظه . فلما رأى مثنى سكوته عن الردِّ عليه طمع فيه فقال : يبلغ والله من كرم الحمام ووفائيه ، وثبات عهده ، وحنينه إلى أهله ، أني ربما قصصْتُ الطائر^(٢) بعد أن طار عندي دهرًا ، فتى نبت جناحه كنباته الأول ، لم يذعه سوء صنعي إليه إلى الذهاب عني . ولربما يغتبه فيقصه المتباع حيناً ، فما هو إلا أن يجد في جناحه قوة على النهوض [حتى أراه^(٣)] أتاني جادفاً أو غير جادف^(٤) . وربما فعلت ذلك به مراراً كثيرة ، كل ذلك لا يزداد إلا وفاة .

٨٠

قال أبو إسحاق : أما أنت فأراك دائماً تحمده وتذم نفسك . ولئن كان رجوعه إليك من الكرم إن إخراجك له من اللؤم ! وما يعجبني من الرجال من يقطع نفسه لصلة طائر ، وينسى ما عليه في جنب ما للهيمه . ثم قال : خبرني عنك حين تقول : رجعت إلى مرة بعد مرة ، وكلما زهدت فيه كان في أرغب ، وكلما باعدته كان لي أطلب ؛ إليك جاء ، وإليك حن أم إلى عشه الذي درج منه ، وإلى وكرهه الذي ربي فيه ؟ ! أرايت أن لو رجعت إلى وكرهه وبيته ثم لم يجدك ، وألفاك غائباً أو ميتاً ، أكان يرجع إلى موضعه الذي خلفه ؟ ! وعلى أنك تتعجب من هدايته ، وما لك فيه

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) في الأصل : « قصصت الطائر دهرًا » . وكلمة : « دهرًا » مقحمة بلا ووب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكملة للكلام .

(٤) جدف الطائر جدوفاً : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأما شكرُك على إرادته لك ، فقد تبينَ خطَاؤُك^(١) فيه ،
ولنما بقي الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرِّخْمَ من لثام الطير وبغائها ، وليست من عتاقها
وأحرارها ، وهى من قواطع الطير ، ومن موضع مَقْطَعِهَا إلينا^(٢) [ثم]
مرجعها إليه من عندنا ، أكثرُ وأطولُ من مقدار أبعد غابات حمامكم . فإن
كانتْ وقتَ خروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطع الصحارى والبرارى
والجزائر والغياض والبحار والجبال ، حتى تصير إلينا فى كل عام فإن قلت
إنها ليست تخرج إلينا على سميت ولا على هداية ولا دلالة ، ولا على أمارَةٍ
وعَلامَةٍ ، وإنما هربت من الشاوج والبرد الشديد ، وعلمت أنها تحتاج إلى
الطُعم ، وأنَّ الثلج قد ألبس ذلك العالم ، فخرجت هاربة فلا تزالُ فى هربها
إلى أن تصادف أرضاً خصباً^(٣) دفئاً ، فتقيم عند أدنى مانجد - فما تقولُ فيها
عند رجوعها ومعرفتها بانحسار الثلوج عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدت^(٤)
طريقَ الرجوع ؟ ! ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التجارب

(١) الخطأ ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصبة وخصبة بكسرهما ، وخصبة بالفتح . بدلها فى ل :

« يضاء » وليس بشئ .

(٤) يقال هو يهتد الطريق يهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أن طَيْرَ كُلِّ جَهَةٍ إِذَا قَطَعَتْ رَجَعَتْ إِلَى بِلَادِهَا وَجَبَاهَا وَأَوْكَارَهَا ، وَإِلَى غِيَاظِهَا وَأَعْشَبِهَا ^(١) . فتجد هذه الصِّفَةَ فِي جَمِيعِ الْقَوَاطِعِ مِنَ الطَّيْرِ ، كَرَامِهَا كُلِّئِهَا ^(٢) ، وَبِهَائِمِهَا كَسِبَاعِهَا . ثُمَّ لَا يَكُونُ اهْتِدَاؤُهَا عَلَى تَمَرِّينَ وَتَوَطِينَ ، وَلَا عَنْ تَلْرِيبٍ وَتَجْرِيبٍ ، وَلَمْ تَلْقَنَّ ^(٣) بِالتَّعْلِيمِ ، وَلَمْ تُثَبِّتْ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّقْوِيمِ . فَالْقَوَاطِعُ لِأَنْفُسِهَا تَصِيرُ إِلَيْنَا ، وَلِأَنْفُسِهَا تَعُودُ إِلَى أَوْكَارِهَا . وَكَذَلِكَ الْأَوَابِدُ مِنَ الْحَيَامِ ، لِأَنْفُسِهَا تَرْجِعُ . وَإِلْفُهَا لِلْوَطَنِ إِلْفٌ مُشْتَرَكٌ مَقْسُومٌ عَلَى جَمِيعِ الطَّيْرِ . فَقَدْ بَطَلَ جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُ .

(قواطع السمك)

ثُمَّ قَالَ : وَأَعْجَبُ مِنْ جَمِيعِ قَوَاطِعِ الطَّيْرِ قَوَاطِعُ السَّمَكِ ، كَالْأَسْبُورِ ^(٤) وَالْجُفَافِ ^(٥) وَالْبَرَسْتُوجِ ^(٦) ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ تَأْتِي دِجَلَةُ الْبَصْرَةِ مِنْ

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف مشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولئامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ولم تعل » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاد ، ونحوها . مصمم المخطوف ٢٣٢ . ولم أعتد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المجامع المشهورة . ويبدل هذه الكلمة في ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه في أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه في عجائب الخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما في القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب الخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت معرفة في س وعجائب الخلوقات يلفظ « الجراف » . وفي ط يلفظ « الجران » وصوابه في القاموس ول .

(٦) البرستوج ، هو في القاموس : « البرشتوك كمنقور : سمك بحري » قلت : هو =

٨١ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء في ذلك الإبان ، كأنها ، تتحمّضُ بحلاوة الماء وعذوبتيه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ، كما تتحمّضُ الإبلُ فتطلبُ الحَمْضَ - وهو ملحٌ - بَعْدَ الحَلَّةِ - وهو ماحلا وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأسدُ إذا أَكَّاتَ مِنْ حَسْرِ الدِّمَاءِ - والدِّمَاءُ حلوةٌ - وأَكَلَ اللَّحْمَ واللَّحْمُ حلوٌ - طلبتِ المِلْحَ لتَمْلَحَ^(١) به ، وتجعله كالحمض بعدَ الحَلَّةِ . ولولا حُسْنُ موقعِ المِلْحِ لم يُدْخِلْهُ النَّاسُ في أَكْثَرِ طعامِهِمْ .
والأسدُ يخرجُ للتَمْلَحِ ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ حَتَّى يَجِدَ مَلَاخَةً^(٢) . وربما اعتادَ الأسدُ مكاناً فيجده ممنوعاً ، فَلَا يَزَالُ يَقَطَعُ القَرَامِصَ الكثيرةَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣) .
فلَإِذَا تَمْلَحَ رَجَعَ^(٤) إلى موضِعِهِ وَغِيضَتِهِ وَغَرَبِهِ ، وغابه وعْرِيسَتِهِ^(٥) ، وإن كان الذي قَطَعَ حَسِينَ فرسخاً .

« مررب » پرستوك ، وهو لفظ فارسي معناه الخطف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطف في أنه من القواطع كما أن الخطف من القواطع . وفي عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . وذكر البحريون أن البرستوج في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في البصرة » . ط : « البرستوج » تصحيف .

- (١) كذا في ل . وفي ط ، س : « تستلح » .
- (٢) الملاحه : منبت الملح أي معينه . وأصل هذه الجملة في س مبدوءة بالباء ، فنقرأ « الأسد » ههنا جماً ، أي يضم الهززة وإسكان السين .
- (٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « وبعد ذلك » والواو مقحمة .
- (٤) س : « عاد » .
- (٥) الغاب : جمع غابة ، وهي الأجمة . والأوفق في هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(عجىء فواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي يقبل إلينا فيها هذه الأصناف^(١) وهي تقبل مرتين في كل سنة ، ثم نجدُها في إحداهما أسمنَ^(٢) الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر ، فإذا مضى ذلك الأجلُ ، وانقضتِ عِدَّةُ^(٣) ذلك الجنس ، أقبل^(٤) الجنس الآخر . فهم^(٥) في جميع أقسام شهور السنة من الشتاء والربيع ، والصيف والخريف ، في نوع من السمك غير النوع الآخر . إلا أن البرستوج^(٦) يُقبل إلينا قاطعاً من بلاد الزنج^(٧) ، يستعذب الماء من دجلة البصرة ، يعرف ذلك جميع الزنج والبحريين .

— بالافراد ليساق الكلام ، ولكن هكذا وردت في ل . وفي ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكر الميّن وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « المريس » بالضبط المتقلم ، وجاءت بهذه في ط ، س .

(١) كذا في ل . وبهذا الكلمتين الأخيرتين في ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بهذا اللفظ في ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفي الكتاب العزيز : « وتكثروا العبدة » ط ، س : « عبدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه في ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فهم » تحريف .

(٦) ط : « البرستوج » ، وهو تصحيف نبهت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها ما يعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالي وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هي (مقشوا) كما ورد في معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهي عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بِلَادِ الزُّنْجِ وَالصِّينِ عَنِ الْبَصْرَةِ)

وهم يزعمون أنَّ الذي بين البصرة والزنج ، أبعدُ مما بين الصِّينِ وبينها^(١)

ولمَّا غلطَ ناسٌ فزعموا أنَّ الصِّينَ أبعدُ ، لأنَّ بحرَ الزنج^(٢) حفرةٌ واحدةٌ عميقة^(٣) واسعة ، وأمواجها عظام ، ولذلك البحرُ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهةِ الزنجِ شهرينَ ، وريحٌ تهبُّ من بلادِ الزنجِ تريدُ جهةَ عُمانَ شهرينَ ، على مقدَّارٍ واحدٍ فيما بينَ الشدةِ واللَّينِ ، إلَّا أنَّها إلى الشدةِ أقربُ ، فلما كانَ البحرُ عميقاً والريحُ قويَّةً ، والأمواجُ عظيمةً ، وكانَ الشَّراعُ لا يحيطُ ، وكانَ سيرهم مع الوترِ ولم يكنْ مع القوسِ^(٤) ، ولا يعرفونَ الخبْءَ والمكلاَّ^(٥) ، صارت الأيَّامُ التي تسيرُ فيها السفنُ إلى الزنجِ أقلَّ .

-
- (١) أي بين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه في ل .
 (٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربي من المحيط الهندي ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .
 (٣) ل : « عميقة » وصوابه في ط ، س .
 (٤) المراد بالوتر الوتر الهندسي ، وهو الخط الذي يصل بين طرفي القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .
 (٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلا ، كظم : الرفأ .
 يقول : لا يضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بمجوار الساحل . ط : س :
 « الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذي أثبت في ل .

(البرستوج)

قال : والبرستوج ^(١) سَمَكٌ يَقْطَعُ أَمْوَاجَ الْمَاءِ ، وَيَسِيحُ ^(٢) إِلَى الْبَصْرَةِ مِنْ الزَّنْجِ ، ثُمَّ يَعُودُ مَا فَضَّلَ عَنْ صِلَةِ النَّاسِ إِلَى بِلَادِهِ وَبَحْرِهِ . وَذَلِكَ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْعَلِيقِ ^(٣) الْمَرَارَ الْكَثِيرَةَ . وَهُمْ [لَا] ^(٤) يَصِيلُونَ مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الزَّنْجِ ^(٥) مِنَ الْبَرَسْتُوجِ ^(٦) شَيْئًا [إِلَّا] فِي إِبَانٍ مَجِيئِهَا إِلَيْنَا وَرُجُوعِهَا عَنَّا ^(٧) ، وَإِلَّا فَالْبَحْرُ مِنْهَا فَارِغٌ خَالٍ .
فَعَامَةُ الطَّيْرِ أَعْجَبُ مِنْ حَمَامِكُمْ ، وَعَامَةُ السَّمَكِ أَعْجَبُ مِنَ الطَّيْرِ .

(هداية السمك والحمام)

وَالطَّيْرُ ذُو جَنَاحَيْنِ ، يَخْلُقُ فِي الْمَوَاءِ ، قَلِيلُهُ سُرْعَةُ النَّزْلِ وَبُلُوغُ الْغَايَةِ بِالطَّيْرَانِ ^(٨) ، وَلَهُ إِدْرَاكُ الْعَالَمِ بِمَا فِيهِ بِعَلَامَاتٍ وَأُمَارَاتٍ ^(٩) إِذَا هُوَ ٨٢

(١) ط : « والبرستوج » وصوابه في ل ، س . وانظر التحقيق في ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا في ل ، ط . وفي س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا في ل ، س . وانظر ماسبق في ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العين » .

(٤) للزيادة من ل ، س .

(٥) في ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا ترى » .

(٦) ط : « البرستوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حَلَقٌ^(١) في الهواء ، وعلا^(٢) فوق كل شيء . والسَّمَكَةُ تَسْبِجُ في غَرِّ الْبَحْرِ والماء^(٣) ، ولا تَسْبِجُ في أعلاه . ونَسِجُ الهواء الذي^(٤) يعيشُ בו الطيرُ لو دَامَ على السَّمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لَقُتَهُ^(٥)

وقال أبو العنبر^(٦) : قال أبو نَحْيَةَ الرَّاجِزِ^(٧) وَذَكَرَ السَّمَكُ :

تَغْمُسه النَّشْرَةُ^(٨) والنَّسِيمُ فَلَا يَزَالُ مُغْرَقًا^(٩) يَعمُومُ
في الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَهُ تَحْمِيمٌ^(١٠) وَأُمُّهُ الْوَالِدَةُ الرَّعُومُ
• تَلْهَمُهُ جَهْلًا وَمَا يَرِيمُ •

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه في طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجده إلا في تحلق

القمر : صارت حوله دوائر ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « عل » تحريف .

(٣) ل : « غر الماء » . وتجد ألى ضبطت « تسبح » من التمشيح ، وهو مراد

الجاحظ ، جاء في نقل الديميري : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله في غمر الماء »

وانظر ما نقله من صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذى » وصوابه في ل ، س والديميري .

(٥) قال الديميري معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس

على إطلاقه » ، فإن التزائي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم فقال : « ومن السمك

نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العنبر » . وجاء في معجم المرزبانى ٥١٣ :

« أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) . في الأصل : « بن أبي نخيلة

الراجز » ، وقد أبدله بما ترى .

(٨) ط : « النشرة » وصوابه في ل ، س والسان (نشر) .

(٩) س : « مغرقاً » وتصحيحه من ط ، ل والسان .

(١٠) ط ، س والديميري : « حيم » ، وصوابه في ل والسان .

يقول : النشرة والتسمم الذى يُحیی جميع الحيوانات ، إذا طال عليه
الْحُمُومُ^(١) وَاللَّخْنُ وَالْعَفْنُ ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُ السَّمَكُ
ويكرُّهُ ، وأُمُّهُ التى ولدته تأكله ، لأنَّ السَّمَكَ يأكلُ بعضُهُ بعضاً ، وهو
فى ذلك لَا يَرِيْمُ هذا الموضع^(٢) .

وقال رؤبة^(٣) :

والخوت^(٤) لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْتَهُمُهُ يُصْبِحُ عَطْشَانَ وفى الماء قَهْ^(٥)
يصف طباعه واتصاله بالماء ، وأَنَّهُ شديد الحاجة إليه ، وإن كان
غَرَقاً [فيه^(٦)] أبدا .

(١) الْحُمُومُ : العفن . ط ، س : « الحُموم » وتصحيحه من ل والمان .

(٢) رام الموضع يريه : تركه .

(٣) فى محاضرات الرافى (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا .
والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما فى ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المفنى ١٢٠ :

« قلت لزيير لم تصله مريمه »

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المفنى . وقد
ردى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقيل هذا البيت :

« أذاك لم يخطئ به ترسمه »

ينى نفسه . ويخطب أبا جعفر المتصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيدة فى المحصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فهُ » وقال :
« وهذا الإبدال إنما هو فى الإفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بيم ، وكان ينبغي
أن يقول : « فهُ » ، ولا يصح التعلق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها
من الإضافة . قال البكرى : « يقول : إنه لا يروى حتى يلقى المملوح » .

(٦) الزهادة من ل ، س .

(شعر في الهجاء)

وأنشدني محمد بن يسير بعض المدينين ^(١) ، بهجو رجلا ، وهو قوله :
لو رأى في السقف فرجاً لنزاً حتى يموتاً ^(٢)
أو رآه وسط بحر صار فيه الدهر حوتاً ^(٣)
قال : يقول في القوص في البحر ، وفي طول اللبث فيه . ^(٤)

(شعر في الضفدع)

وقال الذكواني ، وهو يصف الضفدع :
يُدخل في الأشداق ^(١) ماء ينصفه كياً ^(٢) يتق والتقيق يتلفه
قال : يقول : الضفدع لا يصبوت ، ولا يتها له ذلك حتى يكون في فيه
ماء ، وإذا أراد ذلك أدخل فكه الأسفل في الماء ، وترك الأعلى حتى
يبلغ الماء نصفه .

(١) الصواب أن الشعر لأبي نواس ، وليس في هجاء رجل ، بل في غرض آخر .
انظر الكنايات الجرجاني ٣٧ ومعاهد التنخيص (١ : ٣٤) وأخبار
أبي نواس ٣٥ .

(٢) نزاً : وثب . وفي الأصل : « لنزاً » وصوابه في أخبار أبي نواس . وفي المعاهد :
« لنزى » تحريف كتابي . وفي الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار لتقطاط » ، وصوابها « لتتماط » . المعاهد : « صار للإتماط » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) في الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأتيت ما في الدهري وعيون الأخبار

(٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كياً » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ : « فَلَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ خُصُومَهُ
لَأنَّ فَاهُ مَلَّانَ مَاءً » . وقال شاعرهم^(١) :

وما نسيْتُ مكانَ الأَمْرِيكِ بِذا بِأَمْنٍ هَوَيْتُ وَلَكِنْ فِي مَاءِ^(٢)
وَلَمَّا جَعَلُوا ذَلِكَ مِثْلًا^(٣) ، حِينَ وَجَدُوا الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي فَهِ مَاءٌ
على الحَقِيقَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ^(٤) الكلام . فهو تَأْوِيلُ قولِ الذُّكْوَانِيِّ :

• يُدْخِلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءً يَنْصُفُهُ •

بفتح الياء وضم الصاد ، فإنه ذهبَ إلى قول الشاعر^(٥) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارَى دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِزْرَى^(٦) ٣
[المَضُوفَةُ : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر^(٧) :

• فَلَنْ الظَّنَّ يَنْصُفُ أَوْ يَزِيدُ •

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْلُ ، وَلَمَّا هُوَ مِنْ بُلُوغِ
نِصْفِ السَّاقِ .

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يلا » من الوشاة . وفى الديوان : « وما جهلت
مكان لاشريك به » من الوشاة .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جنتب الحللى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تتكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سيده فى المختص
(١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحر بن شبيب ، كما سبق فى ٦٠ . وصدوه :

• فَلَا يَأْتِكُمْ غَيْرَ يَقِينِ •

وأما قوله :

• كَيْفَا ^(١) يَتَّقُ وَالنَّقِيقُ يُطْفِئُ •

فإنه ذهب إلى قول الشاعر ^(٢) :

ضفادعُ في ظلام ليل تجاوبتُ فدلَّ عليها صَوْنُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلُّ معنى سَمْعَاهُ في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة ، وقرآنه في كتب الأطباء والمتكلمين - إلَّا ونحنُ قد وجدناه ^(٣) [أو] قريباً منه في أشعار العرب والأعراب ، وفي ^(٤) معرفة أهل لغتنا وملتنا . ولولا أن يطول الكتابُ لذكرتُ ذلك أجمع ^(٥) . وعلى أني قد تركتُ تفسيرَ أشعار كثيرة ، وشواهد عديدة ^(٦) مما لا يعرفه إلَّا الراويةُ التحرير ^(٧) ، من خوف التطويل .

(١) ط ، س : « كفا » ، وصوابه في ل .

(٢) هر الأعطل كما في البيان (١ : ٢٧٠) والحيوان (٥ : ١٥٤) . وكتب قصة طريفة في القطة (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكتابات ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وجدنا » .

(٤) ل : « في » والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) ط ، س : « لذكرت لك الجميع » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « مع شواهد كثيرة » .

(٧) التحرير : المأذوق الفطن البصير بكل شيء . ط ، س : « إلَّا الرواة لتحرز » تحريف ما أثبت من ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون^(١) صاحبُ الفِرَاسة : اجعل حمامَ النساءِ المسرِّولاتِ العِظامَ الحِسانَ ، ذواتِ الاختِيالِ والتَّبَخُّرِ والمُهِدِرِ ، واجعل حمامَ الفِراخِ ذواتِ الأنسابِ الشريفة^(٢) والأعراقِ السَّكرِمةِ ، فإنَّ الفِراخَ لَأَمَّا تَكْثُرُ عن حُسْنِ التَّعَهُدِ ، ونِظَافَةِ القِرامِيصِ^(٣) والبُرُوجِ . واتَّخِذْ لهنَّ بَيْتاً مَحْفُوراً عَلَى خِلْفَةِ الصَّوْمَةِ ، مَحْفُوراً من أسفله^(٤) إلى مَقْدَارِ ثُلْثَى حِيطَانِهِ بِالْقَارِيدِ^(٥) ، وَلَتَكُنْ واسعةً وليكنَ بينها حِجَازٌ^(٦) . وأجودُ ذلكُ أنْ تَكُونَ تَمَارِيدُهَا مَحْفُورَةً فِي الحَائِطِ^(٧) عَلَى ذلكِ المِثَالِ ، وتَعَهُدُ البُرُجَ بالكَنَسِ والرَّشِّ^(٨) [في زَمَانِ الرَّشِّ] ، وليكنَ مَخْرُجُهُنَّ من كَوٍّ^(٩) في أعلى

(١) ط ، س : « أفليمون » بالفاء ، تصحيف ما في ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس ماري : هي يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومناه الحفرة والأفصوص والفلت والوجار وهي مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمارد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حِجَاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجَاز » وهو تحريف .

(٧) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو يمضي الكنس . وكلمة « الرش » هي في ط : « الرش » وصوابها في ل ، س .

(٩) الكو : الخرق في الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمه كوى وكواه . ط : « من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّوْمَةُ ، وليكن مقتصدًا في السَّعَةِ وَالصَّيْقِ ، بقدر ما يدخل منه ويخرج [مند] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعتَ أن يكونَ البيتُ بِقُرْبِ مزرعةٍ فافعلْ . فإن أعجزَكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِرَاسَةِ الَّتِي لَا تَخْطِئُ .
وقلِّمًا يُخْطِئُ الْمُتَفَرِّسُ .

قال : وليس كلُّ الْهَدْيِ ^(١) تَقَوَّى على الرَّجْعَةِ من حيثُ أُرْسِلَتْ ؛
لأنَّ منها ما تَفَضَّلَ قُوَّتُهُ على هِدَايَتِهِ ، ومنها الْبَطْلُ . وإن كان قوياً ،
ومنها السَّرِيعُ وإن كان ضعيفاً ، على قدر الحنين والاعتزام ^(٢) . ولا بدُّ
لجميعها من الصَّرامَةِ ، ومن التَّعْلِيمِ أَوَّلًا والتَّوطينِ آخِراً .

(انتخاب الحمام)

وقال : جماع الفِرَاسَةِ لَا يَخْرُجُ ^(٣) من أربعة أوجه : أَوَّلُهَا التقطيعُ ،
والثاني المَجَسَّةُ ، والثالث الشَّامِلُ ، والرابع ^(٤) الحركة .

فالتقطيعُ : انتصاب العنق والخِلْقَةُ ، واستدارةُ الرَّأسِ من غير عِظَمٍ
ولا صِغَرٍ ، مع عِظَمِ القِرْطَمَتَيْنِ ^(٥) ، واتِّسَاعِ المنخرين ، وانْهَرَاتِ الشَّدَقَيْنِ

(١) الهدى سبق الكلام عليها في (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال
ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « هل قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرماء : مجتمع أصل الشيء . ط ، س : « جميع الفِرَاسَةِ لَا تَخْرُجُ »

(٤) في الأصل : « والرَّابِعَةُ » وهو خطأ . وفي س أيضاً : « والثانية »

« والثالثة » وليس بشيء .

(٥) القِرْطَمَتَانِ بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان من أعلام الكرم في الخليل ، للاسترواح^(١) وغير ذلك . ثم حسن
خِلْقَةُ العينين ، وقصر المنقار في غير دِقَّة^(٢) ثم اتساع الصدر وامتلاء
الجؤجؤ ، وطول العنق ، وإشراف المنكبين ، وطول القوادم في غير إفراط ،
ولحوق بعض الخوافي ببعض ، وصلابة العصب^(٣) في غير انتفاخ ولا يُبس
واجتماع الخلق في^(٤) غير الجموعة والكزازة ، وعظم الفخذين ، وقصر
الساقين والوظيفين ، [وافتراق^(٥) الأصابع] ، وقصر الذنب وخِفَّتِه ، من
غير تفنن وتفريق^(٦) . ثم توقد الحذقتين ، وصفاء اللون . فهذه أعلام
الفِرَاسَةِ في التقطيع .

وأما أعلام المحبة ، فوثاقة الخلق ، وشدة اللحم ، ومثانة العصب ،
وصلابة القصب ، ولين الريش في غير رِقَّة^(٧) وصلابة المنقار
في غير دقة .

وأما أعلام الشئال ، فقلة الاختيال ، وصفاء البصر^(٨) وثبات النظر

(١) الاسترواح : التشم . ل : « وهذان من أعلام الكرم في الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت مائي ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠
والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « النصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) في الأصل - وهو هنا ل - : « افتتار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله في التوب أن يبلى فينتز به من بعض . ل : « تفنن » وأثبت
صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) في الأصل : « دقة » بالدال ، وأثبت مائي المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدة الخدر ، وحسن التلقت^(١) ، وقلة الرغلة عند الفزع ، وخفة النهوض إذا طار ، وترك المبادرة إذا لقط .

وأما أعلام الحركة ، فالطيران^(٢) في علو ، ومد العنق في سمو ، وقلة الاضطراب في جو السماء ، وضم الجناحين في الهواء^(٣) ، وتدافع الركض في غير اختلاط ، وحسن القصص في غير دوران ، وشدة المد في الطيران . فإذا أصبته جامعاً لهذه الخصال^(٤) فهو الطائر الكامل . وإلا فيقدر ما في من المحاسن تكون هدايته وفراسته .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أن الحمام من الطير الرقيق ، الذي تسرع إليه الآفة ، وتغزوهُ الأدوية^(٥) ، وطبيعته الحرارة واليبس . وأكثر أدوائه الخنثان والكباد ، والعطاش ، والسل ، والقمل^(٦) . فهو يحتاج إلى المسكن البارد

(١) في الأصل : « التلقب » وهو تحريف عجيب ، صوابه في المختص والنهاية . وقد زاد المختص في أعلام الهبة خصلاً أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « في الطيران » تحريف .

(٣) في الأصل : « في جو السماء » ، فيكون تكراراً زكياً . وأثبت مافي المختص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المختص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تمثوره » .

(٦) الخنثان : داء في الحلق . والكباد ، كثراب : وجع الكبد . والعطاش ، كثراب أيضاً وبالشين الممجة : داء لا يروى صاحبه . وهي في ط ، س : « العطاس » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظِيفُ ، وإلى الحَيُوبِ البَارِدَةِ كَالْعَدَسِ وَالْمَاشِ^(١) وَالشَّعِيرِ الْمَخُولِ .
وَالْقُرْطُمُ لَهُ بِمِزَلَةِ اللَّحْمِ لِلْإِنْسَانِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الدَّسَمِ .

فَمَا يُعَالِجُ بِهِ الْكَبَادُ : الزُّعْفَرَانُ وَالسُّكَّرُ الطَّبْرَزْدُ^(٢) ، وَمَاءُ الْهِنْدِيَا ،
يَجْعَلُ فِي سُكَّرِجَةٍ^(٣) ، ثُمَّ يُوجَرُ^(٤) ذَلِكَ أَوْ يَمِجُّ فِي حَلْقِهِ مِجًّا وَهُوَ
عَلَى الرَّيْقِ .

وَمَّا يُعَالِجُ بِهِ الْخُثَّانُ أَنْ يَلَيَنَّ لِسَانَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ بِدُهْنِ الْبَنْفَسَجِ ،
ثُمَّ بِالرَّمَادِ وَالْمَلْحِ ، يُدَلِّكُ^(٥) بِهَا^(٦) حَتَّى تَنْسَلَخَ الْجِلْدَةُ الْعُلْيَا^(٧) الَّتِي غَشِيَتْ
لِسَانَهُ^(٨) . ثُمَّ يُطْلَى بِعَسَلٍ وَدُهْنٍ وَرَدٍ^(٩) ، حَتَّى يَبْرَأَ .

وَمَّا يُعَالِجُ بِهِ السَّلَّ أَنْ يُطْعَمَ الْمَاشَ الْمَقْشُورَ ، وَيَمِجُّ فِي حَلْقِهِ مِنْ
الْأَبْنِ الْحَلِيبِ ، وَيُقَطَّعَ مِنْ وَظِيفِيهِ عِرْقَانِ ظَاهِرَانِ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ ، مِمَّا
بَلَى الْمَقْصَلِ [مِنْ بَاطِنِ] .

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون يراق له عين كمين اللوييا ، وشجرته كشجرة
الوييا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزد : الأبيض الصلب ، مغرب تبرزد ، تبر بمعنى الناس ، وزد بمعنى
غرب ، لأنه كان يدقن بالقأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطبرزد »
تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر ما يوضع فيه الكواخج ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أي يصب في حلقة ليله . ط : « يوجر » ، تحريف .

(٥) ميمون الأغبار : « بهما » .

(٦) ط : « الجلدة العليا » ، وصوابه في ل ، س وميمون الأغبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « غشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل وميمون الأغبار .

(٨) كذا في ل : وميمون الأغبار . وفي ط ، س : « الورد » .

وَمِمَّا يَعَالَج بِهِ الْقَمَلُ أَنْ يُطْلَى أَصُولُ رِيشِهِ بِالزَّبْيَقِ الْمَخْلُوطِ^(١) بِدُهْنِ
الْبَنْسَجِ ، يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْقُطَ قَلَمُهُ ؛ وَيُكْنَسُ مَكَائِدُهُ
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ كَنْسًا نَظِيفًا .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أَنَّ الحمامَ والطيرَ كُلَّهُما لَا يَصْلُحُ التَّغْمِيرُ^(٢) بِهِ مِنَ الْبَعْدِ .
وهذايته على قَدْرِ التَّعْلِيمِ ، وعلى قَدْرِ التَّوطينِ . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى^(٣)
ظَهْرِ سَطْحٍ يعلو عليه ، وَيُنْصَبَ عَلَيْهِ عِلْمٌ يَعْرِفُهُ ، وَيَكُونُ طِيرَانُهُ لَا يَجَاوِزُ
٨٥ مَحَلَّتَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ عِلْفُهُ^(٤) بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُلقَى له فوقَ ذَلِكَ السَّطْحِ ، قَرِيبًا
من عِلْمِهِ المنصوبِ له ، حَتَّى يَأْلَفَ الْمَكَانَ وَيَتَعَوَّدَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ . وَلَكِنْ

(١) في مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجمل المتعقدات مثل الماء » . وهذه
الكلمة جاءت في ل : « المنحل » . وجاء في عيون الأخبار : « ودواء
التمل أن تطل أصول ريشه بالزئبق المخلوط بدهن البنسج » . وكلمة « الزئبق »
محرمة صوابها « الزئبق » كما ورد في النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد
ذلك ماورد في المعتمد ١٢٨ في الكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيذاً
للجرب والقمل » ، وما جاء في تذكرة داود في الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل
إذا جمل في الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأول ذلك أن يخرج حل » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أحله طعام الدواب ، ولم يمهّد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ،

كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لَيَنْظُرُ^(١) مِنْ أَىِّ شَيْءٍ يَتَّخِذُ الْعِلْمَ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ ، وَلَا يَكُونَ شَيْئاً تَرَاهُ مِنَ الْبُعْدِ أَسْوَدَ . وَكَلِمَا^(٢) كَانَ أَعْظَمَ كَانَ أَدَلَّ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطِيرَهُ وَزَوْجَتُهُ مَعاً ، وَلَكِنْ يَنْتَفِ أَحَدُهُمَا وَيَطِيرُ الْآخَرُ ، وَيُخْرِجَانِ إِلَى السَّطْحِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يَطِيرُ الْوَاقِ الْجَنَاحَ ؛ فَإِنَّهُ يَنَازِعُ إِلَى زَوْجَتِهِ . وَإِذَا عَرَفَ الْمَكَانَ ، وَدَارَ^(٣) وَرَجَعَ ، وَالْفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، وَنَبَتَ رَيْشُ الْآخَرِ ، صَنَعَ بِهِ كَذَلِكَ .

وَأَجُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُخْرِجَا إِلَى السَّطْحِ وَهُمَا مَقْصُوصَانِ ، حَتَّى يَأْلِفَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ يَطِيرُ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ ، وَيُصْنَعُ بِالثَّانِي كَمَا صُنِعَ بِالْأَوَّلِ .

وَمَا أَشْبَهَ قَوْلُهُ هَذَا بِقَوْلِ مَاسْرُجِيهِ ؛ فَإِنَّهُ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ ، طِبَاعَ جَمِيعِ الْأَلْبَانِ ، وَشُرْبَهَا لِلدَّوَاءِ^(٤) ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الصِّفَةِ قَالَ : وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ حَالَ^(٥) الْأَلْبَانِ فِي أَنْفُسِهَا ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْقِيكَ اللَّبْنَ ؛ فَإِنَّكَ بَدَأَ^(٦) تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفِ جَوْفِكَ^(٧) ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ قَدْرِ اللَّبَنِ ، وَجَنْسِ عِلَّتِكَ مِنْ جَنْسِ اللَّبَنِ^(٨) .

(١) ط ، س : « يَنْظُرُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَكَلَّ مَا » وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) ط ، س : « وَدَارَهُ » ، وَوَجْهَهُ فِي ل .

(٤) الْمُرَادُ بِكَلِمَةِ : « الدَّوَاءُ » الطَّوَالِي .

(٥) ل : « وَصَفْتُ لِلرِّجَالِ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٦) يَدَا : أَى أَوَّلَا . ل : « يَدَيْتَا » . ط : « أَيْدَا » وَهِيَ مَحْرَقَةٌ تَقْصِدُ الْمَنَى .

(٧) ط ، س : « تَوَيْكُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٨) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ جَنْسِ اللَّبَنِ » ، وَجَنْسِ اللَّبَنِ مِنْ جَنْسِ عِلَّتِكَ » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجارٍ كان عندي ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريم
فقلت له : إنَّ إحكامَ تعليقِ البابِ شديدٌ ، ولا يحسنه من مائةِ نجارٍ نجارٌ
واحد . وقد يُذكرُ بالحدقِ في نجارةِ السُّقُوفِ^(١) ، والقياب ، وهو لا يكُلُ
لتعليقِ^(٢) بابٍ على تمامِ الإحكامِ [فيه . والسُّقُوفِ] ، والقياب عند
العامةِ أصعب .

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنَّ الغلامَ والجاريةَ يشويانِ الجَدَى والحملَ
ويحكانِ الشيءَ^(٣) ، وهما لا يحكانِ شيءٌ جنبٍ . ومَنْ لا عِلْمَ له يظنُّ أنَّ شيءً
البعضُ أهونُ من شيءٍ الجميعِ !

فقال لي : قد أحسنتَ حينَ أعلمتَنِي أنَّكَ تبصِرُ العملَ ، فإنَّ معرفتي
بمعرفتك تمنعني من التشفيقِ^(٤) . فعَلَّمْتُهُ فأحْكَمَ تَعلِيقَهُ ، ثُمَّ لم يكنْ عندي
حَلَقَةٌ لوجهِ البابِ إذا أردتُ إصفاقَهُ ، فقلت له : أكرهُ أنْ أحبسَكَ^(٥) إلى

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تعريف .

(٢) تعليق الباب : نصبه وتركيبه ، كما في اللسان . ط ، س : « لا يكل تعليق »
وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكان الشيء » وأثبت ما في ل .

(٤) كذا في ل ؛ بالقاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شقق النسيج الملحقة تشفيقاً : جعلها
شققاً - بالتصريك - في النسيج . وشقق النسيج : رديته . وفي ط ، س :
« التشفيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشيء . وفيها أيضاً : « تمتع » .

(٥) ل : « أكره حبسك » ط ، س : « أكره أن أجلك » ، وجعلت
القول كما ترى .

أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع . ولكن الثقب لى موضعها ^(١) . فلما ثقبه وأخذ حقه ولأنى ظهره للانصراف ، والتفت إلى فقال : قد جودت الثقب ، ولكن انظر أى نجار يثق فيه الزرة ^(٢) ، فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شق الباب [والشق عيب] - فعلمت أنه يفهم صناعته فهما تأملا .

(قص الحمام وثفته)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصهما ولم ينتفهما ^(٣) . وبين التفت والقص بون بعيد . والقص [كثير القص] لا يوجب ولا يفرح مغارز قصب الریش ^(٤) ، والتفت يؤهن المنكين ^(٥) . فإذا نيف الطائر مراراً لم يقو على الغاية ، ولم يزل واهن المنكين . ومتى أبطأ ^(٦) عليه فنتفه وقد جفت أصوله وتقربت من الطرح كان أهون عليه ، وكلما كان النبات أطراً ^(٧) كان أضمر ^{١٦}

(١) كذا فى ط . وفى ل : « موضعه » تحريف ؛ فالفسير عاله إلى الحلقة . س : « فى موضعها » .

(٢) فى الأصل : « الزرة » . وجاء فى لسان العرب (زور) : « ويقال للحديدة التى تجمل فيها الحلقة التى تضرب حل وجه الباب لإصفاقه : الزرة » ، قاله عمرو بن بحر .

(٣) كذا فى ط ، س ، وهو للصواب . وفى ل : « إذا أراد أن يلتق زوجا يملهما كفتهما » .

(٤) يدل هذا فى ط ، س : « لا يرجع بالتفت » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لا يوهن المنكين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) فى الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٧) أطراً : من الطرود ، وهو ظهور الشيء فجأة . وفى ل : « أطراً » بدون همز =

عليه . وإنه ليلبغ من مضرته ، أن الذكّر لا يجيد الإلقاح ، والأنثى لا تجيد القبول . وربما نضت الأنثى وقد احتشّت بيضاً ، وقد قاربت أن تبيض ، فتبطئ بعد وقتها الأيام ، وربما أضرت ذلك بالبيض .

(زجل الحمام)

قال : وإذا بلغ الثاني مبلغ الأول في استواء الرّيش ، والاهتداء إلى العلم ، طيراً جميعاً ، ومُنِعاً من الاستقرار ، إلّا أن يظنّ بهما الإعياء والكلال . ثم يوطن^(١) لهما المزاجلُ برّاً وبحراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في [الهواء] السّمتَ ونفسَ العلم ، وأقصى ما كانا يريانه^(٢) منها عند التّباعد في الدّورانِ والجولان . فإذا رجعا من ذلك المكانِ مرّاتٍ زُجلا^(٣) من أبعد منه — وقد كانوا مرّةً يعجبهم أن يزجلا من جميع التّوطنات ، مالم تبعث ، مرّتين [مرتين] — فلا يزالان كذلك حتّى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ، ليتذكّره فيرجع إليه . فإن^(٤) خيفَ عليه أن

= من طرا يطروا طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرج : أى صار طريا غضا .

وتكون صواب كتابة ما في ل : « أطرى » .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه في ل .

(٣) زجلا : أى أرسل على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما في ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجته ، غرضت عليه زوجةً أخرى [قبل الزَّجل] ، فإذا تَسَمَّها ^(١) مرَّةً جِلَّ بينه وبينها يومه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أن يُحْمَلَ ^(٢) ، فإذا أطاف ^(٣) بها مُنَحِّت عنه ، ثمَّ جِلَّ إلى الزَّجل ، فإنَّ ذلك أسرع له .

وقال : اعلِّموا أنَّ أشدَّ المَرَّاجِلِ ماقلَّتْ أعلامه ، كالصَّحارى والبحار .
قال : والطير تختلفُ في الطِّباع اختلافاً شديداً : فمنها القوى ، ومنها الضعيف ، ومنها البطيء ، ومنها السريع ، ومنها الذَّهول ، ومنها الذَّكُورُ ومنها القليل الصَّبر على العطش ، ومنها الصَّبور . وذلك لا يخفى فيهنَّ عند التَّعليم والتَّوطيئ ، في سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبْعَدَنَّ ^(٤) غاية الضَّعيف والذَّهول والقليل الصَّبر على العطش ، ولا تَزَجِّلَنَّ ماكان منشؤه في بلاد الحرِّ في بلاد البرد ، ولا ماكان منشؤه في بلاد البرد في بلاد الحرِّ ، إلَّا ما كان بعد الاعتياد . ولا يصبرُ على طول الطيران في غير هوائه [وأجوائه طائرٌ] إلَّا بطول الإقامة في ذلك المكان ، ولا تستوى حاله وحال من لا يُعْدُو هَوَاءَهُ ^(٥) والهَوَاءُ الذى يقربُ من طِّباع هوائه .

(١) تسميها : علاها . وفي ل : « تسميها » ، وهي مصيعة ومعنى الأول . ومنه الحديث « فلزمها حتى تسميها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « يحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) « أطاف بها : قادها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يضلوا دواء » و ط :

« يملو دواء » .

(تعليم الحمام ورود الماء)

قال : ولا بدَّ أن يُعَلِّمَ الورودَ ، فإذا أَرَدْتَ به ذلك فأَوْرِذْهُ العيونَ والغُدْرانَ والأَنهارَ ، ثُمَّ حُلْ^(١) بينه وبين النَّظَرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصره بأصابعك عن جهة الماء واتَّساع المورِد ، إلَّا بقَدْر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثُمَّ أَوْسِيعْ له إذا عَبَّ قليلاً بقدر ما لا يَرُوعُه ذلك المنظر^(٢) وليكنْ معطشاً ، فَإِنَّهُ أجْدَرُ أن يشرب . ففعلْ به ذلك مراراً ، ثُمَّ نَفْسُحْ له المنظرَ أوَّلًا أوَّلًا ، حتَّى لا يُنْكَرَ ما هو فيه . فلا تزالُ بِه حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغيرِ سِترة^(٣) .

(استئناسه واستيعاشه)

٨٧ قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأَهْلَى الذي عايشَ النَّاسَ ، وشَرِبَ من المساقى وَلَقَطَ في البيوتِ يَخْتَلُ^(٤) بالوَاحِدَةِ ، وَيَسْتَوْحِشُ^(٥) بِالْغُرْبَةِ .

(١) ط : « حل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما في ل ، س .

(٢) (٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « النظر » . وفي س أيضاً : « يردمه »

مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) (٣) كذا في ط ، س ؛ وهي صحيحة . والسترة ، بالقسم ، بمعنى الستارة ، وهو ما يستتر به . وفي ل : « ستر » .

(٤) (٤) يختل : يضيغ . ط ، س : « يختل » ، تصغير ما في ل .

(٥) (٥) ط ، س : « ويستوحش » ، صوابه في ل .

قال : واعلم أنّ الوحش يستأنس ، والأهل يستوحش ^(١) ؛
قال : واعلم أنّه ينسى التأديب إذا أهيل ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الرجل)

وإذا زَجَلَتْ فلا تُخْطَرُ به ^(٢) من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن
رتب ذلك ؛ فإنّه ربما اعتاد الهوى من ذلك البُعد ، فتى ^(٣) أرسلته من
أقرب منه تحيّر ، وأراد أن يبتدئ أمره ابتداء . وهم اليوم لا يفعلون ذلك ؛
لأنّه إذا بلغ الرّقة أو فوق ذلك شيئاً [فقد] صار عُقْدَةً ^(٤) ، وصار له ثمن
وغلّة . فهو لا يرى أن يُخاطر بشيء له قدر . ولكنّه إن جاء من هيت
أدرب ^(٥) [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيء له ثمن ، ولا طائر له رياسة ؛

(١) ط ، س : « يستوحش بالقرب » ، والكلية الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أَسْرَح . ومثله « خطرف » . وقيل : « تتخطرف » .

(٣) كذا في ل . وقيل ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيقة والمقار التي احتده صاحبه ملكا .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . ويطلق في
ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا
دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك اللّووب كان
يزجل الخمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المسكان القريب
أمكن أن يزجل إلى المسكان البعيد . جاء في ط ، س : « درب » . وهو
نقص وتشويه سواءه في ل .

وليس له اسم ولا ذكر ، وإن جاء جاء شيء كبير وخطير ^(١) ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حَوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم ^(٢) .
وقال : لا ترسل الزَّاق ^(٣) حتى تستأنف [به] الرياضة ^(٤) ولا تدعْ مانعُهُ للزَّجال ^(٥) أن يحصن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإن ذلك مما ينقصه ^(٦) ويُفْتَحُه ^(٧) ، ويعظم له رأسه ، لأنه عند ذلك يسمن وتكثر رطوبته ، فتتدف الحرارة تلك الرطوبة الحادة العارضة إلى رأسه ، فإن ثقب ^(٨) البيضَ وزقَّ وحضن ، احتجبت إلى تضميره واستأنف ^(٩) سياسته . ولكن إن بدا لك أن تستفرخه ^(١٠) فانقل بيضه إلى غيره ، بعد أن تعلمه بعلامة تعرفه بها إذا انصدع .

-
- (١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .
(٢) ط : « هل هذا اليوم » س : « هل هذا هو اليوم » . ل : « هل هذا هو اليوم » وصحت بما ترى .
(٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أى يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .
(٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .
(٥) الزجال : الزجل . وجاء في ل : « للزجل » .
(٦) ينقصه : يعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقصه » وليست من لغة الجاحظ .
(٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأبني مفاتيح : سمات . وفي ط ، س : « يتقيه » ولست أثبتها .
(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « ثقب » وها بمعنى .
(٩) ل : « استئان » وليس بشيء .
(١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمام أيضاً فَزَعٌ ودُعْرٌ ، عن طلب شيء من الجوارح له ، فإيّاك أن تعيده إلى الزَّجَلِ حتّى ترضمه وتستفرغه^(١) ، فإن ذلك الدُّعْرُ لا يفارقه ولا يسكن حتّى تستأنف به التّوطين .

(طريقة استئثار الحمام)

وإن أردت أن تستكثرَ من الفراخ فاعزّل الذُّكُورَةَ عن الإناث شهراً أو نحوّه ، حتّى يصل بعضها على بعض ، ثم اجمع بينها ، فإنّ بعضها سيكثرُ ويقلّ سَقَطُهُ ومُرُوفُهُ . وكذلك كلُّ أرضٍ أثّرت ، وكذلك الحِيَالُ^(٢) لما كان من الحيوان حائلاً . قال الأعشى :

مِنْ سَرَاةِ الْمِجَانِ صَلَبُهَا أَلْهُ ضُفُوفُ الْحِمَى وَطُولُ الْحِيَالِ^(٣)

- (١) ترضمه ، هكذا وردت في ط ، س . وفي القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . ويطا في ل : « تريجه » . و « تستفرغه » هي في ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .
- (٢) الحِيَالُ : مصدر حالت التناقة تحيّل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحِيَالُ من الحيوان » .

- (٣) يقول : هي من خيار الإبل الأبيض ، قد شدّهما رعى الغنم — بضم العين ، وهو النوى المرشوخ ، أو الفت — وكذلك رعيها في الحمى — وهو مكان في نجد — وغلوا من الحمل زمناً طويلاً . وكلمة « الغنم » هي في الأصل : « العرض » معرفة ، وصوابها في ديوانه ٦ والمملقات بشرح الزوزني ١٨٨ وكذا في اللسان (مادى : ماضى ، حيل) .

وقال الحارث بن عباد وجعل ذلك مثلاً :

قَرَّبًا مَرَّيْتُ النَّعَامَةَ مِنِّي لَقِيتُ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنِ جِيَالٍ^(١)

(حديث أقليمون عن نفع الحمام)

وقال أقليمون^(٢) صاحب الفراسة ، لصاحبه : وأنا محدثك عن نفع الحمام بحديث يزيدك رغبة فيها : وذلك أَنَّ مَلِكَيْنِ طلب أحدهما مُلْكَ صاحبه ، وكان المطلوبُ أَكْثَرَ مَالاً وَأَقْلَرُ رَجَالاً ، وَأَخْصَبَ بِلَاداً ، وَكَانَتْ بينهما مسافةٌ من الأرض بعيدة ، فلما بلغته ذلك دعا خاصته فشاوَرَهُمْ في أمره وشكاً إليهم خوفه على مُلْكِهِ ، فقال له بعضهم : دامت لك أيُّها المَلِكُ السلامة ، ووُقِيتَ المكروه ! إِنَّ الذي تَأَقَّتْ له نفسك قد يُحْتَالُ له باليسير من الطمع ، وليسَ مِنْ شَأْنِ العاقلِ التَّغَرُّرُ ، وليس بعد المناجزة بَقِيَّة ، والمناجزُ لا يدري لمن تكون الغلبة ، والتمسك بالثقة خيرٌ من الإقدام على الغرر .

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكبيرة التي كانت أبداً مشتعلة بين ابني وائل وهما تغلب ويكر . وقد قال الحارث الشعر الآتي لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبي ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابني لأعظم قتيل بركة ، إذ أصليح الله به بين ابني وائل . فقليل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ يشع نعل كليب ! فمذ ذلك أدخل الحارث يده في الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ ليسك والتمهذ (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذي شهد الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قفة) . انظر خبره في العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أقليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دَامَ لك العزُّ ، ومُدَّ لك في البقاء ! ليس في الذَّلِّ ذَرَكٌ ولا في الرُّضا بالضيم بقيَّة ، فالرَّأى اتَّخَذَ الحُصونَ وإذكاءَ العُيونِ ، والاستعدادُ للقتالِ ؛ فَإِنَّ الموتَ في عزٍّ خيرٌ من الحياة في ذلٍّ ^(١) .

وقال بعضهم : وَقَبِتَ وَكُفَيْتَ ، وأُعْطِيَتْ فَضْلَ المَزِيدِ ! الرَّأى طلب المصاهرة له ^(٢) والخِطْبَةُ إليه ؛ فَإِنَّ الصَّهْرَ سَبَبُ أُلْفَةٍ تَقَعُ به الحُرْمَةُ ، وتَثْبِتُ بِهِ المودَّةَ ، وَيَحُلُّ به صَاحِبُهُ المَحَلَّ الأدنى ^(٣) . ومن حُلٍّ من صاحبه هذا المَحَلُّ لم يَحُلْهُ مما عَرَاهُ ^(٤) ، ولم يَمْتَنِعْ من مناوأة من ناوَاهُ ^(٥) . فالتَّمَسَ خِلَاطَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الخِلَاطِ عداوَةٌ ، ولا مَعَ الشَّرْكَه مَبَايَنَةٌ !

فقال لهم ^(٦) الملك : كُلُّ قَدِ أَشَارَ بِرَأْيٍ ، ولكلُّ مَدَّةٍ ، وأنا ناظِرٌ في قولِكُمْ ، وبالله العِصْمَةُ ، وبشكره تَمَّ النِّعْمَةُ . وأظْهَرَ الخِطْبَةَ إلى الملكِ الَّذِي فَوْقَهُ ، وأرْسَلَ رُسُلًا ، وأهدى هدايا ، وأَمَرَهُمْ بِمَصَانِعَ جَمِيعَ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ ، وِدَسُ رِجَالًا مِنْ ثِقَاتِهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِاتِّخَاذِ الحِمَامِ في بلادِهِ وتَوَطُّيْنِهِمْ ، واتَّخَذَ أَيْضًا عِنْدَ نَفْسِهِ مِثْلَهُمْ ، فَرَفَعَهُمْ مِنْ غَايَةِ إلى غَايَةٍ . فَجَعَلَ هَؤُلَاءِ يَرْسُلُونَ مِنْ بِلَادِ صَاحِبِهِمْ ، وَجَعَلَ مَنْ عِنْدَ الْمَلِكِ يَرْسُلُونَ مِنْ بِلَادِ ^(٧)

(١) ل : « فَإِنَّ المَحَامَاةَ عَنِ العَزِّ خَيْرٌ مِنَ الحَيَاةِ فِي ذَلٍّ » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الرَّأى أَنْ تَطْلُبَ مَصَاهِرَهُ » .

(٣) ط ، س : « مَحَلُّ الْأَوْنِيَاءِ » .

(٤) عَرَاهُ : اعْتَرَاهُ . والمراد أَنَّهُ يَنْجِرُهُ بِكُلِّ مَا يَحْرُوه وَيُظْلِمُهُ عَلَى دَخِيلَتِهِ . ط :

« لَمْ يَحُلْ مِمَّا عَرَاهُ » س : « لَمْ يَحُلْ مِمَّا عَدَاهُ » وَأَثْبِتَ مَا فِي ل .

(٥) كذا في ل . وناوَاهُ : تَهْيِيلُ نَاوَاهُ . والمناوأة : المعاداة . ط ، س :

« وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهُ بِشَيْءٍ امْتَنَعَ مِنْهُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « دَلَّ » . وَالْوَجْهُ مَا أَثْبِتَ .

(٧) كذا في ل . وهو مَا تَقْتَضِيهِ الْمُقَابَلَةُ . وفي ط ، س : « عِنْدَ » .

الملك ، وأمرهم^(١) بمكاتبتِهِ بخبرِ كلِّ يوم ، وتعليقِ الكتُبِ في أصولِ
أجنحة الحمام^(٢) . فصار لا يخفى عليه شيء من أمره . وأطمعهُ المَلِكُ في التزويجِ
واستفردَهُ^(٣) وطاوله ، وتابعَ [بينَ] الهدايا ، ودسَ لحرَمِهِ رجالاً يلاحظونهم
حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلما كتبَ أصحابُهُ إليه يخبرهم وصل الخبر
إليه من يومه ، فسار إليه في جندٍ قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْضِ
ليلة ، أخذَ بمجامعِ الطُّرُقِ ، ثمَّ يَبْتَهِمُ^(٤) ووَيْبَ أصحابِهِ من داخلِ المدينةِ
وهو وجنده من خارج^(٥) ، ففَتَحُوا الأبوابَ وقتلوا المَلِكَ . وأصْبَحَ قد غَلَبَ
على تلكَ المدينة ، وعلى تلكَ المملكة ، فَعَظَّمَ شأنَهُ ، وأَعَظَمَتَهُ الملوكُ ،
وَذَكَّرَ فيهم بالخزْمِ والسَّكَيْدِ .

ولمَّا كان سبب ذلك كُلَّهُ الحمام ! .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « في أول أذناب الحمام » ! .

(٣) ل : « استفذه » ط : « استفرده » وصوابه في س . واستفرده : أراد

أرسل إليه رسلاً ، وفي القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » .

وفي اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) يبتهم : أوقع بهم ليلاً .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو

من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له في نفع الحمام)

قال : وأحدثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللذة فيهن ، والصواب في معاملتهن . قال : وذلك أن رجلاً أدانى مرة فشكا إلى حاله في فتاة علقها فترجوها^(١) ، وكانت جارية [غراً] حسناء ، وكانت بكرأ ذات عقلٍ وحياء ، وكانت غيرةً فيما يحسن ٨٩ النساء من استماله أهواء الرجال ، ومن أخذها بنصيبها من لذة النساء فلما دخل بها^(٢) امتنعت عليه ، ودافعته^(٣) عن نفسها ، فزاوها بكل ضرب كان يحسنه من لطف ، وأدخل عليها من نساها ونساها من ظن^(٤) أنها تقبل منهن ، فأعيتهن ، حتى هم^(٥) برفضها مع شدة وجدها ، فأتاني فشكا ذلك إلى مرة ، فأمرته أن يفرزها ويحليها من الناس ، فلا يصل إليها أحد ، وأن يضعف لها الكرامة في اللطف والإقامة لما يصلحها من مطعم ومشرب وملبس وطيب وغير ذلك ، مما تلهو به امرأة^(٦) وتعجب به ، وأن يجعل خادماً أعجميةً لاتفهم عنها ، وهي في ذلك عاقلة ، ولا تفهمها إلا

(١) ل : « فزوجوه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودافعت » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كلا في ل . أي عزم على ذلك . وفي ط ، س : « اهتم » ، أي أحزنه

رفضها إياه .

(٦) كلا في س ، وفيه جزالة . وفي ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإغماء^(١) ؛ حتى^(٢) نستوحشَ إليها وإلى كل من يصل^(٣) إليها من النساء
[و^(٤)] حتى تشتهي أن تجدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحشة
الوحدة ، وأنَّ يدخلَ عليها أزواجاً من الحمام ، ذوات^(٥) صورةٍ حسنة ،
وتجملُ وهدير^(٦) فيصبرهنَّ في بيتٍ نظيف ، ويجعلُ لهنَّ في البيتِ تمازجاً^(٧)
وبين يدي البيتِ حجرةً نظيفة ، ويفتحُ لها من بيتها باباً فيصرنَّ نُسبَ
عينها فتلهنَّ بهن وتنتظرُ إليهنَّ ، ويجعلُ دخوله^(٨) عليها في اليومِ دفعةً
لايزيدها^(٩) فيه على النَّظَرِ إلى تلك^(١٠) الحمام ، والتسلُّ بهنَّ ، والاستدعاء
لهنَّ إلى المديرِ ساعةً ، ثم يخرج^(١١) ، فإنَّها لا تلبثُ أن تتفكرَ في صنيعهنَّ
إذا رأتُ حالهنَّ ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لا تلبثُ حتى تحرَّكها ، ويكونُ أوفقُ
المقاعد لها الدنوّ منهنَّ^(١٢) ، وأغلبُ الملامى عليها النَّظَرُ إليهنَّ ؛ لأنَّ الحواسَّ
لا تؤدِّي إلى النَّفسِ شيئاً من قِبَلِ السَّمْعِ ، والبَصَرِ ، والذوقِ ، والشمِّ

(١) ط ، س : « بالإشارة » وما معنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقول » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التجميل هنا من الخلاء . وفي ط ، س : « تجمل » ، وهي هنا بمعنى الخلق
في الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويجعل لهن » ، وصوابه في ل . والتمازج : جمع تمازج بالكسر
وهو بيت صغير في بيت الحمام لميضمه .

(٨) ط ، س : « وتجعل دخولك » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .

(١٠) كذا في ل . وفي ط ، س : « ذلك » وما مصيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « يخرج » .

(١٢) س : « لهن » .

والجبهة^(١) إلا تحرك من العقل في قبول ذلك أو رده ، والاحتيا ل في إصابته أو دفعه ، والكراهية^(٢) له أو السرور به بقدر ماحرك النفس منه . فلذا رأيت الغالب عليها الدنو منهن ، والتأمل لهن ، فأدخل عليها امرأة مجربة غزلة تأنس بها ، وتفظنها^(٣) لهنيعهن ، وتعجبها منهن ، وتستميل فيكرتها إلهن ، وتصف لها موقع اللذة على قدر ما ترى من تحريك الشهوة . ثم أخرج المرأة عنها ، وحاول الدنو منها ، فإن رأيت كراهية^(٤) أمسكت وأعدت المرأة إليها ، فلما لاتلبث أن تمسكنك . فإن فعلت ماتجب وأمكنك بعض الإمكان ، ولم تبلغ ما تريد فأخبرني بذلك .

قال : وقلت له : مر المرأة فلتسألها عن حالها في نفسها ، وحالِك . عندها ، ففعل فيها طبيعة من الحياء تمنعها^(٥) من الانبساط ، ولعلها [غر] لا يلتبس ما قبلها من الخرق^(٦) . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق] ، فأشارت^(٧) عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠ بما ترين من هذا الحياء ، فقد ترين الزوجين كيف يصنعان ! قالت : قد

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو حجة » .

(٢) ط : س : « الكراهة » ، وما جرى .

(٣) تفظنها : تجعلها تعطن . ط : س : « توقظها » .

(٤) ط : س : « كراهة » .

(٥) ط : س : « منعها » .

(٦) ط : « لا يلتبس ما قبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق »

ل : « لا يلتبس ما قبلها بالخرق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط : س : « وأشارت » .

تَأْمَلْتُ ذَٰكَ فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَحْسِنُهُ ! قَالَتْ خَا : لَا تَعْنِي يَدُهُ
وَلَا تَعْمَلِي عَلَى نَفْسِكَ الْهَيْبَةَ ^(١) ، وَإِنْ وَجَدْتِ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا تَدْعُوكِ إِلَيْهِ
لَذَّةً فَاصْنَعِيهِ ، فَإِنَّ ذَٰكَ يَأْخُذُ بِقَلْبِهِ ، وَيَزِيدُ فِي عَجَبَتِكَ ، وَيَحْرُكُ ذَٰكَ مِنْهُ
أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاكَ . فَلَمْ يَلَيْتُ أَنْ نَالَ حَاجَتَهُ وَذَهَبَتِ الْحَشْمَةُ ، وَسَقَطَتِ الْمُدَارَاةُ ^(٢)
فَكَانَ سَبَبُ الصَّنْعِ لَهَا ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَى الْأَنْسِ ^(٣) ، وَمِنْ الْحَالِ
الذَّاعِيَةِ إِلَى مَفَارِقَتِهَا إِلَى الْحَالِ الذَّاعِيَةِ إِلَى مَلَاذِمَتِهَا ، وَالضَّنُّ بِهَا ^(٤) - الْحَامُ ^(٥) .

(الخوف على النساء من الحمام)

وَمَا أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ ، مِنْ لَيْسَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِدْخَالِ الْحَامِ إِلَى نِسَائِهِ
إِلَّا هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي حَثَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفِرَاسَةِ ، وَذَٰلِكَ أَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا
قَدْ تَذَكَّرَ وَتَشَبَّهَ وَتَمَحَّنَ ^(٦) . وَأَكْثَرُ النِّسَاءِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : إِمَّا
امْرَأَةً قَدْ مَاتَ زَوْجُهَا ، فَتَحْرِيكُ طِبَاعِهَا خِطَارُ ^(٧) بِأَمَانَتِهَا وَعَمَافِهَا . وَالْمُغْيِبَةُ ^(٨)

(١) ل : « ل » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهي بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة في ط ، س : « ومن حال الفرة إلى حال الاتفاق » .

(٥) يمد هذا اللفظ في س كلمة « باب » ، وأرادها مقعبة .

(٦) س : « وتشبه » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحَّن : تصيب بالهتة ، أي البلية . ل : « تمحَّن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر غاطر : إذا ركب الخطر . ط : « غطر » ل ، س :

« إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميماء ، وكسر الفين في الأوليين وإسكانها في الثالثة : غاب عنها زوجها .

في مثل هذا المعنى . والثالثة : امرأة قد طال لُبُّها مع زوجها ، فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت^(١) ذلك تحرك منها كل ساكن وذكرَت ما كانت عنه بمندوحة .

والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب^(٢) ، مالم تهيجس في صدرها الخواطر ، ولم تتوهم حالات اللذة وتحرك^(٣) الشهوة . فأما إذا وقع ذلك فعزُّها أضغفُ العزم ، وعزُّها على ركوب الهوى^(٤) أقوى العزم .
فأما الأبيكارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يؤخذن بالقراءة في المصحف^(٥) ، ويُحتالَ لهن حتى^(٦) يصرنَّ إلى حال التشيع^(٧) والجبن والسكرانة^(٨) ، وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل قليلاً ولا كثيراً - أحوج .

(١) ل : « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الحام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتحير » ، وليس بشيء .

(٤) ط : « ركوبها هوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب في ط ، س . وفي ل : « إلا أن » .

(٧) التشيع : مصدر شيع : صار شيخا . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيعونة وما لها من ركافة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) السكرانة : البهل . ط ، س : « الفرارة » ، وهي بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لمجوز سنديّة)

ولقد ركبت عجوزٌ سنديّةٌ ظهرَ بغيرٍ ، فلما أُقْبِلَ بها [هذا] البعيرُ
وأدبر وطمر^(١) ، فحَضَّها مرّةً غَضَّ السقاء^(٢) ، وجعلها مرّةً كأنّها ترَهْزُ^(٣)
فقالَت بلسانها - وهى سنديّةٌ أعجميّةٌ - أخزى الله هذا الدّمل^(٤) ؛ فإنّه
يذكرُ بالسّرّ^(٥) ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنّه يذكرُ بالشر . حدثنا
بهذه النادرة^(٦) محمد بن عباد بن كاسب .

(نادرة لمجوز من الأعراب)

وحدثنا ربّيعي الأنصاريُّ : أنّ عجوزاً من الأعرابِ جَلَسَتْ في طريق
مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيلاً [لهم] ، فسقَوْها قَدْحاً فطابت نفسها ،

(١) طمر : وثب .

(٢) الغض : التحريك الشديد . كلمة « مرّة » ساقطة من ل . وكلمة : « غَضَّ » جاءت
في ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) في الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ في البيان
(١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س ، هـ : بالشر « بالشين » ، وصوابه بالمهملة كما في ل والبيان . جاء
في البيان : « فجعلت الشين حينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه السكنة
في البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثم سقوها قلحاً آخرَ فاحمرَّ وجهها وضجحت ، فسقوها قلحاً ثالثاً فقالت : خبروني عن نسايتكم بالعراق ، أيسرنَّ من هذا الشراب ؟ فقالوا : نعم . فقالت : زَيْنَ وَرَبُّ الكعبة !

(عقاب خصي)

وزعم إبراهيم الأنصاري^(١) المعتزلي أن عباس بن يزيد بن جرير دخل مقصورة لبعض جواريه ، فأبصر حماماً قد قَطَّ حمامة ، ثم كسَحَ بِذنبه ونفَسَ ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانِ خادمِك - يعنون^(٢) خصيًّا له - فقدَّمه فضرَبَ عنقه .

١١

(قول الحطيئة في الغناء)

و [قد] قال الحطيئة لفتيانٍ من بني قُرَيع^(٣) - و [قد] كانوا رُجماً جلسوا بقُربِ خَيمته ، فتغنى^(٤) بعضهم غناء الرُّكبان - فقال : يا بني قُرَيع ! إِيَّايَ والغِناء ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الزَّنى^(٥) !

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قُرَيع كانوا من مشهم الحطيئة ، فرغ شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة فيفسبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان خيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العمدة (١ : ٢٥ - ٢٦) . ط : « قُرَيع » ،

تعريف ما في ل ، س .

(٣) ط ، س : « فيني » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأما أبو أحمد التمار المتكلم ، فإنه شاهدَ صاحبَ حمامٍ في يومٍ مجيَّءٍ حمامه من واسط ، وكانت واسطُ يومئذٍ الغاية ، فرآه كلما أقبلَ طائرٌ من حمامه نمر^(١) ورقص ، فقال له : والله إنى لأرى^(٢) منك عجباً ؛ أراك تفرحُ بأن جاءك^(٣) حمامٌ من واسط ، وهو ذلك الذي كان ، وهو الذي جاء ، وهو الذي اهتدى ؛ وأنتَ لم تجيْ ولم تهتدِ ؛ وحين جاء من واسط ، لم يجيْ معه بشيء من خبر أبي حمزة ، ولا بشيء من مقاريف^(٤) واسط ، وبزيون^(٥) واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خطيبي^(٦) ، ولا بشيء من جوز

(١) نمر نمرأ وتمارا : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « يأنجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أرَ واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقاريف : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « الزيون كجرحل ومصفور : السندس » . والسندس : ضرب من رقيق الليناج . وهو مركب من « يز » و « يون » أي يشبه « البز » . و « يون »

لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س :

« بزبوه » وهي حل الصواب الذي أثبت في ل .

(٦) الخطمي يسكر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته « كثيرة المنافع » . المصنف ٩١ . واسمه العلمي Malvarotundifolia . ويعرف أيضاً بالهنازي البرية . وكتب الفقه الإسلامي تردد ذكر هذا النبت في باب الجنائز ؛

إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين

٤٩ - ٥٠ . ل « خطي » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيء من زبيب^(١) . وقد مرَّ بكسكر^(٢) ، فأين كان عن جداء كسكر ،
ودجاج كسكر^(٣) ، وسلك كسكر ، وصحاة^(٤) كسكر ، ورُبَيْثاء^(٥) كسكر
[وشعير كسكر؟] وذهب صحيحاً نشيطاً ، ورجع مريضاً كسلان ، وقد غرمت
ما غرمت^(٦) ! ! فقل لي : ما وجه فرحك ؟ فقال : فرحي أني أرجو أن أبيع
بخمسين ديناراً . قال : ومن يشتري منك بخمسين ديناراً ؟ قال : فلان ، وفلان .
فقام ومضى إلى فلان^(٧) فقال : زعم فلان أنك تشتري منه^(٨) حماماً جاء
من واسط بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لي^(٩) لم تشتريه

(١) ل : « وشيء من جوز ، وشيء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢٤٨ : ٢) . وقد أبدت عجبى هناك من تقدير
تمه ، لكن وجدت ياقوتاً يؤيد ما ذكره في كسكر بما ذكره في (واسط)
أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعني واسطاً — كوز زبد بدرهسين
والتقى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجاً بدرهم » . ط ، س :
« عن دجاجها » .

(٣) الصمنا والصحاة ، وبعدان ويكران : إدام يتخذ من السك الصغار والملح .
القاموس والمختار ١٩٧ . قال داود : « لا تعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل
بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحناها » تحريف وأثبت ما في ل .
وفي س : « وصحاة كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) في مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الرُبَيْثاء ، والصحاة ، والصير : السميكات تعمل
من السك الصغار والملح » . وبذل هذه الكلمة في ط ، س : « صتر »
وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ما عرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هلم الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفي ط : « فقال له » .

بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : فَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : لِأَنِّي أُبِيعُ الْفَرَخَ مِنْهُ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدِينَارَيْنِ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِي مِنْكَ ؟ قَالَ : مِثْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ . فَأَخَذَ نَعْلَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّكَ تَشْتَرِي مِنْهُ فَرَخًا مِنْ طَائِفٍ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدِينَارَيْنِ . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَقُلْ لِي : لِمَ تَشْتَرِي فَرَخَةَ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَبَاهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ يَبْعِيَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ ؟ قَالَ : [يَكُونُ أَنْ] أُبِيعَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : فُلَانٌ . فَتَرَكَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّ فَرَاخًا مِنْ فَرَاخِهِ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ اشْتَرِيَتْهُ أَنْتَ مِنْهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ^(١) . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ [قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ لِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟] قَالَ : فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِ الْأَوَّلِ ^(٢) . فَقَالَ : لَارْزُقَ اللَّهُ مَنْ يَشْتَرِي حَمَامًا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَلَا رِزْقَ اللَّهِ [إِلَّا] مَنْ لَا يَشْتَرِيهِ بِقَلِيلٍ وَلَا بِكَثِيرٍ ^(٣) .

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنتَ منه بخمسين دينارًا » .

(٢) ل : « مثل قوله الأول » ، وصوابه في ط ، ص .

(٣) كلمة « دينارًا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هي في ط : « يشريه » ، وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادر لأبي أحمد التمار)

وأبو أحمد هذا هو الذى قال - وهو يعظ بعض المسرفين - لو أن رجلاً ٩٢
كانت عنده ألف ألف دينار ثم أنفقها كلها لذهب [كلها] . وإنما سمع
قول القائل : لو أن رجلاً عنده ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يصع عليها
لكان خليقاً أن يأتى عليها ^(١) .

وهو القائل فى قصصه : ولقد عظم [رسول الله صلى] الله [عليه وسلم]
حق الجار ، وقال فيه قولاً أستحى والله من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم ^(٢) : بلغنى أن فى بستانك أشياء تهتق ، فأحب
أن تهتق لى منه أمراً من أمر الله عظيم ^(٣) .
وكان زجاجاً ^(٤) قبل أن يكون تماراً .

وزعم سليمان الزجاج ^(٥) وأخوه ثابت ، أنه قبل أن يكون تماراً ^(٦) قال يوماً -
وذكر الحمام ، حين زهد فى بيع الحمام ؛ وذكر بعض الملوك - فقال :
أما فلان فإنه لما بلغنى أنه يلعب بالحمام سقط من عيني !

(١) ط ، س : « مل أكثرها » .

(٢) ن : « لتهتق » .

(٣) ن : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهتنا فهتق لى منه أمراً من أمر الله عظيماً » .

(٤) الزجاج هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ن :

« جدالاً » تحريف .

(٥) ن : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوقف ؛ لما سياتى
من الكلام .

(٦) التمار : يائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ن

والله سبحانه وتعالى أعلم^(١) .

[تمَّ القولُ في الحمام ، والحمدُ لله وحده] .

باب

القول في أجناس الدُّبَّانِ^(٢)

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، وصلى الله
على سيِّدنا محمدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم ، وعلى أربابِ عِثْرَتِهِ^(٣)
الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ^(٤) .

أوصيك أيُّها القارئُ المتفهمُ ، وأيتها المستمعُ المنصتُ المصغيُّ^(٥) ، ألاَّ تَحْمِرَ
شيئاً أبداً لصغر جثته ، ولا تستصغر قدره لقلَّة ثمن .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العِثْرَةُ ، بالكسر : نسل الرجل ، ورعته ، وعشيرته الأذنون من مضي وغير .
ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبه .

(٥) للصيغ : المستمع . وبهذا في ط ، س : « المصنف » . وكيف يكون
المستمع مصنفاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثم اعلم أن الجبل ليس بأدل على الله من الحصاة ، ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا بأدل على الله من بدن الإنسان . وأن صغير ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله . ولم تفرق الأمور في حقائقها ، وإنما افرق المفكرين في ، ومن أهل النظر ، وأغفل مواضع الفرق ، وفصول الحدود .

فإن قيل ترك النظر ، ومن قيل قطع النظر ، ومن قيل النظر من غير وجه النظر ، ومن قيل الإخلال ببعض المقدمات ، ومن قيل ابتداء النظر من جهة النظر ، واستتمام النظر مع انتظام المقدمات - اختلفوا .

فهذه الخصال هي جماع هذا الباب ، إلا ما لم نذكره من باب العجز والنقص ، فإن الذي امتنع من المعرفة من قيل النقصان الذي في الخلق^(١) ياب على حجة .

وإنما ذكرنا باب الخطأ والصواب ، والتقصير والتكامل . فلذلك أن ترى الظن بشئ من الحيوان لا اضطراب الخلق ، ولتفاوت التركيب ، ولأنه مشنوء في العين ، أو لأنه قليل النفع والرد ، فإن الذي تظن^(٢) أنه أقلها نفعاً لعله أن يكون أكثرها رداً . فلا يكن^(٣) ذلك من جهة عاجل أمر الدنيا ،

(١) ط ، س : « الذي ياب في الخلق » . وكلمة « ياب » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لا يكون » س : « ألا يكون » وتصحيحه وفق ما في ل .

٩٣ كان ذلك في أجل أمر^(١) الدين . [وثواب الدين] وعقابه باقيان ، ومنافع الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدمت الآخرة على الأولى .

فلذا رأيت شيئاً من الحيوان بعيداً من المعاونة ، وجاهلاً بسبب^(٢) المسكائفة^(٣) ، أو كان مما يشتد ضرره ، وتشد الحراسة منه ، كذوات الأنبياء من الحيات والذئاب^(٤) وذوات الخالبر من الأسماك والثمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدببر ، فاعلم أنّ مواقع^(٥) منافعها من جهة الامتحان ، والبلوى . ومن جهة ما أعد الله عز وجل للصابرين ، ولمن فهم عنه . و [لمن]^(٦) علم أنّ الاختيار والاختيار [لا]^(٧) يكونان والدنيا كلها شرٌّ صرفٌ أو خيرٌ مخض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلا بالمزاوجة بين المكروه والمحبوب ، والمؤلم والمليّد ، والمحقّر والمعظم ، والمأمون والمخوف . فلذا كان الحظّ الأوفر في الاختيار والاختيار^(٨) ، وبهما يتوسل إلى ولاية الله عز وجل ، وآيد^(٩) كرامته ، وكان ذلك إمعاناً^(١٠) يكون في الدار المزروعة من

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما في ل .

(٣) المسكائفة ، بالتون : المعاونة . كائنه : عاونه . ل : « المسكائفة » بالتاء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه في ل ، س .

(٥) ليست في ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاختيار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآيد : الدائم . ويطلق في ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف بنفسه للمعنى .

الخبر والشر ، والمشاركة والمركبة بالنفع^(١) والضر ، المشوبة باليسر والعسر -
فليعلم موضع النفع في خلق العقرب ، ومكان الصنع في خلق الحية ، فلا
يحقن الجرجس^(٢) والقراش^(٣) والنذر^(٤) والذبان^(٥) ولتصف حتى تنسك في الباب
الذي رميت إليك بمجملته ، فإنك ستكثر حمد الله عز وجل ، على
خلق الهمج والحشرات ، وذوات السموم والأنياب ، كما حمده على خلق
الأغذية من الماء والنسيم .

فإن أردت الزراية والتحقيق ، والعداوة والتصغير ، فاصرف ذلك كله
إلى الجن والإنس ، واحقر منهم كل من عمل عملاً من جهة الاختيار^(٦)
يستوجب به الاحتقار ، ويستحق به غاية المقت من وجه ، والتصغير
من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة^(٧) ، واستثقلت من جهة الفطرة
ضربين من الحيوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضرباً يقتلك بشدة أسره^(٨) لم
تلم . إلا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لأذاك^(٩) ، وإنما خلقهما لتصير
على أذاهما ، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها [إلا] بالصبر^(١٠) .

(١) ل : « ومكان النفع في صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البومض الصغار . ويقال أيضاً : القرص ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وهذه جاءت
في ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختيار » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ل : « فإن أنت يلية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أسره » تحريف .

(٧) ط : « لذلك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التي تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارة واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلا على حالٍ^(١) مكروه . فسواء عليك [أ] كان المكروه سبعا وثأبا ، أو كان مَرَضًا قاتلا . وعلى أنك لاتدرى ، لعلَّ النزعَ ، والعَلَزَ والحشرجة^(٢) ، أن يكون أشدَّ من لدغ^(٣) حية ، وضغمة سبع^(٤) . فلا تسكن له حرقة كحرق النار^(٥) والمُ كالم الذهب^(٦) ، فلعلَّ هناك من الكرب ما يكون موقعه من النفس فوق ذلك .

وقد علمنا أنَّ الناس يُسمَّون^(٧) الانتظار لوقع السيف على [صليب^(٨)] العنق جهذ البلاء ، وليس ذلك الجهد من شكل لدغ النار ، ولا من شكل ألم الضرب بالعصا . فافهم فهَمَكَ الله مواقع النفع كما يعرفها أهل الحكمة ، وأصحاب الأخساس الصحيحة .

ولا تذهب في الأمورِ مذهبَ العامة ، وقد جعلَكَ الله تعالى من الخاصة ، فإنَّكَ مسئولٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنَّها لم تجعل لغيرها^(٩) ، ولم تترك

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعَلَز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الفرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لدغ » وصوابه في ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضغما لذلك .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « فلا يكون حرقة كحرق السبع » وفي س : « فلا يكون لك حرقة كحرق السبع » ، محرفتان .

(٦) الذهب ، بالتحريك : خشيتان يفتن بهما الساق ، فارسيته : أشكته .

(٧) ل : « لايسمون » ، وكلمة « لا » تنسب للمنى .

(٨) الصليب ، كالمبر : عرض العنق .

(٩) ل : « لنفوا » .

هَمَلًا . واصرف بُغْضَكَ إِلَى مُرِيدِ ظَلَمِكَ ^(١) ، لَا يَر_اقِبُ فِيكَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ،
وَلَا مَوَدَّةً ، وَلَا كِتَابًا وَلَا سُنَّةً . وَكَلِمَا زَادَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نِعْمَةً أَزَادَ ^(٢)
عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلَكَ بُغْضًا . وَفِرَّ كُلُّ الْفِرَارِ وَاهْرُبْ كُلَّ الْهَرَبِ ، وَاحْتَرَسْ
كُلَّ الْإِحْتِرَاسِ ، مَنْ لَا يَر_اقِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ ،
إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ مَعَ ظُهُورِ آيَاتِهِ وَدَلَالَتِهِ ، وَسُبُوحِ آلَاتِهِ ، وَتَتَابُعِ
نِعَمَاتِهِ ، وَمَعَ بَرَهَانَتِ رُسُلِهِ ، وَبَيَانِ كِتَابِهِ ؛ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ بِهِ عَارِفًا وَبِدِينِهِ ^(٣)
مَوْقِنًا ، وَعَلَيْهِ مَجْتَرَأًا ، وَبِحُرْمَاتِهِ مُسْتَخَفًّا . فَإِنْ كَانَ بِحَقِّهِ جَاهِلًا فَهُوَ بِحَقِّكَ
أَجْهَلُ ، وَلَهُ أَنْ تَكْفُرَ . وَإِنْ كَانَ بِهِ عَارِفًا وَعَلَيْهِ مَجْتَرَأًا فَهُوَ عَلَيْكَ أَجْرًا ، وَلِحَقُوقِكَ
أَصْنِيعَ ^(٤) وَلَا يَأْدِيكَ أَكْفَرُ .

فَأَمَّا خَلْقُ الْبَعُوضَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْفَرَاشَةِ وَالذَّبَّانِ ^(٥) وَالْجِجَلِ ،
وَالْيَعَاسِيْبِ وَالْجِرَادِ — فَإِيَّاكَ أَنْ تَهَـؤُنَ بِشَأْنِ هَذَا الْجُنْدِ ، وَتَسْتَخَفَّ ^(٦) بِالْآلَةِ
الَّتِي فِي هَذَا الذَّرِّءِ ^(٧) ، قَرَبَتْ أُمَّةٌ قَدْ أَجْلَاهَا عَنْ بِلَادِهَا ^(٨) النَّمْلُ ، وَنَقَلَهَا

(١) س : مَنْ يَرِيدُ ظَلَمًا .

(٢) ط فقط : أَزَادَ دَوًّا .

(٣) س : وَهَيْئَتِهِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) ط ، س : وَلِحَقُّكَ . و « أَصْنِيعُ » تَفْصِيلٌ مِنْ أَسْمَاعٍ . وَفِي التَّفْصِيلِ
مِنْ أَفْعَلٍ مَذَاهِبُ ثَلَاثَةٌ : الْمَنْعُ مُطْلَقًا ، وَالْجَوَازُ مُطْلَقًا ، وَالْمَنْعُ إِنْ كَانَتْ الْهَمِزَةُ
لِغَيْرِ التَّنْقِيلِ .

(٥) الذَّبَّانُ : جَمْعُ ذَبَابٍ . ط ، س : « وَالدَّبَابُ » .

(٦) ط : « تَسْتَخَفُّ » تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٧) الذَّرُّءُ : الْخَلْقُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الذَّرُّ » .

(٨) ل : « مَسَاكِنُهَا » .

عن مساقطِ رموسها الذُّرُ ، وأهلِكَت بالفار^(١) ، وجُرِدَت بالجرادِ ، وعُدَّتْ بالبعوض ، وأفسَدَ عيشها اللَّذْبَانُ ، فهي جُنْدٌ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْلِكَ بِهَا قَوْمًا بَعْدَ طُعْيَانِهِمْ وَيَجْبِرَهُمْ وَعُتُوَّهُمْ ، لِيَعْرِفُوا أَوْ لِيَعْرِفَ بِهِمْ أَنَّ كَثِيرَ أَمْرِهِمْ ، لَا يَقُومُ بِالْقَلِيلِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وفيها بَعْدُ مُعْتَبَرٌ لِمَنْ اِعْتَبَرَ ، وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ فَكَّرَ ، وَصَلَاحٌ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ^(٢) ، وَبَلَوَى وَخَنَةَ ، وَعَذَابٌ وَنِقْمَةٌ ، وَحُجَّةٌ صَادِقَةٌ ، وَآيَةٌ وَاضِحَةٌ^(٣) ، وَسَبَبٌ إِلَى الصَّبْرِ وَالْفِكْرَةِ . وَهِيَ جِمَاعُ الْخَبِيرِ فِي بَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِسْتِبَانَةِ^(٤) ، وَفِي بَابِ الْأَجْرِ وَعِظَمِ الْمُثُوبَةِ^(٥) . وَسَنَدُ كَرِّ جَمَلَةٍ مِنْ خَالِ اللَّذْبَانِ ، ثُمَّ نَقُولُ فِي جُمْلَةٍ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ شَأْنِ الْغُرَبَانِ وَالْجَمْعَانِ .

(أُمثال في الفرائض والذباب)

ويقال^(٦) في موضع الدَّمِّ والهَجَاءِ : « مَا هُمْ إِلَّا فَرَّاشُ نَارٍ وَذِبَّانُ طَمَعٍ » . وَيَقَالُ : « أَطْيَشُ مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَزْهَى مِنْ ذِبَّانٍ » .

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فارة ، قال الملاحظ : « ولا يشك الناس في أن أرض مِأً وَجْتَهَا إِنَّمَا خَرِبَتْ حِينَ دَخَلَهَا سِيلُ الْعَرَمِ » ، وَأَنَّ إِلَى فُجَيْرِ الْمِيَاءِ فَارَةً . ثَمَارُ الْقُلُوبِ ٣٢٨ ط ، ص : « بالقراد » وليس بشيء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من ميلاً : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ بَنِي ذُؤَيْبَةَ رَفَعَتْ سَلَمَى فَرَأَشُ حَوْلِ نَارٍ يَصْطَلِبُهَا
يُطِيفُنَ بِحَرِّهَا وَيَقَعْنَ فِيهَا وَلَا يَذَرِينَ مَاذَا يَتَّقِينَا

والعرب تجعل الفرّاش والنّحل والزّنبير والدّبّر كلّها من الذّبان .

وأما قولهم ^(١) : « أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ » فَلَأَنَّ الذّبَابَ يَسْقُطُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ ^(٢)

الجبّار ، وعلى مَوْقٍ عَيْنِهِ ^(٣) لِيَأْكُلَهُ ، ثُمَّ يَطْرُدُهُ فَلَا يَنْطَرِدُ ^(٤) . ٩٥

(معانٍ وأمثلة في الأنف)

والأنف هو النّخوة وموضع التّجبر .

وكان من شأن البطارقة ^(٥) وقواد الملوك إذا أنفوا [من شيء] أن يَنْخِرُوا

كما يَنْخِرُ الثَّوْرُ عِنْدَ الذَّبْحِ ، وَالْبِرْدُونَ عِنْدَ النَّشَاطِ .

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « للملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق الممين : طرفها بمايل الأنف . ولعيتين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك

جائز في العربية . ومنه قوله تعالى : « يَدْعُو لَهَا صَوْتُهَا » بالإفراد ، في قراءة

الحسن . انظر مع الموامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثُمَّ يَطْرُدُهُ فَلَا يَنْطَرِدُ » . وفي ط ، س

« فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وهو معرب من الروم : Patricins .

والأنف هو موضع الخنزروانة والشُّعْرَة^(١) . وإذا تكبَّرت الناقةُ بعد أن تَلْقَحَ فُلُها^(٢) نَزَمَ بأنفها .

والأصيد : الملك الذي نراه أبداً من كِبَرِه ماثلاً للوجه . وشُبَّه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأنَّ عَتَقَ الأسدِ من عظمٍ واحد ، فهو لا يلتفتُ إلَّا بكُلِّه ، فلذلك يقال لِلْمُتَكَبِّرِ : « إِنَّمَا أَنْفُهُ فِي أَسْلُوبٍ » ، ويقال : أَرغَمَ اللهُ أَنْفَهُ وَأَذَلَّ مَعِطِسَهُ ! و [يقال] : ستفعل ذلك وَأَنْفُكَ راغِم ! والرَّغَام : الرَّاب . ولولا كذا وكذا^(٣) لَهَشَّتْ أَنْفُكَ . فلَمَّا يَخْضِبُونَ بِذَلِكَ الأنف ؛ لأنَّ الكبر إليه يضاف^(٤) ؛ قال الشاعر^(٥) :

يَا رَبِّ مَنْ يَتَغَيَّرُ أَذْوَادَنَا رُحْنٌ عَلَى بَغْضَائِهِ وَاغْتَدَيْنَ^(٦)
لَوْ نَبَتَ اللَّبْلُ عَلَى أَنْفِهِ لَرُحْنٌ مِنْهُ أَصْلًا قَدْ أَبِينِ^(٧)

(١) الخنزروانة ، بانها والزأى مفسومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله النمرة ، كهمة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فُلُها » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه في ل ، س . وفي ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قنينة ، كما في أمالي ابن الشجري (٤ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه » أنهن يرعسين ويرتوين ، ولا يستطيع النعم منهن لقدره صاحبن وعزته . وكلمة « بغضائه » هي في ط : « بغضائه » وفي س : « بغضائه » . وصوابها من ل وأمالي ابن الشجري ، والمحاضرات أتراف (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، يسمتين : الأصل ، وهو العشي أي آخر النهار . ويضاهيه قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشيء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارجين فأشبهن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه في ل . والرواية في المحاضرات : « رعين » . وجاء في ط ، س : « رعن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بغير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو^(١) الذَّبَّانَ إلى السَّقُوطِ عليه . وهم يعرفون الغُدَّةَ^(٢) إذا فُشَّتْ أو أَصَابَتْ بغيراً بسُقُوطِ الذَّبَّانِ عليه .

(احتيال الجالين على السلطان)

وبسقوط^(٣) الذَّبَّانِ على البعير يحْتَالُ الْجَمَّالُ لِلْسلطانِ ، إذا كان قد تَسَخَّرَ لِإِلَهٍ^(٤) وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة^(٥) ، فإنه يعمد إلى الْخَصْخَاسِ^(٦) فيصبُّ فيه شيئاً من دِيسٍ^(٧) ثم يَطْلِي به ذلك البعير ، فإذا^(٨) وجد الذَّبَّانَ رِيحَ الدِّيسِ تَسَاقَطْنَ عليه ، فيدعى عند ذلك أَنَّ به غُدَّةً^(٩) ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السلطانِ^(١٠) ما يوجد عليه من الذَّبَّانِ ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم^(١١) بالحيل من أيدى

(١) ل : « داه يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « المرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملاً بلا أجره . ط ، س : « يسخر لإله » وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخصخاس : نطف أسود رقيق تهتأ به الإبل الجرب .

(٧) الديس ، بالكسر ويكسرتين : حسل القتر ، وحسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « عرة » . وانظر التنبية الثانى من هذه الصفحة وفى ل : « فدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يتخلصون » وهذا بمعنى . ل ، س :

السُّلطان ، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلَّا أنه متى شاء أن يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدهم فَعَلَّ . والغَدَّةُ ^(١) عندهم تُعَدُّ ، وطِباعُ الإبلِ أَقبلُ شَيْءٍ للأَدواءِ التي تُعَدُّ ، فيقولُ الجَمالُ عندَ ذلكَ للسُّلطانِ : لو لم أخفُ على [الإبلِ] إلَّا [بعيرى هذا المَغْدَنُ أن يُعَدِّىَ لم أبال ^(٢)] ، ولكنى أخافُ إعداءَ الغَدَّةِ ومضرَّتها في سائرِ مالى ! فلا يزالُ يستعطفُه بذلك ، ويحتالُ له به ^(٣) حتَّى يَخْلَى سبيلَه .

(قور الذَّبَّانِ من بعض الأشياءِ)

ويقالُ إنَّ الذَّبَّانَ لا يَقْرُبُ قَدْرًا فيه كَمَاةٌ ، كما لا يَدْخُلُ ساءُ أْبَرَص ^(١) بيتاً فيه زعفران .

(الخوفُ على المَكْلُوبِ من الذَّبَّانِ)

ومن أصابه عُضُّ الكَلْبِ الكَلْبِ حَمَوْا وجهَه من سقوطِ الذَّبَّانِ عليه . قالوا : وهو أَشدُّ عليه من ديبِ الثَّبَرِ ^(٢) على البعير .

« من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والمرة » . وانظر التنبيه الثاني من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أود البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر »

ولم أجِد طاً وجهاً تصح به وكلمة « يعلى » هى ق س : « يمر » وليست

مرادة . ل : « لم أبال » وهما مصيبتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لا تدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الدبيب : الملقب الخفيف . ل : « سقوط » . والتبر ، بالكسر ، سيفره

الملاحظ به هذا .

(النسر)

والنسر دويبةٌ إذا دبَّت على البعير ، تورم ، وربما كان ذلك سببَ هلاكه .

قال الشاعر وهو يصف ^(١) بمن إبله ، وعظم أبدانها :

حر تحققت النجبل كأنما بجلودهن مدارج الأنبار ^(٢)

(مميزات خلقية لبعض الحيوان)

وليس في الأرض ذبابٌ إلّا وهو أقرح ^(٣) ، ولا في الأرض بعيرٌ إلّا ^(٤) وهو أعلم ، كما أنه ليس في الأرض ثورٌ إلّا وهو أفتس .

وفي أن كل بعير أعلم يقول عنتره :

وحليل غانية تركت مجدلاً تمكو فريسته كشدق الأعم ^(٥)

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حر » في اللسان : « جردا » . وتحققت النجبل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحققت الخيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجبل : خير الحمض كله وألبه . عل السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارج : مواضع دروجه ، أي مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب في وجهه قرحة . انظر أمثال الميداني (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أفتح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التي تميز السباق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك المقادير ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب في ل ، بجهدا : ملقيا على الجذالة وهي الأرض . تمكو فريسته : تصفر . والفريسة : لحة في وسط الجنب عند منقش القلب ، وهي ترتد عند الفزع . قال التبريزي : « كأن هذه الطعنة في سنها شق الأعم » . وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتي بعد سطر . وأنا أقول : إنه في هذا البيت ما شبهها بشق الأعم في السمة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكي الصوت الصادر من شق البحر . وهذا لا يمنع أن بعض الشعراء أراد في شعره هذا المعنى الذي أدركه التبريزي والجاحظ .

كَأَنَّهُ^(١) قال : كَشَدَقَ البعير ، إذ كان كلُّ بعيرٍ أعلم .

والشعراء يشبِّهون الضربةَ بِشِدْقِ البعير ، ولذلك قال الشاعر^(٢) :

كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فَأُقْرَاسِيَّةٌ مِنْ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهِ شَنَعٌ^(٣)

وقال الكهيت :

• مَشَافِرَ قَرَحَى أَكَلْنَ الْبَرَبْرَا^(٤) •

وإذا قيل الأُعلم ، عُلِمَ أَنَّهُ البعير ، كما أَنَّهُ إذا قيل الأقرح^(٥) علم أَنَّهُ

الدَّبَّان . قال الشاعرُ :

وَلَأَنْتَ أَطْيَشُ ، حِينَ تَغْدُو سَادِرًا حذر الطعان ، مِنَ الْقَدُوحِ الْأَقْرَحِ^(٦)

يعني الدَّبَّانُ لِأَنَّهُ أَقْرَحُ^(٧) ، وَلَأنَّهُ أَبْدَا يَحْكُ بِلِحْدَى ذِرَاعَيْهِ عَلَى

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . وفي ط ، س : « كما أَنَّهُ » .

(٢) هو النفرين تولب « كما في البيان (١ : ٥٥) » .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكرنا كان أو أنثى ، وهو في الذكور أغلب . والمصاعب : واحدها مصعب ، وهو الفحل . في أشداه : أراد في شقيقه ، ومثل هذا جائز . في الأصل : « في أشداقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قرعح ، وهو هنا المصاعب بالفرقة في فيه ، فيبدل لذلك مشفوه . والبربر :

الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما في الحيوان : ٦٠٢ :

• تشبه في الهام آثارها •

(٥) في الأصل : « الأقرح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا في ط ، س ، وفي ل

و حذر النظام ، والرواية المعروفة : « رعش الجنان » كما في أمثال الميداني (١ :

٤٠٢) وثمار القلوب ٣٩٥ والسان والثاج (قحج) . والجنان : القلب . والقنوح : الذى يحك ذراعا بسذراع ، يحكى فعل القنصاح الذى يطلب النار . والأقرح : الذى في وجهه قرحة . وفي الأصل وكذا اللسان : « الأقرح » ، خطأ ، صوابه في النحر وأمثال الميداني .

(٧) في الأصل : « أقحح » . وانظر التنبيه السالف .

الأخرى كأنه يقدح بعودى مَرخٍ وعَفار^(١) ، أو عرجون ، أو غير ذلك مما يقدح به .

(أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض)

ولا يعلم في الأرض شاعرٌ تَقَدَّمَ في تشبيهٍ مُصِيبٍ تامٍّ ، وفي معنى غريبٍ عجيبٍ ، أو في معنى شريفٍ كريمٍ ، أو في بديعٍ مُخْتَرَعٍ ، إلّا وكلُّ مَنْ جاء من الشعراء من بَعْلَده أو معه ، إنْ هو لم يَعدْ^(٢) على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنه لا يدعُ أن يستعينَ بالمعنى ، ويجعلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمنى^(٣) الذي تتنازعُه الشعراءُ فتختلفُ ألفاظهم ، وأعاريفُ أشعارهم ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقُّ بذلك المعنى من صاحبه . أولئك [أن] يجحد أنه سمع بذلك المعنى قطُّ ، وقال إنه خطَرَ على بالي من غير سماع ، كما خطَرَ على بال الأول . هذا إذا قرَّعوه به . إلّا ما كان من عنتره في صفةِ الذباب ؛ فإنه وصفه فأجاد صفته^(٤) فتحاى معناه جميعُ الشعراء

(١) المَرخ ، بالفتح : شجر من الغضا يشبه كثير الزرى مريمه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المَرخ يتخذ الزنقة ، وهي السفل ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقتح بها . قال :

إذا المَرخ لم يور تحت العفار وشن بقدر ظم تعقب

ط : « يعود من مرخ ، أو عفار » ، س : « يعود في مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرض له أحد منهم^(١) . ولقد عَرَضَ له بعضُ المحدثين ممن كان يحسنُ القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر^(٢) . قال عنتره :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ كَرَّةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حَلِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ^(٣)
فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يَقْنَى وَحَدَهُ هَزْجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتَرْنِمِ
عَرْداً بِحُكِّ ذِرَاعِهِ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
قال : يريد فعل الأقطمِ المكبَّ على الزَّنَادِ . والأجْدَمُ : المقطوع

٩٧ اليدين . فوصف الذباب إذا كان واقفاً ثم حَكَ إحدى يديه بالأخرى ، فشَبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدَحُ بعودين . ومتى سقط الذبابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنتره .

(قول في حديث)

وقد كان عندنا في بنى العلوية^(٤) شيخٌ منهم مُنْكَرٌ^(٥) ، شديد العارضة [فيم توضيح] ، فسمعتُ أقول : قد جاء في الحديث : « إِنَّ تَحْتَ جَنَاحِ

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدري الآن من منى الجاحظ بقوله ، ولم أجده الشعر الذي أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الترة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحليقة كالدَّهْمِ في استدارته لا قدره .

(٤) ط : « العروية » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) حله السكامة ساكمة من ل .

(٦) التوضيح : التخنيث . وفي الحديث : « إن رجلاً من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيح » أي تخنيث .

الذباب اليمين شفاءً ونحتَ جناحه الأيسر^(١) سماً . فإذا سقط في إناءه
أو في شرابٍ أو في مَرَقٍ فاغسوه فيه ، فإنه يرفعُ عند ذلك الجناحَ الذي
تحتَه^(٢) الشفاء ، ويحطُّ [الجناح] الذي تحتَه السمَّ^(٣) . فقال : بأبي أنتَ وأُمِّي
هذا يجمع العداوةَ والمُكيدةَ !

(قصّة تميمي مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أناسٌ من الأزد ، ومعهم ابن حزن^(٤) ، وابن حزن
هذا عدوٌّ من آل عوج^(٥) ، وكان يتعصبُ^(٦) لأصحابه من بني تميم
وكانوا على نبيلٍ ، فسقطَ ذبابٌ في قدَحٍ بعضهم ، فقال له الآخر : غطِّ^(٧)
التميمي ، ثم سقط آخر في قدَحٍ بعضهم ، فقال الباكون^(٨) : غطِّ التميمي !
فلما كان في الثالثة قال ابن حزن : غطِّه فإن كان تميمياً رَسَبَ ، وإن كان
أزدياً طفا . فقال صاحب^(٩) المنزل : ما يسرُّني أنه كان نقصكم حرفاً^(١٠) . وإنما
عَنَى أَنَّ أَزْدَ عُثْمَانَ مَلَأَحُونَ .

(١) س : « أَيْفَى » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » في المواضع الثلاثة . وأثبت ما في ل .

(٤) ط ، س : « عدوٌّ » : نسبة إلى عدول ، يفتح أوله وثانيه وفتح اللام
والقصر ، وهي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما في ل . وهو منسوب
إلى بني الملوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما في المعارف ٣٥ . و « آل عوج »
هي في ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) في الأصل : « يتصصب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « وب » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « كان قال بعضهم مرقاً » ، محرف . وفي س :

« كان قال بفسك حرفاً » .

(ضروب الذَّبَّانِ)

والذَّبَّانُ ^(١) ضروبٌ سوى ما ذكرناه ^(٢) من الفَراش والنَّحْل والزَّنايِر .
فمنها الشَّعْرَاءُ ^(٣) ، وقال الراجز :

• ذَبَّانٌ شَعْرَاءٌ وَبَيْتٌ مَازِلٌ ^(٤) •

وللكلاب ذبابٌ على حِدَةٍ يَتَخَلَّقُ مِنْهَا وَلَا يُرِيدُ سِوَاهَا ^(٥) . ومنها
ذَبَّانٌ ^(٦) الكَلَابِ وَالرِّيَاضِ . وَكُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يَأْلَفُ مَا خُلِقَ مِنْهُ . قَالَ
أَبُو النَّجْمِ :

مَسْتَأْسِدٌ ذَبَّانُهُ فِي غَيْطَلٍ يَقْنَنَ لِلرَّائِدِ أُعْشِبْتَ أَنْزِلِ ^(٧)

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ماذكر » .

(٣) الشعراء ، يفتح الشين وكسرهما ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ،
أو أحر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً ، واسمه العلمي :

Hippodoscidae .

(٤) « بيت مازل » كذا في الأصل وسيأتي في ص ٣٩٠ : « وصيف مازل » . وفي
نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقوله :

• تَلَبَّ مِنْهَا بِأَنْثَى ذَائِلٍ •

(٥) ط ، س : « يَخْلُقُ مِنْهَا وَلَا يَرِيدُ سِوَاهَا » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد الثبت : إذا بلغ وقوى والتفت ، أراد كثرت وتكاثرته .
ويرى : « مستأسد » . والفيتل : الشجر الكثير المتلف ، وكذلك المشب . وأرجوزة
أبي النجم هذه طويلة نادرة ، حدة أسطوارها ١٩١ سطرا .

وقد نشرت في مجلة الجمع العلمي العربي بمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩)

سنة ١٩٢٨ . وكان رؤية يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل في طنين الذباب)

والعربُ تسمي طنينَ الذَّبَّانِ والبعوضِ غِنَاءً . وقال الأخطلُ
في صفة الثَّور :

فَرَدًّا تَغْنِيهِ ذَبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَى الْغَوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أَسْوَارِ^(١)
وقال حَضْرِيُّ بْنُ عَامِرٍ في طنين الذباب :

ما زالَ إهداءُ القصائدِ يَنِينًا شَمَّ الصَّديقِ وكثرةَ الألقابِ
حَتَّى زَكَتْ كَأَنَّ أَمْرَكَ بَيْنَهُمْ في كُلِّ جَمْعَةٍ طِينُ ذُبَابِ^(٢)
ويقال : « ما قولي هذا عندك إِلَّا طنينُ ذُبَابِ^(٣) » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذباب وقتٌ تهيج فيه للسَّفَادُ^(٤) ، مع قصر أعمارها . وفي الحديث :
« أَنْ تُعْمَرَ الذَّبَابُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا » ، ولها أيضاً وقتٌ هَيَجٌ في^(٥) أَكْلِ النَّاسِ

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفصح : آلة موسيقية وترية . ط ، س :
« يصيح » ، وهي تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأسورة ، وهم
قواد القرم ، أو قوم من المعجم نزلوا بالبصرة قديما .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « في كل مجمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به لكلام يستهان ولا يبالي به . ثمار القلوب . في ل :
« كلنين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج السفاد » .

(٥) ل : « حل » .

وعَضُّهم ، وشربِ دماهم . و [إنما يعرض هذا] الذَّبَّانُ في ^(١) [البيوت عند قرب أيامها ؛ فإنَّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكاً . والذَّبَّانُ] في وقتٍ من الأوقات من ختوف الإبل والدواب .

(علة شدّة عضّ الذباب)

والذَّبَّاب والبَعُوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقويت على خرقِ الجلودِ الغَلاظ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] :
 ٩٨ مثل السِّفَاةِ دائمٌ طَنِينُهَا ^(٢) رَكَّبَ في خُرطومها سِكِينُهَا

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيء أقوى عضّاً وناباً وفكّاً ؛ كالذئب والخنزير ، والكلب . وأما القيل فإنَّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنَّ لكلِّ شيء من الحيوان أنفاً ، وهو يده ، ومنه يُعْنَى ^(٣) وفيه يجري الصَّوت ، كما يُجرى الزَّامرُ الصَّوتَ في القصبةِ بالنَّفخ . ومتى تصاعطَ الهواءُ صَوْتاً على قَدَرِ الضَّمْطِ ؛ أو على قدر الثَّقَبِ ^(٤) .

(١) زدت هذه الكلمة حاجة الكلام إليها .

(٢) السِّفَاةُ : واحدة السِّفَا ، وهو شوك البهي والسنبُل ، أو كل الشوك . والراجز

رواه أبو علي في الأمل (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميري : « مثل

السِّفَاةِ دائماً طَنِينُهَا » . وانظر : ٤٠٣ .

(٣) كلّا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « يَضْنِي » .

(٤) ل : « السَّبَب » . وصوابه في ط ، س .

(أمثال من الشعر في الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذبان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التصغير والتقليل ضربوا بالذبان المثل . قال الشاعر ^(١) :

رَأَيْتُ الْخَبَرَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخَبَرَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحُنَا لَتَذُبَّ عَنَّا وَلَكِنْ خِفْتُ مَرَزِيَةَ الذُّبَابِ ^(٢)

وقال آخر ^(٣) :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أَغْلِقَ بَابَهُ وَتَعَلَّقْتُ هَمْدَانُ بِالْأَسْبَابِ ^(٤)
أَبْقَيْتُ أَنْ إِمَارَةً ^(٥) ابْنِ مِضَارِبٍ ^(٦)

لم يبق منها قيسٌ أثير ^(٧) ذباب

(١) هو أبو الشمتق كما في عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء في البهلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمتق يعيب في علماء جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيهقي ، كما أعادها في ١٠٦ . وقد نسب البيت الثاني مع سابق له غير المروي هنا ، إلى أبي الشيمس . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبي نواس كما في المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمناسق (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة في العقد (٦ : ١٩١) تأليف .

(٢) المرزقة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاي مكسورة ؛ من رزأه : أتى أسباب منه شيئا . سجلت الهيزة هنا ، وجاءت بالهمز في البهلاء وديوان الملقى (١ : ١٨٧) . ورويت في العقد (٤ : ٢٢٥) : « من دب الذباب » . والقب بالفتح : مصدر دب : مشى حل هيته .

(٣) هو عبد الله بن همام الساولي ، كما سيأتي في (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة هيمية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت ماقى ل والجزء السادس وثمار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القلوب .

(٦) كذا في ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفي النصار : « أبني مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التي بعدها هي في ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أثره ^(١) ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحر :

ما كنت عن قوى بمهتضم ^(٢) لو أن معصياً له أمر
كلفتي مخ ^(٣) البعوض فقد أقصرت لا تجح ولا عذر ^(٤)

(ما يبلغ من الحيوان وما لا يبلغ)

قال : وليس شيء مما يطير يبلغ في الدّم ، وإنما يبلغ في الدماء من السباع ذوات الأربع . وأما الطير فإنها تشرب حسوا ، أو عبة بعد عبة . ونعبة بعد نعبة . وسباع الطير قليلة الشرب للماء ، والأسمد كذلك . قال أبو زيد الطائي ^(٥) :

تذب عنه كف بها رمق طيراً غكوفاً كزور العرس ^(٦)

(١) ط ، س : « أثره » ، وصوابه في ل والتمار .

(٢) ل : « بذالة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والتمار . و « كلفتي مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أشال الميداني (٢ : ٨٤) .

(٤) التبح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا عذر » وتصحيحه من ل والتمار .

(٥) تقدمت ترجمته في (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التي بها بقية من حياة ، تدفع الذهاب التي تحاول أن تظل عاكفة عليه مقبحة ؛ لتأكل منه . وهي في حجمها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : ولية الزواج ، وقد ضم الزواجر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كلود » وأراءها تصحيحاً . والبيتان في صفة أسد صريح ، كما في الأغاني (١١ : ٢٦) حيث تمجد للقصيدة . وأنشدهما ابن الشجري في جماعته ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونيةً دلّفن له فهنّ من والغر ومُنْتَهِس^(١)
قال : والطير لاتلغ ، وإنما يلغ الذباب . وجعله من الطير ، وهو وإن
كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ،
جاز أن يستعير للطير ولغ السباع فيجعل حسوها ولغنا ، وقال الشاعر :
سراع إلى ولغ الدماء رماحهم وفي الحرب والمهيجاء أسدُضراغ^(٢)

(خصلتان محمودتان في الذباب)

قال وفي الذباب خصلتان من الخصال المحمودة : أمّا إحداهما فقرب الحيلة
لصرف أذاها ودفع مكروها^(٣) ؛ فن^(٤) أراد إخراجها من البيت فليس بينه
وبين أن يكون البيت على المقدار الأول من الضياء والسكر^(٥) [بعد
إخراجها] مع السلامة من التأذي بالذباب - إلا أن يغلّق الباب ، فلهنّ
يتبادرن إلى الخروج ، ويتسابقن في طلب الضوء والمهرب من الظلمة ، فإذا
أرغى الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من مكروه الذباب . فإن
كان في الباب شق^(٦) ، وإلا جأى المخلق أحد البابين عن صاحبه^(٧)

(١) ونى : أبطأ ، أى من ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المفيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « المهيجاء »

وتكون صفة كتابتها على هذا الوجه : « والمهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه في ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الككن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء في المخلق أحد » س : إحدى - البابين من صاحبه »

وتصحيحه من ل . وجأى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه^(١)] إطباقاً . وربما خرجن من الفتح الذى يكون بين أسفل الباب والعتبة . والحيلة فى إخراجها والسلامة من أذاها يسيرة^(٢) ، وليس كذلك البعوض . لأنَّ البعوضَ إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانه ، ويشتدُّ كَلْبُهُ^(٣) فى الظلمة ، كما يقوى سلطان الذباب^(٤) فى الضياء ، وليس يمكنُ النَّاسَ أَنْ يَدْخُلُوا منازلهم من الضياع ما يمنعُ عملَ البعوض ؛ لأنَّ ذلك لا يكون إلاَّ بِإِدْخَالِ الشَّمْسِ ، والبعوض لا يكونُ إلاَّ فى الصَّيْفِ ، وشمسُ الصَّيْفِ لا صَبْرَ عليها . وليس فى الأرض ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلاَّ ومعه نصيبه من الحرِّ ، وقد يفارق الحرُّ الضياءَ^(٥) فى بعض المواضع ، والضياء لا يفارقُ الحرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإنَّ مكان الحيلة فى الذباب يسير ، وفى البعوض عسير !
والفضيلة الأخرى : أنه لولا أن الدَّبابَةَ تَأْكُلُ البَعُوضَةَ [و] تطلبها وتلتصقها على وجوه حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأهلها فيها قرار !

(الحكمة فى الذباب)

وذكر محمد بن الجهم — فيما خبرنى عنه بعضُ الثقات — أنه قال لهم ذات يوم : هل تعرفون الحكمة التى استفدناها فى الذباب^(٦) ؟ قالوا : لا .

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى المص .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخير الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بل ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه ^(١) : وذلك
أنى كنت أريد القائلة ^(٢) ، فأمرت بإخراج الدباب وطرح السر وإغلاق
الباب ^(٣) قبل ذلك ساعة . فإذا خرجن حصل في البيت البعوض ، في سلطان
البعوض ^(٤) و [موضع] قوته . فكنت أدخل إلى القائلة فيأكلني
البعوض أكلاً شديداً . فأتيت ذات يوم المنزل في وقت القائلة ، فإذا
ذلك البيت مفتوح ، والسر مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك
في يومهم ، فلما اضطجعت للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً ^(٥) وقد كان
غضبي اشتد على الغلمان ^(٦) ، فمت في عافية . فلما كان من الغد عادوا
إلى إغلاق الباب وإخراج الدباب ، فدخلت أتمس القائلة ، فإذا البعوض
كثير . ثم أغفلوا ^(٧) إغلاق الباب يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتهم
فلما صرت إلى القائلة لم أجد بعوضة واحدة ، فقلت في نفسي [عند ذلك] : ١٠٠
أراني قد نمت في يومي [الإغفال] والتضييع ، وامتنع من النوم في أيام
التحفظ والاحتراس . فلم لأجرب ترك إغلاق الباب في يوم هذا . فإن نمت ^(٨)

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيه » ، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم في القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فأغلق الباب » ، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشد على الغلمان » .

(٧) في الأصل « أغلقوا » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سيأتي بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط : « نمت » .

ثلاثة أيام^(١) لا ألقى من البعوض أدنى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب في الجمع بين الذَّبَّانِ و [بين^(٢)] البعوض ؛ فإنَّ الذَّبَّانِ [هى التى] تُفنيه^(٣) ، وأنَّ صلاح أمرنا فى تقريب ما كنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمَّ . فصرنا إذا^(٤) أردنا إخراج الذَّبَّانِ أخرجناها بأيسر حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوض أفئناها [على أيدي الذَّبَّانِ بأيسر حيلة] .
فهاتان خصلتان من مناقب الذَّبَّانِ .

(طبَّ القوابل والمعاجز)

وكان محمد بن الجهم^(٥) يقول : لاتبهونوا بكثيرٍ ممَّا ترون^(٦) من علاج القوابل والمعاجز ، فإنَّ كثيراً من ذلك إنما وقع إلين^(٧) من قدماء الأطباء ، كالذَّبَّانِ يُلْقَى فى الإِثْمِدِ ويسحق معه ، فيزيد [ذلك^(٨)] فى نور البصر ، ونفاذ^(٩) النظر ، وفى تشديد^(١٠) مراکز [شعر^(١١)] الأشعار^(١٢) فى حافات الجفون .

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « ترون » وتصحيحه من ل ، س وحيون الأخبار (٢ : ١٠٤)

والنقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إلين » وهى حل الصواب فى ل وحيون الأخبار .

(٨) من ل وحيون الأخبار .

(٩) كذا فى ل وحيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : « ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشعار جمع شعر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل نبات الشعر فى الجفن .

(قمع دوام النظر إلى الخضر)

وقلت له مرة : قيل لمسرجويه : ما بال الأكرة^(١) وسكان
البساتين ، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشرهم ماء السواقى على المالح^(٢)
أقل الناس خُضْشاناً وُعْشاناً^(٣) وعوراً؟ قال : إني فكّرت في ذلك
فلم أجد له علّة إلا طول وقوع أبصارهم على الخضر .

(من لا يتقزّر من الذّبان والزناير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السّفالة^(٤) ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهم]
لا يرمدون . وليس لذلك أكلوه^(٥) وإنعامهم كأهل خراسان الذين يأكلون فراخ
الزّناير ، والزّناير ذبان ، وأصاب الجبن الرّطب يأكلون الجبنة التي قد
نُفِيت^(٦) دوداً ، فينكثها [أحدهم^(٧)] حتّى يخرج ما فيها من الدّود في راحته ،
ثمّ يقمّحها كما يقمّح السّويق^(٨) . وكان الفرزدق يقول : ليت أنهم دفعوا إلى

- (١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .
- (٢) كذا . وفي صيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشرهم الماء الحار على السلك المالح » .
- (٣) الأخضر : الضيق العينين ، أو الذي ضعف بصره خلقه ، أو الذي فد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خُضْشاناً وُعْشاناً » . والأعشى : الذي لا يبصر ليلاً .
- (٤) السّفالة ، بالضم من بلاد التّرج .
- (٥) ط : « أكلوا » .
- (٦) نفّلت : قذفت .
- (٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .
- (٨) قح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأكلون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبى من الذبان ضربة واحدة ، بشرط أن آكله لراحة الأبد منها^(١) . وكان كما زعموا^(٢) شديد التقذر لها [والتقزز]^(٣) منها :

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثمامة : تساقط^(٤) الذبان فى مرق بعض القصاص وعلى وجهه فقال : كثر الله بكن القبور !
وحكى ثمامة عن هذا القاص أنه سمعه بعبادان^(٥) يقول فى قصصه :
اللهم من علينا بالشهادة ، وعلى جميع المسلمين !

(قصة فى عمر الذباب)

وقال لى المسكى مرة : إنما عمر الذبان أربعون يوماً . قلت^(٦) : هكذا جاء فى الأثر . وكنا يومئذ بواسط فى أيام العسكر^(٧) وليس بعد أرض

(١) ضير « آكله » لنصيب ، وضير « منها » الذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) حله من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والمقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى المقد : « ببنداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بحمل « عمر » ضلاً .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

المُتَدُّ أَكْثَرُ ذَبَاباً مِنْ وَاسِطٍ ، وَلَرَبَّمَا رَأَيْتَ الْحَائِطَ وَكَأَنَّ عَلَيْهِ مِسْحاً^(١)
شَدِيدَ السَّوَادِ مِنْ كَثْرَةِ مَا عَلَيْهِ مِنْ^(٢) الذَّبَّانِ . فَقُلْتُ لِلْمَكِّيِّ : أَحَسِبَ الذَّبَّانَ
يَمُوتُ^(٣) فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، وَإِنْ شِئْتُ فِي^(٤) أَكْثَرٍ ، وَإِنْ شِئْتُ فِي أَقَلٍّ ؛
وَنَحْنُ كَمَا تَرَى نَدُوسُهَا بِأَرْجُلِنَا ، وَنَحْنُ هَا هُنَا مُقِيمُونَ مِنْ أَكْثَرٍ مِنْ أَرْبَعِينَ
يَوْماً^(٥) ، بَلْ مِنْذُ أَشْهَرِ [وَأَشْهَرِ] ، وَمَا رَأَيْنَا ذَبَاباً وَاحِداً مَيِّتاً . فَلَوْ كَانَ ١٠١
الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لَرَأَيْنَا الْمَوْتَى كَمَا رَأَيْنَا الْأَحْيَاءَ . قَالَ : إِنَّ الذَّبَابَةَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ
تَمُوتَ ذَهَبَتْ إِلَى بَعْضِ الْحَرَبَاتِ^(٦) . قُلْتُ : فَإِنَّا قَدْ دَخَلْنَا كُلَّ حَرَبَةٍ^(٧)
فِي الدُّنْيَا ، مَا رَأَيْنَا فِيهَا قَطُّ ذَبَاباً مَيِّتاً .

(الْمَكِّيُّ)

وَكَانَ الْمَكِّيُّ طَبِيباً^(٨) طَيِّبَ الْحَجَجِ ، ظَرِيفَ الْحَيْلِ^(٩) ، عَجِيبَ الْعِلْلِ
وَكَانَ يَدْعِي كُلَّ شَيْءٍ عَلَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ ، وَلَمْ يُحْكِمْ شَيْئاً قَطُّ ، [لَا] مِنْ

(١) المسح ، بالكسر : السكاه من الشعر ، جمه أسماح ومسوح . قال أبو ذؤيب :

ثم شرين يلهط والجمال كما ن الرش منهن بالآباط أسماح

(٢) ط ، س : « مِنْ كَثْرَةِ الذَّبَّانِ الَّذِي عَلَيْهِ » .

(٣) ل : « أَحَسِبَ أَنَّ الذَّبَابَةَ تَمُوتُ » .

(٤) ط ، س : « فِي » .

(٥) ط ، س : « مِنْذُ أَرْبَعِينَ يَوْماً » .

(٦) التحريات : جمع حربة ، كفرجة ، وهي موضع التحراب . ط ، س : « الْحَرَائِبِ »

وصوابه ما أثبت . ل : « التحريات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفردة .

(٧) ط ، س : « حَرَبَةٍ » ، وهي حل الصواب في ل .

(٨) طيبا ، أي ظريفا فصيحا . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طَبِيباً » .

(٩) ل : « كَثِيرَ الْحَيْلِ » .

الجليل ولا من الدقيق . وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه ،
وأخبرك عن بعض عله ؛ لِتَلَهَّى ^(١) بها ساعة ، ثمَّ نعوذُ إلى [بقية]
ذكر اللَّبَّان .

(نَوَادِرُ الْمَكِّيِّ)

ادعى هذا المكِّيُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى بردونٍ واقف ، قد
أتى صاحبه [في] فيه اللِّجام ، فرأى فأسَ اللِّجام ^(٢) وأين بلغ منه ، فقال
لى : العجب ! كيف لا يذرعه القيء ، وأنا لو أدخلت [صبي] الصغرى [
في حلقى لما بقيَ في جوفى شيء إلا خرج ؟ ! قلت : الآن علمتُ أنَّك
تبصر ^(٣) ! ثمَّ مكثَ البردون ساعةً يلوكُ لجامه ، فأهمل علىَّ فقال لى :
كيف لا يبرؤ أسنانه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراء مثلك !
ثمَّ رأى البردون كلَّما لأك اللِّجامَ والحديدة ^(٤) سال لعابه على الأرض
فأقبل علىَّ وقال : لولا أنَّ البردون أفسدُ الخلق عقلاً لكان ذهنه قد
صفا ^(٥) ! قلت له : قد كنت أشكُ في بصرك بالدُّواب ، فأما بعدَ هذا فلستُ
أشكُ فيه !

(١) ل : « لتلهي » ، وحذف اللام في مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لأكه يلوكه لوکا : مضه . ل : « كلما لأك الحديدة » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فقال لى إن البردون أفسد الخلق عقلاً ، ولولا

ذلك لكان ذهنه قد صفا » .

وقلت له مرة ونحن في طريق بغداد: ما بالُ القُرسُخ في هذه الطريق يكون
غرسخين ، والقُرسُخ يكون أقلُّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكر طويلاً ثمَّ
قال : كان كِسرى يُقَطِّعُ للنَّاس القُراسخ ، فإذا صانَعَ صاحبُ القطيعة
زادوه ، وإذا لم يصانِعْ نقصوه !

وقلت له مرَّةً : علمتُ أنَّ الشَّارِى ^(١) حدَّثنى أنَّ المخلوع ^(٢) بعث إلى
المأمونٍ بجرابٍ فيه مسممٌ ، كأنَّه يخبرُ أنَّ عنده من الجند بعدد ذلك [الحب]
وأنَّ المأمونَ بعث إليه بديكٍ أعورٍ ، يريد أنَّ طاهر بن الحسين ^(٣) يقتل هؤلاء
كلَّهم ، كما يلقي الدِّيك الحبَّ ! قال : فإنَّ هذا الحديث أنا ولِدته . ولكن
انظر كيف سار في الآفاق ؟ !
وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

(١) ل : « السَّارِى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان السَّاحِد الأمين للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه
الأمين أرسل طاهرًا إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقبه
بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ . وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد
وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحل رأسه إلى غراسان ووضعه
بين يدي المأمون ، وعقد المأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة
٢٠٧ . وكانت له حين واحدة ، ففى ذلك يقول عمرو بن بانة :

إذا الميئين حين واحد نقصان حين ويمين زائده

(معارف في الذّباب)

ثمّ رجع بنا القول إلى صلة كلامنا في الإخبار عن الذّبان .
 فأما سكّان بلاد الهند فإنّهم لا يبايخون قِدْرًا ، ولا يعملون حَلْوَى^(١)
 ولا يكادون يأكلون إلّا ليلاً ؛ لما يهافت من الذّبان في طعامهم . وهذا يدلّ
 على عَنَنِ التّربة وَخَلْنِ الهواء .
 والذّبان يعاسيبُ ويجحَلان^(٢) ، ولكن ليس لها قائد ولا أمير .
 ولو كانت هذه الأصناف التي يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتخذ رئيساً يدبّرُها
 ويحوطها ، إنّما أخرج^(٣) ذلك منها العقلُ دون الطّبع ، وكالشيء يخصّ
 ١٠٢ به البعض دون الكل^(٤) - لكان النّذرُ [وَالتَّمْلُ] أحقّ بذلك من
 الكراكى والغرائق^(٥) والثّيران ، ولكان القيلُ أحقّ به من البعير ؛
 لأنّه ليس للنّذر قائد ولا حارس ، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعض المواضع ،
 ويوردها بعضاً .

-
- (١) في الأصل : « الحلوى » ، وإنما هي « الحلوى » تقصّر وتمد .
 (٢) الجحَلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جعل بالفتح ، وهو العظيم
 من العاسيب . والعاسيب هي كبار الذّباب كما نقل الدميري عن الجاحظ . ونلفظ
 « الجحَلان » جاء في الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .
 (٣) ل ، س : « خرج » .
 (٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدّى المبرأتين واحد .
 (٥) الغرائق : جمع غرائق ، يفهم الثّين وفتح التّون ، وهو طائر أبيض طويل النّقب
 من طير الماء . ويطلق في العراق على ما يسمى بالإوز العراقي .

وكلُّ قائِدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُودِ . وهذا الاسمُ مستعارٌ من فعل النحل وأمير العسالات ^(١) .

وقال الشاعر ^(٢) وهو يعنى الثور :

كما ضَرَبَ اليعسوبُ إذ عافَ باقِرُّ وما ذُنْبُهُ إذ عافَتِ الملة باقِرُّ

وكما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان ^(٣) وفساده :

« فإذا كان ذلك ضَرَبَ يعسوبُ الدِّينِ بَدَنِيهِ » ^(٤) .

وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد] ^(٥) قتيلا يوم الجمل : « لحنى عليك يَعْسوبُ قريش ! جدَعْتَ أنفِى وشَقَيْتَ نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة » ^(٦) .

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو المبيان الفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « اللبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض مسافرا أو مجاهداً . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . ولعبارة معان آخر تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتَّاب ، أحد الرواة المين والبروا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير

ورآه على وهو قتيلى فقال ما قال . الإصابة ١٢٢٠ والمعارف ١٢٢ . و « أسيد » ضبط

فى الإصابة ٥٠٣٨٣ والاشتقاق ٧٨ بحقيقنا يفتح الحزرة . قال ابن دريد : « وأسيد » فويل من قوهم أسد يأمد أسدا إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عصب) بضمها على هيئة الصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، يالضم ؛ حى من قيس عيلان . ولبت شعري من سعى بهذا القلب .

(أقدر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنثى من العذرة ، فكذلك لا شيء أقدر من الذبابة والقمل . وأما العذرة فلولا أنها كذلك لكان الإنسان مع طول رؤيته لها ، وكثرة شمها لها من نفسه في كل يوم صباحاً ومساءً ، لقد كان ينبغي أن يكون قد ذهب تقدره له على الأيام ^(١) ، أو تمحق ^(٢) ، أو دخله ^(٣) النقص . فثبت أنها سيئ عاماً وأكثر وأقل على مقدار واحد [من التن] في أنف الرجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك ^(٤) ، وقد رأينا البران ^(٥) والعادات وصنيعها في الطباع ، وكيف نهون الشديد ، وتقلل الكثير . فلولا أنها فوق كل شيء من التن ، لما ثبتت هذا الثبات ، ولعرض لها ما يعرض لسائر التن . وبعد فلو كان إنما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد ذهب تقدره له على الأيام » . ل : « أن يكون

ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : أذهب وذهب . ط ، س : « يحق » ، وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « في أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المران بمعنى السواد والإلف . ووجده مصدر لما رت الناقة مرانا ، إذا ظهر

أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة .

ط ، س : « المرات » تحريف .

يخرج من جوف نفسه ، لكان ذلك أشبه . فإذا قد ثبت في أنه على هذا المقدار ^(١) ، وهو منه دون غيره ، وحتى صار يجده أنثى من رَجِيع [جميع] الأجناس - فليس ذلك إلا لما قد خُصَّ به من المكروه .

وكذلك القول في القمل الذي إنمّا يُخلق من عرق الانسان ، ومن رائحته ، ووسخ جلده ، وبخار بدنه . وكذلك الذبّانُ المخالطةُ لَهُمْ في جميع الحالات ، والملايسةُ لهم دُونَ جميعِ الهوامِّ والهمجِ والطيرِ والبهائمِ والسباعِ حتى تكونَ أُنْزَمَ من كلِّ ملازم ، وأقربَ من كلِّ قريب ؛ حتى ما يمتنعُ عليه شيء من بدن الإنسان ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامِهِ ، ولا من شرايِبِهِ ، [حتى لزومه لزوماً] لم يلزمه شيء ^(٢) قطُّ كلزومه ، حتى إنّه يسافر السَّقَرُ البعيدَ من مواضع الخِصْبِ ، فيقطعُ البراريَّ والقِفَارَ التي ليس فيها ولا بقرها نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوانٌ ، ثمَّ مع ذلك يتوخى عند الحاجة إلى الغائط في تلك البريّة أن يفارق أصحابه ، فيتباعدُ في الأرض ، وفي صحراء ١٠٣ خلْقَاء ^(٣) ، فإذا تبرّزَ فتي وقع بصره على برازِهِ رأى الذبّانَ ساقطاً عليه . فقبّل ذلك ما كان يراه . فلن كان الذبّابُ شيئاً يتخلّق له في تلك الساعة فهذه أحبُّ ما رآه وما أردنا ^(٤) ، وأكثرَ ممّا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخُورِ المُلسِ ، واليَقَاعِ الجُرْدِ ، في اليومِ القاطئِ ، وفي الهاجرةِ

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من النتن » .

(٢) ط ، س : « ولا من شرايه لم يلزم شيئاً » وله وجه .

(٣) الخلفاء : المسببة التي لا نبات فيها ، اللساء . ل : « صخرة لساء » .

(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أحب ما أردنا » .

التي تشوى كل شيء ، وينتظر مجيئه - فهذا أعجب مما قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إمّا طائرة^(١) معه ، وإمّا ساقطة عليه ، فلما تبرّز انتقلت عنه إلى يرازه ، فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذباب ؛ لأنّ العصافير ، والخطاطيف ، والزراير ، والسنانير ، والكلاب وكل شيء يألف الناس ، فهو يقيم مع الناس . فإذا مضى الإنسان في سفره ، فصار كالمتوحش^(٢) ، وكالتأزل بالقفار ، فكل شيء أهله يألف الناس فإنما هو مقيم على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش ؛ إلاّ الذبان .

قال : فإذا كان الإنسان يستقذر الذبان في مرّقه وفي طعامه هذا الاستقذار ، ويستقذر القمل مع علّته من القرابة والنسبة هذا الاستقذار فعلوم أن ذلك لم يكن إلاّ لما خصّ به من القدر . وإلاّ فبدون هذه القرابة وهذه الملابسة ، تطيب الأنف عن كثير من المحبوب .

(إلحاح الذباب)

قال : وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهم ربّما تعودن المبيت على نحو فسيلة وأقلاها^(٣) من فساتل الدور ، أو شجرة ، أو كلة^(٤) ، [أو]

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المتأنس . ط س : « كالمتوحش » .

(٣) الفسيلة كسريّة : النخلة الصغيرة . والأقلاها : جمع قلب ، بالضم ، وهو شجرة النخلة أو أجود خصوصاً .

(٤) الكلة ، بالكسر : السرة الرقيق ، والفتش الرقيق يتوق به من البعوض . ط ، س : « أو هلة » .

باب ، أو سَقَفَ بَيْت ، فَيُطْرَدَنَّ إِذَا اجْتَمَعَ لَوْقَتَهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ ^(١) لَيْلَتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَيُتْرَقَنَّ أَوْ يَهْجَرَنَّ ذَلِكَ الْمَسْكَنُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كَانَ
ذَلِكَ الْمَسْكَنُ قَرِيبًا ، وَهُوَ لَمْ يَمْرُضْ ، ثُمَّ لَا يَدْعُو أَنْ يَلْتَمِسَنَّ مَيْتًا غَيْرَهُ .
وَلَا يَمْرُضُ لَمْ يَمْرُضْ مِنَ اللَّجَاجِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، مِثْلُ الَّذِي يَمْرُضُ لَمْ يَمْرُضْ مِنْ كَثَرَةِ
الرُّجُوعِ إِلَى الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ بَعْدَ الذَّبِّ وَالطَّرْدِ ، وَبَعْدَ الْجَهَادِ فِي ذَلِكَ .

(أَذَى الذَّبَابِ وَنَحْوَهَا)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ ^(٢) : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الذَّبَابُ سُمًّا نَاقِمًا ، لِأَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ يَشْتَدُّ إِذَا هُ انْتَمَسَ مِنْ غَيْرِهِ ، فَهُوَ بِالدَّخَالَةِ وَالْمَلَابَسَةِ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْذَى .
وَهَذِهِ الْأَفَاعِي وَالْتَّمَاعِينَ وَالْجَرَارَاتِ ^(٣) قَدْ تَمَسُّ جُلُودَهَا نَاسٌ فَلَا تَضُرُّهُمْ ^(٤)
إِلَّا بِأَنْ تَلَابَسَ إِبْرَةُ الْعَقْرَبِ وَنَابُ الْأَفْعَى الدَّم . [وَنَحْنُ] قَدْ نَجِدُ الرَّجُلَ
يَدْخُلُ فِي خَرَقٍ أَنْفِهِ ذَبَابٌ ، فَيَجُولُ فِي أَوَّلِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمُوتَ [مَا حَاضِي]

(١) ط ، س : « المشاء » .

(٢) هو أبو علي محمد بن حرب الملقب ، كان من أعلام متكلمي الخوارج ، وكان من اليفاء
الأيثاء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه
الملاحظ في غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من المقارب صغار تخرج أذنانها ، ومن أشد العقارب فتكا .

ط ، س : « والجرار » ، وهي حل الصواب في ل .

(٤) ط : « ولا تضرهم » محرفة .

روثة أنفه وأرنبته^(١) فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالتفخر وشدة النفس ولم يكن له هناك لبث ، ولا كان منه عضو ، وليس إلا ما مس^(٢) بقوامه ١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في^(٣)] ذلك المكان من أنفه ، من الدغدغة والأكال^(٤) والحكة ، ما لا يصنع الخردل^(٥) وبصل الترجير ، ولبن الثين . فليس يكون ذلك منه إلا وفي طبعه من مضادة طبايع الإنسان ما لا يبلغه مضادة شيء وإن أفرط .

قال : وليس الشأن في أنه لم ينخس^(٦) ، ولم يجرح ، ولم يئز^(٧) ولم يعرض ، ولم [يغمز] ، ولم يندش . وإنما هو على قدر منافرة الطبايع للطبايع ، وعلى قدر القرابة والمشاكل .

(١) روثة الأنف : طرف الأوتية . والأرنية : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » وصحته في ل .

(٢) ط : « بما » وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالكسري ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريق ما روى داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأنسجى . ويدل هذه الكلمة في ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « يغمش » .

(٧) ط ، س : « يئمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجد الإنسان يغمُّ يَنْقُضُ^(١) الفتيلة وصوتها عند قرب انطفاء النار ، [أ] ولـبعض البلبل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصوت بالشديد^(٢) ، ولكن الغتَامَ به ، والتكرُّه له ، يكون في مقدار ما يعرّيه من أشد الأصوات . ومن ذلك المكروه الذى يدخل على الإنسان من غطيط الثَّامِ ، وليست تلك الكراهة لعلِّ الشَّدَّةِ والصَّلابة ، ولكن من قِبَلِ الصَّوَرَةِ والمقدار ، وإن لم يكن من قبل الجنس^(٣) . وكذلك صوت احتكاك الآجُرِّ الجديدِ بعِضِهِ ببعض ، وكذلك شجر الآجَامِ على الأجراف^(٤) ؛ فإنَّ النفسَ تكرهه كما تكره صوت الصَّاعِقَةِ . ولو كان على ثِقَةٍ من السلامة من الاحتراق ، لما احتفل بالصَّاعِقَةِ ذلك الاحتفال . ولعلَّ ذلك الصوت وحده الآ يقتله^(٥) . فأما الذى نشاهد اليوم الأمر عليه ، فإنه متى قرب منه قتله . ولعلَّ ذلك إنما هو لأنَّ الشَّيْ إذا اشتدَّ صَدْمُهُ^(٦) فَسَخَّ القوَّةَ

(١) تنقضت الفتيلة : صوت . وهذه الكلمة محرقة في الأصل ، فهي في ط :

« ينقض » ، وفي س ، ل : « ينقض » .

(٢) ط : « بالثر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجرة ، وهى الشجر الكثير المثلث . والأجراف : جمع جرف بالضم

ويصمتين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والثر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذي فيه ^(١) الإنسان والمحيط [به] أن يحمى ويستحيل نارا ^(٢) ؛
للذي قد شارك ذلك الصوت من النار . وهم لم يجدوا الصوت ^(٣) شديدا جدا
إلا ما خالط منه النار .

(ما يقتات بالذباب)

وقال ابن حرب : الذبَّان قوتُ خلقٍ كثيرٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ ،
وهو قوتُ الفرايج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخلد ^(٤) ، وضروب
كثيرة من الممَّج ، هج الطير ، وحشرات السباع ^(٥) . فأما الطير والسودانيات ^(٦) ،
والحصانيات ^(٧) ، والشاهمركات ^(٨) ، وغير ذلك من أصناف الطير ، وأما
الضباع - فإنها تأكل الجيف ، وتدع في أفواهها فضولا ، وتفتح أفواهها

(١) ل : « في » .

(٢) كذا في ل واللسان (صق ٦٧) . وفي س : « يستحر » وفي ط : « ويسعحر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، يتحدث عنها الجاحظ في (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزرايزر . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) في القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحصانيات » ، تصحيف

صوابه في ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمريج كما ورد في المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل

الساقين . بهذا فسرهُ شيخ المحققين الأب أنستاس ماري في رسالة إل . وقال : « هو بالفرنسية :

Echassier ، وبالمعنى المتقدم في الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة

وفسرت خطأ في (١ : ٢٨) . وقد حله الجاحظ من الحيوان أكل الحيات

(١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

لِلذَّبَّانِ ، فَإِذَا احْتَشَتْ ضَمَّتْ عَلَيْهَا . فَهَذِهِ إِتِمَامُ تَصْيِيدِ الذَّبَّانِ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ
الْإِخْطَافُ وَالْإِخْتِلَاسُ ، وَإِعْجَالُهَا عَنِ الرُّوثِ إِذَا تَلَقَّطَتْهُ بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ ،
أَوْ كِبَعْضِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ إِطْبَاقِ الْقِمِّ عَلَيْهَا .

(صَيْدُ اللَّيْثِ لِلذَّبَّانِ)

فَإِذَا الصَّيْدُ الَّذِي لَيْسَ لِلْكَلْبِ ، وَلَا لَعَنَاقِ الْأَرْضِ ^(١) ، وَلَا لِلْفَهْدِ ،
وَلَا لثِيءٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِثْلُهُ فِي الْخِزْقِ وَالْخَنْقِ وَالْمُدَارَةِ ، وَفِي صَوَابِ
الرُّوثَةِ ، وَفِي التَّسَدُّدِ وَسُرْعَةِ الْخُطْفِ ، [فَلَيْسَ ^(٢)] مِثْلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ اللَّيْثُ
وَهُوَ الصَّنْفُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الْعَنَاقِبِ بِصَيْدِ الذَّبَّانِ ^(٣) ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ إِذَا عَابَنَ
الذَّبَّانُ سَاقِطاً ، كَيْفَ يُلْطَأُ ^(٤) بِالْأَرْضِ ، وَكَيْفَ يَسْكُنُ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ
لِلرُّوثَةِ ، وَكَيْفَ يُؤَخَّرُ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الْفِرَّةِ ، وَكَيْفَ يَرْبِهَا أَنَّهُ عَنْهَا لَا ؛ ١٠٥
فَإِنَّكَ تَرَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً لَمْ تَرِ مِثْلَهُ مِنْ قَهْدٍ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ الْقَهْدُ
مَوْصُوفاً مَنَعُوتاً .

-
- (١) عَنَاقِ الْأَرْضِ : دَابَّةٌ نَحْوُ الْكَلْبِ الصَّغِيرِ تَصِيدُ صَيْداً حَسَناً . الْحَيَوَانُ (٦ : ٣٥٢)
فِي الْأَصْلِ : « لَعَنَاقٌ » بِالتَّاءِ ، وَهُوَ خَطَأً .
(٢) لَيْسَ بِالْأَصْلِ . وَالْكَلَامُ فِي حَاجَةِ إِلَيْهَا .
(٣) لَ : « وَهُوَ صَنْفٌ مِنَ الْعَنَاقِبِ » .
(٤) لُطَأَ بِالْأَرْضِ ، كَنَعَ وَفَرَجَ : لَسَقَ . ط ، س : « يُلْطَى » .

واعلم أنه قد ينبغي ألا يكون في الأرض شيء أصيد منه ؛ لأنه لا يطير ، ولا يصيد إلا ما يطير ! ويصيد طائراً شديداً الحذر ، ثم يصيد صياداً ! لأن الذباب يصيد البعوض . وخديعتك للخداع أعجب ، ومكرتك بالمكر أغرب ! فكذلك يكون صيد هذا الفن ^(١) من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزناير للذباب)

وزعم الجرداني ^(٢) أن الوزغ يحتل الذبان ، وتصيدُها صيداً حسناً شبيهاً بصيد الأليث .

قال : والزنبور حريص على صيد الذبان ، ولكنه لا يطمع فيها إلا أن تكون ساقطة على خرجه ، دون كل تمر وعسل ؛ لشدة عجبها بالخرجه ، وتشاغلها به ! فعند ذلك يطمع فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجرداني ^(٣) وتابعه كيسان : أن الفهد إنما أخذ ذلك عن الأليث . ومتى رآه ^(٤) الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه ؟ ! فظننت أنهما قلدا في ذلك بعض من إذا مدح شيئاً أسرف فيه .

(١) الفن : القنرب والنوع . ل : « الفن » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبهذا في س : « الجرداني » .

(٣) س : « الجرداني » . ل : « الجرداني » .

(٤) ل : « وحش » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أَنَّ السَّيِّعَ الصَّبِيَّوَدَ إِذَا كَانَ مَعَ سَبْعٍ هُوَ أَصْبَهُ مِنْهُ ، تَعَلَّمَ مِنْهُ وَأَخَذَ عَنْهُ . وَهَذَا لَمْ أَحَقِّقْهُ . فَأَمَّا الَّذِي لَا أَشْكُ فِيهِ فَأَنَّ الطَّائِرَ الْحَسَنَ الصَّوْتِ الْمَلْحَنَ ، إِذَا كَانَ مَعَ نَوَاحٍ [الطَّيْرِ] ^(١) وَمَغْنِيَاتِهَا ، فَكَانَ بِقَرْبِ الطَّائِرِ ^(٢) مِنْ شِكْلِهِ ، وَهُوَ أَحْذَقُ مِنْهُ [وَأَكْرَزُ] ^(٣) وَأَمْهَرُ ، جَاوِبُهُ وَحَكَاهُ ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، أَوْ صَنَعَ شَيْئًا يَقُومُ مَقَامَ التَّعَلُّمِ .

(تعليم البراذين والطيور)

وَالْبِرَذَوْنَ يُرَاضُ فَيَعْرِفُ مَا يَرَادُ مِنْهُ ، فَيَعِينُ عَلَى نَفْسِهِ . وَرَبَّمَا اسْتَأْجَرُوا لِلطَّيْرِ رَجُلًا يَعْلَمُهَا . فَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا فِي الْبِلَابِلِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُدْصَى لَهَا فَيَطَارِحُهَا مِنْ شَكْلِ أَصْوَاتِهَا .

(ما يختلج الأصوات واللحون من الطيور)

وَفِي الطَّيْرِ مَا يَخْتَلِجُ الْأَصْوَاتَ وَاللَّحُونَ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا قَطُّ مِنَ الْمُؤَلِّفِ لِلْحَوْنِ مِنَ النَّاسِ ؛ فَلِئَنَّهُ رُبَّمَا أَنْشَأَ لِحَنًا لَمْ يَمِرَّ عَلَى أَسْمَاعِ ^(٤) الْمَغْنِيِّينَ قَطُّ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أسبق .

(٤) ط : « سماع » .

واسكز مايجدون ذلك من الطير في القارى ، وفي السودانيات ^(١) ، ثم
في الكرازة ^(٢) . وهى تأكل الذبان أكلاً ذريعاً .

(الأجوج من الحيوان)

ويقال إن الأجاج في ثلاثة أجناس من بين جميع الحيوان : الخنفساء ،
والذباب ، والدودة الحمراء ، فإنها في إبان ذلك تروم الصعود إلى السقف ،
وتمر على الحائط الأملس شيئاً قليلاً فاسقط وتعود ، ثم لا تزال تزداد شيئاً
ثم تسقط ، إلى أن تمضى إلى باطن السقف ، فربما سقطت ولم يبق عليها إلا
مقدار إصبع ، ثم تعود .

(لجاجة الخنفساء واعتقاد المغاليس فيها)

والخنفساء ثقيل قبل الإنسان فيدفعها ، فتبعد بقدر تلك الطردة والدفعة
ثم تعود أيضاً ، فيصنع بها أشد من تلك ثم تعود ، حتى ربما كان ذلك سبباً
لغضبه ، ويكون غضبه سبباً لقتلها .

(١) السودانيات : الترازير .

(٢) الكرازة : جمع كرت ، كقبر ، وهو الهازى . ط ، س : « الكرازة »
وهو مخريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتى سقط إلى المفاليس ^(١) أن ^٦
الخنافس تجلب الرزق . وأن دنوها دليل على رزق حاضر : من صيلة
أو جائزة ، أو ربح ، أو هدية ، أو حظ . فصارت الخنافس إن دخلت
في قمصهم ثم نفذت إلى سراويلهم لم يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثر
ما عندهم اليوم الدفء لها ببعض الرفق . ويظن بعضهم أنه إذا دافعها ^(٢)
فعدت ، ثم دافعها ، فعدت ، ثم دافعها فعدت - أن ذلك كلما كان
أكثر ، كان حظها من المال الذي يؤمله عند مجيئها أجزل ^(٣) .

فانظر ، أية واقية ، وأية حافظة ^(٤) ، وأى حارس ، وأى حصن أنشأه
لها هذا القول ^(٥) ! وأى حظ [كان] لها حين صدقوا [بهذا الخبر]
هذا التصديق ^(٦) ! والطمع هو الذى أثار هذا الأمر من مدافنته ^(٧) ، والفقير
هو الذى اجتلب ^(٨) هذا الطمع واجتلبه . ولكن الويل لها إن ألحّت على
غنى عالم ، وخاصة إن كان مع جلدته وعلمه حديداً عجولاً ^(٩) .

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المفاليس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » في مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « أية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا

القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا في ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « مواقية » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه البشارة ساقطة من ل . والجدة ، كلمة : الفنى واليسار . وفي الأصل :

« مع حلوته » .

(اعتقاد العامة في أمير الذبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنينِ ^(١) الملحُّ في ذلك ،
الجهيرَ الصوت ، الذي تسميه العوامُ : « أمير الذبّان » ، فكانوا يحتالون
في صرفه ^(٢) وطرده [وقلته] ، إذا أكرههم بكثرة طنينه وزَجَلِه وهماهم ^(٣)
فإنه لا يفتَر ^(٤) . فلما سقط إليهم أنه مبشّرُ بقلوم غائبٍ وُبرء سقيم ، صاروا ^(٥)
إذا دخل المنزل وأوسعهم شراً ، لم يهجه أحدٌ منهم .

وإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يُنمِّيَ في أجلٍ شيءٍ من الحيوان هيئاً لذلك
سبباً ، كما أنه إذا أراد أن يقصر عمره [ويحينَ يومه] هيئاً لذلك ^(٦) سبباً .
فغالى الله علواً كبيراً !

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى إلحاح الذبّان .

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ونلفظ « الطنين » هي في ط ، س :
« البطن » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بئى .

(٣) هماهم : جمع هممة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أى لا يسكن ولا ينقطع عن الطنين . ط : « يفتَر » وصوابه في ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوار وإلحاق الذباب)

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار^(١) ، لم ير الناس حاكماً قط ولا زميئاً ولا ركيناً^(٢) ، ولا وقوراً حليماً ، ضبط من نفسه ومملك من حركته مثل الذي ضبط ومملك . كان يصلّي الغداة في منزله ، وهو قريب الدار من مسجده ، فيأتي مجلسه فيحتجى ولا يتكئ ، فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ، ولا يلتفت ، ولا يحل حبوته^(٣) ولا يحول رجلاً عن رجل^(٤) ، ولا يعتمد على أحد شقيقه ، حتى كأنه بناء مني ، أو صخرة منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتى يقوم إلى صلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك^(٥) حتى يقوم إلى العصر ، ثم يرجع مجلسه ، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد إلى عمله ، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة المهود والشروط والوثائق ، ثم يصلّي العشاء [الأخيرة^(٦)] وينصرف . فالحق يقال : لم يقم

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة النخعي البصري . وسبق ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار في ٢ : ١٨٧ . والقصّة رواها المرتضى في في أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والركبت كسكت : العظيم القوار . والركن الرزين .

(٣) الحبوّة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بسلامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلاً على رجل » وأثبت ما في ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتى يقوم » ساقطة من ل ، وانحار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأول هي المغرب .

في طول تلك المدَّة والولاية مرَّة واحدة إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ،
 ١٠٧ ولا شربَ ماء ولا غيره من الشراب . كذلك كان شأنه في طوال الأيام
 وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها^(١) . وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا
 يُشير برأيه . وليس إلّا أن يتكلم لَمْ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني
 الكثيرة [٢] . فينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه ، وفي السماطين^(٣)
 بين يديه ، إذ سقطَ على أنفه ذبابٌ فأطال المكث ، ثمَّ تحوّل إلى مؤقٍ
 عينه^(٤) ، فرام^(٥) الصبر في سقوطه على المؤق ، وعلى عضه ونفاذ خرطومه
 كما رام^(٦) من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته ،
 أو يغضن^(٧) وجهه ، أو يذبّ بإصبعه . فلما طال ذلك عليه من الذباب
 وشغله وأوجده وأحرقه ، وقصدَ إلى مكانٍ لا يحتمل التغافل ، أطبقَ جفنه
 الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن والى^(٨) بين الإطباق
 والفتح ، فتفتحى ريثماً سكنَ جفنه ، ثمَّ عاد إلى مؤقه بأشدّ من مرته الأولى
 فقمّسَ خرطومه في مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك ، فكان احتمالُه له

(١) كلمة : « في » ساقطة من ل في الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السباط ، بالكسر : الصف .

(٤) في الأصل : « عينيه » ، وأثبت ما في الثمار . والمؤق : طرف العين بما يلي الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التبيين السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غضوتا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يقبض »

بمعنى يخفض . وفي الثمار : « يقبض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت ما في ل وثمار .

أضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى ^(١) ، فحرّك أجماعه وزاد في شدّة الحركة وفي فتح العين ^(٢) ، وفي تتابع الفتح والإطباق ، فتنحى عنه بقدر ماسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده . فلم يجد بداً من أن يذبّ عن عينيه بيده ، ففعل ، وعيون القوم إليه ترمقه ، وكأثم لا يروّنه ^(٣) ، فتنحى عنه بقدر ما ردّ يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، ثم ألجأه إلى أن يذبّ عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن فعله كلّه بعين من حصره من أمنائه وجلسائه . فلما نظروا إليه قال : أشد أن الذباب ألح ^(٤) من الانحناس ، وأزهى من الغراب ! وأستغفر الله ! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عزّ وجلّ أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً ! وقد علمت أنّي عند الناس من أزمّت الناس ^(٥) ، فقد غلبني وقصّحتي أضعف خلقه ! ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل » ، وصوابه في ل . ونحو منه ما في التمار .

(٢) ط ، س : « وألح في فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست في التمار . وليس ما يمنع بقاها . و « يروّنه » هي في الأصل « يريونه » ، وتصحيحه من التمار .

(٤) كذا في الأصل : « ألح » بالحاء كما في أمثال المدياني ٢ : ١٨٠ . و يروى بالميم ، كما في التمار وكما سيأتي في ص ٥٠٠ .

(٥) أزمّت الناس : أي أشدّهم وقاراً وسكوناً . ط : « أضعف » ووجهه في س ، ل . وفي التمار : « أوزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هي في ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بينَّ اللسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مهيباً في أصحابه ،
وكان أحدَ من لم يَطْعَنَ عليه في نفسه ، ولا في تريض أصحابه للمَنَالَةِ ^(١) .

(قِصَّةُ فِي إِحْلَاحِ الذَّبَابِ)

فأَمَّا الَّذِي أَصَابَنِي أَنَا مِنَ الذَّبَّانِ ، فَأَنِّي خَرَجْتُ أَمْشِي فِي الْمَبَارِكِ ^(٢)
أُرِيدُ دَيْرَ الرِّبِيعِ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَفَرَدْتُ فِي عَشْبٍ [أَشْبٍ] ^(٣)
وَنَبَاتٍ مُلْتَفٍّ كَثِيرٍ الذَّبَّانِ ، فَسَقَطَ ذَبَابٌ مِنْ تِلْكَ ^(٤) الذَّبَّانِ عَلَى أَنْفِي ،
فَطَرَدْتُهُ ، فَتَحَوَّلَ إِلَى عَيْنِي ^(٥) [فَطَرَدْتُهُ ، فَعَادَ إِلَى مُوقِ عَيْنِي] ، فَزِدْتُ
فِي تَحْرِيكِ يَدَيَّ فَفَتَحَتْنِي عَنِّي بِقَدْرِ شِدَّةِ حَرَكَتِي ^(٦) وَذَبْنِي عَنْ عَيْنِي - وَلِلذَّبَّانِ
السَّكَلَا وَالْفِيَاضِرِ وَالرِّيَاضِرِ وَقَعٌ لَيْسَ لغيرها - ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَعُدْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
١٠٨ عَادَ [إِلَيَّ] فَعُدْتُ بِأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَادَ اسْتَعْمَلْتُ كُمِّي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنْ
وَجْهِ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأَنَا فِي ذَلِكَ أَحْتُ السَّيْرِ ، أَوْمَلُ بِسُرْعَتِي انْقِطَاعَهُ عَنِّي ^(٧)
فَلَمَّا عَادَ نَزَعْتُ طَبْلَسَانِي ^(٨) مِنْ عُنْتِي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنِّي بَدَلُ كُمِّي ، فَلَمَّا

(١) المَنَالَةُ : مصدر نلت أنال .

(٢) المَبَارِك : اسم نهر بالبصرة احتضره خالد بن عبد الله القسري . ويعني فيه :

أَي فِي شَامِلِهِ . ط ، س : « مِنْ عِنْدِ ابْنِ الْمَبَارِكِ » .

(٣) أَشْبٍ : أَي مُلْتَفٍّ . وَكَلِمَةُ « عَشْبٍ » سَائِقَةٌ مِنْ ل .

(٤) ط ، س : « ذَلِكَ » .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « فَطَرَدْتُهُ فَلَمْ أَقْدِرْ فَتَحَوَّلَ إِلَى عَيْنِي » .

(٦) ل : « فَخَفَضْتُ عَلَى قَدْرِ شِدَّةِ حَرَكَتِي » .

(٧) ل : « أَحْتُ السَّيْرِ » وَهِيَ سَقَطَ مِنْهَا « أَوْمَلُ بِسُرْعَتِي » .

(٨) الطَّبْلَسَانُ : كِسَاءٌ مَدُورٌ أَخْضَرٌ ، لَحْمُهُ أَوْ سِدَاهُ مِنْ صَوْفٍ ، يَلْبِسُهُ
الْخَوَاصُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَافِيخِ ، وَهُوَ مِنْ لِبَاسِ الْعَجَمِ ، وَهُوَ لَفْظٌ مَرْبُوبٌ
مِنْ تَالِسَانَ الْفَارَسِيَّةِ .

عَاوَدَ ولم أَجِدْ لَهُ حِيلَةً اسْتَعْمَلْتُ الْعَدُوَّ ، فَعْدَوْتُ مِنْهُ شَوْطاً [تَأَمَّناً] لم أَكَلِفْ مِنْهُ مَذَكَّتُ صَبِيئاً ، فَتَلَقَّانِي الْأَنْدَلُسِيُّ فَقَالَ لِي : مَا لَكَ يَا أَبَا عُمَانَ ! هل مِنْ حَادِثَةٍ ؟ قلت : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريدُ أَنْ أَخْرَجَ مِنْ مَوْضِعٍ لِلذَّبَّانِ عَلَى فِيهِ سُلْطَانٌ ! فَضَحِكْ حَتَّى جَلَسَ . وَانْقَطَعَ عَنِّي ، وَمَا صَدَّقْتُ بِانْقِطَاعِهِ عَنِّي حَتَّى تَبَاعَدَ ^(١) جَدًّا .

(ذَبَّانُ الْمَسَاكِرِ)

وَالْمَسَاكِرُ أَبْدَأُ كَثِيرَةَ الذَّبَّانِ . فَإِذَا ارْتَحَلُوا لَمْ يَرِ الْمَقِيمُ بَعْدَ الظَّاعِنِ مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرَ .

وَزَعِمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمَسَاكِرَ ، وَيَسْقُطُونَ عَلَى الْمَتَاعِ ، وَعَلَى جَلَالِ ^(٢) الدَّوَابِّ ، وَأَعْجَازِ الْبَرَاذِيرِ الَّتِي عَلَيْهَا [أَسْبَابُهَا ^(٣)] حَتَّى تَوْدِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْآخِرِ .

[وَ] قَالَ الْمَكِّيُّ ^(٤) : يَتَّبِعُونَنَا لِيُؤْثِرُونَا ، ثُمَّ لَا يَرْكَبُونَ إِلَّا أَعْنَاقَنَا وَجَوَابِنَا ^(٥) !

(١) ل : « تَبَاعَدَتْ » .

(٢) الْجَلَالُ : جَمْعُ جَلٍّ بِالْفَهْمِ وَبِالْفَتْحِ ، وَهُوَ مَا تَلْبِسُهُ الدَّابَّةُ لِمَصَانِ بِهِ .

(٣) كَذَا فِي س . وَبِهَذَا قَوْلُ : « أَرَبَابُهَا » .

(٤) هَذَا حِكَايَةٌ مِنَ الْجَاهِلِ الْقَطْرِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ اسْمُهَا خَسِيرٌ الْمَاقِلُ الْغَيْرُ .

(تَحْلُقُ الذُّبَابُ - ١ -)

ويقول بعضهم: بل إنما يتحلَّق من تلك العُفُوناتِ والأبْحُرَةِ والأنفاسِ،
فإذا ذهبَت فَنَبَتْ مع ذهابها^(١) ويزعون أَنَّهُم يعرفون ذلك بكثرةِها
في الجنائبِ، ويقلِّتها في الشَّائِلِ^(٢).

قالوا: وربما سدَّدنا فَمَ الآنيةَ التي فيها الشرابُ بالصَّيَامةِ، فإذا
نزعناها وجدنا [هناك] ذباباً صفاراً.
وقال ذو الرِّمَّةِ^(٣):

وَأَبْقَنْ أَنَّ الْقَنْعَ صَارَتْ نِطَافُهُ^(٤) فَرَأَشُ وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوُ وَيَابِسُ
[القَنْعُ: الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء^(٥)]. والفراش: الماء الرقيق
الذي يبقِي في أسفل الجِياضِ.]

وأخبرني رجلٌ من قميف، من أصحاب النِّبْيِذ أَنَّهُمْ [رُبَّمَا] فلقوا السُّفْرَجِلَةَ
أَيَّامَ السُّفْرَجِلِ لِلنَّقْلِ^(٦) والأكل، وليس هناك من صفار الذُّبَابِ شيءٌ ألبَنَ

(١) كذا في ل. وفي ط، س: « فإذا ذهب ذلك خف ».

(٢) الجنائب: جمع جنوب. وهي الرياح الجنوبية. والشَّائِل: جمع شال، بالفتح، وهي
الريح الشَّالِيَّة. ل: « في الشَّالِ ».

(٣) يصف الحمر الوحشية. ديوانه ٣١٣.

(٤) النطاف: جمع نطفة، وهي هنا الماء الكثير. وتقال أيضاً الماء الثقيل،
بل هو الأكثر. ط، س: « نطافة » ووجهه في ل.

(٥) النقران: جمع نقر. و « يجتمع » هي في الأصل: « يجمع »، والتضخيم بعده مخالف
للاستشهاد. وانظر مسيأتي في ٤٠٤.

(٦) النقل بالفتح: ما ينتقل به على الشراب، وهو ما يعث به الشراب على شربه.

ولا يُعَدُّهُمْ أَنْ يَرَوْا عَلَى مَقَاطِعِ السَّفَرِ جُلُ ذُبَاباً صَغَاراً . وَرَبَّمَا رَصَدُوهَا وَتَأَمَّلُوهَا ، فَيَجِدُونَهَا تَعْظُمُ حَتَّى تَلْحَقَ بِالْكِبَارِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ .

(حَيَاةُ الذُّبَابِ بَعْدَ مَوْتِهِ)

قال : وفي الذُّبَابِ طَبْعُ الْجَعَلِ ، فهو طَبْعٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ . وَلَوْلَا أَنَّ الْعَيْنَ قَهَرَ أَهْلَهُ لَكَانُوا خُلُقَاءَ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَبَرَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ الْجَعَلَ إِذَا دُفِنَ فِي الْوَرْدِ ^(١) مَاتَ فِي الْعَيْنِ ، وَفَنِيَتْ حَرَكَاتُهُ كُلُّهَا ، وَعَادَ جَامِداً تَارِزاً ^(٢) . وَلَمْ يَفْصِلِ النَّاطِرُ إِلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَعْلِ الْمَيِّتِ ، مَا أَقَامَ عَلَى تَأَمُّلِهِ ^(٣) . فِإِذَا أُعِيدَ إِلَى الرُّوْثِ عَادَتْ إِلَيْهِ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ مِنْ سَاعَتِهِ ^(٤) .

وَجَرَّبْتُ أَنَا [مِثْلَ] ذَلِكَ فِي الْخَنَفْسَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ فِيهَا قَرِيباً مِنْ صِفَةِ الْجَعْلِ ، وَلَمْ يَلِغْ كُلُّ ذَلِكَ [إِلَّا ^(٥)] لِقَرَابَةِ [مَا] بَيْنَ الْخَنَفْسَاءِ وَالْجَعْلِ . وَدَخَلْتُ يَوْماً عَلَى ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْرَجَ إِبْجَانَةً ^(٦) كَانَ فِيهَا مَاءٌ مِنْ غَسَالَةِ أَوْسَاحِ الثِّيَابِ ، وَإِذَا ذُبَابٌ كَثِيرَةٌ قَدْ تَسَاقَطْنَ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَكُوْنَتْ ^(٧) . هَكَذَا كُنْ ^(٨) فِي رَأْيِ الْعَيْنِ . فَقَبَّرَنَ كَذَلِكَ

(١) ط : « المورِد » وصوابه في ل ، س . وانظر ماسبق في (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليابس الذي لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإِجَانَةُ : الوعاء يفصل فيه الثياب . في الأصل : « من إِجَانَةٍ » ، والوجه حذف

« من » .

(٧) يقال يموت البواب تمويثاً : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س :

« قتن » .

(٨) كذا في ل ، س . وفي ط : « كان » أي كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وَلَيْلَتَيْنِ ، وَالْعَدَّ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، حَتَّى انْتَضَحْنَ وَعَفْنَ^(١) واسترخين ؛ وإذا ابن أبي كريمة قد أعدَّ آجُرَةً جديدة^(٢) ، وفُتَاتَ آجُرٍ جديد ، وإذا هو يأخذ الخمسَ مِنْهُنَّ^(٣) ، ولست ، ثُمَّ يَضْمُهُنَّ عَلَى ظَهْرِ الْآجُرَةِ الجديدة ، ويدُرُّ عليهنَّ من دَقَاقِ ذَلِكَ الْآجُرِ الْجَدِيدِ المدقوقِ بقَدْرٍ ما يَنْمُرُهَا فلا تلبث أن يراها^(٤) قد تَحَرَّكَتْ ، ثُمَّ مَشَتْ ، ثُمَّ طَارَتْ ، إِلَّا أَنَّهُ طَيْرَانٌ ضَعِيفٌ .

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبي كريمة يقول : [لا] والله ، لادفنتُ ميتاً أبداً حَتَّى يَنْتِنَ ! قلت : وكيف [ذاك] قال : إنَّ غلامِي هذا نُصِيراً ماتَ ، فَأَتَحَرَّتْ دَفْنُهُ لبغضِ الأمرِ ، فقدم أخوه تلك اللَّيْلَةَ فقال : ما أظنُّ أخِي ماتَ ! ثُمَّ أَخَذَ فتيلتين ضخمتين ، فروَّاهما دَفْنًا ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِمَا النَّارَ ، ثُمَّ أَطْفَأَهُمَا وَقَرَّبَهُمَا إلى منخرِبه ، فلم يلبث أن تَحَرَّكَ . وها هو ذا قد تراه ! قلت له : إن أصحاب الحروب [والذين يفسلون الموتى] والأطباء ، عندَهم في هذا دَلالاتٌ وعلامات فلا تحمل على نفسك في واحدٍ من أولئك ألا تسترَّه بالدفن حتى يَجِيفَ :

(١) ل : « وعفن » .

(٢) ل : « أجراً جديداً » .

(٣) ل : « منها » .

(٤) س : « تراها » ل : « تراها » .

والمحبوس يقربون الميتَ من أنف الكلب ، ويستدلون بذلك على أمره .
فعلمت أن الذي عايناه ^(١) من اللذان قد زاد في عزمه .

(النمر)

والنمر : ضرب من اللذان ، والواحدة نمرّة . وربما دخلت في أنف
البعير أو السبع ، فيزِمُّ بأنفه ^(٢) ، للذي يلقي من المكروه بسببه . فالعربُ
تشبّه ذا الكبر من الرجال إذا صعر خده ، وزِمَّ بأنفه - بذلك البعير في تلك
الحال . فيقال عند ذلك : « فلان في أنفه نمرّة » ، وفي أنفه خنزوانة ^(٣) .
وقال عمر ^(٤) : « والله لا أقطعُ عنه أو أطير ^(٥) نمرته » .

ومنها التّمع ، وهو ضرب من ذبان الكلاء . وقال أوس ^(٦) :
ألم رَ أن الله أنزلَ مُزَنه ^(٧) وغفرَ الظباءَ في الكناسِ تَقَمُّع ^(٨)
وذلك مما يكون في الصيغ وفي الحرّ .

(١) ل : « عاينه » .

(٢) زِم البعير بأنفه : وقع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه »
وليس هناك .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) لا أقطع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه في ط ، ل ونهاية ابن الأثير .

(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .

(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه
الأخيرة جاءت الرواية في الديوان .

(٧) النمر : جمع أوفر ، وهو الظبي يملو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع :
أن تحرك وحوشها لتطرد القمق .

(أذى الذبّان للدوابّ)

والذبّان جُنْدٌ من جند الله شديد الأذى. وربما كانَ أضرَّ من الدُّبُرِ^(١)
 في بعضِ الزّمان ، وربما أنت على القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تنفّسُ^(٢)
 الدوابَّ حتّى تضربَ بأنفسها الأرض - وهى فى المفاوز - وتسقط ، فهلك
 أهل القافلة ؛ لأنهم لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم . وكذلك تُضْرِبُ
 الرُّعَاءُ^(٣) يابلهم ، والجبالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يستلُكُها^(٤)
 صاحبُ دابة ، ويقول بعضهم لبعض : بادِرُوا قَبْلَ حَرَكََةِ الذبّان ، وقبل
 أنْ تتحرك ذبّان^(٥) الرِّياض والكلأ !

والزّناير لا تكادُ تدبُّ^(٦) إذا سمعت بأذنابها . والذبّان تغمس
 خراطيمها فى جوفِ لحوم الدوابّ ، وتخرق الجلود الغلاظ حتى تنزفَ الدّمَ
 نزفا . ولها مع شدّةِ الوقعِ مسمومٌ . وكذلك البعوضة ذاتُ سمٍّ ، ولو زِيدَ
 ١١٠ فى بَدَنِ البعوضة وزِيدَ فى حرّةِ لسعها إلى أن يصيرَ بَدَنُها كبَدَنِ الجرّارة^(٧) -
 فلَها أصغرُ العقارب^(٨) - لما قام له شيء ، ولكانَ أعظمُ بليّةٍ من الجرّارة

(١) الدبر ، بالفتح : جماعة النمل والزناير . ويقال بالكسر أيضا .

(٢) س : « تنفس » بحركة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلُكها » .

(٥) جاء فى ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س : « ترى » وصوابه فى ل .

(٧) الجرارة سبق تفسيرها فى ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها فى ل ، س .

(٨) كلها الصواب فى ل . وفى ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبة^(١) أضغافاً كثيرة . وربما رأيت الحمار وكأنه مُمَقَّر^(٢) أو معصر .
وَأُتْسِمَ^(٣) مع ذلك ليجلّون حُرْمَها ، وما يدعون موضعاً إلا
ستروه بجهدهم ، فربما رأيت الحمير وعليها الرجال [فيما بين عَيْدَمِي^(٤)
والمدار^(٥)] بأيديهم المناخس والمذاب^(٦) ، وقد ضربت بأنفسها الأرض^(٧)
واستسلمت للموت . وربما رأيت صاحب الحمير^(٨) إذا كان أجيراً يضربها
بالعصا بكلّ جهده ، فلا تنبث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعر عنده خطر . ولقد رأيت دُباباً سقط
على صالفة^(٩) حمار كان تحتي ، فضرب بأذنيه ، وحرك رأسه بكلّ

(١) ط : « الجرادة النصيبة » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبة : نبة إلى نصيين ، وهي مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : « سبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرها فاستصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماه بها في العرادات والقوادر ، فتعلأ القارورة وتدفع بالمرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) مخر : مصبورغ بالفرقة ، وهي بالفتح وبالكسر : صبيغ أحمر طين ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « مخر » ، ل : « مخر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « قُلْهُمْ » .

(٤) عيسى ، كما في معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، غربها العرب ويق اسمها على ما كان حولها من العساة .

(٥) المدار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المسكاري » . والمسكاري : الذي يكره دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) الصالفة : ما تقدم من العتق .

جهده^(١) ، [و^(٢)] أنا أنأمله وما يطلع عنه ، فعَمَدْتُ بالسُّوطِ لِأَنْجِيهِ به^(٣)
فزا عنه ، ورأيت مع نزوه عنه الدَّم^(٤) وقد انفجر ؛ كأنه كان يشرب
الدَّمَ وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نَحَاهُ طلع .

(ونيم الذباب)

وتزعمُ العامةُ أَنَّ الذَّبَّانَ يَحْمَرُّ [عَلَى] ماشاء^(٥) قالوا : لأنَّ نراه يَحْمَرُّ
عَلَى الشَّيْءِ الْأَسْوَدَ أَيْضًا ، وعلى الْأَيْضِ أَسْوَدَ .

ويقال قد ونِمَ الذَّبَابُ - في معنى خَرَى الإنسان - وعَرَّ الطَّائِرُ^(٦) ،
وصام النَّعَامَ ، وَذَرَقَ الْحِمَامَ . قال الشاعر^(٧) :

وَقَدْ وَنِمَ الذَّبَابُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّ وَنِيَمَهُ نَقَطُ الْمِدَادِ^(٨)
وليس طولُ كَوْنِهِ الْبَعِيرَ إِذَا رَكِبَ النَّاقَةَ ، وَالْخَنْزِيرَ إِذَا رَكِبَ الْخَنْزِيرَةَ ،
بِأَطْوَلِ سَاعَةٍ مِنْ لُبْسِ ذِكُورِهِ^(٩) الذَّبَّانَ عَلَى ظَهْرِ الْإِنَاثِ عِنْدَ السَّفَادِ .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يطلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنجيه » .

(٤) كذا في ط ، س . وبه في ل : « فزع نزوه عنه نزا الدم » .
نزا : وثب .

(٥) ل : « حل ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا حل الصواب في ل ، س . وفي ط « مرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما في المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب
١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(مَخْلُقُ الذُّبَابِ - ٢ -)

وَالذُّبَابُ مِنَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَكُونُ مَرَّةً مِنَ السَّفَادِ وَالْوِلَادِ^(١) ، وَمَرَّةً مِنْ تَعَفُّنِ الْأَجْسَامِ وَالْفَسَادِ الْحَادِثِ فِي الْأَجْرَامِ .

وَالْبَاقِلَاءُ^(٢) إِذَا عَتَقَ شَيْئًا فِي الْأَنْبَارِ^(٣) اسْتَحَالَ كُلُّهُ ذُبَابًا^(٤) ، فَرَبَّمَا أَغْفَلُوهُ فِي تِلْكَ الْأَنْبَارِ فَيَعُودُونَ إِلَى الْأَنْبَارِ وَقَدْ تَطَايَرَ مِنَ السَّكْوَى وَالْخُرُوقِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَنْبَارِ إِلَّا الْقَشُورَ .

وَالذُّبَابُ الَّذِي يَخْلُقُ مِنَ الْبَاقِلَاءِ يَكُونُ دُودًا ، ثُمَّ يَعُودُ ذُبَابًا . وَمَا أَكْثَرَ مَا تَرَى الْبَاقِلَاءَ مِثْقَبًا فِي دَاخِلِهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ مَسْحُوقٌ ، إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ خَلَقَ مِنْهُ الذُّبَابَ وَصَيَّرَهُ^(٥) . وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجِدُهُ فِيهِ تَأَمُّ الْمَخْلُوقِ . وَلَوْ^(٦) تَمَّ جَنَاحَاهُ لَقَدْ كَانَ طَارَ .

(١) الْوِلَادُ — بِالْكَسْرِ — أَحَدُ مَصَادِرِ وَلَدٍ يُلِدُ . ط ، س : « وَالْوِلَادَةُ » .

(٢) الْبَاقِلُ ، بِكَسْرِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ وَتَخْفُفِ ، وَالْبَاقِلَاءُ مَخْفُفَةٌ مَمْدُودَةٌ هِيَ الْفُلُوفُ . هَذِهِ هِيَ الْبَاقِلَاءُ النَّبْطِيَّةُ ، وَأَمَّا الْبَاقِلَاءُ الْمَصْرِيَّةُ فَهِيَ التَّرْمَسُ . وَالْأَوَّلُ هِيَ الْمُرَادَةُ ؛ لِارْتِبَاطِ الْعَرَابِيِّينَ بِالْأَنْبِاطِ .

(٣) الْأَنْبَارُ : بَيْوتُ الطَّعَامِ الَّتِي يَخْتِزِنُ فِيهَا ، وَاحِدُهَا نَبْرٌ بِالْفَتْحِ ؛ سَمِيََتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الطَّعَامَ إِذَا وَضِعَ فِيهَا انْتَبَر : أَيْ ارْتَفَعَ . وَمِنْهُ الْمَنْبَرُ لِارْتِفَاعِهِ . ط ، س : « الْأَنْبَاءُ » فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَرَدَّدَ فِيهِ هَذِهِ السَّكْمَةُ .

(٤) ذ : « ذُبَابًا » .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « خَلَقَ فِيهِ الذُّبَابَ وَطَيَّرَهُ مِنْهُ » .

(٦) ل : « وَلَمْ » تَحْرِيفٌ .

(حديث شيخ عن تخلق الذباب)

وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الحريرة^(١) قال : كنت أحب الباقلاء ، وأردت ، إما البصرة وإما بغداد - ذهب عني حفظه - فصرت في سفينة حملها باقلاء ، فقلت في نفسي : هذا والله من الحظ وسعادة الجلد ، ومن التوفيق والتسديد ، ولقد أربح من وقع له مثل هذا^(٢) الذي [قد] وقع لي : أجلس في هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فأكل منه نبيها^(٣) ومطبونها ، ومقلوا ، وأرض بعضه وأطحنه^(٤) ، وأجعله مرقا^(٥) وإداما ، وهو يغذو^(٦) غذاء صالحا ، ويُسمن ، ويزيد في الباه^(٧) . فابتدأت فيها أملتته ، ودفعنا السفينة ، فأنكرت كثرة الذباب . فلما كان الغد جاء منه ما لم أقدر معه على الأكل والشرب . وذهبت القائلة وذهب الحديث ، وشغلت بالذباب . على أنهم لم يكن يرحن بالذباب ، ولكن^(٨)

(١) الحريرة بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشيء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربع : أعصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) سهل « نيتا » . والقهر ، بالكسر : الذي لم ينجح .

(٤) الررض : القى . س : « أصنعه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفا في عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « ملقا » .

(٦) كذا في س . وفي ل ، ط : « يغذى » .

(٧) يقال الباه والباية : وفي الحديث : « من استطاع منك الباهة فليزوج » . جاء في س : « الباهة » ، وفي ل : « يزيهني الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَقْوَى عَلَيْهِمْ ، لِأَنِّي كُنْتُ لَا أُطْرِدُ مَائَةً حَتَّى يَخْلِفَهَا مَائَةٌ مَكَانَهَا . وَهُنَّ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجْنَ مِنَ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّ بَيْنَ زَمَانَةٍ ^(١) فَلَمَّا كَانَ طَيْرَانَهُنَّ أَسْوَأُ [كَانَ أَسْوَأُ] ^(٢) لِحَالِي ، فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : وَيْلَكَ ! أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ حَتَّى صَارَ الذَّبَابُ يَتَبِعُكَ ! قَدْ وَاللَّهِ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ ! قَالَ : [أ] وَلَيْسَ تَعْرِفُ الْقِصَّةَ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : [هِيَ وَاللَّهِ] مِنْ هَذِهِ الْبَاقِلَاءِ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ لَجَاءَنَا ^(٣) مِنَ الرُّكَّابِ كَمَا يَجِئُونَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ الْحُمُولَاتِ ^(٤) . وَمَا ظَنَنْتُهُ ^(٥) إِلَّا مِنْ قَدْ اغْتَضَرَ [هَذَا] لِلَّيْلِ الْكِرَاءِ ، وَحَبُّ الْفَرْدِ بِالسَّفِينَةِ . فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْرُبَنِي إِلَى بَعْضِ الْفَرَسِ ^(٦) ، حَتَّى أَكْرِيَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ ، فَقَالَ لِي : أَحَبُّ أَنْ أَزُودَكَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَتَنَّى أَنَا وَالْبَاقِلَاءُ فِي طَرِيقِي أَبَدًا !

(مِنْ كَرِهِ الْبَاقِلَاءِ)

وَلِذَلِكَ كَانَ أَبُو شَمْرٍ ^(٧) لَا يَأْكُلُ الْبَاقِلَاءَ ، وَكَانَ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ مُعَلِّمِهِ مَعْمَرٍ أَبِي الْأَشْعَثِ ^(٨) . وَكَذَلِكَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ وَالْوَكَيْعِيُّ ، وَمُعَمَّرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، بِرَهَةٍ مِنْ دَهْرِهِمْ .

-
- (١) الزَّمَانَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْعَامَةُ وَالْآتَةُ .
 - (٢) التَّكَانَةُ مِنْ ل ، س .
 - (٣) ط : « لَجَأْنَا » وَصَوَابُهُ ق ل ، س .
 - (٤) كَذَا ق ل . وَفِي ط ، س : « إِلَى أَصْحَابِنَا » .
 - (٥) ط ، ل : « وَمَا أَظُنُّكَ » .
 - (٦) الْفَرَسُ : جَمْعُ فَرَسَةٍ بِالْفَتْحِ ، وَهِيَ سَفِينَةٌ . ل : « الْفَرَى » .
 - (٧) أَبُو شَمْرٍ هَذَا أَحَدُ أَئِمَّةِ الْقُدْرَةِ الْمُرْجِيَّةِ . وَآرَأُوهُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ ١٩٠ - ١٩٤ . قَالَ فِيهِ الْمَاجِطُ : « وَكَانَ شَيْخًا وَتَوَرَّعًا وَزَعِيمًا وَكَيْفًا ، وَكَانَ ذَا تَصَرُّفٍ فِي الْعِلْمِ ، وَمَذْكُورًا بِأَفْهَمِهِ وَالْحِلْمِ . الْبَيَانُ (١ : ٩١) . وَضَبُّهُ السَّمْعَانِيُّ ٣٣٨ بِكسر الشَّيْنِ وَسُكُونِ اللَّيْمِ ، وَمِرَّةٌ أُخْرَى بِكسر الشَّيْنِ وَتَشْدِيدِ اللَّيْمِ لِلْمَفْتُوحَةِ .
 - (٨) مَعْمَرٌ هَذَا أَحَدُ أَئِمَّةِ الْإِعْتِرَالِ ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، وَحَفْصُ الْفَرْدِ =

وكان يقول : لولا أنَّ الباقلاء عَفِنَ فاسدُ الطَّيْعِ ، ردىءٌ يَحْتَرُ الدَّمُ
ويَغْلُظُهُ ويورث السُّوداءُ وكلُّ بلاءٍ — لا وَلَدَ الذَّبَّانِ . والذَّبَّانُ أَقْنَرُ ما طار
ومثى ! وكان يقول : كلُّ شئٍ يَنْبِت منكوساً فهو ردىءٌ للذَّهْنِ ، كالباقلَاء
والباذِخِيانِ .

وكان يزعم أنَّ رجلاً هرب من غرمائه فَدَخَلَ في غابةٍ باقلَاء ، فَنَسَرَتْ
عِمْمَ بِها ، فَأَرَادَ بَعْضُهُمْ إِخْرَاجَهُ وَالذُّخُولَ فِيها لَطَلْبِهِ ، فَقَالَ : أَحْكَمُهُمْ
وَأَعْلَمُهُمْ : كَفَاكُم لَهُ بِمَوْضِعِهِ شَرًّا !

وكان يقول : سمعتُ ناساً من أهلِ التَّجْزِئَةِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ : إِنَّهُ ^(١)
ما أَقامَ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً في مَنبِتِ باقلَاءٍ وخرجَ منه إِلَّا وقد أُسْقِمَهُ سُقْماً
لا يَزِيلُ جِسْمَهُ .

وزعم أنَّ الَّذِي منع أصحابُ الْأَذْهَانِ ^(٢) وَالرَّبِيعِ بِالسَّمْسِمِ مِنْ أَنْ يَرْبُوا
السَّيَامِمْ ^(٣) يَنْوَرُ الْبَاقِلَاءَ ، الَّذِي ^(٤) يَعْرِفُونَ مِنْ فسادِ طَبْعِهِ ^(٥) ، وَأَنَّهُ ^(٦) غَيْرُ

= ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست
ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق
نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، ووروده ثلاث مرات في الجزء الأول من البيان
برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الْأَذْهَانِ » . والذهن بكسر الدال المعجمة : الشحم .

(٣) السيام غيبط في نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه :
« كذا هو بالضم في النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هي « السيام »
واحدة سامة ، وهو طائر من الطعاطيف ، ومن أسمائه صفور الجنة . انظر مجمع
الملفوظ ٢٤١ .

(٤) س : « الَّذِينَ » ، تحريف .

(٥) ل : « طَبْعِهِ » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فَاتِهِ » .

مأمون على الدماغ وعلى الخيشوم والسَّخَّاح^(١) ، ويزعمون أن عمله [الذى عمله هو^(٢)] القصد إلى الأذهان بالفساد^(٣) .

وكان يزعم أن كلَّ شئ^(٤) يكون رديئاً^(٥) للعصب فإنَّه يكون رديئاً للذهن ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديئاً للعصب ، [وأن البلاد^(٦)] إنما صار يُصلح العقل ويورث الحفظ ؛ لأنَّه صالح للعصب .

وكان يقول : سواء على أكلت الذِّبَان أو أكلت شيئاً لا يولَّد إلا الذِّبَان ، وهو لا يولَّد [إلا هو] . والشئ لا يلد الشئ إلا وهو أولى الأشياء ١٢ به ، وأقربها إلى طبعه^(٧) ، وكذلك جميع الأرحام ، وفيها ينتج أرحام الأرض^(٨) وأرحام الحيوان ، وأرحام الأشجار ، وأرحام الثَّمار ، فيما يتولَّد منها وفيها^(٩) .

(١) السَّخَّاح بالكسر : غرق الأذن . جاء ق ط : « الصلح » ، وهما لغتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « القصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إل الذهن

بالإفساد له » .

(٤) كذا ق ل . وق ط س : « أن كل شئ رديء » .

(٥) ط س : « رديء » بالتسهيل .

(٦) البلاد ، ويقال البلاد ، لفظه هندي . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب

وقى داخلها مادة إسفنجية بها شئ « شبيه بالدم . ومن أسمائه : بحر القزاد : وحب النهم ، وثمر الفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر

قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « قيا تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . . الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف المروزي)

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجد مع فتيانٍ من المسجلين^(١) مما يلي أبواب بني سليم ، وأنا يومئذٍ أحدث السنن^(٢) إذ أقبلَ أبو سيف^(٣) المروزي - وكان لا يؤذي أحداً ، وكان كثير الظرف من قوم مرة - حتى وقف علينا ، ونحن نرى في وجهه أثر الجلد ، ثم قال مجتهداً : والله الذي لا إله إلا هو إن انخرع لخلو . ثم والله الذي لا إله إلا هو [إن انخرع لخلو . ثم والله الذي لا إله إلا هو إن انخرع لخلو] ، يميناً بآنة^(٤) يسألني الله عنها يوم القيامة ! فقلت له : أشهد أنك لا تأكله ولا تدوقه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنت علمت أمراً فعلتمنا مما علمك الله . قال : رأيت الذبان يسقط على النبيذ^(٥) الحلو ، ولا يسقط على الخازر^(٦) ، ويقع على العسل ولا يقع^(٧) على الخل ، وأراه على انخرع أكثر منه على التمر . أفتريدون حجةً أبين من

(١) المسجلون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبركة والكوفة . انظر حواشي البيان

. ٢٤٣ : ١

(٢) ل : « وأنا يومئذٍ أحدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباذ المروزي .

(٤) بآنة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النبيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفي س : « تسقط » في هذه

الجملة ولاحقها .

(٦) الخازر : الخافض الشديد الطعم . ط ، س : « الخاز » بحرف .

(٧) س : « تقع » ، في الموضعين .

هذه ^(١) ؟ قلت : يا أبا سَيفٍ ^(٢) بهذا وشبهه يُعرفُ فضلُ الشيخِ
على الشاب.

(تخلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى ^(٣) ذكر خلق الذبَّان من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ
من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من المخلوق كانَ من غير ^(٤) ذكر
وأنثى . وهذا جهلٌ بشأنِ العالمِ ، وبأقسامِ الحيوان . وهم يظنونُ أنَّ على الدِّينِ
من الإقرارِ بهذا القولِ مضرَّةٌ . وليس الأمر ^(٥) كما قالوا . وكلُّ قولٍ
يكذِّبُه العيانُ فهو أفضَحُ ^(٦) خطأً ، وأصحفُ مذهباً ، وأدُلُّ على معاندةٍ
شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ .

وإنْ ذهبَ الذَّاهِبُ إلى أن يقيسَ ذلك ^(٧) على مجازِ ظاهرِ الرأى ،

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا في س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفي ل :

« أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « في » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفضَحُ » هي في ط ، س :

« فحش » تحريف .

(٧) س : « هل أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ،

والأخيرة محرقة .

دونَ القطْعِ على غيبِ حقائقِ العِللِ ، فأَجْرَاهُ في كُلِّ شَيْءٍ - قالَ قولاً^(١) يدفعه العِيَانُ أيضاً ، مع إنكارِ الدِّينِ له .

وقد علمنا أَنَّ الإنسانَ بِأَكُلِّ الطَّعَامِ ويشربُ الشَّرَابَ ، وليسَ فيهما حَيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخْلَقُ منها^(٢) في جوفِهِ ألوانٌ مِنَ الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ مِنَ الدُّيْدَانِ من غيرِ ذَكَرٍ ولا أنثى . ولكنْ لابدٌ لذلكِ الوِلَادِ وَاللِّقَاحِ . من أَن يكونَ عن تناكحِ طِبَاعٍ^(٣) ، وملاقاةِ أَشْيَاءَ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأَشْيَاءَ تشبه في طباعها مَلَقَّحات^(٤) الأرحامِ .

(استطراد لغوى بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فَاسْتَنْكَحَ اللَّيْلُ البَهِيمَ فَأَلْفَحَتْ^(٥) عَنْ هَيْجِهِ وَاسْتَنْشَجَتْ أَحْلَاماً^(٦)

وقال الآخر :

وَإِذَا الْأُمُورُ تَنَاقَحَتْ فَالْجُودُ أَكْرَمُهَا نِتَاجَا

(١) « قال قولاً » هو جواب الشرط . وفي ط ، س : « وقال قولاً » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « في طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألفحت » .

(٦) ل : « واستنشجت » ، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرُّمَّة :

وَأَنى لِلدَّلَاجِ إِذَا مَا تَنَاقَحَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَحْلَامُ الْهَدَانِ الْمُقْلَرِ ^(١) ١١٣

وقال علي بن مُعَاذ ^(٢) :

لَلْبَدْرِ طِفْلٌ فِي حِصَانِ ^(٣) الْهَوَا مُسْتَزَلِقٌ مِنْ رَحِمِ الشَّمْسِ ^(٤)

وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ ^(٥) ، [أو أبو محمد الفقعسي] :

وَقَدْ تَعَلَّتْ ذَمِيلَ الْعَنْسِ ^(٦) بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْتَرَسِ ^(٧)

• إِذْ عَرَّجَ اللَّيْلَ بِرُوحِ الشَّمْسِ ^(٨) •

وقال أمية بن أبي الصلت :

وَالْأَرْضُ نَوَّحَهَا إِلَهُ طَرُوقَةٍ لِلْمَاءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ ^(٩)

(١) الهدان ، بالكسر : الأحق الثقيل .

(٢) علي بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ في البيان والتبيين .

(٣) الحصان : مصدر حَضَنَ الطَّائِرُ بَيْضَهُ . ط ، ل : « حِصَانٌ » بالمهمله ، صوابه في س . ولهموا أصله الهواء وقصر الشعر . وكتب في الأصل بالياء ، و الهوى « وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقيت ولدها ثاماً . ط : « متزلق » س : « مستزق » .

(٥) تقدمت ترجمته في ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تفلت » ا وانظر تحقيق هذا البيت في ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالتس » وصوابه في ل ، س . والترس هو ذلك الذي يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس في صلاحها .

(٨) انظر ما سبق في ص ٧٤ .

(٩) نوَّحَهَا : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنى الفعل . والزند : هو قرين الزند ، ومنها تفتتح النار . فالأول لافجوة فيه ، وفي الزند فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسند يفتح الفاء : الذى طلب السفاد ففاله . وضبطت في السان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاحق ليس خاصاً =

والأَرْضُ مَعْلِنًا وَكَانَتْ أَمْنَا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلًا^(١)
وذكر أَمِيَّةُ الْأَرْضِ قَال :

وَالطُّوْطُ نَزَرَعُهُ فِيهَا فَتَلَبَّسُهُ وَالصُّوْفُ نَجَزُهُ مَا أَرْدَفَ الْوَبْرُ^(٢)
هِيَ الْقَرَارُ فَمَا نَبْنِي بِهَا بَدَلًا مَا أَرْحَمَ الْأَرْضَ إِلَّا أَتْنَا كُفْرُ^(٣)
وَطَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأَعْدَاءِ نَافِذَةٌ تُعَيِّ الْأَطْيَاءَ لَا تَقْوَى لَهَا السُّبْرُ^(٤)
ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا قَال :

مِنْهَا خُلِقْنَا وَكَانَتْ أَمْنَا خُلِقَتْ وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا لَوْ أَتْنَا شُكْرُ^(٥)

« بِالْأَحْيَاءِ » ، بَلْ زَاهٍ أَيْضًا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ حَيْثُ يَتَلَقَّلُ فِيهَا ، وَنَجِدُهُ أَيْضًا بَيْنَ
الزَّهْدِ وَالزُّهْدَةِ الْيَابِسِينَ . وَهُوَ مَعْنَى شَعْرَى بَارِع . ط ، س : « زَهْدٌ » تَصْغِيفٌ .
س : « مَفْصَدٌ » ، تَحْرِيفٌ . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي لَوْ هُوَ الثَّانِي فِي التَّرْتِيبِ .
(١) كَذَا فِي لَوْ وَالْجُزْءِ الْخَامِسِ ص ٤٣٧ وَالْمَقْصَصِ (١٣ : ١٨٠) . وَفِي ط ،
س : « نَوْلٌ » .

(٢) الطُّوْطُ ، بِالضَّم : الْقَطَنُ ، أَوْ قَطْنُ الْبَرْدَى خَاصَّةً . وَأَرْدَفَ الْوَبْرُ : نَوَالٍ وَتَتَابِعُ
ط ، س : « أَدْفًا » . وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي السَّنَنِ هَكَذَا :

وَالطُّوْطُ نَزَرَعُهُ أَفْنٌ جِرَاؤُهُ فِيهِ الْيَابِسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يَضُدُّ
(٣) الْكُفْرُ ، بِضَمِّينَ : جَمْعُ كُفُورٍ بِمَعْنَى كَافِرٌ ، وَهُوَ يُقَالُ لِمَذْكَرٍ وَالْمُوْتِ . ط :
« لَهَا بَدَلًا » .

(٤) السُّبْرُ : جَمْعُ سِبَارٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ مَا يَقْدَرُ بِهِ غُورُ الْفِرَاحَاتِ ، وَهُوَ أَيْضًا الْفَتِيلَةُ
تَجَمُّلٌ فِي الْجَرْحِ . وَالْمَعْنَى يَجِيءُ يَكُلُّ مِنْهَا . وَتَقْوَى : تَقِيْمٌ وَتَسْقُطُ . ط ، س :
« يَلْوِي » يُقَالُ لَوَى يَلْوِي : انْتَظَرُ وَتَحْبَسُ . وَكُلُّ مِنْهَا مَتَجَةٌ : فَإِنَّ الْمَعْنَى
أَنَّ تِلْكَ الطَّمَنَةَ لِشِدَّةِ مَا يَتَلَقَّقُ مِنْهَا مِنْ دَمٍ تَدْفَعُ بِمَا يَوْضَعُ فِيهَا دَفْعًا . وَمِثْلُهُ
قَوْلُ الْآخَرِ :

• تَرْدُ عَلِ السَّابِرِ السَّابِرَا •

وَقَوْلُهُ :

• تَرْدُ السَّابِرِ عَلَى السَّابِرِ •

(٥) الشُّكْرُ ، بِضَمِّينَ : جَمْعُ شُكُورٍ بِالْفَتْحِ .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ^(١) بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أن جالينوسَ قال : عليكم بالبقلةِ الرحيمة - السلق^(٢) - استشنه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحمُ بنا ، وقولَ أمية :
 • ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أننا كُفِرُ •

لم يستشنه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إن عيسى ابن مريم أُخِلَّ في يده اليمنى غُرْفَةٌ^(٣) ، وفي اليسرى كِسْرَةٌ خبز^(٤) ، ثم قال : هذا أبي ، للماء ، وهذه أمي ، لكسرة الخبز^(٥) . استشنه ، فإذا سمع قولَ أمية^(٦) :

والأرضُ نَوَّخَهَا الإله طَرُوقَةً للماء حتى كل زَنْدٌ مُسْفَدٌ لم يستشنه . والأصل في ذلك أن الزَّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ في كتبهم ، وأصحابُ تهويل ، لأنهم حينَ علموا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل ، مألوا إلى تكلف ما هو أخْصَرُ وأيسرُ وأوجزُ كثيرًا .

(١) انظر الحيوان ١٠٢ : •

(٢) ط ، س : والسلقة •

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يترف المرء بيده . ل : • أخذ في يده كسرة خبز •

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : • هذا أبي وحده أي لكسرة الخبز والماء •

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، في ص ٣٦٣ .

(حُطوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس)

ولكلُّ قَوْمٍ أَلْفَاظٌ حَظِيَّتْ عِنْدَهُمْ . وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض
١١٤ وصاحب كلامٍ منشور ، وكلُّ شاعرٍ [في الأرض ^(١)] وصاحب كلامٍ
موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لُحِجَ وألِفَ ألفاظاً بأعيانها ؛ ليدبرَها في كلامه
وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني ، كثيرَ اللفظ . فصارَ حفظُ الزُنَادِقَةِ من
الألفاظ التي سبقت إلى قلوبهم ، واتَّصلت بطبائعهم ، وجرت على ألسنتهم
التناكحَ ، والتنايُجَ ^(٢) ، والمزاجَ ، والتَّوَرُّ والظلمة ، والدَّفَاقَ والمُنَّاعَ ^(٣) ،
والساترَ والغامرَ ، والمنحلَّ ^(٤) ، والبُطلانَ ، واللَّوْجَدانَ ، والأَثِيرَ والصدِّيقَ ^(٥)
وعمود السبح ^(٦) ، وأشكالا من هذا الكلام . فَصَارَ ^(٧) وإن كان غريباً

(١) الزيادة من ل ، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ل : « والتنايُج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفي اعتقاد المانوية أن الصديق حين
يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصاة وتاج وإكليل النور ،
فيلبسونه التاج والإكليل ويمطونه الركوة بيده ، ويمرجون به في عود السبح
إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام في الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليبسك .
ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابها ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها
ساقطتان من ل . وسبق في الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصندي » وهذه
أيضاً من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرست ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليبسك .

(٦) السبح : يراد به المروج والصعود إلى السماء . وفي ذلك الصعود الومى ترتفع
التساييح والتقايس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله ماني . انظر الفهرست
٤٦١ مصر ٣٣٠ ليبسك . في الأصل : « السبح » وسبقت في الجزء الأول ص ٧٧

برسم « السبخ » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً^(١) مهجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا ، وكذلك هو عند عوامنا وجهورنا ، ولا يستعمله إلا الخواص^(٢) وإلا المتكلمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقول في هذا قولاً ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقل « أرجو » لأنني أعلم فيه خلافاً^(٣) ، ولكنني أخذت بأداب وجوه أهل دعوتي وملتي ، ولغتي ، وجزرتي ، وجبرتي ، وهم العرب . وذلك أنه قيل لصحاب^(٤) العبدى : الرجل يقول لصاحبه ، عند تذكيره أبياديه وإحسانه^(٥) : أما نحن فإننا نرجو أن نكون قد بلغنا من أداؤ ما يجب علينا مبلغاً مرضياً . وهو يعلم أنه قد وفاه حقه الواجب ، وتفضل [عليه] بما لا يجب . قال محار : كانوا يستحبون أن يدعوا للقول متنفساً ، وأن يتركوا فيه فضلاً ، وأن يتجافوا عن حق إن^(٦) أرادوه لم يمنحوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهم فهمك الله تعالى .

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأن لا أعلم » .

(٤) محار العبدى تقدمت ترجمته في (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أبياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « حق » .

فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللفظ ، أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة^(١) فيها ، أن ألفظ بالشئ العتيد^(٢) الموجود ، وأدع التكلف^(٣) لما عني ألا يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة .

وأرى أن ألفظ بالفاظ المتكلمين ما دمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص^(٤) أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهم [لهم] عني^(٥) ، وأخف^(٦) لمؤنتهم^(٧) على^(٨) .

ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيح^(٩) بالتكلم أن يفتر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة ، أو رسالة ، أو في مخاطبة العوام والتجار^(١٠) ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمته ، أو في حديثه إذا تحدث^(١١) ، أو خبره إذا أخبر .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خواص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عني » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنتهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاراة أهله » .

وكذلك [فإنه] ^(١) من الخطأ أن يجلب ^(٢) ألفاظ الأعراب ، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل . ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل .

(خلق بمض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله عز وجل من خلقه من غير ذكر ولا أنثى . فقلنا : إنه لا بد في ذلك من تلاقى أمرين يقومان مقام الذكر والأنثى ، ومقام الأرض والمطر . وقد تقرب الطباع من الطباع ، وإن لم ١٥ تتحول في جميع معانيها ، كالنطفة ^(٣) والدّم ، وكالبن والدّم . وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لا بد لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء ^(٤) يشاكل الدّم .

ونحن قد نجد الجيف يخلق ^(٥) منها الذيدان ، وكذلك العذرة . ولذلك الجبوسى كلما تبرز ذر على برازه شيئاً من التراب ، لتلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنطفة » ، وصوابه في ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « يخلق » .

ديدان^(١) . والمجوسى^(٢) لا يتفوط في الآبار والبلاليع لأنه يزعمه يسكرم
بطن الأرض عن ذلك ، ويزعم أن الأرض أحد الأركان التي بُنيت
العالم الخمسة عليها^(٣) بزعمهم : أبرماس^(٤) وأبرمارس^(٥) وأبردس^(٦)
وكارس^(٧) وحريرة أمنة^(٨) . وبعضهم يجعل العالم ستة ويزيد أسرس^(٩) ،
ولذلك لا يدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبو : ويضعونهم في التناويس
وضعا . قالوا : ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف
الأحراز ، كما أخرجناها من بطون الأرضين^(١٠) لفعلنا . وهم يسمون يوم القيامة
روز رستهار^(١١) ، كأنه يوم تقوم الجيف .

فمن بعضهم لأبدان الموق سموها بأسماعهم^(١٢) . قالوا : وعلى هذا
المثال أعظمنا النار والماء^(١٣) ، وليس بأحق بالتعظيم من الأرض .

(١) « وذلك المجوسى » . الخ ، ساقط من س . وفي ط : « وكذلك » .

(٢) ل : « وذلك المجوسى » .

(٣) كذا في س . وفي ط : « تثبت » محركة . ل : « عليها يثبت
العالم الخمسة » .

(٤) ط : « أبرماس » وفي رسائل الجاحظ ١٠٨ ساقط : « أبرشارش » .

(٥) ط : « أبرماس » وفي رسائل الجاحظ : « أبرشارش » .

(٦) أبردس هي في الرسائل : « أيدش » :

(٧) س : « كادمة » .

(٨) كذا .

(٩) الكلام من ميل « أبرماس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » في الموضعين . والأحراز :
جمع حرز ، وهو للسكان الخمسين . ط . « الأحراز » س : « الأحرار »
ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(١١) س : « روز سهرار » ، ط : « روز سهرمار » .

(١٢) ل : « أسمائها » .

(١٣) ل : « مطننا الماء فانار » .

وبعد فنحن ننزِع الصَّامَة من رموس الآنية التي يكونُ فيها بعضُ
الشراب ، فنجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن^(١) ذكر ولا أنثى ، وإنما
ذلك لاستحالة بعضِ أجزاء الهواء وذلك الشراب إذا انضمَّ عليه ذلك
الوعاء^(٢) . وهذا قولُ ذى الرِّمَّة وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وَأَبْصَرَنَ أَنْ الْقَيْنَعَ صَارَتْ نِطَافُهُ فَرَأَى وَأَنْ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسُ^(٣)
وكذلك كلُّ ما تَخْلُقُ مِنْ جُحَارِ النَّخْلَةِ وَفِيهَا^(٤) ، من ضروب الخلق
والطَّيْرِ ، وَأَشْبَاهِ [الطير] ، وَأَشْبَاهِ^(٥) بَنَاتِ وَرْدَانَ ، وَالَّذِي يَسْمَى بِالْفَارَسِيَّةِ
فَاذُو^(٦) ، وَكَالْسُوسِ ، وَالْقَوَادِحِ^(٧) ، وَالْأَرَضَةِ ، [وَبَنَاتِ وَرْدَانَ] اللَّاتِي
يَخْلُقْنَ مِنَ الْأَجْذَاعِ وَالْخَشْبِ وَالْحَشُوشِ^(٨) . وقد نجد الْأَرْجَ^(٩) الذي
يكبس فيه الْيَخْجُ^(١٠) بِخِرَاسَانٍ ، كيف يستحيل كله ضَفَادِعَ . وما الضَّفَادِعُ
بِأَدَلٍّ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْفَرَاشِ .

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة
في ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت في ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت بحرف في ط هكذا :
« وَأَبْصَرَتْ أَنْ الْقَيْنَعَ صَارَتْ لِنَافَةِ » .

(٤) ل : « وكذلك ما يَخْلُقُ » . الخ .

(٥) ط ، س : « وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ » .

(٦) ط ، س : « وَأَنْ الْقَيْنَ » ، والوجه حذف « أَنْ » كما في ل . و « فَاذُو »
هي في ط ، س : « تَارَادَد » .

(٧) الْقَوَادِحُ : جمع قَادِحَةٍ ، وهي القودَّة . ل : « الْقَوَارِحُ » محرفة .

(٨) الْحَشُوشُ : جمع حَشٍّ بِالضَّمِّ ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الْأَرْجُ . بالتحريك : بيت يبنى طولا .

(١٠) الْيَخْجُ : الثلج بالفارسية .

وإنما يستحيل ذلك الثلج إذا انفتح فيه كقدّر منخر الثور ، حتى
تَدْخُلَهُ الرِّيحُ التي هي اللاحقة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
لَوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحة ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسط الدَّهْناء - وهي أوسع من الدَّوِّ ومن الصَّيَّان^(١) - وعلى
ظهر مسجد الجامع^(٢) في غبَّ المطر من الضَّفَادِعِ مالا يُحصى عدده . وليس
أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ الله خلقها تلك الساعة من طِبَاعِ
تلك التُّربةِ وذلك المطر وذلك الهواء المحيط بهما ، وتلك الرِّيح المتحرِّكة .
وإنَّ زعموا أنَّ تلك الضَّفَادِعَ كانت في السَّحاب ، فالذي أقرُّوا به أعجبُ
من الذي أنكروه . وإنَّما تقيم الضَّفَادِعُ وتربِّي وتتوالَّدُ في منافع المياه ،
وفي أرض تلاقى ماء . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصِّفة . قد نجد الماء يزيد
في دِجَّةٍ والفُراتِ فتزُّ البطون والحفائر التي تليها من الأرض ، فيُخلق
من ذلك الماء السَّمَكُ الكثير ، ولم يكن في تلك الحفائر الحدث^(٣) ، ولا
في بحر تلك الأرضين شيء من بيض السَّمَكِ .

ولم نجد أهل القاطول^(٤) يشكُّون في أنَّ الفأر تخلَّق من أرضهم ، وأنَّهم
ربَّما أبصروا الفأرة من قبل أن يتمَّ خلقُها . فنسبوا بأجمعهم خلقَ الفأرِ إلى
الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّرابِ والأجواء والزمان ، كما قالوا
في السمك ، والضَّفَادِعِ ، والعقارب .

(١) الدَّهْناء : اسم لواد في بادية البصرة . والدَّوِّ : أرض ملء بين البصرة ومكة .

والصَّيَّان : بفتح الصاد ، أرض خليقة فيها ارتفاع قريبة من الدَّهْناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما في القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهي الأقطار الحادثة في أول السنة .

(٤) قال يا قوت : نهر كان في موضع سامرا قبل أن تسمى .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قانس^(١) فقال [١] : ليس بين [الدَّبَّان و] بنات وردان و [بين] الزُّنَابِير فرق ، ولا بين الزُّنَابِير والدَّبَر والخنفس^(٢) فرق ، [ولا بين الزُّوَايزر والخنفايش] ولا بين العصافير والزُّوَايزر فرق : فإذا فرغوا من خشاش الأرض صاروا إلى بغائها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطلواويس والتندارج^(٣) والزمامج^(٤) حتى يصلحوا إلى الناس . قيل لهم : ليس ذلك كذلك ، [و] ينبغي لكم بدلياً أن تعرفوا الطَّيِّعة والعادة ، والطبيعة الغريبة^(٥) من الطبيعة العامية^(٦) ، والممكن من الممتنع ، وأنَّ المُمكنَ على ضربين : فنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا^(٧) أنَّ الممتنع أيضاً على ضربين : فنه ما يكون لعله موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعله لا يجوز دفعها^(٨) ، [وفصل ما بين العلة التى لا يجوز دفعها] وهى على كل حال علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلَّا عينُ الشيء وجنسه^(٩) .

-
- (١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .
 (٢) ل : « وبين الزُّنَابِير والخنفايش » ، والكلمة الأخيرة محرفة .
 (٣) التندارج : جمع تندرج ، وهو طائر مليح مفرد . ط : س : « التندارج » .
 (٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسية « دوبرادران » كما فى القاموس .
 (٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « للفرزة » تحريف .
 (٦) المراد بالعامية العامة ، التى لا غرابة فيها ولا شذوذ .
 (٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجه ما أثبت .
 (٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « لعله التى » .
 (٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

١١٦ وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفُوا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْحَالِ [و] الْمَمْتَنِعِ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنَ الْخَلْقِ .

وإذا عرفت الجواهر وحظوظها من القوى ، فعند ذلك فتعاطوا الإنكار والإقرار ، وإلا فكونوا في سبيل المتعلم ، أو في سبيل [من ^(١)] آثر الراحة ساعة على ما يورث كذا التعلم من راحة الأبد . قد يكون أن يجيء على جهة التوليد شيء ^(٢) يبعد في الوهم [بجيشه ، ويمتنع شيء هو أقرب في الوهم ^(٣)] من غيره ؛ لأن حقائق الأمور ومغيبات الأشياء ، لا تُردُّ إلى ظاهر الرأي ، وإنما يردُّ إلى الرأي ما دخل في باب الحزم والإضاعة ^(٤) وما هو أصوب وأقرب إلى نيل الحاجة . وليس عند الرأي علم بالنفع والإكداء ^(٥) ؛ كنهو مجيء ^(٦) الزجاج من الرمل ، وامتناع الشبه والزئبق من أن يتحول في طبع الذهب والفضة ^(٧) . والزئبق أشبه بالفضة المايعة من الرمل بالزجاج الفرعوني ^(٨) . والشبه الدمشقي بالذهب الإبريز أشبه من الرمل بفلق ^(٩) الزجاج النقي الخالص الصافي .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجيء على جهة التوليد وشيء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « الحزم والإضاعة » بحرف .

(٥) النجح بالضم : النجاح . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الخيبة .

(٦) ط ، س : « مخارج » ، وصوابه في ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعي يكون بمجال أصهان . والآخر صناعي يؤخذ جزء من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . من تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعوني : ضرب من الزجاج الصناعي ، تجدد صفته في تذكرة داود . وانظر الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهي القطعة .

ومن العجب أن الزُّجاجَ - وهو مولّد - قد يجرى مع الذهب في كثير
مفاتيح الذهب ؛ إذ كان لا يغيّر طبعه ماء ولا أرض ؛ والفضة التي ليست
بمولدة^(١) إذا دفنت زماناً غير طويلٍ استحالت أرضاً . فأما الحديد فإنه
في ذلك سريعٌ غير بطيء .

وقد زعمَ ناسٌ أن الفرقَ الذي بينهما إنما هو أن كلَّ شيءٍ له في العالم
أصلٌ وخبرةٌ ، لم يكن كالشيء الذي يكتسب^(٢) ويحتلب ويلتق ويلزق ،
وأن الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان فأنما منذ كان الهواء
والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولّد الناسُ
مثله^(٣) . وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض^(٤) ، بأن يصادف
من الأرض جَوْهراً^(٥) ، ومن الهواء الذي في خلطها جوهرها . ومن
الماء الملايس لها جوهرها ، ومن النار المحصورة فيها جوهرها ، مع مقدار
من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقابلات البروج . فإن كان الذهب إنما
هو نتيجة [هذه] الجواهر على هذه الأسباب^(٦) ، فواجب ألا يكون
الذهب أبداً إلا كذلك .

(١) ط ، س : « ليست بمولدة » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلها كما ترى .

(٢) ط : « يكتسب » ، وصوابه في ل ، س .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « قديماً » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « في عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » في المواضع الأربعة . وصوابه في ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أَرَأَيْتَ الْفَأْرَةَ الَّتِي خُلِقَتْ مِنْ صَلْبِ جُرَذٍ وَرَحِمِ فَأْرَةٍ ،
وَزَعَمَ أَنَّهَا فَأْرَةٌ عَلَى ^(١) مَقَابِلَةِ مِنَ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ ،
وَكَانَتْ نَتِيجَةُ هَذِهِ الْخِصَالِ ، مَعَ اسْتِيفَاءِ هَذِهِ الصِّفَاتِ ^(٢) ؟ أَلَسْنَا قَدْ ^(٣)
وَجَدْنَا فَأْرَةَ أُخْرَى تَبَيَّنَ لَهَا مِنْ أَرْحَامِ الْأَرْضِيِّينَ ، وَمِنْ حَضَانَةِ الْهَوَاءِ ،
وَمِنْ تَلْقِيحِ الْمَاءِ ، وَمِنْ مُقَابِلَاتِ ^(٤) السَّمَاوِيَّاتِ وَالْهَوَائِيَّاتِ ، فَالزَّمَانِ
أَصَارَ ^(٥) جَمِيعُ ذَلِكَ سَبَبًا لِفَأْرَةٍ [أُخْرَى] مِثْلَهَا . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا عَدَدْنَاهُ ^(٦)
١١٧ فَنَ أَيْنَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْلُطَ الْإِنْسَانُ ^(٧) بَيْنَ مَائِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ وَمَائِيَّةٍ جَوْهَرٍ ^(٨) ؟ إِمَّا
مِنْ طَرِيقِ التَّبَعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَمِنْ طَرِيقِ الطَّنُونِ وَالتَّجْرِبِ ، [أ] وَ
مِنْ طَرِيقِ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ اتِّفَاقًا ، كَمَا صَنَعَ النَّاطِفُ السَّاقِطُ مِنْ يَدِ الْأَجِيرِ
فِي مُذَابِ الصُّفْرِ ^(٩) حَتَّى أَعْطَاهُ ذَلِكَ اللَّوْنَ ، وَجَلَبَ ذَلِكَ النِّعَمَ ^(١٠) ، ثُمَّ إِنَّ

(١) س : « من » .

(٢) ط : « مع استيفاء هذه صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « الاستيفاء » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « كلما عددنا » .

(٧) ط : س : « يخلط إنسان » ، وصوابه في ل .

(٨) ط ، س : « مائية » ، وصوابه في ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والبنسحق ، ويسمى أيضا
التقييط والتباطي والتقييط — بضم القاف وتشديد الباء فهن — والتقيطه كحميراء .
انظر القاموس والسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح
الأشعري للألفية (٤ : ٨٨) وحواشي تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ،
بالضم : التنعاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرُّجَالِ دِرْتَهُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ ، حَتَّى صَارَ شَبَهًا ذَهَبِيًّا . هَذَا مَعَ التَّوْشَاذِرِ
الْمَوْلُودِ مِنَ الْحِجَارَةِ السُّودِ ^(١) .

فَلَوْ قُلْتُمْ : إِنَّ ذَلِكَ قَائِمٌ الْجَوَازِ فِي الْعَقْلِ ^(٢) مَطْرُدٌ فِي الرَّأْيِ ، غَيْرِ
مُسْتَحِيلٍ فِي النَّظَرِ ^(٣) . وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّاسِ مِنْذُ كَانَا
فَإِنَّ النَّاسَ يَلْتَمِسُونَ [هَذَا] وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ ^(٤) ، وَيَكْلَفُونَ بِهِ . فَلَوْ كَانَ هَذَا
الْأَمْرُ يَجِيءُ مِنْ وَجْهِ الْجَمْعِ وَالتَّوْلِيدِ ^(٥) وَالتَّرَكِيبِ [وَالتَّجْرِبِ ، أ ^(٦)] وَ
مِنْ وَجْهِ الْإِتْفَاقِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَلُوفِ سَنِينَ
وَأَلُوفِ ، إِذْ كَانَ هَذَا الْمَقْدَارُ أَقَلُّ مَا تَوَرَّخَ بِهِ الْأَمَمُ ، وَلَكِنْ ^(٧) هَذَا مَقْبُولًا
غَيْرَ مُرَدودٍ . وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مِنْهُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ إِلَّا
مِنْ حَيْثُ وَجَدَ ^(٨) . وَلَيْسَ قُرْبُ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِكَوْنِهِ ،
وَلَا بَعْدَهُ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لَامْتِنَاعِهِ .

وَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ ^(٩) [إِذْ] قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَتَبَيَّنَ لَهُ
طَبَاعُ الْأَرْضِ ، وَطَبَاعُ الْمَاءِ ، [وَطَبَاعُ الْهَوَاءِ] ، وَطَبَاعُ النَّارِ ، وَمَقَادِيرُ حَرَكَاتِ

(١) التَّوْشَاذِرُ ، كَذَا جَاءَ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ . وَانْظُرْ مَا سَيَلْقَى فِي ٥ : ٣٤٩ ط ، س :
« وَالْحِجَارَةُ السُّودِ » .

(٢) ل : « الْقَائِمُ الْجَوَازُ » . ط ، س : « قَائِمُ الْجَوْهَرِ فِي الْعَقْلِ » ، وَجُمِعَتْ بَيْنَهُمَا .

(٣) ل : « الْعَقْلُ » .

(٤) ل : « وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ » .

(٥) ط ، س : « وَالتَّضْرِيقُ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ ل .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ ل ، س .

(٧) ط ، س : « وَكَانَ » .

(٨) ل : « وَجْهٌ » ، مُحَرَّفَةٌ .

(٩) ل : « الْأَصْلُ » .

الفلك ، ومقدار من طول الزمان . ففى لم تجتمع هذه الحصال وتكفل هذه الأمور لم يتم خلق الذهب . وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأ لواحد أن يجمع بين [مائى] شكل [من] الجواهر ، فزجها على مقادير ، وطبخها على مقادير ، وأغبها مقداراً^(١) من الزمان ، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماوية ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة^(٢) ، وكان بعض ماجرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً ، فلما اجتمعت جاء منها ذهب فوق ذلك فى خمسة آلاف سنة مرة ، ثم أراد صاحبه المعاودة فلم يفتقر على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهر ، ولم يضبط مقادير ما كان قصداً إليه فى تلك المرة^(٣) ، وأخطأ ما كان وقع له اتفاقاً^(٤) ، ولم يقابل من الفلك مثل تلك الحركات ، ولا من العالم مثل تلك الهيئة ، فلم يعد له ذلك .

فإن قال لنا هذا القول [قائل] وقال : بَيَّنُّوا^(٥) لى موضع إحالته ، ولا تحتجوا بتباعد [اجتماع] الأمور فيه ، فلنا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا فى ذلك قول مقنع ، والدليل الذى تشلج به الصلور ؟! وهل عندنا فى استطاعة الناس أن يولدوا مثل ذلك^(٦) ، إلا بأن يعرض هذا القول على العقول

(١) أغبها : جعلها تخب ، أى تحك . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئة » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقاً » .

(٥) ط ، س : « أثبوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناساً » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التامة وزدّه إلى الرسل^(١) والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافية^(٢) له كان ذلك عندنا هو المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجوز له ، ولكن ليردّه إلى العقل^(٣) ، ١١٨ فإنه سيجدّه منكراً وناقياً [له] ، إذا^(٤) كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخيل .

(ضروب التخيل)

والتخيل ضروب^(٥) : تخيل من المرآة^(٦) ، وتخيل من الشيطان ، وتخيل آخر كالرجل يعبد إلى قلب رطب لم يتوقع ، وذهن لم يستمر^(٧) ، فيحمله على الدقيق وهو بعد لا يثق بالجليل ، ويتخطى المقدمات متسكماً^(٨) بلا أمانة ، فرجع حسيراً^(٩) بلا يقين ، وغبر زماناً لا يعرف إلا [الشكوك و]

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « رسول الله صل الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب في ل ، وفي ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) في الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هي « ضروب » .

(٦) المراد : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل به التفكير .

(٧) يتوقع : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكماً : متحيراً . ط ، س : « متكشفاً » محرفة من « متسكماً » . يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتصب المهي . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التي متى لاقَت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها^(١) الحيرة . والقلبُ الذي يفسدُ في يومٍ لا^(٢) يداوى في سنة ، والبناء الذي يُنقَضُ في ساعةٍ لا يبنى^(٣) مثله في شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الدبان

قيل لعلَّويه كلبِ المطبخ : أى شئ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانبه » ؟ قال : يريدون أن^(٤) الدَّبَّان لا ينو منه . وكان الرقاشى حاضراً ، فأشددَ قول ابن عبدل^(٥) :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِي إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيْقِي لَعَظِيمٌ
لَيْفَنِي قَدْ عَمَرْتُ دَنِي حَتَّى أَبْصَرَ الْعَنْكَبُوتَ فِيهِ يَعُومُ^(٦)
غَرَقًا لَا يُغِيْثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا زَبَدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومُ^(٧)

(١) س : « ثمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما في ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدي تقدمت ترجمته في (٢ : ١٥٤) . وانظر آياتاً من هذه القصيدة في ٢٩٧ . وهي مقيدة الروى ، أى ساكنة .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفي الأصل : « عمرت » . والدن ، بالفتح : الرقوق العظيم . ط : « دنى » وصوابه في ل ، س . وفي ل : « تعوم » والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلا ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزيد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » محرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كَفَّهُ ينادى ذُبَاباً أَنْ أَغْنَى فَإِنِّي مَغْمُومٌ^(١)
قال : دَعْنِي فَلَنْ أَطِيقَ دُنُوّاً مِنْ شَرَابٍ يَشْمُهُ الْمَرْكُومُ^(٢)
[قال] : وَالذُّبَابُ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقَدَرِ وَفِي اسْتِطَابَةِ النَّتَنِ ، فَإِذَا
عَجَزَ الذُّبَابُ عَنْ شَيْءٍ فَهُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ أَتَنُّ مِنْهُ .

ولذلك حين روى ابنُ عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ^(٣) بالبخر ، قال :
وما يدنو إلى فيه ذبابٌ ولو طَلَيْتَ مَشَاغِرَهُ بِقَنْدٍ^(٤)
يَرَيْنَ حَلَاوَةً وَيَنْفَضْنَ مَوْتاً وَشَيْكاً إِنْ هَمَّ مَنْ لَهُ بَوْرَدٌ^(٥)

(أَبُو ذُبَّان)

ويقال لكلِّ أبحر : أَبُو ذُبَّان ، وكانت فيما زعموا كنيةَ عبدِ الملكِ بنِ مروان^(٦)
وأنشدوا^(٧) قولَ أبي خُرَابة^(٨) :

- (١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .
- (٢) لا يشم المَرْكُومُ إلا ما كان غايةً في ظهورِ الرائحة . ل : « يقطر المَرْكُومُ » .
- (٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأخافى (٣ : ١٤٥)
والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ : ٦٢) حيث يوجد الشعر .
- (٤) ل : « فا » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهم . والقند بالفتح : صل
قصب السكر إذا جدد ، معرب : « كنه » .
- (٥) ط : « يرون » وصوابه في ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا
وقد قلقت أبيات من هذه القصيدة في (٢ : ٢٥٠ - ٢٥٣) .
- (٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه غص
يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نساءه ، فدعت بسكين فقطعت موضع غصته ، فقال
لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار
القلوب ١٩٧ .
- (٧) ط ، س : « وأنشد » :
- (٨) ط ، س : « ابن خُرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد قلقت ترجمته في
(١ : ٢٥٥) .

أَمْسَى أَبُو ذُبَّانَ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ^(١) خَلَعَ عَنَّا قَارِحَ مِنَ الْحَصَنِ^(٢)

• وَقَدْ صَفَتْ بَيْعَتَنَا لِابْنِ حَسَنٍ^(٣) •

(شعر فيه هجاء بالذباب)

١١٩

وَقَالَ رَجُلٌ يَهْجُو هَلَالَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَنْثَانِيَّ^(٤) :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي مَنَى هِلَالًا مَوَدَّةَ وَخُلَّتِهِ بِفَلَسٍ
وَأَبْرَأَ لِلَّذِي يَبْتَاعُ مَنَى هِلَالًا مِنْ خِصَالٍ فِيهِ تَحْسِرُ^(٥)
فَنَهْنُ النَّفْسَانِخُ وَالْمَسَاوِي وَأَثَارُ الْجُرُوحِ وَأَكْلُ ضِرْسِ^(٦)
وَمَنْ أَخَذَ الذَّبَابَ بِإِصْبَعِهِ وَإِنْ كَانَ الذَّبَابُ بِرَأْسِ جَنْسِ^(٧)

(١) ل : « أَمْسَى » . والرَّسَنُ ، بالتحريك : الزمام اللدابة يوضع على الأنف .

(٢) س : « خَلَعَ عَنَّا » ، وهو تحريف صوابه في ل ، ط . والقَارِحُ : الذي انتهت

أُسنانه ، وإنما تنتهي في خمس سنين . والحَصَنُ : جمع حصان . ط ، س :

« الرِّش » تحريف .

(٣) ط ، س : « لِابْنِ الْحَسَنِ » ، وهما وجهان جائزان في العربية . جاء في المخصص

(٧١ : ٤٦) في الكلام على إدخال (أَل) وزعمها من الأعلام التي كانت

في أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ،

والحسن وحسن » .

(٤) الهَنْثَانِي : نسبة إلى هَنَاة ، كَثَمَة ، وهي قبيلة يمنية . انظر المارث ٤٩ . ط ،

س : « الهَنْثَانِي » ، ل : « الهَنْثَانِي » ، ووجه ما كتبت .

(٥) ل : « وَخُلَّتِهِ » .

(٦) ل : « وَيَشْتَرِي الَّذِي » ، تحريف .

(٧) اللغتان : جمع نفع ، كبرقع ، وهو لمة في الخاق . أراد أنه يمرض بها أبداً .

والمَسَاوِي : جمع مَكْوَاة ، التي يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمَسَاوِي »

ولا تصح . و : « آثَارُ » بدلًا في ل : « آلا » . وأَكْلُ الضَّرْسِ :

أراد به فسادها .

(٨) الجسم ، بالفصح : الرجيع . ل : « وَلَوْ كَانَ » .

(قولٌ في آية)

قالوا: وضرب الله عز وجل لضعف الناس وعجزهم مثلاً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَاسْتَغْنَوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فقال بعض الناس: قد سوى بين الذبان والناس في العجز. وقالوا: فقد يولد الناس من الثعابين القراش [وغير القراش^(١)] وهذا خلق، على قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ، وعلى قول الشاعر^(٢) :

وَأَرَاكَ تَغْبَى مَا خَلَقْتَ وَبَنَى

خُسُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَغْفِرُ^(٣)

قبل لهم : إنما أراد الاختراع ، ولم يرد التقدير^(٤) .

(١) الزيادة من ل ، ص .

(٢) هو زهير ، من قصيدة يملح بها هرم بن سنان . في ديوانه ص ٦٠ - ٦٤ .

(٣) تغرى : تقطع . خلقت : خلقت وهيات . يقول : إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته .

(٤) أى إن المراد من الخلق في الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير . وأما في الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير ، لا الاختراع والابتلاع .

(قول في شعر)

وأما قول ابن ميادة .

ألا لائبالي أنْ تُخْدِفَ خِدْفُ وَلَسْنَا نُبَالِي أَنْ يَطْنَ ذُبَابُهَا^(١)
فلَمَّا جَمَلَ الذُّبَابُ هَاهُنَا مَثَلًا ، وَقَدْ وَضَعَهُ^(٢) فِي [غَيْرِ] مَوْضِعِ

تَحْقِيرِ [لَهُ] وَ [مَوْضِعِ] تَصْغِيرِ . وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ :

بَنَى أَسَدٌ كَوْنُوا لِمَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوَالِيَ ذَلَّتْ لِلَّهَوَانِ رِقَابُهَا^(٣)
فَلَوْ حَارِبْتَنَا الْجَنُّ لَمْ تَرْفَعْ الْعَصَا عَنْ الْجَنِّ حَتَّى لَا تَهَرَّ كِلَابُهَا^(٤)
وَلَيْسَ يَرِيدُ [تَحْقِيرِ^(٥)] الْكِلَابِ .

(استطراد لنوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السيف . ويقال تلك أرضٌ مَذْبَغَةٌ ،
أَيْ كَثِيرَةُ الذُّبَابِ .

-
- (١) تُخْدِفُ : تَمْشِي مَشْيَ كَالْمَرْوَلَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا سَمِيتَ الْقَبِيلَةَ خِدْفًا . ل : « وَتُخْدِقُ »
س : « تَجِيدُ » ، وَالْوَجْهَ مَا فِي ط . وَفِي س : « تَطْنُ ذُبَابُهَا » ، وَالذُّبَابُ يَذْكُرُ
وَيُؤْنِثُ ؛ إِذْ كُلُّ جَمْعٍ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ الْمَاءُ فَلَهُ يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ .
(٢) ط ، س : « وَصَفَهُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .
(٣) ل : « كُنْ » ، وَجَبَّهَ بِهَا الْمَعْنَى أَيْضًا .
(٤) ط ، س : « وَلَوْ » ط : « الْفَتَا » وَهُوَ جَمْعُ قَتَا .
(٥) لَيْسَ بِالْأَصْلِ . وَالْكَلَامُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِهَا .

وقال أبو الشَّعْمَقِ فِي هِجَائِهِ لِبَعْضِ مَنْ أَبْتَلَى بِهِ :

أَسْمَحَ النَّاسَ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذَبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرَقِهِ
[وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبَنَ إِذَا ضُرِبَ بِالْكَنْدُسِ ^(١) وَنَضَحَ بِهِ بَيْتٌ لَمْ
يَدْخُلْهُ ذُبَّانٌ] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكياني ^(٢) وهو يقول لثمامة بن أشرس : قلنا لكم
إننا ندلكم على الإكسير ^(٣) ، فاستقلتم الغُرم ، وأردتم الغُرم بلا غُرم .
وقلنا لكم : دَعُونَا نَصْنَعُ هَذِهِ الْجُسُورَ [صِنْعَةً لَا تَنْقُضُ أَبَداً ، فَأَيِّتُمْ . وَقُلْنَا
لكم : مَا تَرْجُونَ مِنْ هَذِهِ الْمُسْنِيَّاتِ ^(٤)] الَّتِي تَهْدِمُهَا الْمُدُودُ ^(٥) ، وَتَحْرُبُهَا
الْمَرَادِي ^(٦) ؟ ! نَحْنُ نَعْمَلُ لَكُمْ مُسْنِيَّاتٍ ^(٧) بِنِصْفِ هَذِهِ الْمُتُونَةِ ، فَتَبْقَى لَكُمْ

(١) الكندس ، ككفتل : عروق نبات داخلة أصفر وخارجة أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيماوى » .

(٣) في مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو اللوآء الذى إذا طبخ به الجسد
الملااب جعله ذهباً أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبقى في الأودية .

(٥) المدود : جمع مد ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو غشبة تدفع بها المغينة . ويسمى عوام
مصر « المردى » بكسر الميم والتقصير . ط ، ل : « المردى » وصوابه في س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسنيات » س : « مسنات » وصوابه في ل .

أبدأ . ثم قولوا للملود أن تجتهد جهدها ، وللمرادی^(١) أن تبلغ غايتها
[فأينم] . وقولوا لى :^(٢) الذباب ماترجون منها^(٣) ؟ و [ما] نشتهون من
البعوض ؟ وما رغبتمكم فى الجرجس^(٤) ؟ لم لاتدعونى أخرجهما من
١٢٠ بيوتكم بالثبوتة البسيرة ؟ وهو يقول هذا القول وأصحابنا يضحكون ، وابن
سافرى جالسٌ يسمع^(٥) ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغداه
وكساه وسقاه ، ثم قال له : أحببت^(٦) أن تخرج البعوض من دارى .
فأما^(٧) الذباب فإنى أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أنك الله
بالفرج^(٨) ؟ قال : فافعل . قال : لابد لى من أن أخلط أدوية [وأسترى
أدوية] . قال : فكم تريد ؟ قال : [أريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك^(٩) ؟
قال : خسون ديناراً^(١٠) . قال : ويحك ! خسون يقال لها يسير^(١١) ؟ قال :

(١) المرادى سبق تفسيرها فى ٣٨٥ . ط ، ل : « لمدارى » وصوابه فى س .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة فى القرص ، وهو البعوض الصغير . ط ، س : « رغبكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك فى ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س :

« ابن سافرى » . وفيها أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخسون يسير » .

أنت ليس^(١) تشتهي الراحة من قنر الذبان ولسع البعوض ! ثم لبس عليه^(٢) وقام على رجلية . فقال له : اقم . قال : إن قعدت قبل أن آخذها ثم اشتريت دواء بمائة دينار لم تنفع به^(٣) ، فإنني لست أدخن هذه اللدنة^(٤) ، إلا للذين إذا أمرتهم بإخراجهن أخرجوهن . ولا أكنمك ما أريد ، إنني لست أقصد إلا إلى العمار^(٥) . فها هو إلا أن سمع يذكر العمار^(٦) حتى ذهب^(٧) عقله ، ودعا له بالكيس [وذهب^(٨) ليزن الدنانير ، فقال له : لا تشق على نفسك ! هاتها بلا وزن عددا^(٩) ، وإنما خاف أن تحدث حادثة ، أو يقع شغل ، فضوت . فعدها وهو زميع^(١٠) فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعددها فوجد دنانيره^(١١) تنقص ، فبكر عليه يقتضيه الفضل^(١٢) ، فضحك أبو حكيم حتى كاد يموت ، ثم قال :

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « اللغن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه

من ل .

(٦) ط ، س : « فها هو إلا صك سمه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وعلد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعددها وهو زيع » ، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير » ، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة في أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه » ، محرف

والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعهُ حتى قال له ثمامة : ويلك أجبني^(١) أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسَّخْرِيَّةُ مستورة . فإن نافرتَه فضَحَّتْ نفسُكَ ، وورِحتَ عداوةَ شيطانٍ هُوَ واللهِ أَضَرُّ عَلَيْكَ مِنْ عُمَارِ بَيْتِكَ ، الذينَ ليسَ يخرجونَ عنكَ^(٢) الذبابُ والبعوضُ بلا كُلفةٍ ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سَكَّانِي وجِرَانِي . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون دينارًا مائةً دينارًا !!

(شعر في أصوات الذباب وغنائها)

ومما قيل في أصوات الذباب^(٣) وغنائها ، قال الملقَّبُ العبدِيُّ^(٤) :
وَتَسْمَعُ لِلذَّبَابِ إِذَا تَغَيَّى كَتَغْرِيدِ الْحَمَامِ عَلَى الثُّصُونِ
وقال آخر :

حُسُو مَسَارِيئِهِ تَغَيَّى فِي غَيَاطِلِهِ ذِبَابُهُ^(٥)

(١) ط ، س : « ويلك يا مجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون منه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) الملقَّبُ العبدِيُّ : شاعر جاهل من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبيد النيس .
واحمه حصن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة . وأبوه ثملة
ابن وائلة بن عدى . والملقَّبُ : اسم فاعل من ثَنَبَ ، سمي بذلك لقوله :
رددن تحية وكن أخرى وثقبن الوساوس الميسون

خزانة اليندای (٤ : ٤٣١ يولات) ومجمع المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حر : جمع أحوى ، وهو الفئارب إلى السواد لشدة غضبه . والمسارب : المراضى
والنيطل : الشجر الملقف .

وقال أبو النجم :

أَنْفٌ رَى ذُبَابَهَا تَعَلَّه^(١) مِنْ زَهْرِ الرَّوْضِ الَّذِي يَكَلُّه^(٢)
وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمانه^(٣) فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِي عَزَائِهِ^(٤)
مُخْلَفَ الْأَلْوَانِ فِي أَمْنَائِهِ^(٥) نَوْرًا تَخَالُ الشَّمْسَ فِي حِرَائِهِ^(٦)
مَكَلَّلًا بِالْبُورِدِ مِنْ صَفَرَائِهِ يجابوب المكَّاء من مُكَّائِهِ^(٧)
صَوْتُ ذُبَابِ الْعُشْبِ فِي دَرْمَائِهِ^(٨) يَذْعُو كَأَنَّ الْعَقَبَ مِنْ دُعَائِهِ^(٩)
صَوْتُ مُغْنٍ مَدَّ فِي غِنَائِهِ

وقال الشَّاعِر :

يَكْلِفُهَا أَلَّا تَخْفُضَ صَوْنَهَا أَهَازِيحُ ذِبَابٍ عَلَى عُودِ عَوْسَجٍ^(١٠)
بَعِيدُ مَدَى التَّطَرُّبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ سَحِيلٌ وَأَعْلَاهُ نَشِيحُ الْمُحْشَرَجِ^(١١)

(١) أنف : أى روضة أنف بشتين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشمس .
ط : « أنتمى » وصوابه فى ل ، س ، والسان (أنف) . وتمله : من طله
بالطعام : شغله به . وشير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س :
« ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبابها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) المزاء : الأرض التى ليدها المطر فتشدها . انظر اللسان . ط : « عزائه »
وتصحىحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أمائيه » .

(٦) أى تخال أنت الشمس فى أزهاره الخمر ، فلوئها واحد . ل : « تحار الشمس » .

(٧) المكَّاء بضم الميم والتشديد : ضرب من القنار له صغير حسن .

(٨) الدرماه : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينفث على هيئة السكيد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كنى العقب من
بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهَازِيحُ : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهَازِيحُ »
بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت

فى ديوان الشَّاعِر . ويبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تفتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الخمار . ط : =

(المغنيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغناء أجناسُ الحمام واليعوض ، وأصناف الذبَّان من الدَّبَر ، والنَّحْل ، والشَّعْرَاء ، والصَّمْع^(١) والنَّعْر^(٢) . وليس للذبَّان الكلب غناء ، ولما لم يخرج من الباقلاء . قال الشاعر :

تَلَبَّ عنها بِأَيْثِ ذَائِلِ ذِبَّانِ شَعْرَاءَ وَصَيْفٍ مَازِلِ^(٣)

(ألوان الذبَّان)

وذبَّان الشَّعْرَاءُ مُحَر . قال : والذبَّان التي تُهْلِكُ الإِبِلَ زُرُق .

قال الشاعر^(٤) :

رَبَّعَتْ وَالذَّهْرُ ذُو تَصْفُقٍ^(٥) حَالِبَةً بَلَى سَبِيحٍ مَوْنِقٍ^(٦)
إِلَّا مِنْ أَصْوَاتِ الذَّبَابِ الْأَزْرَقِ^(٧) أَوْ مِنْ نَفَاقِ الْفَلَا الْمُنْقَطِقِ^(٨)

= « سِجِل » س : « سِجِل » وصوابه في الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت

يتردد في الصدر . والمخشرج : الذي يفرغ عند الموت . والبيت في صفة حمار .

(١) التضع بالتحريك : ذهاب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذهاب أزرق يلسع الفواب . س : « النعر » ل : « النعر » وهما تصحيف ماق ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عني به : الذيل . وانظر ص ٣١٤ .

(٤) الأول أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعني الإبل أكلت الربيع . ولتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيح واحدة سبيحة ، وهي الغناء تكثر في

المكان . أو أراد بالسبيح : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطيح صوابه في س .

(٨) « نفاق » بلحا في س : « نفاق » . وأحسبها محرفتين .

والذَّبَّانَ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَى الدَّوَابِّ صُفْرٌ^(١) .

وقال أَرطاة بن سُهَيْبَةَ ، لَزْمِيلَ بْنِ أُمِّ دِينَارٍ^(٢) :

أَزْمِيلَ لِمَئِيْ لَنْ أَكُنَّ لَكَ جَازِيَا أَعَكِرَ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُخْ لَاسْتَرْقِيْ^(٣)
لِمَئِيْ أَمْرُوْكَ تَجِدُ الرُّجَالَ عِدَاوَتِيْ وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الدُّبَابِ الْأَزْرَقِ
وَإِذَا مَرَّ بِكَ الشَّعْرُ الَّذِي يَصْلَحُ لِلْمَثَلِ وَالْحِفْظِ^(٤) ، فَلَا تَنْسَ حِفْظَكَ
مِنْ حِفْظِهِ .

وقال المتلمس :

فَهَذَا أَوَّانُ الْعَرِضِ حَتَّى ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتْلِمُسُ^(٥)
وَبِهِ سُمِّيَ الْمُتْلِمُسُ .

(١) ط : « أصفر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بني مازن بن قزارة ، أحد بني عبد مناف . وأبوه أبيير
بالصغير ، أو وبيير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، وهو من
المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة
٣٩٧٣ ، والمخزاة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه
في ل ، والمخزاة . وأرطاة بن سبية : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفاني المزي ،
شاعر مشهور . وسبية أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان .
وكان يكنى أبا الوليد ، وهي أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وَمَا تَجْنِي النِّيَّةَ حِينَ تَنَاقُ عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدٍ

وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُورُ حَتَّى تَوَفِّيَ تَذَرُهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ

فارتد عبد الملك ووطن أنه أراهه . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنت نفسي
فسكت . ونسب في الخامسة ١ : ١٤٩ إلى سلم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ، د : « جازيا » ، بلحا في ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح
وأعكر عليك : أغليك أو أكر عليك . و « ترخ » هي في ط : « ترخ » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه » ، ولأن تحفظه .

(٥) بهذا البيت سمي المتلمس . وهو شاعر جاهل اسمه جرير بن عبد المسبح الضبي كما في
الشعراء . والعرض - بالكسر - : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة
والمراد هنا الانتماش ، وروى : « جن ذبابه » وحنونه : كثرة حنينه . ط :
« ذبابه » صوابه في ل ، س . س : « حتى » وهي تحريف .

وقال ابن ميادة :

بَعَثَ تَرِسٌ كَانَ الدَّبْرَ يَلْسُمُهَا إِذَا تَفَرَّدَ حَادٍ خَلَقَهَا طَرْدُ^(١)

(مَا يَسْمَى بِالذَّبَّانِ)

والدليل على أنَّ أجناسَ النَّحْلِ والدَّبْرَ كلُّها ذِبَّانٌ ، ما حدث [به]
عَبَادُ بْنُ صُهَيْبٍ ، وإسماعيلُ المَكِّيُّ^(٢) عن الأعمش ، عن عطية بن سعيد
الْعَوْفِيِّ^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ ذُبَابٍ فِي النَّارِ
إِلَّا النَّحْلَةُ » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكره قتل النَّحْلِ وإحراقَ الْعِظَامِ .
يعنى فى الغزو .

وحدثنا عَنبِيسَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ السَّدُوسِيُّ قَالَ : أَنبَأَنَا^(٤) أَنَسُ
ابْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَمَرُ الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ
يَوْمًا . وَالذَّبَّابُ فِي النَّارِ » .

(١) المترس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأخافى : ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « من إسماعيل المكي » .

(٣) ل : « لعوف » وصوابه فى ط ، س كان فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر :
عطية بن سعد بن جندادة - يظم الجيم بهما نون خفيفة - لعوف الجدل - يفتح الجيم
والمهمل - ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة
يعنى بعد المائة . وترى أنه جعل أيامه سعداً لاصحبه .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال ^(١))

وقد اختلف الناس في تأويل قوله : « والذباب في النار » وقال قوم :
الذباب خلقُ خُلِقَ للنَّار ، كما خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنَّار ، وخلق
أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلَعوا عُدْرَهُمْ ^(٢) فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢
عَدْلٌ من الله عزَّ وجلَّ ، فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه
عذابَ الأطفال فقد مجَّده . ولو وجد سبيلاً إلى أن يقول إنَّ ذلك ظلم لقاله ^(٣)
ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أنَّ الله تعالى يخبرُ عن شيءٍ ^(٤) أنه يكون
وهو لا ^(٥) يكون ، ثم يقول إلاَّ ^(٥) أنَّ ذلك صدق لقاله . إلاَّ أنَّه ^(٦) يخاف
السيف عند هذه ، ولا يخاف السيف عند تلك . وإن كانت تلك أعظمَ
في الضرِّية من هذه .

وبعضهم يزعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما عَذَّبَ أطفالَ المشركين ليُعَمَّ بهم
آبائهم ^(٧) . ثمَّ قال المتعاقِلون منهم : بل عَذَّبهم لأنَّه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا
له . فليت شعري [أ] يحسب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى ، لأنَّ

(١) انظر مثل هذا البحث في الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلق العذار كناية عن التشاغر
كما في الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشيء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلها في ل : « ولكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباؤهم » رسمت في ط ، ص :

« آباؤهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فآتى ^(١)
 قبيحاً فالذى بحسن ^(٢) ذلك القبيح أن صاحبه كان فى [موضع] ^(٣) أمن ،
 أولأنه آمنٌ يتمتع ^(٤) من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظلم
 والعبث واللهو والبخل ^(٥) كله محال ممن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه ^(٦)
 إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها فى الثواب ،
 وأن المعاصى إذا استوت استوى أهلها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعة
 ولا معصية استووا فى التفضل ^(٧) .

وزعم أن أجناس الحيوان [وكل شئ] يحس ويألم ،
 فى التفضل ^(٧) سواء .

وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم فى الجنة . وزعم أنه
 ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السباع فى ذلك وبين
 البهائم فرق .

(١) ط : « آتى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يتمتع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إِنَّ هذه الأبدان السُّبُيَّةَ والهِمِيَّةَ لا تدخل الجنة ،
ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقل تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛
فيركِّبها في أيِّ الصُّور أحبَّ ^(١) .

وكان أبو كلدة ^(٢) ، ومَعْمَر ، وأبو الهذيل ، وصحصح ^(٣) ، يكرهون هذا
الجواب ، ويقولون : سواء عند خواصِّنا ^(٤) وعوامِّنا ، أقلنا : إِنَّ أرواحَ كلابنا
تصيرُ إلى الجنة ، أم قلنا : إِنَّ كلابنا تدخل الجنة ^(٥) . ومتى ما اتصل كلامنا
بذكر الكلب على أيِّ وجهٍ كان ، فكأنَّا عندهم قد زعمنا أَنَّ الجنَّةَ فيها
كلاب . ولكنَّا زعم أنَّ جميع ما خلقَ الله تعالى مِنَ السِّباعِ والبهائمِ
والحشراتِ والهمج [فهو] قبيح المنظره مؤلم ، أو حسن المنظره ^(٦) مُلذَّ ، فما كان
كانليل والظباء ، والطواويس ، والتندارج ^(٧) فَإِنَّ تلك [في] الجنة ، وبِلَذَّ ^(٨)
أولياء الله عزَّ وجلَّ بمنَّاظرها . وما كان منها قبيحاً في الدُّنيا مؤلماً للنظر

(١) ط ، س : « الصور الحسن أحب » . وكلمة « الحسن » متحبة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث في الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحصح ذا مذهب غريب في « تفصيل البيان على كثير من الذكر » ، وأن
الفناء في الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقفاً في النفوس من
عيش المقلاء . وتجد حجته لذلك في البخله ص ٥ .

(٤) ل : « لمصومنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س :
ويطابق ط : « أو » ، والوجه « أم » كما في ل .

(٦) المنظره : المنظر ، وهذه الأخيرة جاءت في ط ، س .

(٧) التندارج : جمع تندرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التندارج » .

(٨) ط ، س : « وتلك » وصوابه في ل .

جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه في النَّار . فلذا^(١) جاء في الأثر : أن
 الذَّبَاب في النَّار ، وغير ذلك من الخلق ، فلأنما يراد به هذا المعنى .
 ١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون في النَّار ، وتلذَّذ ذلك^(٢) ، كما أن خَزَنَةَ
 جهنم والذين يتولَّون من الملائكة التعذيب ، يلذُّون موضعهم من النار .
 وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى يطبِّعهم على استلذاذ النَّار والعيش
 فيها ، كما طبع ديدان^(٣) الثلج والخل على العيش في أماكنها .
 وذهب آخرون إلى أن الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانها علةً لاتصل النَّار
 إليها ، وتنعم قلوبها وأبدانها من وجه آخر كيف شاء^(٤) . وقالوا : [و] قد
 وجدنا النَّاسَ يَحْتالون لأنفسهم في الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخل أحدهم بعضَ
 الآثاتين^(٥) بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النار ، وهو في معظمها ، وموضع
 الجاحم^(٦) منها . ففَضِّل ما بين قدرة الله وقُدرة عبادِه أكثر من فضل
 ما بين حرِّ نار الدُّنيا والآخرة^(٧) .

-
- (١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .
 (٢) ط ، س : « تلذَّذ بذلك » وأثبت ما قبل . ومما صحَّحان . قال الزبير بن العوام
 يرقص ابنه حروة (البيان ١ : ١٨٠) :
 أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
 الله كما ألدَّ رفيق
 (٣) ط : « حيران » ، وصوابه : في ل ، س . وديدان الخمل سبق الكلام عليها
 في ٢ : ١١١ .
 (٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الفجائر في ط ، س الماقبل ، أي
 « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه في ل .
 (٥) الآثاتين : جمع أثون ، كتثور ، وهو : أعمود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س
 « النَّاس » وصوابه في ل .
 (٦) الجاحم : التورقة والالتهاب . ط ، س : « الجاحم » وتصحيحه من ل
 (٧) كذا في ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفض ما بين قوة حر نار
 الدنيا والآخرة » .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ سَبَّلَهَا^(١) فِيهَا كَسْبِيلَ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُدِّرَ فِيهَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يَقَالُ لَهُ [مَلِكُ الظِّلِّ] ، فَكَانَ يَحْدُثُهُ وَيُؤَنِّسُهُ ؛ فَلَمْ تَصِلِ النَّارُ إِلَى أَذَاهُ ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْ طَبَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ .

وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ^(٢) فِي هَذِهِ الْجَوَابَاتِ ؛ فَإِنْ أَخْصَبَا وَأَشْنَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخَطْهُ وَلَا يَعْقِلْ كَيْفَ يَكُونُ السَّخَطُ . وَمَنْ الْعَجَبُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا عَذَّبَهُ لِيُغَمَّ أَبَاهُ^(٣) . وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوَصِّلَ إِلَيْهِمْ ضَعْفَ الْاِغْتِمَامِ ؛ وَضَعْفَ الْأَلَمِ^(٤) الَّذِي يَنَالُهُمْ بِسَبَبِ أَبْنَائِهِمْ . فَأَمَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِصْبَالِ ذَلِكَ الْمِقْدَارِ إِلَى مَنْ يَسْتَحَقُّهُ ، فَكَيْفَ يَوْصِلُهُ وَيَصْرِفُهُ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحَقُّهُ ؟ ! وَكَيْفَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ أَسْخَطَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يُسْخَطْهُ^(٥) ؟ ! [هَذَا] وَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوْمَذُ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا لَأُولَئِكَ أَلْفَاظٌ لِلشَّوَى ﴾ . وَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ ؟ !

ثمَّ رَجِعْ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى الذَّبَّانِ وَأَصْنَافِ الذَّبَّانِ .

(١) ط ، س : « سَبَّلَهَا » ، وَصَوَابُهُ قُلْ .

(٢) ط ، س : « وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ » .

(٣) ط : « أَبَاهُ » ، وَصَوَابُهُ قُلْ ، س .

(٤) ل : « ضَعْفَ اِغْتِمَامِهِمْ وَالْأَلَمِ » .

(٥) ط : « إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحَقُّهُ دُونَ مَنْ أَسْخَطَهُ » س : « إِلَى مَنْ اسْتَحَقَّهُ » ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(جهل الذَّبَّانَ وما قيل فيها من الشعر)

والذَّبَّانُ أَجْهَلُ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّارَ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ .

وقال الشاعر :

خَضَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَذَلِكَ الصَّحِيفَةَ بِالْخَاتَمِ^(١)
هَوَتْ بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هُوِيَ الْفَرَّاشَةَ لِلْجَاحِمِ

وقال آخر :

كَأَنَّ مَشَافِرَ انْتِجَدَاتٍ مِنْهَا إِذَا مَامَسَهَا قَعُ الذُّبَابِ^(٢)
بِأَيْدِي مَأْتَمٍ مَتَاعِدَاتٍ نَعَالِ السَّبْتِ أَوْ عَذَبِ الثِّيَابِ^(٣)

(نقد بيت من الشعر)

١٢٤

وقال بعض الشعراء^(٤) ، يهجو حارثةَ بنَ بدرِ الغَدَّانِيَّ :

زَعَمْتَ غَدَانَةً أَنْ فِيهَا سَيْدًا ضَخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ^(٥)

(١) كذا في ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفي ل : « هل حبها كختم » .

وكانوا يجمعون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) التجيدات : جمع نجدة ، وهي الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقنع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة في الحزن . ط : « بأيديمتهم » صوابه في ل ، س . والمطاب : جمع مطبة ، وهي خرقعة الناعمة . ط ، س : « عرب » عرف . أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا صي تفعل التوائح بنعال السبت ؟ ل : « نعال السبت » !

(٤) هو الأبيد الرياسي ، كما في الأغاني (١٢ : ١٠) . وانظر (٢٥١ : ٦) .

(٥) غداة بالفم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أي يماثله ويساويه .

وأثبت ما في ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنه قال :
 يرويه ما يروى الذباب فينتشى سُكراً ، وتشبهه كراع الأرنب^(١)
 قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناحُ
 الجندب »^(٢) ثم يقول : « ويشبهه كراع الأرنب » :

وإنما^(٣) ذكر كراع الأرنب ؛ لأن يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع
 [في] الصعود ، ولا يلحقها من الكلاب إلا كلٌ قصير اليد^(٤) . وذلك
 محمودٌ من الكلب . والفرس توصف^(٥) بقصر الذراع .

(قصة في الحرب من الذباب)

وحدثني الحسن بن إبراهيم العلوي قال : مررتُ بخالي ، وإذا هو وحده
 يضحك ، فأنكرتُ ضحكهُ ، لأنني رأيته وحده ، وأنكرته^(١) ؛ لأنه كان
 رجلاً زميئاً ركيئاً^(٢) ، قليل الضحك . فسألته عن ذلك فقال : أتاني فلانُ

- (١) ط ، س : « ويشبهه كراع الجندب » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع
 على أكرع ثم على أكرع . وهي مؤنثة يصح في فعلها التذكير والتأنيث . لكن
 كلمة « الجندب » تحريف صوابه من ل والناثر ومن سياق الكلام .
 (٢) الجندب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يواريه جناح الجندب » .
 (٣) قبل هذا في ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سمعي فهو
 الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سُكراً وتشبهه كراع الأرنب»

- (٤) ل : « اليدين » .
 (٥) ط ، س : « يوصف » .
 (٦) ط س : « فأنكرته » .
 (٧) الزميت : العظيم الوقاء . والركين : الرزين . ل : « سكيناً » .

يعنى شيخاً مدينيّاً^(١) - وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنا والله
ماربٌ من بيتي ! قلت ولم ؟ قال : في بيتي ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ
نَارَ^(٢) في وجهي ، وطار حولي وطنٌ عند^(٣) أذني ، فإذا وجد مني غفلةً
لم يُخطئْ موقَ عيني . هذا والله دأبه ودأبي دهرًا معه^(٤) . قلت له : إن شبه
الذباب بالذباب كشبه الغراب بالغراب ، فلعَلَّ الذي آذاك اليوم أن يكونَ
غيرَ الذي آذاك أمس ، ولعلَّ الذي آذاك أمس غيرَ الذي آذاك أوَّل
[من^(٥)] أمس ، فقال : اعتقُ ما أملك إن لم أكن أعرفه [بعينه] منذُ
خمس عشرة سنة^(٦) . فهذا هو الذي أضحكني !

(قصة في سفاذ الذباب)

وقال الخليل بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركبُ الخنزيرةَ عامةً نهاره .
ورأيتُ الجملَ يركبُ الناقةَ ساعةً من نهاره^(٧) . وكنت قبل ذلك أغيط

(١) ل : « مدينا » وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، ص .

(٦) ل : « حجة » ، وهي بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

المصفور والمصم^(١) - فإنَّ الذَّكَرَ وإنَّ كان سريعَ التَّزَوُّلِ عن ظهرِ الأنثى فإنَّه لِسُرْعَةِ العُودَةِ ، ولِكثَرَةِ العددِ ، كأنَّه في معنى الخنزيرِ والجمل - حتَّى رأيتُ الذُّبَابَ وفطنتُ له ، فإذا هو يركبُ الذُّبَابَةَ عَامَّةً نهارَه . فقال له محمد ابن عمر البكرأوى^(٢) : ليس ذلك هو السَّفَادُ^(٣) . قال : أمَّا الذي رأيتُ العَيْنانِ فهذا حكمُه . فإنَّ كنتَ تريدُ أنْ تطيبَ نفسُك بإنكارِ ما تعرفُ فما قَسَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بين خلقه ، من فضولِ اللَّذَّةِ^(٤) ، فدونك .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للورل في ذلك ما ليس عند غيره .

(١) كذا في ط ، س . ولم أجد « المصم » مفرداً أو جماعاً ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصح » كصرد وقفل جماعاً . ل : « مصمة » كهمزة وغرفة . وهو طائر أخضر ، كما في القاموس . وانظر المختص (٨ : ١٤٣) . وفي ل : « الصمو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصمو فهو ضرب من صفار المصافير .

(٢) البكرأوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق في ٣٤ . قال الإصطخري : « جرجان قلعان : إحداهما المدينة ، والأخرى بكرا باذ ، وبينهما نهر يجري يحتمل أن يجري فيه السفن . كذا في معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكرأوى والبكرأوى » . ل : « محمد ابن عمرو البكرأوى » . وفي النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو السفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما في ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوانات سفاداً ط ، س : « الورل » وصوابه قل .

(قصة آكل الذبان)

١٢٥

وأشدد ابن داحه في مجلس أبي عبيدة ، قول السيد الحميري :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنا^(١) وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون ، وفي الأمور عجائب يأتي بهم تصرف الأزمان
أن الخلافة في ذؤابة هاشم فيهم تصوير وهيبة السلطان^(٢)

وكان ابن داحه رافضياً ، وكان أبو عبيدة خارجياً صُفُرياً ، فقال له :
مامعناه في قوله : « آكل الذبان » ؟ فقال : لأَنَّهُ كان يذبُّ عن عطر
ابن جُدعان^(٣) . قال : ومتى احتاج المطَّارون إلى المذاب ؟ قال : غلظتْ
لُحمُها كان يذبُّ عن حنسة ابن جُدعان . قال : فابن^(٤) جُدعان وهشام

(١) ل : « أترى ضهاكا وابنها وأب ابنا » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جُدعان ، هو عبد الله بن جُدعان ، وكان من أشراف قريش في الجاهلية ومن
وقد حل كسرى . وهو صاحب الجرادتين : اللغتين المشهورتين في الجاهلية .
ومدحه أمية بن أبي الصلت بقصيدته التي أولها :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيعتك الحياء

فأعلمهم إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان مسمى بحامي الذهب ؛ لأنه
كان يشرب في إناء من الذهب ، فقالوا في المثل : « أقرى من حامى الذهب » .
الأغاني (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جُدعان » وفي المواضع

الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يحاسب لأحدهما الحبيسة على عدة أنطاع^(١) ، فكان يأكل منها الراكب والقائم^(٢) ، فأين كانت تقع مذبة أبي قحافة من هذا الجبل ؟ قال : كان يذب عنها ويدور حوالها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنة^(٣) .

(تحقير شأن الذبابة)

قال : وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها ، يقول الرسول^(٤) :
« لو كانت الدنيا تُساوى عند الله تعالى جناح ذبابة^(٥) ما أعطى الكافر منها شيئاً » .

(١) الحبيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط امر بالسن والأقط فيمجن ثم يندو نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالكسر ، وبالفصح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البحر وسقط فيها صبي ففرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) .
وقد يبدو هذا الخبر غريباً ، لكننا نجد تمزيقاً له من الحديث ، جاء في غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدهان سكة حمى » ، يعنى فى المهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآق ، حديث صحيح رواه الترمذى ، ونقله عنه السيوطى فى الجامع الصغير ٧٤٨٠ ونلفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سق كافراً منها شربة ماء » . فى الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب » ، ووجه ما أثبت من له .

(أعجوبة في الذّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة في الذّبان^(١) أعجوبة، لو كانت بالشّام^(٢) أو بمصر لأدخلوها في باب الطّلسم؛ وذلك أنّ الثّمَرَ يكون مصبوباً في بيادر التمر في شقّ البساتين، فلا ترى على شيء منها دُبَابَةٌ لآفي الليل، ولا في النهار، ولا في البرد^(٣)، ولا في أنصاف النهار. نعم وتكون هناك المعاصر^(٤)، ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذّباب الفرار من الشّمس إلى الظّل. ولأنّ تلك المعاصر بين ثمرة [و] رُطَبَةٍ، ودِيس [ونجير]^(٥)، ثم لا تكاد ترى في تلك الظلال والمعاصر، في انتصاف^(٦) النهار، [ولا] في وقت طلب الذّبان الكين، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذّبان.

وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشّقّ الذي فيه البساتين. فإن تحوّل^(٧) شيء من [تمر] تلك الناحية^(٨) إلى جميع ما يقابلها في نواحي البصرة، غشيه من الذّبان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه

(١) ط : « الذّباب » .

(٢) الشّامات : هي بلاد الشّام . وانظر ما سبق في حواشي ١ : ٧٣ .

(٣) البردان : الفدّة والمشي . ط ، س : « البرد » وتصحيحه من ل .

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر ، وكانوا يصبرونه لاستخراج الدبس ، وهو صل التمر .

(٥) النجير : ثقل كل شيء بمصر . وهو فارسي معرب ، كما في المرب للجواليقي ٤١ .

(٦) ل : « أنصاف » ، كما سقطت كلمة « تكاد » .

(٧) ل : « حول » .

(٨) ط ، س : « البادية » ، والوجه ما أثبت من ل .

وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس^(١) ، وبين موضع الدَّبَّان إلا فيض البصرة ، ولا بين ما يكون من ذلك بنهر أَدْرَب^(٢) وبين موضع الدَّبَّان ممَّا يقابله ، إلا سِيحَان^(٣) ، وهو ذلك النهر وتلك المصبرة ، ولا تكون تلك المسافة إلا مائة ذراع أو أزيدَ شيئاً أو أنقصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضرُوبٍ من الحيوان)

وأعجوبة أخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلِّ شئٍ صدرنا به جملة القول فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينام كالصافر^(٤) والتَّنُوط^(٥) ؛ فإِثْمَا إذا كان اللَّيْلُ فَإِنْ أحدهما يتلَّى من ١٢٦ غصن الشجرة ، ويضمُّ عليه رجله ، وينكسُ رأسه ، ثم لا يزال يصيحُ حتى يبرقَ النُّور . والآخرُ لا يزالُ ينتقلُ فى زوايا بيته ، ولا يأخذهُ القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَّ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

(١) نهر دبيس ، بالتصغير : نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كافى معجم البلدان .

(٢) كلنا فى ط . س . : « أدرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سِيحَان نهر بالبصرة ، كان للبركة وهم سموه سِيحَان . وقد سميت العرب كل ماء جار غير منقطع : سِيحَان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع الصائير ، وسبكل الجاحظ نمته . ط : « كالصافر » ووجهه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التَّنُوط : طائر شبه الصافر المتقدم ذكره . وانظر ما ساقى .

الأشجار مما يشبه الليف^(١) فنفسه ، ثم فنكَل منه حبلاً ، ثم عَمِلَ منه كَهَيْئَةِ القَفَّةِ ، ثم جعله مُتَلِّئاً بِذَلِكَ الحبل ، وعَقَدَهُ بِطَرَفِ غُصْنٍ مِنْ تِلْكَ الأغصان ، لِأَنَّ ذَلِكَ بِرَصِيعٍ وَنَسْجٍ ، وَمُدَاخَلَةٍ عَجِيبَةٍ ؛ ثُمَّ يَتَّخِذُ عَشَهُ فِيهِ ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ غَافَةً عَلَى نَفْسِهِ .

وَالْأَعْرَابُ يُزْعَمُونَ أَنَّ الذَّبَّ شَدِيدُ الْاحْتِرَاسِ ، وَأَنَّهُ يُرَاحُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَتَكُونُ وَاحِدَةٌ مَطْبَقَةٌ^(٢) نَائِمَةً ، [وَتَكُونُ] الْآخَرَى مَفْتُوحَةً حَارِسَةً . وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الْأَرْنَبَ تَنَامُ مَفْتُوحَةً لِلْعَيْنَيْنِ .

وَأَمَّا الدُّجَاجُ وَالْكَلَابُ فَلِإِنَّمَا تَعْرُبُ^(٣) عَقُولُهُمَا فِي النَّوْمِ ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَيْهِمَا بِمَقْدَارِ رَجُوعِ الْأَنْفَاسِ . فَأَمَّا الدُّجَاجُ فَلِإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الْجَبَنِ^(٤) وَأَمَّا الْكَلْبُ فَلِإِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ [شِدَّةِ] الْاحْتِرَاسِ .

وَجَاعُوا كُلُّهُمْ بِخَبْرِهِمْ أَنَّ الْغُرَانِيْقَ وَالْكِرَاكِيَّ لَا تَنَامُ أَبَدًا إِلَّا فِي أَبْعَدِ الْمَوَاضِعِ مِنَ النَّاسِ ، وَأَخْرَزَهَا مِنْ صِفَارِ سِبَاعِ الْأَرْضِ ، كَالثَّلْعَلِ وَابْنِ آوَى . وَأَنَّمَا لَا تَنَامُ حَتَّى تَقْلُدَ أَمْرَهَا رِئِيسًا وَقَائِدًا ، وَحَافِظًا وَحَارِسًا ، وَأَنَّ الرِّئِيسَ إِذَا أَعْيَا رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ ؛ لِيَكُونَ أَيْقَظَ لَهُ .

(١) ط ، س : « يشته باليف » .

(٢) ل : « مطبقة » .

(٣) تعرب : أى تبهذ وتقيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصرابه

ما أثبت مطابقاً لما سبقت ص ١٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم) :

وسلطان النوم معروف . وإن الرجل ممن يغزو^(١) في البحر ، ليعتصم^٢ بالشراع وبالعُود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النوم متى خالط عينيه استرخت يده ، ومتى استرخت يده باينته الشيء الذي كان يركبه ويستعصم به^(٣) ، وأنه متى باينته^(٤) لم يقدر عليه ، ومتى عجز عن اللحاق [به] فقد عطب^(٥) . ثم هو في ذلك لا يخلو ، إذا سهر ليلة أو ليلتين ، من أن يغلبه النوم ويقهره ، وإنما أن يحتاج إليه الحاجة التي يريه الرأي الحيوان ، وفساد العقل المغموّر بالعلة الحادثة ، أنه قد يمكن^(٦) أن يُغنى وينتبه في أسرع الأوقات ، وقبل أن تسترخي يده كل الاسترخاء ، وقبل أن تباينه الخشبة إن كانت خشبة .

(١) ط ، س : « يفرق » وصوابه في ل . وفي س أيضاً « فلى رجل » تحريف .

(٢) كلما في س . وفي ط : « يركبه واعتصم به » ل : « مركبه واعتصم به » .

(٣) باينته : فارقته ، وبهده عنه . ط : « يأتيه » وصوابه في ل ، س .

(٤) عطب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه في ل .

(٥) « يريه » هي في ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الحيوان » هي في ل :

« الفاسد » . و « يمكن » هي في ط ، س : « تمكن » محرفة .

(المعجبة في نوم الذباب)

وليس في جميع ما رأينا وروينا ، في ضروب نوم الحيوان ، أعجب من نوم الذبان ؛ وذلك أنها ربما جعلت مأواها [بالليل] دَرَوْنْد الباب^(١) وقد غشوه ببطانة ساجر أملس كأنه صفاة ، فإذا كان الليل لزقت^(٢) به ، وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلقت أبدانها إلى الهواء . فلن كانت لا تنام البتة ولا يخالطها عزوب^(٣) المعرفة فهذا أعجب^(٤) : أن تكون أمة من أمم الحيوان لا تعرف النوم ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزب عنها ما يعزب^(٥) ١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضة على مواضع قوائمها^(٦) ، ممسكة^(٧) بها ، أو تكون مرسل لها [مخلفة عنها] . فلن كانت مرسل لها فكيف لم تسقط وهي أثقل من الهواء ؟ ! وإن كانت ممسكة فما فكيف يجامع التشدد والتثبيت^(٨) النوم ؟ !

(١) الدرونْد كلمة فارسية. وفي اللسان (تحف) : « ابن الأعرابي: التجاف هو الدرونْد والتجران. وقال ابن شميل : التجاف الذي يقال له الدوارة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى الأسكة » . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومجمع البلدان (سد ياجوج وماجوج) ط : « دوة » تحريف .

(٢) ط : « لزمت » .

(٣) العزوب : البعد . وفي ل : « غروب » .

(٤) ل : « عجب » .

(٥) ل : « يفرغ » في الموضعين .

(٦) في الأصل : « قائمها » .

(٧) ل : « متمسكة » .

(٨) س : « والتثبيت » .

(بعض ما يترى النائم)

ونحن نرى كلَّ مَنْ كان في يده كيس أو^(١) درهم أو حبلٌ ، أو عصا
فلأنه متى خالط عينيه^(٢) التَّوْمُ استرخت يده وانفتحت أصابعه^(٣) . ولذلك
يتشاءم المحتال للعبد الذى في يده عِنان دابة مولاة ، ويتناول له وهو جالس ،
لأنَّ مِنْ عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرته مَنْ يشغله ، ورأى إنساناً^(٤)
[قَبَالَته] يتشاءم أو يَنْعَس ، [أن يتشاءم وينعس مثله^(٥)] . ففى استرخت
يده أو قبضته عن طَرَف العِنان ، وقد خامره سُكْرُ النَّوْم ، وهى صار
إلى هذه الحال — ركب المحتال الدَّابة ومروها .

باب

القول فى الغربان

اللهم جنبنا التكلّف ، وأَعِزَّنَا مِنَ الخطأ ، وأَحْمِنا العُجْبَ بما يكون منه ،
والتَّوَقَّعَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفى ل : « يندو » بدل : « يتشاءم » . يندو : يتأمل

من التماس .

(٥) هذه التكلة من س .

نذكر على اسم الله جمل القول في الغريبان ، والإخبار عنها ، وعن
غريب ما أودعت من الدلالة ، واستخزنت من عجيب الهداية ^(١) .
وقد كنّا قدّمنا ما تقول العرب في شأن منادمة الغراب الديك
وصداقته له ، وكيف رهنه عند الخمار ، وكيف خاس به وسخر منه وخلعه ^(٢)
وكيف خرج سالماً غير غارم ، وغائماً غير خائب ^(٣) ، وكيف ضربت به
العرب الأمثال ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته في الاشتقاق لئزجرها عند
عباقها وقياقها ، وكيف كان السبب في ذلك ^(٤) .

(ذكر الغراب في القرآن)

فهذا إلى ما حكى الله عز وجل من ^(٥) خبر ابني آدم ، حين قربا قرباناً
فحسد الذي لم يقبل منه المتقبل منه ، فقال عند ما هم به من قتله ، وعند
إمساكه عنه ، والتخليق بينه وبين ما اختار لنفسه : ﴿ لَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ
بِلَيْعِي وَلَا تُمْلِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .
ثم قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

(١) الكلام من مبدأ : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغائماً غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لئلا هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت »

ساقط من ل .

(٥) ل : « من » .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْعَةَ أَخِيهِ ﴿١﴾
 حَتَّىٰ قَالَ الْقَائِلُ ، وَهُوَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ مَا قَالَ . فَلَوْلَا أَنَّ لِلْغُرَابِ ^(١) فَضِيلَةً
 وَأُمُورًا مَحْمُودَةً ، وَآلَةً وَسِيًّا لَيْسَ ^(٢) لغيره من جميع الطَّيْرِ لَمَّا وَضَعَهُ
 اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعِ تَأْدِيبِ النَّاسِ ، وَلَمَّا جَعَلَهُ الْوَاعِظَ وَالْمَذَكِّرَ بِذَلِكَ .
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ ۖ
 كَيْفَ يُوَارِي سَوْعَةَ أَخِيهِ﴾ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَأَنَّهُ هُوَ اخْتَارَهُ لِذَلِكَ مِنْ
 بَيْنِ جَمِيعِ الطَّيْرِ .

قال صاحب الدليلك : جعلت الدليل على سوء حاله وسقوطه ^(٣) الدليل
 على حُسن حاله وارتفاع مكانه . وكلما كان ذلك المقرُّ به أَسْفَلَ كانت
 الموعظة في ذلك أَبْلَغَ . أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْعَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ .

ولو كان في موضع الغراب رجلاً صالحاً ، أو إنساناً عاقلاً ، لما حَسَنَ
 به أَنْ يَقُولَ : يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ
 الشَّرِيفِ . وَإِذَا ^(٤) كَانَ دُونًَا وَحَقِيرًا فَقَالَ : أَعَجَزْتُ وَأَنَا إِنْسَانٌ أَنْ أَحْسِنَ
 مَا يَحْسِنُهُ هَذَا الطَّائِرُ ، ثُمَّ طَائَرَ مِنْ شِرَارِ الطَّيْرِ . وَإِذَا أَرَاهُ ^(٥) ذَلِكَ

(١) ل : « في الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : « وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « وإذا » وصوابه في ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

في طائر أسود عفرق^(١) ، قبيح الثنائيل^(٢) ، ردىء المشية^(٣) ، ليس من بهائم الطير الممودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بعد طائر يتأكد به ويتطير منه ، آكل جيف^(٤) ، ردىء الصيد . وكلما كان أجهل وأنذل^(٥) كان أبلغ في التوبيخ والتفريع .

وأما قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكن به على جهة الإنخبار أنه كان قد أهمل ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِدُورَةٍ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَبِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ ﴾ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام من عادات الناس ، كان من فر من الزحف ليلاً لم يلزمه وعيد^(٦) . وإنما وقع الكلام على ما عليه الأغلب من ساعات أعمال الناس ، وذلك هو النهار دون الليل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن^(٧) ، حين دفعوا إليه جواباً^(٨) الخارجى ليقنته ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارج منه ، وإن ترك قتله فقد

(١) ل : « عفرق » .

(٢) لغراب مشية رديئة . وفي القصص التمثيل أنه أعجبه مشية الصنفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشية الأول فتسى ، فلا هو حافظ على مشية الأول ، ولا هو أدرك مشية الصنفور . انظر شعراً في ذلك بطراز الجبال ١٩٩ .
ط : « المشية » - صوابه في ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أكل وأزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « غوانا » .

أبدى لنا صفحته . فطَوَّلَ مباحٌ عند ذلك تأويلاً مستكراً^(١) : وذلك أنه قال : قد نجدُ التَّقيَّةَ تُسبِّغُ الكُفْرَ^(٢) ، والكُفْرُ باللسان أعظمُ من التَّغْيِيلِ والقَذْفِ بالجراحة . فإذا جازت التَّقيَّةُ^(٣) في الأعظم كانت في الأصغر أجوزَ . فلما رأى هذا التأويل يطرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسَّ^(٤) بأنه إنما القس عُذراً ولزق الحجة تلزيقاً [فلماً عزم على قتل جواب ، وهو عنده واحدُ الصُّفْرى في النَّسك والفضل] قال : إنى^(٥) يومَ أقتل جواباً على هذا الضَّرْبِ من التأويل لحريص^(٦) على الحياة ! ولو كان حين قال إنى^(٥) يومَ أقتل جواباً إنما عني النهارَ دون الليل ، كان عند نفسه إذا قتله تلك القِتلة ليلاً لم يَأْمَ بِهِ . وهذا أيضاً كقولهِ تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس ،

لكان إذا قال من أوَّل الليل : إنى فاعِلُ ذلك غداً في السَّحر ، أو مع الفجر ١٢٩ أو قال الغداة^(٧) : إنى فاعِلُ يومى كُلِّه ، وليتلى كلها ، لم يكن عليه حِثٌّ ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ^(٨) ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه

(١) ل : « مستكراً » .

(٢) التَّقيَّةُ : الخوف والخشية من الملاك . تسبغ للكفر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ماغ له الكفر ظاهراً . ل : « أجيد البقية تسع في الكفر » ط ، س : « يجد التَّقيَّةَ تسبغ بالكفر » . والوجه في العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأحس » وصوابه في ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستثنى » محركة .

اسمُ غد . فأمّا كلُّ^(١) ما خالفَ ذلك في اللفظ فلا : وليس التأويل كذلك لأنه جلّ وعلا إنما ألزَمَ عبده أن يقول : إن شاء الله ، لِيَتَقَى عَادَةَ التَّائِي^(٢) ولئلا يكونَ كلامه ولفظه يشبه لفظَ المستبدِّ والمستغنى ، وعلى أن يكونَ عند^(٣) ذلك ذاكِرَ الله ؛ لأنه عبدٌ مدبّرٌ ، ومقلِّبٌ ميسرٌ^(٤) ، ومصرفٌ مسخرٌ .

وإذا كان المعنى فيه ، والغاية التي جَرَى إليها اللفظ ، إنما هو على ما وصفنا ، فليس بين أن يقول أفعَلُ ذلك بعدَ طَرَفَةٍ ، وبين أن يقول أفعَلُ ذلك بعدَ سنةٍ فرقٌ .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبِرْ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنه كان هنالك ناسٌ قتلوا إخوانهم ونَدِمُوا فصارَ هذا القتالُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحواءَ عليهما السلام : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلَّ مَنْ صَنَعَ صنيعكما فهو ظالمٌ .

(الاستثناء في الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولنا في الاستثناء ، وقد سمعوا الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَتْمَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه في س .

(٢) التقي : الحذر . ط ، ل : « ليق » س : « لتق » ، ووجهه بما ترى .

والثالث : الحلف . ل : « التل » ط ، س : « التل » ، والوجه ما ذكرت .

والمعنى : ليحذر تنوّد الإنسان الحلف واستعماله .

(٣) ط ، س : « عتله » وصوابه في ل .

(٤) انظر الاسترواكات .

يَسْتَنْشِنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ
كَالصَّبْرِ ﴿١﴾ ، مع قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمي الغرابَ ابن دأية ، لأنه إذا وجدَ دَبْرَةً ^(١) في ظهر
البعير ، أو في عنقه قرحة سقط عليها ، ونقره وأكله ^(٢) حتى يبلغ الدَّاءَات ^(٣) .
قال الشاعر ^(٤) :

نَجِيبَةٌ قَرَمَ شَادَهَا الثَّوَى وَالتَّوَى يَثْرِبَ حَتَّى نَيْبَهَا مَنَظَاهِرُ ^(٥)
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي فَا بِكَ عِلَّةٌ مَنَامِكِ مَلُومٌ وَنَابُكِ فَاطِرُ ^(٦)
فِنْثُكِ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَذِيَّةً تَقْلُبُ عَيْنَهَا إِذَا مَرَّ طَائِرُ ^(٧)

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهي صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلب : أكله ، ويقال
أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردتها في السطر السابق خالية من الحز ، وأصلها الحز .
وللأبيات : فقر الكامل والظاهر .

(٤) هو أبو الربيع الثعلبي ، أو الجون المحرزي . خزائن الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث
قصة الشعر .

(٥) نجبية قرم : يقول : هذه الناقة قد أنجبها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء :
الفعل الكرم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦) : « قوم » ، وصوابه
ما أثبت من ل . شادها الثقت والتوى : أى نساها تناول هذا العلف . والى
المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه يعضاً .

(٦) مَلُوم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينها خوف أن
تتقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الراعي :

فلو كنت معذوراً بنصرك طيبت صقورِي غِرْبَانِ البَعِيرِ المقيدِ
هذا البيت لعنرة ، في قصيدة له ^(١) . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيد
ذِي الدَّبَرِ ، إذا وقعت عليه الغِرْبَانِ .

(غرز الريش والخرق في سنام البعير)

وإذا كان يظهر البعير دَبْرَةً غرزوا في سنامه إمّا قوادِمَ ريش ^(٢) أسود
وإمّا خرقاً سوداً ^(٣) ؛ لتزع الغِرْبَانُ منه ، ولا تسقط عليه . قال الشاعر ،
وهو ذو الخِرْقِ الطُّهُويِّ ^(٤) :
لما رأتُ إِبِلِي حَطَّتْ حمولها هَزَلِي عِجافاً عليها الرِّيشُ والخِرْقُ ^(٥)

- (١) هذه الجملة ساقطة من ل .
- (٢) قوادِمَ الريش : أربع أو عشر في مقدم الجناح . ط ، س : « قوادِم »
وانظر ما سيأتي .
- (٣) كذا في ل . وفي ط « خرقه سوداء » . وفي س : « خرقاه سوداء »
وهذه الأخيرة محرفة .
- (٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قاتل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حل
ابن عامر بن حبري ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بني طهية ثلاثة شعراء أحدهم
هذا ، والثاني قرط بن قرط ، والثالث شير بن عداة بن هلال . انظر الخزائن
(١ : ٥٠ - ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختطف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء في الخزائن
أن الأملح لم يذكر الشعر الذي منه البيت الآتي . وقدمها البغدادي ؛ فإن الشعر
مذكور في ص ١٠٩ من المؤتلف والمختطف ، في غير موضعه .
- (٥) العجاف : جمع أعجب وصغاف على الشفوذ ؛ لأن أفضل وقلاء لا يجتمعان على
فصال . والأعجب : الذي ذهب سمته . وقيل البيت :
ما بال أم حبيش لاتكلسنا لما افرقنا وقد نثرى فتشقق

قالت: ألا تبغى عيشاً نعيشُ به عما نلاق ، فشر العيشة الرنقُ ١٣٠
[الرنق ، بالراء المهملة ، وبالنون ، هو الكدر غير الصافي] .
وقال آخر ^(١) :

كانها ريشة في غارب جرّ في حبثاً صرفته الرّبع بنصرف ^(٢)
[جرّ : عظيم . قال رؤبة :
• عن جرّ منه وجوز هار . ^(٣)]

(غرز الريش في أسنة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد نوضع ^(٤) الرّيش في أسنيتها وتغرّز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أن
الملوك كانت تجعل الرّيشَ علامةً لحبائ الملك ^(٥) ؛ تحميها بذلك
وتشرّف صاحبها ^(٦) .

(١) ل : « وفي ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أهل مقدم الشام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بالتحريك
سيفرس . ط ، س : « جرد » تحريف ما في ل . ط ، س : « شربه
الريح » ، وأثبت ما في ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت في صفة جل سمين فضحه الحمل الثقيل . وقد نسب في
اللسان (جرز ، وري) إلى العجاج لأروية . وقد روى البكري الأرجوزة في أراجيز
العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما في اللسان . وقبل البيت :
• وأنهم هاموم السيف الواري •

(٤) ط : « يوضع » ، والأول التوحيد فالتأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذلك في ل . والحياء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجياها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك يشرف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدّن صاحبها » .

قال الشاعر :

هَبُّ الْجِلَادِ بَرِيْشَهَا وَرِعَاثَهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمُبْلَجِ^(١)
ولذلك^(٢) قالوا في الحديث : فرجع النابغة من عند النعمان وقد وهبَ
له مائة من عَصَافِيرِهِ^(٣) بَرِيْشَهَا :
ولرَيْش مكان آخر : وهو أنَّ الملوك إذا جاءتها الخرائط بالظفر^(٤)
غرَزَتْ فيها قِوَادِمَ رَيْشِ سُود .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سَارَفَعَ قَوْلًا لِلْحُصَيْنِ وَمَالِكٍ نَطِيرُ بِهِ الْغُرْبَانَ شَطْرَ الْمَوَاسِمِ^(٥)

(١) الجِلَاد من الإبل : الفزيرات البنية . والرواية في البيان (٣ : ٩٦) :
« الهجان » . والرهاة والضم والرعاء بالغم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه
الأول في ط ، س . وبالتالي في ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسننها من
الریش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو غيال ركب تركيبا
بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما في الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم
يكن بأرض العرب بمير أسود إلا له » : أي للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هي إبل نجبية كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوته . قالوا :
كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التي وصف فيها المستجرة ، ثم
ذهب غضبه عليه عند ما فنت النعمان قينة بغير النابغة ، وهب له العصافير . انظر
الأخاف (٩ : ١٦٥) والفتية السابق وما سيأتي في (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهي وعاء من آدم وغيره يشرح على ما فيه ، أي يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابي : « الحصين ومثلر » . والمواسم : أسواق العرب
في الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

وتروى به الميمُ الظَّماءُ ، وَيَطْبِي . بِأَمْثَالِهِ الْغَازِينَ سَجَّحَ الْحَمَامُ ^(١)
يعنى غُرْبَانُ الْإِبِلِ ^(٢) . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَتُرَوَّى بِهِ الْمِيمُ الظَّمَاءُ » فَمَثَلٌ
قَوْلِ الْمُنَاجِرِ ^(٣) :

عَلِقَتْ يَا حَارِثَ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَاذِلٍ لَارِقِلٍ التَّرْدَى ^(٤)
• وَلَا عَيٌّْ بِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ ^(٥) •

(١) يطبهم سجع الحمام : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين »
هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأَمْثَالِهَا » ، وإِذَا الضمير راجع إلى القول .
ل : « النلوين » .

(٢) فى الأصل : « البيل » ، وإِذَا هِىَ غُرْبَانُ الْإِبِلِ ، وغراب البير هو حد الورك الذى
يل الظهور . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع .
وإِذَا غص الأوراك لأنهم كانوا يعملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشهد على
عجز البير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزورك ثناء على أهبازهن معلق

(٣) المناع ، بالناء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والمناع ، بالمهمز : الذى يدخل
البئر ليملا الدلو . ط : « المناع » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية
ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقة بعبارة : « وقال الرايز
وهو يمج بدلو » . ووجه الظنية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول
« وتروى » مخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقع مكانه لا يبرح ، شبه بالجاذل الذى ينصب فى الماطن لتحتك به الإبل
الجري . ومثله « الجاذى » ، وهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذى »
وفى البيان : « مجابى » . والجابى ، الذى يطلق فجأة . وقد ضى رجلا . والرقل :
الذى يمر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل الترد »
وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

• فجاذل لارقل التردى •

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) الميمى : العاجز . ط : « يمى » س : « يمى » ، وصوابه ما أثبت من البيان .
وفى ل : « عييا » .

(شعر في تعرض الغريبان للإبل)

وقالوا في البعر إذا كان عليه حملٌ من تمرٍ أو حبٍّ ، فضدّم الإبلَ
بفضل قوّته ونشاطه ^(١) ، فعرض ما عليه للغريان ^(٢) . قال الرّاجز :
قد قلتُ قولاً للغرابِ إذ حَجَلٌ عليك بالقُودِ المسانيفِ الأوّل ^(٣)
تَقَدُّ ما شئتُ على غير عَجَلٍ ^(٤) .

ومثله ^(٥) :

يقدّمها كلُّ أُمُونٍ مَطْعَانٍ ^(٦) حراماً من مُعرّضاتِ الغريبان ^(٧)

(١) ط : « يقدّم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغريان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه في ل والمختص
(١٠ : ١٦٧) وتنبه البكري ٤٨ والحاسن البيهقي (٢ : ٨٤) . وفي مجالس ثعلب
١٣٦ : « عليك بالإبل » . والمسانيف : المقدمة ، جمع مسانيف . س ، ط : « السانف » .

(٤) ط ، س : « من يده ما شئت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المقدمة .
قال الكسائي - وقد سأله الرشيد من هذا الشعر - : « إن البعر إذا فصلت من غير
وعليها تمر يقع الغراب على آخر البعر فيطردّها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى
أوائل البعر فكل على غير حمل » الحاسن البيهقي . والرجز بقية في تنبيه
البكري ، فراجع .

(٥) الرجز الآتي يروي للأجلج بن قاسط ، كما في اللسان (عرض) . وقال ابن بري :
« وهذا البيتان في آخر ديوان الشيخ » . قلت أنا : هما في آخرهما ص ١١٦
من ديوان إله المصباح بن شميل رفيق الشيخ . ونسبنا في مشارف الأقاليم ٢٠٨ - ٢٠٩ إلى
الجميل . وجاء قوله في آخر الرجز يخاطب نفسه :

« يا ابن جليح كن دليل الركبان »

ويظهر أنه اجلب كلمة : « ابن » تحسباً للكلام ، وضبطاً للوزن .

(٦) ل : « تقسمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل :
« حلاة » ، وهي رواية القتال والبكري . والحلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالحلاة
وهي السندان . والمطعان : السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مدعان »
بالذال ، وهي المقدمة لقائلها .

(٧) قال البكري : « البحر أجله الإبل » . والمعرضات : التي تقدم الإبل فتقع الغريان
عليها فتأكل مما حملته ، كأنها عرضت ما حملته للغريان .

(أمثال في الغراب)

ويقال : « أصبحُ بدناً منْ غُراب » ، و « أبصرُ مِنْ غُراب » ، و « أصنى عينا من غراب » .

وقال ابن ميادة :

ألا طرَقْتَنَّا أُمُّ أَوْسٍ ودونَهَا حِرَاجٌ من الظلَماءِ يمشى غُرابُهَا^(١)
فبُتْنَا كَأَنَّا بَيْنُنَا لَطِيفَةٌ من المِسكِ ، أو دَارِيَّةٌ وَعِيبُهَا^(٢)
يقول : إذا كان الغراب لا يبصر في حِرَاجِ الظلَماءِ^(٣) . ووحد الحِرَاجِ
حَرَجةٌ ، وهى هاهنا مَثَلٌ ، [حيث^(٤)] جَعَلَ كُلُّ شَيْءٍ التَّفْ وَكُثْفَ من
الظلامِ حِرَاجاً ، وإنما الحِرَاجُ من السَّدْرِ وأشباه السَّدْرِ .
يقول : فإذا لم يبصر فيها الغرابُ مع حَدَّةِ بَصَرِهِ ، وصفاه مُثْلته فإِ
ظَنُّكَ بغيره ١٩

٣١

وقال أبو الطَّمَحَانِ القَيْسِيُّ^(٥) :

إذا شَاءَ راعِيها اسْتَقَى مِنْ وَقِيعَةٍ كَعَيْنِ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يَكْذُرِ

(١) س : « حِرَاجِ من الظلَماءِ يمشى » ، وصوابه في ط ، ل .

(٢) اللطيفة : العبرة لطبت بالمسك تفتتقت به . ل وكذا في كتاب الصيدنة ص ٦ : « بينتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتببيت أصله من بيت الملو : أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرسة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند . وهى بها التطور ، أو العير . والياب : جمع حية ، وهى وعاء من آدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة : « كماها » ولم أر لها رجها .

(٣) ط : « الظلَماءِ » ، وصوابه في ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات في الأغاني (١ : ١٢٨) .

(استطراد لنوى)

والوقية : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال :
 وأنشدنا أبو عمرو^(١) بن العلاء ، فى الوقائع :
 إذا ما استبالوا الخيل كانت أكفهم وقائع للأبوال والماء أبرد
 يقول : كانوا^(٢) فى فلاة فاستبالوا الخيل فى أكفهم ، فشرى أبوالها
 من العطش .

ويقال شهد الوقية والوقعة بمعنى واحد . قال الشاعر^(٣) :
 لعمرى لقد أبقت وقية راطط على زفر داء من الشر باقيا^(٤)
 وقال [زفر بن^(٥)] الحارث :
 لعمرى لقد أبقت وقية راطط لمرؤان صدعا بيننا متناييا^(٦)

-
- (١) أبو عمرو بن العلاء نقلت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيق .
 (٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .
 (٣) هو جواس بن القطيل الكلبى . المؤلف والمختلف ٧٤ والتضيب والإشراف ٢٦٨ .
 (٤) وقعة راطط هى المروقة بوقعة مرج راطط . انظر لها الأغاني (١٧ : ١١١ - ١١٤) والمقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ هـ) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والمقد (٣ : ١٤٧) والمؤلف ٧٤ .
 (٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحاسة البحرى ١٧ .
 (٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متناييا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :
 وقد يئس المرعى على دمن النوى وتيق حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقْعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمَشْكَى وَالْمَعُولُ^(١)

(أمثال من الشعر والنثر في الغراب)

وفي حصة بَدَن الغراب يقول الآخر^(٢) :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طَوْلِ عُمرِهِ الْأَبَدِ^(٣)

[قَدْ^(٤)] شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاكْتَهَلَ الدَّهْ

رُ وَأَثَوَابُ عُمرِهِ جُسَدُ

يَا نَسْرَ لِقَمَانٍ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لِبَدٍ^(٥)

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمي، قاد قومه وأغار على بني ثعلبة بموضع يسمى البشر بين القنات والشام، فقتل منهم مقتلة عظيمة. انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاف بالشر » صوابه في قول والمعجم. وانظر نقده البيت في الموشح ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجي كما في الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (في ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي . قال ابن خلكان في ترجمته (وذكرها في نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه يأمهم للأمين بن هارون الرشيد بالمهد ، فقربه الرشيد وابتاعه الأمين وزينته ، وله أشعار حسنة وضعها على الجن والشیاطين والسماح . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت حبيبا ، وإن كنت ما رأيت فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات في المقد (٣ : ٥٢) وبني الوعاة ٢٩٣ منسوبة إلى محمد بن منذر . وهي بدون نسبة في المعاني الكبير ٥٨ وأمثال الزجاجة ١٧ من تحقيق .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويًا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه السكسكي وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة ، وهي سنة تسمية البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر : آخر نسر لقمان ، قالوا في أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوئد^(١)
تسأل غرباتها إذا حجلت كيف يكون الصداغ والرمد
ويقال : « أرض لا يطير غرابها »^(٢) ، قال النابغة :

ولرَهطِ حَرَابٍ وَقَدْ سَوَّرَةٌ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غَرَابُهَا بِمُطَارٍ^(٣)
جعله مثلاً . يعنى أن هذه الأرض تبلغ من خصبها أنه إذا دخلها
الغراب لم يخرج منها ، لأن كل شيء يريدُه فيها^(٤) .

وفي زهو الغراب يقول حسان ، في بعض قريش^(٥) :

إِنَّ الْفَرَاصَةَ بَنَ الْأَحْوَصِ عِنْدَهُ شَجَنٌ لَأُمِّكَ مِنْ بَنَاتِ عُقَابٍ^(٦)
إِجْعَتْ أَنْتَ أَنْتِ الْأُمُّ مَنْ مَشَى فِي فَحْشِ مُوسَى وَزَهْوِ غَرَابٍ^(٧)

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة .
انظر الديري .

(١) الوئد يئى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال في أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (في) كاف ل ، س

(٣) حراب : رجل من بني أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم
ترجمه المزياني في المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية في الديوان
بفتح البطليوسي : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسي : « وقيل للغراب ما هنا سرادم » . ونقل الميداني عن أبي هيب
أن المراد بالكل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « في بعض بني قريش » ، وكلمة « بني » مقحمة . والشخص المراد هو
الحارث بن هشام بن المخيرة ، كافى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبني تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص
الكلبي فكان إماء له ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بني تغلب
ابنة زوجها غريبة بن جندل . وغريبة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام .
فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً في الإماء . و « عنه شجن » أراد أنه يحلب
لها الشجن منه ما تنذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما في ل والديوان .

(٧) يقال : « أزهى من غراب » ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر في عقيقه . ثمار القلوب
٣٦٥ . ورواية المخصص (٣ : ١٠٣) : « في فحش زانية » ، وفيه وفي الديوان
٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

ويقال : « وَجَدَ فُلَانٌ تَمْرَةَ ^(١) الْغُرَابِ » ، كَأَنَّهُ يَقْبَعُ هُنْدَهُمْ أَطْيَبَ التَّمْرِ ^(٢) .

ويقال : « إِنَّهُ لَا خَذَرُ مِنْ غُرَابٍ » و : « أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ غُرَابٍ » . ١٣٢

وَقَدْ مَلَحُوا بِسَوَادِ ^(٣) الْغُرَابِ . قَالَ عَنُقَرَةُ :

فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سَوْدًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ

وَقَالَ أَبُو دُوَادَ ^(٤) :

تَنَى الْحَصَى صَعْدًا شَرْقِيًّا مَنَسِيهَا نَفَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْفَرْدَا ^(٥)

وَالْمَغَارِيدِ : كَمَمْ ^(٦) صِغَارٍ . وَأَنْشَدَ ^(٧) :

يَجِيحُ مَأْمُومَةٌ فِي قَعْرِهَا كَجَفَتْ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَدَّاهَا كَالْمَغَارِيدِ ^(٨)

وَقَدْ ذَكَرْنَا شِدَّةَ مَنَقَارِهِ ، وَحِدَّةَ بَصَرِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ .

(١) كَذَا فِي لُ وَالسَّانِ (ت م ر) وَمِثْلُهُ فِي أَشْثَالِ الْمِيْدَانِ (١ : ٣٩٩ ، ٢ :

٢٨٧) . يَغْرِبُ لِمَنْ يَنْظُرُ بِالنَّيْءِ النَّفِيسَ ، وَلَمَّا يَجِدُ أَفْضَلَ مَا يَرِيهِ . ط ، س ، وَكَذَلِكَ مَضَامِرَاتُ الرَّاضِبِ (٢ : ٢٩٩) : « تَمْرَةٌ » بِالْمُثَلَّثَةِ .

(٢) ط ، س ، « اِثْمَرٌ » بِالْمُثَلَّثَةِ . وَانْظُرِ التَّضْيِيقَ السَّابِقَ .

(٣) مَا عَدَلَ : « سَوَادٌ » .

(٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ط . وَفِي ل ، س : « أَبُو دَاوُدَ » تَحْرِيْفٌ .

وَأَبُو دُوَادَ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ اسْمُهُ جَاهِيَّةٌ بِنُ الْحِجَابِ أَوْ حَنْظَلَةُ بِنُ الشَّرْقِ . وَهُوَ أَحَدُ ثَمَاتِ الْخَيْلِ الْمُهَيْدِينَ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَرَوِي شِمْرَهُ وَلَا شَعْرَ عُنُقِي بْنِ زَيْدٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَلِصَا بِشَعْرِهِ . خِزَانَةُ الْأَدَبِ (٤ : ١٩٠ بُولَاق) وَالشُّعْرَاءُ لِابْنِ قَتِيْبَةَ .

(٥) ل : « يَنْقِي » وَيَصِحُّ إِذَا قُرِئَ بِالْبَاءِ الْمَجْهُولِ . وَمِنْهُمُ النَّاقَةُ كَبِشَلُ : خَفِيْهَا . وَالْفَرْدُ : ضَرْبٌ مِنَ الْكَاةِ صَغِيرٌ ، وَأَرَاهُ بِالْأَنْفِ هُنَا الْمَنَقَارُ . ط : « نَفَى الْغُرَابِ » وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . ل : « الْفَرْدَةُ » .

(٦) ط : « كَمَمْ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالْمَغَارِيدُ : جَمْعُ مَغْرُودٍ ، بِالْفَتْحِ : لَفَةٌ فِي الْفَرْدِ .

(٧) الْبَيْتُ الْآخِرُ قَاتِلُهُ هَذَا بْنُ دُرَّةِ الْهَلَاءِيِّ . السَّانِ (ح ج ج) .

(٨) وَصَفَ هَذَا الشَّاعِرُ طَبِيْبًا يَدَاوِي شَجَةَ بِلْتِ أُمِّ الرَّأْسِ فِي قَصِيدَةٍ . تَلَجِفُ أَيْ تَقْلَعُ ، كَمَا تَلَجِفُ الْبَثْرُ فَيَنْقَلَعُ طَبْعًا مِنْ أَسْفَلِهَا . وَذَلِكَ الطَّيِّبُ يَجْزَعُ مِنْ هَوْنِهَا فَالْقَلْبُ يَتَسَلَّقُ مِنْ أَسْفَلِهَا . انْظُرِ السَّانِ (ح ج ج) وَالْكَامِلُ ٦٤ لَيْسَكُ ، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (١٥ : ٧٣ - ٧٤) حَيْثُ الْكَلَامُ طَوِيلٌ فِي الْبَيْتِ . ط ، س : « = »

(شعر في مديح السواد)

وقالوا في مديح السواد ، قال امرؤ القيس :

العَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالْأُذُنُ مَضْفِيَةٌ وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ^(١)

وفي السَّوَادِ يَقُولُ رَبِيعَةُ أَبُو ذُؤَابٍ^(٢) الْأَسَدِيُّ ، قَاتِلَ عَتِيبَةَ بْنِ الْحَارِثِ

ابن شهاب :

إِنَّ الْمَوْدَةَ وَالْمَوَادَّةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَتِ الْيَمْنَةَ الْمَنْجَابِ^(٣)

إِلَّا بِجَيْشٍ لَا يَكْتُ عُلَيْدُهُ سُودَ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ غَضَابِ^(٤)

- « فصح » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحن » مصنف .

ط : « قاسى الطيب » محرف . وروى : « كالتجريد » مقلوب عن « المفاريد »

المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة في اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعي في يوم نحو ، وأسرت بنتو يربوع

في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ،

فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتشى ولده بشئ معلوم ، ووعدته أن يأتي بذلك سوق

صكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق في الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ،

وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة في نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله

فرتاه بأليات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنو يربوع ، فعرفوا أنه

قاتل عتيبة فألقاوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر في شرح التبريزي لحسانة

(٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفي أمالي اللقالي (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعة

أبو ذؤاب هو يضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابي : « ليس في العرب ربيعة غيره »

وهو ابن عبيد بن سعد (أرو ابن أسد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قمين .

شرح الحاشية والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف

صوابه في ل .

(٣) الموادة : العين . كسحق البينة ، أى كالثوب السحق البلى منها . البينة بالفهم :

نوع من برود البين .

(٤) إلا بجيش : يقتل لانهدأ إلا إذا حكنا الحرب . لا يكت : لا يمد ولا يحصى .

(شعر ومثل في شيب الغراب)

وفي المثل : « لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب » . وقال العرجي :
لا يحول الفؤاد عنه بوذ أبداً أو يحول لون الغراب
وقال ساعدة بن جؤيعة :
شاب الغراب ولا فؤادك تارك عهد الغصوب ولا عتابك يعتب^(١)

(معاوية وأبو هوذة الباهلي)

ومما يذكر للغراب ما حدث به أبو الحسن^(٢) ، عن أبي سليم^(٣) ،
أن معاوية قال لأبي هوذة^(٤) بن شماس الباهلي^(٥) : لقد هممت أن أحمل
جما من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ! فقال أبو هوذة : إذن لا ترضى باهلة
بعد يسم من بني أمية ! قال : اسكت أيها الغراب الأبقع ! وكان به برص -

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً، وهو شيب الغراب . عن اللسان .
ط ، س : « تاركا » ولا تصح وصوابها في ل واللسان (شيب وعتب) .
و « عهد » هي في ل : « ذكرى » وفي اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالغم
والبناء للفاعل ، بمعنى يحلب إليك العتبى ، وهي الرضا ، يقول : إن عتابك في غير
طائل . وقد غلبت في اللسان بالبناء المفعول في الموضعين . وفسرها بقوله :
« أي لا يستقبل بعتبى » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به علي بن محمد المدائني الأختباري المعروف .

(٣) ل : « أبي سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت في الأصل بالبدال المهملة في مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هريرة : إن الغراب [الأبقع] ربما درج إلى الرخفة حتى ينقر دماغها ، ويقلع ^(١) عينا ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مه ! ونهض معاوية . ثم وجهه بعد في سرية قتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفى وأصوب !

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخر ^(٢) في نقر الغراب العيون :

أتوعد أسرتي وتركته حُجْراً يُرِيغُ سَوَادَ عَيْنِيهِ الْغُرَابُ ^(٣)
ولو لاقبت عِلَاءَ بَنَ جَحْشٍ رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ ^(٤)
وقال أبو حنيفة - في أن الغراب يسمونه الأعور تطيرا منه - : ١٣٣

وَإِذَا نَحَلْتُ قَتُودَهَا بَنَنُوفٍ مَرَّتْ تَلِيحُ مِنَ الْغُرَابِ الْأَعُورِ ^(٥)
لَأَنْهَا تَخَافُ مِنَ الْغُرَابِ ؛ لَمْ تَعْلَمْ مِنْ وَقْعِهَا عَلَى الذَّبَرِ .

(١) س : « ويقلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزائن (٢ : ٤٠٣ بولاق)

والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يرغ : يطلب . س : يرغ « مصحفة .

(٤) س : « عِلَاء » تصحيف . وفي البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ما روى في شأن

الإقواء : قول صاحب القاموس : « وتلت قصيدة لهم بلا إقواء » ، يعني العرب .

(٥) قنود الناقة : أدوات رحلها . والننوفة : الغلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ،

س : « يحل قنودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تصريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يمدح به الشعراء بلون الغراب^(١) قال أبو حية :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حَالِكِيَّا أَلَا سَقِيًّا لِدَلِكِ مِنْ غُرَابِ
وقال أبو حية^(٢) :

زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غَدَاةٍ فَطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنَى فَطَارَا
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغَدَاةَ وَإِنْ كَانَ لَا هُوَ إِلَّا أَدَاكَارَا^(٣)
فَأَصْبَحَ مَوْضِعُهُ بَائِضًا مُحِيطًا خِطَامًا مُحِيطًا عَدَارَا^(٤)
وقال أبو حية في غير ذلك ، وهو مما يُعدُّ للغراب :

كَأَنَّ عَصِيمَ الدَّرْسِ مِنْهُنَّ جَاسِدٌ بِمَا سَالَ مِنْ غُرَابِنَهْنَ مِنَ الْخَطَرِ^(٥)

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما في ل . ط : « لون » وصوابه في ل ، س .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى في أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبي حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زَمَانَ الصَّبَا ، لَيْتَ أَيْمَانَا رَجِمْنَا الصَّالِحَاتِ لِقَتَصَارَا

(٣) كذا في الأصل . وفي أمال المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا أدكارا » .

(٤) بالقفا ، من باض التبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا عدارا » .

(٥) العصيم : الدون والوسخ والبول إذا يس على فخذ الناقة . الدرس : الجرب أول ما يظهر .

وفي الأصل : « الورس » ووجه ما أثبت . انظر السان (درس ٣٨٣) والمخصص

(٧ : ١٦٣) . وجاسد : لاصق ، وفي الأصل : « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر :

ما يطرد على أوداك الإبل من أبوالها وأبمارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسمُ في أماكن، فالغراب^(١) حدُّ السكين
والفأس، [يقال] فأسٌ حديدية الغراب . وقال الشماخ :
فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ غَرَابِهَا عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِصَاوِ مِشَارُزُ^(٢)
المشارزة : المعادة والمخاشنة .

والغراب : حدُّ الورك ورأسه الذى يَلِي الظهر^(٣) ، ويبدأ^(٤) من
مؤشر الرُدف . والجمعُ غِرَبَان . قال ذو الرُّمَّة :
وَقَرَّبَنَ بِالزُّرْقِ الْحَمَائِلَ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ مِنْ غِرَبَانٍ أَوْرَاكِهَا انْخَطَرُ^(٥)
تَقَوَّبَ^(٦) : تقشر ماعلى أوراكيها من سلحها ويولها ، من ضربها بأذنابها .

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعصاه : شجر عظيم . والبيت
في صفة قواس تناول فروعها وجعل يشذب بالفأس ليصنع قوسا . ل : « عنولا
لأوساط » ، وصوابه في ط ، س والنيوان ٤٧ .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدأ » وجعله كاترى .

(٥) الزرق : أكلة رملية بالعنقاء . والحمايل ، بالخاء الممهلة : جمع حولة بالفتح . وهى
الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية في اللسان (خطر ، زوق) . ورواه
ابن سيده في المختص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجبائل » بالجم ، وقال
هو جمع جمال بالكسر . وانظر فسر في الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البين)

وكلُّ غرابٍ فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمّا غراب
البين نفسه ، فإنه غرابٌ صغير . ولأنما قيل لكلِّ غراب غراب البين ،
لسقوطها في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خَوَلَةَ الرِّياحِيّ^(١) :
فليس يربوع إلى العقلِ فاقّةٌ ولا دَنَسٌ يسوّدُ منه ثيابُها^(٢)
فكيف بنوكي مالِك إن كثرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خطابها^(٣)
مَشَامٌ ليسوا مُصلِحِينَ عشيرةً ولا ناعِبٍ إلّا بينَ غرابها^(٤)
(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن التَّلِيل على أَنَّ الغرابَ من شرارِ الطَّير ، مارواه أبو الحسن قال : ١٣٤
كان ابنُ الزبير يقعدُ مع معاويةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

(١) أبو خَوَلَةَ : كنية الأخوص ، بانها المعجمة ، الرياحي الربوعي ، كما في الخزانة
(٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خَوَلَةَ » محرف . وفي البيان (٢ : ٢٦٠)
« أبو الأخوص الرياحي » ، صوابه : « الأخوص الرياحي » كما في الخزانة (٤ : ١١٨)
سلفية . وروى السيوطي في شرح شواهد المغني ٢٩٥ نسبته إلى أبي ذؤيب
الخلل . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحي
شاعر إسلامي .

(٢) المراد بالعقل هنا : القديّة . وللرواية في الخزانة والبيان : « سوى دنس » .
و « منه » هي في الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغني .

(٣) أراد بمالك : بني دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بني غطفان بن ربوع .

(٤) أراد بالمشام بني مالك لا بني ربوع . وفي الخزانة : « مشالم » . وأنت تراه قد جر
« ناعب » توهمًا منه أن البلاء قد دخلت على المطوف عليه وهو « مصلحين »
فإن البلاء تزداد في خبر ليس . وقد رواه سيوطي في كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨)
بالجر كما هنا . ورواه في (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يوم : أما أحدٌ يكفيني ابنُ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة :
 أنا أكفيك^(١) يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعد في مقعده على السرير ، وجاء
 ابنُ الزبير فقعدَ دونَ السرير ، ثم أنشد ابنُ الزبير :

تسمى أبانا بعد ما كان نافعاً وقد كان ذكواناً تكفى أباء عمرو^(٢)
 فأنحدرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حرّة مهلتْ عليكم صفيّة ما عدتُم في النفي^(٣)
 ولا عرفتَ الزبيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبير على السرير
 ودننا أن أمكم غراب فكنتم شر طير في الطيور

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان ، أي جاءت
 بلادنا^(٤) ، فهي قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهي رواجع : والطيور
 التي تقيم بأرض^(٥) شتاءها وصيفها أبداً فهي الأوابد . والأوابد أيضاً

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسى » و « يكى » .

(٣) صفة جده هي بنت حيد المطلب ، عمه الرسول . وهي أم الزبير بن العوام . يقول
 لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عدتُم في النفي . والعبارة تنظر إلى المثل السائر
 « فلان لا في البر ولا في النفي » ، يشرب لمن لا يستلجح لأمر من الناس ، ولئن هو
 صغير القدر . انظر اللسان (نقر) وأشبال الميداني (٢ : ١٥٤ - ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هي الدوامي ، يقال جاءنا بأبدية . ومنها أوابد الوحش . ومنها أوابد الأشجار .
والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحش منها شيء فلم يُقدَّر عليه إلا بعقر . وأنشد
أبو زيد في الأوابد ^(١) :

ومَنهَل وَرَدَّتْهُ التِّقَاطَا ^(٢) طام فلم ألقَ به فُرَاطَا ^(٣)
إلا القَطَا أوابداً غَطَاطَا ^(٤) .

(صوت الغراب)

ويقال نفق الغراب ينفق نقيقاً ، بغين معجمة ، ونعب نعب نعباً
بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السُّنُونُ الكثيرةُ وغلُظَ صوته قيل شَحَجَ
يشحج شحجاً ^(٥) . وقال ذو الرُّمَّة :
وَمُسْتَشْجَجَاتٍ بِالفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلٌ مِنْ صَيَابَةِ النَّوْبِ نُوحٌ ^(٦)
والنُّوبَةُ توصف بالجزع .

(١) صاحب الرجز نقادة الأسنى ، كما في اللسان (فرط ، لقط) .

(٢) التقاطا : طيأة بدون احتساب أروجاه .

(٣) الفراط : المتقطعات إل الماء . ط ، س : « غم تلف » . اللسان : « لم أر إذ
وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .

(٤) ل : « أبدا » . والقطاط : بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ،
الغبر الظهور ، الواسعة البيوت . ورواية اللسان في الموضعين : « إلا الحمام
الورق والقطاطا » .

(٥) س : « سحج يسحج سحجاً » ، تصحيف .

(٦) يعني الغريبان . س : « مستشججات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد
الهمزة : القسيم والخيار . س : « صيابة الثوب » وصوابه في ل ، ط ،
واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات
الرافع (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية في رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبل يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والروم للإبل ؛ يرون أنهم يصلحون على معاشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أن رجالاً^(١) الروم . تصلح في البدو مع الإبل ، ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها .

فأما السند فإن السندى صاحب الخربة^(٢) إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرج أقصح من أبي مهديّة^(٣) ، ومن أبي مطرف^(٤) الغنوى . ولم طبيعة في الصرْف ؛ لا ترى بالبصرة صيرفيّاً إلا وصاحب كيسه^(٥) سينلري .

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندى : لقب شعبة أذنه . ط ، س : « الخربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بائنه المشهورة :

كأنه سيشي يبتغي أترأ أو من معاشر في آذانها الحرب

وقد سبقت هذه الكلمة في (٢ : ٣٤١ ، ٣٤٠) ، وفي أول رسالة فخر السودان : وخربة وهي والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهديّة سبقت ترجمته في (٢ : ٢١٤) . س : « أبي مهريّة » ، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسه » . تحريف ما في ط ، ل . وجاء في رسائل الجاحظ ٨١ سلسي : « ومن مفخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيسهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفي ومفاتيحه ، ابن رومي ولا ابن غراساني » .

(نبوغ السند)

واشترى محمد بن السكّن ، أبا رَوْح^(١) [فَرَجاً] السّندى ، فكبس ١٣٥ له المالَ العظيم . فَقَلَّ صيدَ لَانِي^(٢) عندنا [لَا وله غلامٌ سِنْدِيٌّ . فبلغوا أيضاً فى البرّ بهار^(٣) والمعرفة بالعقاير ، وفى صحّة المعاملة ، واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً .

وللسّندى فى الطّبخ طبيعة ، ما أكثر ما ينجبُون فيه .

وقد كان يحبى [بن خالد] أراد أن يحوّل إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والثّبوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السّند إلى موضع الفراشين من الرُّوم^(٤) ، فلم يفلحوا فيه] . وفى السّند حلوق^(٥) جياد ، وكذلك بنات السّند .

(١) ط : س : « أبا رواج » ، وصوابه من ل و رسائل الجاحظ ٨١ ساسى .

(٢) الصيدلانى : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدنانى » أيضاً . وجاء فى ل : « صيدنانى » .

(٣) كلّا ضبطها العلامة المحقق الآب أنستاس مارى الكرملى ، وقال : المراد بها توأبل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « صياقة البصرة وينادى البر بهارات » . وانظر أنساب السمعاني ٧١ . وفى ط ، س : « البر بها » ، يسقط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتعمده فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحترى ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حلوق : جمع حلوق ، أى أن لم أصواتا حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه التّبادر فى رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس فى الأرض أحسن حلوقاً منهم » وفى ص ١١٨ : « ومن مفاخر التّزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمى أيضاً حاتمًا . وقد عوف بن الخمرع ^(١) :

ولكننا أهجو صني بن ثابت مَثْبُجَةً لآلت من الطير حاتمًا ^(٢)

وقال المرقش ، من بني سدوس ^(٣) :

ولقد غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ

[فإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْإِيَامِنْ كَالْأَشْأَمِ

وَكَذَلِكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بَدَأْتُمْ]

(١) هو عوف بن عطية بن الخمرع (وزان كثف) التميمي ، نسبة إلى تيم بن عبد مائة ، شاعر جاهل . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . في الأصل . « الجزء » تصحيف ، صوابه في القاموس (خمرع) والخزانة والمفصليات ، وقد اختار له المفضل الغنبي في ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسن .

(٢) المثبجة : اليوم ، كما في القاموس . ط ، س : « مثبجة » ، وفي ل : « مثبجة لآلت من الطير » ، صوابه من الأصميات ١٦٩ .

(٣) يلقب في ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوباً إلى المرقش في ديوان الأعيان (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يبين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه وأشعرهما وأطربهما معاً . معجم المرزباني ٢٠١ . وتجد الشعر في حاشية البحري ٢٥٥ منزواً إلى المرقم للنعل ، وهو غزير بن لوزان كما في المؤلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر يدون نسبة في أمال القتال (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد الخنيم بن عبيد^(١) :

وليس ببيابٍ إذا شدَّ رحله يقولُ عدائي اليومَ واقٍ وحاتم^(٢)
ولكنه يَمضي على ذاك مُقِلِّماً إذا صدَّ عن تلكِ المناتِ الخنارم^(٣)
والخنارم : هو المتطير^(٤) من الرجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتم »
فحاتم هو الغراب ، والواق هو الصرد ، كأنه يرى أنَّ الزجر بالغراب إذا اشتقَّ
من اسمه القرية^(٥) ، والاعتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشقُّ من
الصرد التصريد^(٦) ، والصرد [و] هو البرد . [ويدلك^(٧)] على ذلك قوله :
دعا صرد يوماً على غصنٍ شوَّحطٍ وصاح بذاتِ البينِ منها غراباً^(٨)
فقلتُ : أنصريدُ وشوَّحطٌ وخربةٌ فهذا لعمري نأيتها واغترابها^(٩)

(١) كذا حل الصواب في ل والاختصاب ٢٥٤ والسان (وق ، وحتم ،
وغترم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وفي
ط ، س : « حاتم بن طى » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر
الزهرى . وقوله :

وجدت أهلك الخير بمرأى بنجوة بناها له مجداً أتم قائم
(٢) عدائي : متنى من المضى إلى ما أقصد . والواق ، كالفارس : الصرد ، وهو طائر
أيقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديد ، فوق المصفور ويصيد للمصايف ، فذالاه
من اللحم .

(٣) عن تلك المنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « المناة » ، صوابها في ل
والسان والاختصاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .
والخنارم ، يهضم الخاء ويرى بفتحها . فالأول مفرد والثاني جمع ، مثله جواثق
وجواثق ، وقراتر وقراتر ، وطافر وطافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه في ل والسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .
(٥) ط ، س : « من اسمه القرية » محرقة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفي السق : دون ترى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوَّحط : شجر تتخذ منه القنى . وفي زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « حل
ضمن بانه » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه
من ل وزهر الآداب . وضمر « فيها » للمعية .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشوَّحط : البعد .

[فاشتقَّ التَّضْرِيدَ مِنَ الصَّرَدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغَرَابِ ، وَالشُّحْطَ مِنَ الشُّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِبَ الرَّجُلُ : إذا اشتدَّ مرضه ، فهو مُغْرَبٌ ^(١) .
قال : والعناء المَغْرِبُ ، الْعُقَابُ ؛ لأنها تجيء من مكان بعيد .

(أصل التطير في اللغة)

قال : وأصل التطير إنما كان من الطير [و] من جهة الطير ، إذا مرَّ بارحاً [أ] و ساعياً ^(٢) ، أو رآه يتفلّ ويتتفّ ، حتّى صاروا إذا عابنوا الأعورَ من الناس أو البهائم ، أو الأعصبَ أو الأبتَر ، زَجَرُوا عند ذلك وتطيروا عندها ، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطير ، ثمَّ استعملوا ذلك في كلِّ شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن ^(٣) كان أسود ، ولاختلاف لونه إن ^(٤) كان أبيض ، ولأنّه غريب يقطع إليهم ^(٥) ، ولأنّه لا يوجد في موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، ففى القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتدَّ ضحكك » ، وهو تحريف صوابه فى ل ؛ ففى القاموس : « أغرب بالقوم : اشتدَّ وجهه » .

(٢) البارج : ماسر من ميامنك إلى ميامرك . والسائح عكسه . وكان يتشام بالاول ويعين بالكافى عنه أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفادلون بالاول ويتشامسون من الكافى .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لا يقطع » تحريف ، وانظر ما سبق فى ص ٤٣٧ .

يَتَقَمُّ ، إِلَّا عِنْدَ مَا يَنْتَبِهُنَّ لِمَا كُنَّهِنَّ ، وَمَزَايِلَتِهِنَّ لِدَوْرِهِمْ ، وَلَآئِنَّ لَيْسَ شَيْءٌ ١٣٦
مِنَ الطَّيْرِ أَشَدَّ عَلَى ذَوَاتِ الدَّبْرِ مِنْ إِبْلِهِمْ مِنَ التَّرْبَانِ ، وَلَآئِنَّ حَدِيدَ الْبَصْرِ
فَقَالُوا عِنْدَ خَوْفِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ « الْأَعْوَرُ » . كَمَا قَالُوا : « غَرَابٌ » لِأَغْرَابِهِ وَغَرَبَتِهِ
« وَغَرَابُ الْبَيْنِ » ، لِأَنَّهُ عِنْدَ بَيْنَتِهِمْ يَوْجَدُ فِي دَوْرِهِمْ .

وَيُسَمُّونَهُ « ابْنَ دَايَةِ » ، لِأَنَّهُ يَنْقُبُ عَنِ الدَّبْرِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى دَايَاتِ الْعُنُقِ
وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ خُرْزَاتٍ ^(١) الصُّلْبِ ، وَفَقَارِ الظَّهْرِ .

(مِرَاعَاةُ التَّفَاوُلِ فِي الدِّسْمِيَةِ)

وَلِلطَّيْرِ ^(٢) سَمَتُ الْعَرَبِ الْمُنْبُوشِ بِالسَّلِيمِ . وَالْبَرِّيَّةُ بِالْمَفَازَةِ ، وَكُنُوا
الْأَعْمَى أَبَا بَصِيرٍ ، وَالْأَسْوَدُ أَبَا الْبَيْضَاءِ ، وَسَمُّوا الْغَرَابَ بِحَاثِمٍ ، إِذْ كَانَ
يَحْتَمِلُ الزَّجْرَ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ . فَصَارَ تَطْيِيرُهُمْ مِنَ التَّقْمِيدِ وَالتَّنْطِيحِ ^(٣) وَمِنْ جَرْدِ
الْجَرَادِ ^(٤) ، وَمِنْ أَنَّ الْجَرَادَةَ ^(٥) ذَاتُ أَلْوَانٍ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ - دُونَ
التَّنْطِيرِ بِالْغَرَابِ .

(١) الْخُرْزَاتُ : جَمْعُ خُرْزَةٍ ، بِالْفَهْمِ وَتَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى خُرْزٍ ، كَقُرْفٍ ، وَهِيَ مَا يَبِينُ
لِلْفَرَاقَاتِ . ط : « خُرْزَانٌ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ
عَلَى ابْنِ دَايَةَ فِي ص ٤١٥ .

(٢) الطَّيْرَةُ : مَا يَتَشَامَمُ بِهِ مِنَ الْفَأَلِ الرَّدِيِّ .

(٣) التَّقْمِيدُ : مَا جَاءَ مِنْ وَرَائِكَ مِنْ نَبْشٍ ، أَوْ طَائِرٍ . وَالتَّنْطِيحُ : مَا جَاءَ مِنْ أَمَامِكَ
مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ .

(٤) ل : « وَجَرْدُ الْجَرَادَةِ » .

(٥) ط ، س : « الْجَرَادُ » .

(ضروب من الطيرة)

وليمان العرب باب الطيرة [والفأل] عَقَلُوا وَارْتَأَمَ^(١) ، وعشروا
إذا دخلوا القرى تحشيراً للحمار^(٢) ، واستعملوا في القيلاح الأمر ، والنهى ،
والمترىص^(٣) . وهنَّ غيرُ قلداح الأيسار .

(قاعدة في الطيرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذى يعانئون ويسمعون ، قولُ
سَوَّار بن المضرب^(٤) :

تَغَى الطَّارِانِ بَيْنَ لَيْلى على غصنين من غَرْبِ وِبَانِ

(١) الرتأم : جمع رتبة : وهو أن يقعد الرجل إذا أراد سفراً شجرتين أو فصتين
ويقول : إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته تحفظه بوقاتها ، وإلا فلا . أو هي
غيط يقعد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمضى الأول هو المراد في
الطيرة والفقائل .

(٢) حشر الحمار : تابع التبيق حشر نهقات ووالى بين حشر ترجميات في نهيقه .
وكانوا يزعمون أن من قرب أرضاً وبته فوضع يده خلف أذنه وحشر ثم دخلها
أمن الوباء . قال حروة في ديوانه من مجروح خمسة النوادين ص ٩٩ :

لمرى لئن حشرت من غشية الردى نهال الحبير إني لجزوع

ويظهر أن أصله عادة اليهود من العرب ، كما قال حروة :

وقالوا احب وانق لا تصيرك غير وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن خنينة في كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الأمر والثناهي ولم يذكر
« المترىص » .

(٤) قال البربري : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البان أن بانّت سُلَيْمَى وفي الغُرب اغترابٌ غيرُ دانٍ
فاشتقُّ كما نرى الاغتراب من الغُرب ، والبنونّة من البان .
وقال جرّان العود :

جَرَى يوم رُحْنَا بلجَمَال نَزِفُهَا عُقَابٌ وشَحَاجٌ من البين يَبْرَحُ^(١)
فأَمَّا العُقَابُ فهي منها حقوبةٌ وأَمَّا الغُرابُ فالغُربُ المطوَّحُ^(٢)
فلم يجد في العُقَابِ إلَّا العقوبة . وجعل الشَّحَاجُ^(٣) هو الغراب البارح
وصاحب البين ، واشتقُّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السّمهرى^(٤) غراباً على بانّةٍ ينقف ريشه ، فلم يجد في البان إلّا
البنونّة ، ووجد في الغُراب جميعَ معاني المكروه ، فقال :
رَأَيْتُ غُرَاباً واقِعاً فوق بانّةٍ يُنْقِفُ أعلى ريشه ويُطَابِرُهُ^(٥)

= صاحب المثلث فقال : « سوار بن المغرب المصنف أحد بني دبيعة بن كعب
ابن زيد مائة بن حم ، الشاعر المشهور ، القاتل :

وإن لا أزال أعا حروب إذا لم أجد كنت بمن جاني »

ط ، س : « بشار بن المغرب » صوابه في ل . والشعر في حيون
الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى المطوَّح ، وفي الكامل ٨٤ ليسك ونثار الأزهار
٧٥ إلى جندب الكلبي . وانظر أمال القلي (١ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

(١) ل والشراء ٦٩٧ : « يوم جتنا » . نزفها : نحبا على السير السريع ، يقال
أزفه : حله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » وأثبت ماني ل والديوان ٣
والشراء .

(٢) للمطوَّح : الجهد .

(٣) ط : « الشحاج » ، وصوابه في ل ، س . شحج : نطق .

(٤) كما في ل وهو المطابق لما في شرح التبريزي لقامة ١ : ٢١١ . وهو السّمهرى بن بشر
الكلبي . وفي ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير
مزة في قصة طويلة مجيها في زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومخاض البيت (٢ : ٢٢ -
٢٣) والمصطفى (٢ : ١٦٩) وحيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريفي
(٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية في المختصر (٨ : ١٣٩) وشرح التبريزي لقامة : « ينقش أهل ريشه »
نقش ريشه : نفضه فالتقاء .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُهُ بنفسى ، للهندي : هل أنت زاجرُهُ ^(١)
فقال : غرابٌ باغتراب من النوى وبالبيان بين من حبيب تعاشرُهُ ^(٢)
فذكر الغرابَ بأكثر مما ذكر [به] غيره ، ثم ذكر بعدُ شأن الرُبُش
وطيارِهِ . وقال الأعشى :

ما تَعِيفَ اليَوْمَ فى الطَيْرِ الرُّوحُ مِنْ غَرَابِ البَيْنِ أَوْ تَيْسِ بَرَحٍ ^(٣)
فجعل التَّيسَ من الطَّيْرِ ، إذ تَقَدَّمَ ذكر الطَّيْرِ ، وجعله من الطَّيْرِ
فى معنى الطَّيْرِ .

وقال النَّابِغة :

١٣٧ زَعَمَ البَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ خَبَرَنَا الْغَرَابُ الْأَسْوَدُ

وقال عنتره :

ظَنَنْ الَّذِينَ فَرَّقَهُمْ أَنْوَعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمُ الْغَرَابُ الْأَبْيَعُ
حَرَقُ الْجَنَاحِ كَانَ لَحْيَ رَأْسِهِ جَلَانٍ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مَوْلَعٌ ^(٤)

(١) الهندي : رجل من بني نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لى كثيرا فى الطريق
وزجراته ، أى تكهن . ط : « للهندي » تحريف .

(٢) كلما فى ل والمراجع للمتقدمة ، خلا زهر الآداب ، فقهه : « تجاوره » .
وفى ط ، س : « لمخاذه » ، أى نحاذا البين .

(٣) ط : « تعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح
عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، وثمان البيهقى (١ : ٩٩)
وتعيف : من العيافة وهى الزجر والطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح
أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة
للأعشى فى ذيربانه ١٥٩ يملح بها إلياس بن قبيصة الطائى . وانظر قصة الشعر فى ثمان البيهقى .

(٤) ط ، س : « حرق » ، تصحيف . وقد أسألت القول على هذا البيت
فى (١ : ٢٤) .

فَزَجَرْتُهُ أَلَّا يُفْرَحَ بِيَصُّهُ^(١) أَبَدًا وَيُصْبِحَ خَائِفًا يَتَفَجَّعُ
 إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتُ^(٢) لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْرُؤا لِيْلِ التَّمَامِ فَأَوْجَعُوا^(٣)
 فقال : « وجرى بينهم الغراب » لأنه غريب ، ولأنه غراب البين ،
 ولأنه أبقع . ثم قال : « حَرِقَ »^(٤) الجناح « تطيرًا » أيضًا من ذلك . ثم جعل
 كَلَفِي رَأْسَ جِلْمَيْنِ ، والجلم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًا مُوَلَعًا ، وجعل نعيه
 [و] شَجِيحَه كالخبر المفهوم .

(التناوُثُم بالغراب)

قال : فالغراب أكثر من جميع ما يَتَطَيَّرُ بِهِ في باب الشؤم . ألا تراه
 كلما ذكروا مما يَتَطَيَّرُونَ منه شيئًا ذكروا الغراب معه ؟
 وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثم إذا ذكروا كل واحدٍ
 من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيرُوا منه إلا من وجه واحد ، والغراب كثير
 المعاني في هذا الباب ، فهو المقدم في الشؤم .

(١) ط : « طيره » . وق الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعبت » ، تصحيف .

(٣) ليل التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س ، ولديوان . وق ل :

« ليل التمام » وكلاهما صحيح . وق حديث عائشة : « كان يقوم

اليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « حرق » ، وصوابه في ل . وانظر للتبويب الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغيرُ الغراب في ذلك سواء . والأعرابُ
إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّم فيها الخبيرَ ، وإن شاء اشتقَّ
منها الشرَّ .
وكلُّ كلمةٍ تحمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأحسبُ بطن طويلع ضُحياً وقد أفضى إلى اللَّبِّبِ الحَبْلُ^(١)
إلى ظيئةٍ تحلُو سَيْلاً تصوُّره يجاذبها الأفنان ذو جُدد طِفْل^(٢)
قللتُ وعِفْتُ : الحبلُ حبلٌ وصالحا تجلِّذ من سمالك وانصرم الحبلُ^(٣)
وقلت : سبال ! قد تسَلَّتْ مودتي. تصوِّرُ غصُوناً ! صار جنانها يملو^(٤)

(١) ل : « وقد جلوزت بطن طويلع » . الحبل : قرمل المصطلي . واللبب : ما كان
قريباً من حبل الرمل . يقول : وقد جزنا الحبل إلى اللبب . ويصح أن يراد لبب
الثاقه وحملها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبب . ط ، س : « إلى اللبب
الحبل » ، ووجه ما قل .

(٢) السبال : كحماط : ضرب من الشجر تحبه للظباء . تصوِّره : تحمله . الجدد :
الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدد » ، تحريف
ما قل ط .

(٣) حفَّت ، من اللبافة والتزير . تجلِّذ : تقطع . ط ، س : « تجلِّذ » ، يقال جفّه
قطعه . سمالك : نصب سلمى الحبيبة إليه . س : « سمالك » . ل : « سمالك »
صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الروصل » .

(٤) ط : « سبالاً » ، خطأ .

وَعَفَّتِ الْغَرِيرَ الطُّفْلَ طِفْلًا أُمْتُ بِهِ قَلَّتْ لِأَصْحَابِي: مَضِيكُمْ جَهْلُ^(١)
رُجُوعِي حَزْمٌ وَامْتِرَائِي غِبْلَةٌ كُنْكَ كَانِ الرَّجْرُ يَصْدُقُ قَبْلُ^(٢)
وقال ابن قيس الرُّبَيَات :

بَشَّرَ الطُّبْيُ وَالْغُرَابُ بَسْعَدَى مَرَحَبًا بِالَّذِي يَقُولُ الْغُرَابُ
وقال آخر^(٣) :

بَدَا إِذْ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِيحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرٌّ سَنِيحُ^(٤)
وَهَابَ رَجَالٌ أَنْ يَقُولُوا وَبَحَجَمُوا قَلَّتْ لَهُمْ : جَارٍ لِي رَيْبُ^(٥)
عُقَابٌ بِإِعْقَابِ مَنْ الدَّارَ بَعْدَ مَا مَضَتْ نِيَّةٌ لِاتِسْنَاعِ طُرُوحِ^(٦) ١٣٨
وَقَالُوا : دَمٌ ! دَامَتْ مَوْدَةٌ بَيْنِنَا وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّابِّ قَرِيحُ^(٧)
وَقَالَ : صَبَابِي : هُدُودٌ فَوْقَ بَانَةِ ! هَدَى وَبَيَّانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ
وَقَالُوا : حَامَمَاتُ ! فَحُمَّ لِقَاؤُهَا وَطَلَحُ ! فَنِيلُ وَالْمَطْلَى طَلِيحُ^(٨)

(١) ط : « الطفل لطف » صوابه في ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع
أمله من ودعا .

(٢) الامتراء : الشك . والفضلة بالكسر : الضلال ، وبالفصح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حبة النخري . زهر الآداب (١٦٧ : ٢) والشريشي (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما في ل وزهر الآداب . السنج : ما جاء
من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجسمة : الأبيّن المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من الجرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيدلون للدار . ط ، س : « الدار » ، وصوابه في ل
وزهر الآداب . ونية طروح : بنية .

(٧) س : « قريح » ل : « غصن الشباب قدح » ، ولم أعتد إلى الوجه في ذلك .
وفي زهر الآداب : « ودام لنا حلوا الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقص . للمطى : الإبل . طلح : أصياه السفر . ط ، س :
« فزمرت » وأثبت ما في ل ومحسن السنج (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمى. وإن شاء قال : « وقالوا حماماتٌ فحمٌ لقاؤها » . وإذا شاء اشتق^(١) البين من البان . وإذا شاء اشتق^(٢) منه البيان^(٣) .

وقال آخر^(٤) :

وقالوا: عقاب! قلتُ عُقْبَى من الهوى دنتُ بعد هَجْرٍ منهم، ونزوح^(٥)
وقالوا: حمامات! فحمٌ لِقَاؤُهَا وعادَ لنا حُلُوُ الشَّبابِ رَبِيعُ^(٥)
وقالوا: تَغْنَى هدهدٌ فوقَ بانه! فقلتُ: هُدَى نغْدُو به ونزوحُ
ولو شاء الأعرابيُّ [أن يقول^(٦)] إذا رأى سوادَ الغراب : سواد
سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سَعَف نخله ، والأسودان
الماء والتمر ، وأشباه ذلك — لقاله .
قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرفون الزَّجر كيف شاءوا ، وإذا لم
يجدوا من وقوع شيء بعد الزَّجر بُدًّا — هم الذين إذا بدا لهم في ذلك بداء^(٧)
أنكروا الطَّيْرَةَ والزَّجْرَ البتَّة .

(١) ط : « أشق » ، وصوابه في ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى ، وأنه رواية أخرى في بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له في الأمر بدوا ، وبداء ، وبدأ ، وبداءة ، نشأ له فيه رأى . ط : « بد »
معرفة . س : « بدأ » ، وأثبت ما في ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعي أن النابغة خرج مع زَبَّان بن مَيَّار^(١) يريدان الغزو،
فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذاتُ
ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرجَ فى هذا الوجه ! فلما رجع زَبَّان
من تلك الغزوة سالماً غانماً ، قال :

تخبر طيرُهُ فيها زيادُ لتخبرَهُ وما فيها خبيرُ^(٢)
أقام كأنَّ لقمانَ بنَ عادٍ أشار له بحكمته مُشيرُ
تعلمُ أَنَّهُ لا طيرَ إلاَّ على متطيرٍ وهو الثُّبور
بلى شئٌ يوافقُ بعضَ شئٍ أحياناً وباطله كثيرُ^(٣)

فزعم كما ترى زَبَّان - وهو من ذهاة العرب وساداتهم - أن الذى
يجردونه إنما هو شئٌ من طريق الاتفاق ، وتال :

تعلمُ أَنَّهُ لا طيرَ إلاَّ على متطيرٍ وهو الثُّبور

(١) هو زَبَّان بن سيار بن عمرو القزاري ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ . وهو
صهر للنابغة ، قال فى شعره :

ألا من مبلغ عنى خزيماء وزبان الذى لم يرج صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زَبَّان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س
والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سألتها أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخبر طيره » ، والطيرة
بالكسر الاسم من تطير . وزياد هو النابغة ، ابن معاوية اللديني .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والصفة (٢ :

٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط :

« وأحياناً » . وفى س : « وأحياناً رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لا ينقض الأول من قوله : أمّا (١) واحدة فإنه إن جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير (٢) لم ينقض قوله في الاتفاق . وإن ذهب إلى أن مثل ١٣٩ ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاحق عن ذلك والذي (٣) لا يؤمن بالطيرة ، فإن (٤) المتوقع فهو في بلاء مادام متوقعا . وإن وافق بعض المكروه جعله من ذلك .

(تطهير ابن الزبير)

ويقال إن ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكة ، سمع بعض إخوته ينشد :
وكلُّ بني أمِّ سيمسون ليلةٌ ولم يبقَ من أغيانيسم غيرُ واحدٍ
فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إنى ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمان شديد بالطيرة كما ترى .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « المتطير » .

(٣) ل : « وأنه » بحرف .

(٤) في الأصل : « قلما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وَمَنْ كَانَ لَا يَرَى الطَّيْرَةَ شَيْئاً^(١) المرقش ، من بنى سدوس ، حيثُ قال :

[إِنِّي غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ]
فَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشْأَمِ
فَكَذَّاكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ^(٢)
قال سلامة بن جندل^(٣) :

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْفَرَّيَّانِ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدْءَ مَشْنُومٍ
وَمَنْ كَانَ يَنْكُرُ الطَّيْرَةَ وَيُوصِي بِذَلِكَ ، الحارث بن حلزة ، وهو قوله -
قال أبو عبيدة : أَنشَدْتَنِيهَا [أَبُو] غَمْرُو ، وَايَسَتْ إِلَّا سَدَّهَ الْآيَاتُ ، وَسَاوَرُ
الْقَصِيدَةِ مُصْنُوعٌ مَوْلَدٌ - وهو قوله :

يَا أَبَاهَا الزَّمِيعُ ثُمَّ انْتَفَى لَا يَشْنُوكَ الْحَازِرِي وَلَا الشَّاحِجُ^(٤)

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقة الفحل كما في أمال المرتضى (٣ : ٢٧) والديوان

١٣١ من قصيدته التي مطلعها :

هل ما علمت وما استعددت مكتوم أم جعلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازي : زاجر الطير ، أو السكاكن . ط ، س : « الحادي » محرف .

والشاحج : الغراب يشجع بصوته .

ولا قعيد أعضب قرئته حاج له من مزيج مائج^(١)
 بينا القى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج^(٢)
 برك مازج من عيشه يعيش فيه هجج هائج^(٣)
 [لا تنكس الشول بأغبارها إنك لا تدرى من النتائج^(٤)]
 وقال الأصمعي : قال سلم بن قتية^(٥) : أضللت ناقة لي عسراء ،
 وأنا بالبدو^(٦) ، فخرجت في طلبها ، فتلقاني رجل بوجهه شين من حرق
 النار ، ثم تلقاني رجل أخذ بمخاطم^(٧) بعيره ، [وإذا]^(٨) هو ينشد :
 فلن بقيت له البغاة فها البغاة بواجدين^(٩)

-
- (١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبي أو طائر . والأعضب : المسكور القرن ل :
 والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مزيج » ، س : « مزيج » محرفة .
 (٢) تاح : قدر ، أوتها . والمخالج : الموت يتخلج المرء وينتزعه .
 (٣) رجع : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما ل واللسان والبخلاء
 ١٣٨ . وفي البيان : « يعيش فيه » .
 (٤) الكسع : ضرب الماء على الفرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها
 في بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهي التي أتى عليها من حملها ، أو وضعها
 سمة أشهر فحفت لها . والنبر بالفم : بقية اللبن في الفرع . انظر الكامل
 ٢١٣ ليسك وأمثال المديان (١ : ٣٣٦) .
 (٥) سلم بن قتية بن مسلم ، كان واليا على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبو قتية
 ابن مسلم كان واليا عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن
 حزم ٢٤٦ ط : « سلام بن قتية » وفي سائر النسخ : « مسلم بن قتية » ، تحريف .
 والنقصة الآتية في تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وستلها : « أبو حاتم قال نا الأصمعي من
 سيد بن مسلم عن أبيه » ، سواءه « بن مسلم » .
 (٦) في تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على
 ريف العراق .
 (٧) ط ، س : « آخر » سواءه في ل . والرجل هو هاشم بن عبيد من بني وائل
 كما في تأويل مختلف الحديث .
 (٨) من س .
 (٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذي يطلب الشيء ويبحث عنه . ل : « بشت له » . وقد نسب
 البيت في صيون الأغبار ١ : ١٤٥ إلى لبيد .

ثم من بعد هذا كله ، سألت عنها بعض من لقينته ، فقال لي : التمسها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُورًا^(١) ، وقد أوقدوا لها نارًا فأخذتُ بِحُطَامِهَا وانصرفتُ .

(النَّظَامُ وعدم إيمانه بالطيرة)

واخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار النَّظَام قال : جئت حتى أكلت الطين ، وما صرت إلى ذلك حتى قلبت قلبي^(٢) أنذكر: هل بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاةٌ أو عَشاء^(٣) ، فما قدرت عليه . وكان عليَّ جُبَّةٌ وقيصان ، فزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدرهمات ، وقصدتُ إلى قَرْصَةٍ الأهواز ، أريد قَصْبَةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلا ١٤٠ شيئًا^(٤) أخرجه الضَّجَرُ وبعضُ التعرُّض . فوافيت القَرْصَةَ فلم أصبُ فيها سفينةً ، فتطيرتُ من ذلك . ثم إنني رأيتُ سفينةً في صلبها خَرَقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حولة ، فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : «داوداذ»^(٥) ، وهو بالفارسية الشَّيْطَان ، فتطيرت من

(١) الحوار ، بالفم ويكسر ؛ ولد الناقة حين تقمه ، أو إلى أن يقلم .

(٢) قلبت قلبي ، أي فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أي بالبرصة ، أو بهته الدنيا . ط : «وعشاء» .

(٤) ط ، ص : «شيء» .

(٥) ط ، ص : «داود» .

ذلك . ثم ركبته معه ، نصلك الشمال وجهي ، ونثير بالليل ^(١) الصقيع على رأسي . فلما قربنا من القرية صحت : يا حمال ! ومعى لحاف لي تميل ، ومضربة خلقي ، وبعض مالا بُدّ لثلي منه . فكان أول حمال أجابني أعور فقلت لبقار كان واقفاً : بكم تكرى ^(٢) ثورك هذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثور أعضب القرن ، فازدأت طيرة إلى طيرة ، فقلت في نفسي : الرجوع أسلم لي . ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين فقلت : ومن لي بالمت ؟! فلما صرت في الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بين يدي وأنا أقول : إن أنا خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه فخش ^(٣) الباب وصرق ، وإن جلست أحفظه لم يكن ليحيى ^(٤) إلى الأهواز وجه . فبينما أنا جالس إذ سمعت قرع الباب ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجل يريدك ، قلت ^(٥) : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلت : ومن إبراهيم ؟ قال : [إبراهيم] النظام . قلت : هذا خنّاق ، أو عدو ، أو رسول سلطان ! ثم إنى تعاملت وفتح الباب ، فقال : أرسلني إليك إبراهيم بن عبد العزيز ويقول :

نحن وإن كنّا اختلافنا في بعض المقالة ، فإننا قد رجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق [و] الحرية ^(٦) . وقد رأيته حين مررت [بي] ^(٧)

(١) ط ، س : « ويثر الليل » .

(٢) س : « تكرى » . والكراه : الأجرة . وانظر الاستراكات .

(٣) فش القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفه الغليل .

(٤) ط ، س : « يحيى » .

(٥) ط : « فقلت » تحريف .

(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية . والمحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرمها منك ، وما عرفتُك حتَّى خبرتني عنك بعضٌ من كان معي
وقال : ينبغي أن يكونَ قد زَعَت^(١) [بك] حاجة . فإن شئتَ فأقيم
بمكانك شهراً أو شهرين ، فعسى أن نبعثَ إليك ببعض ما يكفيك زمناً^(٢)
من دهرِكَ . وإن اشتَهيتَ الرجوعَ فهذه ثلاثون مثقالاً ، فخذها وانصرف ،
وأنتَ أحقُّ من عَدَرَ .

[قَالَ] : فهجم والله على أمرٍ كاد ينقضني^(٣) . أما واحدةٌ : فأني لم
أكنْ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثينَ ديناراً في جميع دهرى . والثانية : أنه
لم يطلُ مقامى وغيبى عَن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بي
وأفهم عني . والثالثة : ما بين لي من أن الطيرة باطل ، وذلك أنه قد تنابع
على منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عندهم مُعطية .
قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعملُ الذين يعبرون الرؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغربانِ ضروبٌ من العَجَب ، لو كان ذلك بمصر
أو ببعض الشامات^(٤) : لكان عندهم من أجودِ الطلسم . وذلك أن

(١) ط ، س : « تزعت » صوابه في ل .

(٢) ل : « زمناً » تصغير زمن .

(٣) ينقضنى : أى يذهب قوتي وعزمى . س : « ينقض » ط : « ينقضى »

تعريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١) الْغُرَبَانِ تَقْطَعُ الْبِنَا فِي الْحَرِيفِ ، فَتَرَى النَّخْلَ وَبَعْضُهَا مَصْرُومَةٌ ^(١) ، وَعَلَى كُلِّ نَخْلَةٍ عِدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ يَقْرُبُ نَخْلَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّخْلِ الَّذِي لَمْ يُصَرِّمْ ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا إِلَّا عِذْقٌ وَاحِدٌ . وَإِنَّمَا أَوْكَارَ جَمِيعِ الطَّيْرِ الْمَصُوتِ فِي أَقْلَابِ ^(٢) تِلْكَ النَّخْلِ ، وَالْغُرَابُ أَطْيَرُ وَأَقْوَى مِنْهَا ثُمَّ لَا يَجْتَرِئُ أَنْ يَسْقُطَ عَلَى نَخْلَةٍ مِنْهَا ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهَا عِذْقٌ وَاحِدٌ .

(منقار الغراب)

ومنقار الغراب مغول ، وهو شديد النقر . وإنه ليصل إلى السكاة المندفئة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها . وهو أبصر بمواضع الكساء من أعرابي يطلبها في منبت ^(٣) الإجرّد والقصيص ^(٤) ، في يوم له شمس حارة . وإن الأعرابي ليحتاج إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بعض الانتفاخ والانصداع ، وما يحتاج الغراب إلى دليل ^(٥) . وقال أبو ذؤاد الإيادي : تنقو الحصى صعداً شرقاً منسهما تنقو الغراب بأعلى أنفيه الفرداً ^(٦)

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « ترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو الحنف الذي يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبت » .

(٤) الإجرّد : نبت يدل على الكساء . والقصيص : شجر ينبت في أصله السكاة ، قالوا : سمي بذلك لدلالته على الكساء كما يقتضى الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام في هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الفرد » .

ولو أن الله عز وجل أذن للغراب أن يسقط على الشخاة وعلى الثمرة
لذهبت ، وفي ذلك الوقت لو أن إنساناً نقر العنق نقرة واحدة لانتثر عامة
ما فيه ، ولهلكت غلات الناس . ولكنك ترى منها على كل نخلة مصرومة
الغربان الكثيرة ، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً ، حتى إذا صرموا ماعليها
تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف الألف^(١) وأصول الكرب^(٢) لتستخرجنه
كما يستخرج المنتاخ^(٣) الشوك^(٤) .

(حوار في نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاق المدلاة كالحرق السود التي تفرع
الطير أن يقع على البزور^(٥) ، وكالقوادم السود تغرز في أسنمة فوات الدبر
من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغربان . فكأنها^(٥) إذا رأت سواد الأعذاق
فزعت كما يفرع الطير من الحرق السود .

(١) ل : « الب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الدلاط العراض .

(٣) المنتاخ ، كنفخ : المناش الذي ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج
الشاك الشوك » ، وفيها تحريف .

(٤) كلما حل السواب في ل . وفي ط : « التي تغرز والطيران يقع على البزور »
وهي عبارة مختلفة . والكلام من مبدأ « تفرع » إلى : « السود » ساقط من س .
وانظر لثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نَجِدُ جَمِيعَ الطَّيْرِ الَّذِي يُفَزَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ فَلَا يَسْقُطُ عَلَى الْبُزُورِ ، يَقَعُ كُلُّهُ عَلَى النَّخْلِ وَعَلَيْهِ الْحَمْلُ ، وَهَلْ لِعَامَّةِ الطَّيْرِ وَكُورٌ ^(١) إِلَّا فِي أَقْلَابِ ^(٢) النَّخْلِ ذَوَاتِ الْحَمْلِ .

قال الآخر : يَشْبَهُ أَنْ تَكُونَ الْغُرَبَانُ قَطَعَتْ إِلَيْنَا مِنْ مَوَاضِعَ لَيْسَ فِيهَا نَخْلٌ وَلَا أَعْدَاقٌ ، وَهَذَا الطَّيْرِ الَّذِي يُفَزَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ [مِمَّا خَلِقَتْ وَنَشَأَتْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرَى فِيهَا النَّخِيلَ وَالْأَعْدَاقُ] . وَلَا نَعْرِفُ لِلذَّكَ عِلَّةَ سِوَى هَذَا .

قال الآخر : وَكَيْفَ يَكُونُ الشَّأْنُ كَذَلِكَ [وَ] مِنَ الْغُرَبَانِ غُرَبَانُ أَوَابِدُ بِالْعِرَاقِ فَلَا تَبْرَحُ تَعْمَشُ فِي رَعُوسِ النَّخْلِ ، وَتَبْيَضُ وَتَفْرُخُ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقْرُبُ النَّخْلَةَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْحَمْلُ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا تَعْمَشُ فِي نَخْلِ الْبَصْرَةِ ، [وَ] فِي رَعُوسِ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ :

١٤٢ وَمِنْ زَرْدَكٍ مِثْلِي الْمَضْبَابِ يُنَاحِ عِيدَانَهُ السِّمَكَانِ ^(٣)
وَمِنْ شَكَرٍ فِيهِ حُشٌّ الْغُرَابِ وَمِنْ جَيْسَرَانٍ وَبَنْدَاذِجَانِ ^(٤)

(١) ل : « أَوْكَار » . وَجَمِيعُ الْوُكْرِ أَيْضاً عَلَى أَوْكَرَ ، وَوَكْرَ ، كَفَرَفَ .
(٢) الْأَقْلَابُ : جَمْعُ قَلْبٍ بِالْفَمِ ، وَهُوَ السَّحَابُ الَّتِي يَطْلُعُ مِنْ قَلْبِهَا . ط : « أَقْلَالُ » وَصَوَابُهُ قُلُ ، س .

(٣) الزَّرْدَكُ : كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ . وَمَعْنَاهَا الْجُزُرُ ، وَهُوَ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ تُوَكَّلُ أَصُولُهُ وَتُرَبَّى . وَالْجُزُرُ لَيْسَ هَرَبُ الْفَنَاءِ ، مَعْرَبٌ . كَمَا فِي الْقَامُوسِ . ط ، س : « زَرْدَكٌ » حَرْفٌ . وَالْمَضْبَابُ : بِالْكَسْرِ : جَمْعُ سَبٍ . وَمَكْتَهُ : بِالْفَتْحِ : يَبِيضُهُ . وَ « السِّمَكَانُ » هِيَ قُلُ : « التَّشْيِكَانُ » .

(٤) شَكَرٌ ، هُوَ مَنْ شَكَرَتْ النَّخْلَةَ شَكَراً — مِنْ بَابِ تَمَبٍ : كَثُرَ فِرَاشُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « سَكَرَ » وَيَصْعَقُ بِتَأْوِيلٍ ؛ فَإِنَّ مِنَ النَّخْلِ يَصْنَعُ بَعْضُ السُّكَّرِ ، بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ مَا يَسْكُرُ مِنَ التَّيْلِ . وَارِ « وَمِنْ » الثَّانِيَةِ سَاطِلَةٌ مِنْ ل . وَ « جَيْسَرَانِ » هِيَ قُلُ ط ، س : « غَيْشَرَانِ » وَفِي ل : « جَيْسَوَانِ » ، صَوَابُهُ مَا أَثَبَتْ . وَالْجَيْسَرَانُ : جَنْسٌ مِنْ أَفْئِدَةِ النَّخْلِ ، فَارْسِيَّةٌ « كَيْسَرَانِ » الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ ٩ . وَهِيَ مِنَ الْأَخْيَارِ (٣ : ٢٩٧) . وَ « بَنْدَاذِجَانِ » هِيَ قُلُ ط ، س : « بِيْدَانِ جَانِ » .

وقال أبو محمد الفقهبي^(١) ، وهو يصف فحلَ هَجْمَةٍ^(٢) :
 يتبعها عَدْبَسٌ جُرَائِضُ^(٣) أَكَلَفُ مَرِيدٌ مَقْصُورٌ هَائِضُ^(٤)
 • بحيثُ يَعْتَشُ الْغَرَابُ الْبَائِضُ^(٥) •

(ما يتفاعل به من الطير والنبات)

والعامة تنطيرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحدةً ، فإذا نُقِيَ
 تفاعلت به .

واليوم عند أهل [الرِّيِّ وأهل] مَرَوْ يُتفاعل به ، [وأهل البصرة
 يتطيرُون منه . والعَرَبِيُّ يتطيرُ من الخِلاف ، والفارسيُّ يتفاعل إليه] ؛ لأنَّ
 اسمه بالفارسية « باذامك » أي يَبْقَى^(٦) ، وبالعربية خِلاف ، والخِلاف
 غيرُ الوفاق .

والريحان يُتفاعل به ؛ لأنه مشتقٌ من الرُّوح ، ويتطيرُ منه لأنَّ طعمه
 مُرٌّ ، وإنَّ كان في العَيْنِ والأنفِ مقبولاً .

(١) الحجة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) المنبس : التشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالفم : الأكل الذي يحطم كل
 شيء بأنياه . ورواية اللسان (جريس) :

• يتبعها ذوكنة جرائض •

(٣) المرید : الذي لونه بين السواد والفضة . ط ، س : « أَكَلَفُ نِهَاضٍ
 مَقْصُورٌ نَهَاضٍ » .

(٤) تكلم في هذا البيت صاحب المختصر (٩ : ١٢٥) . وفي ط ، س :
 « بحيث يفتش » ل : « بحيث يفتش » وصوابها في اللسان والمختصر .
 و « البائض » هي في ط ، س : « البائض » ، وصوابه من ل :
 واللسان والمختصر .

(٥) هذه العبارة جاءت في ط ، س : « بارحال يريد ثيق » وفي ل : « ييذاي
 ييق » . وقد حورتها إلى ما ترى مستهداً على معجم النبات ص ١٦٥ . والخلاف :
 جنس من الصفصاف . وفي تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدثين ^(١) :

أهدى له أحبُّهُ أترجَّةً فَبَكَى وأشفقَ مِنْ عِافَةٍ زَاجِرٍ ^(٢)
 منطيرًا مِمَّا أتاه ، فطعمه لُونَانٍ باطنه خِلافُ الظَّاهِرِ ^(٣)
 والفرسُ تحبُّ الآسَ ^(٤) وتكره الوردَ ؛ لأنَّ الوردَ لا يلومُ ، والآسَ دَامُ .
 قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتَيْنِ فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ
 فهو خيرٌ ، على قدر [عدد] ^(٥) الحروف ^(٦) .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغرابِ والحمارِ عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
 وأنشدني بعض النحويِّين ^(٧) :
 عاديْتنا لا زِلْتَ في تَبَابٍ عداوة الحمار للغراب ^(٨)

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما في زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) في العقد (١ : ٢٩٨) : « أهلى إليه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .

(٣) في العقد :

« عاف التبدل والتلون إنما لُونَانٍ باطنها . . . »

وفي زهر الآداب :

« منطيرًا منها المقام وجسمها لُونَانٍ باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الرِّيحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا في ل وحياة الحيوان . وفي ط : « الجزء » وفي س : « الجزء » .

والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبتان حرفين ،

والثانية مؤلفة من ثلاثة . وقد تبدل هذه العبارة مناقضة لما سبق في ٤٥٧ س .

لكن يظهر أنهما زعمان مختلفان يحكيهما .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « وأنشد لبعض » وفي س : « وأنشدت لبعض » .

(٨) ط ، س : « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه في ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال في الغراب)

[ويقال : « أصبح من غراب » . وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم ، وهو
يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد :

فأريحُ السَّدابَ أشدُّ بُغْضاً إلى الحَيَّاتِ منك إلى الغواني [
 وأنشد (١) .

وأصلبُ هامةً من ذى حُيُودٍ ودُونِ صداعه حُمى الغراب (٢)
وزعم لى داهيةً من دُهاة العرب الحَوَّاثين ، أنَّ الأفاعيَّ وأجناسَ
الأحناس ، تأتى أصولُ الشَّيخِ والحَرَمَلِ ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .
ويقال : « أغربُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لقيط (٣) :

كأني وأصحابي وكريِّ عليهمُ على كلِّ حالٍ من نشاطٍ ومن سَأَمٍ (٤)
غرابٌ من الغُرَبانِ إِيَّامَ قِرَّةٍ رَأَيْنَ لِحَاماً بالعِراضِ عَلَى وَضَمٍ (٥)

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هاند من ذى جنود » عرفت . والحيود : ماشخص من نواحي الرأس .
والبيت ساقط من س .

(٣) نسبته إلى حمه ، وإنما هو مضرِّس بن ربيع بن لقيط الأسدي ، له خبر مع
الفرزدق كما في معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلامياً أو غنصمياً . لسكن قال
صاحب الخزائنة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهل .

(٤) ل : « وكريِّ إليهم » .

(٥) القِرَّة : بالكسر : البرد . ط ، س : « فَره » صوابه في ل . والمعجم :
جمع لحم . والعراض : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط :
« بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض
من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والقال ، وزعموا أنه ليس لقوله : « كان يعجبه القال الحسن ويكره الطيرة » معنى . وقالوا : إن كان ليس لقول القائل : يا هالك ، وأنت باخر ، وجه ١٤٣ ولا تحقيق ، فكذلك ^(١) إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله يا مضلٌ ، ويا مهلك ، أحقُّ بأن يكون لا يوجب ضللاً ولا هلاكاً من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألا يكون يوجب ظفراً ولا وجوداً . فلما أن يكوناً جميعاً يوجبان ، وإما أن يكوناً [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتم . لو أن الناس أمَلُوا فائدة الله عز وجل ورجوا عائِدته ، عند كل سببٍ ضعيف وقوى ، لكانوا على خير . ولو غلطوا في جهة الرجاء لكان لهم ^(٢) بنفس ذلك الرجاء خير . ولو أنهم بدل ذلك قطعوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى ^(٣) ، لكان ذلك من الشر والقال ، أن يسمع كلمة في نفسها مستحسنة . ثم [إن] أحب بعد ذلك أو عند ذلك أن يحدث طمعاً فيها عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلاف اليأس . وإنما خبر أنه كان يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هي ، وعن الطبيعة إلى أي شيء تنقلب .

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب في ل ، س . وفي : ط : « ولو أنهم بدلوا ذلك

فعلوا » . . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء^(١) : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُفِيلٌ :
يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة .
ولكنهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظنِّ وتوقع البلاء من قلبه على كلِّ
حال - وحال الطَّيرة حال من تلك الحالات - ويحبُّون أن يكون لله راجيا ،
وأن يكون حسنَ الظنِّ . فإن ظنَّ أن ذلك المرجوَّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح
بتلك فلا بأس^(٢) .

(تطير بعض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بعضُ البصريين من بعض الطَّواعين ، فركب
ومضى بأهله نحو سَفَوَانَ^(٣) ، فسمع غلاماً له أسودٌ يحدوُ خلفه ، وهو يقول :
لن يُسَبِّقَ اللهُ عَلَى حِجَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْعَةٍ مَطَّارٍ^(٤)
أَوْ يَأْتِيَ الحَيْنُ عَلَى مِقْدَارٍ قَدْ يَصْبِيحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي^(٥)
فلما سمع ذلك رجع بهم .

-
- (١) هو ابن حون ، كما في تأويل غنطف الحديث ١٣١ مع اختلاف في اللفظ .
(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .
(٣) سفوان ، يفتح أوله وثانيه : ماء حل قدر مرحلة من باب المريد بالبصرة .
(٤) الميعة : أنشط الجري . والمطار ، يفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو .
ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيار :
حديد الفؤاد ماض . وانظر البيان (٣ : ٢٧٨) . وجادت الرواية في زهر الآداب
(٤ : ١٣١) ومحاضرات الراسب (٢ : ٢٢٥) : « ولا حل في منعة طيار » .
(٥) الحين : الملاك . وروى : « الحنف » كما في زهر الآداب وأمال المرتضى
(٤ : ١١٢) وتأويل غنطف الحديث ١٢٥ . ومجد القصة في هذه المراجع حل
وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضرة ص ٩ .

(معرفة في الغربان)

قال : والغربان تسقط في الصحارى تلتهمس الطعم ، ولا تزال كذلك ،
فإذا وجبت الشمس ^(١) نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قل ما تختلط
البقع بالسود المصمتة ^(٢) .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الجداء ^(٣) السود ، ومنها صفار .
وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصُّور . ومنها غربان تحكي كل شيء سمعته ،
حتى إنها في ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يتخلف ^(٤) منها عندنا
بالبصرة في الصيف ، فإذا جاء القيظ قلت . وأكثر المتخلفات ^(٥) منها البقع .
فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين ؛ لتتال مما يسقط من الثمر في كرب
التخل وفي الأرض ، ولا تقرب التخل إذا كان عليها عذق واحد ^(٦) ، وأكثر
هذه الغربان سود ، ولا تكاد ترى فيهن أبقع .

(١) وجبت الشمس : سقطت المغيبة .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الجداء ، بكسر الجاء المهملة : جمع حداة كمنية . ط : « الحدة » ، ل : « الجداء »
بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يتخلف » .

(٥) ط ، س : « المتخلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من التخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد
أنها لا تقرب التخل ما دام بعض الثمر في أطرافه . وانظر ما سبق في ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبح فرخ الغراب)

وقال الأصمعيّ: قال خلف: لم أرَ قطُّ أقيح من فرخ الغراب! رأيتُه مرّةً ١١
فإذا هو صغير الجسم ^(١) ، عظيم الرأس ، عظيم المنقار ، أجرد أسود الجلد ،
ساقط النفس ، متفاوت ^(٢) الأعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضها يقيم عندنا في القيظ . فأما في الصيف فكثير . وأما
في الخريف فالأدهم . وأكثر ما تراه في [أعلى] ^(٣) سطوحنا في القيظ والصيف
البقع ، وأكثر ما تراه في الخريف [في النخل] و [في] الشتاء في البيوت
[السود] .

وفي جبل تكريت ^(٤) في تلك الأيام ، غربان سود كامل الخداه
[السود] عظماً ^(٥) .

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه في ل ، ص .
وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام في (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، ص .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الخداه سبق شرحها في الصفحة السابقة . ط : « الخلد » تحريف . و « عظماء »
هي في ط : « عظماء » وهو تحريف فكه ، صوابه في ل ، ص .

(تسافد الغريبان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدَها على ^(١) غير تسافد الطير ، وأنها زائقة ^(٢)
بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نواذر وأشعار مستحسنة)

نذكر شيئاً من نواذر وأشعار ^(٣) [وشيئاً] من أحاديث ، من
حازها وباردها .

قال ابنُ مُجِيزٍ ^(٤) : كان ابنُ ميادة ^(٥) يستحسن هذا البيت لأرطاة
ابنِ سُهَيْبٍ ^(٦) :

فقلت لها يا أمَّ بيضاء إنه هُرَيْقٌ شبَّاني واستشَنُّ أدعَى ^(٧)
[صابر شتاً] .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تتراق . ط : « تراف » ، صوابه في ل ، س .

(٣) س : « فلذكر نواذر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل .

وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذي سبقت ترجمته في (٢ : ٣٥١) .

(٥) ابن ميادة ، ساقط من ل .

(٦) س : « أرطاة بن صمية » ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة في ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعي يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ بنِ حكيم ، في صفة الظَّليم ^(١) :

مَجْتَابٌ شَمْلَةٌ بُرْجِدٍ لَسْرَاتِهِ قَدْرًا وَأَسْلَمٌ مَاسِوَاهُ الْبَرْجِدُ ^(٢)

ويستحسن قوله في صفة الثَّور :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَعْمَدُ ^(٣)

وكان أبو نواسي يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عَنَانُ الْقَصَائِدِ ^(٤)

وقال كثير :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاؤُهُ صَنِيعَةً بِرًّا أَوْ خَلِيلَ تُوَامِقِهِ ^(٥)

مَنْعَتْ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ ^(٦)

(١) الظلم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد ليس ذلك الظلم كماء أسود غخلا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أي ترك البرجد ماسوى الظهر : من الرجلين والعتق ، فلم يستره . وساقا الظلم وعتقه عارية من الريش . ط : « قدر وسلم » ، وصوابه في ل ، س ، والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالي . وانظر الموارنة بين هذا البيت وأشباهه في العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان الفناينة ١٩ .

(٤) أغلقت : يليت . « عنان » هي في ط : « عنا » وتكملها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعى ، أو خليل توافقه » . وفي المقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قري أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية المقد : « ولم يستهلك المال » . وقد روى صاحب

زهر الآداب البيهقي برواية صحيحة في (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ، يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌ تِلَادٍ المَالِ فيما يَنْوِبُهُ منوعٌ إذا ما منعه كان أَحْزَمًا^(١)

قال : وكان رِيعِي^٢ بن الجارود يستحسن قوله :

فخبر منك مَنْ لا خير فيه وخير من زيارتك القُعودُ^(٣)

وقال الأعشى :

قد نَطَعْنَ العَيْرَ في مَكْنُونٍ فائله وقد يَشِيْطُ على أرماحنا البَطْلُ^(٤)

١٤٥ لَاتَنْهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوَى شَطَطٍ كَالطَّلَعِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْقَتْلُ^(٥)

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مائه »

تحريف ما في ل . والبيت مع قرين له في البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين في الجوهان (٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زهادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق في الثخذ ، وهو مقتل .

أراد أنهم حذاق في الطعن . انظر المختص (٢ : ٤٢) والسان (فيل) والرواية فيه :

• قد تخضب العير من مكنون فائله •

ل : « نطن انيسل » س : « مكنون قابله » ، كلاما محرف .

ويشيط : يهلك .

(٤) كذا في ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بلاق) وفي ل : « لا يتنهون »

والرواية في الكامل ٤٤ ليسك وأمال ابن الشجرى (٢ : ٧٢٩ ، ٢٨٦)

والخزانة (٤ : ٢٦٣ بلاق) والنهث المنسجم (١ : ٥٢) : « أتتبهون »

وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف في « كالطنن » وأن « الطنن »

مجرور بالإصافة . والقتل : جمع قتيلة ، وهي قتيلة الجراحة . يقول : لا زجرهم غير طنن جائف .

وقال العلاء بن الجارود^(١) :

أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا^(٢)
ولهُ صامُوا وصلُوا ولهُ حَجُّوا وزارُوا
وله قامُوا وقالوا وله حلُّوا وساروا
لو غدا فوق الثريا ولم ريش لطاروا
وقال الآخر^(٣) في مثل ذلك :

شمير ثيابك واستعدَّ لقابلي واحكك جبينك للقضاء بثوم^(٤)
وامشِ الذئيب إذا مشيت لحاجة حتى تصيب دبيعة لينيم
وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رَقَّ وجهه رَقَّ علمه » .
وقال عمر : « تفقهوا قبل أن تسودوا » .

وقال الأصمعي : « وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح »^(٥) .
ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم :

مقبل مدبر خفيف ذئيف دم الثوب قد شوى مِمَكَاتِ^(٦)

(١) ل : « العلاء بن الجارود » . والأبيات منسوبة في القمد (١٤١ : ٢) إلى محمود الوراق .
(٢) روى « ميتا » بدل « نسكا » في ل والقمد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا »
في القمد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الثينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار »
جاءت الرواية في القمد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مسور الوراق كان في القمد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسب في
الشريشى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) للقابل : المستقبل . والمجبن إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمعة ممراء توهم الأغرار
أن صاحبها حريق في التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح
يفعلون ذلك في مصرنا هنا ؛ ليجعلوا أنفسهم من قيل فيهم : « سيماهم في
وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما في ل . وفي البيان (١ :
١٩٩) : « وصلت بالعلم وتلت بالملح » .

(٦) يقال غفيف ذئيف ، وغفاف ذفاف ، وإتباع . والمراد بهما الصريح . ط :
« جفيف » س : « ذئيف » ووصابه في ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « أدم الثوب » .

من شبابيط لجة ذات نحر حُلب من سُحومها زَهاتٍ^(١)
ففسكر فيهما فلمَّا سيمتبانك ساعة^(٢) .
وقال الشاعر^(٣) :

إن أجزر علقمة بن سيف^(٤) سعيه لا أجزره ببلاء يوم واحدٍ
لأحبتي حب الصبي ورثتي رمّ المدي إلى الغنى الواجد^(٥)
ولقد شفيت غيلتي وتفتتها من آل مسعود بما بارد
وقال رجل من جرم :

نبئت أخوالى أرادوا عموتى بشنعاء فيها ءاملُ السَّم مُنقعا^(٦)
سأركها فيكم وأدعى مفرقا وإن شئتم من بعدُ كنت مجمعا^(٧)

(١) الشبابيط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ١٥٠ ،
١٥١ ، ٢٢٢) . ط ، ص : « شيايك » محرفة . حطب : جمع حطباء وهي
الخارجة تظهر الداخلة البطن والصدر . والزهات : السمينة الكثيرة الشحم .
وفي الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففسكر فيهما فأنهما سيمتبانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فذك بن أحميد ، وهو المرنائق الطائي . معجم المرنباني ١٧٥ والصاحح
(لم) . كان مجاورا لعلقمة بن سيف التائي ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك
سعى في استردادها من مخطئها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بغير ودفعها إلى فذك عوضا .
فقال هذا الشعر يمدحه الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٧٠ : ٧١) والصاحح واللسان (لم) .

(٤) في الأصل : « زيد » وصوابه في البيان (٣ : ٢٢٢) والحماسة وشرحها .

(٥) رمى ، بالراء : أصلح حال . والمدي : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . ط ، ص :
« ذمى ذم اليتيم » ، ل : « ذمى ذم الحمى » وصواب الرواية من الحماسة
والبيان . ل : « إلى الفقى » . والفقى : الشاب .

(٦) في ط ، ص : « نبئت إخواني » وأثبت ما في ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : ص ،
« أرادوا نقيض بشنة » و « بشنة » تحريف . والتائل : هو المنقع ، أى
المعق . ط ، ص : « تأبل » .

(٧) ل : « فإن شئتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ في شتاءٍ شيئاً قطُّ إلا وقد برد ، ولا أكلتُ في صيفٍ شيئاً إلا وقد سخن .

وقال أبو عمرو المديني^(١) : لو كانت البلايا بالحصص ، ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاءة إلى التَّيَّاسِ اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاءة حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد^(٢) الخلفُ موكلٌ بكلِّ شيء [يكون] ، حتى القذاة^(٣) في الماء في رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأس الكوز لتخرُج رجعت .

(حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غزوان : بكَّرتُ اليوم إلى أبي عمران ، [فلزمتُ الجادة] ، فاستقبلني واحدٌ فلزِمَ الجادة التي أنا عليها ، فلما غشيني^(٤) انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرفَ معي ، فعدتُ إلى ممْنَى فعدا ، فعدتُ فعدا ثم عدتُ فعدا . فلولا أنَّ صاحبَ رِذون فرَّقَ بيننا لكان إلى الساعة يكذِّبني^(٥) . فلخَلتُ على^(٦) أبي عمران فعدا بَعْدَاته ، فأهويتُ بِلَقْمَتِي إلى

(١) ط ، س : « أبو عمرو المديني » . وهذا الخبر والتبر الذي قبله في الحيران (٥ : ٥٩١) .

(٢) كلا في ل . وفي ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعيد »

وفي ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البطلان

الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونسبه في البيان (١ : ١٠٦) بأنه :

« رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : ما يقع في الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه في .

(٤) ل : « أغشيني » تحريف .

(٥) يكذبني : يلح في طلبي . ط ، س : « يكذبني » تحريف .

(٦) ط ، س : « إل » .

الصَّبَاغُ^(١) فَأَهْوَى إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، فَخَبِثَ بِلَدَى فَتَحَى يَدَهُ ، ثُمَّ عُدْتُ
قَعَادَ ، ثُمَّ نَحِثُ فَتَحَى ، فَقُلْتُ لِأَبِي عِمْرَانَ : أَلَا^(٢) تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قَالَ
سَاحِدُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ، أَنَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ^(٣) أَشْفَقْتُ أَنْ يَرَانِي
[ابْنُ أَبِي] عَوْنُ الْخِطَّاطِ ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي أَنْ يَرَانِي مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَلَمَّا [أَنْ]
كَانَ أَمْسِرُ ذَكَرْتُ لِأَبِي الْحَارِثِ الصَّنِيعِ^(٤) فِي السَّلَامَةِ مِنْ رُؤْيَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَنِي
أَمْسِرُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ !

(نَوَادِرُ وَبَلَاغَاتُ)

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ^(٥) :
أَنَا لَا أَبْتَدِي وَلَكِنِّي أَعْتَدِي^(٦) .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : قَالَ الْحُجَّاجُ : أَنَا حَلِيدٌ حَقُودٌ حَسُودٌ !^(٧)

قَالَ : وَقَالَ قَدِيدُ بْنُ مَتَيْعٍ ، مُجَلِّدِيعٌ^(٨) بَنَ عَلِيٌّ : لَكَ^(٩) حَكَمُ الصَّبِيِّ
عَلَى أَهْلِهِ !

(١) الصَّبَاغُ ، يَالْكُسر : مَا يَصْطَلِغُ بِهِ مِنَ الْإِدَامِ ، وَصَبِغَ الْقَمِصَ صَبِغًا : دَخَلَهَا وَغَسَّهَا .
ل : « الصَّبَاغُ » وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ .

(٢) ل : « وَأَمَّا » .

(٣) ط ، س : « أَنَا أَكْثَرَ مِنْذُ سَنَةٍ » ل : « أَنَا مِنْذُ سَنَةٍ » وَقَدْ جَمَلَهَا
كَأَنَّ تَرَى .

(٤) أَيِ مَا صَنَعَ لِي مِنَ السَّلَامَةِ مِنْ رُؤْيَيْهِ . ط : « الصَّنِيعُ » .

(٥) هُوَ جَرِيرُ الشَّامِ .

(٦) ط ، س : « وَلَكِنِّي أَعْتَدِي » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي لِ وَمَا صَبَقَ فِي ص ٩٩ .
يَقُولُ : هُوَ لَا يَبْتَدِي بِالْجِيَاءِ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا رَدَّ عَلَى الْحَاجِجِ اعْتَدَى عَلَيْهِ ، وَظَلَمَهُ
إِرْهَابًا لَهُ .

(٧) الْخِيَوَانُ (٥ : ٥٩٢) . وَيُلْفِظُ آخَرُ فِي الْبَيَانِ (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جَدِيعٌ هَذَا هُوَ ابْنُ خَالِ يُزَيْدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ . الْبَيَانُ (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل :
« الْحَلِيدُ » وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٥٣٨ — حَيْثُ فَقَلَ النَّصْرَ — : « مُجَلِّدِيعٌ »
وَالصَّرَابُ مَا أَثْبَتَ .

(٩) ط ، س : « لَكَ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي لِ وَالْثَمَارِ . وَفِي الثَّمَارِ : « لَكَ عَلَى » .

وقال أبو إسحاق^(١) - وذكرَ إنساناً - : هو والله أنزقُّ من ربيب مَلِك^(٢) ، وأخرق من امرأة ، وأظلم من صبي .

وقال لي أبو عبيدة : ما ينبغي أن يكون [كان] في الدنيا مثل هذا النظام^(٣) . قلت : وكيف ؟ قال : مرَّ بي يوماً فقلت : والله لأمتحنه ، ولا سمعنُ كلامه ؛ فقلت له : ما عيبُ الزُّجاج - قال : يُسرَّع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبر - من غير أن يكون فُكِّر أو ارتدع !

قال : وقال جَبَّار بن سُلَيم بن مالك^(٤) - وذكر عامر بن الطفيل^(٥) فقال : كان لا يضلُّ حتى يضلَّ النّجم ، ولا يعطشُ حتى يعطشَ البَحير^(٦) ، ولا يهاب حتى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون^(٧) حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من انزق وهو العليش والتسرع . والريبب : المريبب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل معروف في ط ، س : في الأولى : « أترف من زينب بنت مالك » وفي الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء في أمثال الميداني (١ : ١٣٦) : « أترف من ربيب نعمة » . (٣) ط ، س : « قال لي أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذلك » .

(٤) هو جبار بن سلمي (يضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بدر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد المداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والميرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤) . في ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمي » . وانظر شروح سقط الزند ص ٥٠٠ .

(٥) في البيان : « حين وقف هل قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما في ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابن الأعرابي : قال أعرابي : اللهم لا تُنزلني ماء سَوْءٍ فأكون
امراً سَوْءاً يقول : يدعوني قَلْبُهُ إلى منعه .

وقال محمد بن مسلام ، عن حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنَّ
الأحنف كان يكره الصَّلَاةَ في المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ،
لم لا تنصلي في المقصورة ؟ قال : وأنت لم لا تنصلي فيها ؟ قال : لأترك^(١) !
وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة^(٢) .

ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره ، فقال : اذكر
حوائجك . فقال عبد الله : ركباني مُنَاخَةٌ ، وعلى ثيابي سفرى ! فقال : إنَّك
لا تجدني خيراً [متى] لك الساعة^(٣) .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمر بن عبد العزيز قلوبُ عبد الله بن الحسن ،
فأرسل إليه : إني أخاف عليك طواعين الشام ، وإنَّك لا تُغْنِي أهلك خيراً
لهم منك^(٤) فالحق بهم ، فإنَّ حوائجهم ستسبقك^(٥) .
وكان ظاهر ما يكلِّمونه به ويروونه إياه جيلاً مذكوراً^(٦) ، وكان
معاناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جماله ، ويعرفون بيَّانه وكَماله ،
فكان ذلك العملُ من أجود التدبير فيه عند نفسه :

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كثر من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدني خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة في ل
بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغف أهلك خيراً منك » .

(٥) ل : « ستسبقك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا في س . وفي ط : « ما يكلِّمون به ويروونه جيلاً مذكوراً » . وفي ل :
« ما يكلِّمون به ويروونه جيلاً مذكوراً » .

(شعر في الزهد والحكمة)

وأنشد :

تُلج من الموت الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخله^(١)
وقال آخر :

[أكلكم أنام على عجزٍ عشزرةٍ مقلدةٍ مِخَابًا^(٢)
وقال آخر:]

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله فليت شعري بعدَ الباب ما الدارُ^(٣)
لو كنتُ أعلم مَنْ يَدْرِي فيخبرني أجتهُ الخلدِ ما وانا أم التلُ^(٤)
وقال آخر :

اصبرْ لكل مصيبةٍ وتجلدِ واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مُجلدِ
فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها فاذكُرْ مصابكَ بالنبيِّ محمدِ
وقال آخر :

والشمس تَنقَى ساكنَ لأدبنا ويُسعدُها القَمَرُ

(١) ألح يلج : خاف وساذر . ل : لا شك داخله . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩ .

(٢) من العجز الدنيا . والعشزرة : البيئة الخلق ، يضم اللام واللام . والمِخاب : بالكسر : القلادة من سلك وقرنفل ومُخَب ، بلا جوه .

(٣) كذا في ل والأغاني (١٩ : ١٤) . وفي ط : « الموت باب لنا لا بد لدخله » . وفي س : « ولنا لابد لنا أن ندخله » وما في س تحريف .

(٤) ل : « موأنا » . قالوا : لم يمشل الحسن البصري بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغاني .

أَيْنَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ رَسْمُ الْجَنَادِلِ وَالْمَدَرِ^(١)
أَفَنَاهُمْ غَلَسَ الْعِشَاءُ ۖ يَهْزُ أَجْنَحَةُ السَّحَرِ^(٢)
مَا لِلْقُلُوبِ رَقِيقَةٌ وَكَأَنَّ قَلْبَكَ مِنْ حَجَرٍ
وَلَقَلْبًا تَبْقَى وَعَوِ ذَلِكَ كُلُّ يَوْمٍ يُهْتَصَرُ^(٣)

وقال زهير :

وَمَنْ يُوفٍ لَا يُذْنَمُ وَمَنْ يُفْضِرُ قَلْبَهُ إِلَى مَطْمُنِ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّعُ^(٤)
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَا يَكْرُمُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَائِقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلِمُ
وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَا يُعْفِيهَا يَوْمًا مِنَ الذَّمِّ يَنْدَمُ^(٥)

[وقال زهير أيضاً :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طُعِنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَقَا^(٦)]

(١) الرِّسْمُ ، بالتصريف : التَّراكم .

(٢) الغلس : انقلام آخر الليل . والمشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل : « العشي » . وهي بمعنى المشاء المتقدم ؛ فمن الصباح : « العشي من الزوال إلى الصباح » .

(٣) احتصار النفس : عطشه . ل : « يمتصر » . وفي ط : « وكل ما تبقى » . صوابه في ل ، س .

(٤) لا يتجمع : لا يتردد .

(٥) يسترحل الناس نفسه : يحمل نفسه كالراحلة الناس يركبونه ويؤمنونه . وروى : « يستحمل الناس » ، أي يحمل الناس على عيه .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت في الاستدراكات .

وقال ^(١) :

وجارُ البيتِ والرَّجلُ النّادى ^(٢) أمامَ الحىَّ عقْدُهما سواءُ
جوارُ شاهدُ عدلٍ عليكم وسيانِ الكفالةُ والثّلاثةُ ^(٣)
فلنِ الحقِّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ : يمينٌ، أو نِفَارٌ، أو جِلالةُ ^(٤)
فَفَهَّمْ هذه الأقسامَ الثّلاثةَ ، كيف فصلها هذا الأعرابيُّ !

وقال أيضاً :

فلو كان حمدُ يُخْلِدُ النَّاسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حمدَ المرءِ ليسَ بِمُخْلِدٍ ٤٨
ولكنَّ منه باقياتٍ وِراثةٌ فأورِثَ بَنِيكَ بَعْضُهَا وَزَوَّدَ
زَوْدٌ إلى يومِ الماتِ فَإِنَّهُ وإن كرهته النَّفْسُ آخِرُ مَعْهَدٍ
وقال الأسدِيُّ :

فلأني أحبُّ المُخلَّدَ لو أستطيعه وكأُخلِّدُ عِنْدِي أن أموتَ ولم أَلَمْ ^(٥)
وقال الحادِرةُ :

عائِثُوا عَلَيْنَا لا أبَا لأَيِّكُمْ بإحساننا إنَّ الثّناءَ هو المُخلَّدُ ^(٦)
وقال الغنَوِيُّ :

فإذا بلغتُمُ أهْلَكُمْ فَتحدَّثُوا ومن الحديثِ مهالكٌ وخُلُودٌ ^(٧)

(١) أي زهير بن أبي سلمى .

(٢) النّادى : المجلّس ؛ من النّادى والنّادى وهو المجلس . ط : « النّادى » وهو تحريف . يقول : حقّ المجلس كحقّ الجار .

(٣) الثّلاثة ، بالفتح : الضّمان وأنظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت في الصّناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والمعتمد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وحيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا في البيان (٣ : ٣٢٠) . ل . « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما حدّث : « بلغتُمُ أرضكم » ، و « متألف وخُلُود » .

وقال آخر^(١) :

قتلاً بتقبلٍ وعقرًا بعقرٍكم جزاء العطاش لا يموت من أثار^(٢)

وقال زهير :

والإثم من شرٍّ ما تصول به والبرُّ كالغيثِ نبتُهُ أَمْرُ^(٣)

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

• والبرُّ كالماء نبتُهُ أَمْرُ •

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنما أراد أن النبات

يكون على الغيث أجود^(٤) . ثم قال :

قد أشهدُ الشاربَ المعدلَ لا معروفُهُ مُنْكَرٌ ولا حصرُ^(٥)

في حبةٍ لَيْسَ المَازِرُ لا يَسُونُ أحلامَهُمْ إذا سَكِرُوا^(٦)

يشوون للضييف والعفاة ويؤفون قضاء إذا هم نذروا^(٧)

(١) هو مهملل كما في البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدًا بقدكم » . محرف . ما عدل : « جزاء العطاش » تحريف . وانظر حواشي البيان ، والسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . واثار : أدرك ثأره . والممرؤف في اللغات : « اثار » بالناء المثناة . لكن ما أثبت من ل جائر في العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفي ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « أمره » وصوابه في ل ، س . والرواية عند النقال (١ : ١٠٣) والبيروني ٣٤٧ : « من شر يصل به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون من الغيث أجود » .

(٥) المعدل : الذي يملأ كثيرا ويلازم لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء . والمحصر : البخيل .

(٦) المآزر : جمع مزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيقة - وأراد بالإنذار للنفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فدى لك من أذى ثقة إزارى .

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يُدْحُ كما ترى أهل الجاهلية بالوفاء بالثدور^(١) .
أشدنى حيان بن عتبان^(٢) ، عن أبي عبيدة ، من الثوار الذي لا أرباب
لها ، قوله :

إن يَغْدِرُوا أو يَفْجُرُوا أو يَبْخُلُوا لم يَخْلُوا
يَغْدُوا عليك مرجلي نَ كَأَنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا
كأني بِرَاقِشٍ كلُّ يو م لونه يَنْخِيلُ^(٣)

وقال الصِّلَتَانِ السَّعْدِيُّ ، وهو غير الصِّلَتَانِ الْعَبْدِيُّ :

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفَى الْكَبِيرَ رَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمُرُّ الْعَشِيِّ ١٤٩
إذا لَبِثَ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فَيَ^(٤)
رُوحٌ وَنَفْسٌ لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مَنَ عَاشَ لَا تَنْقُضُ^(٥)
تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(٦)
إذا قُلْتُ يَوْمًا لَدَى مَعْشَرٍ أُرُونِي السَّرِيَّ أُرُونَا الْغَنَى

(١) ط ، س : « بالثدور » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عتبان » .

(٣) أبو راقش : طائر كالصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار
يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك
ما قاله الأزهري : أنه يشبه بالقنفذ أعلى ريشه أخضر وأوسطه أحمر وأسفله أسود
فإذا انتفض تغير لونه ألوانا فتي . والرواية في اللسان : « كل لون لونه »
ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات وروايتها وما قيل فيها ، في ديوان
الحافظ (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمال القائل (٣ : ٨٣) وحيون
الأخبار (٢ : ٢٩) وغزاة الأدب (٣ : ٦٦٠ يولات) والصناعتين ١٠٣
ومعاهرات الرافع (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

ألم ترَ لقمانَ أوصى نبيـ
وأوصيتَ عمرًا فتم الوصى^(١)
وسيرك ما كانَ عندَ أمرئٍ وسرُّ الثلاثةِ غير الخفي
أنشدني محمد بن زياد الأعرابي :
ولا تلبثُ الأطاعُ من ليس عنده
من الدين شيءٌ أن يحبل به النفسُ
ولا يلبثُ الدُّخسُ الإهاب تحوزه
بجمعك أن ينهـ عن غيرك الترس^(٢)
وأنشدني أبو زيد النحوي لبعض القدماء^(٣) :
ومهما يكن ريبَ المنونِ فإني
أرى قراليلَ المعذرِ كالقنَى^(٤)
يعودُ ضيلاً ثم يرجعُ دائباً
ويعظمُ حتى قيل قد تاب واستوى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثم انتقاصه
وتكراره في إره بعد ماضى^(٥)
وقال أبو النجم :

- (١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ودواياتها في هيون الأخبار (٣) :
١٣٢) ومعاذ التنصيص (١ : ٢٧) والفتحة (٢ : ١٢٣) والحامسة (٢ :
٥٦) والكامل ٥٤٠ ليسك .
(٢) الدخس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهـ كعبرة الرأس » .
(٣) هو حسان السعدي كما في نوادر أبي زيد ١١١ ~ ١١٢ . ونسب الشعر في أمال
المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طيىء . وصيته ياقوت في (دير حنظلة)
بأنه حنظلة بن أبي عفراء . وساق نسبه إلى طيىء . وقال في شأن حنظلة هذا
« كان قد نسل في الجاهلية وتنتصر وبني هذا الدهر » .
(٤) المعذر : ذو البدار ، وهو هنا الحالة التي تلطف به . وفي الجزء السادس من الحيوان
ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية في النوادر والأمل والمجم :
و ل : « المذب » وكان عذابه فيها يتكرر من طلوعه واختفائه ودوبه على ذلك .
وفي مثل ذلك قال أمية في حذاب الشمس :
تأبى فلا تهبو لنا في رسلها إلا مطية . وإلا تجلد
لاتصلح أن تقصر ساعة وبذلك تدأب يومها وتشرذ
(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه في ل ، س .

مِرَّ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعٍ^(١) مَرُّ اللَّيْلِ أَبْطَلَى وَأَسْرَعَى^(٢)
أَفْنَاهُ قَبْلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ أَطْلَعَى ثُمَّ إِذَا وَارِكُ أَفْقٍ فَارِجِي
وقال عمرو بن هند^(٣) :

وإن الذي ينأى بها كم عن طلايها ينأى نساء الحى في طرة البرد^(٤)
يعلل والأيام تنقص عمره كما تنقص النيران من طرف الزند^(٥)
وقال ابن ميادة :

هل ينطق الربيع بالعلياء غيره ساء في الرياح ومسن له طنب^(٦)
وقال أبو العتاهية :

• أسرع في نقص امرئ تمامه •

وقال :

ولم الفناء في كل شيء حركات كأنهن سكون^(٧)

وقال ابن ميادة^(٨) :

١٥٠

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزح » . والقزح : كل شيء

يكون قطعا متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كلما في ل واللسان . في ط ، س : « جلب الليالي أبطل أو أسرع » .

(٣) كذا في ط و س : وص ٨ « من هذا الجزء . وفي ل : « عبد هند » .

(٤) ينأى : يفاضل . س : « عن طلايها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المسن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : حبل السراقة . وقد

جعل السحاب كالسراقة فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد

ذاك الريح الريح والامطار . ط ، س : « ومسنف » ، تحريف ما أثبت من ل

ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغاني (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القنناء » ط : « ولمر القنناء » ، ووجه ما أثبت من ل .

(٨) روى في معجم البلدان برسم (فتح) نسبت إلى مزاحم العقيل .

أَشَاقَكَ بِالْقَنْعِ الْغَدَاةَ رُسُومٌ دَوَارِسُ أَدْنَى عَهْدِهِمْ قَدِيمٌ^(١)
يَلْحَنَ وَقَدْ جَرَمَنْ عَشْرِينَ حِجَّةً كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْبَيَانِ وَشُومٌ^(٢)
وقال آخر :

فِي مَرْقَبِي إِذَا مَا عُونَقْتُ حَجَمَ عَلَى الصَّبِيعِ وَفِي أَنْبَاهِهَا شَنْبٌ^(٣)
وقال ابن ميادة في جعفر [ومحمد] ابني سليمان^(٤) ، وهو يعني أمير
المؤمنين المنصور :

وَفِي لَكَا يَا ابْنِي سُلَيْمَانَ قَاسِمٌ بِحَجْدِ الثَّهْيِ إِذْ يَفْصِمُ الْخَيْرَ قَاسِمُهُ^(٥)
فِيئَتِكَمَا بَيْتٌ رَفِيعٌ بِنَاؤُهُ مَتَى يَلْقَى شَيْئًا مُعْدًّا فَاهُوَاهُمُ^(٦)
لَكُمْ كَبْشٌ صِدْقٌ شَذِبَ الشُّولَ عَنْكُمْ
وَكَسَّرَ قَرْنِي كُلَّ كَبْشٍ يَصَادُمُهُ^(٧)

-
- (١) القنع ، بالكسر : جبل وماء بالجماعة . والرسوم : آثار الديار .
(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط :
« عيسى حجة » رسواهما في س .
(٣) في المجمع : « إذا ما عولجت » . والحجم بالخاء تم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا
فيه . ولعله من حجم ثلثي الجارية : نهت وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين بالحجم .
ل وكذا الأغاني : « حجم » وهو كثرة الحجم ، أو عدم ظهور العظم . س :
« حجم » تحرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحلقة .
(٤) ط ، س : « في جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكالة من ل .
(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفي لكا يحفظ العقل . وفي بالثاء : أصلاه
كاملا . وهذا البيت شديد التحريف في الأصل . فن ط ، س : « وما لكم »
وفي ل : « وفاء لكا » وفي ط ، س : « بحجْدِ الثَّهْيِ » وفي ل :
« بحجْدِ الثَّهْيِ » . وقد عالجته بما ترى .
(٦) في الأصل : « فيئتكما » تحرف : ل : « متى يلقى بيتا يجدهم » .
(٧) الكيش : متى به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التي نقصت
ألبانها . يرعد : طرد حتم الخسائس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك »
وهو متى لا يصح في المنح .

باب

في من يهجي ويذكر بالشؤم

قال دَعِيزِل بن عَلِيٍّ ، في صالح الأَقم^(١) - وكان لا يصحبُ رجلاً إلَّا ماتَ أو قُتِلَ ، أو سَقَطَتْ منزلته - :

قُلْ لِلأَمِينِ أَمِينِ آلَ مُحَمَّدٍ قول امرئ شَفَقَ عليه محام^(٢)
إِيَّاكَ أَنْ تُفْتَرَ عَنْكَ صَنِيعَةٌ في صالح بن عطية الحَجَّام^(٣)
لَيْسَ الصَّنَائِعُ عِنْدَهُ بِصَنَائِعٍ لكنهن طَوَائِلُ الإسلام^(٤)
أَضْرَبَ بِهِ نَحَرَ الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ جيشُ من الطَّاعُونِ والبرِسام^(٥)
وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة^(٦) :

لِلْهَلَالِيِّ قَتِيلٌ أَبَدًا فِي كُلِّ عَامٍ
قَتَلَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ وَعَلِيٌّ بْنَ هِشَامٍ
وَعَجِيفًا آخَرَ الْقَوْمِ بِأَكْتَانِ الشَّامِ

- (١) الأَقم : الذي تقدست ثنائه العلية فلم تقع حل السفلى . وفي الأغانى : « الأَقم » ، وهو المروج للقم . ل : « صالح بن حل الأَقم » صوابه وابن عطية « كافي الأغانى » ، والشعر .
(٢) يريد بالأَمِينِ الخليفة المصمم ، كافي الأغانى (١٨ : ٦٤) وروايته :
قُلْ لِلإمامِ إِمَامِ آلِ مُحَمَّدٍ قول امرئ حُبِّ حليكَ محام
والصير من الخليفة بلفظ « أَمِين » سبق مثله في ص ٦٣ س ٤ .
(٣) فُتِرَ : فُتِرَ وتقال على غرة . ل : « فُتِر » . وفي الأغانى (١٨ : ٤٦) :
« أَنْكَرْتَ أَنْ تُفْتَرَ ! »
(٤) طوائِل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أى عداوة وبرة .
(٥) البرسام ، بالكسر : حلة يلقى فيها . قلت : هى بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من بر وهو المصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .
(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب من يده تل بالسيف الحسام^(١)
فَاعَادَ اللهُ مِنْهُ أَحَدًا خَيْرَ الْأَنَامِ

[يعني أحمد بن أبي دؤاد] .

وقال عيسى بن زئيب في الصخرى^(٢) ، وكان مشقوماً :
يا قوم مَنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ يَأْكُلُ مَا جَمَعَ مِنْ وَفَرٍ^(٣)
فَلَنْ عِنْدِي لِابْنِهِ حِيلَةٌ يَمُوتُ إِنْ أَصْبَحَ الصَّخْرَى^(٤)
كَأَنَّمَا فِي كَفِّهِ مِرْدٌ يَرُدُّ مَا طَالَ مِنَ الْعُمُرِ

١٥١

(شعر في مدح وهجاء)

وقال الأحمشي :

فَا إِنَّ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةً وَمَا إِنْ بَعِظَ لَهُ مِنْ وَهْنٍ^(٥)

وقال الكهيت :

وَلَمْ يَقُلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ كُرُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا^(٦)

وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِي فِي الْإِسْمَاعِقِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُحْلَرُ

(١) ل : « ويدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصخرى » .

(٣) لاوفر : المال الكثير . ط : س : « ما يجمع في الدهر » .

(٤) أصبه : جعل صاحباً له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصخرى » .

(٥) س : « ينظم » ، تحريف .

(٦) الرواد في أول البيت ساقطة من ط ، س ، ل : « به زلة » . ط :

« حسراً » س : « حسرتاً » وصوابه في ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابي^(١) :

رحل الرجاء إليك مقرباً
حُشِدَتْ عليه نوابهُ النَّهْرِ^(٢)
رَدَّتْ عليك ندامتي أَمْلى
وَوَثَّقِيْ لِيْكَ عِثَانَهُ شُكْرِيْ^(٣)
وجعلت عَتَبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ
ورجاء عَفْوِكَ مُنْتَهَى عَذْرِيْ
وقال أَعشى بكر^(٤) :

قَلَدْنَكَ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةً ذَا السَّلَافِ وَالشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُمِعَا^(٥)
وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا امْسُ
تَنْزَلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبِيلَا^(٦)
لو كنت ماءً عِدَاً جَمَعْتِ إِذَا
مَا وَرَدَ الْقَوْمَ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا^(٧)
أُنْجِبَ آبَاؤُهُ الْكَرَامُ بِهِ
إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ وَبِالْحَمْدِ
لِي وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا^(٨)

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتقبا » س : « مرتقبا » . حطبت : جمعت . ط ، س :
« حطبت » ، وليس بشيء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « وثقي إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ،
ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن صوف
ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن حل بن بكر بن وائل .
ينسب حيناً إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دى ساسى في
جعلهما شخصين في فهرس الأغاني .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفي الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو الفضال » ،
وفي المبدية (١ : ١٠) : « ذا فائش » . وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء اللد ، بكسر اللين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثر . س :
« جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروى : « بالوفاء وبالماء » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان ملعبه
محب أهل المدن . انظر أمال المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذاب^(١) الحِرْمَازِيُّ [لقومه ، أو لغيرهم^(٢)] :

لو كنتم شاةً لكنتم قَدْأ^(٣) لو كنتم ماءً لكنتم تَمَحَّدَا^(٤)
• لو كنتم قولاً لكنتم قَدْأ^(٥) •

وقال الأعشى في الثياب^(٦) :

فعل مثلها أزورُ بني قيدٍ سرٍ إذا شطَّ بالحبيبِ القيراقُ^(٧)
المهينين مالهَمَ في زمانِ السَّوءِ حتَّى إذا أفاقَ أفاقوا
وإذا ذو القُصُولِ ضنَّ على المولى وصارت لحيمةُ الأخلاقِ^(٨)
ومشَى القومُ بالعمادِ إلى الرِّزِّ حتَّى وأعيا المسمِ أبنُ المساقِ^(٩)
أغلجوا فضلتهم هناك وقد تَجَّ رى على عرقها الكرامُ العتاقُ^(١٠)

- (١) وكذا في الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب في الأئمة والأئمة (٢ : ٢٧٧) إلى العيين
المنقري . والكذاب هو عبد الله بن الأهور ، أحد بني الحرماز بن مالك بن تميم . ط :
« الكرار » س : « الكراز » وهو عل الصواب في ل . قالوا : سمي بذلك لكنه .
(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء في أول الرجز في كل من أشال الميداني (١ : ٢٦٠)
والأنداد ٣٥٦ :

• فقيم يابشر تميم محمداً •

- (٣) القند : جنس من الفم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .
(٤) التمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفي ط ، س وأشال
الميداني والأنداد وثمار القلوب : « زهدا » .
(٥) القند : الكلب . وفي الرجز زيادة في ثمار القلوب وأشال الميداني (١ :
٢٦٠ ، ٤١٣) .

- (٦) « في الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب في آخر بيت من
هذه المقطوعة .

(٧) شط به : يهد . س : « شك » تحريف .

(٨) الخيم ، بالكسر : السجدة والطبيعة . وفي النديون : « لحفا » أي لحفيقتها . ل : « بحقها » .

(٩) البعاد : الأغنية . والرزي : الترق الشبهات المزال . والمسم : الذي يرعى الإبل .

والأبن : الإجماع . والمساق : السوق .

(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وَإِذَا الْغَيْثُ صَوْبُهُ وَضَعَ الْقِنْدَحَ وَجُنَّ الْقِتْلَاعُ وَالْآفَاقُ^(١) ١٥٢
 لَمْ يَزِدْهُمْ سِفَاهَةً شَرِبَ الْخَمَ رَ وَلَا اللَّهُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ^(٢)
 وَاضِعًا فِي مِرَاةٍ نَجْرَانٍ رَحِيلٍ نَاعِمًا غَيْرَ أَنِّي مُشْتَاقٌ
 فِي مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ عَنْ نَوَاهِ وَمُتَّهَنٌ الْعِرَاقُ
 دَرَمَكَ غُدْوَةً لَنَا وَنَشِيلٌ وَصَبُوحٌ مَبَاكِرُ وَاغْتِيَابُ^(٣)
 وَنَدَايُ بِيضِ الْوُجُوهِ كَانَ الشَّرْبُ مِنْهُمْ مَصَاصِبُ الْفَنَاقُ^(٤)
 فِيهِمْ الْخِصْبُ وَالسَّامَةُ وَالنَّجْدُ دَعَا جَمْعًا وَالْخَاطِبُ الْمِسْلَاقُ^(٥)
 وَابْنُونَ لَا يُسَامُونَ ضَيْمًا وَمَكِيثُونَ وَالْخُلُومُ وَفَاقُ^(٦)
 وَتَرَى مَجْلِسًا يَنْعَسُ بِهِ اللَّهُ رَاكِبٌ بِالْقَوْمِ وَالنِّيَابُ رِقَاقُ

(١) القنح ، بالكسر ، هو قنح المهر . كانوا يتحرون ويهربون بالقنح ، فإذا
 أعصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن المهر إنما يكون في الجلب . شرح ديوان
 الأحمى ١٤٤ بيتا . جنت القلاع : كثير فيها القنح وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوى سقاة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب
 لا يجلب إليهم السقاة ، بل يحفظون منه بحميد عسالم :

وَإِذَا شَرِبْتَ فَاتَّقِ مَسْتَبِكَ مَلِكُ وَهَرَضِي وَأَنْفَرُ لَمْ يَكَلَمْ

(٣) الدرمك : لباب التيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غوة » هي في الأصل :
 « غدرة » ، وتصحبها من الدهوان . والنشيل : ما نشل من لحم القدر بجمته .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاصب : الفصول
 المكركة . والآفاق : جمع فتيق ، وهو بمعنى المصصب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الخزم » . والخاطب للسلاق : الخطيب البليغ . ويروى :
 « السلاق » بمعنى ، كما في اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهي
 لغة . يقال : مصلاق وصلاق لشيءاً .

(٦) المكيث : الرزين . والخلوم وفائق : أي مقولم بحكمة .

وقال أيضاً في الثَّيَّاب^(١) :

أزورُ زَيْدَ وعبدَ المسيح
وكعبةَ نَجْرَانَ حَمَّ عليه
إذا الحَبْرَاتُ تَلَوْتُ بِهِمْ
وفي الثَّيَّاب يقول الآخر :

أَسَيْلِمُ ذَا كَمَ لا خُفَا بِمَكَانِهِ
من النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا
جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمَسْكِ فَرَقَهُ
إذا النَّفَرُ السُّودُ الْيَانُونَ حَاوَلُوا
[وقال كثير :

يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ
سِجِّيُّ هَلَالٍ لَمْ تَفْتَقِ شِرَاقُهُ^(٢)]
وقال الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ
يَلَادُهُمْ بِأَرْضِ الْحَبْرَانِ

- (١) الأبيات منسوبة إلى أعضَى بنِ ثَقَلَبٍ في معجم الأدباء (١١ : ١٢٢) .
- (٢) يخاطب ناقته . تناسخ : تبرك . ط ، س : تحمل ، ولها وجه .
- (٣) خفا : مقصور غفاء . ط ، س : حقا ، وصوابه في ن والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٢٠٥) والكامل ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) رسائل الجاسط ٧٩ ساسي والبخلاء ٢١٣ . ترجى : من الرجاء وهو الأمل . ل : قدسى ، البيان و قدسى : الرسائل : و قداسي : ولعلها : تراسي .
- (٤) الرواية في المراجع المتقدمة : « من النفر الشم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .
- (٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : فوّهة . تحريف . والأنزع : الذي انحسر الشعر عن جانبيه جهته . ل : وهو أفرق أنزع .
- (٦) إيمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : أرقوا وأوسعوا ، وفي غزاة الأدب (٢ : ٢٣٠ بولاق) نقلا من البيان : أدقوا ، وفي البيان : أطلوا . وانظر ما كتب الجعدي من الشعر في الغزاة .
- (٧) السجى : جلد الحية تسليخه . والهلل : الحية . والشرانق : ما تسليخه . وانظر ما سبق في (٤ : ١٧٧) .

يريد أرض الخصب والأغصان اللينة^(١) .

وقال الشاعر^(٢) :

في كفه خبز زان ريمها عيق بكف أزوع في عرينه هم^(٣)
لأن الملك لا يختصر^(٤) إلا يعود لذن ناعم . وقال آخر :

تجاوبها أخرى على خبز زانة يكاد يذنها من الأرض لينها^(٥)
وقال آخر^(٦) :

نعم نبات الخيزراني في الترى حديثاً متى ما باتك الخبز ينفع^(٧)
وقال المسيب بن علس^(٨) :

قصار هم إلا في صديق كان وطابهم موسى الضباب^(٩)

(١) في اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصره بالأرياف والمواضر .
وقيل : أراد أنهم يمدونه كهدية بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصغر الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ١٣٣ .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ويجه عيق » . وانظر الاستراكات .

(٤) الاختصار : أخذ القصرة ، بالكسر ، وهي ما يتوكأ عليه الخليل ويشرب منه من عصا ونحوها . ل : « يختصر » وهي صحيفة أهنأ . جاء في الحديث : « فإذا أسلوا فاسألم قسبهم الثلاثة إلى إذا تخشعوا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشي البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشي الشاعر ، كما في غزاة الأدب (٤ : ٦٤) بولاق والمقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط ، والمقد : « نهم نبات ط . ل : « نهم نبات » تعريف ما أثبت من س والخزاة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٧) . والخيزراني : لغة في الخيزران ، وهو الطري الناعم من النباتات . حديثاً : أي نواتها حديثاً . يقول : لسم ذوق حسب قديم ، هجوم بذلك . والنجاشي صاحب الشعر قسطنطين بن أبي الحارث بن كعب المذحجي هجوم بهذا الشعر بنى مصمص بن معاوية المذناتين . وقيل البيت :

يا راكبا إما عرضت فيلقن بني عامر منى وأبناء صمص

« ينفع » هو في ط : « ينفعنا » . وهي رواية سيبويه استشهد بها عل إلحاق نون التوكيد الخفيفة ينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « قصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا في رعاية صديقهم وإكرامه . والوطاب : سقاء البين . والضباب : بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذي استخرج من جحره برق . ط ، ل : « موشى » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تأملت فؤادك إذ عرّضت لها حَسَنُ برأى العين ما تمحُّ^(١)

وقال ابن أبي ربيعة :

• حَسَنُ في كُلِّ عَيْنٍ من تودُّ^(٢) •

وقال عبد الله بن معاوية^(٣) :

وعَيْنُ الرُّضَا عن كُلِّ غَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْلِي الْمَسَاوِيَا

وقال رَوْحُ أَبُو هَمَامٍ^(٤) :

وعَيْنُ السُّخْطِ تَجِيرُ كُلَّ غَيْبٍ وَعَيْنُ أُنْجَى الرُّضَا عن ذَاكَ تَعْمَى^(٥)

(١) تأملت الفؤاد : أسبغته . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما في الديوان ٧٦ :

• فضاحكن وقد قلن لها •

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد في خلافة معاوية، ومعاوية

هو الذي سماه . وقد خرج عبد الله في أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان

وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخلعه أبو مسلم وحبه عنه ثم قتله . وكان شاعراً

جيداً ، أكثر البجته من الاختيار له في حاشته . والبيت الآتي من أبيات قلها في الحسين

ابن عبد الله بن عبد الله بن النعمان ، وكان الحسين وعبد الله يتمان بالزندقة ،

فقال الناس : إنما تصانبا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر

الأغاني (١١ : ٧٢) ومعار القلوب ٢٦١ وشرح البيون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى ، وكنيته أبو همام ، ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٤ ليبك

٢٣٤ مصر . وديوانه خسون ورقة . ط ، س : « بن همام » وهو حل

الصواب في ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل غيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خَبَرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمُ^(١)
سؤالَ امرئٍ لم يُخْفِلِ العلمَ صدره

وما السائلُ الواعي الأحاديثَ كالعمي^(٢)

وقيل لِدَخْلٍ^(٣) : أتى لك هذا العلم ؟ قال : لسانُ سئولٍ ،

وقلبُ عقول^(٤) .

وقال النابغة :

فَلَبَّ مُضْلَوُهُ بَعِينَ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزَمٌ وَنَائِلُ^(٥)

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ .
وصدره في الديوان : « ألا يا أخيروني » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل » ، تصحيف ما أثبت من ل والديوان . وفي الديوان :
« وما العالم الرومي » . والسؤال الذي حواه الفرزدق في بيت به
هذا . وهو :

ألا هل علمت ميتا قبل غالب فمرى مائة ضيفاً ولم يحكم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أي مائة ضيف .

(٣) هو دخل بن حنظلة النساب الذي سبق ذكره في ص ٢٠٩ . أدرك النبي ولم يسع
منه شيئاً ، ووجد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابها ، وكان منها هذا السؤال .
انظر أمثال الميقاتي (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . هل أن الجاحظ
في البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وحقق على ذلك
يقوله : « وقد روروا هذا الكلام عن دخل بن حنظلة البلاء . وعبد الله أولى به » .
قلت : ونسجه إلى دخل مذكورة في صيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سئول : كثير السؤال . عقول ، شدة الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أي بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان
ابن الحارث بن أبي شمر الساسي . غودر الحزم والنائل : أي دفن بهن النعمان
الحزم والسطاء .

مُضِلُّوهُ : دافنوه ، على حدِّ قوله تعالى ^(١) : ﴿ أَهَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾

وقال الخبيل :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَمِلَهَا وفارسها في الدهر قيسَ بنَ عاصم

وقال زهير - أو غيره - في سنانِ بنِ أبي حارثة :

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا مَا تَبْقَى غُطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ

ولذلك زعم [بعضُ النَّاسِ] أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ خَرِفَ

فَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يُوْجَدْ .

(من هام على وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثة نفرٍ هامُوا على وُجُوهِهِمْ فَلَمْ يُوْجَدُوا : طالب بن

أبي طالب ، وسنان بن أبي حارثة ^(٢) ، ومرداس بن أبي عامر .

وقال جرير :

وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا

١٥٤ . وقال امرؤ القيس :

وَهَلْ يَعْصِمُ إِلَّا خَلِيٌّ مَنْعَمٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ ^(٣)

وقال الأصمعي . هو كقولهم : « اسْتَرَّاحَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ! » .

وقال ابن أبي ربيعة ^(٤) :

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغاني (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل يصنم » . والأرجال : الخراف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرِيَّانُ مُلْتَفٍّ الْخُدَاتِ أَخْضَرُ
وَوَالِ كَفَاها كُلُّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ^(١)

باب

في مدح الصالحين والفقهاء

قال ابن الخياط^(٢) ، مدح مالك بن أنس :
يَأْتِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ تَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعَزَّ سُلْطَانُ التَّقَى فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانٍ^(٣)
وقال ابن الخياط^(٤) في بعضهم :

قَتَى لَمْ يَجَالَسْ مَالِكًا مِنْذُ أَنْ نَشَأَ وَلَمْ يَقْتَسِمْ مِنْ عِلْمِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ
وَقَالَ آخَرُ :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذَنْبٌ لَا حَرِيمَ لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى مَحْمَدِ بْنِ سِيرِينَ^(٥)
وقال الخليل بن أحمد وذكروا^(٥) عنده الحظ والجِدُّ ، فقال : أَمَّا الْجِدُّ

- (١) ط ، س : « البحر » ، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .
(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكي ، كان في زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س :
« أنس بن الخياط » . وفي السكامل ٤٠٩ ليسك : « ابن الخياط المدني » .
نقله مكي مدني . والبيهقي يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، في العقد (١ :
٢٦٨) وزهر الآداب في رواية . وانظر حيون الأغنياء (١ : ٢٩٤) .
(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفي محاسن البيهقي (٣ : ١٢١) :
« هذا التقى » . وانظر لبيت السابق الاستدراكات .
(٤) السمت : الطريق وهيئة أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على روح ابن سيرين »
فلم يستقم له . هذا ما رأى الكلابي في ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .
(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف صحيح .

فلا أقول فيه شيئا ، وأما الخطُّ فأخزى الله الخطُّ ؛ فإنه يبلد الطالب إذا
اتكل عليه ويبعد ^(١) المطلوب إليه من ملعة الطالب .

وقال ابن شبرمة ^(٢) :

لو شئت كنت ككركز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم
قد حال دون لذية العيش خوفهما وسارعا في طلاب العز والكرم ^(٣)
وقال آخر ^(٤) يرثي الأصمعي :

لا در در خطوب الدهر إذ فجعت ^(٥) بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من عليه خلفا
وقال الحسن بن هاني ، في مريئة خلف الأحر :

لو كان حى واثلا من التلث لوألت شقواء في أعلى الشعف ^(٦)
أم فريخ أحرزته في بكف ^(٧) مؤعب الألفاد لم يأكل بكف ^(٨)

(١) ط ، س : « ويهد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسن القاضي ، كان قاضيا لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة
وكان شامرا ، حسن الخلق ، جوادا ، ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي ، كان في وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠)
وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حى » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س :
« لوألت » وهي صيغة بمعنى الأولى . والشفواء : الثقاب ، سميت بذلك لتصفق
منقلبا . ط ، س : « شواء » ، صوابها في ل . والشفع : جمع شفة
بالضموك ، وهي رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لما فرغ حفظه في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألفاد : جمع لند ، وهو هنا ظاهر لحم الخلق . ط : « الأكفاد » ل ،
س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبتت موافقا لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماء في أعلى الشرف^(١)

تظلل في الطباق والنزع^(٢) الألف^(٣)

أودى جماع العلم مذ أودى خلف قليد^(٤) من العيالم الخسف^(٥)
وقال يرثيه في كلمة [له]^(٦) :

بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمنى إلا يفيض يكف^(٧)

أنسى الرزايا ميت فجمعت به أضحي رهينا للرب في جدف^(٨)

كان يسئ برفقه غلق السافهم في لا خرق ولا عنف^(٩)

يجوب عنك التي عشت لها حيران، حو يشغبك في لطف^(١٠)

(١) الصياء من الوعول : ما في ذراعها أو إحداها بياض وساؤها أسود أو أحر .
والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجرتين في جهال مكة . والنزع : نبت . س : هو النزع . ل :
والنطح . محرقان . والألف : اللطف . ل : « الألف » تحريف .

(٣) القليد : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « فلتدم »
صوابه في ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهي البئر الواسعة الكثيرة الماء
حتى أنه غزر العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) :
« العيالم » . والخسف : جمع خسيفة ، وهي البئر حفرت في حجارة ، فنبعت
بماء قزير لا ينقطع .

(٤) رثه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فمرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا مبيدة
فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرى يمثلها ! فقال : ست راشدأ وهل أن أرتيك
غير منها .

(٥) وكف السمع : قطر . ط ، س : « أن لا يفيض » ، صوابه في ل والديوان .

(٦) الجدف : الجدف ، وهو القبر . ل : « رهين للتراب » .

(٧) يسئ : يفتح . والتلق : ما يخلق به الباب . ط : « كما ينسئ برفقه خلق »
كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عني : لم يبصر . ل والديوان : « من
قبل » موضع « حيران » .

لَا يَهُمُّ الْحَاءُ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَنْحَا « وَلَا لَا مَهَا مَعَ الْكَلَفِ ^(١)
وَلَا مُضَلًّا سَبَلَ الْكَلَامِ وَلَا يَكُونُ إِسْنَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ ^(٢)
وَكَانَ ثَمَنٌ مَضَى لَنَا خَلْفًا فَلَيْسَ إِذْ مَاتَ عَنْهُ مِنْ خَلْفِهِ ^(٣)
وَقَالَ آخَرُ فِي ابْنِ شَبْرُمَةَ ^(٤) .

إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ ابْنَ الْمَكْرَمَةِ وَالْعَزَّ وَالْجُرْثُومَةَ الْمُقَدَّمَةَ ^(٥)
وَأَبْنَ فَارُوقَ الْأُمُورِ الْمُهَكَّمَةَ ^(٦) تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرُمَةَ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفة :

لِيَهْنِكَ بُغْضُ الصَّدِيقِ وَظِلَّةُ وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَافِيهِ ^(١)
[وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكَ ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يَكْرَهُ جَانِبُهُ]
وَأَنْتَ مَهْدَاءٌ أَنْحَا نَطَفَ النَّثَا شَدِيدَ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهُ ^(٢)

(١) كذا ، في ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبي نواس ٢٧ : « هم » من الوهم ،
وقول : « جمر » .

(٢) كانوا يقولون : « لَا تَأْخُلُوا الْعِلْمَ مِنْ صَحْنٍ » ط ، س : « عَلَى الصَّفْحِ »
ورواية الديوان وأخبار أبي نواس :

وَلَا يَمْسُ مَعِيَ الْكَلَامُ وَلَا يَكُونُ إِشْدَادُهُ عَنِ الصَّفْحِ

(٣) ط ، س : « وَكَانَ فِيمَا مَضَى لَنَا خَلْفٌ » ، وصوابه في الديوان والأخبار .

(٤) سبقَتْ تَرْجُمَةُ فِي التَّنْظِيرِ الثَّانِي مِنْ ص ٤٩٢ .

(٥) الْجُرْثُومَةُ : الْأَصْلُ .

(٦) الْفَارُوقُ : الَّذِي يَفْرُقُ وَيَفْصِلُ .

(٧) ل : « لِيَهْنِكَ بُغْضُ فِي الصَّدِيقِ » . وانظر القول في الشعر وشرحه ص

١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وَأَنْتَ مَهْدَاءٌ أَنْحَا نَطَفَ الْحَشَا » ، تحريف صوابه في ل .

وانظر ١٠٣ .

وقال النابغة الجعلى :

أتى لي البلاء وأتى امرؤ إذا ما تبيئت لم أرتب
وليس يريد أنه في حال تبيئه^(١) غير مُرتاب ، وإنما يعنى أن
بصيرته لا تتغير .

وقال ابن الجهم ، ذات يوم : أنا لا أشك^(٢) ! قال له المكي : وأنا
لا أكاد أوقن !

وقال طرفة :

وكرى إذا نادى المضاف محباً كسيد النفس في الطخية المتوردة^(٣)
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بيهكة تحت الحياء الممدد^(٤)
أرى قبر نعام بجبل بماله كقبر غوى في البطالة مفسد^(٥)
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفى لكالطول المرخى وثنياه باليد^(٥)
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غد

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما في ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضاعته الموم . والمحب : فرس محدودب الذراع قليلا . س :
« محباً » تحريف . والسيد : الذئب . والنفس : شجر . والطخية : الظلمة .
والمترود : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد النفسا نه » .

(٤) البهكة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « بيهكة » ، محرف . ل :
« الحياء الممد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرقاه . س : « لكالطول المرجى » تحريف .

وظم قَوِي القَرْبَى أَشدُّ مضاضة على المرء من وقع الحسامِ المهتد^(١)
وفى كثرة الأبدى عن الظلم زاجرٌ إذا خَطَرَتْ أَيْدَى الرِّجَالِ بِمَشْهَد^(٢)

باب

القول في الجملان والخنافس^(٣)

وسنقولُ في هذه^(٤) المحقرات من حشرات الأرض ، وفي المذكور من
بغاث الطَّيْرِ وخشاشه ، مِمَّا يَفْتَاتُ الْعَيْنَ وَيُوصَفُ بِاللُّؤْمِ^(٥) ، وَيَتَقَرَّرُ مِنْ
لِسَمِهِ^(٦) ، وَأَكْلِي لَحْمِهِ ، كَالْخَنَفَسَاءِ وَالْجُلَعَلِ ، وَالْمُذَاهِدِ^(٧) وَالرَّخَمِ ، فَإِنَّ هَذِهِ
الْأَجْنَاسَ أَطْلَبُ لِلْعَيْنَةِ مِنَ الْخَنَازِيرِ .

فَأَوَّلُ مَا نَذَكَّرُ مِنْ أَحَاجِيهَا صِدَاقُهُ مَا بَيْنَ الْخَنَافَسِ وَالْعَقَارِبِ ،
وَصِدَاقُهُ مَا بَيْنَ الْحَيَّاتِ وَالْوَزَغِ .

وَنَزَعُمْ^(٨) الْأَعْرَابُ أَنْ يَبِينَ ذِكُورَةُ الْخَنَافَسِ وَإِنَاثُ الْجَمْلَانِ تَسَافِدًا^(٩)
وَأَنَّهُمَا يَنْتَاجَانِ خَلْقًا يَنْزِعُ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا .

-
- (١) قيل إن هذا البيت لعلى بن زيد وليس لطرفة . التبريزي .
(٢) لم يروه التبريزي ولا القزويني . ووجدته في محاضرات الراغب (١ : ١٣٣)
وحاشية البحرى ١٥٤ منسوباً إلى على بن زيد العبدي . ط ، س :
« على الظلم » . خطرت : تحركت واضطرت . ط ، س : « حضرت »
وليس بشيء . والمشهد : مخضر الناس .
(٣) ل : « القول في المحقرات من حشرات الأرض » .
(٤) ط ، س : « باب » .
(٥) ط : « يفتات » و « يوصف » .
(٦) ط ، س : « يتقرر بلسمه » .
(٧) المذاهد بالفتح : جمع مذود . وبالفهم : لغة في المذود . ل : « المذود » .
(٨) ط ، س : « ونزعهم » .
(٩) ط ، س : « وذكرورة الجملان تسافد » ، وصوابه في ل .

وَأَنشُدْ خُشْنَامُ^(١) الْأَعُورَ [النَّحْوِيُّ] عَنْ سَبْيُوهِ النَّحْوِيِّ ، عَنْ بَعْضِ
الْأَعْرَابِ فِي هِجَائِهِ عَدُوًّا لَهُ كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ :
عَادِيْنَا يَا خُنْفَسَا كَامَ جَعَلُ^(٢) عِدَاوَةَ الْأَوْعَالِ حَيَاتِ الْجَبَلِ
مِنْ كُلِّ حَوْدٍ مُرْهَقِ النَّابِ عَثَلُ^(٣) يَخْرِقُ إِنْ مَسَّ وَإِنْ شَمَّ قَتَلَ^(٤)
وَيُثْبِتُ أَكَلَ الْأَوْعَالِ لِلْحَيَاتِ الشَّعْرُ الْمَشْهُورُ ، الَّذِي فِي أَيْدِي
أَصْحَابِنَا ، وَهُوَ :

عَلَّ زَيْدًا أَنْ يُلَاقِيَ مَرَّةً فِي الْخَمَاسِ بَعْضَ حَيَاتِ الْجَبَلِ^(٥)
غَايِرَ الْعَيْنِينَ مَقْطُوحَ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَاتِ حُجْرٍ وَالْقَلَلِ^(٦)
يَتَوَارَى فِي صُدُوعِ مَرَّةٍ رَيْدُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمَوْلِ^(٧)
وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشَمَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طِفْلِ^(٨)
طَرْدِ الْأَرْوَى فَاتَّهَرَّبَهُ وَكَفَى الْحَيَاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ

(١) ط ، س : « حَام » .

(٢) كَانَهَا : سَفَدَهَا . ط ، س : « أَمَ الْجَبَلِ » بِحَرْفِ .

(٣) لِلْعُودِ ، بِالْفَتْحِ ، أَسْلَهُ الْمَسْنُ مِنَ الْجِبَالِ . وَالْعَثَلُ : الشَّدِيدُ . وَغَى بِهِ الْحَيَّةَ .

(٤) مِثْلُهُ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ أَبِي خَصْفَةَ فِي الْحَيَّةِ — وَالْحَيَّةُ تَذَكَّرُ وَتَكُونُ تَضُولُ : هِيَ الْحَيَّةُ ،
وَهُوَ الْحَيَّةُ — :

أَسَمَ مَا شَمَّ مِنْ خَضَرَاءِ أَيْبَسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ عَاهُ فَانْصَدَحَا

وَانْظُرِ الْخَيَوَانَ (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يَحْرِقُ » بِالْهَاءِ .

(٥) ط ، س : « فِي الْقَتْلِ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٦) مَقْطُوحٌ : حَرِيصٌ . ط ، س : « مَقْطُوحٌ » بِتَحْرِيفِ . ل : « وَالْقَلَلِ » .

(٧) الرَّيْدُ : السَّرِيعُ . ل : « وَتَرَى » ط ، س : « وَبَلَى » ، وَالْوَجْهَ فَيَسَا
مَا أَثْبِتَ . وَالْقِدْحُ أَرَادَهُ السَّهْمَ . وَالْمَوْلُ : أَسْلَهُ الْمَوْلُ ، وَهُوَ الْخَدُّ .

(٨) ط : « وَتَرَى السَّهْمَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالْعَثَلُ : بِالتَّحْرِيفِ : الْغُرُوبُ .

. وإنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف
الوحش ، لأن الأروى من بينها تأكل الحيات ، للعداوة التي بينها ؛
وبين الحيات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأروى : إناث الأوعال ، واحدها أروية . والناسُ يُسمون بناجم
باسم الجماعة ، ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة منها : لا يسمون
بأروية ، ويسمون بأروى . وقال شماغ بن خمرار :
فا أروى وإن كرمت علينا بأذى من موقفة حرون^(١)

وأنشد^(٢) أبو زيد في جماعة الأورية :
فمالك من أروى ، تعاديت بالعمى ولا قيمت كلاباً مطلاً ورامياً^(٣)
يقال : تعادى للقوم وتفاقدوا : إذا مات بعضهم على إثر بعض .
وقالت في ذلك ضباعة بنت قرط^(٤) ، في مريئة زوجها هشام
ابن المغيرة :

(١) الموقفة : الأورية التي في قوائمها غلوط كأنها الخلاخيل . والوقوف : الخلخال .
والخرون : التي لا تبرح أصل الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب مثلاً من
هذه الأورية الصبية المثال .

(٢) ط : س : « وقال » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « تعاديت » تحريف يخالف السياق . واليئت في اللسان (عدا) . والكلاب :
الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أصل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على
إيذائه . س : « مطلاً » .

(٤) هي ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدهان في الجاهلية ،
ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، فخطبها
الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٢٧٠ قسم النساء .

إِنَّ أَبَا عَمَّانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنْ صَمْتًا عَنْ بُكَاءِهِ لِحُبِّهِ^(١)
تَفَاقَدُوا مِنْ مَعْشَرٍ مَا لَمْ أَيْ ذَنْوبٌ صَوَّبُوا إِلَى الْقَلْبِ^(٢)

(طلب الحيات البيض)

وأما قوله :

• وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَبَلِ •

فإن الحيات تطالبُ ببيض كل طائر وفرائخه . وبيض كل طائر مما
يبيض على الأرض أحب إليها . فما^(٣) أعرفُ لذلك حيلة إلا سهولة الطلب .
والأبائل تأكل الحيات ، والخنزيرُ تأكل الحيات وتعاذها .

(عداوة الحمار للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بين الحمار والغراب عداوة . وأنشدني بعضُ
التحويين^(٤) :

عَادِيَتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابِرِ عَدَاوَةِ الْحِمَارِ لِلْغُرَابِ

(١) ط : « حتى » ، وأثبت ما في ل ، س والمعدة (١ : ١٨٨) . والحبوب ،
بالضم : الإثم . وفي الكتاب : « إنه كان حوبا كبيرا » . ل :
« لحبوب » تحريف .

(٢) للذنوب ، بالنفع : الدلو العظيمة . والقلب : الجئر . إن أطلق الروي بالتحريك كان
في الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كلما في ل . وفي ط ، س : « وأنشدني » . وانظر ما سبق في ص ٤٥٨ .

وَأَشْدُ ابْنُ ابْنِ كَرِيمَةٍ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي صَرِيحِ الْغَوَائِي :
فَا رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضًا إِلَى الْحَيَاتِ وَمِنْكَ إِلَى الْغَوَائِي (١)

(أَمْثَالُ)

ويقال : « أَلَجٌ مِنَ الْخُنْفَاءِ » ، و « أَفْحَشُ مِنْ فَاسِيَةٍ » ، وهى الخنفساء
و « أَفْحَشُ مِنْ قَالَةِ الْأَقَامِيِّ » (٢) .

والخنفساء يُوصَفُ بِهِ ضَرِيانِ مِنَ الْخَلْقِ : الْخُنْفَسَاءُ ، وَالظُّرَبَانِ .

وَلِى لُجَاجِ الْخُنْفَسَاءِ يَقُولُ خَلْفُ الْأَحْمَرِ (٣) :

لَنَا صَاحِبٌ مُؤَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَاةِ قَلِيلُ الصَّوَابِ (٤)
أَلَجٌ لُجَاجًا مِنَ الْخُنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَامَشَى مِنْ غُرَابٍ (٥)

(طُولُ دِمَاءِ الْخُنْفَسَاءِ)

وَقَالَ الرَّقَاشِيُّ : ذَكَرْتُ صَبْرَ الْخُنْزِيرِ عَلَى نَفْوَذِ السِّهَامِ فِي جَنْبِهِ (٦) ،

فَقَالَ لِي أَعْرَابِيٌّ : الْخُنْفَسَاءُ أَصْبَرُ مِنْهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ صَيًّا مِنْ صَيِّانِكُمُ الْبَارِحَةِ

(١) ط ، س : « مَهْ إِلَى الْغَوَائِي » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ل . وَانْظُرْ ص ٤٥٩ .

(٢) قَالَةُ الْأَقَامِيِّ : ضَرْبٌ مِنَ الْخُنْفَسِ وَقَدْ تَأَلَّفَ الْحَيَاتُ وَالْقَارِبُ فِي جَمْعَةِ النَّسَبِ .

(٣) حَجَرُ الْحَبَشِيِّ ، كُنَا فِي السَّيْرِ . وَلِلْحَبَشِيِّ تَرْجَمَةٌ فِي (١٠٣٠ - ٥٤) . وَفِي مَعْجَمِ

الْأَدْبَاءِ (١٦ : ١٦١) أَنَّهُمَا فِي هِجَاءِ أَفَى الْبَيْتَاءِ . وَبِهِمَا هُنَاكَ بَيْتَانِ آخِرَانِ .

(٤) الْخَطَاةُ : الْخَطِيئَاتُ .

(٥) أَمَادُ إِشْلَاحِهِ فِي (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جَنْبِيهِ » .

وَأَخَذَ شَوْكَةً وَجَعَلَ فِي رَأْسِهَا فُتَيْلَةً ، ثُمَّ أَوْقَدَ فِيهَا نَارًا ^(١) ، ثُمَّ غَرَزَهَا فِي ظَهْرِ
الْخَنَافِءِ ، حَتَّى أَفْغَدَ ^(٢) الشَّوْكَةَ . فَغَبَرْنَا لَيْلَتَنَا ^(٣) وَلَيْلَتَنَا لَتَجُولُ فِي الدَّارِ
وَتَصْبِيحَ ^(٤) لَنَا . وَ [اللَّهُ] إِنِّي لِأُظْهِرَ كَانَتْ مُقَرَّبًا ^(٥) ، لَا تَنْتَافِخُ بِظَنِّهَا ١٥٨

(استطراد لنوى)

قال : وقال القناني ^(٦) : الخَوَاسِءُ : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

• بَكَرًا حَوَاسِءَ تَفَاسًا مُقَرَّبًا ^(٧) •

(١) ط ، س : • أَوْقَدَهَا نَارًا • .

(٢) س : • أَفْغَدَ • .

(٣) غير : مكث . ط ، س : • فَغَبَرْنَا • ، ووجهه من ل .

(٤) تصحيح : قضى • ، وانظر ماسبق في ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل إلى دنا ولادها .

(٦) القناني هذا هو أستاذ القراء ، كما في معجم البلدان (قنان) . وله ذكر في اللسان
(نيل ١٦٣) ، وهو يفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : • الخناني • وهو كلثوم
ابن عمرو العبدي المترجم في (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لطافته لما في
المخصص (٢ : ١٨) وللمقصود ٧٨ وللفريب المصنف ١٥٧ + ٢٤٤ في كل منها :
• وأنشد القناني • .

(٧) الخَوَاسِءُ ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تنفاساً ، أي تخرج ظهرها .
وروى : • تفاسى • أصلها تنفاسى ، كما في اللسان (هوس ، لى) وللمقصود
لاين ولاد ، أي تخرج منها . وروى : • تنبازى • أصلها تنبازى ، كما في المخصص ،
أي تخرج صبيرتها . ط : • تفاسا • س : • تفاسا • ، صوابهما في ل .

(أعاجيب الجمل)

قال : ومن أعاجيب الجمل ^(١) أنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الروث . ويضرب بشدة سواد لونه المثل . قال الرّاجز وهو يصف أسود سانخا ^(٢) :

مَهَرَتِ الْأَشْدَاقُ عَرُودَ قَدْ كَمَلَ ^(٣) كَأَنَّمَا قُصَّ مِنْ لِيْطٍ جُعِلَ ^(٤)
وَالْجُعْلُ يَظَلُّ دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، كَالْفُلِّ الَّذِي يَغْبُرُ
دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ هَلَكَةِ ^(٥) .

(الدعاميص)

والدعاميص ^(٦) قد تغبر حيناً بلا أجنحة ، ثم تصير فراشاً وبعضاً .
وليس كذلك الجراد والذباب ، لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومروء
من الأيام ^(٧) .

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجمل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسائح : الذي يطلع جلده ، وذلك يكون في كل عام .

(٣) مهرة الأشداق : واسمها . ط ، س : « مهرة الشقين » ، وهي رواية

البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قص : أليس قيساً . والليط : بالكسر : قشر الجمل . ط ، س : « قصص » ،
صوابه في ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهرأ » المتقدمة . والكلام من
« كائنل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعوص : خلق يكون في الماء ثم يستحيل بعضاً وبعضاً وفراشاً .

(٧) كلمة « من » باقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أنَّ البرغوث^(١) قد يستحيل بعوضة .

(عادة الجمل)

والجمل يحرسُ النيام ، فكلما قام منهم قائمٌ فضى لحاجته تبعه ، طمعاً في أنه إنما يريد الغائط . وأنشد بعضهم قول الشاعر^(٢) :

يبئتُ في مجلس الأرقامِ يرؤهم كأنه شرطى باتَ في حرَمٍ^(٣)
وأنشد بعضهم^(٤) لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، ويعظم حجم النجو :

نحى إذا أضحتى تدرى واكتحل^(٥)

لجارتيه ثم ولى فنثل^(٦)

• رزقَ الأنوقين القرنبي والجعل^(٧) •

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يرؤهم : يترجم ، أو يكون لهم رهبة أي عتبا . ط ، س : « في منزل » ، والله تعالى وما سبق في (١ : ٢٢٦) .

(٤) ط ، س : « وأشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلى » ، صوابه في ل ، س . وفي ط : « ثم إذا أمسى » . وسبق الرجز في (١ : ٢٢٥) .

(٦) نثل : أصله لفرس ، يقال نثل : راث . وفي الأصل : « نثل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « وروى » ، صوابه في ط ، س . وقد سبق في الجزء الأول : « وروى » وما هنا صوابه .

معى القَرْنبى والجمل - إذ كانا يقتاتان الزُّبيل - أُنُوقين ^(١) . والأُنُوق :

الرَّخمة ، وهى [أحد ما] يقتات ^(٢) المَلْمرة . وقال الأعشى :

يَا رَحْمًا ، قَاظٌ عَلَى يَنْخُوبٍ ^(٣) يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِئِ الْمُطِيبِ
المطيب : الذى يستطيب ^(٤) بالحجارة ، أى يَمَسُّح ^(٥) بها . وهم يسمون
بالأُنُوق كلُّ شئ يقتات النَّجو والزُّبيل ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرَّخْمِ
فِي هَذَا الْمَعْنَى [وحده] . وقال آخر :

يَا أَبِلْدَا النَّاجِىَ تَنْبَحَ الْقَبَلُ ^(٦) يَدْعُو عَلَى كُلِّمَا قَامَ يُصَلُّ
رَافِعَ كَفَّيْهِ كَمَا يَفْرِى الْجَعْلُ ^(٧) وَقَدْ مَلَأَتْ بَطْنُهُ حَتَّى أَتْلُ
غِيظًا فَأَمْسَى ضَعْفُهُ قَدْ اعْتَدَلَ .

وَالْقَبَلُ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَلِ . وَقَوْلُهُ أَتْلُ ، أى امْتَلَأَ [عَلَيْكَ] غِيظًا
فَقَصَّرَ فِي مِشِيئِهِ . وَقَالَ الْجَعْلَى :

مَنْعَ الْغَدَرِ ظَمِ أَمْنُهُ بِهِ وَأَخُو الْغَدَرِ إِذَا هَمَّ فَعَلْ ١٥٩
خَشِيَةُ اللَّهِ وَأَتَى رَجُلٌ إِنَّمَا ذَكَرَى كِتَارَ بَقْبَلٍ ^(٨)

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : وهى ما يقتات ط : وهى تقتات .

(٣) قَاظٌ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ سَيْفًا . وَيَنْخُوبٌ : مَوْضِعٌ ، ذَكَرَهُ بَاقُوتٌ ، وَأَنْشَدَهُ
الْبَيْتَ . وَالرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ : « مَطْلُوبٌ » كَأَنَّ الْإِنْسَانَ (طِيبٌ ، قَاظٌ) وَالْمَعْبُورِ
وَأَمْثَالُ الْيَدَائِقِ (٢ : ٢٥٠) ، وَهُوَ اسْمُ جِبَلٍ . ط : س : « مَنْخُوبٌ »
تَحْرِيفٌ مَائِقٍ ل .

(٤) ط : س : « يَطْطِيبُ » ، صَوَابُهُ ق ل .

(٥) ط : « يَطْطِيبُ » ، وَلِهَذَا صَحِيحَةٌ . س : « يَمَسُّحٌ » ، وَأَثْبَتَ مَائِقٍ ل .

(٦) الْقَبَلُ : الْجِبَلُ يُسْتَبَلَكُ . أَيْ كُنْ يَنْبَحُ الْجِبَلُ . ط : س : « الْمَانِعُ نَجْ »
صَوَابُهُ ق ل ، وَالْإِنْسَانُ (قَبْلُ) وَتَوَادَرُ أَيْ زَيْدٌ ٤٩ .

(٧) يَفْرِى ، بِالْفَاءِ : يَصْنَعُ . ط : س : « يَفْرِى » صَوَابُهُ ق ل وَالتَّوَادَرُ .

(٨) ل : « نَارُ بَقْبَلٍ » ، أَرَادَ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ .

وقال الرّاجز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، ويكثر الأكل ، وعظم^(١)
حجم النّجو - :

• باتَ يعشَى وَحَدَه أَلْنَى جَعَلَ^(٢) •

وقال عنبرة :

إِذَا لَا قَيْتَ جَمَعَ بَنَى أَبَانَ فَلَأْنَى لَا تُمَّ لِلْجَنْدِ لَا حَى
كسوتُ الجندَ جَعَدَ بَنَى أَبَانَ رِدَانِي بَعْدَ عُرْيٍ وَانْقِضَا ح^(٣)
ثم شَبَّهه بِالْجَعَلِ فَقَالَ :

كَأَنَّ مَوْشَرَ الْعَصْدَيْنِ جَحَلَا هَدُوجَا بَيْنَ أَقْلَبَةٍ مِلَاح^(٤)
تَضْمَنَ نَعْمَى فَعْدَا عَلَيْهَا بُكُورًا أَوْ تَهْجُرَ فِي الرُّوَا ح
وقال الشّماخ :

وَلِنْ يُلْقِبَا شَاوَا بَارْضِرَ هَوَى لَهُ مُفَرَّضُ أَطْرَافِ الدَّرَاعَيْنِ أَفْلُج^(٥)

(١) س : وبعظم •

(٢) قبله كما سبق في (١ : ٢٢٦) :

• إِذَا أَتَوْهُ بِطَافٍ وَأَكَلَ •

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف
قاتله . فن ذلك ما سعى السيف رداء ، وفي ذلك يقول مقيم :

لَقَدْ كَفَنَ الْمُهَالِ مَحْتٍ وَدَالَهُ قَتْلُ خَيْرِ سَيِّدَانِ الْمَشِيَّاتِ ، أُرُوحَا

والرواية في ديوان عنبرة : « سلاحي » . وكان عنبرة أمار الجند سلاحاً فأسسكه
الجند ولم يرده إليه : ط : « يمد عرياً وانقضا ح » . وصوابه في ل ، س
والديوان : ه . والمراد : يمد عري الجند وانقضا ح .

(٤) مؤشر : مرقق . والجعل بتقديم الجيم : العظيم من الجملان . ط ، س :
والديوان ، واللسان (أنش) : « جعلا » صوابه في ل واللسان (جعل ، قلب) والمقصص
(١٧ : ٣٥) . والمعلوج : الذي يمشى رويداً في ضحك . ط ، س : « عروجا »
صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قلب . ملاح :
جمع ملح : ذي ملوحة .

(٥) يلفيا : من الإلقاء . والتفسير عائد إلى غير وأتانه . انظر ديوان الشّماخ -

(استطراد لغوى)

والشأوا هاهنا : الروث ، كأنه كثر [ه] حتى ألحقه بالشأوا الذى يخرج من البئر ، كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنقى البئر : أخرج من تلك البئر شيئاً أو شيئاً ، يعنى من التراب الذى قد سقط فيها ، وهو شئ كهيمته الزبيل^(١) الصغير .

والشأوا : الطلق^(٢) . والشأوا : القوت^(٣) .

والمفترض الأفلج^(٤) الذى غنى ، هو الجعل ، لأن الجعل فى قوائمه تحزير ، وفيها تفريج^(٥) .

= (١٢ - ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفترض :

الحز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان والسان

(معرض) . والأفلج : البعيد ما بين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ،

وهو تحريف ما فى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أطلان ليل تعرج فقد هجن شوقاً ليه لم يهج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويها الجيم المكسورة .

(١) . كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزبيل » وهما صهيحان ، يقال زبيل ،

وزبيل كسكين ، وزبيل وزبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) . الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقاً أو طلقين .

(٣) . القوت ، بالفتح : السبق . قاء : سبقه . ط ، س : « القوت »

صوابه فى ل .

(٤) . ط ، س : « المعرض الأفلج » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الفرج من

هذه المصلحة .

(٥) . ط ، س : « وتريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة في الجعل)

والجعل جناحان لا يكادان يُرَبَّانِ إِلَّا غنْد الطَّيْرَانِ ؛ لشدَّة سوادهما ،
وشبَّههما بمجلده ، ولشدَّة ^(١) تمكُّنهما في ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخَوَنةَ ، وحثَّ الأميرَ ^(٢) على محاسبتهم :
واشدُّ يديكَ بِرَبِّدٍ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ

واشفَّ الأرامِلَ مِنْ دُحْرُوجَةِ الجُعْلِ
والجعل لا يدرج إلا جمرًا ^(٣) يابسًا ، أو بكرة .

وقال سعد بن طريف ^(٤) ، يهجو بلالَ بنَ رباحٍ مولى أبي بكرٍ ^(٥) :

وذاك أسودُ نوبٍ^٦ له ذَفَرٌ كَأَنَّهُ جُعْلٌ يَمْشِي بِقِرْوَاحٍ ^(٧)

وسند كر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إِنْ شاء
الله تعالى .

(١) ط ، س : « وشدَّة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجمر ، بالفصح : النجو . ط ، س : « بكرة » .

(٤) سعد بن طريف : صحابي ، ترجم له في الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ،

صوابه في ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشي ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيِّفه
المشرك ، ثم أعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة
عشرين . ط ، س : « بن بكر » ، صوابه في ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : غيبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر »

صوابه في ل . والقرواح ، بالكسر : القضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو المقارب)

وكان بالكوفة رجلاً من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجر الحضرمي^(١) يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك^(٢) ، ولم تكن الكنية لقباً ولا تَبَرُّاً ، وكان من ١٦٠ التَّحْقَاهُ : وله هيئة ورؤا. وسأله^(٣) : هل كان في آبائه من يكنى أبا الخنافس؟ فإنَّ أبا المقارب^(٤) في آل سلم مولى^(٥) بني العباس كثيرٌ على اتِّباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتفى به ابتداءً .

(طول ذمَّاء الخنفساء)

وقال لي [أبو] الفضل العنبري : يقولون : الضَّبُّ^(٦) أطول شيء ذمَّاء ، والخنفساء^(٧) أطولُ منه ذمَّاء ، وذلك أنَّه يُغْرَزُ في ظهرها شوكةٌ ثاقبةٌ^(٨) ، وفيها ذبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ^(٩) لأهل الدَّار ، وهي تدبُّ بها

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر في الإصابة في أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء — الحضرمي المتوفى في خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشيء سوى أنه روى هو وأخوه حلقة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راضٍ بكنيته » .

(٣) ل : « سألت » .

(٤) ل : « أبا المقارب » ، تحريف .

(٥) س : « مولى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنفساء » .

(٨) ل : « ناظلة » .

(٩) تصحیح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول اور بما كانت في تضاعيف حل قَت ، أو في بعض الحشيش والعُشب
والخُلا ، فتصيرُ في قم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضْمَم الخنفساء ^(١) ، فإذا
وصلت إلى جوفه وهى حيَّة جالت فيه ، فلا تموت حتَّى تقتله .
فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوراء ^(٢) والعُلوفاة ^(٣) ؛ خوفاً
من الخنفس .

(هجاء جواس الحسان بن مجدل)

وقال جَواس بن القَطَطل ^(٤) في حسان بن مجدل :

هل يهلكنى لا أبالكم دَنَسُ الثَّيابِ كطابيحِ التَّنَدِ ^(٥)
جَعَلُ تَمَطَّى في عَمَائِه زَمِيرُ المروءَةِ ناقصُ الشَّبَرِ ^(٦)
لِزَيَابَةِ سُدُوءِ حَنْظَلَةٍ والعاجِزِ التَّدْبِيرِ كَالوَبَرِ ^(٧)

-
- (١) ضلم يضم ، من باب منع : ضس .
(٢) الأوراء : جمع آرى ، وهو يحس البداية . ن : « الأوائ » تحريف . وفيها :
« يمتعون » مكان « يمتاورون » .
(٣) هو جواس بن القططل بن سويد بن الحارث الكلبي ، وله شعر في وقعة مرج
راحت سبق يحميه في ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتصل »
ن ، س : « المتصل » صوابه ما أثبت من المؤلفات ٧٤ والأغاني (١٧ : ١١٢)
والقاموس في مادى (جوس ، قطل) . وانظر اشتقاق الاسم في شرح التبريزي
للمائة (٤ : ٣٣) .
(٤) ط : « مجدل » س : « مجدل » وصوابه في ن . وكان حسان بن مجدل
أحد ولاية بني أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بجة مروان بن الحكم
سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب
مع مروان بن الحكم .
(٥) ن : « لا أبأ لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .
(٦) الساية ، بالفتح : الضلال والجهالة . ن : « هيايه » . زمر المروءة : ضميمها .
والشبر ، بالفتح : القد ، والسطاء .
(٧) الزباباة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما في اللسان والدميري . يقول : =

فأما الهجاء والمدح ، ومفاخرة السودان [و] الحميران ، فإن ذلك كله
مجموع (في كتاب الهجاء والمدح والصريح) .

و [قد] قدّمنا في صدر هذا الكتاب جملة في القول في الجملان وغير
ذلك من الأجناس الثيمة والمستندرة ، في باب التّن والطّيب ، فكرهنا
إعادته في هذا الموضع ^(١) .

باب

القول في المدهد

وأما القول في المدهد ، فإن العرب والأعراب كانوا يزعمون أن الفزعة
التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من برّه لأُمّه ! لأنّ أمّه لما
ماتت جعل قبرها على رأسه ، فهذه الفزعة عوض عن تلك الوهدة .
والمدهد طائرٌ من الرّيح والبدن ، من جوهره وذاته ؛ فربّ شيء
يكون مُنقّنا من نفسه ، من غير عرض يعرض له ^(٢) ، كالتيوس والحيات
وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأما الأعراب فيجعلون ذلك التّن شيئاً خامره بسبب ^(٣) تلك الجيفة

- أمه كأنها زبابة : دويّة حل قدر السور غيراء حسنة العينين شديدة الحياء .
وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أهبان بن سعيد بن العاص : « واصعبا
لوبر تدل علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر »
وصوابه من ل ، س .

(١) يهد هذا في ط ، س : « واقع سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه في ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التي كانت مدفونة في رأسه . وقد قال في ذلك أمية أو غيره^(١) من شعرائهم .
فأما أمية فهو الذي يقول :

- ٦١ تَعَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَصُنْعِهِ صَنِيعٌ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مَلْحَدُهُ^(٢)
وبكلُّ منكرة له مَعْرُوفَةٌ أُخْرَى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَدُّ^(٣)
جُدُّهُ وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عَلَامَةٌ وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ^(٤)
عَنْ أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عَيْنَهُ لَا يَسْتَقِيمُ لِلخَالِقِ بِتَزِيدٍ^(٥)
ضِيمٌ وَظُلْمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ أَزْمَانٌ كَفَنٌ وَاسْتِرَادَ الْهَلْدَمُدُ^(٦)
يَعْنِي الْقَرَارَ لِأَمْرِ لِيُجَنِّهَا فَبَقِيَ عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يُنْهَدُ^(٧)
مَهْدًا وَطَبْئًا فَاسْتَقْلَ بِحِمْلِهِ فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ^(٨)
مَنْ أَمْرٌ فَجَزَى بِصَالِحٍ حَمَلُهَا وَلَدًا ، وَكَلَفَ ظَهْرَهُ مَا تَفْقَدُ^(٩)
فَتَرَاهُ يَذْلُجُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ فِيهَا وَمَا اخْتَلَفَ الْجَلِيدُ الْمُسْنَدُ^(١٠)

- (١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .
(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل في البيت تحريفاً ، فإنه يخالف لما بعده في الوزن .
(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمده » .
(٤) ط ، س : « وتوشيم » . س : « لا تفقد » ، ل : « لا تفقد » صوابه من ط ، والديوان .
(٥) ل : « وحاد غيابة » . الديوان : « وجاب صانها » .
(٦) ط ، س : « وشم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهايه الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستراد » ل : « كفن واستراد » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استراد : أصل معناه الخروج لطلب الكلأ .
(٧) ط ، س : « يبق » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يحنها : يضمها في الجنب ، بالكسر ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاه » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .
(٨) يتأود : يتسلف وتلوى . يقول : هي خفيفة الحمل .
(٩) الديوان : « ضيرى لصالح حملها » . ط : « لا تمقه » : نهاية الأرب : « ما يمتد » .
(١٠) يذلج ، بالحاء : يمشي بحمله متقللاً . ط : « يفسح » أصله من شبح الخيل . ل ، س -

(معرفة المدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أن المدهد هو الذى كان يدك سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعر الأرضين ^(١) إذا أراد استنباط شئ منها .

(سؤال ومثل في المدهد)

ويروون أن نجمدة الحرورى أو نافع بن الأزرق قال ^(٢) لابن عباس :
إنك تقول إن المدهد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء ،
والمدهد لا يبصر الفخ دون التراب ، حتى إذا نقر التمرة ^(٣) انضم عليه

= س : ونهاية الأرب : « يدلع » ولا تصح ، صوابها من الهمزة . المست :
الامر . والجديد : الدائم الجلسة لا يبل أهدأ . وجاءت مثل هذه العبارة في
قول الملوك :

وقالت : لن ترى أهدأ قليدا يهملك آخر الدهر الجديد
ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يبلان أهدأ . ط : « الجديد المنقش »
صوابه في جميع المصادر المتقدمة .

- (١) ط ، س : « الماء » . ل : « قعر الأرضين » ، وما في ل تحريف .
(٢) ط ، س : « نافع بن الأزرق قال » . ونجدة هو ابن عامر الحرورى الحنفى ،
كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج بالجماعة سنة ٦٩
في جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شابا . ولد سنة ٣٦ وتوفي سنة
٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفى ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه
وقفهم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التي اشتهرت مع المهلب بن أبي صفرة في
حروب قاسية . قتل يوم دولا بعل مقرية من الأهواز سنة ٦٥ .
(٣) في ثمار القلوب ٣٨٩ : « نقر الحية » .

الفتح ! فقال ^(١) ابن عباس : « إذا جاء القدرُ عَمَى ^(٢) البَصَرُ » .
 ومن أمثالهم : « إذا جاء الحينُ غَطَى العين ^(٣) » .
 وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فلَمَّا عَمَى هُندُ سُلَيْمَانَ عليه السلام بعينه ؛
 فَإِنَّ القولَ فيه خلافاً للقولِ في سائر الهداهد .
 وسأنى حلى ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى ^(٤) .
 وقد قال الناس في هُندِ سُلَيْمَانَ ، وغرابِ نوح ، وجمارِ عَزِيز ، وذئبِ
 أهبان بن أوس ^(٥) ، وغير ذلك من هذا الفن ، أقاويل ^(٦) ، وسنقول في ذلك
 بجملةٍ من القول في موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعمَ في كتاب الحيوان ، أن لكل طائرٍ
 يعيش شكلاً يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر ^(٧) اختلاف المواضع

- (١) ط ، س : « فقال لها » .
- (٢) كذا في ط ، س وثمار القلوب : ل : « عَمَى » .
- (٣) الحين ، بالفتح : الملاك . ط : « إذا جاء » صوابه في ل ، س .
- (٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ - ٨٠) .
- (٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا :
 كان في غم له ، فبدأ الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقضى الذئب وقال له :
 أنتزع مني رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر في ثمار القلوب ٣٠٩ . مات
 أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان وليا عليها لمعاوية . وذكر
 ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري ، أن مكلم الذئب صحابي آخر اسمه أهبان
 ابن الأكوع . الإصابة ٣٠٥ .
- (٦) ل : « بأقاويل » .
- (٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الملهد
من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نَقَلَ منه ، كما تنقل الأرضة من
التراب ، ويبني منه بيتاً ، كما تبنى الأرضة ، ويضع جزءاً على جزء^(١) ،
فلذا طال مُكْنَه في ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أوفى مثله^(٢) ، وترقى
ريشه وبلده^(٣) بتلك الرائحة ، فأخلق به^(٤) أيضاً أن يورث ابنه^(٥) الثنن
١٦٢ الذى عَلِقَه ، كما أورث جدّه أباه ، وكما أورثه^(٦) أبوه . قال : ولذلك
يكون مثقلاً .

وهذا وجه أن كان معلوماً أنه لا يتخذ عشه إلا من الزبل .
فإنما ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكون طيب الرائحة ،
كفارة المسك التى ربما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكون مُنِنَ
البدن^(٧) ، كالذى يحكى عن الحيات والأفاعى والثعابين^(٨) ، ويوجد
عليه الثيوس .

(١) كذا فى ل . وفى س : « غرماً على غره » ط : « غره على غره » .

(٢) ط : س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط : س : « ترقى وبلده ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط : س : « وأخلق » ، والوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ، صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) ما يكون « سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات . فقط .

(اغتيال)

وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية اغتيالوس^(١) ، يحكم عشه ويضعه ، ويجعله مستديراً ممدداً كأنه كُرّة معمولة^(٢) . وروى^(٣) أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه ، فيقرش به عشه ، ولا يعيش إلا في أعلى الشجر^(٤) المرتفعة المواضع . قال : وربما عمد الناس إلى مهام يشدون عليها^(٥) رصاصاً ، ثم يرمون بها أعشها ، فيسقط عليهم الدارصيني^(٦) ، فيلتقطونه^(٧) ، يأخذونه .

(من زعم البحرين في الطير)

ويزعم البحرّيون أن طائرَيْن يكونان ببلاد السفالة^(٨) ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكنَ البحر من نفسه ، لخروجهم في متاجرهم^(٩) فيقول للطائر : قرب آمداً^(١٠) ، فيعلمون بذلك أن الوقت قد دنا ، وأن الإمكان قد قرب .

(١) ط ، س : اغتيالوس .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) ط ، س : ورووا « وصوابه في ل .

(٤) ل : الشجرة .

(٥) ط ، س : فيشدون بها .

(٦) ل : فيلتقطونه .

(٧) السفالة ، بالقم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س :

والسفالة : ل : السفالة . والصواب ما أثبت .

(٨) ط ، س : و متاجرهم « صوابه في ل .

(٩) قرب : بالفارسية ، هي كلنظها للعربي وبمعناها العربي . وآمد بالفارسية : يفتح الميم

بمعنى الوصول والقدوم . ل : أرت آمداً . وانظر مثيل هذا في كامل ابن الأثير (٩ :

١٧) في حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويحيى به طائر آخر ، وشكل آخر ، فيقول : سمارو^(١) . وذلك في وقت رجوع من قد غابَ منهم ، فيسمون هذين الجنسين من الطير : قرب^(٢) ، وسمارو ، كأنهم سمّوها بقولها ، وتقطع أصواتها ، كما سمّت العربُ ضرباً من الطير القطا ؛ لأن القطا كذلك تصيح^(٣) ، وتقطع أصواتها^(٤) قطعاً ، وكما سمّوا الببغاء بتقطع الصوت الذي ظهر منه^(٥) .

فيزعم أهل البحر أنّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً^(٦) إلّا في إناث ، وأن الآخر لا يطير أبداً إلّا في ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدق خبره ، أنّ الشفنين إذا هلكت أنثاه^(٧) لم يتزوج وإن طال عليه الحزب . وإن هاج سفد^(٨) ولم يطلب الزّواج .

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : « سموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والبيغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أنّ أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفه » تحريف ما في ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرَيْن ، أحدهما وافى الجناحين وهو لم يطير قط ،
والآخر وافى الجناحين ، ولكنه من لدنَّ نبض الطَّيرانِ فلا يزالُ يطيرُ ويقتات
[من ^(١)] القراش وأشباه القراش ، وأنه لا يسقط إلا ميتاً . إلَّا أنَّهم ذكروا
أنَّه قصير العمر .

(كلام في قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني ^(٢) ، وإن
كنت لا أعرف الوجهَ في أنَّ طائراً ينهض من وكره في الجبال ^(٣) ، أو بفارس
أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمد نحو بلاد الدارصيني ^(٤) ، وهو لم يجاوز موضعه ولا
قربَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأوبد [أو من
القواطع ^(٥)] . وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصَّحَّبانَّ الأملس ^(٦)

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدارصيني » ، وكلية « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : اسم للإقليم الذي يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوین ومغان والهندو
وقرميسين والري . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندي يكون يتخوم الصين ينضغ بقشره ذي الرائحة الطرية . ولما
معرّب من « دارجيني » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصَّحَّبانَّ : البرية الواسعة .

١٦٣ ويطون الأوديت^(١) ، وأهضام الجبال^(٢) بالتدويم في الأجواء ، وبالمضي على السمّت ، لطلب مالم يرّه ولم يشمّه ولم ينقّه . وأخرى فإنّه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه^(٣) ، ما يصير فِرْشاً له ومهاداً ، إلّا باختلاف الطويل^(٤) . و [بعد فإنّه] ليس بالوطىء الوثير^(٥) ، ولا هو له بطعام .
فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلةَ [بعينها] فلست أنكر الأمورَ من هذه الجهة . فاذا كرّر هذا^(٦) .

(قول أبي الشيص في المدهد)

وقال أبو الشيص في المدهد^(٧) :

لا تأمننْ على سِرِّي وسِرِّكُمْ
غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْطَى الْقَرَّاطِيسِ^(٨)
أَوْ طَائِرٍ سَاحِلِيٍّ وَأَنْعَتِهِ
ما زال صاحبَ تنقيرٍ وتلميسِ^(٩)

-
- (١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . في الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح .
والسلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .
(٢) ل : « ويده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .
(٣) ل : « باختلاف طويل » .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٥) ط ، ص : « فأنكر هذا » صوابه في ل .
(٦) الأبيات في نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والديري وحيون الأخبار (١ : ٤١) والختار من شعر بشار ١٥٧ .
(٧) أي وغير طى القراطيس .
(٨) في الأصل وحيون الأخبار : « أو طائر » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتي . وأثبت ما في نهاية الأرب والديري . ساحليه ، بالحاء : سأنته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والديري ونهاية الأرب : « ساجليه » . والتلميس : الدس والإدخال ، يدخل منقاره في الأرض بحثاً عن قوته . في الأصل : « تلميس » ، وصوابه في النهاية . وفي الديري : « تدريس » !

سودٍ برائنه ، ميلٍ ذوائبه صُفر حاليقه ، في الحسنِ مغموس^(١)
 قد كانَ همَّ سليانٍ ليلدبجه لولا سعيته في ملك بلقيس^(٢)
 وقد قدّمنا في هذا الكتاب في تضاعيفه^(٣) ، عدّة مقطّعات في أخبار
 المهدد^(٤) .

باب

القول في الرخم

[و] يقال : إن لثامَ الطير ثلاثة : الغريبان ، والبوم ، والرّخم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّه قيل للرّخمة : ما أحقّك ! قالت : وما حُنتي ، وأنا أقطّع
 في أوّل القواطع ، وأزجّع في أوّل الرّواجيع ، ولا أطيّر في التّحسير^(٥) ،

(١) برائته : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حاليقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) في ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدّمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق في (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطيّر إلا في التّخوير » ، وسوايه في ط والجزء السابع ١٩ وأمثال
 المبدائي . والتّحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشكير^(١) ، ولا أسقط على الجفير^(٢) .

وقد ذكرنا تفسير هذا^(٣) . وقال الكهيت :

إذ قبل يا رَحَمَ انطقي في الطير ، إنك شرُّ طائر^(٤)

(بعض ملوك المعجم والجَلَنْدَى الأزدى)

وقال أبو الحسن المدائني : أمر بعض ملوك المعجم الجَلَنْدَى بن عبد العزيز الأزدى ، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة^(٥) ، فقال له : صيد لي شرَّ الطير ، واشهره بشرَّ الخطب ، وأطعمه شرَّ الناس . فصاد رخة وشواها يَبْعَر ، وقرَّبها إلى خوزي^(٦) . فقال له الخوزي^(٧) : أخطأت

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لا ينهما الشكير فطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالشكير » س : « بالشكير » صوابه في الجزء السابع ونهاية الأدب (١٠ : ٣٠٨) وأمثال الميداني (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جمية المهام . ط : « الحفير » صوابه في ل ، والجزء السابع وأمثال الميداني . وهي لا تمسقط على الجمية لعلها أن فيها سهاما .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ - ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انطق يا وغم فإنك من طير الله » ، يضرب لرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحبت فصاحت الرخة ، فقليل لما يجرأ بها : إنك من طير الله فانطق ! انظر المدبرى .

(٥) ل : « عجدة » . وفي الإصابة ١٢٩٢ : « عيه جل » . والجَلَنْدَى بنتم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهي بلاد بين فارس والبصرة وواسط وبيال الور المجاورة لأصمجان ، كما في معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوزي ألقاب الناس وأسقطهم نفسا » . ط ، س : « خوزي » ل : « حوزي » وصوابه ما أثبت ...

(٧) ط ، س : « الخوزي » ، ل : « الحوزي » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

في كل شيء أمرك به الملك : ليس الرّخّة شرّ الطير ، وليس البعرة شرّ الحطّاب ، وليس الخوزي شرّ الناس . ولكن اذهب فصيد بومة ^(١) ، واشوها بدفلي ^(٢) ، وأطعمها نبطياً ولد زنى . ففعل ، وآتى الملك فأخبره ، فقال : ليس يُحتاج إلى ولد زنى ! يكفيه أن يكون نبطياً ^(٣) !

(الغراب والرخّة)

والغراب يقوى على الرّخّة ، والرّخّة أعظم من الغراب وأشدّ . والرّخّة تلتصق ليبضها المواضع البعيدة ، والأماكن الوحشية ، والجبال الشائعة ، وصُدوع الصّخر . فلذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال .

(ما قيل في بيض الأنوق)

وقال عتبة بن شماس ^(١) :

إِنَّ أَوَّلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَوَّلَى بَأَنْ يَكُونَ حَقِيقاً ^(٢) ١٦٤

(١) ط ، ص : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الغل - كل كرى : نبت مرّ قال .

(٣) جاءت هذه القصة على التوضيح الآتي في معجم البلدان : « روى أن كمرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لي بشر طام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مألحة على حمار مع خوزي » .

(٤) كذا في س والكمال ٣٩٩ ليسك والمقد (٣ : ٣٩٣) . وفي ل : « عينة بن أسماء » وكتب بعدها بخط صغير « أخرى : عتبة بن شماس » . ط : « عتبة بن شماس » .

(٥) وكذا في سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية السكامل والمقد : « ثم أخرى » .

مَنْ أَبَوْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقُ^(١) رَدُّ أَمْوَالِنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَفُوتُ الْأَنْوَقَ^(٢) وَطَلَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْفَرِيضَةَ مِنْ مَعَاوِيَةَ فَجَادَ لَهُ بِهَا^(٣) ، فَسَأَلَ^(٤) لَوْلِيَهُ ، فَأَبَى ، فَسَأَلَ لِعَشِيرَتِهِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ^(٥)
وَلَيْسَ يَكُونُ الْعَقُوقُ إِلَّا مِنَ الْإِنَاثِ ، فَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْبُلُقِ كَانَتْ
بِلِقَاءِ . وَ[إِنَّمَا^(٦) هَذَا كَقَوْلِهِمْ : « زَلٌّ فِي سَلَى جِلٍّ^(٧) » ، وَالْجَمْلُ لَا يَكُونُ
لَهُ سَلَى^(٨) .

-
- (١) يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة ويهون نسبة في كتاب البداهة ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .
- (٢) يدحس : « رد أموالنا إلينا » . وفي ل ، س : « تفوق الأنوق » . ويروي : « يفوت » التأنيث للذكر ، والتذكير للشاهق .
- (٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى في الإصابة ١٠٩٨ .
- (٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما في ل .
- (٥) ط ، والكامل والشرطي (٢ : ٢٠٤) : « لم يهله » . وقد وضع البيت في ط وضيف النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التسجيل فيه إلى فضليه والعقوق : من صفات إناثها ، وهي الخامل التي امتلأ بطنها . والأنوق : هي للرخة . وانظروا ما سبق من الكلام على الأنوق في (١ : ٢٣٥) .
- (٦) من ل ، س .
- (٧) البس : ما تلقى الناقة إذا وضعت : وهي جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمذ يضرِب في بلبوخ الشفة منتهى غايته ، أي وقع في شر لا مثيل له . زل : زلق ولفظ المثل في الميداني واللسان : « وقع القوم في سل جمل » . ويقال : « و في سل جمل » . وفي القاموس : « وقعوا في سل جمل » .
- (٨) كتبت هذه الكلمة في الأصل في الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون ببيض الأنوق ، ولكن ذلك قليلاً^(١) ما يكون ، وأقل من القليل ؛ لأن يبيضها في المواضع الممتعة ، وليست فيها منافع فيعرض في طلبها^(٢) للمكروه .

وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنه قدم في اللفظ ببيض الأنوق ، فقال : « طلب ببيض الأنوق ، فلما لم يجده طلب الأبلق المقوق » .

(ما يسمى بالهدهد)

وأما قول ابن أحر :

يمشى بأوظفة شديدة أسرهما ثم السنايك لا تبقى بالجدجد^(٣)
إذ صبحته طاوياً ذا شرة وفؤاده زجل كعزف الهدهد^(٤)

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه قل .

(٣) ط ، س ، والسان (وق) : « تمشى » صوابه قل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . ثم : عاليات . والسنايك : طرف الحافر وجانبه من قدام . ويقال : وق الحافر يق وقياً ، من باب رمى : حق ورق من خلط الأرض . وقيل : لائق بالجدجد : لا تتوقاه ولا تهييه . والجدجد ، يفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « ثم السنايك » صوابه قل ، س ، والسان (وق) . وروى : « ثم » كافي السان (جد) . ط : « لا يق » س : « لا يق » ، صوابه قل والسان في موضعه .

(٤) ط : « قد أحمرته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما قل . وقى السان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمت » . زجل : له صوت . ط : « زجل » عرق . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعزف » ل : « كعزف » عرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) والسان (هدد) .

فقد يكون ألا يكون غنى بهذا المدهد^(١) ، لأن ذكرورة الحمام وكل
شيء غنى^(٢) من الطير وهذر ودعا ، فهو هدهد. ومن روى « كثرَفِ المدهد »
فليس من هذا في شيء^(٣) .

وقد قال الشاعر في عبقة الحمام :

وَإِذَا اسْتَشَرْنَ أَرْنَ فِيهَا هَدَهُدُ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضِبَتْهُ بِجَسَادِ^(٤)

(قصة في ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجلٌ دميمٌ^(٥) فزوّجت
الدميم^(٦) لئالاه ، وتركته ، فقال^(٧) :

(١) كذا على الصواب في ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا المدهد » ،
س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا المدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه في ل .

(٣) الكلام من « بدل » ومن روى « ساقط من ل . والبيارة في أصلها : « ومن
أراد كمره » . . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة في اللسان
(هذ) . قال في تفسيرها : « والمدهد قيل في تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له »
وفي القاموس عند الكلام على المدهد : « ويفتحين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) « اشتارت : ليست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به العليب . ط ،
س : « المداك » صوابه في ل . . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جمعه
كالمداك في ملابسه وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « دميم » صوابه في ل ، س .

(٦) ط : « الدميم » صوابه في ل ، س .

(٧) الشعر منسوب في حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبطلها . والبيتان
في الكامل ٢٧٢ ليساك .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُونَنِي بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا
يَدِبُ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقْأً سَهْلًا^(١)

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة ، كالخنازير ، والنساج
والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ^(٢) الجمل والرحمة .

(بمض ما يأكل الأعراب من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كزكرة^(٣) ،
وعنده أعرابي^٤ ، فجرى ذكر القرنبي . قال : فقلت له : أتعرف القرنبي ؟

(١) القرنبي : دوية على هيئة الخنفس متقطعة الظهر ، وفي قوائمها طول على الخنفس . وهو
مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرأ : يسير متنبهاً . ط ، س ، والديري :
« يملو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه في ط ، س .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت
في معجم الأديباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطي في بغية الوعاة
قال : كان يعلم في البادية ، وورق في الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب
قال أبو الطيب اللغوي : كان ابن منذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغات ،
وأبو صبيدة في نصفها ، وأبو زيد في ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عني
توسمهم في الرواية والغثيا ؛ لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات .
وقد جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٤ : ٧٣) . ط ، س ، « عمر
ابن كزكرة » ، صوابه في ل والقاموس والمراجع المنظمة .

قال : وما لي لا أعرف القرنبي ؟ ! فوالله لربما لم يكن غداً^(١) إلا القرنبي .
يُحَسَّسُ^(٢) لي . قال : فقلت [له] : إنها دويبة تأكل العذرة . قال :
ودجاجكم تأكل^(٣) العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيين لبعض الأعراب : [أ] تأكلون الحياتِ
والعقاربَ والجِملانَ والخنافسَ^(٤) ؟ فقال : نأكل كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا أُمَّ حُبَيْنَ .
[قال] : فقال المدني : « لتَهْنِ أُمَّ الحُبَيْنِ العافية »^(٥) .

قال : وحدثنا ابن جريج^(٦) ، عن ابن شهاب^(٧) ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« مِنَ الدُّوَابِّ أَرْبَعٌ لَا يَقْتُلُنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالْمُهْدَدُ » .

القول في الخفاش

فأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْخَفَاشَ طَائِرٌ ، وَهُوَ مَعَ أَنَّهُ طَائِرٌ مِنْ عَرَضِ الطَّيْرِ
فَلِإِنَّهُ شَدِيدُ الطَّيَرَانِ ، كَثِيرُ التَّكْفِي فِي الْمَوَاءِ ، سَرِيعُ التَّقَلُّبِ فِيهِ ، وَلَا

(١) الغداء ، بالفج : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غداً » وأثبت ما في س .

(٢) يحسس : يوضع على الجذر . ط : « يَحْسُشُ » بحرف يحشش إلى هو بمعنى :
« يحسس » . س : « تَحْسُشُ فِي فَيْ » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كلما على الوجه في ل . وفي ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حيين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
القرشي ، قالوا : أول من صنف الكتب في الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ .
في قول الجناح نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن حيد الله بن حيد الله بن شهاب الزهري ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طعمه إلا من البعوض ، وقوته إلا من الفَراش^(١) [وأشباه
الفَراش] ، ثم لا يصيده إلا في وقت طيرانه في الهواء ، وفي وقت سلطانه ؛
لأنَّ البعوضَ إنما يتسلط بالليل . ولا^(٢) يجوز أن يبلغ ذلك إلا بسرعة
اختطاف واختلاس ، وشدة طيران ، ولين أعطاف وشدة متن ، وحسن
تأثت ، ورفق في الصيد^(٣) . وهو مع ذلك كله^(٤) ليس بذى ريش ، [و] إنما
هو لحم وجلد . فطيرانه بلا ريش عجب ، وكلما كان أشدَّ كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة . وهو طائر ضعيف
قوى البصر ، قليل شعاع العين الفاصيل^(٥) من الناظر . ولذلك لا يظهر
في الظلمة ؛ لأنها تكون غامرة لضياء بصره ، غالباً ل مقدار [قوى] شعاع
ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأنَّ بصره ليضعف ناظره يلتمع في شدة بياض
النهار^(٦) . ولأنَّ الشيء المتلاشي ضارٌ لعيون^(٧) الموصوفين بحدة البصر ،

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفَراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأتى » ل : « التأتى » ، ووجه

ما أثبت . ل : « [لا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين

الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأتى والرفق في الصيد » .

(٤) ل : « وهو في ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع في شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « عيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفادياً من تكرار الجاء .

ولأنَّ شعاعَ الشمسِ بمخالفة^(١) مخرجِ أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشعاعِ
ناظره ، ومفرقاً^(٢) له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج
إلى السكِّب والطَّعم ، اتَّمسَّسَ الوقتَ الذي لا يكون فيه من الظلام ما يكون
غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضياء ما يكون مُعْشِياً^(٣) رادعاً ، ومفرقاً
قايماً^(٤) . فالتَّمسَّسَ ذلك في وقت غروب القُمرِ ، وبقيَّةِ الشَّفَقِ ؛ لأنَّه
وقت^(٥) هَيْجِ البعوضِ وأشباهِ البعوض ، وارتفاعها^(٦) في الهواء ، ووقت
انتشارها في طلبِ أرزاقها^(٧) . فالْبِعُوضُ يخرج للطَّعم ، وطعمُه دماءُ الحيوان ؛
وتُخْرِجُ الخُفَافِيشُ^(٨) لطلبِ الطَّعم ، فيقَعُ طالبُ رزقٍ على طالبِ رزقٍ ،
فيصيرُ ذلك هو رزقه^(٩) . وهذا أيضاً ممَّا جعل اللهُ في الخُفَافِيشِ^(١٠)
من الأعاجيب .

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومفرقاً » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، عرفت . ط : « ما يكون مُعْشِياً » ، صوابه
ق ل ، س .

(٤) ط : « ومفرقاً » ، صوابه ق ل ، س . و « قائماً » هي في ط ، س ؛
« مانعاً » ، والأقرب ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه في وقت » ، صوابه ق ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخُفَافِيشُ » ، صوابه ق ل .

(٩) ل : « رزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخُفَافِيشُ » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السك^(١) الآذان والمسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦
 أنها تبيضُ بيضاً ، وأنَّ كلَّ أشرف [الآذان] فهو يلد ولا يبيض .
 ولا تدرى لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرف الآذان^(٢) [ولَد] ، وإذا
 كان ممسوحاً يابض .
 ولآذان الخفافيش حَجْمُ ظاهر ، وشخوص^(٣) بَيِّن . و [هى و] إنَّ
 كانت من الطير فإنَّ هذا لها ، وهى^(٤) تحبل وتلد ، وتحبض ، وترضع .

(ما يحبض من الحيوان)

والناس يتقرِّزون^(٥) من الأرناب والضباع ، لمكانِ الحبض .
 وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ذواتِ الأربع كلها تحبضُ ، على اختلافٍ
 فى القلَّة والكثرة^(٦) .

(١) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولمصقت برأحه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه ق ل ، س .

(٥) ط : « يتقرِّزون » . والتقرُّر : أن يرى الشيء قدراً ، يقال تقرُّره لا تقدره منه .

فالصواب « يتقرِّزون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرَّقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنُّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنها تحمله تحت جناحها ، وربما قبضت عليه بنفسها ، وربما أرضعته وهي تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدها على ما لا يقوى عليه الحمام والشَّاهمُرك^(١) ، وسباع الطير .

(معارف في الخفافيش)

وقال معمرُ أبو الأشعث : ربما أنامت الخفافيش^(٢) فتحمل معها الولدين جميعاً ، فإنَّ عظمًا عاقبتَ بينهما .
والخفَّاش من الطير ، وليس له متقار مخروط^(٣) ، وله فمٌ فيما بين مناسر السَّباع^(٤) وأفواه اليوم . وفيه أسنانٌ حديد صلاب [مرصوفة^(٥)] من أطراف الحنك ، إلى أصول الفك ، إلا ما كان في نفس الخطم^(٦) .
وإذا قبضت على الفرخ وعصت عليه لتطير به ، عرفت ذَرَب^(٧) أسنانها ، فعرفت أى نوع ينبغي أن يكون ذلك العض ، فتجعله أَرْمًا ،

(١) الشاهمرك سبق تفسيره في ص ٣٣٦ .

(٢) أنامت : ولدت اثنين في بطن واحد . ط ، س : « أرتمأت » ، صوابه في ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) في الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) اللرب : الحقة . ط ، س : « درب » ، صوابه في ل .

ولا تجعله عضاً ولا تنبيهاً ولا ضغماً^(١) ، كما تفعل المرأة بولدها ، فلأنها مع
ذَرْبِ أنيابها ، وحدة أطفارها ودقَّتِها^(٢) ، لا تخدش^(٣) لها جلداً ؛ إلا أنها
تُمسِكُها ضرباً من الإمساك ، وتأزم عليها^(٤) ضرباً من الأزم قد عرفتته .
ولكل شيء حدٌ به يصلح ، وبمجاوزته والتقصيرِ دونه يفسد .

وقد نرى الطائر يفوصُ في الماء نهاره ، ثم يخرج منه كالشجرة
سَلَّتْها من العجين ، غيرَ مبتلِّ الریش ، ولا لثقي الجناحين . ولو أن أرفق
الناس رفقاً ، رهنَ على أن يغمس طائراً منها في الماء غمساً واحدةً ثم
خَلَّى سربه^(٥) ليكون هو الخارج منه ، فخرج وهو متعجنٌ^(٦) الریش ، مُفسدٌ
النظم^(٧) ، منقوصٌ^(٨) التأليف . ولكان أجود ما يكون طيراً أن يكون
كالجادف^(٩) . فهذا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

(١) الأزم : القبض بجميع اللحم . والتنبيب : القبض بالثياب . والضغيم : الضغ الشديد .
ط ، س : « ولا تشبَّ ضغطاً » س : « ولا تشبَّ ضغطاً » ، ووجهه
ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه في ط ، س . ط ، س : « ورقها »
صوابه في ل .

(٣) ط : « نلش » ، صوابه في ل ، س .

(٤) عليها : أي على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . في المصباح : « والولد
يفتحن كل ما ولده شيء » . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمنثى والمجموع .
ط ، س : « عليه » ، صوابه في ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ،
صوابه في ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حل سرتها » س : « خل سرتها » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س : « متعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه في ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجادف : الذي يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س :
« كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الثياب^(١) ، وأقلاّب النخل ،
وأعلى الأغصان ، ودَغَلَ^(٢) [الغياض و] الرياض ، وصُدَّوع^(٣) الصخر ،
وجزائر البحر ، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت^(٤) إلى
بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصنّه ، وإلى أبعد المواضع من
مواضع الاجتياز^(٥) ، وأعراض الحوائج .

(طول عمر الخفاش)

ثمَّ الخَفَّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز
١٦٧ في ذلك^(١) العُقَابَ والوَرَشَانَ إلى النسر ، ويجوز^(٢) حد القيلة والأسد وحمير
الوحش ، إلى أعمار الحيات .

(١) ط : س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه
ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، وجهه بما ترى . والبسيط : المنبسط التسيح . ط :
« وتبسط » صوابه ق ل ، س .
(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودغل » ، وهى صحيحة بضبط
الأول ومثاتها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه ق ل ، س .

(٥) ط : س : « أاختيار » ، صوابه ق ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجاوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش ^(١) أن أبصارها تصلح على طول العمر ، ولها صبر ^(٢) على [طول] فقد الطعم . فيقال ^(٣) إن اللوائى يظهرن فى القمر ^(٤) من الخفافيش المسنآت المعمرات ، وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهن على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنها تضحك وتبسم وتقبل الشم ^(٥) على الكبر وعلى السن .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحب المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت فى السن كان أقوى لها على الماظلة .

وهذا غريب جدا ، وقد علمنا أن الغلام أحد ما يكون وأشبهُ وأنكح وأحرص ، عند أول بلوغه . ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة ^(٦) .

ولا تزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة ^(٧) شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامتن ^(٨) . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفافيش » .

(٢) ط ، س : « وصبر » .

(٣) ط : « فنقول » س : « فنقول » ، صوابه فى ل .

(٤) ل : « القمر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يقطعه الكبر » ، والإصفاء : نفاذ الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحفة » صوابه فى ل .

(٨) ل : « عامتن » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حَدَّ النَّصْفِ^(١) فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشهوةِ والحرصِ على الباءِ ، فأثما تهيج الكهلة عند سُكونِ هيج الكهل^(٢) وعند إدبارِ شهوته ، وكلالِ حَدِّه .

(قول النساء وأشباههنَّ في الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش ، فإنهم يزعمون أنَّ الخفافش إذا عضَّ الصبيَّ لم ينزعَ مِنْهُ من لحمه حتى يسمعَ نقيقَ حمارٍ وحشٍ^(٣) . فما أنسى فزعى من سِنِّ^(٤) الخفَّاش ، ووَحشَى من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبه خرافات ، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذوات الأربع ما يكون فاقد^(٥) البصر بالليل ، ومنها ما يكون سبَّيَّ البصر . فأثما [قولهم] : إِنَّ الفأرة والسنَّورَ وأشياءَ أُخرَ أبصرُ بالليل ، فهذا باطل^(٦) .

-
- (١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشاة والكهلة ، ويقدر عمرها بخميس وأربعين سنة .
 - (٢) الكهلة ، هي في ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هي في ط : « تهيج » .
 - (٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .
 - (٤) ل : « من سن » ، وأثبت ما في ط ، س .
 - (٥) كذا على الصواب في س . وفي ط : « نقد » وفي ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .
 - (٦) ليس يتناقض هذا القول ما سبق في ٢٣٧ من ١٣ .

والإنسان ردىء البصر بالليل ، والذي لا يبصر منهم ^(١) بالليل تسميهُ الفرس
شَبْ كُور ^(٢) وتأويلُهُ أَنَّهُ أَعْمَى لَيْلٍ ^(٣) ، وَلَيْسَ لَهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ اسم
أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهُ يُقَالُ لِمَنْ لَا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ [بَعِينُهُ] : هُدَيْدٌ ^(٤) . ما سمعتُ
إلا بهذا ، فأما الأغطش ^(٥) فَإِنَّهُ السَّيُّ البصر بالليل والنهار جميعاً .
وإذا كانت المرأة مُقَرَّبَةً الْعَيْنِ ^(٦) فكانت رديئة البصر ، قيل لها : جَهْرَاءُ .
وأنشد الأصمعيُّ في الشاء ^(٧) :

جَهْرَاءُ لَا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِنِي ^(٨)

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين ، اولهما « شب » بفتح الشين ومعناه الليل .
والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ،
والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » معرفتان صوابها في ل
وقد زيد في ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت
كذلك متصلة « شكوراً » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكما في القاموس المحيط
والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها المشاء .
وفي اللسان : « المفضل : الهديد : الشبكرة . وهو المشاء يكون في العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هدید » صوابه في ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهديد »
وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك حمد إلى سنانم فقطع منه قطعة ، ومن الكبدة قطعة
وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، حمد أن يسمح بفتحته الأمل بسبابته :

فيا سنانما وكبيد ألا اذهب بالهديد

ليس شفاء الهديد إلا السنام والكبيد

ويزعمون أنه يذهب المشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأغمش » ، صوابه في ل ، ط .

(٦) معرفة ، بفتح الراء : ييضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه في ل .
و « العين » هي في ط : « العنق » بحرقة .

(٧) ط ، س : « في غير النساء » وأثبت ما في ل . والبيت الآتي قاله أبو العيال
الحلل ، يصف مترجة منحه إياها بدر بن عمار الحللي . انظر بقية أشعار المهذلين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هي » ساقطة من ط ، س . « بصراً » هي في ط ، س :
« نظراً » .

وذكروا أَنَّ الجهر الذى لا يبصر فى الشمس^(١) . وقوله لا تألواى
لا نستطيع . وقوله أظهرت : صارت فى الظهيرة . والعيلة : الفقر . قال :
يعنى به شاة^(٢) .

وقال يحيى بن منصور ، فى هجاء بعض [آل] الصَّيِّق :
يا ليتنى ، والمنى ليستْ بِمَغْنِيَةٍ ، كيف اقتصاصك من ثأرِ الأحابيش^(٣)
١٦٨ أنتكحون مواليهم كما فعلوا أمْ تَغْمِضُونَ كلِّ غامضٍ الخفافيش^(٤)
وقال أبو الشَّعْمَق ، وهو مروان بن محمد^(٥) :

أنا بالأهواز عَزَوُ نٌ وبالبصرة دَارِي^(٦)
فى بِنَى سَعْدٍ وسعدٍ حَيْثُ أَهْلِي وَقَرَارِي
صرتُ كَالْخَفَاشِ لَا أَبْصِرُ فى ضوءِ النَّهَارِ^(٧)
وقال الأَخْطَلُ التَّغْلَبِيُّ :

وَقَدْ غَبَرَ الْعَجْلَانِ حِيناً إِذَا بَكَى عَلَى الزَّادِ أَلْفَتَهُ الْوَلِيدَةُ فى الْكَمْرِ^(٨)

(١) ل : « أن الجهر الذى لا تبصر فى الشمس » .

(٢) ط ، س : « نساء » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « من نار » ، صوابه فى ل . والأحابيش : طائفة من قريش ، هم
بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمية .

(٤) ل : « تغمضون كلِّ غامض » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) نقلت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) . ل : « وقال مروان بن محمد هذا أبو الشعثق
الفت البارد » .

(٦) ل : « مخزون » .

(٧) كذا حل الصواب فى ل . ط : « إلا فى النهار » ، س : « إلا فى نهاري » .

(٨) ألفتة : أى الزاد . والكمر ، بالكسر : جانب البيت ، وق شرح الديوان ١٢٩ :
« الماء فى ألفتة عائدة إلى العجلان » ، ولعل وجه التفسير ما ذكرت .

فيصبح كالحفّاش يدلك عينه فقُبِّحَ من وجه لثيم ومن حَجَرٍ^(١)
وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الحفّاش^(٢) ، والجمع سحاً^(٣) كما ترى .

(لفز في الحفّاش)

وقالوا في اللفز ، وهم يعنون الحفّاش :
أَبَى شَعْرَاءُ النَّاسِ لَا يُخْبِرُونَنِي وَقَدْ ذَهَبُوا فِي الشَّعْرِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ^(٤)
بِجِلْدَةِ إِنْسَانٍ وَصُورَةِ طَائِرٍ وَأُظْفَارٍ يَرْبُوعٍ وَأَنْيَابٍ ثَعْلَبٍ^(٥)

(النعي عن قتل الضفادع والحفّاش)

هشامُ الدِّسْتَوَائِي^(٦) قال : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَقْتُلُوا الضَّفَادِعَ فَإِنَّ نَفْسَهُنَّ تَسْبِيحٌ . وَلَا تَقْتُلُوا
الْحَفَّاشَ فَإِنَّهُ إِذَا خَرَبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ : يَا رَبِّ سَلِّطْنِي عَلَى الْبَحْرِ حَتَّى أَغْرَقَهُمْ » .

(١) الحبر بالفتح ، قال ابن الأعرابي : « أراد حبر العين » . وحبر العين : مدار
بها من العظم . ط : « من وجهه » محرقة . ل : « لعين » بدل « لثم »
وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حبر) .

(٢) ط ، س : « اسم الحفّاش » صوابه في ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .
(٣) سحاً ، بفتح السين ، ويقال سحاه بكسرهما مع المد . اللسان ، والمقصود والمعلود .
(٤) ط ، س : « أبا » ل : « أبا » ، صوابه في نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .
وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروني » ، صوابه
في ل . وفي نهاية الأرب : « أن يخبروني » وما هنا أجود . وفيها أيضاً :
« وقد ذهبوا في العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب
كذئب الجروذ يرفعه صعوداً ، في طرفه شبه النوراة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائي البصري البكري .
وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبه إلى بيع =

حماد بن سلمة^(١) قال : حدثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخفّاش ، فإنّه استأذن في البحر^(٢) : أن يأخذ من مائه فيطغىء نار بيت المقدس حيثُ حرق . ولا تقتلوا الضفادع فإنّ نقيتها تسبيح » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشي^(٣) قال : سمعت الحسن يقول : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوطواط ، وأمر بقتل الأوزاغ » .

قال : والخفّاش يأبى الرّمانة وهى على شجرتها ، فينقب عنها^(٤) ، فيأكل كلّ شئ فيها حتى^(٥) لا يدع إلّا القشر وحده . وهم يحفظون الرّمان من الخفافيش بكلّ حيلة .

« الثياب الدستوائية ، التى كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة ، وهى من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . ط : « صاحب الدستوائى » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال : الدستوائى ، وصاحب الدستوائى ، كما فى تذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ١٥٥) . وأما الكلمة الثانية فهى تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجب والمعارف ٢٢٣ والتلخيص وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر فى (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواية الحديث . ويقال : إنه كان عالماً بالأنحو والعربية ، وإن سبويه استمل عليه . توفى سنة ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه فى ل وتقريب التلخيص والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن سلمة » . وفى العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعيد القرشى » ، صوابه فى ل ، س وتقريب التلخيص .

(٤) ل : « فينقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريل ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقة للشواهين والمُصْقورة والبوازي^(١) ،
ولكثير من جوارح الطير ، وهى تسمن عنها ، وتصحّ أبدانها عليها .
ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمُ النفع ، بينُ الأثر . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

تمّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله^(٢)] فى الذرّة

(١) ط ، س : « قال والبوازي » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .

تذييل واستدراك

- | | | |
|--|------|-----|
| | صفحة | سطر |
| « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ » . هو مثل عربي قديم . وهو بِنَامِه : « كُسِيرٌ وَعَوِيرٌ وكلٌّ غيرٌ خيرٍ » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثم طَلَّقَهَا فتزوجت آخرَ ظهر أنه أعرج . فتأملت المثل المذكور . يُضْرَبُ في الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا في أمثال الميداني ، ولكن المناسب هنا ما قاله العسكريُّ في جمهرة الأمثال ١٦٥ : « يُضْرَبُ مثلاً في الخُلُقَيْنِ المسكروهتين ، والرجُلَيْنِ الرَّدِيَّتَيْنِ » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميداني . وصاحب معجم البلدان رواه : « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ وثالثٌ ليس فيه خيرٌ » ، ورأى أنَّ كُسِيراً وعَوِيراً جبلان في البحر ، بين البصرة وعُصمان يشفقون على المراكبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوِير » | ٢٠ | ٤ |
| معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباض الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس »
انظر المراجع التي أشرنا إليها في التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) | ٩١ | ٤ |
| « يَجُوح » هي كذلك في ط، س . وفي ل : « يَجُوحِي » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوحاء » بالفتح والمد : موضع بالبادية في ديار بني عجل كان يسلكه حاجٌ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء . | ١٠١ | ٢ |

والثاني جَوْحَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد . انظر معجم البلدان

١٧٠ ١ سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى عن « أبى رياتوس » فكتب إلى : « هو على الحقيقة : (أبيريونيوس) أى منسوب إلى : Hyperion المسمى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » . وما « عاليوس » إلا « على » أو « عال » كسكت بعلامة الإعراب فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع . فالدجاج « أبى ريونوس » أو « أبيريونوس » هو ما يسميه اليوم العراقيون بالدجاج المَرَّائى بمعنى المَرَّوى ؛ لأن ديكها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .

١٨٧ ٩ « الطبرزين » قال العلامة الأب أنستاس : ليس فى العربية طائر باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها بالبدال ، أى « دُبُرَادِرَان » أو « دُبَرَادِرَان » ومعناها الأخوان ؛ لأن « دو » بلفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادِر » الأخ ، و « ان » للجمع أو للتثنية ؛ إذ لا فرق عند الفرس بين المثنى والجمع . والحام لا يخاف الذبرادران ولا الكركى ، كما هو مقرر فى علم الطير . و اسم الدبرادران العربى هو الزَّمَج ، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان ؛ لأنه إذا عجز عن صيده أعانته أخوه على أخذه ، واسمه

بلسان الغربيين من الإنجليز : Goshawk وبالفرنسية : Autour .

٣٧٠ ٤،٣ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم المحوس ، فكتب إلى فى ٢٧/٨/٣٩ ما نصه : « وعندى أن هذا المحوسى استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعمية للأبصار ، وغشاوة للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبّرت أحسن تدبّر هذه الأوضاع التى نفسها صدره ، أو سمعها سمعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التفريق والتقوية ، لشفّت لك عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى ألبسته .

ونحن نؤيد لك صدق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العربى والغربى وشرح معانيها ، فنقول :

١ - أبو سألَس : hyposalos أى تحت البحر ، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ - أبرمّا كِس : hyhermakéc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ - أبريدُس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيب غاية الطيب .

٤ - كَارِس : kherès أى السبيء المقنوت .
 ٥ - حَرِيرَة آمِنِس : aréra amenès أى المناسب الخوار .
 وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أَسِرِس asyrès أى النجس .
 ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالماً سابعاً ليقابل
 بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة
 أو الأفلاك السبعة ، وسمّوه : أبُوجايُوس : hypogaios
 أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٢٧/٨/٣٩ .

- ٣٧٤ ٩ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألباس :
- « وشبه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ .
- وكلمة « الألباس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير
- الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب
- الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى
- هو الألباس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .
- ٤١٤ ٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها .
- ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور :
- « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢ .
- ولا موجب للقول بأنها « ميسر » .

٤٥٢ ٤ « فقلت لبِقَار » كلمة « بقار » ذات مغزى خاص في التشاؤم وتجد في نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلي بقرا فليرجع » ، يريد أن البقر مما يتشائم به ، وهذا النص نقله النويري عن الجاحظ . انظر باب الزجر في نهاية الأرب (٣ : ١٣٤-١٤٣) .

٤٥٨ ٢ الأترج : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما يفرس غرسا ولا يكون برياً ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ، وهو صنفان : تفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ، فيه يقول أبو القاسم الزاهي :
وذات جسم من الكافور في ذهب

دارت عليه حواشيه بمقدار
كانها وهي قُداىي ممثلة في رأس دوحها تاج من النار
ويقول آخر :

يا حبذا أترجة تحليت للنفس الطرب
كانها كافورة لها غشاء من ذهب
ويسمى أيضاً « تفاح ماهي » وتفتح مائى . واسمه العلمى :
Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى في حلبة
الكيمت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :
خاف التلون إذ أنه لأنها لوان باطنها خلاف الظاهر
٣٥ - الحيران - ٣

ويشبه هذين البيتين ما قيل في التطير من السفرجل (حلبة
الكيت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيراً منه فظلّ نهاره متحيراً
خاف الفراق لأن شطرمجائه سقرّ وحقّ له بأن يتطيراً

٤٧٤ ١١ « حتى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية في ط، ش، ل، وكذا
العمدة (٢: ٢٠) والوساطة ٤٤. والأجود من هذه الرواية رواية
الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١: ١٩٠) والعمدة (٢: ٢٢٠)
ونقد النثر ص ٩٠: « حتى إذا طعنوا ». قال الشنترقي في تأويل
البيت: « يقول: إذا ارتقى الناس في الحرب بالنبل دخل هو
تحت الرى فجعل يطاعنهم، فإذا طاعنوا ضارب بالسيف، فإذا
تضاربوا بالسيف اعتنق قرنه والتزمه ».

٤٧٩ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد التاء المثلثة، كان لك فيها أوجه
ثلاثة: أولها البيان، وهو الأصل. وثانيها تحويلها مع التاء
إلى تاء مشناة مدغمة. وثالثها تحويلها إلى ثاء مثلثة مدغمة.
وتقول في الافتعال من « ثار»: اثار، واثار، واثار.
وفي مفتعل من « ثرد»: مثرّد، ومثرّد، ومترّد. انظر شرح
المفصل لابن يعيش (١٠: ١٨٤ ص ٢٦-٣٠).

٤٨٧ ٣ « خيزران ربحها عبق » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق
من خمسة دواوين للعرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١: ٢٩٤).

وأنت الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة
« ربحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذ . وقد أسهب
البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ -
١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ،
واستدراك طيّب لهذا الشذوذ الصرى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن
الأصبهاني فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف :
« استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده
جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب
المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا :
كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها
فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥ ،
١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ ، عبد السلام محمد خير

أبواب الكتاب

صفحة

- ٥ باب ذكر الحمام
- ٥٩ ١ في صدق الظن وجودة الفراسة
- ٩١ ٢ من المديح بالجمال وغيره
- ١٠٥ ٣ آخر في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً
- ١٢٢ ٤ من القطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام
- ١٣٩ ٥ ذكر خصال الحرّم
- ١٤٤ ٦ ذكر الحمام
- ٢٢٧ ٧ ومن كرم الحمام
- ٢٤٤ ٨ ليس في الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح
- ٢٥٣ ٩ الحمام طائر لثيم
- ٢٩٨ ١٠ القول في أجناس الدّبان
- ٣٨٠ ١١ رَجْعُ القول إلى ذكر الدّبان
- ٤٠٩ ١٢ القول في الفريان
- ٤٨١ ١٣ فيمن يُهَجَى وَيُذَكَّرُ بالشَّوْمِ
- ٤٩١ ١٤ في مديح الصّالحين والنّسقاء
- ٤٩٦ ١٥ القول في الجعلان والخنافس
- ٥١٠ ١٦ القول في المدهد
- ٥١٩ ١٧ القول في الرّخم
- ٥٢٦ ١٨ القول في الخنافس

بمقتضى وبتاريخ
جاءت له بمحمد

مكتبة (الجامعة)
أبي عثمان غنيمة بن محمد الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الكتاب

قال هذا الكتاب الجائزة الأول النشر
والتحقيق المسمى في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع القوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠

المجلة الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة وطباعة مصطفى الباني المحلى وأولاده بمصر
عيسى ومحمد محمود الباني وشركاهم غفرلهم

كتاب الحَيَوَانِ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق كاسر

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

تقديم :

كل تسكلة موضوعة بين معقنين في هذا
الجزء خاصة ، متركبة بدون تعليق
وتنبيه ، فهي من النسخة الشتيطية
الرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

٧ نبدأ في هذا الجزء ، بعون الله وتأييده ، بالقول في جملة الذرة والتملة ، كما شرطنا به آخر المصحف^(١) الثالث . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٢) .

(خصائص التملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب ، والدفع عن الحرم . ولكنا إذا أردنا موضع العجب والتعجب ، والتنبيه على التدبير ، ذكرنا الحسيس القليل ، والسخييف المهين ؛ فأريناك ما عنده من الحس الطيف والتقدير الغريب ؛ ومن النظر في العواقب ، ومشاكل الإنسان ومزاحمته .

والإنسان هو الذي سُخر له هذا الفلك بما يشتمل عليه . وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف ، وتتقدم في حال المهلة ، ولا تضييع أوقات إمكان الحزم . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقدها وحسن خبرها ، والنظر في عواقب أمرها ، أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها لشتاء

(١) س ، هـ : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاهل في تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقدم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، هـ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أن تعفن وتُسوس^(١) ، ويقبلها بطن الأرض ؛ فتخزجها إلى ظهرها ؛ لتيسبها وتعيد إليها جفوفها^(٢) ، وليضر بها النسيم وينقى عنها اللعَن والفساد .

ثم ربما كان - بل يكون^(٣) أكثر مكانها ندباً . و [إن^(٤)] خافت أن تثبت نقرت موضع القطمير^(٥) من وسط الحبة ، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبدئ وتثبت وتقلب ، فهي تفلق الحب كله أنصافاً . فأمّا إذا كان الحب من حب الكزبرة^(٦) ، فلقته أرباعاً ؛ لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب . فهي على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان ، حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس .

ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها ، في الشم والاسترواح^(٧) ما ليس لشيء .

٣ وربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد ، فتسقط^(٨) من يده الواحدة أو صدر الواحدة ، وليس يرى بقريه ذرة ولا له بالذرة عهد

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسع ، وسيس كقيل ،

وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ليسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما في س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف وإلها في كل منها - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأباذير معروف .

(٧) الاسترواح : التشم .

(٨) س : « تسقط » .

في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرةً قاصدةً إلى تلك الجرادة ،
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرحها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعةً ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملنها .

فأول ذلك صدقُ الشَّمِّ لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثمَّ بعدُ الهَمَّةُ ،
والجرأةُ على محاولة نقل شيء في وزنٍ جسيماً مائة مرةً ، وأكثر من
مائة مرةً .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مراراً غيرهما . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجرادة فعمّزت ،
هي التي أخبرت صويحباتها من الدُّرِّ ، وأنها كانت على مقدمتهن ؟ قلنا :
لِطُولِ التَّجَرُّبَةِ ، ولأننا لم نَرِ ذرةً قط حاولت نقل جرادة فعمّزت
عنها ، ثم رأيناها راجعةً ، إلا رأينا معها مثلاً ذلك ، وإن كنا لا نفصل
في العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا .
وعلى أننا لم نَرِ ذرةً قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغةً ، فتلقاها

ذَرَّةً ، إِلَّا وَاقَفَتْهَا سَاعَةٌ وَخَبَّرَتْهَا بِشَيْءٍ . فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا فِي رَجوعِهَا
عن الجردة ، إِنَّمَا كَانَتْ لِأَشْبَاهِهَا كَالرَّائِدِ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ ^(١) .

ومن العَجَبِ أَنَّكَ تُنْكِرُ أَنَّهَا تَوْحَى إِلَى أُخْتِهَا بِشَيْءٍ ، وَالْقُرْآنُ قَدْ
نَطَقَ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافًا . وَقَالَ رُوَيْةُ بْنُ الْعِجَّاجِ ^(٢) :

لَوْ كُنْتُ عَلَّمْتُ كَلَامَ الْحِكْلِ ^(٣) عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ التَّمْلِ
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا ^(٤) أَتَوْا عَلَى وَادِ التَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ
يَا أَيُّهَا التَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ^(٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يروود الكلاء والمنزل : أى ينظره ويطلبه وينتار أفضله . والمباراة
إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا
حدث . وإنما قيل ذلك الرائد لأنه لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسخة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ١٥٥ وأمثال الميادى
(١ : ٤٤٤ ، ٢ : ٨٥) ويلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستاق أيضاً في ص ٢٣ .
لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند
الدميرى (حبل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقوله :

تَسْأَلُنِي مِنَ السَّيِّئِ كَمْ لِي قُلْتُ : لَوْ عُمِّرْتُ عُمُرَ الْحِسْلِ

وَقَدْ أَتَاهُ زَمَنُ الْقِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مِثْلُ كَطِينِ الْوَحْلِ

أَوْ كُنْتُ قَدْ أُوتِيتُ عِلْمَ الْحِكْلِ كُنْتُ رَهينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلٍ

والحسك من الحيوان ، بالفم : ما لا يسمع له صوت ، كالذئب والفيل . والحسل ،
بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصبهاني أنه يبلغ مائة سنة ثم يقطع سنه ، فعند ذلك
يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) في الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستاق صحيحة في ص ١٥ ، ٢٠
وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحصل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر . والمعنى لا تكونوا
حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أريدك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ
 أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان
 وَأَثْبِتَتْ عَيْنَهُ ^(١) ، وَأَنْ عِلْمَ مَنْطِقِهَا عِنْدَهُ ، وَأَنَّهُ أَمَرَتْ صَوْبِجَتَهَا ^(٢) بِمَا
 هُوَ أَحْزَمُ وَأَسْلَمُ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجُنُودَ مِنْ غَيْرِ الْجُنُودِ ، وَقَدْ قَالَتْ :
 ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . وَنَحَالِكُ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ تَبَسُّمُهُ بِحَالِهِ ^(٣) ، أَنَّكَ
 لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ [الْوَقْتَ وَبَعْدَهُ ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْكَلَامِ ،
 وَلَا تَذِيرًا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ . وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَذْعِيحَهُ .
 وَلَكِنْ ، مَا تَنْكِبُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى
 أَنَّهَا بَيَانًا ، وَقَوْلًا ، وَمَنْطِقًا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعْنَى الَّتِي هِيَ بِسَيْلِهَا ؟ ! فَلَمَلَهَا
 مَكْلُفَةٌ ، وَمَأْمُورَةٌ مَنِيَّةٌ ، وَمُطِيعَةٌ عَاصِيَةٌ . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ ^(٤)
 مَسَائِلِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ مِنْ هَذَا الْمَسْأَلَةِ لَنَاقِصٌ
 لِلرُّؤْيَةِ ^(٥) رَدَى الْفِكْرَةَ ^(٦) . وَقَدْ عَلِمْنَا ، وَهُمْ نَاسٌ وَلَمْ [بِذَلِكَ] فَضِيلَةٌ
 فِي الْغَرِيزَةِ وَفِي الْجَنْسِ وَالطَّبِيعَةِ . وَهُمْ نَاسٌ إِلَى أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى وَقْتِ الْبُلُوغِ
 وَنَزُولِ الْفَرَضِ ^(٧) حَتَّى لَوْ وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشَرِيبَتْ مِنْ أَعْلَاهُ .

(١) أَي ذَاتَهُ . ط ، هـ : « فَأَثْبِتَتْ » .

(٢) س : « صَوَابِهَا » عَلَى طَرِيقَةِ جَمْعِ الْجَمْعِ .

(٣) كَذَا فِي س . أَي تَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ بِمَا رَأَى مِنْ حَالِ الْفَتْلِ . ط ، هـ :
 « تَشَبَّ بِحَالِهِ » .

(٤) هـ ، ط : « مِنْ » . وَأَثْبِتَتْ مَقَى س .

(٥) الرُّؤْيَةُ : النَّظَرُ وَالْتِفَاطُ . ط ، هـ : « لَنَاقِصٌ الرُّؤْيَةُ » صَوَابُهُ فِي س .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَدَفَى الْفِكْرَةَ » ، وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبِتَ .

(٧) ط ، هـ : « الْفَرَضُ » مَحْرَفٌ . وَفِي الْعِبَارَةِ وَسَابِقَتِهَا وَلَا حَقَّتْهَا اضْطِرَابُ .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب^(١) :

أَبَ هَذَا اللَّيْلُ فَاکْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَامْتَنَعَا^(٢)
فِي قِبَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا^(٣)
[وَلَمَّا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ الْغُلَّ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خُرْفَةً ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلَّتِي يَبَعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . وملك معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقرى الصنف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتنزل بها في نصرانية كانت قد تهربت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومجميع ياقوت (الماطرون) واللسان (كتع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمجموع واللسان ورواية الأغفش في حوافي الكامل : « طال هذا ألم » ورواية ياقوت : « أب هذا ألم » . واكتع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وعبطه البغدادى بالبناء المفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، يفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجهها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترقيب هذا البيت أن يكون بعد الترابيع ، كما ورد في الخزانة والمجموع .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، وروى بفتحها : وفتح النون ، وروى بكسرها . وروى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . التي جمعاً : أي التي جمعه . وانخل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخُرْفَة ، بالضم : ما يجتثي . ورواية العباب والمقابس والمختصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراة مصر . وارتبعت : دخلت في الربيع . وخلق بكسر الخاء وباللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لسكرة الفتوة كلها ، وقيل يل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

- عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التُّنُومَ وَالسَّلْعَا^(١)
 ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آيَسُهُ وَأَرَاهُ مَا سَكَلًا فُطْعَا^(٢)
 وقال أبو النّجم في مثل ذلك^(٣) :
 وَكَانَ نُسَابَ الرِّيحِ سُنْبُلُهُ^(٤) وَاخْضَرَ نَبْتًا مِدْرُهُ وَحَرَمَلُهُ^(٥)
 وَابْيَضَ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدُولُهُ^(٦) وَأَصْبَحَ الرُّوضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ^(٧)
 وَأَصْفَرَ مِنْ تَلَعٍ فُلَيْجٍ بِقَلُهُ^(٨) وَانْحَتَ مِنْ حَرَشَاءٍ فُلَجٍ خَرَدَلُهُ^(٩)

- (١) التّونوم ، يفتح التاء وتشديد التّونوا المضمومة : شجر له حمل صفار كثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأفراص الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسّلع ، بالتحريك : شجر يرتقي حالاً خضراً لا ورق لها ، وقصبانه تلتف على الغصون وتتشكك ، وله ثمر مثل عناقيد المنب صفار ، فإذا أبيض اسود ، فتأكله القروذ .
 (٢) الفطع ، ككتف : الفطيج .
 (٣) انظر بعض أشعار هذا الرجز في جمهرة ابن دريد (١٣٣ : ٢) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .
 (٤) جعل سنايل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشأت » وهو محرف .
 (٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرمّل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .
 (٦) أبيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجندول من ذلك لمسايق من الماء فيها . وقد اضطره الشعر فرفع ما يمد إلا . وحقه التصب .
 (٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبغأ هيجا . والأوى : ما بين الرطب واليابس .
 (٨) التلع ، بالفتح : جمع تلمة ، وهي مجرى الماء من أهل الوادي . والفليج ، بالجمع : ضئ به المتع . ط : « فليج » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .
 (٩) ط ، هـ : « ظح » ، صوابه في سـ واللسان (حرش ، قطر) . والفلاج : النهر الصغير . والحرشاء يفتح الحاء ويالشيخ : خردل البر . وهي في الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشَقَّ عن فصع سواء عنتله^(١) وانتفض البروقُ سوداً فلفله^(٢)
واختلَفَ النملُ قطاراً ينقله^(٣) طارَ عنِ المهرِ نَسيلٌ يُنسلُه^(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حمك . وقد ينقاسُ ذلك
في اللرة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التراب^(٥) ، وهى أيضاً جرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والبحر^(٦) بما فيه من الذرِّ والحَبِّ
والمالزين . والمالزِنُ هو البيض ، وبه سموا مازن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنتلة » : « عنتله » ، والمعتل ، كقنفل :
النمل البرى .

(٢) البروق ، يفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حبيب أصه
صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى
لدى يقع من السماء . ط ، هـ : « البرزون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشرط
الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق .
وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « قطار » وفى س ، هـ :
« قطار » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، هـ :
« ينقله » بتدريج اللتون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسل ، يفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان
صوف والشعر والريش : أسقطه . وكله « طار » أراها جواباً لشرط فى
آيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « التراب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية
النمل : ما يجمعه من التراب » . وفى المحصى (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد :
قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزُّبَال ما حلت النملة فيها ، وهو قول
ابن مقبل :
كريم النجارِ حمى ظهره فلم يُرْتَزَأَ برُكوب زبالا^(٢)

(شعر في التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم^(٣) .

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضُّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)
وقال الأصمعيُّ في تسليط الله الذرَّ على بعضي الأمم :
لحقوا بالزَّهْوَيْنِ فَأَمَسُوا لَا تَرَى عُقْرَ دَارِهِم بِالْمَبِينِ^(٥)
سَلَّطَ اللَّهُ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَهُمْ بَدَارٍ شَطُونِ^(٦)

- (١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .
(٢) البيت في صفة فعل من فصول الإبل ، والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره :
« حمى منع ظهره من الركوب . ويرتزا » بالبناء المفعول : ينقص . وقط ، ه :
ر ينو ، و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل)
الخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » حمى في الأصل « كرم » وصوابها في
المرجعين السابقين .
(٣) في ط ، ه : « نعيم » . وفي س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه
يحيى بن نعيم . وأسلفت ترجمته في (٢ : ٢٥١) .
(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف
في (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ،
ذلك الحيوان .

- (٥) لعل « الزهوين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهوين »
وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه في س ، ه .
(٦) يقال عققان ، كتمان ، وعقيفان هيئة التصغير ، وسائق شرحه . وفي الأصل :
« عقيفان » بفتحة ، وهو تصحيف صوابه في اللسان . والرواية فيه :

سَلَّطَ الذَّرَّ ، فَازِرًا أَوْ عُقَيْفًا نَ فَجَازَهُمْ لَدَارٍ شَطُونِ

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه في س ، ه .

• يَتَّبِعُ الْقَارَّ وَالْمَسَافَرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهَدْيِ بِذَاتِ الْفُصُونِ^(١)
 فازر ، وعَقِيقَانِ^(٢) : صِيْفَانِ مِنَ الدَّرِّ ، وكذلك ذَكَرُوهُ عَنْ دَغْفَلِ
 [بِنِ حَنْظَلَةَ] النَّاسِبِ^(٣) . وَيُقَالُ : إِنَّ أَهْلَ رِيْهَامَةَ هَلَكُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
 قَالَ : [وَكَانَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قَرِيْشٍ ، ^(٤)] هِشَامُ
 ابْنُ الْمَغِيرَةِ .

قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي ذَلِكَ :

نَزَعَ الدَّرُّ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّعْمِيرَ^(٥)
 أَرْسَلَ الدَّرُّ وَالْجِرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَيِّئًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورًا^(٦)
 ذَكَرَ الدَّرُّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنَّ الْجِرَادَ كَانَ تُبُورًا^(٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقلد المسافر . وفي الأصل :
 « القار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، هـ : « التئى » .

(٢) عقيقان بقاء قلبها ياء ثم فاء ، وهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقيقان والفازر .
 فعقيقان جده السود ، والفازر جده الشقر » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتتها اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أي عليه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، هـ .
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
 في الحياة جزاء » . والتصغير هائل إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

ويفرعون إذ تشاقق له المسا . ففلا لله كان شكورا

قال إني أنا الخبير على التماس ولا وب لي حل مجيرا

فحماء لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي التخطؤ والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س :
 « دعورا » ولها وجه ، فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو
 يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت حاقط ، هو والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(غلة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَخَيْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بـ وادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف نَشْكِرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النمل ربما اجلّت أمة من الأمم عن بلادهم .

ولقد سألتُ أهل كسكر^(٤) فقلت : شعيرُكم عَجَبٌ ، وأرزُكم عَجَبٌ ، وسمكُكم^(٥) عجب ، وجِداؤُكم عجب ، وبطنُكم عَجَبٌ ، ودجاجُكم عجب ، فلو كانتْ لَكُمْ أعناب ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرِ النمل لا تصلحُ فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنُكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجِحرَة^(٦) مَسَاكِنَ . والعربُ تسميها كذلك . ثم قال : ﴿ لَا يَعْطِفَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعتُ من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظم .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من شمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق في ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفي ط ، هـ :

« صمك » وفي س : « صمك » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صمناك »

وقد سبق تفسيرها في سواش (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة : بجم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفي الأصل :

« الجحرة » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنْ قَائِدِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا
مَعْدُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ . فَلِلَّذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَتَجَسَّسَ
صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهِ ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ ^(١)] غُورِهَا وَتَسْلِيلِهَا ،
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « اللطف ^(٢) من ذرة » و : « أضبط ^(٣) من نملة » .
قال : والنملة أيضاً : قرحة تعرض للساق ، وهي معروفة في جزيرة
العرب ^(٤) .
قال : ويقال : « أنشب ^(٥) من ذرة » .

(قول في بيت من الشعر)

فأما قوله ^(٦) :

لَوْ يَدْبُ الْحَوِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ ^(٧)

- (١) الزيادة من س ، هـ .
 - (٢) اللطف ، من اللطافة ، وهي اللقطة . س : « الحف » من الإخلاف ، وهو الإخلاج ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
 - (٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة الزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة » ومن الأعمى ، ومن صبي . انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) .
 - (٤) فسرهما صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحترق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كائنلة » .
 - (٥) في الأصل : « أنشب » .
 - (٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
 - (٧) أندبها : أثرت فيها . والكَلُوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإكب منها لأترا

فَإِنَّ الْحَوْلَىٰ مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانَّتِهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :
تَلْقَطُ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَى أَمْسَتْ بِالْحَبِيبِينَ بَلْقَعًا^(٢)
قَالَ : وَحَوْلَى الْحَصَى : صَغَارَهَا . فَشَبَّهَهُ بِالْحَوْلَى مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .

(أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْ الثَّوَابِ أَرْبَعٌ^٦
لَا يُقْتَلَنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالْمُهْدَدُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُسَوْدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيقَةٍ
نَخْلًا ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالحبيبين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحبين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِي الْكُوفِيُّ ، اُخْتُفِ فِي اسْمِهِ ،
فَقِيلَ هَرَمٌ ، وَقِيلَ عَمْرُو ، وَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ جَرِيرٌ . مِنْ الرِّوَاةِ
الضَّعِيفَاتِ . تَقْرِيبُ التَّبْذِيبِ .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فقام إلى نمل كثير تحت شجرة فقتلهم » ، فقيل له : أفلا نملة واحدة ؟ » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فقصته نملة ، فأمر بجهازه ^(١) فأخرج من تحتها ثم أمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلا نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني ^(٢) ، عن هشام الدستوائي ^(٣) قال : إن النمل والذرة إذا كانا في الصيف كله ينقلن الحب ، فإذا كان الشتاء وخضن أن ينبت فلقته .

هشام بن حسان ، أن أهل الأحنف بن قيس لقوا من النمل أذى ، فأمر الأحنف بكرسي [فوضع عند جحرهن ، فجلس عليه ثم تشهد] فقال : لفتنهن أو لنحرقن عليكن ، أو لنفعلن أو لنفعلن ^(٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناده هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستوائ » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٢ : ٣٧ - ٣٨) وكذا تلخيص الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لنفعلن » بالناء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الرصد

وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة بن زهير^(٢) قال : قال أبو موسى الأشعري : إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة .
عبد الله بن زياد المدني^(٣) ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا النَّمْلِ ! » .

وسمر بن كدام^(٤) ، قال . حدثنا زيد القمي^(٥) عن أبي الصديق الناجي^(٥) قال « خرج سليمان بن داود — عليهما الصلاة والسلام — يستسقى فرأى نملةً مستلقيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمها إلى السماء وهي تقول :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي المبهى البصري ، ثقة روى بالقدح وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست ومائون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصري ، راو من التابعين البصريين ، وكان من افتتح الأبله مع حبة بن غزوان . الإصابة ٧٤٨٠ .

(٣) سمر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير المذلي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فبعله الله محذرا ! » . له يريد ما يعانون من مشقة التثبيت . وفي الأصل : « مسعود » وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، وله « العمى » البصري قاضي هراة ، الذي ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمي .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصري ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجي » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهم إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ، لَيْسَ بِنَاغِيٍّ عَنْ سَقِيكَ ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تَسْقِيَنَا
وَتَرْزُقَنَا ، وَإِنَّمَا أَنْ تُمَيِّتَنَا وَتُهْلِكَنَا ! فَقَالَ : ارْجِعُوا فَقَدْ سَقِيتُمْ
بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ ! ١ .

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنْتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ٧
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إِنَّ نَذِيرًا يَعِجِبُ^(٢) مِنْهُ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ يَعْظُمُ خَطَرُهُ حَتَّىٰ يُضْحِكَهُ لَعَجِيبٌ ! قال : فقال : ليس التأويل ما ذهبتَ
إليه . قال : فَإِنَّهُ قَدْ يَضْحَكُ النَّبِيُّ^(٣) ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ كَلَامِ
الصَّبِيِّ ، وَمِنْ نَادِرَةٍ غَرِيبَةٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِ مَعْلَنَةٍ ، كَالنَّادِرَةِ
تُسَمَّى مِنَ الْخَبْرِ ، فَهُوَ يُضْحِكُ . فَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ عِنْدِي عَلَى أَنَّهُ اسْتَظَرَفَ
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ النَّمْلَةِ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألته عن قول أبي موسى^(٤) : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ
سَادَةً حَتَّى الدُّرَّةُ . قال : يقولون : إِنَّ سَادَتَهَا اللَّوَاتِي يَخْرُجْنَ مِنَ الْجُبْحَرِ ،
يَرْتَدْنَ بِجَاهَتِهَا ، وَيَسْتَقْبِلْنَ إِلَى شَمْسٍ^(٥) الَّتِي هُوَ مِنْ طَعَامِهِنَّ .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفوف » .

(٢) س : « إن تدبيراً يصعب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر زهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَاقِضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَنِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجِمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بَيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهُمَا ثُمَّ قَشَعَمُ^(١)
قال بعض العلماء : قرية الغل .

(استطراد لنوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقْلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَيَانِ .
فإذا كان الثَّقْلُ الَّذِي فِي لِسَانِهِ مِنْ قَيْلِ الْعُجْمَةِ^(٢) قِيلَ : فِي لِسَانِهِ
حُكْلَةٌ . وَالحُكْلُ مِنَ الْخِيَوَانِ كُلُّهُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ يُسْتَبَانَ بِاخْتِلَافِ
مَخَارِجِهِ ، عِنْدَ حَرْجِهِ ، وَضَجَرِهِ ، وَطَلْبِهِ مَا يَفْلُؤُهُ ، أَوْ عِنْدَ هَيْجِهِ إِذَا أَرَادَ
السَّفَادَ ، أَوْ عِنْدَ وَعِيدِهِ لِقِتَالِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ .

(رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وترجم الهند أَنَّ سَبَبَ مَالِهِ كَثَرُ كَلَامِ النَّاسِ وَاخْتَلَفَتْ صُورُ
الْفَاعِلِينَ^(٣) ، وَمَخَارِجُ كَلَامِهِمْ ، وَمَقَادِيرُ أَصْوَاتِهِمْ فِي اللَّيْنِ وَالشَّدَةِ ،

(١) يقول : شد على طعوه وحده ففعله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستغن
عليه بأحد . س : « يفزع » هـ : « يفزع » ، وهذه الأخيرة محركة .
وأم قشع : الحرب ، أو المنية ، أو الضج ، أو المنكبات ، أو الدلة . وبكل فسر
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) بعد هذه في كل من ط ، هـ : « واقسمت على قدر اتساع سرقهم » . وهو -

وفي المدِّ والقَطْع - كثرة^(١) حاجاتهم . وليكثر^(٢) حاجاتهم كثرت
خواتمهم وتصاريف ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم .
قالوا : فحوائج السَّائِر لا تعدُّ خمسة أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخواتها وآلافها^(٣) ، ولذلك صورة^(٤) .
وصياحُها إذا دعت أولادها للطَّعم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعت ،
ولذلك صورة^(٥) . فلما قلَّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلَّت وجوه
خارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها^(٦) ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والإشارات
والشائتل . وحاجاتها ظاهرة جليَّة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة
أ ما لا يقصر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و راضة الإبل ، والرعاة ، ورواض الدواب في المروج ، والسَّوَّاسُ ،
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات
والتشوّف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،
ما لا يعرف مثله من هو أعدل منهم^(٧) ، إذا لم يكن له من مُعَايَنَةِ أصناف

تكرار لمباراة متاق بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه سطفا
كافي س .

- (١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجه ما أثبت من س .
- (٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .
- (٣) الآلاف بعد الهزة في أوله : جمع ألف بالكسر وهو الأليف . ط :
- « آلفات » صوابه في س ، هـ .
- (٤) ط : « وجه » . وسباق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .
- (٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لائحة . فهو سهو منه .
- (٦) في الأصل : « ومنهم » .
- (٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لَهُمْ^(١) . فَالْحُكْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ [من^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرة . قال رؤبة^(٣) :

لَوْ أَنِّي عُمِرْتُ عُمَرَ الْحِجْلِ أَوْ أَنِّي أُوتِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْانٍ كَلَامَ النَّمْلِ

(تأويل بيت العُمَانِي)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفَقَيْمِيُّ وهو الذي يقال له العُمَانِيُّ^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمَانِيُّ من يُعَدُّ من جَمْعِ الرَّجَزِ والقصيد ، كَعُمَرَ بْنِ لُحْلُ^(٥) ، وجريز بن الخطمي ، وأبي النجم وغيرهم . قال العُمَانِيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلُ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا^(٦)
يقول : الذَّرَّةُ الذي لَا يُسْمَعُ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ^(٨)
لفهمه . والسَّوَادُ هو السَّرَارُ^(٩) . [قال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ماسبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقَتْ ترجمته في (٢ : ١٦٦)

(٥) في الأصل : « كعمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقَتْ ترجمته في (١ : ٢٤٩) .
و « لُحْلُ » هو والد عمر ، وأصل اللُحْلُ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساوُر أخرى » وصوابه في س ، هـ والبيان (١ : ٤٠ ، ٢٢٥) .

(٧) ط ، هـ : « لم يسمع » والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواد » صوابه في س ، هـ .

(٩) ط ، هـ : « السواد » ولما لا يفسر بللأ ! صوابه في س . والسَّرَارُ ، بالكسر : الصلوات سرّاً .

« أَذْنُكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ ، أَيْ تَسْمَعُ سَوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْخَلَسِ : « قُرْبُ الْوَسَادِ »
وَطُولُ السَّوَادِ ^(١) . »

قال أبو كبير المفلح :

سَاوَدَتْ عَنْهَا الطَّالِبِينَ قَلَمُ أَنْتُمْ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعَزْلِ ^(٢)
وقال النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّشَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ الْآيِلِ مُوقِدَ نَارِهَا ^(٣)
عَنْ ذَاتِ أُولَيَّةٍ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَانَ لَوْنُ الْمَلْحِ تَحْتَ شِفَارِهَا ^(٤)
وقد فسرنا شأن الحكل ^(٥) :

وقال التيمي الشاعر ^(٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني

تَغْلِبَ معروفين - :

عُجِمَ وَحُكِّلَ لِأَتَيْنِ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ ^(٧)

(١) قالت هذا حين شئت : « ما حلك على أن زنت بملك ؟ » . انظر البيان
(١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « سَاوَدَتْ » ، صوابه في س . والسبك الأعزل : منزلة من منازل
القمر ، وهو نجم يظهر مع القمر .

(٣) القِدَاحُ هنا قِدَاحُ الميسر . تَوَحَّشَتْ : تَوَحَّشَتْ : لَيْ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ قَدَحًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى فَيْزِهِ ؛
لشدة الزمان وغلاء اللعب .

(٤) عن ذات أولية : أي من أجل ناقة ذات أولية ، رمت ولياً بعد ولي من المطر
فسميت . أساود بها : يقول : أساره وأناجيه لأخذه منها فيسمح بها ليجري
عليها الميسر . وكان لون الملح فوق شفارها : أي أن الشفار التي تليح بها وتقطع
يطبق بها سم هذه الناقة السمينة فيسكن ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه
في س ، هـ ، والميسر والقِدَاحُ من ١١٨ والمغلف الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر من ٢٣ وكذا من ٢١ .

(٦) ذكره العيون في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع علاج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار الجيم . والبرانس :
جمع برنس ، وهو القفصوة الطويلة ، وكان النساء يلبسوها في صدر الإسلام .

والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتصق به ، دراعة كان أو بخرطاً أوجية .
وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان
(١ : ٤٠) : « ولكن حكلاً لا تين » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ ^(١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ
وَالظَّلْفِ وَالْخَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِصِ ، وَالْأَشْكَالِ
الَّتِي لَيْسَتْ تَصِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْقِرْدُ ^(٢) : [أَشْهَدُ]
أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ ^(٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يَخْبِرُ عَنِ
النَّصَارَى كَمَا يَخْبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَى وَالْمَفْضَلِ)

[وَ قَالَ الْأَصْمَى لِلْمَفْضَلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمَفْضَلُ جَعْفَرَ بْنَ سَلْمَانَ ^(٤)]

قَوْلَ أَوْسَرَ بْنِ حَجَرٍ :

وَذَاتُ هَدَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصْنِتُ بِالْمَاءِ تَوَلِّبًا جَدِيدًا ^(٥)

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .

(٢) من الحبيزة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه
ونظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست
٢٥٥ مصر ١٨٠ ليسك .

(٣) ط ، هـ : « حَقٌّ » ، وهو على الصواب في س .

(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أقاليم الرواة في نسختنا الأصلية . وفي اللسان أنه سليمان
ابن حل المشاشي .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم
الفقر وفقدان المال ، ولم أجده الرواية فيما عدى . والنواشر : نصب الذراع
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقلت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة
المجاعة . تصنت بالماء تولباً : أي تسكت ولدها التي يبكي من الجوع بشيء من
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة فجعله الطفل تولباً
انظر الصفة (٢ : ٢٥٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء
الاستعارة هذا يسمى مبالغة وقال : لا أعرف المبالغة إلا فاحش الاستعارة .
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من
قصيده جيدة روى بها فضالة بن كعدة مطلقاً :

أَيْتَا النَّفْسِ أَجَلُ جِزْعَا إِنْ الَّذِي تَحْدَرِينَ تَدَ وَقَمَا
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمَدَامَةُ وَلَا تَغْتِيَانِ طَرَا وَطَابِعِ طَمَعَا

وانظر ما قيل في مجالس الملأاء لفرجاني وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جده) .

فجعل الدال معجمة ، وفتحها ، وصحفت ، وذهب إلى الأجداع^(١) .
قال الأصمعي : إنما هي : « تَوَلَّبًا جَدِعا » الدال مكسورة . وفي الجَدِيع يَقُول أبو زيد :
ثمَّ استقامها فلم يقطع نظامها عن التَضْيِيبِ لا عَبْلٌ ولا جَدِيع^(٢)
وإنما ذلك كقول ابن حِينَاء الأشجعي^(٣) :
وَأَرْسَلَ مُهْمَلًا جَدِعا وَخَفَاً ولا جَدِيعُ الثَّبَاتِ ولا جَدِيبُ^(٤)
فَنَفَخَ الْمُفْضِلُ ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ ، وَتَكَلَّمَ وَهُوَ يَصِيحُ . فقال الأصمعي :
لو نَفَخْتَ بِالشُّبُورِ لَمْ يَنْفَعَكَ ! تَكَلَّمَ بِكَلَامِ الثَّمَلِ وَأَصِيبُ^(٥) !

-
- (١) الأجداع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .
(٢) التضيب : السمن وكثرة اللحم . هو فقط : « التضيب » . والجَدِيع ، ككتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السبيء الفداء .
(٣) ابن حِينَاء ، يطلق حل (خسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحيناء ، اسم أمهم كافي القاموس ومعجم المرزباني ٣٩٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحين : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) .
وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حِينَاء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج - (١١ : ١٦٢ - ١٦٣) . وثالث هذين الآخرين هو زيده بن حِينَاء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أعوان آخران ، أحدهما بلعام بن قيس الكفائي وأخوه جشانة . وأمهات الحيناء بنت واللة . وقد تقدمت ترجمة بلعام في (٤ : ٦٠) . جاء في ط : « حِينَاء » صوابه في ه ، س . حل أني استبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيها بالصنير) وهو شاعر يمدح من مخاليف الحجاز ينتهي نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع القرظدي في الأغاني . (١٦ : ١٤١) .
(٤) المراد بالتلف هنا الإهمل .
(٥) نجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جدع) .

والشُّبُور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسية^(١) . وهو شيء يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت^(٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم تفخُّوا عليه بالشُّبُور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلامِ من الحدود القائمة في كتبهم ، ولكن الجاثليق^(٣) ورأسُ الجالوت ، لا يمكنُهُما في دار الإسلام حبسٌ ولا ضربٌ ، وليسَ عندهما إلا أن يغرَّما المَالُ ، ويُحرَّما الكلام . على أنَّ الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرجلِ العظيمِ القدر ، الذي له من السلطانِ ناحية . وكان طيئانو^(٤) رئيسَ الجاثليق ، قد همَّ بتحريمِ كلامِ عَوْنِ العبادي^(٥) ، عند ما بلغه من اتِّخاذِ السَّراي^(٦) ، فتوعَّده وحلف : لئن فعلَ لِيُسْلِمَنَّ ! وكما تركَ الأشقيس^(٧) وميخائيل^(٨) وتوفيل^(٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر الاستواكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تفصيل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، يفتح الـاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم التمسيس ، ثم التماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيئانوس » كما أفادني حضرة المحقق التقدير الأب أنستاس .

(٥) العبادي : نسبة إلى العباد ، بكسر الـعين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السراي : جمع سرية ، وهي الأمة المملوكة التي يورث بيتا . ونظام الترسى ، أي اتِّخاذِ السراي ، نظام إسلامي يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى . انظر رسائل الجاسط بهامشة الكامل (١٧٦ : ٢) .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط : « الأشقيس » .

(٨) س : « ميخائيل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « توفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلْ عَيْنِ مَنُوبِل^(١) - وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الروم يقتل ، وإن كان ذا رأى سَمَلُوا عَيْنَيْهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنَّتَهُمْ فيه .
وقد ذكرنا شأنَهُمْ في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَارَى^(٢) . فإن أردتَه فاطلبْهُ هناك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عُمر بن أبي ربيعة :
لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِيهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُلُورُ^(٣)
وَالْحَدَرُ : الْوَرَمُ وَالْأَثَرُ^(٤) يَكُونُ عَنِ الضَّرْبِ .

-
- (١) سمل عينه : فقأها . وبطل هذه النبذة في ط : « وسموعين ومنوبل » وفي هـ : « سمل عين ومنوبل » ، وصوابه في س .
(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق لغوية ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين في عصره . وقبل عصره . وتجد قفراً منها بهامشة الكامل (٢ : ١٤٨ - ١٩٨) .
(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان . وتظهر . و « حُلُور » فاعل أبان ، ومنه في الكتاب : « حمّ » والكتاب المبين « أى البين الظاهر » ، في أحد وجهى تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حدر) والخصص (٢ : ٨٠) « حُلُوراً » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في هـ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما في ديوان عمر بن ١٢ ، مطلعها :
لن الديّار كأنهن سطور
تسلى مطلعها الصبا وتبتر

وقبل البيت :

- تلك التي سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور
(٤) في الأصل : « والحدر والورم والأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالمثل)

وقد يسمّى بنملة ونَمَلَة ، ويكتنون بها . وتسمّوا بَلَرٌ ، واكتنوا
بأبي ذرٍّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذَرِيُّ السَّيْفِ ^(١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة ^(٢) :

وقد أغلُو مع الفتيا نِ بالمنجردِ الشَّرِّ ^(٣)
وذى البركة كالثَّابو تِ والمَحْزَمِ كالقَرِّ ^(٤)

(١) في الأصل : « ذر السيف » وأصله متحداً حل لسان العرب ، وفيه : « وذرى
السيف : غرله وماله ، يشبان في الصفاء يجذب المثل والذر . قال عبد الله
ابن سبرة :

كل ينزه مجاضى الحد ذى شطب جيل الصياقل عن ذريه العليا

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :
وكننت أمشى على رجلين معتدلاً فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) للمنجد من الخيل : التعبير للشعر ، وذلك من علامات النخ والكركم . ط ،
هـ : « بالخنجر » س : « بالخنجر » ، وصوابه ما أثبت كافي اللسان (تر) .
والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « واليتر »
وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجري هذا البيت في أماليه
(١ : ٨٢) :

وقد أخذوا إلى الهيجا . بالخنك الشَّرِّ

روى الكلمة الأخيرة بالهاء المثلثة قال : « يقال سحاب تر ، الكثير الماء .
واستأروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : المصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهي كلمة عبرية
الأصل . والمَحْزَم ، كجلس : موضع الخزام . والقَر ، بالفتح : الهودج :

معى قاضية كالمذبح في متنيهِ كالذر^(١)
١٠ وقد اعتير الضربة تثنى شئ الشتر^(٢)
وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتُرْجَفُ إِنْ يُلْقَمَهَا خِلَارُ^(٣)
وَنَحْبُ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ حَقًّا وَرُغْبُ قَلْبِهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ
وقال أوس بن حجر ، في صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَ التَّمَلُّ يَنْسُجُ الرُّبَا وَمَنْزَجَ ذَرَّ خَافَ بَرْدًا فَانْهَلَا^(٤)
على صفحته بعد حين جلالة كفى بالذي أبلى وأنت منْصَلَا^(٥)

(١) القاضية ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه المبالغة ، كراوية . ولم أر هذه
اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالمذبح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء
الأبيض بالمذبح كما سبق تشبيه اللحم به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت غروماً في
السان (مادة تر) . ويمكن تصحيحه وإكماله بما هنا .

(٢) اعتير الضربة ، أصله من اعتير الرجل الكلام : إذا انتفضه قبل أن يزوره
وجهه . يقول : يفاجئ عوده بالضربة السريعة . ط ، ص : « أسر »
صوابه في هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له
وأما « شتن » فهي في ط : « شتن » والكلماتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع روبة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له
وصوابه في ديوان أوس وحيون الأغنياء (٢ : ١٨٧) ومعاذ التنصيص (١ :
٤٨) والشراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما في س ،
هو والديوان . ورواية الديوان : « على صفحته من متون جلالة » .

(انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجل من الحُرقة^(١) من جُهينة ، فأخذَه فشده قِاطاً ، ودهن أسته ربَّ وقمطه^(٢) وقربه من قرية السَّمَل ، فأكل الغل حُشوة بطنه^(٣) .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال ذو الرمة :

وَقَرِيَّةٌ لَاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَّةٌ مُدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شُرُورًا^(١)
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَنِي عِنْدَهَا الْقَرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَمَنْزِلِنَا قَدْرًا^(٢)

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بِدَارِ هَمُّهَا أَشِيبُ جَثَلُ الْفُرُوعِ كَثِيرُهُ شَعْبُهُ^(١)
إِنَّ اسْتِهَانَتَهَا بِمَنْ صَرَعَتْ لِيَقْدِرَ مَا نَعْلُو بِهِ رُتْبُهُ^(٢)

(١) كذا على الصواب في ط ، هـ وهى قبيلة . وفى س : « الخدعة » محرف .
وفى الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بني سلامان بن سعد .

(٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب يشم الرائحة ، هو الدبس ، أو هو ثقل السن والزيت . وفى الأغاني : « ودهن أسفه بشحم » .

(٣) القصة فى الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .

(٤) أراد بالقصيدة قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شورا : على غير استقامة فهى معوجة .

(٥) رواية اللحيان ١٧٧ : « لا نبتنى عندها » .

(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملثف . جثل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه فى س .

(٧) فى الأصل : « أذرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوت للثمل أجنيحة حتى يطير فقد دنا عطبه^(١)
وقال البعيث :

وموتى كببت النمل لاخير عنده لمواه إلا سعيه بنميم.

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب^(٢) يقول : إنه نعام نمل . على
قولهم : « كذب على نمل »^(٣) ، إذا أرادوا أن يخبروا أنه نعام . وقال
حميد بن ثور ، في تهوين^(٤) قوة الدّر :

منعمة ، لو يُصْبِحُ الدّرُ سارياً على جلدها بضت مدارجُه دما^(٥)
وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة
عنب - : أَتَصَدِّقِينَ^(٦) بحبة عنب ؟ ! قالت : إن فيها لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ^(٧)

- أبي المتاهية ص ٣٥ ونمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدّر » هي في الأصل : « فيقدر »

وأثبت ما في الديوان والنار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . « و » تلوه « هي في ط :

« نقلوا » ، وتصحيحه من س ، هو النار والمروج . ويطلق في الديوان : « تسو » .

(١) في الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند السيري .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابياً » .

(٣) النمل ككثف والنمل والنمل - كمن - والنمل - كمن - والنمل ، كل أولئك بمعنى النعام .

(٤) س : « تهوين » والتهوين : التقليل . والتهوين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الدّر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تصدقين ، حدثت إحدى التامين تخفيفاً . ط فقط : « أَتَصَدِّقِينَ » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه في ط ، هو . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز في التَّمَل)

وَمَا قِيلَ فِي الشَّعْرِ مِنَ اللَّغْزِ ^(١) :

فَمَا ذُو جَنَاحٍ لَهُ حَافِرٌ وَلَيْسَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ

يعنى التَّمَل . فزعم أَنَّ لِلتَّمَلِ حَافِرًا ، وَلَئِنَّمَا يَخْفِرُ جُحْرَهُ ، وَلَيْسَ ١١
يَخْفِرُهُ بِقَمِهِ ^(٢) .

(التعذيب بالتمل)

وَعَذَّبَ عُمرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ^(٣) سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ ^(٤) بأنواع العذاب
فَقِيلَ لَهُ : إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يُفْلِحَ أَبَدًا فَمُرُّهُمْ أَنْ يَنْفُخُوا فِي ذُبُرِهِ التَّمَل .
فَفَعَلُوا فَلَمْ يَفْلِحْ بَعْدَهَا .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وَلَئِنَّمَا يَخْفِرُهُ بِقَوَائِمِهِ الْمَت . انظر الطبري .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدعاة
الشجعان ، ولي الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاة يزيد بن عبد الملك
إمارة العراق وخراسان ، ثم هزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر
بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المنى ، وفيه يقول الفرزدق
ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافقه قزاريا أخذ يد التميمي

تفتق بالمرق أبو المنى وعلم قومه أكل التميمي

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذايا الخارجي وقتل
من معه ، وولاه ابن هيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة
مباشرة ولا يمتدح بليامته فزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ :
٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الجري »
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبري القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تَدَّخِرُ ، وتُشَبِّهُ في ذلك بالإنسان ذى العقل والروية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفار ، والجردان ، والمنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرّ للنمل)

وزعم اليعقوبى^(٢) أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها ، حتى تأتي على عام^١ . وذكر أنه جرّب ذلك .

(أكل الضبّاع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إن الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ، وذلك أن الضبّاع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتحسّ ذلك النمل بلسانها ، بشهوة شديدة ، وإرادة قوية .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كل شيء لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشوا^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : الروية صوابه من س .

(٢) يروي عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو حيان .

(٣) كلنا في س . وفي هـ : « ولا يزال » . وفي ط : « ولا يزالوا » وطه

الأخيرة معرفة . و « ينشوا » هي « ينشق » سهل هزها ، وهي بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتي على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملًا ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملًا . فعل قدر ما يستحيل منها يرى النقص^(١) في عددها ومضرتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ، يقال : « جاءوا يمثل النمل » . والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخر ينفو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنفو^(٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر^(٣) :

— الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، ع ، س : « ينشروا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما في ه .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و « تنفو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجده اضطراباً في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدلتا بالياء ، ومرة بدلتا بالطاء . وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استوتَ للنملِ أجنحةٌ حتى يطيرَ فقدَ دناَ عطبه^(١)
وإذا صارَ النملُ كذلكَ أخصبتِ المصافيرُ ؛ لأنها تصطادها في حال
طيرانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا^(٢)] : وَتَقْتُلُ بَأْنَ يَصْبُ فِي أَفْوَاهِ بِيُونَهَا الْقَطِرَانُ وَالْكِبْرِيْتُ
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسُّ فِي أَفْوَاهِهَا^(٣) الشَّعْرُ . وقد جرَّبنا ذلك فوجدناه
باطلاً . انتهى .

ب

١٢

جملة القول في القرود والخنازير

وفي تأويل المسخ ، وكيف كان ، وكيف يُمسَخُ الناس على خلقتهما^(٤)
دون كل شيء ، وما فيهما من العيرة والخنعة ؛ وفي خصالهما المذمومة ، وما فيهما
من الأمور الحمودة ، وما الفصل^(٥) الذي بينهما في النقص ، وفي الفضل ،
وفي الذم وفي الحمد .

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) يمثل هذه التريادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أي أفواه يوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) في الأصل : « الفصل » بالضاد المجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن العنكبوت ، والدَّارَ والنَّمْلَ ،
والكَلْبَ ، والحِجَارَ ، والنَّحْلَ ، والمُذْبَذَبَ ، والغرابَ ، والدَّيْبَ (١) ، والفيلَ
والخيلَ ، والبغالَ ، والحَمِيرَ ، والبَقَرَ ، والبَعُوضَ ، والمعزَ ، والضأنَ ،
والبقرةَ ، والنَّعْجَةَ ، والْحَوْتَ ، والنُّونَ (٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً
في الذَّلَّةِ والضعفِ ، وفي الوهنِ ، وفي البُذَاءِ ، والجهلِ .

(هَوَانُ شَأْنِ الْقِرْدِ وَالْخَنَزِيرِ)

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً
فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فَقَالَهَا كَمَا رَأَى وَحَقَّرَهَا ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جل
وعلا ، لم يمسح أحداً من حَشَوِ أَعْدَائِهِ وَعِظَامَتِهِم بَعُوضَةً .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاغْتَمَعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إِنَّمَا قَرَعَ
الطَّالِبُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (٣) لِإِنْكَارِهِ وَضَعْفِهِ ، إذ عجز ضعفه عن ضعفِ

(١) س : « الدب » صوابه في ط ، هـ . وليس في القرآن الكريم ذكر قلب ،
وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمي يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا » لأن النون كان قد التصقه في اليم ، انظر مفردات
الراغب . والملاحظ لم يستوجب ماورد في القرآن من الحيوان ، ولا فقد أفضل
ذكر الإبل ، والثيران ، والجراد ، والحية ، والسلي ، والصفادع ، والنم ،
والقراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نجد له جلّ وعلا .
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذُبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فدلّ بوهن بيته
على وهن خلقه ، فكان هذا القول دليلًا على التّصغير والتّقليل . وإنما لم
يقُلْ : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَتَلَوُا كَتَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَخُولُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ
تَتَرُكُهُ يَلْهَثُ ﴾ ، فكان في ذلك دليلٌ على ذمّ طباعه ، والإخبار عن تسرعِهِ
وبذائه . وعن جهله في تدبيره ، وترّكِهِ وأخذه . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وذكر النّزّة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلًا على أنّه من الغايات في الصّغر
والقلّة ، وفي خِفّة الوزن وقلة الرجحان . ولم يذكُرْ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وذكر الحمار فقال : ﴿ كَتَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلاً
في الجهل والغفلة ، وفي قلّة المعرفة وغلظ الطّبيعة . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خلقه وذَكَرَ مِنْ أصناف الحيوان باللّحم والحمد . فأما
١٣ غير ذلك ممّا ذكر من أصناف الحيوان ^(١) ، فإنّه لم يذكُرْ ^(٢) بدم ولا
نقص ، بل قد ذكر أكثرهنّ ^(٣) بالأمور المحمودّة ، حتّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مهمل : باللّحم والحمد . ساقط من س .

(٢) س : « يذكُر » .

(٣) س : « أكثرها » .

القرود فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالتَّنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لها في قلوب
الناس حال . و [لو] ^(١) لم يكن جعل لها في صدور ^(٢) العامة والخاصة من
القيح والتشويه ، ونذالة النفس ، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما
خصهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أن العقرب أشد عداوة وأذى ، وأفسد ، وأن الأفعى والثعبان
وعامة الأحناس ^(٣) ، أبغض إليهم وأقتل لهم ، وأن الأسد أشد صولة ، وأنهم
عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قوته عليهم ، وعجزهم عنه ،
وعلى حسب سوء أثره فيهم . ولم تره تعالى مسح أحداً من أعدائه على صورة
شيء من هذه الأصناف . ولو كان الاستئذال والاستئفال والاستسقاط أراد ،
لكان المسخ على صورة نبات وردان أولى وأحق ^(٤) . ولو كان التصغير
والتصغير أراد ، لكانت الصوابة والخرجة ^(٥) أولى بذلك . ولو كان إلى
الاستصغار ذهب لكان النثر والقمل والذباب أولى بذلك . والدليل على قولنا
قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ . طلوعها
كأنه رؤوس الشياطين ، وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة ،
ولكن لما كان الله [تعالى] قد جعل ^(٦) في طياع جميع الأمم استقباح
جميع صور الشياطين ، واستمهاجه وكرهاته ، وأجرى على السنة جميعهم
ضرب المثل في ذلك - رجوع بالإحاش والتنفير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناس : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » بحرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هي في س : « إذا
كان » ، بحرف .

(٥) الخرجة ، بكسر الميمين : البومض الصغار . في الأصل : « الخرجة »
سواها ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفريع^(١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طباع جميع الأمم^(٢) .
وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن رموس الشياطين نبات ينبت باليمن^(٣) .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ أَضَلُّ مِنْ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رِجْسٌ ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ^(٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرء .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أن في الخنزير معنى متقدماً^(٥) سوى المسخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر ومماجة الثبيل ، وقبح الصوت ، وأكل العليرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازى في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين .. وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) للمسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) ط ، ه : « متقدماً » تصحيحه من س .

واللواط المفرط^(١) والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ - كما ذكره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تَكُنْ تأكلُ القُرودَ . وكان من تنصّر^(٢) من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزيرَ ، فأظهر لذلك تحريمه ، إذ كان هناك عالمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوك والسوقة ، يأكلونه أشدَّ الأكل ، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد ينتهي عن نفسه . ويكفي الطبايع في^(٣) الزجر عنه غنثه^(٤) . ولحم الخنزير مما يستطاب ويتواصف ، وسبيل لحم القرد كسبيل لحم الكلب يل هو شرٌّ منه وأخبث . وقد قال الشاعر^(٥) للأسدي الذي ليم يأكل لحم الكلب^(٦) :

يا فقمسى لم أكلته ليه لو خافك الله عليه حرمة
فأأكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليه » أنَّ الله يخافه على شيء أو يخافه^(٧) من شيء . ولكنه لما كان الكلب عنده مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصّر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغث بالتصريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أي لانه الناس يأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »

وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يُخَفْ ذَلِكَ فِيحَرِّمَهُ . وهذا مما لا تقف الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبِعَ الْوَهْمُ مُوَاضِعَهُ ، لَأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يدخل في باب الَّذِينَ ، فيما يُعْرَفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجزاء ^(٢) الكلاب نامس ، ويستطيبونها فيما يزعمون . ويقولون : لَئِنْ جَرَوِ الْكَلْبَ أَمِنُ شَيْءٌ صَغِيرًا ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنَّه يشبُّه بفرخ الحمام ما دام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشدَّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السَّنانير . والذين يأكلونها صنفان من الناس : أحدهما الفقي المفرور ، الذي يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سِنُورًا أَسُودَ بِهِمَا لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ السَّحَرُ ، فأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلة ، وقد غسل ذلك وعصره ، أذهب الماء زُهُومَتَهُ ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستغذِّرٍ ما استطابه . ولعلَّه أيضًا أن يكون عليه ضربٌ من الطَّعام ^(٣) فوق الذي هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشرط ، ودبَّر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، هـ .

(٢) أجزاء ، يفتح الهزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولة الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصنف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبون المصائد^(١) للسنائر ،
التي يلقون منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظ أحدهم وحنقه وغضبه
عليه ، أن [يكون] السنور مفرط السمن ، فيدع قتله ويدبحه . فإذا فعل
ذلك مرة أو مرتين ، صار ضراوة عليها . وقد يتقزز^(٣) الرجل من أكل
الضب والورل والأرنب ، فما هو إلا أن يأكله مرة لبعض التجربة ، أو لبعض
الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبياً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
أن يصيروا أرغب فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهامنا قوم لا يأكلون الجراد الأعرابي السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
أطيب منه . والأعراب إنما^(٦) يأكلون الحيات على شبيه بهذا الترتيب
ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعض الأطباء والفلاسفة ، أن الحيات والأفاعى تؤكل نيئة^(٧)
ومطبوخة ، ومشوية ، وأنها^(٨) تغلو غذاء حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصائد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيبهم الشر من السنائر .

(٣) ط ، هـ : « يتنذر » وهذا القول لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تغلو الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤبة ، وعنده جِرْدَانٌ قد شَوَّاهُنَّ ، فإذا هو يأكلهنَّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنَّ خَيْرٌ من البرابيع والفُصَّابِ وأطيبُ ؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولُ الحَيَاتِ^(١) في الصُّدُورِ من جهة السُّمُومِ ، لكانت من جهة التَّقْدُرِ^(٢) أسهلَ أمراً من الجرذان .

(أكل الذِّبَّانِ والزَّنايرِ)

وناسٌ من السُّفَّالَةِ^(٣) يأكلون الذِّبَّانَ . وأهلُ خُرَّاسَانَ يُعَبِّونَ بانخاذ البَزِّ ماورد^(٤) من فِراخِ الزَّنايرِ ، ويعافون أذنانَ الجرادِ الأعْرَابِيَّ السمين . وليس بين رِيحِ الجِرَادِ إذا كانت مشوِّيةً وبينَ رِيحِ العقاربِ مشوِّيةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرَّائِحَةِ^(٥) : خبيثتها خبيثها ، وطيبها لطيبها . وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشوِّيةً ونَبِيئَةً ، أنها كالجرادِ^(٦) السَّمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التَّقْدُرُ » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقالية » . وهو تخريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩) تنبيه الرابع .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفرخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة » ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوِّية ونية أنه ليس بينهما وبين الجرادِ الأعْرَابِيَّ السمين فرق .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجّه خدمته في طلب فراخ الزّناير ليأكلها .
وفراخها ضربٌ من اللّبّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأمّا لحوم البراذين فقد كثر علينا وفينا ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنّه لم يأكل أطيبَ من رأس برّذونٍ وسُرّيه . فأمّا السّرّة والمخرقة^(١) فلمنهم
يزلجون بها الجلّةاء والدّجاج : ويقدمون الأسرام المحشوة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً . فأمّا الرّق^(٢) والكوسج^(٣)
فهو من أعجب طعام البحريّين . وأهل البحر يأكلون البلبل^(٤) وهو اللّحم
الذى فى جوف الأصداف .
والأعرابي إذا وجد أسوداً سانحاً^(٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير فى كسميره^(٦) .

(١) المخرقة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرّق : سلخة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شربه ، وهو فى الماء شر
من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف المائى .
ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنتناس فى مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المملوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « البلبل » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(٥) الأسود السالغ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما ساقى فى حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرني كم شئت^(١) من الناس ، أنه رأى أصحابَ الجبنِ الرطبِ^(٢) بالأهوازِ وقرأها ، يأخذون^(٣) القطعة الضخمة من الجبنِ الرطبِ^(٤) ، وفيها ككواء الزناير^(٥) ، وقد تولَّدَ فيها الديدان ، فينفضها وسطَ راحته ، ثم يقمحها^(٦) في فيه ، كما يقمحُ السويقَ والسكرَ ، أو ماهو أطيبُ منه .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النِّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِلَنبِهِ فَنهَضْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مطلقاً في ص ٢٤ : « وقد خبَّرنا من لا يحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلاً ، هو لغة رديئة حكاهما ابن مسعود ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يدلهم كم أهلكتنا » . انظر معنى اليبس .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (٣ : ٢٢٢ ص ٩) . والمراد به ذلك النوع المالح من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويحفظونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالسكر : جمع كوة بالفتح ، وهي الخرق في الحائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سمع : استقه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ لِكَيْدِهِمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿١٧﴾
وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أُبلغُ في الأمثلة والشُّعْر ، مِمَّنْ (١)
جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهلياً ووحشياً ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .
وكلها لا تقبل الأدب . وإنَّ الْفُهُودَ وهى وحشيةٌ تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازي ، والشَّواهين ، والصقورة (٣) ، والزُّرْق ، واليُؤْيُ ، والعقَاب ، وعَنَاقِ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيات . ثُمَّ يفضلها الفهدُ بِخَصْلَةٍ غريبةٍ
وذلك أنَّ كبارها ومسائها أَقْبَلُ لِلآدَابِ ، وإنْ تَقَادَمَتْ في الوحش (٥) ،
مِنْ أولادها الصغار ، وإنْ كانت تقبل الأدب ؛ لأنَّ الصغيرَ إذْ أَدَبَ
(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحره ، وحر - يفتتين وبضمة - وحمور ، وهرات ،
وحموراء . جاء في ط : « كالحمير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صادهما ،
وصقر بالضم . ط ، هـ : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل
إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٢٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصم من الفهد حسن الصورة ، لونه أحر ،
وفي أصل كل من أذنيه شمرات سود ، يصيد كل شيء حتى الطير ، ويسمى أيضاً
الثقة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإنجليزية : Caracal . وفي الأصل :
« عناق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباحج الفكر ، نسخى الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منها .

فبلغ ، خرج خبيثاً مؤاكلاً^(١) ، والمسنّ الوحش^(٢) يخلص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخزير وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدب على حال ، حتى كأنه - وإن كان بهيمة - في طباع ذنب .

وذلك أن أعرابياً أخذ جرو ذنب وكان التقطه التقاطاً ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما ، وهو غر لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربّيتاه وألفناه ، أنفع لنا من الكلب . فلما شبّ عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابي :

اَكَلْتُ شَوَيْتِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَنَ أَذْرَاكَ أَنْ أَبَاكَ ذَيْبٌ^(٣)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وخشيتين [كانا^(٤)] ثم من أشدّ الوحش توحشاً ، والزئمة للقفار ، وأبعدهما من العمران . والذئب أغدر من الخزير والخنوص^(٥) ، وهما بهيمتان .

(١) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيباً » ه : « جينا » ، صوابه في س . وانظر ما سيأتي في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن مجوز أعرابية عند النعماني . والشعر فيه :

بقرت شويتي وضجعت قلبي وأنت لثاتنا ولد ديب
غليت بدوها ودييت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضرورية ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كنوز : ولد الخزير .

(ضرد الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فَمَا ظَنُّكَ بشيءٍ يُتَمَقَّى له الأسد ؟ ! وذلك أن الخنازير^(١) إذا كانت بقرب ضياع قوم هلكَتْ تلك الضياع ، وفَسَدَتْ تلك الغَلَات . وربما طلب الخنزير^(٢) بعضَ العروقِ المدفونةِ في الأرض فيخربُ مائةَ جريبٍ^(٣) ، ونابه ليس يغلِبُه معول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاءُ تَمَنَّوْا أن يصيرَ في جَنَّتِهِمْ^(٤) أسد . ولربما صار في ضياعهم الأسد فلا يَسْبِجُونَهُ ، ولا يؤذُونَهُ ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفرَ له زِيَةً^(٥) منعه أشدُّ المنع ، إذ كان رَجْمًا حَسَى جانبِهِمْ من الخنازير فقط . فَمَا ظَنُّكَ بإفسادها ، وما ظَنُّكَ بهيمةٍ يُتَمَقَّى أن يكون بدلًا^(٦) أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخننازير بالسَّلاح ، وبالألآتِ والأدوات التي تقتلُ بها ، فرَّبما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذي لا يندمل ، لأنَّهُ لا يضربُ بنابه شيئاً إلَّا قطعَهُ ، كائناً ما كان . فلو قتلوا في كلِّ يومٍ منها مائةً وقتلتُ في كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان في ذلك عوض .

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإنفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وسبائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .

(٤) الجنة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

١٧ وانخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة^(١) ؛ لأنها تطلب آخرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل^(٢) ذلك وبعده ؛ لبُرُوز^(٣) الناس للغائط . فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر^(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها في^(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرّزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بمخزير الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأزوع من الخنزير ، ولا أكّد للفارس ، ولا أشدّ إعتاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فإنما قُبِحَ وجهه فلو أن القُبْح والإفلاس ، والغدر والكذب ، نجسدت ثم تصوّرت^(٦) لما زادت على قبح الخنزير . وكلّ ذلك بعض الأسباب التي مسّخ لها الإنسان خنزيراً .

وإن القرد لمسيح الوجه ، قبيح كل شيء^(٧) . وكفأك به أنه للمثل المضروب - ولكنّه في وجه آخر مليح . فليح^(٨) يعترض على قبحه

- (١) الجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة .
- (٢) الواو ليست بالأصل ، وأثبتها من مباحج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
- (٣) كذا في ط ، هـ ومباحج الفكر . وفي س : « لخروج » .
- (٤) أسحر ، بالسّين : صار في السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباحج الفكر .
- (٥) في الأصل : « إله » ، وصوابه في مباحج الفكر .
- (٦) كذا في ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « نجم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابها ما أثبت . وانظر سائر القول .
- (٧) في ثمار القلوب : « قبيح في كل شيء » .
- (٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحه ، يقال : ملح ملحاً وملاحه .

فِيَا زُجَّةُ وَيُصْلِحْ مِنْهُ . وَالْخَزِيرُ أَقْبَحُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ ضَرْبُ مُصَمِّتٍ بِهِمْ ،
فَصَارَ أَسْمَحَ بِيَعِيدٍ .

(وَيْبُ الذِّكُورَةِ عَلَى الذِّكُورَةِ)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، ثَمَّنَ طَالَ ثَوَاؤُهُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَ
صَاحِبَ أَخْبَارٍ وَتَجَرِبَةٍ ، وَكَانَ كَلَفًا بِحَبِّ التَّيْنِ^(١) ، مَعْرِضًا لِلْأُمُورِ ، يَحِبُّ
أَنْ يُفَضِّلَ إِلَى حَقَائِقِهَا ، وَتَثْبِيتِ أَعْيَانِهَا بِعِلْمِهَا ، وَتَمْيِيزِ^(٢) أَجْنَاسِهَا ، وَتَعْرِفِ
مَقَادِيرِ قَوَاهَا ، وَتَصَرِّفِ أَعْمَالِهَا ، وَتَنْقُلِ حَالَاتِهَا ، وَكَانَ يَعْرِفُ لِلْعِلْمِ قُدْرَهُ ،
وَاللِّبَانِ فَضْلَهُ .

قَالَ : رَبَّمَا رَأَيْتَ الْخَزِيرَ الذَّكَرَ وَقَدْ أَلْجَأَهُ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ خَزِيرًا
إِلَى مَفْطِيقٍ ، وَإِلَى زَاوِيَةٍ ، فَيَتْرُونَ عَلَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا^(٣) ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهُمْ .
وَعَبَّرَنِي هَذَا الرَّجُلُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَأَصْحَابِ الْفِكْرِ ، أَنَّهُمْ رَأَوْا
مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ^(٤) الْحَمِيرِ . وَذَكَرُوا أَنَّ ذَلِكَ إِمَّا تَأْنِيثٌ فِي طَبْعِهِ ، وَإِمَّا أَنَّ
يَكُونُ لَهُ فِي أَعْيُنِهَا مِنَ الْإِسْتِحْسَانِ شَيْءٌ بِالَّذِي يَعْتَرِي عَيُونََ بَعْضِ الرِّجَالِ
فِي الْغُلَمَانِ ، وَالْأَحْدَاثِ الشَّيْبَابِ .

وَقَدْ يَكُونُ هَذَا بَيْنَ الْقَرَانِقِ وَالْكِرَاكِي . وَالتَّسَاوُدِ بَيْنَ الذَّكَرِ
وَالْأُنْثَى . وَالسَّافِدِ وَالْمُسْفُودِ إِذَا كَانَ مِنْ جَمِيعِ الذِّكُورَةِ ، كَثِيرٌ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « التَّيْنِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَتَكَرَّرُ كَثِيرًا . وَإِنَّمَا هُوَ « التَّيْنِ » بِمَعْنَى
إِنْتِفَهِمِ وَالْإِكْتِنَاهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَتَمْيِيزِ » .

(٣) يَدُلُّ فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ ، وَكَلَامِ نَهَايَةِ الْأَرْبِ (٩ : ٣٠٠) : « ثُمَّ يَنْزُو عَلَيْهِ
الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى » .

(٤) س : « فِي » .

الحَيَّوان ، إِلَّا أَنَّهُ فِي جَمِيعِ الْخَنَازِيرِ وَالْحَمِيرِ أَفْشَى . وَأَمَّا ^(١) تَسَافُدُ الْحَمَامِ
الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لِلذَّكَرِ ^(٢) ، فَأَكْثَرُ مَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَنَازُعٌ .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف
واحد ^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنياب في نابه من القوة والذرب
ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والقهد ، والكلب .
قال : والإنسان يليق أسنانه ^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .
قال : والخنزير لا يليق أسنانه ألبة .

(من لم يشفر)

ويقال : إنَّ عبد الصمد بن علي ^(٥) لم يشفر قط ^(٦) : وأنه دخل قبره
بأسنان الصبأ .

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس
ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا حل الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يليق أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن حل بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ،
ولي الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقدم بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شفر ، بالبناء للمجهول ، وأشفر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر
العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، ممطولة^(١) في نفس العظم . وذلك مما توصف به أسنان الحية . قال الشاعر :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَّاقِي رَحِييَاتٍ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوِي شَأْنَهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّئْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَفَلَكَ .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يحمّد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ،
وأما ما كان كثير الثرب^(٤) فمرقته يحمّد^(٥) ، مثل مرق لحم الغرزي .

(١) المطل : أصله المبك والطبع . ط ، هـ : « ممطولة » وصوابها من س
ومما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسعاد في هذا الجزء ص ١٨٠ و ٢٨٢ .

(٣) يحمّد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يحمّد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى
الدم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة
معرفة في الأصل ، فهي في ط ، س « يحمّل » وفي هـ : « يحمّد » . وكتب
في هامشة س : « خ يحمّد خ تحمّد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يمتلئ السكرش والأعلاء .

(٥) في الأصل : « تحمّل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدعُ خنزيراً إلا قتله ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلده ، ثم يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكره الخنازير تطرد الذكور عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباشُ والثيروس في أقطيعها ، وهي قبل ذلك الزمان^(١) متسالة .

(ما يمرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة^(٢) لا يدعُ جلاً ولا إنساناً يدنو من هجمته^(٣) .
والجمل خاصةً يكره قرب الفرس ، ويقااله أبداً .
ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأن بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفر كل واحد بليوته . وإذا كان للذئبة الأنثى جراء^(٤) ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان ، والفيلون يحمونها التزو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعرأها هيج لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه في القبيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنيهما لا يجهلان على الناس ؛ لمكان الألفة .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، هـ : الحالات .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولعاً . س : جرى ، صغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئ ریحاً في زمانٍ هينِجها ، فلا يباعدون الذُّكُورَ عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضت ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضُ لإناث الخنازير . فإذا ^(١) كان زمنُ هياج الخنازير ، تطاطى رءوسها ، وتحرك أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغير أصواتها إذا طلبت السَّفاد . وإذا طلبت الخنزيرة السَّفادَ بالت بولاً متتابعاً .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خنوصاً ^(٢) . وإذا وضعت أجراً كثيرة لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها . قال : وإناث الخنازير تحمل بين نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذَّكَرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخى أذنانها . فإذا فعلت ذلك ^(٣) تكفى بنزوة واحدة .

ويُعلَفُ الذَّكَرُ الشَّعِيرَ في أوان التَّزْوِ ، ويصلح للأنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والحافر كله في ستة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كمنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فمتد ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تمَّ له ثمانية أشهر ، والأُنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تمَّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا تنجى كما يريدون . وأجود النِّزْو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة ^(١) بكرا ولدت جِراء ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَشْعُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير ^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيلَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ ﴾ ^(٣) .

(١) ط : « الخنزيرة » بالصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأعماء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى ما رفع الصوت لغيره ، كفولهم : باسم اللات والعزى عند ذمه . والموقوذة : المضروبة بنحر خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التي تردت من علو أو في بئر فانت . والنطيلة : التي نطحتها غيرها فانت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماس بالأزلام على الجزور .

ثم قال : ﴿ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْهَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^(١) أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ تحتل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرُّ والشعير والأرز طيب ، فلما يريدون أنه وسط ، وأنه فوق اللُّون . ويقولون : فم طيب الريح ، وكذلك البرُّ ، يريدون أنه سليم من اللُّتْن ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلال طيب ، وهذا لا يحل [لك ^(٢)] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حل لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف عل : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » تمت كلفظ ويقط ، و « عبيد الطاغوت » ، و « عبيد الطاغوت » جمع كخلف . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، بجرورة فى القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .
(٢) الزيادة من هو ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستنباد حيث يصح ترك الواو والفاء وتحرهما ، فى أول الاستنباد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد عبد شاكِر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لعم الطيبات » والثلاثة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والثلاثة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : قاتلوا المشركين حيث وجدتمهم » والثلاثة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المَغْنِيُّ لبعضه^(١) ولد عُمَانُ بْنُ عَفَانَ^(٢) : لَقَدْ شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمِّكَ الْمُبَارَكَةَ إِلَى أَيْبِكَ الطَّيِّبِ . يَرِيدُ الطَّهَارَةَ . وَلَوْ قَالَ : شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمِّكَ الطَّيِّبَةَ إِلَى أَيْبِكَ الْمُبَارَكِ ، لَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ قَوْلَكَ طَيِّبٌ إِنَّمَا
يَدُلُّ عَلَى قَدْرِ مَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :

وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدُ الْأُزْرِ^(٤)

وَقَدْ يَخْلُو الرَّجُلُ بِالرَّأَةِ فَيَقُولُ : وَجَدْتُهَا طَيِّبَةً . يَرِيدُ طَيِّبَةَ الْكُومِ^(٥)
لِلذِّبَةِ نَفْسِ الْوُطَةِ . وَإِذَا قَالُوا : فَلَانَ طَيِّبَ الْخُلُقِ ، فَلَمَّا يَرِيدُونَ الظَّرْفَ
وَالْمَلْحَ^(٦) .

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرَبِّكُمْ بِرَبِّكُمْ
طَيِّبَةً ﴾ ، يَرِيدُ رَجُلًا لَيْسَتْ بِالضَّعِيفَةِ وَلَا الْقَوِيَّةِ .

- (١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أشام من طويس » وذلك أنه - كما يقولون -
ولد يوم قبش الرسول ، ونظم يوم وفاة أبي بكر ، وشحن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من نفي بالمدينة فناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .
- (٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينما أسن ، أنا أو أنت
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في البيان : « بآي أنت وأمي ، لقد . . . إلخ .
- (٣) هو الخرنق بنت عفان ، من مريثة لما ترى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
القيسي ، وأبناها علقمة ، وأخويه حسان وشرجيل ، ومن قتل معهم من قومهم .
المزناة (٢ : ٣٠٦ يولات) .

(٤) صدر البيت :

• التازلين بكل مبترك •

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاي للشر . وهو ما ستر النصف الأسفل من

الإنسان . ولعلهم أضافوا : ط : « الأرز » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطه .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ مِنْهُ مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذ^(١) كانت طيبة المواء والقواكير ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الْحَبِثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليل على أن التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط ، عليهما السلام : على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدل ذلك على أنه لم يعن الخيانة في الفرج .

وقد يقع اسم الخيانة على ضروب : أو لها المال ، ثم يشتق من الخيانة في المال الغش في النصيحة والمشاورة . وليس لأحد أن يوجه الخبر إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرّم الرُّسل ، على أسمع الوجوه ، إذا كان الخبر مذهب في السلامة ، أو في القصور على أدنى العيوب^(٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تنحط إلى الفرج حتى^(٣) تبدى بالمال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لما وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
 نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عز وجل : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
 بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
 ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
 أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
 زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
 خَيْرِيَّةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْرِيَّةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
 ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ
 مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقله : طيب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
 ذلك ^(١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
 أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
 ٢١ أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهٖ قُلُوبَ اضْطَرَّ غَيْرَ بَآغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
 ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التّحريم ، فلمّا
 ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتة
 أو ذكر الذّابح عليه اسم الله ، أنّه رِجْسٌ ^(١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلّا الذى
 خصّه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
 ذلك القول ليس ممّا يضرّ الخنزير ، وفيه التّجر عن محارمه ، والتّخويف

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنّه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إِنْ قِيلَ ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخ صورة القرد ،
فهيلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرم ، ثم خصه أيضاً أنه من بينها
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إن العرب لم تكن تأكل القرد ،
ولا تلمس صيدها للأكل . وكل من تنصر من ملوك الروم والحبيشة
والصين ، وكل من تمجس من ملك أو سوق ، فإثم كانوا يرون للحم
الخنزير ^(٢) فضيلة ، وأن لحومها تما تقوم إليه النفوس ، وتنازع إليه
الشهوات . وكان في طباع الناس من التكره للحوم القرد ، والتقدير ^(٣)
منها ما يغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو
ذكر ذلك وألحق القرد بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدير ، ولا ^(٤)
غير ذلك .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظفرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْعِزِّ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض في المطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) غير منه : « التقرز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالنظر الخلب والهاقر أيضاً . والمراد بالشحوم
شحوم الثروب وشحوم الكل . حملت ظهورها : أي ما علق بظهورها من الشحم .
والحوايا : الأمعاء ، واحداها حاوية . والشحم الذي اختلط بالعظم هو شحم الألية .
لاتصاله بالعظم . ط يمد : . . . عليهم شحومهما : كلمة « الآية » . وجات
مرودة في س ، هـ إل « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك ^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فنها ما يكون كالكذب والظلم والغش ^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين ^(٣) بأن خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يبيع ^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا إنما يحرم بعيته وبذاته ، لأنه ^(٥) حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .
وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فلما أريد أن أضرب بها القتل ثم أحبيهما جميعاً . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ، فلمأ ذهبوا مذهب التلكل والتعلل ^(٦) ، ثم التعرض ، والتعنّت ^(٧) في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليظ القرض ^(٨) .

(١) كذا حل الصواب في س ، هـ . و في ط : « أنبأك » .

(٢) الغش : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يبيع » وكلمة « أن » مضحكة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلكل : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكي » هـ : « التلطي »

سوايه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العذر . ط : « التليل » ؛ سوايه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التصل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أمثلة ثلاثة ، فكلما سألوا مؤالا زاد عليهم التكليف .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَلَأَ طَاقَةً لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون ^(١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستقبال .
وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ ^(٢) .
(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد ^(٣) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خَذْلَكُمْ ^(٤) كَشَى خِزِيرَةً إِلَى عَذْرَةٍ ^(٥)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بأذى به لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقق الذي سقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلمكم » ، وصوابه « خلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٢٩) .

(٦) ط : « عذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر^(١) :

نِعْمَ جَارُ الْخَزِيرَةِ الْمَرْضِعُ الْفَرْقَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ^(٢)
طَاوِيًّا قَدْ أَصَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثَرِيدٍ مُلَبَّسٍ مَأْدُومٍ^(٣)
ثُمَّ انْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّيْءِ سِرًّا قَالَتْ كَالْمَقْلَفِ الْمَهْدُومِ
(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن^(٤) : وقد جريرٌ على هشام ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ
يشتمه ؟ فقالوا : ما أحدٌ يُقَدِّمُ عليه ! قال : فأننا أشتمه ويرضى ويَضْحَك !
قال : فقام إليه فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قَرَبَ اللهَ دَارَكَ
ولا حَيًّا مَزَارَكَ ! يا كَلْب ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثم قال له : رَضِيتَ في
شرفك وَفَضْلِكَ وَعَفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقَرَدَ الْعَاجِزَ^(٥) ؟ ! يعني الفرزدق . فضحك .
فحدث صديقٌ لي أبا الصَّلَعِ السُّنْدِيَّ^(٦) بهذا الحديث ، قال : فشعري
أعجبٌ من هذا ، لأنني شتمت البُخْلَاء ، فشتمت نفسي بأشدَّ مما شتمتهم .
فقال : وما هو ؟ قال قولي :

لَا تَرَى بَيْتَ هَجَاؤٍ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِنِّي
الْمِجَا أَرْفَعُ يَمْنًا قَلْبُهُ يَصْغُرُ عَنِّي^(٧)

-
- (١) هو الحكم بن عدي ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
(٢) الفرقى ، بالنين : جمع فرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرقى » صوابه في ط ،
س والبيان (٣ : ٣١١) .
(٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملق » . والمأدوم : المخلوط بالآدم بالهم ، وهو
ما يخلط به الخبز .
(٤) هو أبو الحسن المدائني الأحمدي الراوية .
(٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت حافي س ، هـ .
(٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين ١٦٤ ليسبك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم
٣١١ باسم « أبو الصلغ » في حرف الصاد المعجمة . هـ : « الهني » .
(٧) س : « ينقص عني » .

(طرفة)

قال أبو الحسن : كان واحداً يسخر بالناس ، ويدهي أنه يرفي من الضرس إذا ضرب على صاحبه . فكان إذا أتاه من يشتكي ضرسه قال له إذا رماه : إياك أن تذكر إذا صرت إلى فراشك القرد ، فلأنك إن ذكرته بطلت الرقية ! فكان - إذا أوى إلى فراشه - أول شيء يخطر على باله ذكر القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوجع ، فيخدو إلى الذي رماه ٢٣ فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بيتٌ وجعاً ! فيقول : لعلك ذكرت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : من ثم لم تنتفع بالرقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخٍ أشربَ وإن كانت محققة عُقاراً^(١)
وإن ياكل أبو فروخٍ أكُلْ وإن كانت خنانيصاً صغاراً^(٢)

(١) انظر الكلام على صرف وفروخه اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى .
والعقار ، بالضم : الحمر ؛ لمعقتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها من المشى .

(٢) الخنانيس : جمع خنوص ، كمنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في ميوحة الأخبار (٣ : ١٦) . والثاني صهما في اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية^(١) :

فَمَنْ مَبْلُغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانُ
تَلَقَّى أَبَا قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطَعَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ خُفَّانُ^(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزع من مجاء قط كجزعه من

بيت حماد عَجُودٍ ، حيث يقول :

وَيَا أَهْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَجَى الْقِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، « وأمال الزجاجي ٤٦

والخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأوب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ :

٧٧) أن القائل يفسر شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . والبيتين قصة طريفة

فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلبس به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر

به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت

الفرسان في طلبه فتجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية فليس علينا إن هلكت عيان

فقلت من الشخص الذي سبقت به جياذ أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتي

عن نهاية الأوب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعلم مالا يخفى به من أحد ؛

حق إنه ديب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمار والمسابقة عليها .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في الخصص . بها : أي بالأتان .

(شعر في الهجاء)

وقال بَشِيرُ بْنُ أَبِي جَذِيمَةَ الْعَبَسِيُّ^(١) :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةً وهل يستعدُّ الْقُرُودُ لِلْخَطَرَانِ^(٢)
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا وَلَوْ لَمْ قُرُودٌ وَسَطُ كُلِّ مَكَانٍ
لَقَدْ سَمِعْتُ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ مِيمانٍ^(٣)

الْأَصْمَعِيُّ^(٤) عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ^(٥) عَنْ أَبِي السَّلِيلِ قَالَ : مَا أَبَالِي أَخْزِرًا
رَأَيْتُ يُجْرُ بِرَجْلِهِ^(٦) ، أَوْ مِثْلُ^(٧) عَيْدٍ يَنَادِي : يَا لَ فُلَانِ !

(١) هو بَشِيرُ ، هَيْثَةُ الصَّغِيرُ ، ابْنُ أَبِي جَذِيمَةَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ زُهَيْحِ بْنِ جَذِيمَةَ الْعَبَسِيِّ ، ذَكَرَهُ الْأَمَلِيُّ فِي الْمَوْثُوفِ وَالْمُخْتَلَفِ ٦٦ . وَرَوَى لَهُ أَبُو تَمَامٍ الْأَبْيَاتَ الْآتِيَةَ فِي حَمَلَةِ (٢ : ١٨٢) . وَفِي الْأَصْلِ : « بَشِيرُ بْنُ الْحَمَلِيِّ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ غَيْرُ صَالِحٍ .

(٢) تَخْطُرُ : مِنْ خَطَرَ الْهَجَرَ : ضَرَبَ بِذَنَبِهِ مِيمَانَ وَشَمَالًا . وَالْكَبْرَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْحِطَّةُ ، أَوْ التَّجْبِرُ . يَقُولُ لِقَبِيلِ حَلِيمٍ : اتَّحَدُّثُونَ أَنْفُسَكُمْ بِمِيزَانَةِ الْأَشْرَافِ ؟ ! وَجَلَّهْمُ قُرُودًا نَحْسَهُمْ . وَالْقِرْدُ لَا ذَنْبَ لَهُ يَخْطُرُ بِهِ . وَرَوَايَةُ الْحَمَاسَةِ : « أَتَخْطُرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدُ حَذِيمٍ » .

(٣) سَأَلَ أَبُو النَّثِيِّ مِنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ : كُنْ بِالْقِرْدَانِ هُنَا عَنْ الْقَتْلِ . أَيْ سَمِعْتُ أَجْسَادَكُمْ وَعَظْمَتَكُمْ ، وَدَقَقْتُ أَحْسَابَكُمْ وَلَوْ لَمْ . وَأَصْلُ الْقِرْدَانِ ، بِالْكَسْرِ : جَمْعُ قِرْدٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ دَوْبِيَّةٌ تَلْزَمُ الْإِبِلَ وَمَعَاظِمَهَا . وَرَوَاهُ أَبُو تَمَامٍ : « قَتْدَانُكُمْ » جَمْعُ قَعْدٍ ، وَهُوَ الذَّكَرُ الشَّابُّ مِنَ الْإِبِلِ . جَعَلَ قَتْدَانَهُمْ سَمِيَةً لِأَنَّهُمْ يَوْثُرُونَهَا بِالْأَيْنِ عَلَى الْقَيْفِ وَالْجَارِ ، فَأَحْسَابُهُمْ غَيْرُ مِيمانٍ . وَقَدْ رَدَّ أَبُو عَمْرٍو الْأَمْرَ إِلَى رَوَايَةِ أَبِي تَمَامٍ . الْقَبْرِيزِيُّ (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س ، ه .

(٥) س : « ابْنُ الْأَشْهَبِ » .

(٦) س : « بِرَجْلَيْهِ » .

(٧) س : « تَحِيلُ » .

(استطراد لنوى)

الأصمعي عن أبي ظبيان^(١) قال : الخوز^(٢) هم البناة^(٣) الذين بنوا
الصرح^(٤) واسمهم مشتق من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ،
فجعلت العرب خوك^(٦) خوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و [قد] قال الناس في المسخ بأقوايل مختلفة : فهم من زعم أن
المسخ لا يتناسل ولا يبق إلا بقدر ما يكون موعظة وعبرة ، فقطعوا على
ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضب
والجرى^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأمم
التي مسخت في هذه الصور . وكذلك قولهم في الحيات .
وقالوا في الوزغ : إن أباهما^(١٠) ، لما صنع في نادر إبراهيم وبيت المقدس
ما صنع^(١١) ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

- (١) لم أشر له على تعريف .
- (٢) هذه الكلمة ساقطة من س . ويدل على ط : « الخوز » صوابه ما أثبت من
هو ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .
- (٣) البناة ، بالضم : جمع بان . ويدل على المعجم : « الفعلة » ط ، هـ : « البنات » بحرفه .
- (٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر مجتصر . من المعجم .
- (٥) في الأصل ، وهو هنا س : « خزر » وتصحيحه من معجم استنباس
وريشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .
- (٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .
- (٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .
- (٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعا .
- (٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله
انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ ص ٥) .
- (١٠) س ، هـ : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية
قصلا لذلك ، عنوانه : (فصل في إجراء غير بني آدم مجراما في الإخبار عنه) .
- (١١) في سنن ابن ماجه ، من عائشة رضى الله عنها ، أنه كان في يبتها ربح موضوع ، فقيل =

نرى^(١) هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والدّئاب ، إذا خافها على المسلمين .
وقالوا في سبيل^(٢) ، وفي الزّهرة^(٣) ، وفي هاروت وماروت^(٤) ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين^(٥) ، وجُرمهم^(٦) ، ما قالوا .

— ما : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صل الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أتى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا ألقَتْ عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفض عليه النار ، فأمر صل الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مستدركه . وكذا روي أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفضه . المعيرى .

- (١) س : « يرى » .
- (٢) سهل ، ذلك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وبما يشبه هذه الخرافة ما زعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً . الزهرة : ذلك السكوكب . زعموا أنها كانت بغياً عرجت إلى السماء بأيم الله الأعظم فسحقها الله شباباً - تأويل مختلف الحديث ١٠ .
- (٣) زعم الروم ، متبعين حكاية اليهود ، أنها ملكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فخرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التضييع السابق وتفسير اليساوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا صعد به في السماء ، أميطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع هاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيه — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآني فيهما أنها ملكان أزلا لتعلم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمسيحة ، وكانا يقولان لمن يملأنه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم لعل لا لعل ؛ فعلم السحر لا يأس به ، وأما العمل به فمخطوئ منوع .
- (٤) وكذا جاما بالياء الموحدة في فقه اللغة بلون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبرلى . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسي : « قيرى وعيرى » بالثلاثين الصحيحة . وفي ط : « قيرى وعيرى » و هـ : « قيرى وعيرى » و س : « يرى — مهمل — وعيرى » أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء في الأصل بعده : « وفي أبوى » . وكلمة : « في » مقسمة كما ظهر في ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .
- (٥) جرهم هذا هو ابن يقطن بن حابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب بني

(القول في المسخ)

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ : فَأَمَّا الدُّهْرِيَّةُ ٢٤
فَهُمْ فِي ذَلِكَ صِنْفَانِ : فَهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمَسْخَ وَأَقْرَبَ بِالْخَسْفِ ^(١) وَالرَّيْحَ
وَالْعُطُوفَانَ ، وَجَعَلَ الْخَسْفَ كَالزَّلَازِلِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقْرَأُ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ
مِنَ الْبَرَدِ الْكِبَارِ ^(٢) ؛ فَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ . وَقَالَ :
لَسْتُ أَجُوزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَتْ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْشُرُ
الْمَسْخَ الْبَيْتَ .

(أثر البيئة)

وَقَالَ الصَّنْفُ الْآخَرُ لَا تَنْسَكِرُ أَنْ يَفْسُدَ الْهَوَاءُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي
فَيَفْسُدَ مَاؤُهُمْ ^(٣) وَتَفْسُدَ تُرْبَتُهُمْ ، فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي طَبَاعِهِمْ ^(٤) عَلَى الْأَيَّامِ ،

« العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت دفقة من جرهم
فزلزلوا شهاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب
إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاض بن عمرو الجرمي .
والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصي الله فأهبط إلى
الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) :
١٨٧ ص ٧) . والعرب يسبون ما تولد بين الملك والأدنى — في زعمهم — .
« الملبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الخليل .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا
به وبداره الأرض » .

(٢) أي أنه يجوز عندنا أن تقلب السماء على الناس برداً كبيراً . فأما سقوط الحجارة
من السماء للعصيان فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم
على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأطرنا عليها
حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأطرنا عليهم
حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لئلا نرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٣٣ .
في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماؤهم » ، صوابه فـ س .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالية^(١) ، وطباع بلاد أيجوج ومأجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل والدواب وجميع ما شئتهم : من سبع وبهيمة ، على طبائعهم . وترى جرادة البقول والرياحين وديانها خضراً ، وراها^(٣) في غير الخضرة على غير ذلك . وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وراها في رأس الشيخ الأبيض الشعر بيضاء ، وراها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الجملي الأورق^(٤) . فلماذا كانت في رأس الخفيف بالحرمة رها حراء . فإن نصل خصايه صار فيها شكلة من بين بيض وحمر .

وقد نرى حرة بنى سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ، وبهيمة وطائر ، وحشرة فراها كلها سوداء .

(١) الصقالية : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين

خصائصهم المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين المسعودي طبائعهم بأنهم في عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو رها » س : « وراها » .

(٤) الشط محركة : بياض للرأس يتخالط سواده ، ويشتمل أيضاً في غير الرأس . وكلية ، شطاء ، والواد يهبط ليطا في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف ص ٤٧ حيث نجد مثل هذا الكلام : « شها » . والشهية نحو الشط . والأورق من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحرمة . وفي الأصل : « شكله » محرف .

(٦) الحرمة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم ، هو هيئة الصنير - ابن منصور بن حكيم بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرمة في عالية نجد . وانظر للكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرمة ، في رسائل الجاحظ ٧٨ ساسي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط
بيسان^(١) ، ولم أذنب إلا تكن كأذنب التماسيح والأسد والبقر والخليل
وإلا كأذنب السلاحف والجُرَذان ، فقد كان لهم عجب^(٢) طوال
كالأذنب .

وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجفريات^(٣) على وجهه شبه
القرود . وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ ،
إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد ، والماء الخبيث ، والتربة
الردئية ، ناساً في صفوة هؤلاء الغربيين^(٤) والأنباط ، ويكونون جهالاً ،
فلا^(٥) يرتحلون ؛ ضئالة^(٦) بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك
عليهم زاد في تلك الشعور ، وفي تلك الأذنب ، وفي تلك الألوان الشقر ،
وفي تلك الصور المناسبة للقرود .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض ، أن الموضع
الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور
القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت في مهب الريح الشمالي ، والأخرى

(١) بيسان ، هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر في معجم ما استعجم ١٢٨٣
في رسم (بيسان) بالميم .

(٢) العجب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كلما . والمعروف : الجفرة ، وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو اللان ،
أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « للشويعين » . وأثبت ما في س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضئالة بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يضل .

في مهبط الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهر واحد ، ويجوز ٢٠
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلستنا ننكر المسخ إن كان على هذا الترتيب ، لأنه إن كان على
مجرى الطبائع ، وماندور به الأدوار ، فليس ذلك يناقض لقولنا ، ولا مثبت
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتم ليس بمحال ، ولا يُنكر أن يحدث
في العالم برهانات ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم . ولولا ذلك لكان الذي
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثم خبر بذلك نبي^(٣) ، أو دعا به نبي^(٤) ، لكان ذلك أعظم الحجة .

فأما أبو بكر الأصب^(٥) ، وهشام بن الحكم^(٦) ، فلهما [كانا^(٧)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنه إذا جاز أن يقلب الله خردة من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٨) [أو عرضاً^(٩)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(١٠) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الجعفي في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفهمهم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهيثم المعتزلة وأقدم منه . لسان الميزان

(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بخط الوابو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنه من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه ^(١) قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قولٌ جميع من قال بالطَّائِع ولم يذهب مذهب جهنم ^(٢) ، وحفص الفرد ^(٣) .

وقال ابن العنسي ^(٤) يذكر الفرد :

فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حِذِيمٍ تَوَائِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون ^(٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ، فهم من أراد الطَّعْنَ ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة التَّعْيَا ، إذ ^(٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ ﴾
فذكر اللَّحْمَ دونَ الشَّحْمِ ، ودونَ الرَّأْسِ ، ودونَ المَخِّ ، ودونَ العَصَبِ ،

(١) أي القلب والمخ .

(٢) هو جهنم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « الفردى » ، وفي لسان الميزان ٢ : ٢٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « الفرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع . قال ابن النديم : « من الهبرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه فتأطره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العنسي » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب الضريح الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

ودون سائر أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك ^(١) الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصائصها بلفظ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في الخنزير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكْر اللحم والعظم فرق ، ولا بين اللحم والشحم فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرِّمَ عَلَيْكُمُ الميتةَ والدَّم والشَّحْمَ الخنزير ، أن تحرِّموا الشَّحْمَ ، وإنَّما ذكر ^(٢) اللحم ، فلم يحرمتم الشَّحْمَ ، وما بالكم تحرِّمونَ الشَّحْمَ عند ذِكْر غير الشَّحْمَ ! فهلَّا حرِّمتم اللحم بالسَّكَّاب ، وحرِّمتم ما سواه بالخبر الذي لا يُدْفَع ! ؟ فإن بقيتَ خصلة أو خصلتان مما لم تُصيِّبوا ذِكْره في كتاب منزَّل ، وفي أثر لا يدفع ، ٢٦ ردِّدتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للناس عادات ، وكلاماً ^(٣) يعرف كلُّ شيء بموضعه ، وإنَّما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لو كيله اشترى بهذا الدينار لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأثبِر باللحم فيه الشَّحْمَ والعظم ، والبرق والمصَب والغُفُروف ، والفؤاد والطَّحال ، والرَّتَّة ، وبيعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحم ، والسَّمَك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلْثُونَ نَفْلاً ﴾ . فإنَّ كان الرُّسُول ذهب إلى المستعمل من ذلك ، وترك بعض ما يقع عليه اسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه . فإذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال : لحم الشاة والبقرة

(١) في الأصل : « فكلك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » هـ : « وكلاماً ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنَّ رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان لهم مجاز ، إلا في المعاملات .

فلن قلنا : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلد إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخ ويُنحس^(١) فيتراهما كان به ملتزماً^(٢) ولم يكن ملتصقاً ، كفرق ما بين جلد الحوصلة والعرقين^(٣) .

فلن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخقة والموقودة والتردية والنطيجة وما أكل السبع^(٤) ، فإني أزعج أن جلده لا يُدبغ ولا يُتفَع به إلا الأساكفة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالمشقَب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه نجاراً إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمى العير لطيمة^(٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول : هذه ظعن فلان ، للهوارج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ، وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاتها السخ .

(٢) هـ : ملتصقاً ، وهمايان .

(٣) هـ : والعرقين ، عرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالـ كسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها :

واللطيمة : العير تحمل المسك والطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذي إليه يُقصد ، وصار في أعظم الأجزاء
قُدراً ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاء في اسمه . ولو كان الشحمُ معتزلاً من اللحم
ومفرداً في جميع الشحام ، كشحوم الكلى ^(١) والأثروب ، لم يجز ذلك .
ولذا تكلمت على المفردات لم يكن المتخلفا ، ولا الدماغ ، ولا العظم ،
ولا الشحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
المشبهة باللحم تدخل في باب العموم في اسم اللحم ، كان القول واقعا ٢٧
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صَبِيحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا فَالْهَامُ مَنْصُجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ ^(٢)
لَحْمٌ نَصِيحٌ لَا يَعْنِي طَابِخًا يُؤْنِي بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل في بعض الكلام ، فسنذكر
شأن الهدهد والمسألة في ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِضِينَ . لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ^(١) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
يعني الهدهد . فقال لسليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له — والعقوبة لا تكون

(١) في الأصل : « الكلا » وصاب كتابتها بالياء ، وهي جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين يجمعها دال مهملية : طعام الغدوة ، بالضم ، وهي أول النهار .

والهام : الروس ، واحدا هامة . والشحام : مطم الشحم .

(٣) لا يعني ، بالنون ، من الناء . وفي هـ ، س : « لا يعني » بالياء .

(٤) في الأصل : « أولا يأتيه » .

إِلَّا عَلَى الْمَعْصِيَةِ لِلشَّيْءِ أَذَى لَمْ تَكُنْ عَقُوبَتُهُ الذَّبْحَ ، فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَعْصِيَةَ
 إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ ، وَلَا تَكُونُ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ ، أَوْ مَنْ كَانَ يُمْكِنُهُ
 أَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ تَعَالَى فَتَرَكَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِقَةِ - وَفِي قَوْلِهِ لِسُلَيْمَانَ :
 ﴿ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَمِينًا . إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا
 تَمْلِكُكُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ
 عَرَفَ فَصْلَ (١) مَا بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ ، وَمَا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَعَرَفَ
 عَظِيمَ (٢) عَرْشِهَا ، وَكَثْرَةَ مَا أُوتِيتُ (٣) فِي مَلِكِهَا ، قَالَ : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقُوْمَهَا
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ الْمُنْ شَيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فَعَرَفَ (٤) السُّجُودَ لِلشَّمْسِ وَأَنْكَرَ الْمَعَاصِيَ . ثُمَّ
 قَالَ : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٥) ﴾ ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ سَجُودِهِمْ لِغَيْرِ اللَّهِ . ثُمَّ عَلِمَ
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ الْمُرَّ وَالْعَلَانِيَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ نَاسِرِهِ
 كَثِيرٍ مِنَ الْمَعْرِينِ الْمُسْتَدْلِينَ النَّاطِرِينَ .

قَالَ سُلَيْمَانَ : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾
 ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَيْهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
 يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ : هُوَ فَضْلٌ بِالضَّادِ الْمَجْمُوعُ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، بِمَعْنَى الْفَرْقِ .

(٢) فِي ط : عَظِيمٌ . وَالْوَجْهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ هُوَ ، س .

(٣) س : أَصْلَتْ .

(٤) أَيْ الْمَلَكُ .

(٥) قَرَأَ حَفْصٌ وَعَلَى وَكَاسَى بِاللَّهِ الْفَوْقِيَّةَ عَلَى الْخَطِّابِ ، وَالْجَائِقُونَ بِالضَّحِيَّةِ عَلَى الْغَيْبِ

فِيهِ التَّفْعُ ٢٤٥ وَابْنُ الْقَاصِحِ ٣٠١ .

وَأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَقْلُوا عَلَى وَآتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا
جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِيدُونَنِي ^(١) بِمَالٍ قُلُوبًا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بِهَا بَشِيرُونَ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَتْ : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدِيدٍ فَتَظَاهَرَهُ بِمِ بَرَجٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣﴾ ، [ثم ^(٢)] قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهَدُودِ :
﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤﴾ [و] قَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ ٢٨
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ
هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَمْ أَغْنِهِمْ بِشُكْرِ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ لَأَن زُبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٥﴾ . فَطَعَنَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ طَاعِنُونَ ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْهَدُودَ يَحْتَمِلُ الْعِقَابَ وَالْعَذَابَ ، وَالتَّكْلِيفَ
وَالثَّوَابَ ، وَالْوَلَايَةَ ^(٣) ، وَدُخُولَ الْجَنَّةِ بِالطَّاعَةِ ، وَدُخُولَ النَّارِ بِالْمَعْصِيَةِ ،
لَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ تُوجِبُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ ، وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ يُوجِبَانِ الطَّاعَةَ
وَالْمَعْصِيَةَ ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ يُوجِبَانِ الْوَلَايَةَ وَالْعِدَاوَةَ ، فَيُنْفِي لِلْهَادِدِ أَنْ
يَكُونَ فِيهَا الْعِدُوُّ وَالْوَلِيُّ ، وَالْكَافِرُ وَالْمُسْلِمُ ، وَالزُّنْدِيقُ وَالذَّهْرِيُّ ^(٤) . وَإِذَا

(١) قُرْآنُ نَافِعٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ بِإِثْبَاتٍ يَدْعُو بِهِ النَّوْنُ الثَّانِيَةَ وَصَلَا لَا وَقْفًا ، وَالْمَكِّي وَحِزَّةُ بِإِثْبَاتِهَا
وَصَلَا وَوَقْفًا ؛ إِلَّا أَنَّ حِزَّةَ يَدْعُو النَّوْنَ الْأَوَّلِيَّ فِي الثَّانِيَةِ . وَالْبَاقُونَ بِحَذْفِهَا وَصَلَا
وَوَقْفًا . فِيهِ النِّفْعُ ٢٤٥ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ هـ ، هـ .

(٣) الْوَلَايَةُ ، بِالْفَتْحِ وَتَكْسُرُ : مُقَابِلُ الْعِدَاوَةِ .

(٤) الذَّهْرِيُّ ، يَفْتَحُ الْعَدَالُ : الَّذِي يَقُولُ يَقْتَدِمُ الْبَحْرُ ، وَلَا يَلْزَمُ بِالْمَثَلِ . وَهَكَذَا الذَّهْرِيُّ =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميع ذلك . وإن كان المدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والمغلة ، والقملة ، والفيل ، والقرود ، والخزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم - تُقدِّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الذئب والغراب^(٢) ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ، فإن الحمام كان رائد نوح على نينيا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في المدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إن الله تعالى لم يقل : وَتَقَعَّدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هَهُنَا من عرض المدهد^(٥) ، فلم يوقع قوله على المدهد جملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، ولكِنَّه قَالَ : ﴿ وَتَقَعَّدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هَهُنَا ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنه ذلك المدهد بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، وكذلك حمار عذير ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس^(٧) ، فقد كان لله فيها تدبير ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهر الرجل الممنسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رضا للاتيسار . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « أئزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم الميم ، أي من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ١٠٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عملَ أجرا النَّاس ، كما لا يستطيع
أجرا النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلي النَّاس . فبأعمال المجانين وللعقلاء عرفنا
مقدارهما من صحة أذهانهما وفسادها ^(١) ، وباختلاف أعمال الأطفال والكهول
عرفنا مقدارهما في الضعف ^(٢) والقوة ، وفي الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك
فصلنا ^(٣) بين الجهاد والحيوان ، والعالم وأعلم منه ، والجاهل وأجهل منه ^(٤) .
ولو كان عند السَّباع والبهائم ما عند الحكماء والأدباء ، والوزراء والخلفاء ٢٩
والأئم ^(٥) ، والأنبيا ، لأثمرت تلك العقول ، باضطراب ، إثمارة تلك العقول .
وهذا باب لا يخطئ فيه إلا المانيّة ^(٦) وأصحاب الجهالات فقط . فأمّا عوام

(١) في الأصل : « وفسادها » . والفسير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا
ماخاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « وفي الضعيف » ووجه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « ففصلنا » بالصاد
المججمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأئم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة »
في تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متبى زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام
واستخرج مذهبه من الميوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين
أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض
على أتباعه صلوات معينة وصوما وسمه لم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن ساپور ،
وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنات النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ،
فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فتزحوا إليهم في
أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يبيهم ، وكان يرى بالزندقة .
حتى كانت أيام المقتدر فاتهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ .
وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (ماني) وهي نسبة شاذة ، و (ماني) وهي نسبة
جائزة . ومثل الأول في الشلوذ : « حراني » نسبة إلى مدينة حران . و « هناني »
نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يُتفاضَلُ بالبيان والحفظ ، وينسَقُ المحفوظ ^(١) . فأما المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقلَ وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدارَ معارفِ الحيوان إلا بما يظهر منها ^(٢) . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت ، وبين الجاد والحيوان .

فإن قال الخصم : ما نعرف كلامَ الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم المدهد . قلنا : نحن نأمن بأن عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر وإنما خلق من أنثى ، وأن آدمَ وحواءَ خلقا من غير ذكر وأنثى ، وأن عيسى تكلم في المهد ، وأن يحيى بن زكريا نطق بالحكمة في الصبا ، وأن عقيماً ألقح ، وأن عاقراً ولدت ^(٣) ، وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسقِ العادة ^(٤) . فالسبب الذي به عرفنا أنه قد كان لذلك المدهد مقدار من المعرفة ، دون ما توهمتم فوق مامع المدهد . ومتى سألنا عن الحقيقة فالسبيل واحدة . ونحن نقر بأن من دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاً كاملين ، من غير تجاربٍ وتعرينٍ وترتيب . فسألناكم عما ألم المدهد ، هي المسألة عما ألم الطفل في الجنة .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أساليب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياه عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقره » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت يا بولقى ، أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة من نسقِ العادة » و هـ : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . . القح » .

فإن قال قائل : فإن [كان^(١)] ذلك القول كله ، الذي كان من المهدد ، إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجلُ ابنه - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ، فلا يعتقه أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذب فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك قد حسن خطه ، وجاد حسابه ، وشذا من النحو [والعروض^(٢)] والفرائض^(٣) شدوا حسنا ، ونفع أهله ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [و^(٤)] أجاب في الفتيا بكلام فوق معاني المهدد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق ذبحتك ، وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في المهدد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح المهدد والحمام والذئب ، والفتاق^(٦) والجندى . والذئب سبيل من سبيل منابهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقدير والتأخير ، وإلا بقدر صرف^(٧) ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذئب . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفي ط : « الفرائض » ، صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الفرض » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) الفتاق ، كسحاب : الأثني من ولد المغز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين درجة^(١) . ولعل تنف جناحه ينفي بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك المهدد بعينه حق ما دللت عليه الآية ، ولم نجيز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن^(٢) كمن ينكر قدرة الله على أن يُركب^(٣) عصفورًا من العصافير ضربًا من الرأكب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أننا لو تأولنا للذبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم إسماعيل^(٥) عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحًا في المعنى لغيره^(٦) - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويطلب استعملها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الهداء : جودة الرأي وكال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دعائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فذكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد الجعفي : إنه يسوءك ما يمر للناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري . إن مع الثروة والنعمة التعاهد والتفافض والتخاذل ، وإن مع القلة التضاض والتناوز والتناصر . وكان يقول : « أريمة لا يطاقون : عبد ملك ، ونفل شيخ ، وأمة ورفت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميقاتي (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والمقد (٣ : ٢١٣) والكمال لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميقاتي (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفسير في الذبح بينهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيهقي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبح لإسحاق . ولعل هذا الرأي ما لم ينظم للصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكباش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بلجحه ، ووقع الذبح فضلا عن الكباش . س : « ذبحا في العين » ، صوابه في ط ، هـ .

القاتل : أَمَا أَنَا قَدْ ذَبَحْتَهُ وَضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، وَلَكِن السِّيفُ خَانَنِي . أَوْ عَلَى قَوْلِهِ : الْمِسْكُ الدَّيْسُجُ^(١) ، أَوْ عَلَى قَوْلِهِ : فَجِئْتُ وَقَدْ ذَبَحْتَنِي الْعَطَشُ - لَكُنْ ذَلِكَ جَزَاءً .

وَلَوْ أَنَّ صَبِيئًا مِنْ صَبِيَّانَا سُمِّلَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فَرَضَ الْبُلُوغِ بِسَاعَةٍ ، [وَكَانَ^(٢)] رَأَى مَلِكَةً سَبِيًّا^(٣) فِي جَمِيعِ حَالَاتِهَا ، لَمَا كَانَ بَعِيدًا وَلَا مَمْتَعًا أَنْ يَقُولَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً مَلِكَةً ، وَرَأَيْتُهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَرَأَيْتُهَا تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وَتَعْصِي الرِّهْنَ . وَلَا سَبِيَّ إِنْ كَانَ مِنْ صَبِيَّانِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، أَوْ مِنْ صَبِيَّانِ الْأَعْرَابِ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمُهْدَدَ كَانَ مَسْخَرًا وَمَيْسَرًا ، مُضِيَّهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرُجُوعُهُ مِنْ سَاعَتِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الطَّيْرِ الْقَوَاطِعِ فَرَجَعَ إِلَى وَكْرِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ سَلْيَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمْ يَقُلْ : نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ حِينَ مَضَيْتَ بَطَالًا هَارِبًا مِنَ الْعَمَلِ ، أَتُسَكِّدِي أَمْ تَنْجَحِ ، أَوْ رَأَى أَعْجُوبَةً أَوْ لَا تَرَاهَا . وَلَكِنَّهُ تَوَعَّدُهُ عَلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَنَافِرِهِ الْقَوْلِ ، لِيُظْهِرَ الْآيَةَ وَالْأَعْجُوبَةَ .

(طَمَنُ الدَّهْرِيَّةِ فِي مَلِكِ سَلْيَانَ)

ثُمَّ طَمَنَ فِي مَلِكِ سَلْيَانَ وَمَلِكَةِ سَيْلٍ ، نَاسٌ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ ، وَقَالُوا^(٤) : زَعَمْنَا أَنَّ سَلْيَانَ سَأَلَ رَبَّهُ [فَقَالَ] : « رَبُّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي »

(١) أَيْ الَّتِي فَتَتْ فَأَرَتْهُ . وَفَارَةُ الْمِسْكِ : نَافِجُهُ ، أَيْ وَمَلَاةُ .

(٢) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ ، وَهِيَ يَصْلُحُ الْكَلَامُ .

(٣) لَيْسَتْ فِي س . وَيُنْهَضُ فِي هـ : « سَبِيًّا » ، مَحْرَقَةً عَمَّا أَثْبَتَ مِنْ ط .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ » .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، فَلَسَّكَ عَلَى الْجَنِّ فَضلاً عَنِ الْإِنْسِ ، وَعَلَّمَهُ
مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ ، فَكَانَتْ الْجَنُّ لَهُ خَوَلاً ، وَالرِّيحُ لَهُ مَسْخَرَةً
ثُمَّ زَعَمَ - وَهُوَ إِمَّا بِالشَّامِ وَإِمَّا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْمَلِكَةِ
هَذِهِ صَفَتُهَا . وَمَلُوكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَا يَنْجِي عَلَيْهِمْ صَاحِبُ
الْحَزَرِ ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ ، وَلَا صَاحِبُ الثُّبُوتِ . وَكَيْفَ
يَجْهَلُ سُلَيْمَانُ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا ! وَلَيْسَ
دُونَهَا بَحَارٌ وَلَا أَوْعَارٌ ، وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ ^(١) . فَكَيْفَ
وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ طَوَّعَ بَيْنَهُ . وَلَوْ كَانَ ، حِينَ خَبَّرَهُ الْمَهْدَهُدُ بِمَكَانِهَا ، أَضْرَبَ
عَنْهَا صَفْحاً ، لَسَكَانَ لِقَائِي أَنْ يَقُولَ : مَا أَتَاهُ الْمَهْدَهُدُ إِلَّا بِأَمْرِ يَعْرِفُهُ . فَهَذَا
وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فُسَادِ أَخْبَارِكُمْ .

قُلْنَا : إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَّاهَا اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلُهَا ، وَمَجَارَى أُمُورِهَا وَعَادَاتُهَا
كَانَ لِعَمْرَى كَمَا يَقُولُونَ . وَنَحْنُ زَعَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
كَانَ أَنْبَى أَهْلِ زَمَانِهِ ، لِأَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَكَانَ يُوسُفُ وَزِيرُ مَلِكِ مِصْرَ مِنَ
النَّبَاةِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ ^(٢) ، وَلَهُ الْبَرْدُ ^(٣) ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ ،
ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يُوسُفَ ، وَلَا يُوسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
- دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ ، مَعَ النَّبَاةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَاتِّصَالِ الدَّارِ .
وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي النَّبَاةِ ^(٤) ، فَقَدْ

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أي الإبل . ط ، ه : « الخف »

صوابه في س .

(٢) الباعة : الثبوة . ط ، ه : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنس في س

« والملك للنباة في الموضع الذي لا يدفع » . وليس بشيء .

(٣) البرد : جمع برية .

(٤) النبى ، هو الموضع الذي نزل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى

أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسرارة من أرض الشام » .

كانوا أُمَّةً من الأمم يَتَكَبَّرُونَ^(١) أربعين عاماً ، في مقدارِ فِراسخٍ يسيرةٍ ولا يَهْتَدُونَ إلى المخرج . وما كانت يَلِدُ التَّيِّهَ إِلَّا من مَلاعِبِهِمْ وَمُنْتَزَهاَتِهِمْ^(٢) : ولا يعلم مثل [ذلك]^(٣) للعسكرِ^(٤) الأَدْلَاءُ والجَمَالِينِ^(٥) ، والمُكَارِينِ^(٦) ، والقُيُوجَ^(٧) ، والرُّسُلَ ، والتَّجَارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أَوْهَامَهُمْ ، ورفعَ ذلكَ القَصلَ^(٨) مِن صدورِهِمْ .

وكذلك القول في الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ في كُلِّ لَبْلَةٍ ، فَنَقُولُ^(٩) : إِنَّهُمْ لو كانَ كُلُّما أرادَ مُرِيدُ^(١٠) مِنْهُمْ أَنْ يَصْعَدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قد رُجِمَ صاحِبُهُ^(١١) ، وأَنَّهُ كذلك منذ كان لم يصل معه أَحَدٌ إلى استراقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كانَ عَمَالاً أَنْ يرومَ ذلكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ معَ الذِّكْرِ والعِيَانِ .

-
- (١) تَكَبَّرَ : ذهب في ضلاله . ومثله تَكَبَّرَ بِتَقْدِيمِ السَّيْنِ . ط ، هـ : « يَكْهِنُونَ » والوجه ما أثبت من س .
 (٢) كَذَا بِتَقْدِيمِ النُّونِ في الأَصْلِ .
 (٣) الزِّيَادَةُ من س ، هـ .
 (٤) كَانَ يَتَوَّعُّ إِسْرَائِيلَ قَدْ عَرَجُوا يَمِيلُكَوْا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ بِالْقِتَالِ . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ — ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .
 (٥) الْجَمَالِينِ ، بِالْجِيمِ . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الْحَارِيزِينَ » .
 (٦) الْمُكَارِينِ : جَمْعُ مُكَارٍ . والمُكَارِيُّ : من يَكْتَرِي النَّاسَ مَعَهُ دَابَّةً ، أَوْ يَسْتَأْجِرُوهَا .
 (٧) الْقُيُوجُ ، بِالضَّمِّ وفي آخره جيم : جَمْعُ فَيْجٍ بِالْفَتْحِ ، وهو رسول للسلطان المُسْرِعِ في شَيْءٍ ، يَحْمِلُ الأَخْبَارَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، مُرَبِّبٌ مِنْ « يَيْك » بِالْفَارُوسِيَّةِ . ط ، س : « الْقَيْوُجُ » ، صَوَابُهُ فِي هـ .
 (٨) الْقَصْلُ هُنَا بِمَعْنَى التَّهْيِيزِ . ط ، هـ : « الْقَصْدُ » وَأَثْبَتَ مَا فِي س .
 (٩) ط ، هـ : « وَنَقُولُ » بِالتَّاءِ ، صَوَابُهُ فِي س .
 (١٠) إِنْ تَرْتَبَ بِالضَّمِّ ، كَانَتْ مِنْ أَرَادَ بِمَعْنَى شَاءَ . وَإِنْ تَرْتَبَ بِالْفَتْحِ كَانَتْ مِنَ التَّهَوَّدِ .
 (١١) ط ، هـ : « قَدْ رُجِمَ أَوْ رُجِمَ صَاحِبُهُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س .
 (١٢) س : « وَصَحَّ » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى ^(١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود ^(٢) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصرف القلب عن ذكر ذلك الخبر ^(٣) ، دخل في حد المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بشره الله بالطهر وعام
الأمر ^(٤) بشر أصحابه بالنصر ، وزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كل حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يشكفوا المؤونة ^(٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع ^(٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكراً لأخبار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالياء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجلاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقته أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالدال .

عن أوهاهم ، ليحملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أَيْتَلِبُونَ أم يُتَلَبُونَ
أو يَقتُلُونَ أم يُقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢
للقرآن ، بَعْدَ أَنْ تَحْدَاهُمُ الرُّسُولُ بنظمه . ولذلك لم يُجِدْ أَحَدًا طَمِعَ فِيهِ .
ولو طَمِعَ فِيهِ لَتَكَلَّفَ ، ولو تكلف بَعْضُهُمْ ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شُبْهة
لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ،
ولأننى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض العرب ،
ولكثُر القليلُ والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْلِمَةَ^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تَعَلَّقُوا
بِمَا أَلْفَ لَهُمْ مُسَيْلِمَةَ من ذلك الكلام ، الذى يَعْلَمُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا
عَدَا عَلَى الْقُرْآنِ فَسَلَبَهُ ، وَأَخَذَ بَعْضَهُ ، وَتَعَاطَى أَنْ يُقَارِنَهُ . فكان لله ذلك
التدبيرُ ، الذى لا يبلغه العبادُ ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرُ يُريدُ من أصحابِ العباداتِ والرُّسلِ ، ما يريد من

(١) س : « ليحملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « القضية » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلة بن حبيب الحنفى من أهل البصرة ، ادعى النبوة بمكة قبل
الهجرة ، وصنع أسجاسا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله :
« والشمس وضحاها » في ضوئها وبجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها لينشأها .
فأدركها حتى أتاها . وأطلقاً نوزها وعماها » ، وقوله : « يا ضفدع نأ نأ » .
كم تفتقن . لا الماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره في
البصرة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش
لمقارعته ، فكان له النصر حل بنى حنيفة في يوم البصرة ، وقتل مسيلة وكثير
من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) في الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذى لا يُقِرُّ إلا بما أوجده الحيان ، وما يجرى بجرى
الحيان - فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علم الدَّهْرِيُّ [أَنَّا نَعْتَقِدُ ^(١)] أَن لَنَا رَبًّا يَخْتَرِعُ الْأَجْسَامَ اخْتِراعاً
وَأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَعَالِمٌ لَا يَمُوتُ ^(٢) ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ لَا يَنْقَسِمُ ، وَلَيْسَ بِذَى طُولٍ
وَلَا عَرْضٍ وَلَا عُمُقٍ ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ نَحْيُ ^(٣) الموتى . وهذا كُلُّهُ عِنْدَ الدَّهْرِيِّ
مُسْتَنْكَرٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَيْنَا سَبِيلٌ ^(٤) لَوْ لَمْ يَكُنِ الذِّى ذَكَرْنَا جَائِزاً
فِي الْقِيَاسِ ، وَاحْتِجْنَا إِلَى تَثْبِيثِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَصْدِيقِ الرِّسَالَةِ ، فَلِذَا كَانَ
ذَلِكَ جَائِزاً ، وَكَانَ كَوْنُهُ غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ ، وَلَا مَحَالٍ ، وَلَا ظَلَمٍ ، وَلَا عَيْبٍ ،
فَلَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَنَا عَنِ الْأَصْلِ الذِّى دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَلِىَ
تَثْبِيثِ الرِّسْلِ :

وَفِي كِتَابِنَا الْمَنْزِلِ الذِّى يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّهُ صِدْقٌ ، نَظَّمُهُ الْبَلَدِيعُ الذِّى
لَا يَقُولُ عَلَى مِثْلِهِ الْعِبَادُ ، مَعَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مَنْ
جَاءَ بِهِ .

وَفِيهِ مَسْطُورٌ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ غَبَرَ حِينًا - وَهُوَ مَيِّتٌ - مُعْتَمِدًا عَلَى
عَصَاهُ ، فِي الْمَوْضِعِ الذِّى لَا يُنْجَبُ عَنْهُ إِنْسِيٌّ وَلَا جِنِّيٌّ ، وَالشَّيَاطِينُ مِنْهُمْ
الْمَكْدُودُ بِالْعَمَلِ الشَّدِيدِ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ الْمَحْبُوسُ وَالْمُسْتَعْبَدُ ، وَكَانُوا كَمَا قَالَ

(١) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إلى مظهرها .

(٢) هذا ملحق بالموتلة ؟ إذ ينفون عن الله من رجل صفاته الأزلية ، فيقولون :
ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « نَحْيُ » جوابه في س .

(٤) بدله في س : « وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ لَهُ مَعْلَةٌ » .

(٥) المكشود : المرقق المصب . ط ، هـ : « بِالْفِعْلِ الشَّدِيدِ » ، والأوجه ما أثبت

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَانِي ^(١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تَجَاهَ أَعْيُنِهِمْ ^(٢) ، فَلَهُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةً وَجُوهَ الْمَوْتِ ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتِ . وَثَبَتَ قَائِمًا مُعْتَمِدًا ^(٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصُّفَّةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنَّهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالِيتُوهُ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ حَوْنُ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسِّ ، ^{٣٣} وَنُفُوذِ الْبَصَرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتِ بِهَذَا الْمَكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَذْنَى ذَلِكَ أَنَّ نَظْرًا وَنَرْتَابًا . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُؤًا ^(٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبَّتُوا ^(٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجواني : جمع جانية ، وهو الخوض الجالغ . وإثبات الياء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وجاسم . وحطفا وصلا ووقفا قراءة الباقين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، هـ . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه : يصح ضبطها بالهم والكرم والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) هـ : « وناجوا » ، أي ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا ونهضوا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب للشرط . و « وثبتوا » أي سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصِّرْفَةُ ^(١) التي يُلقِيها اللهُ تعالى على قَلْبٍ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا ^(٢)] أَنْ اللهُ يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الأَوْهَامَ كيف شاء ، ويدْكُرُ بما يشاء ، وَيُنْمِئُ ما يشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورَه ورَبَضِهِ ^(٣) ، وخاصَّتُهُ ، ومن يَحْدُمُهُ من الجنِّ والإنسِ والشَّيَاطِينِ ، على الإطباقِ بأنَّهُ حَيٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يَشْعُرُوا به كانوا على ما لم يزالوا عليه . فَعَلِمْنَا أَنَّ الجنَّ والشَّيَاطِينِ كانت تُوهِمُ الأَغْيَاءَ والعَوَامَ ، والحَشَوَةَ ^(٤) والسَّقَلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ - والشَّيَاطِينِ لا تعلم ذلك - فأراد اللهُ أَنْ يَكْشِفَ من أَمْرِهِمُ لِلْجُهَّالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماء . فهذا وأشباهه من الأمورِ نَحْنُ إلى الإقرارِ به مضطرونَّ ^(٥) بالحججِ الاضطرابيةِ فليس لخصومنا حيلةٌ إلَّا أَنْ يَواقِفُونَا ^(٦) ، وينظروا في العِلَّةِ التي اضطرتنا إلى هذا القول ، فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إلَّا الصَّحِيحَ . وإن كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أَتَيْنَا من تأويلنا ^(٧) .

وأما قوله : ﴿ لَا عَذَابَ لَهُ ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يَكُونُ بِالْحَبْسِ ، كما قال اللهُ

-
- (١) الصِّرْفَةُ ، بالفتح : أن يصرف اللهُ عبده من أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابهما في ه .
 (٢) الزيادة من س ، ه .
 (٣) الرِّبْضُ ، بالتحريك : سور المدينة .
 (٤) الحَشَوَةُ ، بالضم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به الدون من الناس .
 (٥) س : « مضطرين » .
 (٦) يَواقِفُونَا ، بتقديم التثنية ، من الموافقة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصوصية ومجادلة . وفي الأصل : « يَواقِفُونَا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .
 (٧) أَتَيْنَا : أي قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، ه : « أن ما » والوجه ما انتهت من س . وفي ط أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أفاديلنا » موضع « تأويلنا » .

عز وجل : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .
ولمّا كانوا محبسين^(١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى^(٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى يقوم في أقل من عشر ساعة^(٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحل الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربما قتل الأسد ، وما أكثر ما يلحق
بصاحب^(٤) السيف والرّمح ، فيضربه بِنَائِهِ ، فيقطع كلّ ما لقيه من جسده :
من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربما احتال أن ينبطح^(٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغنى ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أروغ من ثعلب ، إذا أرادته الفارس : وإذا^(٦) عدا أطمع
في نفسه كلّ شيء ، وإذا طولب أعياء الخيل العتاق . والخنزير مع ذلك أنسل

(١) المحبوس ، هو من قولهم : إبل محبسة : لا ترح . ط : « محبوسين » وهي
محبسة بمعنى « محبسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتين » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا حل الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ينطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الخنزيرة تَصْعُ عِشْرِينَ خِنْصُصاً ، وهو مع كثرة إنساله - مِنْ
أَقْوَى الفُحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ،
فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْفُحُولَةِ ^(١) .

وإذا كَانَ الكَلْبَ وَالذِّئْبُ مَوْصُوفَيْنِ بِشِدَّةِ الْقَلْبِ ؛ لَطُولِ الْخَطْمِ ^(٢) ،
فَالْخِنْزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ .

وَالْقِيلِ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلَكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مِثْلَهُ ^(٣) ،
وَلَا يَمَسُّ بَسْتَعِينَ بِخَرْطُومِهِ ، وَخَرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالْخَطْمُ غَيْرُ الْخَرْطُومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وَلَهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ طَيْبٌ لَحْمُهُ وَلَحْمُ أَوْلَادِهِ ^(١) . وإذا
أَرَادُوا وَصْفَ اخْتِلَاطِ ^(٢) وَذَلِكَ الْكُرْكِيُّ ^(٣) فِي مَرَقِ طَيْبِخٍ ، قَالُوا : كَأَنَّ
إِهَالَتَهُ إِهَالَةَ خِنْزِيرٍ ^(٤) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهَا ^(٥) الْجَمُودُ . وَسرعةُ جُودِ إِهَالَةٍ

(١) فِي الْأَسْلَ : « أَجْمَعُ لِلْفُحُولَةِ » وَلَا تَصِحُّ . وَفِي ط ، هـ زِيَادَةٌ : « هَذَا » فِي
آخِرِ الْجُمْلَةِ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الْخ . وَأَثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ
س ، هـ .

(٤) بَدَلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي هـ : « وَلَهُ طَيْبٌ لَحْمُهُ » فَقَطْ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَائِلَةٌ
مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي هـ . وَفِي ط ، س : « اخْتِلَافٌ » .

(٦) الْكُرْكِيُّ ، بِالضَّمِّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَفْضَرُ اللَّوْنِ أَثْبَرُ اللَّذْبِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ :
Grane . قَالَ النَّمِيرِيُّ : « وَالْمُلُوكُ مَعَرُ وَأَمْرَاتُهُا فِي صِيْدِهِ تَنَالُ لَا يَدْرِكُ لَحْمَهُ ،
وَإِنْ تَنَاقَ مَا لَا يَسْتَطَاعُ حَمْرُهُ وَعَدَهُ » . ط : « الْكُرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي
س ، هـ .

(٧) الْإِهَالَةُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالْوَدَكُ : اللَّحْمُ . هـ : « أَهَالَهُ إِهَالَ
خِنْزِيرٍ » ، مَحْرُوفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مَحْرُوفٌ .

الماعز في الشتاء عيب . والضان في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عظم واحتيج إلى صليبه في بعض الأمراض لم يلتجئ به إلا لعظم الخنزير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضرب فصاح لم يكن السامع بفصل بين صوته وبين صوت صبي مضروب^(١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباق جميع الأمم على شهوة أكله واستطابة لحمه ، دليل على أن له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخقة ونحوها)

والمجوس زعم أن المنخقة والموقودة والتردية^(٢) ، وكل ما اعتبط ولم يمت خنق أنفه^(٣) ، فهو أطيب لحماً وأحلى ، لأن دمه فيه ، والدم حلو

(١) وقد تجبأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتي في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخق والموقود والتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) احيط ، بالبناء المفعول : مات من غير علة . ويقال مات خنق أنفه : أي بلا

ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما احيط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت .

ويطلق في س : « إذا احيط » الخ .

دَسِمَ . وَإِنَّمَا عَاقَبَ مَنْ عَاقَبَهُ مِنْ طَرِيقِ الْعَادَةِ وَالذَّيَّانَةِ ، لَا مِنْ طَرِيقِ الْاِسْتِغْذَارِ
وَالزُّهْدِ الَّذِي يَكُونُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عَافَ قَوْمُ الْجَرْيِ وَالضَّبَابِ ^(١) عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، وَشَفِغَ بِهِ
آخَرُونَ .

وقد كانت العربُ في الجاهلية ^(٢) تَأْكُلُ دَمَ الْفَصْدِ ^(٣) ، وَتُفَضِّلُ
طَعْمَهُ ، وَتُخَبِّرُ عَمَّا يُوْرَثُ مِنَ الْقُوَّةِ .

قال : وَهُيْ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنَ الدَّمِ ، وَهَلِ اللَّحْمُ إِلَّا دَمٌ اسْتَحَالَ كَمَا
يَسْتَحِيلُ اللَّحْمُ شَحًا ؟ ! وَلَكِنَّ النَّاسَ إِذَا ذَكَرُوا مَعْنَاهُ ، وَمَنْ أَيْنَ يَخْرُجُ
وَكَيْفَ يَخْرُجُ ، كَانَ ذَلِكَ كَاسِرِ الْحَمِّ ، وَمَانِعاً مِنْ شَهْوَتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ في حَسَنِهَا ^(٤) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ جَسْمٌ لَمْ يَصْبِغْ
أَحْسَنَ مِنْهُ ^(٥) . وَلَوْلَا مَعْرِفَتُهُمْ بِقَتْلِهَا وَإِخْرَاقِهَا وَإِتْلَافِهَا ، وَالْأَلَمَ وَالْحُرْقَةَ
الْمَوْلُودِينَ ^(٦) عِنْدَهَا ، لَتَضَاعَفَ ذَلِكَ الْحُسْنُ ^(٧) عِنْدَهُمْ . وَلَئِنْهُمْ لَيَرَوْنَهَا

(١) الجري ، بالجيم المكسورة بعدما راء مشادة مكسورة : ضرب من السمك سبق
الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضموا الدم ، بعد فصده في الأمعاء ويشربونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنبها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كلما في ط ، لیس . وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإن الإنسان يستحسن قَدْ السيفِ وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذي هُيَّ له ، بدا له في أكثر ذلك ^(١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعداوة الحيات ^(٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حق تربية ، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات ^(٣) البيض ، المنقشرة الظهور - لما بيتوها وتوَمَّوها إلا في المهد ، مع صبيانهم .

(رد على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة ^(٤) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق

العبادة والمخنة ، وليس أن جوهراً شيء من المأكول ^(٥) يوجب ذلك . ٣٥
وإنما قلنا : إنا وجدنا الله تعالى قد مسخَّ عبادة من عباده في صور الخنزير [دون بقية ^(٦) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعل ذلك إلا لأُمُورٍ اجتمعت في الخنزير ^(٧)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقل إلا هذا

(١) بدا له : أي نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، هـ .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ ساسي وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهي المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » ، ويتبعها المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) هـ : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْنَى وَيَحْكى ، ويتناولُ الطعامَ بيديه ويضعه في فيه ، وله أصابع وأظفار ، ويتنى ^(١) الجوز ، ويأنس الأنس الشديد ، ويلقنُ بالتلقين الكثير ، وإذا سقط في الماء غرق ولم يسبح ، كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة . فلم يجد الناسُ للذى اعترى القرد من ذلك - دونَ جميع الحيوان حيلة - إلا هذه المعاني التي ذكرتها ^(٢) ، من مناسبة الإنسان من قبلها .

ويحكى عنه من شدة الزواج ، والغيرة على الأزواج ، ما لا يحكى مثله إلا عن الإنسان ؛ لأن الخنزير يَغَارُ ، وكذلك الجمل والفرس ، إلا أنها لا تزواج . والجار يَغَارُ ويحى عانتَه الدهر كله ^(٣) ، ويضربُ فيها كضربه لو أصاب أثناناً من غيرها . وأجناس الحمام تزواج ولا تغار .

واجتمع في القرد الزواج والغيرة ، وهما خصلتان كريمتان ، واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان . ونحن لم نر وجه شئ غير الإنسان أشبه صورة وشبها ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبه فأ ووجهها بالإنسان ، من القرد . وربما ^(٤) رأينا وجه بعض الحمر ^(٥) إذا كان ذا خطم ، فلا نجد بينه وبين القرد إلا اليسير .

(١) أصله من قولهم : ثقب العظم نقيا : استخرج نقيه . والثقب بالسكس : مخ العظام وشحمها . قالني يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) المانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبها » ، تصحيفه من س ، هـ .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء في التنبية والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . في الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال في القرد)

وتقول ^(١) الناس : « أكيس من قِشَّة ^(٢) » ، و « أملك من رُبَّاح ^(٣) »
ولم يقل أحد : أكيس من خنزير ، وأملك من خنوص . وهو قول العامة :
« القرد قبيحٌ ولكنّه مبيع » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاسُ في الضَّبِّ : إنه مسخٌ . وقالوا : انظر إلى كفّه وأصابعه .
فكفّ القرد وأصابعه ^(٤) أشبه وأصنع . فقدّمت القرد على الخنزير من
هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأما القولُ في لحمه ، فإننا لم نزعِمْ أنَّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذي
مُسَخ ، ولا هو من نسله ، ولم ندعِ لحمه من جهة الاستعداد لشهوته في العذرة ،
ونحن نجد الشُّبُوط والجُرَى ^(٥) ، والدَّجَاج ، والجُرَاد ، يشاركنه في ذلك ،
ولكن للخصال التي عدّدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقّ بأنّ تمسخ
الأعداء ^(٦) على صورته في خلقته .

(١) س : « ويقول » .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشُّبُوط والجُرَى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام

في (١ : ٢٣٥) .

(٦) أي أعداء الله .

(حديث عيد الكلابي)

قال : وقلت مرة لعبيد الكلابي - وأظهرَ زين حبَّ الإبل والشَّغفِ بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أيُّها وبينكم قرابة ^(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا حُؤولة . إني والله ما أعنى البَحَّاني ، ولكني أعنى العَرَّاب ، التي هي أعرَب ! قلت له : مَسَخَكَ اللهُ تعالى بغيراً ! قال : اللهُ لا يَمَسُخُ الإنسانَ على صورةٍ كريمٍ ، وإنما يَمَسُخُهُ على صورةٍ لئيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد ^(٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ ^(٣) تكلم على فطرته .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤) .
وقد طعنَ ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغير علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن نجى ^(٥) في كلِّ هلال فرقٍ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السَّنَةِ فرق .

(١) س : « أيُّنكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافق .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدّين ، أو طبرية : وكلُّ منها حاضرة البحر ، أي قرية منه .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »

أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعاً » :

ظاهرة على وجه الماء .

(٥) « كذا الصواب في س . وفي ط ، هـ : « نجى » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرة والأبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السمكُ الأسبور^(١) ، فيعرفون وقتَ مجيئِهِ وينتظِرُونهُ ، ويعرفون وقتَ انقِطَاعِهِ ومجيئِ غيره ، فلا يمكثُ بهم الحالُ إلَّا قليلاً حتَّى يُقْبِلَ السمكُ من ذلك البحر ، في ذلك الآوان ، فلا يزالونَ في صَبْدٍ ثلاثة أشهر معلومةٍ من السنَّة ، وذلك في كلِّ سنةٍ مرَّتين لكلِّ جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكونُ في أحدِ الزمانين اسمُنا ، وهو الجواف^(٢) ، ثمَّ يأتيهم الأسبور^(٣) ، على حسابِ مجيئِ الأسبور^(٤) والجوافِ . فأما الأسبورُ فهو يقطعُ إليهم من بلادِ الزُنج . وذلكَ مَعْرُوفٌ عندَ البحرِيَّينَ . وأنَّ الأسبورَ في الوقتِ الذي يقطعُ إلى دِجْلَةِ البصرة لا يوجدُ في الزُنج ، وفي الوقتِ الذي يُوجَدُ في الزنج لا يوجدُ في دِجْلَةِ^(٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقتِ قطعِها المَعْرُوفِ^(٦) ، وفي وقتِ رجوعِها . ومَعَ ذلكَ أصنافٌ من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » بحرف .

(٢) في الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأسبور » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأسبور » . وانظر الختية السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « آل » على « دجلة » خطأ ، فإنَّ المعرفة لا تصرف .

وانظر لأشياء هذا الوهم درة النواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السك كالإبَّان^(١) ، والرَّق^(٢) ، والكُوسَج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والبرَسُوج^(٥) . وكلُّ ذلك معروف الزَّمان ، متوقع المخرج .
وفي السَّك أوابد وقواطع ، وفيها سيارة لا تقيم . وذلك الشَّبه يُصابُ .
ولذلك صاروا يتكلمون بخمسة السنة^(٦) ، يهذونها^(٧) ، سوى ما تعلَّقوا به
من غيرها .

ثمَّ القواطع من الطير قد تأتينا إلى العراق منهم^(٨) في ذلك الإبَّان
جماعات كثيرة ، تقطع إلينا ثمَّ تعود في وقتها .

-
- (١) الأربان ، بالكسر : ضرب من السك ، يعرف في مصر باسم « الجبرى » ،
كما في معجم الملوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ ص ٦)
وفي الأصل : « الأران » ، بحرف عا أثبت .
- (٢) الرق : السلحفاة المائية .
- (٣) الكوسج : سمك بحري كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .
- (٤) كذا . ولله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السك معروف بالعراق .
- (٥) البرسوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السك الذي يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . ولله
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرونج » و س :
« الكونوج » و هـ : « الكرموج » وهي تحريفات صعبة لما أثبت .
- (٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .
- (٧) هذا الحديث يهله : سرده . وفي الأصل : « يهذونها » بالذال المهملة ،
ولا وجه له .
- (٨) جبل لغير المائل خسير المائل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبها انزل ادخلوا
مسكنكم » ، وواقه خلق كل دابة من ماء فثم من يحيى على بطنه ، « لا الشمس
ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إن
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

(رد على المترض)

قُلْنَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِجَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيحِ ، وَالْأَسَابِيحُ تَدُورُ مَعَ شُهُورِ
 الْقَمَرِ ^(١) . وهذا لا يكونُ مَعَ اسْتَوَاهُ مِنَ الزَّمَانِ . وقد يكونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، وَفِي بَيْنِ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانِ قَوَاطِعِ
 السَّمَكِ ^(٢) وَهَيْجِ الْحَيَوَانِ وَطَلَبِ السَّفَادِ ، وَأَزْمَانِ الْفَلَاحَةِ ، وَأَوْقَاتِ
 الْجَزْرِ وَالْمَلْدِ ، وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْفَضُ ^(٣) الْوَرَقَ وَالنَّخْلَ ،
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ ^(٤) ، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا ^(٥) وَالطَّيْرِ كَيْفَ
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

ولو قال لَنَا قَائِلٌ : إِنْ نَبِيٌّ ^(٦) [وَقُلْنَا لَهُ : وَمَا آيَتُكَ ؟ وَمَا عِلْمُكَ ؟ ٣٧
 فَقَالَ : إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينَ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَسْبُورُ ^(٧) ، مِنْ جِهَةِ
 الْبَحْرِ -- ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا بِهِ . ولو قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
 أَوْ يَوْمُ الْاِحْدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَسْبُورُ ^(٨) ، حَتَّى لَا يَزَالَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

(١) ط : « الْقَمَرِيَّة » ، صوابه في س ، هـ .

(٢) س : « وَلَيْسَ هَذَا مَرَّتَيْنِ كَأَزْمَانِ قَوَاطِعِ السَّمَكِ » .

(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، هـ : « يَنْفَضُ » ، صوابه في س .

وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من باني نصر ومنع ، وانسلخت تسلخ : إذا انسرت من

جلتها . جاء في س : « تسلخ » وكلمة « الحيات » مساقطة من س

وموضعها في ط ، هـ بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي اللام .

(٥) الأيل ينصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الْأَشْبُور » . وانظر تنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراباً إذا حايثنا الذي ذكرَ على نفسه أنه صادق ، وأنه لم يعلم ذلك إلا من قبلي خالق ذلك ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرزنا بعجيب ما نرى من مطالع النجوم ، ومن تناهى المد والجذر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ونقصه ^(٢) ، واستمراره ^(٣) . وكل شيء يأتي على هذا النسق من المجاري ، فلنمنا الآية فيه لله وحده على وحدانيته .

فلذا قال قائل لأهل شريعة ^(٤) ولأهل مرسى ، من أصحاب بحر أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدول : تأتكم الحيتان في كل سبت . أو قال : في كل رمضان . ورمضان متحول الأزمان في الشتاء والصيف ، والربيع والخريف . والسبت يتحول في جميع الأزمان . فلذا كان ذلك كانت تلك الأعجوبة ^(٥) فيه دالة على توحيد الله تعالى ، وعلى صديق صاحب الخبر ، وأنه رسول ذلك المسخر لذلك الصنف . وكان ^(٦) ذلك المهيء خارجاً من النسق القائم ، والعادة المعروفة . وهذا الفرق بذلك بين . والحمد لله .

(١) بدله في ط ، هـ : « السك » .

(٢) الحاق ، مثاق : آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستمر القمر فلا يرى خلوة ولا مشية .

(٣) استمرار القمر : أن ينفخ ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فستمره ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسرائه » س : « استراة » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان (سر ٢١) . ويبد هذه الكلمة في ط : « واستارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شجرة الخنازير والقردة)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ نَاسًا خَنَازِيرَ قد ذكر القُرُودَ^(١) . ولم يذكرْ أَنَّهُ مَسَخَ قَوْمًا خَنَازِيرَ ، ولم يَمَسَخْ مِنْهُمْ قِرُودًا^(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسَخُ على صورة القِرْدَةِ^(٣) أَشْنَعُ ؛ إِذْ كَانَ الْمَسَخُ على صورتِهَا^(٤) أَعْظَمُ^(٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذي قد ذكر أَنَّهُ قد مَسَخَ نَاسًا قِرُودًا فقد كان مَسَخَ نَاسًا خَنَازِيرَ . فلم يَدْعُ ذِكْرَ الْخَنَازِيرِ وَذِكْرَ الْقِرُودِ^(٦) إِلَّا وَالْقِرُودُ في هذا الباب أَوْجَعُ وَأَشْنَعُ وَأَعْظَمُ في العقوبة ، وأدُلُّ على شِدَّةِ السَّخَطِ^(٧) . هذا قول بعضهم .

-
- (١) س : « قِرودا » ، وفي ط ، ه زيادة وار قيل « قد » ، وهو تحريف .
 (٢) أي أَنَّهُ عند ذكره مَسَخَ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسَخِ بالقِرود ، وذلك قوله تعالى في الآية السَّيِّئِينَ من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مأخوذة عند الله من لمة الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » .
 وفي الأصل : « ولم يذكر أَنَّهُ مَسَخَ قَوْمًا قِرُودًا ولم يَمَسَخْ مِنْهُمْ خَنَازِيرَ » . وأصلحه بما ترى .
 (٣) في الأصل : « القرد » بالإنفراد . ووجهه الجميع كما ستري .
 (٤) في الأصل : « على صورتِهَا » ، وإنما الضمير هائد إلى جماعة القردة .
 (٥) في الأصل : « أهم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتي .
 (٦) أي وحدها ؛ إِذَا قَالَ في سورة البقرة ، الآية الخامسة والسَّيِّئِينَ : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنازير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنازير .
 (٧) السَّخَطُ ، بالفتح : الكراهة ، يقال سَخَطَ سَخَطًا ، بالضم ، والتحريك ، وبضمين ، وسَخَطَ . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سَخَطَ لَدِينِهِ »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّباع الحَظْم ، والحَرْطوم — وقد يقال ذلك للخزير — والقِنْطِيْسة^(١) ، والجمع القناطيس . وقال الأعرابي : « كَانَ قناطيسها كراكر الإبل^(٢) » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكونُ خِزِيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًّا . وذكر أنَّ خِزَايزِرَ بعضِ البُلدانِ يكونُ لها ظِلٌّ واحدٌ ، ولا يكونُ بأَرْضٍ نهاونَدَ جِمارٌ ، لشدَّةِ بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِجارَ صَرَدٌ .
وقال : في أرضِ كذا وكذا لا يكونُ بها شيءٌ من الخُلْدِ^(٣) ، وإنَّ نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتخذ بها بيتًا . وفي الجزيرة التي تسمَّى صِقْلِيَّةَ^(٤) لا يَكُونُ بها صنفٌ من الخمل ، الذي يسمَّى أقرشان^(٥) . ٣٨

-
- (١) القِنْطِيْسة ، بالكسر : عظم الخنزير . وفي اللسان : « وروى عن الأصمى : إنه لمنح القِنْطِيْسة والقِرطِيْسة والأرنبة ، أى هو منح الخوذة حى الأنف . أبو سعيد : فنطيمته وفِرطيمته : أنفه » ، فهي قد تستعمل لغير الخنزير .
(٢) كذا حل الصواب في ط . وفي هـ : « قناطيسها » ، وفي س : « قناطيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذئب خف .
(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من القنار .
(٤) صقلىة ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أسقلىة » ولعلها لغة في ترميها .
(٥) س : « أقرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسخ)

وأهل الكتابين^(١) يُنكرون أن يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاسِ قروناً
وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَرًا^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهم جنبنا التكلفَ ، وأعِذْنَا من الخطلِ ، واحِمْنا من العُجْبِ بما
يكونُ مِنَّا ، والثَّقَةِ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفر المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه روحُ الكاتب
ووجالٌ من بني العنبر ، أن عندهم في رمال بلعنبر حِيَّةٌ تصيدُ العَصَافِرَ
وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ
بلعنبر ، وامتنعت الأرض على الحافى والمتعل ، وورِضَ الجندب^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : فأَمَطَ الربُّ
عَلِ سِدُومَ وَعَمُورَةَ كَرِيمَتَا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ ، وَقَلَبَ تِلْكَ الْمَدْنَ ، وَكَلَّ
الدَّائِرَةَ ، وَجَمَعَ سَكَانَ الْمَدَنِ وَنِيَّاتِ الْأَرْضِ ، وَنَظَرَتْ أُمَّرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ
عَمُودَ مِلْحٍ .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، ويقم الجمل ويفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورمض : آله الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمع مركوز ، أو عوداً ثابت^(١) ، فيجىء الطائر الصغير أو الجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود . فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جُعلاً أو بَعَصَ مالا يُشبعها مثله ، ابتلعت^(٢) وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على رأسها طائراً يُشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دأبها ما منع الرمل جانب^(٣)ه في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والمهاجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للجرباء^(٤) ، إلى أن يسكن الحر ويهيج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجيب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة . وفي جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة أكثراث الحية بالرمل الذي عاد كالجمر^(٥) ، وصلح أن يكون ملة وموضعا للخبرة^(٦) ، ثم [أن^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافى الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « ثابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، بحرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شاربخ النخل من الميدان . والحرباء ، بالكسر : دوية من الظاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleón . وهي إذا احتست يجلد شجرة لم يميزها الراى ، لأنها تتلون سريماً بلون الجذل ، فيحسبها تنوما فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرمد الحار . والخبرة ، بالقم : صجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإجهاها باللبن)

وزعم لى رجال من الصقالبة ، خصيان وفحول ، أَنَّ الحية فى بلادهم تأتى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتطوى على فخذيتها^(٣) وربكيتها إلى عراقيها ، ثم تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعها ، حتى تلتقم الحليف ، فلا تستطيع البقرة [مع قوتها^(٤)] أن تَرَمَرَمَ^(٥) . فلا تزال تمص اللبن ، وكلما مصت استرخت . فإذا كادت تلتف أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٦) ، وإما أن يصيبها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تعسر مداواته^(٧) .

والحية تُعجبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإناء غير مخسر^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، يفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أيا ما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها ساعا من تمر » . ويطلق فى س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « ضلخى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) ترمرم : تتحرك .

(٦) يلبها فى نهاية الأرب : « تلتف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خر الإناء : غطاه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ ^(١) ، وَرُبَّمَا جَعَتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهٌ كَثِيرٌ .

وَيَقَالُ إِنَّ اللَّبَنَ مُحْتَضَرٌ ^(٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعَمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثَّوْبَ الْمُعَصَّرَ مُحْتَضَرٌ ^(٣) . فَظَنُّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعَجَّبَ بِهِ الْحَيَاتِ)

وَالْحَيَّةُ تَعَجَّبُ بِالْفَلَّاحِ ^(٤) وَالْبَطِيخِ ^(٥) ، وَبِالْحَرْفِ ^(٦) ، وَبِالْحَرْدَلِ الْمُرْخُوفِ ^(٧) ، وَتَكْرَهُ رِيحَ السَّدَابِ ^(٨) وَالشَّيْخِ ، كَمَا تَكْرَهُ الْوَزْغَ رِيحَ الزُّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكُرِعَا : تَنَاوَلَهُ بَيْنَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِّهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضَرٌ ، بِالنَّضَادِ الْمُجْمَعَةِ الْمَفْتُوحَةِ : تَحْضَرُهُ الْجَنُّ فَيَأْخُذُونَ بِهَا يَزْهَمُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرَحُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضَرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضَرٌ » س : « مُحْتَضَرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ السَّابِقَ .

(٤) الْفَلَّاحُ بِالْفَمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتٌ هَرِيفُ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ التَّفَّاحِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدِ الْمَفُوصَةِ وَالْقَبِيضِ ، فَلِذَا نَفِجَ مَالٌ إِلَى حَلَاوَةِ مَا . وَيَسْمَى بِالشَّامِ تَفَّاحُ الْجَنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يَسْمَى بِالسَّرِيَانَةِ : « يَبْرُوسًا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيَسْمَى بِالْفَارَسِيَّةِ : « هَزَارُ كَشَائِ » أَيْ يَحِيلُ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّمْعُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَظُوا الْبَطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَمْسَهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَأْخُذُ بِرُوحِهِ .

(٦) الْحَرْفُ ، بِالْفَمِّ : هُوَ الْمَرْخُوفُ بِحَبِّ الرِّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالْهَاءِ الْمُجْمَعَةِ : الَّذِي وَضِعَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَاسْتَرَشَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرَقَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « لِلْمُرْخُوفِ » وَفِي س : « لِلْمُرْخُوفِ » بِالْهَاءِ الْمُجْمَعَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانْظُرِ الْقَدِّ (٦ + ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية ، إلا والحية أقوى بدنًا
منه أضعافًا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أوفى صدع
إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتا^(١) يديه
أن يخرجها ؛ لشدة اعتادها ، وتعاون أجزائها . وليست بذات^(٢) قوائم
لها أظفار أو مخالب أو أظلاف^(٣) ، تُنْشِبُهَا في الأرض ، [و^(٤)] تُنْشِبُ
بها^(٥) ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لذنةٌ
ملساء على^(٧) فيحتاج الرفيق^(٨) في أمرها عند ذلك ، أن يُرسلها من
يديه بعضَ الإرسال ، ثم ينشطها^(٩) كالمختطف والمختلس ، وربما انقطع
ذنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنان الأفاعي فلأنها تنبت .

-
- (١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر أنزمتا الألف .
وق في ط ، هـ : « بكلي » ، وهو خطأ .
(٢) في الأصل : « يدي » ، ووجه ما أثبت .
(٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه في س .
(٤) الزيادة من س ، هـ .
(٥) س : « تثبت فيها » .
(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .
(٧) علكة ، كفرسة : من قولهم طامع حالك وعلك ، ككف : متين المضفة . ط ،
هـ : « من أنها » ، وهذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاسها تقتضي انزلاتها من
يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تميز على القطع .
(٨) س : « فيحتاج إلى الرفق » ، وهي عبارة لاتساير باقي الكلام .
(٩) نشط الشيء ، من باب نصر : أخبطه .

ومن عجيب ^(١) ما فيها من هذا الباب ، أن نَابَهَا يُقَطَّعُ بالكاز ^(٢) ،
فينبت حتى يتمَّ نباته في أقلَّ من ثلاث ليال :

(نزع عين الخطاف)

والخطَّاف في هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنَّ الخطَّاف ^(٣) إذا قُلِّعَتْ
إحدى عينيه رجعت . وعينُ البرَدَوْنِ يركبها البَيَاضُ ، فيذهب في أيام
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتالُ له بأن يُدْخَلَ في فيها حُخَّاصُ أَرْج ^(٤) ، ويطبق
لحيُّها ^(٥) الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بِعَضَّتِهَا أياماً صالحة :
والمغناطيس الجاذب ^(٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم ^(٧) ،
لم يجذب الحديد .

- (١) س : « أعجيب » .
- (٢) الكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكاز » صوابه في س ،
هو ومعجم بالمر ، وامتنعاس ، وريتشاردسن .
- (٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، هـ . وسأله في ص ١٤٣ : « فإن
نازما لو نزع حيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لمادت بصيرة » .
- (٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحاشه : شحمه .
- (٥) الهى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل القم . ط ، هـ : « لحيها »
بالثنية ، صوابه الأفراد كما في س .
- (٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنطيس يفتح الميم وكسر
النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، مغرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .
- (٧) الثوم ، بالضم ، ذاك الثبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب
في ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اتزنت
بمادة أخرى فقلعت بعض خواصها .

(خصائص الأنفى)

والأنفى لا تدور عينها فى رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها^(١) تحطم فى جوفها ، فترى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تُذبح حتى يُفترى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك إياماً لا تموت . وأمرت^(٢) الحاوى فقبض على خرزة^(٣) عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً^(٤) . فافتح يديها بقدر سم الإبرة حتى بردت ميتة^(٥) . وزعم أنه^(٦) قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيه بذلك ، ثم لأنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأنفى ، فانت بأسرع من الطرف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لما أن يخرج ببيضها . ط : وطرقت

بيضها : صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، هـ : وأمرت ، بالقاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو المتق .

(٤) س : من الفقرة والفقرة والخرزة بيان . هـ : فصلاً رقيقاً : محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) التفسير المستحسن ، الحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن المسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَسْوُوحِ الْبَدَنِ ^(١) ، ليس يَذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلَ ^(٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ ^(٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب ^(٤) قال : باعني حَوَاكٍ ثَلَاثِينَ أَعْمَى بَدِينَارِينَ ،
وَأَهْدَى إِلَيَّ خَمْسًا اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ ^(٥) ، فِي تِلْكَ الصَّحَارَى عَلَى
شَاطِئِ دَجْلَةٍ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يِعَالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانَ الصَّيْدَلَانِي . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِي
بَعِيته . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أخطَأَ
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ ^(٦) ، وَحَرَكْتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ ^(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « مسوح » بالحاء المهملة ، وقد فسرهما
سياق . وفي الأصل : « مسوخ » بالحاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجيع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسمكة » .

(٤) س : « أحمد بن غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده
اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أجد بهد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاه » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً^(١) لم يقلح بعدها أبداً . ولكني سأنتطوع لك بأن أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعث إليه . وكان رأسه [إلى^(٢)] الجئونة^(٣) ، فيثفل^(٤) الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من الطرف^(٥) ، ثم يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعاباً أبيض ، فيقول : هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جولة . وقطرت من ذلك اللعاب قطرة على طرف قيسر الصيدلاني . قال : فتغشى^(٦) ذلك القاطر حة صار في قدر الدرهم العظيم . ثم إن الحواء امتحن ذلك الموضع قهات

(١) النقر ، بالقاف ، أصله اللعير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهمياري (في كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلني في كلك حتى أدفأ ثم أخرج . فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجي ! فقالت : إني ما دخلت في هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة . وبهذا : « ووافقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل أولئك بالقاف . انظر الجهمياري ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأناضول : نكر ينكر ، بالنون ثم الكاف بعدها زاي مضافة ، كما سيأتي في ص ٢٥٣ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) الجئونة ، بضم الجيم : سلية (تصغير سلة) مشاة آدماء (أي جلداء ملبوسين) تكون مع السطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الجئونة » بالحاء ، صوابه في س .
(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلاً ، وعمل ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيثفل » . يقال تغفله واستغفله : تحييت غفله . والرواية المثبتة من ط .
(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطرق أحد جنبيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين . س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تغشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تغشى الحبر » : إذا كتب على كاهنه رقيق تغشى فيه . ط ، س : « فتغشى » بالثين بدل الفاء ، ووجهه ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُدْبِجَةً ^(١) [تجول] في الطست ويكلم ^(٢) بعضها بعضاً ، حتى أُمِسْنَا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أخذته بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من ^(٣) قيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت ^(٤) حتى مررت معي إلى الصيدلاني ، فأرئته موضعه .

وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في اللحم . إلا أن أخذ ابن المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضرب الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أي الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسيره الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والفور ، والسنانير والأفاعى ، فيينا نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سيجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة ^(٥) ، فقال له : حدثهم بالذي حدثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رءوس أفاع ^(٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكلم : يضرب . ط : « يكلم » بدون واو قبلها .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أي مارحت .

(٥) في الأصل : « معولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه خلفها .

كنّ عندى ، لأرى بها ، وأغفلت تحت السرير رأساً واحداً ، ففتحت عيني
تجاه السرير في الظلمة فرأيت ضياءً إلا أنه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقلت :
عينٌ غولٍ أو بعض أولاد السعالى ، وذهبت نفسي في ألوانٍ من المعاني ،
فكنت قد لحقت ناراً ، وأخذت المصباح معي ، ومضيت نحو السرير فلم أجده
تحتَه إلا رأساً أنفى^(١) ، فأطفأت السراج ونمت^(٢) وفتحت عيني ، فإذا
ذلك الضوء على حاله ، فنهضت فصنعت كصنيعي الأول ، حتى فعلت ذلك
مراراً . قال : فقلت آخر مرة : ما أرى^(٣) شيئاً إلا رأساً أنفى ، فلو نجيتَه ! ٤١
فنجيتَه وأطفأت السراج ، ثم رجعت إلى منامى ، ففتحت عيني فلم أرَ الضوء ،
فعلمت أنه من عين الأنفى ، ثم سألت عن ذلك ، فإذا الأمر حق ، وإذا هو
مشهورٌ في أهل هذه الصناعة .

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربما قبض الرجل الشديد الأسر والقوة القبضة على قفا الحية
فتلطف عليه فتصرعه . وفي صعودها وفي سعيها خلف الرجل الشديد
الحضير ، أو عند هربها حتى تقوت وتسبق ، وليست بذات قوائم ، وإنما

(١) الأنفى مؤنثة ، وقد استعملت اسماً ووصفاً . فن جعلها وصفاً لم يصرف كما
لا يصرف آخر ، ومن جعلها اسماً صرف ، كما صرف أرنبا وأفكلا . المخصص
(١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسي . وقال غيره : « الأنفى تقع على الذكر والمؤنث » .
المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونامت » ، وثام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، هـ : « لا أرى » .

تَنَسَّبُ عَلَى بطنها . وفى تَدَائِعِ أَجْزائها وتعاونها ، وفى حَرَكََةِ الكَلِّ^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إِفْراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تَمَضْجُ ، وإنما تبتلع ، فربَّما كان فى البَضْعَةِ أو فى الشئ الذى ابتلَعَتْهُ عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شَجَرَةٍ ، أو حَجَرًا شَاخِصًا^(٢) فتتطوى عليه انطواءً شديداً فيشطح^(٣) ذلك العَظْمُ حَتَّى يَصِيرَ رُفَاتًا .

ثُمَّ يَقْطَعُ ذَنْبُهَا فَيَنْبِت . ثُمَّ تَعِيشُ فى الماء ، إن صارت فى الماء ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بَرِّيَّةً ، وتعيشُ فى البرِّ بَعْدَ أَنْ طَالَ مُكُتُّهَا فى الماء وصارت مَائِيَّةً .

قال : وَإِنَّمَا أَتَتْهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ ، وَاشْتَدَّتْ فَقَرُّ ظَهْرِهَا هَذِهِ الشَّدَّةُ ، لِكَثْرَةِ أَضْلَاعِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مِنَ الْأَضْلَاعِ عِدَّةَ أَيَّامِ الشَّهْرِ . وهى مع ذلك أطولُ الحَيَوانِ عُمُرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أَنَّ الحَيَّةَ لَا تَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهَا ، وَإِنَّمَا تَمُوتُ بِعَرَضٍ يَعْزِضُهَا . ومع ذلك فإنه ليس فى الحَيَوانِ شَيْءٌ هُوَ أَصْبَرُ عَلَى جُوعٍ مِنْ حَيَّةٍ ، لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ شَابَّةً فَدَخَلَتْ فى حَائِطٍ صَخْرٍ ، فَتَجْبُؤُا مَوْضِعَ مَلْجَأِهَا يَتَدَبَّرُ أَوْ يَجْجُرُ^(٤) ، ثُمَّ هَدَمُوا هَذَا الْحَائِطَ ، وَجَلَّوْهَا هُنَاكَ مَنطُوبَةً

(١) أى كل أجزاءها . ط ، هـ : « حركتها الكلى » صوابه فى س . والقواد
أى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصاً : مرتقماً . س : « حبر شاخص » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) س : « فيشطح » .

(٤) س : « يججر » .

وهي حية . فالثابة تذكر بالصبر عند هذه العلة ^(١) . فإن هومت صغرت
في بدنها ، وأقنعتا التسميم ، ولم تشتت الطعم . وقد قال الشاعر : - وهو
جاهل ^(٢) - :

فابحث له من بعض أعراض اللمم ^(٣) لئيمة من حنثي أعنى أصم
قد عاش حتى هو لا يمشي بدم فكلما أقصد منه الجوع شم ^(٤)
وهذا ^(٥) القول لهذا المعنى . وفي هذا الوجه يقول الشاعر ^(٦) :

داهية قد صغرت من الكير صيل صفا ما ينطوى من القصر ^(٧)

(١) أي تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة سائلة من ه . وفي ط ، س :
« تذكر الضرر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مظه في ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأت في (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللة » بالفتح . وقد صغرها
فيما سيأت .

(٤) أي شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهمل ،
صوابه في س وفي ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابة إصابه محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأت في ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أو هو الثابتة كما في ديوان المعاني

(٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحاسة ابن الجبري

٢٧٣ - ٢٧٤ . وفي مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال الثابتة ، ونسبت

إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب في النخوص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب النخوص

أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الفصح لا ينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه في س ، هـ .

يقول : قد قصر حتى ما يمكن انطواؤه . في نهاية الأرب : « لا تنطوى » ، وفي

ديوان المعاني : « لا ينطوى » ، وفي حاسة ابن الجبري : « ما ينطوى » ،

وهذه مصحفة .

طويلة الإطراق من غير خَفَر^(١) كأنما قد ذهبت بها الفِكر^(٢)

جاء بها الطوفان أيامَ زَخر^(٣)

(صَبَرُهَا عَلَى فَقْدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت موصوفة بالشرِّ والنَّهم ، وسرعَ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبَرِ في أيامِ الشَّتاء ما ليس للزَّهيد^(٤) . ثم هي بعدُ

[يَمَّا^(٥)] يصير بها الحال إلى أن تستغني عن الطَّعم^(٦) .

(النَّمس والثَّعابين)

ثم قد يزعمون أن بحصر دويبة يقال لها النَّمس^(٧) يتخلها الناطور^(٨)

إذا اشتدَّ خوفه مِنَ الثَّعابين ؛ لأنَّ هذه الدَّابة تنقبض وتنضمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بها إلى الأرض . ط ، هـ :
« الأَطراف » بالفاء . ومثله في ديوان المعاني ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لوجه
له ، والصواب المثبت من ص وحاسة ابن الشَّجَرِي . والخفر : شدة الحياة ؛ وهذه
الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « تفر » وفي س ، هـ : « نفر »
وفي أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها في ديوان المعاني وحاسة ابن الشَّجَرِي .
والرواية في ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الأصل بمعنى
الحية ، وهي مؤنثة .

(٢) كلما في ط ، هـ . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاي المجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . هـ : « زخر » بحرف .

(٤) في التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة » وهما القليل الطعم . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٥) من س ، هـ .

(٦) ط : « الطم » صوابه في س ، هـ .

(٧) النَّمس ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم
والذنب ، ولا يزال معروفًا في مصر ، يراه الفلاحون في بعض المزارع ، ويستأنسه
بعض التجار في حوانيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين
النَّمس » ، وقلان مس ، يمتنون بالأول أنه حفيد البصر سريعه ، وبالتالي أنه ألقى
حاذق لا تفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حائط التخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأسيدي : هو الناطور =

وتتضاهل^(١) وتستلق^(٢) ، حتى كأنها قديدة^(٣) أو قطعة جبل ، فإذا عضها الثعبان وانطوى عليها زفرت^(٤) ، وأخذت بنفسها وزحرت^(٥) جوفها فانتفخ .
فتضل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قطعاً من شدة الزخرة^(٦) .
وهذا من أعجب الأحاديث .

(القوائل من الحيات)

والثعابين إحدى القوائل . وزعمون أنها ثلاثة أجناس لا ينجع فيها رقية ولا حيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والمهندية^(٧) . ويقال : إن ما سواها فلأما يقتل مع ما يمدّها من الفزع ؛ فقد يفعل الفزع وحده ؛ فكيف إذا قرن مئهما^(٨) ؟ ! [ومئها^(٩)] إن لم يقتل أمرض^(١٠) .

— والنبط يحملون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطة » وإنما هو ابن الظل .
قلت : ذلك معناها التفصيل الاشتقاق ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد
أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضال : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرقة في ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهي واحدة القدة ، كما في القاموس . والقدة : سيور تعد من جلده فطير غير مديوخ ، فتشد بها الأتخاب والمحمل ، كما في اللسان .
ط ، هـ : « فريدة » صواب في س . وانظر أواخر مغامرة الجوارى والغلمان من وسائل الجاسط .

(٣) زغر الشيء : ملأه ، كما في القاموس . س : « زحرت » ، وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر ، والسفل بالأسود ، ولم أستطع توجيهه : « زجرت » بالجم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزخرة » مصحفة .

(٥) في العبارة نفس وتشويه . وانظر ما نقل البكري عن الجاسط (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأسل . والكلام في حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع في المسموم)

وزعمون أن رجلاً قال^(١) تحت شجرة ، فدلّت عليه حبة منها
فعضّت رأسه ، فانتبه عمرّ الوجه ، فحكّ رأسه ، وتلقّت^(٢) ، فلم ير شيئاً ،
فوضع رأسه بنام ، وأقام مدّة طويلة لا يرى بأساً ، فقال له^(٣) بغض من
كان رأى تدليها عليه ثم تقلصا عنه وهروبا منه^(٤) : هل علمت من أي
شيء كان انتباهك تحت الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بل ،
فإن الحية القلانية نزلت عليك حتى عضّت رأسك ، فلما جلست [فزعا]
تقلصت عنك وتراجعت . ففزع فزعة وصرخ صرخة كانت فيها نفسه .
وكانهم توهّوا أنه لما فزع واضطرب ، وقد كان ذلك السم مغموراً
ممنوعاً فزال ما نبعه ، وأوغله ذلك الفزع ، حين^(٥) تفتّحت منافسه ، إلى
موضع الصميم والدماغ وعمق البدن ، فأنحل موضع العقد الذي انعمدت
عليه أجزاؤه وأخلطه .

وأنشد الأصمعي :

نَكِيحَةٌ تَنْهَشُ بِمَنْبِلٍ^(٦)

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « وهلضت » ، وأثبت ما في س واليسري .

(٣) بدل هذه العبارة في س : « قلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبا منه » ساقط من س . وفي ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) في الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وَأَنْشَدَ لَأَبِي دُوَادٍ الْإِبَادِيُّ :

فَأَتَانِي تَفْجِيمٌ كَتَبَ لِي الْمَدُّ طَلَقَ إِنْ النُّكَيْتَةَ الْإِفْحَامَ^(١)

(أثر الفزع في فعل السم)

قال : فالفَزَعُ إمَّا أَنْ يَكُونَ يُوصِلُ السَّمَّ إِلَى الْمَقَاتِلِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
مَعِينًا لَهُ ، كَتَعَاوَنِ الرَّجُلَيْنِ عَلَى نَزْعِ وَتِدٍ . فَهَمْ^(٢) لَا يَجْزَمُونَ عَلَى أَنَّ الْحَيَّةَ
مِنَ الْقَوَائِلِ الْبَيْتَةِ^(٣) ، إِلَّا أَنْ تَقْتَلَ إِذَا عَضَّتْ النَّائِمَ وَالْمَغْشَى عَلَيْهِ ، وَالطِّفْلَ
الْغَرِيرَ ، وَالْمَجْنُونِ الَّذِي لَا يَتَعَقَّلُ ، وَحَتَّى تَجْرِبَ عَلَيْهِ الْأَدْوِيَةُ .

(الترياق وانتقال الأفعى)

وَكُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُ سَلْمُويَه^(٤)
وَابْنُ مَا سُوْيَه ، وَبَخْتِيشُوعَ بْنَ جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : هَلْ يَنْفَعُ التُّرْيَاقُ مِنْ نَهْشَةِ

(١) التَّفْجِيمُ : أَنْ يَجْعَلَ يَقْتَحِمُ أَيْ يَدْخُلُ فِي الْأَمْرِ فَجَاءَ بِهَا رُويَةً . فِي الْأَصْلِ : « تَفْجِيمٌ »
صَوَابُهُ فِي الشُّعْرَاءِ ١٨٩ . وَكُتِبَ ، هُوَ كُتِبَ بْنِ مَامَةَ ، الرَّجُلُ الْجَوَادُ ، وَكَانَ
قَدْ بَلَغَ أَبَا دُوَادٍ شَيْءًا . عَنْهُ . الشُّعْرَاءُ ١٨٩ . وَفِي الْأَصْلِ : « إِلَى الْمَنْطِقِ » تَصْحِيحُهُ مِنْ
الشُّعْرَاءِ . وَالتَّكْيِيفُ : الْخَلْقَةُ الصَّعْبَةُ ، ط ، هـ : « التَّكْيِيفَةُ » صَوَابُهُ فِي س
وَالشُّعْرَاءِ . وَالْإِفْحَامُ بِمَعْنَى التَّفْجِيمِ ، ط ، هـ : « الْإِفْحَامُ » تَصْحِيحُهُ مِنْ س
وَالشُّعْرَاءِ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَيْتًا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ .

(٢) بَدَلَ هَذِهِ السَّكَلَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا فِي ط : « وَتَرَامِ » ، تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٣) يُقَالُ : حَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ ، بِفَتْحِ اللَّزَامِ مَغْفَفَةً ، أَوْ مُشَدَّدَةً ، أَيْ سَكَتَ . س :
« لَا يَجْزَمُونَ أَنَّ الْحَيَّةَ » الْخ ، وَمَوْدِيُّ الْمَهَارَتَيْنِ وَاحِدٌ عِنْدَ التَّأَمُّلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَكَانَ أَخَذَ دَاوُدَ عِنْدَهُ سَلْمُويَه » ، وَالسَّكَلَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثَةُ
يُفْصِلَانِ الْكَلَامَ .

أفنى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأَفْعَى فَأُدْرِكَتْ قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ^(١) نفع
 ٤٣ الترياق ، وإن لَمْ تُدْرَكْ لَمْ يَنْفَعْ ، لأنهم إِنْ قَلَّوْا مِنْ التَّرياقِ قَتَلَهُ السُّمُّ ،
 وإن كَثُرُوا مِنْهُ قَتَلَهُ الْفَاضِلُ عَنْ مِقْدَارِ الْحَاجَةِ .

قلت : فإن ابنَ العَجُوزِ ^(٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا ^(٣) ليست تنقلب لِجَسِّ السُّمِّ
 وإفراغِهِ ، ولكنَّ الأَفْعَى فِي نَاحِيهَا عَصَلٌ ^(٤) ، وإذا عَضَّتِ اسْتَفْرَغَتْ إِدْخَالَ
 النَّابِ كُلَّهُ ، وَهُوَ أَحَجَنُ عَصَلٍ ^(٥) ، فِيهِ مِثَابُهُ مِنَ الشَّصِّ ^(٦) ، فإذا انْقَلَبَتْ
 كَانَ أَهْلُ لَزْعِهِ وَسَلَّهُ . فَأَمَّا لَصِبُ السُّمِّ وَإِفْرَاغُهُ فَلَا . قَالَ : وَاللَّهِ لَعَلَّهُ
 مَا قُلْتُ ! [قُلْتُ] : مَا أَسْرَعَ مَا شَكُكْتَ ! !

ثمَّ قلتُ لَهُ : فَكَيْفَا ^(٧) وَضَعُوا التَّرياقَ وَاجْتَلَبُوا الْأَفْعَى وَضَعُوا ^(٨)
 وَعَزَمُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِدْرَكِ الْأَفْعَى قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ! وَكَيْفَ صَارَ التَّرياقُ
 بَعْدَ الْإِنْقِلَابِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزَلَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُقْتَلَ بِكَرْتِهِ ، وَإِمَّا
 أَلَّا يَنْفَعُ بِقُلَّتِهِ ! فَكَيْفَا التَّرياقُ لَيْسَ نَفْعُهُ إِلَّا [فِي ^(٩)] الْمَنَزَلَةِ الْوَسْطَى
 الَّتِي لَا تَكُونُ فَاضِلَةً وَلَا نَاقِصَةً ! وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ : كَيْفَ يَكُونُ نَفْعُهُ إِذَا
 كَانَ التَّرياقُ جَيِّدًا قَوِيًّا ، وَعُوجِلَ فَسُقِيَ الْمَقْدَارَ الْأَوْسَطَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ
 الصَّيِّمَ ، وَيُغْوَصَ فِي الْعُمَقِ ^(١٠) . وَعَلَى هَذَا وَضَعَ ، وَهُمْ كَانُوا أَحْزَمَ

(١) س : « تنقلب » .

(٢) فِي ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وَهُوَ أَحَدُ الْحَوَالِينِ .

(٣) س : « بِأَنَّ الْأَفْعَى » .

(٤) الْعَصَلُ ، بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَالتَّحْرِيكِ : الْأَعْوِجَاجُ . س ، هـ : « عَصَلٌ » مُصَنَّفٌ .

(٥) س : « أَحَصَلٌ » ، بِالنَّصَادِ الْمُهْمَلَةِ كَأَنَّ فِي هـ ، ط .

(٦) هَذِهِ الْبَيَّارَةُ لَيْسَتْ فِي هـ ، وَفِي ط ، س : « النَّقْصُ » . وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « فَيَكَيْفَا » .

(٨) كَذَا .

(٩) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ .

(١٠) أَيْ عَمِقَ الْبَدَنِ ، كَمَا رَفِيَ ١٢٢ س ١١ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْعَمِيقُ » .

وَأَخَذَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئاً ، وَمَقْدَارُهُ مِنَ النَّفْعِ لَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .

ويقول بعضُ الحذاق : إِنَّ سِقَى التَّرْيَاقِ بَعْدَ النَّهْشِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ مَوْتُ الْمَنُوشِ .

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : وَمَا عَلَّمَك ؟ وَبِأَيِّ سَبَبٍ ابْتَنَتْ ^(١) أَنَّهَا تَمُجُّ مِنْ جَوْفِ نَابِهَا شَيْئاً ؟ ! وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا غَالِطَةٌ جَوْهَرِ ذَلِكَ النَّابِ لَدِمَ الْإِنْسَانُ ! أَوْ لَسْنَا قَدْ نَجِدُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ يَعْصُ صَاحِبَهُ فَيَقْتُلُهُ ، وَيَكُونُ مَعْرُوفاً بِذَلِكَ ؟ ! وَقَدْ تَقَرُّونَ أَنَّ الْهِنْدِيَّةَ وَالْثُعْبَانَ يَقْتُلَانِ ، إِمَّا بِمَخَالِطَةِ ^(٢) الرِّيقِ وَالدَّمِ ، وَإِمَّا بِمَخَالِطَةِ السِّنِّ وَالدَّمِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْعُوا أَنَّ أَسْنَانَهُمَا مَجُوفَةٌ ^(٣) . وَقَدْ أَجْمَعَ جَمِيعُ أَهْوَائِ التَّجَارِبِ أَنَّ الْحَيَّةَ تَضْرِبُ بِقَصْبَةِ ^(٤) فَتَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَصَا وَقَدْ يَضْرِبُ الرَّجُلُ عَلَى جَسَدِهِ بِقَضْبَانِ اللَّوْزِ وَقَضْبَانِ الرُّمَانِ ، وَقَضْبَانِ الْأَوْزِ أَعْلَكُ ^(٥) وَالْدَّنَّ ، وَلَكِنَّهَا أَسْلَمُ ^(٦) ، وَقَضْبَانِ الرُّمَانِ أَخْفُ وَأَسْخَفُ وَلَكِنَّا أَعْطَبَ .

وَقَدْ يَطَأُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظْمٍ حَيَّةٍ أَوْ لَبْرَةٍ عَقْرَبٍ ، وَهِيَ مَيْتَتَانِ ، فَيَلْقَى الْجَهْدَ . وَقَدْ يُخْرِجُ السَّكِّينَ مِنَ الْكَبِيرِ وَهُوَ مُحْمَى ، فَيُغْمَسَ فِي الْبَلَنِ

(١) كَذَا فِي س . وَفِي ط ، هـ : « عَلِمَتْ » .

(٢) ط ، هـ : « غَالِطَةٌ » .

(٣) س : « جَوْفٌ » : جَمْعُ جَوْفَاءَ .

(٤) س : « بِمَصْبِيَّةٍ » : تَصْنِيعُ عَصَا ، سِوَايَةِ قِطْعَةٍ ، هـ .

(٥) أَعْلَكُ يَعْنِي أَشَدُّ وَأَمْتَنُ . وَيُقَالُ : طَعَامُ مَالِكٍ وَطَكٌ — كَكَيْفٍ : مَتْنِ الْمَضْنَةِ .

وَالْدَّنَّ . مِنَ الْغَلْوَةِ ، وَهِيَ الْبَلَنُ . وَالْدَّنَّ : الْبَلَنُ .

(٦) ط ، س : « أَسْمٌ » سِوَاهُمَا قِيَاهُ .

ففى خالط الدَّم مقامَ السمِّ ، من غير أن يكون مَجَّ فى الدَّم رطوبة غليظة أو رقيقة .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها - وهو رِخْوٌ - الأورَامُ حتى يفرَّقها ويُحْمَصَها ^(١) من غير أن يكونَ نَفَذَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وليس إلا الملاقاة .

قلت : ^(٢) ولعلَّ قوَى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النَّاسِ .

وقد رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لجلالينوس : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرِقُ الْعَقَابِرُ فَتَمُوتُ ، أَوْ

٤٤ تَحُلُّ فَلَا تَعْمَلُ ، فَرَأَاهُ يَرْقِيهَا وَيُضَلُّ عَلَيْهَا ، فَدَعَا بِهِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ وَهُوَ عَلَى

الرَّيْقِ ، وَدَعَا بِقَدَائِهِ فَتَعَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ دَعَى لَهُ بِالْعَقَابِرِ فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ، فَلَمْ

يَجِدْ لَعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ

الطَّبِّ ، وَأَنْتَ طَيِّبٌ . فَلَمْ أَرَهُ فِى يَوْمِهِ ذَلِكَ قَالَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ

الْخَزَرِ وَالْحَنْدَسِ ، وَبِاللَّاهِ .

(السَّعُومُ)

وسمومُ الحَيَّاتِ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ ، وَالْعَقَابِرِ ذَوَاتِ الْإِبْرِ ، إِنْمَا تَعْمَلُ

فِى الدَّمِ بِالْإِجْمَادِ وَالْإِذَابَةِ . وَكَذَا سَمُومُ ذَوَاتِ الشَّعْرِ وَالْقُرُونِ وَالْجُلْمِ ،

إِنْمَا تَعْمَلُ فِى الْعَصَبِ ، وَمِنْهَا مَا يَعْمَلُ فِى الدَّمِ .

(١) ط : « حتى يفرَّقها » س : « حتى يفرَّقها » صوابه فى هـ . ويحتملها :
يحملها تنحصر إلى تنقيض وتنضال وتسكن . هـ : « يحمصها » بالحاء المعجمة ،
وهى حمصة بمعنى الأول .

(٢) فى الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير
المتكلم ، وهو الجاسط . وانتظر انتصار الجاسط للقول بالتوى الفاصلة من بعض
الأشياء ، فى الجزء الثانى من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمّا برمى^(١) وإمّا ببارى^(٢) وهما بلادُ حَيَاتٍ وَأَفَاعٍ^(٣) ، ونحن في عُرْسٍ ، إذ أدخلوا الخِدرَ العروسَ^(٤) فأبطنوا عليه شيئاً ، فأغنى وتلوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفضها وحجّمتُ على ذراعه — وقد يقال ذلك إذا كانت العضّة في صورةٍ شرطيّ الحجام — فصَرَخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوا ، وسقّوه في تلك اللَّيلةِ لَبَنَ أَرْبَعِينَ عَزْراً ، كُلَّمَا اسْتَقَرَّ في جِفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَنِ قَاءَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَمْثَالِ طَلْعِ^(٧) الْقُحَالِ الأبيض^(٨) ، فيه طرائق من دَسَمٍ تملوه خضرة ، حتّى استوفى ذلك اللَّبَنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرَجْتُم ذلك السمَّ فقد أخرَجْتُم نَفْسَهُ مَعَهُ ! قال : ففَبَرّاً أَيْاماً بأسولٍ حالٍ ثمّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرْعَةِ استحالة اللَّبَنِ وَجُودِهِ .

(١) هـ : « برمى » .

(٢) س : « ببارى » .

(٣) في الأصل : « أفاعى » بآتياء الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت من هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في الكافور ، أى الثلاث .

(٨) القحاح ، كرماني : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للقحاح .

(١) كثفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيات البرية إذا هرمت تنسمت النسيم فاكثفت به ^(١) ،
وكذلك الضباب إذا هرمت .
قال : ولا يكون ذلك للسائية من حيات النياض ^(٢) وشطوط
الأنهار ، ومناقع ^(٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيات المائية ، إما أن تكون بريّة أو جبلية ، فاكثفتها
السبيل واحتملتها في كثير من أصناف الحشرات والدواب والسباع ،
فتوالدت تلك الحيات وتلاححت هناك . وإما أن تكون كانت أمهاتها
وآبائوها في حيات الماء . وكيف دارت الأمور فإن الحيات في أصل الطبع
مائية . وهي تعيش في التّدى ، وفي الماء ، وفي البرّ وفي البحر ، وفي الصّخر
والرّمْل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ،
والآخر للبعد من الرّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والنياض :

(١) س : « واكثفت بذلك » .

(٢) النياض : جمع قنصة بالفتح ، وهي مجتمع الصخر في منيف ماء . هـ : « النيات »
بحرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« مناقع » ، صوابه في س ، هـ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء في الماء بما يعيش السمك ، مما أشبه الحيات كالمارماهي ^(١) والأنكليس ^(٢) فلانها ^(٣) كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نعل سمك وحيات تلاقحت ^(٤) ، إذ ^(٥) كان [طياع ^(٦)] السمك قريباً من ٤٠ طباع تلك الحيات . والحيات في الأصل مائية ، وكلها كانت حيات .

(١) المارماهي : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي وضبطت رايه بالسكس في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهي » صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت النعمري يقول إنهما نوع واحد . انظر رسي (الأنكليس ، والجري) فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهي هو حيات الماء المعروف عتفاً بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني مررب كما في معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا النعمري ، بفتح الهززة واللام ويسكرهما ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » باللقاف .

(٣) في الأصل : « ولانها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت س ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(قراءة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْزَى^(٣) البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نَحْلَ التارجيل^(٤) هو نخل المقل^(٥) ، ولكنه انقلب لطباع البلدة . وأشبّه ذلك كثير .

ويزعمون أن القيلة مائية الطبايع بالهاموسية والخنزيرية التي فيها .

(١) المشان ككواب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من القوارض ، قيل إن نخله يجمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساج : « إذا طلعت الخرافات ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أي عن أبي حنيفة — صاحب الخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرقى ، بالقلم وبالفصح : ضرب من القمر ، جاء في الخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالبلدة مثل البرقى بالبصرة ، تلتقط أبدأ حتى لا يبق عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فناه الحبل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « حان » وفي س : « قرنيا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التبيين الأول من هذه الصفحة .

(٤) التارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « تاركيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « التارجيل » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) المقل ، بالقلم : حل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم ^(١) مما لا يجترى بالنسيم ^(٢) ،
فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ؛ ليبرد جوفه من الالهيبة ^(٣) الذى
يعترى السباع ، ولأن ذلك يمد قوته ، ويقطع عنه برودته ^(٤) ولطافته الرقيق .
فإن كان ذا شعر ^(٥) [إذا عدا ^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعلَ الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان
فى الجوع والصبر ؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ التَّهم ، وغيبُ حريصُ شره ؛ وهو مع
ذلك يَحْتَمِلُ أن يبقى أليماً لا يأكلُ شيئاً . والذئبُ وإن كان أَفْهَرُ ^(٧)
منزلاً ، وأقلَّ خصباً ، وأكثرَ كذاً ^(٨) وإخفاقاً ، فلا بدُّ له من شيء
يُلْقِيهِ فى جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى ه .

(٢) فى الأصل : « الحرم منها لا يجترى بالنسيم » ، وكلمة « الحرم » مقحمة . وكلمة
« منها » بحرفة عما أثبت .

(٣) س : « الالهة » .

(٤) س : « يبرده » .

(٥) السر ، بالغيم : الجوع والحرق . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، ه ومباح الفكر والمبهرى وثمار القلوب ٣١٠
وفى س : « أقصد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباح الفكر والمبهرى . والكسدة : الشدة فى العمل ، والإخلاق
فى محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء
بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائنين)

والتَّاسَ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطْنِهِمُ الْعَامِ . فَإِنْ اسْتَقَلُّوا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحِجَرَ ^(١) .

(شعر في الذئب)

وَأَنْشَدَ ^(٢) :

كَيْدُ الْغَفَى الْعَادِي أَضْلُ جِرَاءِهِ ^(٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ ^(٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَاءِهِ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ ^(٥) :

يَسْتَحْبِرُ ^(٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ ^(٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشد وطأتك على مضر . . . » الخ - قال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شدد هو وشدة المسلمون على بطونهم المجاورة من الجوع . ط : « الحيز » صوابه قس ، ه .

(٢) ط : « وَأَنْشَدُوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغفَى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغفَى أخذت الذئاب . العادي : بالذال : الذي يعمو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراء : بالسكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أضل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذاتك تصحيفان .

(٤) الثرثرف : ما حلا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمس ريح أولاده . يلحَب : يسرع .

(٥) هو أبو الردى المكل ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستحبر » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (نحر ، قرح) « يستحبر » وقال : « استخرها » قايلاها بأنفه ليكون أروح لنفسه .

(٧) المِقْرَاع : الفأس يكرر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديد : حدها .

(شَمّ الظلم)

والظلم يكون على بيضه فيشم^١ ربح القانص من أكثر من غلوة ،
ويبعد عن رثاله^(١) فيشم^٢ ربحها من مكان بعيد .
وأنشدني يحيى بن نعيم^(٣) بن زَمعة قال :
أشم^٤ من مَيّتي وأهدى من جَمَل^(٥)
وأنشدني عمرو بن كير كيرة^(٦) :

مَا زَالَ يَشْمُ اشْتَامَ الْحَيِّقِ
قال وإتّما جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الحمر^(٧) أعيب .
ويقولون : شَيْطان الحماطة^(٨) . يريدون الحية .

(بعض ضروب الحيات)

وكلُّ حيةٍ خفيفةِ الجسمِ فهي شيطان^(٩) . والثقالُ لا تنشط من
أرضٍ إلى أرضٍ ، وتثقلُ عما تبلّغهُ المستطيلاتُ الخفاف . وقال طرفة :
تلاعبُ مَشْنَى حَضْرِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمَّجُ شَيْطانٍ بَدَى خِرُوعٍ قَفْرٍ^(١٠)

- (١) الرثال : جمع رَأَى ، وهو فرخ النعام .
(٢) في الأصل : « الحِم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نعيم
في (٢ : ٣٥١) .
(٣) الحقيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .
(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « حمر » صوابه في س ، هـ .
(٥) الحمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .
(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبل ، والحيات تألفه .
(٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت دامية منها شيطانا » .
(٨) ط : « وخضري » ، صوابه في س ، هـ . تعجج : تلو . ط ، هـ : « تقعج »
صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيماد في (٦ : ١٩٢) .

الكِرْمَانِي عَنْ أَنَسٍ - وَلَا أَدْرِي مَنْ أَنَسٌ هَذَا - فِي صِفَةِ نَاقَةٍ :

شَنَاجِيَةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا

حَبَابٌ يَكْفُ الشَّؤْمِ مِنْ أَسْطَعِ حَشْرِ^(١)

وَالْحَبَابُ : الْحَيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وَمَا يَقُولُونَ : ذُئِبَ الْحَمَرُ ، يَقُولُونَ : أَرْنَبُ الْخَلَّةِ^(٢) ، وَتَيْسُ الرُّبُلِ^(٣)

٤٦ وَضُبُّ السَّحَا^(٤) . وَالسَّحَا^(٥) بَقْلَةٌ تَحْسُنُ حَالَهُ^(٦) مَنْ أَكَلَهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : « مَا هُوَ إِلَّا قَنْفُذٌ بُرَّةٌ^(٧) » لِأَنَّهُ يَكُونُ أُخْبَثَ لَهُ :

وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى قَدَرِ طِبَائِعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغْذِيَةِ الْعَامِلَةِ فِي طِبَائِعِ الْحَيَوَانِ .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأور : الزمام . ط : « الشاء » صوابه في س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : المتق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالفهم : شجرة شاكّة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلة » بالخاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكّة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظبياء أو الوعول . والرُّبُل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تقطرت بهورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في (٦ : ١٢٣) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كئيس الربل ينفض رأسه أذاة به من صائلك معطلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكّة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شاكّة يرعاه النحل ، صله غايّة .

(٥) س : « حاة » .

(٦) البرقة ، بالفهم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطن منقطعة .

(بعض طبائع البلدان)

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ دَخَلَ أَرْضَ تُبَّتْ^(١) لَمْ يَزَلْ ضَاحِكًا
مُسْرورًا ، مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ^(٢) حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا .

وَمَنْ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ حَوْلًا ثُمَّ تَفَقَّدَ قُوَّتَهُ وَجَدَ فِيهَا فَضْلًا . وَمَنْ أَقَامَ
بِالْأَهْوَازِ حَوْلًا فَتَفَقَّدَ عَقْلَهُ^(٣) دُوِّ فِرَاسَةٍ وَجَدَ النُّقْصَانَ فِيهِ يَبْنًا . كَمَا يُقَالُ
فِي حُمَى خَيْبَرِ^(٤) ، وَطِحَالِ الْبَحْرَيْنِ^(٥) ، وَدُمَائِيلِ الْجَزِيرَةِ^(٦) ، [وَجَرَبِ
الزَّنَجِ^(٧)] . وَقَالَ الشَّيْخُ^(٨) .

- (١) تَبَّتْ : بِضَمِّ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمَفْتُوحَةِ : ذَاكَ الْإِتْلَامُ الصَّغِيرُ .
- (٢) الْعَجَبُ : مَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ . وَتَجِدُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَتَحْسَارِ الْقُلُوبِ
٣١٠ وَهَيُونَ الْأَخْبَارِ ١ : ٢١٩ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاقِبِ ٢ : ٢٦٤ . قَالَ يَاقُوتُ
فِي نَمْتِ أَهْلِهَا : « وَالتَّيْسُ فِيهِمْ عَامٌ حَتَّى إِذَا لِيْظَهَرَ فِي وَجْهِهِمْ بِهَاتِمُهُمْ ! » .
- (٣) ط ، هـ : « قُوَّتُهُ » ، صَوَابُهُ فِي سٍ وَهَيُونَ الْأَخْبَارِ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاقِبِ .
قَالَ يَاقُوتُ : « وَمَنْ أَقَامَ بِهَا سَاعَةً نَقَصَ عَقْلَهُ » .
- (٤) خَيْبَرُ : هِيَ الْوَلَايَةُ الَّتِي كَانَتْ مِنْهَا الْغَزْوَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَكَانَتْ ذَاتُ سَبْعَةِ حَصُونٍ
وَلِلَّذِي تَسْمَى « خَيْبَرُ » أَيْضًا ، كَمَا وَرَدَ فِي شَعْرِ لَازِنْ قَيْسِ الرُّقَيْعَاتِ . وَمَعْنَى
« خَيْبَرُ » الْحَصْنُ بِالْقَلْعَةِ الْبُحْرِيَّةِ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا « خَيْبَرِي »
كَأَنَّ وَرْدَ فِي الْأَمْثَالِ : « بِهَ الْوَدَى . وَحَى خَيْبَرِي » . أَمْثَالُ الْمِيدَانِ (١ : ٩٥)
وَفِي الْمَقَدِّ (٤ : ٣٠١) مَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ يَهُودَ خَيْبَرٍ كَانُوا يَتَّبِعُونَ نِظَامًا صَحِيحًا كَفَلَ
لَهُمْ قَلَّةَ التَّعَرُّضِ لِمَا هَا : « سَلَّ يَهُودُ خَيْبَرٍ : بِمِصْحَمٍ عَلَى وَهَاءِ خَيْبَرٍ ؟ قَالُوا :
بِأَكْلِ الْقَوْمِ ، وَشَرَبِ الْخَمْرِ ، وَسُكُونِ الْبِقَاعِ ، وَتَجَنُّبِ بَطْنِ الْأَوْدِيَةِ ، وَالخُرُوجِ
مِنْ خَيْبَرٍ عِنْدَ طُلُوعِ النُّجُومِ وَعِنْدَ سَقُوطِهِ » .

(٥) قَالُوا : مَنْ سَكَنَ بِالْبَحْرَيْنِ عَظُمَ طِمَاحُهُ ، وَقَالَ شَاعِرُهُمْ :

وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِمَاحُهُ وَيَغِيْطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ

- (٦) هَذِهِ الْجَزِيرَةُ هِيَ الْمَسْمَاةُ « جَزِيرَةُ أَفُورَ » ، وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ بِمَجَاوِرَةِ الشَّامِ
تَشْتَمِلُ عَلَى دِيَارِ بَكْرٍ وَدِيَارِ مَضَرَ ، وَمِنْ أَمْهَاتِ مَدَنِيَّاتِ حِرَانَ وَالرَّهَا وَالرَّقَّةِ وَرَأْسِ عَيْنَ
وَتَعْسِيبِينَ وَسَنْجَارَ وَالْحَلَابُورَ ، وَمَارْدِينَ وَأَمْدَ وَمِيافَارْتِينَ وَالْمَوْصِلَ . انْظُرْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ .
- (٧) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ هـ . وَفِي تَحَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٥ : « طَرِبَ الزَّنَجُ » حَيْثُ تَحَدَّثُ
فِي ذَلِكَ حَدِيثًا طَوِيلًا . وَكُلُّ مَهْمَا خَاصَةً مِنْ خَوَاصِ الزَّنَجِ . وَمَعْنَاهُ فِي ١٣٩
فِي السِّكَلَامِ عَلَى بِلَادِ الزَّنَجِ : « لَا يَزَالُ جَرِبًا مَا أَقَامَ بِهَا » .

(٨) س : « شَيْخ » .

كَأَنَّ نَطَاطَ خَيْبَرٍ زُوْدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رَيْثَةَ الْقُلُوعِ ^(١)

وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جَعَتْهُ ^(٢) خَيْبَرِيَّةٌ يَعُودُ عَلَيْهِ وَرْدُهَا وَقَلَاكَ ^(٣)

وقال آخر :

كَأَنَّ حَسَى خَيْبَرٍ تَمَلُّهُ ^(٤)

وكذلك القول في وادي جَحْفَةٍ ^(٥) ، وفي مَهْيَعَةٍ ^(٦) ، وفي أصول النخل

حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السُّلُوِيُّ في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : حين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « نطاة »
سوايه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشايف ٥٧ . زودته : أمطه
زادا . بكور الورد : يعني حتى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رثقه » مكان « ريشه » ، سوايه في المعجم
واللهيوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذي نقض ثم تفل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرغية » صوابها
ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيرية الحسى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحسى ، أو هو يوم ورودها . « قلاط » :
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاط » . وللال ، بالضم :
حرارة الحسى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في اللهيوان .

(٤) تملّه : كأنها تفضمه في الملة ، وهي بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استنوبها ، وحس
أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة » ، أو أشد ، وصحبها ،
وبارك لنا في نساءها وملعها ، وانقل حماها إلى الجحفة .

(٦) مهية : موضع قريب من الجحفة .

أَتَبَحَّ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبُ غَلِيظُ الْقَصِيرَى لِحْمُهُ مُتَكَوِّسٌ^(١)
تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي بِحُكِّكَ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِصٌ^(٢)
فَحَدَّثَنِي أَبُو زُفَرٍ الْفَرَّائِيُّ^(٣) قَالَ : مَاتَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ
سَنَةً بِالْأَمَامِيلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَا احْتَمَلَهَا
مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وَكُلُّكَ الْقَوْلُ فِي طَوَاعِينِ الشَّامِ . قَالَ أَحَدُ بَنِي الْمَغِيرَةِ^(٤) ، فِيمَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ بِطَوَاعِينِ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَعْنِ الرَّمَاحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي :
مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيَعْرِضُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْتِنِهِ كَاذِبٌ
أَفْتَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانَهُمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
وَمَنْ بَنَى أَعْمَامَهُمْ مِثْلَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا عَجِبَ الْعَاجِبُ^(٧)
طَعْنٌ وَطَاعُوسٌ مُنَابَاهُهُمْ ذَلِكَ مَا خَطُّ لَنَا الْكَاتِبُ

(١) شُرْطَةُ كُلِّ شَيْءٍ : خِيَارُهُ ، وَمِنْهُ شُرْطُ السُّلْطَانِ ، وَهِيَ خِيَارُ جَنَّتِهِ . فِي الْأَصْلِ :
« سَوِطَةٌ » وَتَوَجُّعُهُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . وَالْجَانِبُ : الْقَصِيرُ . وَالْقَصِيرَى : وَالْقَصِيرَى : س :
بِهِمُ الْقَافُ وَفَتْحُ الصَّادِ مَعَ الْقَصْرِ : أَعْلَى الْأَضْلَاحِ . ط : « الْقَصِيرَى » س :
« الْقَصِيرُ » صَوَابُهُ فِي هُوَ وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ، وَالرَّوَايَةُ فِيهِ : « عَرِضُ الْقَصِيرَى » .
مُتَكَوِّسٌ : مُتَرَكَبٌ مُتَرَكَمٌ . ط ، هـ : « مُتَقَاوِسٌ » س . « مُتَقَاوِسٌ »
تَصْحِيحُهُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

(٢) الْحِكْمُ : مِثْلُهُ فِيهَا شَبْهُ بِمِثْلِ الْمَرْأَةِ الْقَصِيرَةِ إِذَا تَحَرَّكَتْ وَهَزَّتْ مَنَكِبَيْهَا . وَرَوَايَةُ
الْمَعْجَمِ : « أَلَدَ إِذَا يَمْضِي بِحُكِّكَ » . الْأَلَدُ : السَّيْنُ . يَحْكُكُ : يَتَبَخَّرُ وَيَحْتَالُ . ط :
« كَأَنَّمَا » صَوَابُهُ فِي س ، هـ وَالْمَعْجَمِ .

(٣) ط : « الْفَرَّائِيُّ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ . وَبَدَلَهُ فِي تِمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٨ : « أَبُو زُرْعَةَ فَقَطْ » .

(٤) هُوَ الْمُهَاجِرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِيُّ . الْإِسَابَةُ ٨٣٢٩ .

(٥) مَرَسُوه ، كَقَرَحٍ : لَزِمَهُ .

(٦) فَرَسَانَهُمْ ، بَدَلُ مِنْ بَنِي رَيْطَةَ . لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ : أَيُّ لَانْهَمَ فِي
مُقَابِلِ الشَّيْبَانِ . وَرَيْطَةُ هِيَ زَوْجُ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَزْزِمْ . انْظُرِ الْإِسْتِزْرَاقَاتِ .

(٧) الْعَاجِبُ : الْمُتَعَجَّبُ . وَفِي تِمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٥ : « يَعْجَبُ الْعَاجِبُ » وَفِي س :
« حَبِيبٌ حَاجِبٌ » ، وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَثْلَتَ لِلْمَالِئَةِ ، كَقَوْلِهِمْ يَوْمَ الْيَوْمِ ، وَلَيْلَ الْيَلِيلِ ،
وَرَوْحُ الْأَرِيضِ ، وَظِلُّ الظِّلِّ ، وَحَرَزُ الْحَرِيزِ ، وَدَاءُ الدَّوَى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ بنَ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ، عَلَى عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَاجِّهِ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ، وَعَرَفَ سَيْتَهُ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحْسَدُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ ٤٧ عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِيَكَ أَهْلُكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ^(١) ، فَالْحَقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ ^(٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ^(٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ خِشْيَةً سِوَهُ ظَنَّهُ ^(٤) . فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرَفَةَ عَيْنٍ . قَالَ : اذْكُرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضْمَحُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَنْدَكُرُ حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مَعِيَ السَّاعَةَ ! يَرِيدُ أَنْ الْقُلُوبُ أَرْقُ مَا تَكُونُ إِذَا تَلَاقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بُعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ ^(٥) .

(١) فِي تِمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلُكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي (٣ : ٤٧٢) .

(٢) تِمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ » ، وَفِي الْحَيْرَانِ (٣ : ٤٧٢) : « فَإِنَّ حَوَائِجَهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَمَّا يَنْظُرُ بِهِ لِلْعَدَاءِ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَ مِنْ سِوَا وَجْهِهِ .

(٥) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

مَنْ يَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيُغْبَطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر دكين الرّاجز ، إلى أبي العباس^(٢) محمد بن ذؤيب القُقيمي الرّاجز ،
وهو غُلَيْمٌ مصفرٌ مطحول^(٣) ، وهو يمتَحُ على بَكْرَةٍ^(٤) ويرتجز . فقال : من
هذا الغامّي^(٥) ؟ فلزمته هذه النّسبة .

(جرب الزنج)

وحدثني يوسف الزنجي أنّه لا بدّ لكلّ مَنْ قَدِمَ من شِقِّ العراق إلى بلادِ
الزّنج ألا يزالَ جَرِباً ، ما أقام بها . وإنْ أَكْثَرَ من شُرْبِ نبيذها ، أو شرابِ
النّارَجِيل ، طَمَسَ النّحْمَارُ على عقله ، حتّى لا يكونَ بينه وبين المتحوّهِ إلّا
الشَّيء اليسير .

(١) انظر أمثال الميادني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « الذّئب مغبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س ، « ابن العباس » سواه في س ، وقد نقلت ترجمته في (٢ : ١٦٦) : وفي الأَخاف (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيّتان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاصّ بمن له كنيّتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحالهِ .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرّك : غشّية مستديرة في وسطها محز يستقر عليها .

(٥) الغامّي نسبة إلى عمان ، بضم الغين بفتحها ميم مفتوحة غشقة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل التّولة العبّاسية . قال ياقوت : « فلما ولي
بنو العبّاس سيروا عمان والبحرين وإجماعة عملاً واحداً » . وما يجدر ذكره أن
أصل نسبة أبي العبّاس إلى البصرة ، أنّهُ هو بصري ، كما في الأَخاف . وقد عقد
ابن حقّية فصلاً لمثل هذه النّسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيبة)

وَجَبَرْنِي كَمْ شَلَّتْ مِنَ الْفَزَا ، أَنْ مَنْ أَطَالَ الصُّومَ بِالمَصِيبَةِ^(١) فِي
أَيَّامِ الصَّبِّ ، هَاجَ بِهِ الْمَرَارُ . وَأَنْ كَثِيراً مِنْهُمْ قَدْ جُذُّوا عَنْ^(٢)
ذَلِكَ الْإِحْرَاقِ .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فَأَمَّا قَصَبَةُ^(٣) الْأَهْوَا ، فَإِنَّهَا قَلَبَتْ كُلَّ مَنْ زَارَهَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى
كَثِيرٍ مِنْ طِبَاعِهِمْ وَشِمَائِلِهِمْ^(٤) ، وَلَابَدٌ لِلهَاشِمِيِّ ، قَبِيحَ الْوَجْهِ كَانَ أَوْ حَسَنًا ،
أَوْ^(٥) دُمِيًّا كَانَ أَوْ بَارِعًا رَائِعًا ، مِنْ أَنْ يَكُونَ لَوَجْهِهِ وَشِمَائِلِهِ طِبَاعٌ يُبَيِّنُ بِهَا
مِنْ جَمِيعِ قَرِيشٍ وَجَمِيعِ الْعَرَبِ . فَلَقَدْ كَادَتْ الْبَلَدَةُ أَنْ تَنْقُلَ ذَلِكَ فَنَبْدَلَهُ^(٦) ،
وَلَقَدْ تَخَيَّفْتُهُ^(٧) وَأَدْخَلْتُ الضَّمِيمَ عَلَيْهِ ، وَيَبْنَتْ أَرْهَافُهُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِصَنِيعِهَا
فِي سَائِرِ الْأَجْنَاسِ^(٨) ؟

وَلِفَسَادِ عُقُولِهِمْ ، وَلِزُومِ طَبْعِ بِلَادِهِمْ ، لِأَتْرَافِهِمْ مَعَ تِلْكَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ ،

(١) يُقَالُ مَصِيبَةٌ ، بِالْفَتْحِ وَالضَّادِ الْمَشْدُودَةِ الْمَكْسُورَةِ ، وَمَصِيبَةٌ بِالتَّخْفِيفِ ، وَالْأَوَّلُ
أَصَحُّ ، وَهُوَ بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةِ وَبِلَادِ الرُّومِ .

(٢) ط ، هـ : « مِنْ » .

(٣) ط ، هـ : « قَصَبَةٌ » ، صَوَابُهُ فِي س . وَقَصَبَةُ الْأَهْوَا ، أَيْ أَكْبَرُهَا .
قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ : « الْأَهْوَا : سَبْعُ كُورٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَفَارَسِ » .

(٤) أَيْ طِبَائِعِ الْأَهْوَايِيِّينَ وَشِمَائِلِهِمْ . وَفِي مَجْمَعِ الْبُلْدَانِ : « فَأَنْقَلَبُوا إِلَى طِبَاعِ أَهْلِهَا » .

(٥) الْأَفْضَلُ إِسْقَاطُ هَذَا الْحَرْفِ كَمَا فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٧ .

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَسَابِقَتُهَا سَاقِلَتَانِ مِنْ س .

(٧) تَخَيَّفْتُهُ وَتَخَوَّفْتُهُ . ط : « تَخَفَيْتُهُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٨) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٥ ، نَقَلًا عَنْ الْجَاهِظِ : « لَقَدْ تَخَفَيْتُهُ وَتَدَخَّلَ الْفَنَى عَلَيْهِ وَتَبَيَّنَ
أَرْهَافُهُ » . الْخ .

والضبياع القاشية ، يحبون من البنين والبنات ما يحبه أوساط أهل الأمصار على الأثروة واليسار ، وإن طال ذلك . والمال منبهة كما تعلمون .

وقد يكنسب الرُّجُل ، من غيرهم ، المُوَيْل^(١) اليسير ، فلا يرضى لولده حتى يفرض له المؤذنين^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس في الأرض صناعة مذكورة ، ولا أدب شريف ، ولا مذهب محمود ، لم في شيء منه نصيب وإن خَس^(٤) . ولم أَرِ بها وَجَنَةً حمراء لصبي ولا صبيّة ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهي قَتَالَةٌ للغرباء .

وعلى أَنَّ مُحَامَا خاصَّه ليست للغريب بأسرعَ منها إلى القريب . ٤٨
ووبأوها^(٥) ، ومُحَامَا ، في وقت انكشاف الوباء وتُزْوَع الحمى عن جميع البلدان . وكلُّ محومٍ في الأرض فإنَّ مُحَامَا لا تنزع عنه ، ولا تفارقه ، وفي بدنه منها بقية ، فإذا زَرَعَتْ عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءة ، إلى أن يعود إلى الخلط ، وأنَّ يجمع في جوفه الفساد^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤذنين ، جمع مؤذِب ، يكرس الدال . والجاحظ ومن نحو نحوه يحمل المؤذِب فوق الملم . قال في رسالة الملطين (هامشة السكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤذِب كبار وسلم صفار » س : « المؤذنين » بحرف .

(٣) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك » ، وتصح مع إعادة التفسير إلى ولده ، أي هو يختار لولده المتأخرين من المؤذنين .

(٤) خَس : قل . وفي الأصل وكذا في معجم البلدان : « حسن » . وبعدها في المعجم « لودق أوجل » ، ويقاوت يكون رهب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووبأوها » ،

(٦) يده في معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجمع في بطنه من الأعلاط الريدية » .

لأنها تعاود من نَزَعَتْ عنه من غير حَدَث ، كما تعاود أصحابَ الحَدَث ،
لأنهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل النَّهْم^(١) ، ومن قَبْلِ الْخَلْطِ وَالْإِكْتَارِ ،
وإنَّمَا يُؤْتَوْنَ من عَيْنِ الْبَلَدَةِ .

وكنلك جمعت سوقَ الأهوازِ الأفاعي في جبلها الطَّاعِنِ في منازلها ،
المطلِّ عليها ، والجُرَّاراتِ^(٢) في بيوتها ومقابرها ومنابرها . ولو كان في
العالمُ شيءٌ هو شرٌّ من الأفعى والجُرَّارة ، لما قَصَّرَتْ قَصْبَةُ الأهوازِ عن
توليده وتلقيحه . وبلتُها^(٣) أنها من ورائها سِبَاخٌ^(٤) ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ
وفيها أنهارٌ تشقُّها مَسَائِلُ كُنْفِهِمْ^(٥) ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَصِّلَاتِهِمْ^(٦)
فإذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَطَالَ مُقَامُهَا ، وطالت مقابلتها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « النَّهْم » جمع نَحْمَةٌ . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجُرَّارات : ضرب من المقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليتها » وفي هـ : « تليتها » .

وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سِبَاخ ، بالكسر : جمع سِبْخة بالتحريك ، وهي الأرض تملؤها ملوحة ولا تسكاد
تلبث إلا بعضَ الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفان عما
أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيا
مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها
وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء
مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصالب »
وهذه لا يمتدح بها الأصمى ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعمود :
« مصليات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :
« وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة
فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً » ، بل جعله بعضهم لغتاً . غيث للفتح ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوصلتهم » بالإنفراد . وفي ثمار القلوب
« ميضاتهم » .

بالصخرية التي فيه^(١) تلك الجمرات . فإذا امتلأت يُبَسَّأ وحرارة ،
وعادت جمرَةً واحدة ، قلغت ما قبلت من ذلك عليهم .

وقد مُحْدِث [تلك] السَّبَاخ^(٢) وتلك الأَنْهَار^(٣) مُتَجَارَأً فاسداً ، فإذا
التقى عليهم ما مُحْدِث السَّبَاخ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فَسَدَ الهَوَاءُ . وبفساد
الهواء يفسد^(٤) كلُّ شَيْءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدثني إبراهيمُ بن عباسٍ بن محمد بن منصور ، عن مَشَيْخَةٍ^(٥) من
أهل الأهواز ، عن القوابل ، أَنَّهُنَّ رَجِمَا قَيْلَنَ^(٦) الطَّقْلَ المولودَ ، فبيجذُهُ
في تلك السَّاعَةِ محموماً . يعرفن ذلك ويتحدثن به .

(عيون الحيات والمخطاطيف)

[قال^(٧)] : ويعرض لفراخ الحيات مثلُ الذي يعرض لفراخ
المخطاطيف ؛ فَإِنَّ نازِعاً لو نَزَعَ عيونَ فراخ المخطاطيف ، وفراخ الحياتِ ،
لَعَادَتْ بِصِيرَةٍ^(٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأنهار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخنة » وهي صحبة أيضاً ، وضبطها كمنبة وسدرة .

(٦) قبلت لقباية الولد : تلفته عند عروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أن السلحفاة والرقّ ، والضفدع ، مما لا بدّ له من التنفّس ، ولا بدّ لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهى خارجة^(٢) من الماء ، وذلك للنسب الذى بينها وبين الضفّ^(٣) ، وإن كان هذا بريئاً وهذا بحريّاً .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

وزعمون أن ما^(٤) كان فى البرّ من الضبّ والورل والحرياء ، والحلكاء^(٥) ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء^(٦) مثل الذى فى البحر من السلحفاة والرقّ ، والتّمساح ، والضفدع ، وأن تلك الأجناس البريّة وإن اختلفت فى أمورها ، فلأنها قد تشابه فى أمور ، وأن هذه الأجناس البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

(١) نرى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناصحين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجه » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٣) س : « وذلك للنسب » الخ . ط ، هـ : « لى » صوابها فى س .

(٤) ط : « وأما » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الحلكاء » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللفظة ، وإنما هو تحريف من النسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والعطاءة » هـ : « والعطاء » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامَّ أبرص^(١) من اللَّعَطاءِ ،
والتَّمساح ، تسكُنُ في أعشِنها^(٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البردِ^(٣) ، لا تطعم
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحَيَّاتِ تسكُنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعي فلإنَّها تسكُنُ ٤٩
في صُدُوعِ الصُّخَرِ .

وليس لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبَرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعمئةَ سنةٍ . والوجه الآخر : أنَّ القيلةَ مائتةٌ [وهذه الأجناس مائتة^(٤)]
وإن كان بعضها لا يسكن الماء .

(داهية الغَبر)

قال : وسمعتُ يونسَ بنَ حبيبٍ^(٥) يقول : « داهية الغَبر^(٦) » . قال : وقيل

-
- (١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، هـ . ط ، هـ :
« من سام أبرص » صوابه في س .
(٢) كذا ، وأصل العش قطائر . وانظر حواشي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في هـ لكن فيها « الأربعة أشهر » .
(٤) هذه الزيادة من هـ .
(٥) في الأصل : « سرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقلصت ترجمته في
(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك ويعني معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستنقع ، كما يفهم من
التحليل الآتي . وفي أمثال الميдавي (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر حين ماء
. بعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر بحال سلقى بجانب جبل طيس »
وبه نخل ، ومياه تجري أبداً » . ط : « الغبر » صوابه في س ، هـ .

ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء ، إما غدير وإما عين ، فنحى^(١)
 ذلك الموضع . وربما غير ذلك الماء في المنفع حيناً وقد حمله .
 وقال الكذاب الحرمازي^(٢) :

يا ابن المعلّ نزلت إحدى الكبر^(٣) ذاهية الدهر وصحائم الغبر^(٤)
 قال : وسأل^(٥) الحكم بن مروان بن زنباع ، عن بنى عبد الله
 ابن غطفان ، قال : [أفنى^(٦)] إن أيقظتها لسعتك ، وإن تركتها
 لم تغبرك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر^(٧) قال : تُهش رجل من أهل البادية كثير
 المال ، فأشقى على الموت ، فأتاهم رجل فقال : أنا أرقبه ، فما تعطوني^(٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : « شخص » وفي هـ : « فتشى »
 محرفتان .

(٢) سبق ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غير) وكذا
 في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أي يلنذر . وفي اللسان أنه
 يلح بهذا الشر بين المنظر الجارود .

(٤) ط : « البر » بالعين للمهلة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفنى » في ص ١١٧ .

(٧) سبق ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني
 « تعطوني » وهو جائز . وفي المتن : « ونحو تأسروني يجوز فيه الفك والإدغام
 والتلفظ بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثَلَاثِينَ دَرهما^(١) ، فَرَقَاهُ وَسَقَاهُ أَشْيَاءَ بِيَعُضِ الْأَخْلَاطِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : الرَّاقِ وَالْمَدَاوِي : حَقِّي ! قَالَ الْمَلْدُوغُ : وَمَا حَقُّهُ ، قَالُوا : ثَلَاثُونَ دَرهما . قَالَ أَعْطِيهِ مِنْ مَالِي ثَلَاثِينَ دَرهما فِي نَفْثَاتِ نَفْثَتِهَا ، وَحَمَضِ سَقَاهُ^(٢) ! لَا تُعْطُوهُ شَيْئاً !

(حَدِيثُ سُكْرِ الشَّطْرَنْجِيِّ)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ سُكْرِ الشَّطْرَنْجِيِّ ، وَكَانَ أَحَقَّ الْقَاصِّينَ^(٣) ، وَأَحَذَقَهُمْ بَلَعِبِ الشَّطْرَنْجِ ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ خَرَقٍ كَانَ فِي خَرْمِهِ أَنْفُهُ^(٤) فَقُلْتُ لَهُ : مَا كَانَ هَذَا الْخَرَقُ ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى جَبَلٍ^(٥) يَنْكَسِبُ بِالشَّطْرَنْجِ ، فَقَدِمَ الْبَلَدَةَ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا دَرهمٌ وَاحِدٌ ، وَلَيْسَ يَدْرِي أَيْنَجَحُ أَمْ يُخْفِقُ ، وَيَجِدُ صَاحِبَهُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ أَمْ لَا يَجِدُهُ^(٦) ؟ فَوَرَدَ عَلَى حَوْاهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَوْثٌ عِظَامٌ^(٧) فِيهَا حَيَاتٌ جَلِيلَةٌ .
وَالْحَيَّةُ إِذَا عَضَّتْ لَمْ تَكُنْ غَايَتُهَا النَّهْشُ أَوِ الْعَضُّ^(٨) ، وَأَنْ رَضِيَ بِالنَّهْشِ ،

-
- (١) ط : « فَارَقُوهُ عَنْ ثَلَاثِينَ دَرهما » ، تصحيحه « ن س » ، هـ .
(٢) الحَمْضُ ، بِالْفَتْحِ ، أَصْلُهُ كُلُّ نَبْتٍ مَالِحٍ أَوْ حَامِضٍ ، وَجُمِلَ هُنَا الدَّوَاءُ الَّذِي فِيهِ حَوْضَةٌ .
هـ : « وَحَمَضَ سَقَى » وَالْكَلِمَةُ الْأُولَى فِي هـ مَحْرُوفَةٌ .
(٣) جَمْعُ قَاصٍ لِقَاصِصٍ . س ، هـ : « الْعَالِمِينَ » .
(٤) الْحَرْمَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ : مَوْضِعُ الْحَرَمِ مِنَ الْأَنْفِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْحَزَامَةُ » ، وَهِيَ كَسَكْنَاءِ : الْبُيْرَةُ تَجَمُّدُ فِي الْأَنْفِ . وَلَا وَجْهَ لَهَا .
(٥) جَبَلٌ ، يَفْتَحُ الْجَبَمُ وَتَشْدِيدُ الْبَاءِ الْمَقْسُومَةُ : بَلِيَّةٌ بِشَاطِئِهِ دَجَلَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْجَبَلُ » وَلَا تَصِحُّ ؛ فَإِنَّ الْجَبَلَ اسْمُ لِبْلَادٍ كَثِيرَةٍ تَحْتَهُ مَا بَيْنَ أَذْرِبَيْجَانَ وَعِرَاقَ الْعَرَبِ وَخُوزِسْتَانَ وَفَارِسَ وَبِلَادِ الدَّيْلَمِ . الْقَامُوسُ وَمَعْجَمُ الْبِلَادَانِ .
(٦) ط : « وَيَجِدُوهُ صَاحِبَهُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ أَمْ لَا » ، س : « وَيَجِدُهُ أَجِبَهُ » الْخِصَابُ .
(٧) جُونٌ ، يَغْمُ الْجَبَمُ وَتَضَعُ الْوَاوُ : جَمْعُ جَوْفَةٍ ، بِالضَّمِّ . وَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي ١١٥ .
(٨) ط : « وَالْعَضُّ » .

ولكنها لا تفضي إلا للأكل والابتلاع . وربما كانت الحيات عظاماً جذاً ولا سموم لها ، ولا تغير^(١) بالعض ، كحيات الجولان^(٢) .

وفي البادية حية يقال لها الحفّات^(٣) والحفّات من الحيات تأكل الفأر وأشباه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصولة ، وليس وراء ذلك شيء^(٤) . والجاهل ربما مات من الفزع منها . وربما جمعت الحية السمّ وشدة الجرح ، والعض والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّرٌ على الحواء وقد أخرج من جُونه أعظمَ حياتٍ في الأرض ، وادعى نفوذَ الرُقية وجودة الترياق ، فقال له سُكّر^(٦) : خذ مني هذا الدرهم وارقي رُقيةً لاتضرّ في ممّا حيةً أبداً ! قال : فلأني أفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيةً ، حتّى ترقينى بعد أن تعضنى ؛ فإنّ أفقتُ علمتُ أنّ رُقيتك صحيحة . قال : فلأني أفعل ، فاخترتُ أَيْتَهْن شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممّا تعضّ للأكل دون السمّ ، فقال : دغ هذه ؛ فإنّ هذه إن قبضتُ على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك^(٧) ! قال : فلأني لا أريد غيرها . وظنّ أنّه إنّما زوّاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذ أبيت إلا هذه فاخترتُ موضعاً من جسديك حتّى أرسلها عليه . فاخترتُ أنفه ، فناشده وخوفه ، فأبى إلا ذلك

(١) تغير : يجرع . وفي ط : « تغير » ، تحريف ما في س ، هـ .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّات ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحفّات » س ،

هـ : « الحفّات » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سبأ » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) محرقة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « حطّم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ دِرْهَمَهُ . فَأَخَذَهَا الْحَوَاءُ وَطَوَّاهَا عَلَى يَدِهِ ، كَيْ لَا يَدْعَهَا تَنْكَرُ^(١) .
فَتَقَطَعَ أَنْفَهُ مِنْ أَصْلِهِ . ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَنْشَبَتْ أَحَدَ نَابَيْيْهَا فِي شِقِّ
أَنْفِهِ صَرَخَ عَلَيْهِ صَرْخَةً جَمَعَتْ عَلَيْهِ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلَدَةِ ، ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ،
فَأَخَذَ الْحَوَاءُ فَوَضَعَ فِي السَّجْنِ ، وَقَتَلُوا تِلْكَ الْحَيَّاتَ ، وَتَرَكُوهُ حَتَّى أَفَاقَ
كَأَنَّهُ أَجْنٌ انْخَلَقَ ، فَتَطَوَّعُوا بِحَمَلِهِ فَحَمَلُوهُ مَعَ الْمُسْكَارِيِّ^(٢) ، وَرَدُّوهُ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، وَبَقِيَ أَثَرُنَا رِيحًا فِي أَنْفِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(مَا يَنْتَسِبُ بَيْتَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ)

قال : وَأَشْيَاءُ مِنَ الْحَشَرَاتِ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِبَيْضِهَا وَلَا أَوْلَادَهَا^(٣)
بِيَوْنًا ، بَلْ تَنْظُمُ كُلُّ ذِي جُحْرٍ جُحْرَهُ ، فَتَخْرِجُهُ مِنْهُ ، أَوْ تَأْكُلُهُ إِنْ^(٤)
ثَبَّتَ لَهَا .

وَالْعَرَبُ يَقُولُ لِلْمُسَمَّى : « أَظْلَمَ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لِأَنَّ الْحَيَّةَ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا
بَيْتًا . وَكُلُّ بَيْتٍ قَصِدَتْ نَحْوَهُ هَرَبَ أَهْلِهِ مِنْهُ ، وَأَخْطَلُوهُ لَهَا .

(عداوة الورل للحيات)

وَالْوَرَلُ يَقْوَى^(٥) عَلَى الْحَيَّاتِ وَيَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيْعًا . وَكُلُّ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا

(١) تَنْكَرُ ، آخِرُهُ زَايٌ ، كَمَا فِي س . وَفِي ط ، هـ : « تَنْكَرُ » مُحَرَّفَةٌ . وَانْظُرْ ٢ : ١٣٨ .

(٢) الْمُسْكَارِيُّ : مَنْ يَكْرِي النَّاسَ دَابَّةً . وَالْمُسْكَارُ : الْأَجْرَةُ . س : « مُسْكَارِي »
صَوَابُهُ : « مُسْكَار » بِحَلْفِ الْيَاءِ .

(٣) س : « وَلِبَيْضِهَا وَأَوْلَادَهَا » .

(٤) ط : « إِذْ » .

(٥) ط : « يَقُولُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

ذو جُحْرٍ منها فهي تَلْقَى مِثْلَ ذلك من الورد . والوردُ الطَلْفُ جُزْماً من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ وَرْدٍ » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذَنْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذَّنْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورد والضَّبّ)

وبرائن الورد أقوى من برائن الضَّبِّ . والضَّبَابُ تحفر جِحْرَتَهَا في الكَدَى ^(٢) . والورد لا يحفرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضَّبِّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إيقاءً على برائته . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفر بينها] أن ^(٥) أسنانها أَكَلَتْ من أسنان الفأر [ومن التي تحفر بالأفواه والأيدي ؛ كالفيل والذَّوْرُ وما أشبه ذلك] . والحَيَّةُ ^(٦) لا ترى أن تعافى ذلك ، وَحَفَرُ غَيْرِهَا ومعاناته يكفيها .

(١) استرحاه : جعله راحياً . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذنب حيث كلنه ما ليس في طيه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة : كمنية : جمع جحر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياساً ولا مسوعاً . والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كنية ، بالنغم : وهي الأرض الصلبة . وكتبت في الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط : هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط : هـ : « لأن » ، صوابه في س .

(٦) ط : هـ : « نهس » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضرب المثل بظلم الحية ، يقول مضر بن لقيط ^(١) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ ^(٢)
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخْرَافِي ^(٣)
فَمَا لَكُمْ طُلُسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ

ذُنَابُ الْغَضَى وَالذُّنْبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ ^(٤)

وجعله أطلس ، لأنه حين تشتد ظلمة الليل فهو أخفى له ، ويكون حينئذ أحب له وأضرى .

وقال حرير بن نسيبة العدوي ^(٥) ، لبني جعفر بن كلاب ، وضرب جور ^{٥١}
الحية والذئب في الحكم مثلاً ، فقال :

(١) سهت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحري الشعر في حسنه ٣٨٠
إلى عامر بن لقيط الأسدي . وهذه النسخة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب
(١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدي » .

(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا أننا لو غاصمتنا الذئب والحيات
وبها يضربون المثل في الظلم — لقصوا إلحاحنا » . وقعس ، هو ابن طريف ،
أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذي يجمع الحطب . في البيان : « لقي حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذي في لونه غيرة إلى سواد . ط : « طلسي »
صوابه في س ، هو والمراجع المتقدمة . وقد روى البحري أبياتاً بهذا هذا
في حسنه .

(٥) هو حرير ، بجاء مهملة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بني زيد بن نسيبة بن عدى بن أسامة
ابن مالك بن بكر بن سبيب ، كما في المؤلف ٧٢ . وفي الأصملى : « جرير »
مصنف . ونسيبة ، يضم اللين يملأ شين محجة ، هو جده لأبوه . س :
« نمة » محرقة .

كَأَنِّي حِينَ أَحْبُو جَعَفَرًا مَدَحِي أَسْقِيَهُمْ طَرَقَ مَاءٌ غَيْرَ مَشْرُوبٍ ^(١)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ أَفْعَى نَابَهَا لَشَقَّ أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُومِ الْأَهَاضِيبِ ^(٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِبْلًا ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ ^(٣)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ ذُبَابًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَمْعُكُمْ يَسْعَى مَعَ الدَّيْبِ ^(٤)

(فم الأفعى)

قال : والحية واسعة الشَّحْوِ والفم ، لها خطم ^(٥) ، ولذلك يَنْقُذُ نَابَهَا .
 وكذلك كلُّ [ذِي ^(٦)] فمٍ واسعٍ الشَّحْوِ ، كضم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ لَهُ سَعَةٌ
 الشَّحْوِ وطولُ الأَجْرَيْنِ ، وكان ذا خَطْمٍ وخرطومٍ فهو أَشَدُّ لَهُ كَانَحْزِيرَ ،
 وَالدَّيْبِ وَالْكَلْبِ . ولو كان لرأس الحية عَظْمٌ كان أَشَدُّ لِعَضِّهَا ^(٧) ،
 وَلَكِنَّهُ جِلْدُهُ قَدْ أَطْبَقَ ^(٨) عَلَى عَظْمَيْنِ رَفِيقَيْنِ مُسْتَطِيلَيْنِ بَفَسِّهَا الْأَعْلَى
 وَالْأَسْفَلَ . وَلِذَلِكَ ^(٩) إِذَا أَمْوَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ أَوْ عَصَا ، رَأَيْتَهَا تَلَوَّى رَأْسَهَا

(١) ماء طروق ، بالفتح : بالث فيه الإبل وبمرت ، وقد طرقت . غير مشروب : غير صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما يختلف من الدم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالنظم والمداوة . ط ، ه : « إلبا معها » وبذا يخل الوزن . وألوجه ما أثبت من س . و « ناب » هي بالنون في س . وفي ط ، ه : « باب » ، وهذه وجه .

(٤) الأكلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ه . « له خطم » صوابه في س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديده . ه ، ط : « عظم » ولا تصح . وانظر ما سبق قريبا .

(٨) كذا في س ، ه : وفي ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « وكذلك » .

وتحتال في ذلك ، وتمتعه بكل حيلة ؛ لأنها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مُقْتَلٌ . وما أَكْثَرَ ما يكون في أعناقها تخصير^(١) ولصودورها أغباب^(٢) ، وذلك في الأفاعي أعمُّ . وذلك الموضع المستدقُّ لئِمَّا هو شئٌ كهينة الخريطة ، وكهينة فم الجراب ، مُنْصَمُّ الأُنْثَاء^(٣) ، مُثْنَى^(٤) الفضون . فإذا شئتَ أن تفتح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هاني : كان فتح فم الجراب يحتاجُ إلى ثلاثة أيدي^(٥) ، ولولا أنَّ الحليين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا^(٦) بيلد إنسان .

وهذا مما يعدُّ في عجون ابن هاني .

وكذلك حُلُوقُ الحَيَّاتِ وأعناقها وصودورها ، قد تراها فتراما في العين دقيقة ، ولا سيما إذا أفرطت في الطول .

(شراة الحية والأسد)

وهي تبلعُ فراخ الحمام . والحيةُ أَنَهَمٌ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلعُ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضل الشره . وكذلك الحية . وهما واقعان بسهولةٍ وسعةٍ المخرج .

(١) تخصير : أى دقة في وسطها .

(٢) جمع غيب ، وهو اللحم المتدل تحت الحنك .

(٣) الأُنْثَاء : التفضيات . ط : « ضم » ، صوابه في س ، هـ . وفي ط :

« الأُنْثَاء » وفي س ، هـ : « الأُنْثَاء » صوابها ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « مثني » .

(٥) س ، هـ : « أيدي » صوابه في ط

(٦) ط : « يستعين » صوابه في س ، هـ .

(تَيْنِ أَنْطَاكِيَّة)

[و] بِمَا عَظَمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرْوِيهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةَ ^(١) ؛ وَذَلِكَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الثَّلَاثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِيَّةَ أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ
هَذَا الثَّلَاثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى ^(٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَيْنَيْنَا ^(٣) تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَرَفَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لِرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى بِمَاهِي عَلَيْهِ ، فَضَرْبُهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةٌ ،
حَدَفَتْ ^(٤) مِنَ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ^(٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِلذَلِكَ اخْتِلَافٌ فِي الْمَنْظَرِ .

-
- (١) أَنْطَاكِيَّةَ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ خَفِيفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَلَيْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ :
حُلُونُ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَمَقَةَ وَرَادِ الْحَوَاشِي لَوْنُهَا لَوْنُ مَعْدَمٍ
وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
حُلُونُ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَمَقَةَ كَجَرَّةٍ نَحْلُ أَوْ كَبْجَةٍ يَثْرَبُ
دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لِنِسْبَةٍ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَحْبَبَتْ شَيْئًا نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ .
- (٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْخُضْفَانَةُ وَالْحِدَاثَةُ . هـ ، س : « أَلْوَى »
صِرَافُهُ فِي س . وَالسُّكْلَامُ يَمْدُ هَذِهِ السُّكْلَةَ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقِطٌ
مِنْ س .
- (٣) التَّيْنَيْنِ ، كَسْبِيلٌ : حِيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « وَتَسْبِيتُنَا » صَوَابُهُ فِي هـ .
- (٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .
- (٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التنين)

ولم يزل أهلُ البقاع ^(١) يتدافعون أمرَ التنين . ومن العجب أنك تكون في مجاسد وفيه عشرون رجلاً ، فيجربى ذكرُ التنين فينكره بعضهم . وأصحاب التثبث ^(٢) يدعون العيان . والموضع قريب ، ومن يعاينه كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب في الأصلة)

والأعرابُ يقولون في الأصلة ^(٣) قولاً عجيباً : زعمُ أن الحية التي يقال لها الأصلة لا تمرّ بشيء إلا احترق . مع تهاويل كثيرة ، وأحاديث شنيعة .

(الأجدهاني)

وزعم الفرّس أن الأجدهاني ^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة رءوس ، وربما لقيت ناساً فتبتلع من كل جهة فمٍ ورأس إنساناً . وهو من أحاديث الباعة والمعاجز ^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبث » ، ووجهه ما في س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . والقويون يختلفون في تحليتها ، أي نعمتها .

(٤) انظر الاسطرلاكات .

(٥) ط : « وأر الببائر » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهرت حيةٌ لها رأسان . فسألتُ^(١) أعرابياً عن ذلك فزعمَ أنَّ ذلك حقٌّ . فقلتُ له : فن أيُّ جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيِّهما تاكلُ وتعضُ ؟ فقال : فأما السعى فلا تسعى ، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالتقلب ، كما يتقلب الصبيان على الرَّمْل . وأما الأكل فلأنها تتعضى بضمٍّ وتتغذى بضمٍّ . وأما العضُّ فلأنها تعضُّ برأسها معاً !! فإذا به أكذبُ البريةِ .

وهذه الأحاديث كلها ، مما يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فرائق الأسد)

ومثلُ شأنِ الثَّنينِ مثلُ أمرِ فرائقِ الأسدِ^(٣) ، فإنَّ ذكرَه يجري في المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتُه وسمِعْتُهُ !

(١) ط ، هـ : « فسلط » صوابه في س .

(٢) س : « والاستهالة لظنَّها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لظنَّها » الآية ، ساقط من س .

(٣) الفرائق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرائق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب من « برِّ وألْك » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قول جميع المحدثين : إن من أعظم ما خلق الله الحية والسرطان والسّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إن الحية أطولُ عمراً من النّسر ، وإن الناس لم يجدوا حية قطّ ماتت حتفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يمرض لها ^(١) . وذلك لأمور : منها قولهم إن فيها شياطين ، وإن فيها من مسخ ، وإن إبليس إنما وموس إلى آدم وإلى حواء من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لي الفضل بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [مُنْخَان ^(٢)] ، وأن طولَ كُلِّ نَخْ تسعة عشر ذراعاً ^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذي يمرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وقد أثبتنا اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسي معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما في س ، هـ . وفي س : « كليهما »

بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد آتى الجاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة

والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيات الجُرد والزُعر ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو ينكرُ ذلك ^(٢)]
وإنما يتخلق لها في كلِّ عام قشراً وغلَاف ، فأما ^(٣) مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فلإنَّ الأرمينيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده
رينسلخُ في كلِّ شهرٍ مرةً . قال : فنجتمع ذلك فوجد فيه ملءُ جراب
أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

وأما الذى لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظم
من أخطارها ، وهول من أثرها ، وثبته على ما فيها من الآفة العجيبة
والبرهان النسيّر ، والحجّة الظاهرة ، [فآ ^(٤)] في قلب العصا حيّة ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها
الأزمر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن النديري . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض
لها في ط ، هـ .

(٣) بهذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وجها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهوّل به القوم وسحروا من أعين الناس ، وجاءوا به من الإفك قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (١) [فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾] إلى قوله : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾ (٣) .

فإن قلت : إنه إنما حوّل العصا ثعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعصى فحوّلها في أعين الناس كلها (٣) حيّات ، فلذلك قلب الله العصا حية (١) على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحروا أعين الناس جعلوا حبالهم وعصيتهم ذناباً في أعين الناس ونمورا ، لجعل الله عصا موسى ذنباً أو نميراً ، فلم يكن ذلك لخاصّة في بدن الحية .

قلنا : الدليل على باطل ماقلتم ، قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَمْشِي بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٣﴾ وقال الله عز وجل (٤) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ (٥)

(١) هذه السكلة ليست في س : هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبهذا في ط كلمة : « إل » . وهذه الآية وسابقتها ولاحتماها ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهر من الملاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن الصاحبة » وهو تحريف ما في ط ، هـ .

(٥) هذه السكلة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتماها : « سأتيكم منها خبيرا أو آتاكم بشهاب مقيس لعلكم تصطلحون » .

إلى قوله : ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَتْهَا حِجَابٌ وَكَيْ مُذْبِرًا وَلَمْ يُعْصَبْ ، يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنَى الْمُرْسَلُونَ^(١)﴾ ﴿فَقَلْبَتِ^(٢)﴾
العصا جانبا ، وليس هناك حبال ولا عصي^(٣) . وقال الله^(٤) : ﴿وَقَالَ لَنْ
اتَّخَذْتُ لَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ .
قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُبِينٌ﴾ ﴿فَقَلْبَتِ^(٥)﴾ العصا حية كان في حالات شتى^(٦) . فكان هذا مما
زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يميتة الله لديفا .
وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديفا^(٧)
وأن تكون يميتة بأكل هذا العلو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من
أشدّهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من
قتل نبيّاً أو قتله نبي^(٨) » ، كأنه كان في المعلوم^(٩) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أتقبل ولا تخف إنك
من الأمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن
ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مذبذباً ولم يعقب يا موسى أتقبل ولا تخف
إنك من الأمنين » . ومن المريب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو
أحد عشر قرناً فلا يتنبأ أحد لإصلاحه ورواه إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « قلبت » وطأ وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط .
وهما مشتقان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « قلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهي بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديفا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفي س ، هـ : « المعلوم » وهي ركيكة .

ولا يَتَفَقَّ ذلك إلا في أَشْرَارِ^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذى اتَّفَق من قتل أبي^(٢) بن خلفٍ بيده^(٣) ، والنَّضْر بن الحارث^(٤) ، وعقبة بن أبي مُعيط^(٥) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(٦) - صبراً^(٧) .

(١) أَشْرَار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زنه وأزناه . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدنا فيها في مادة (شر) ورأيها في شعر صفيح أسى الخفساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) : « والله لا أمتنعها شرارها »

(٢) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج ، كان أدرك الرسول في الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أرى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله أيسلف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحرية من الحارث بن الصمة ، وطمع في عنقه طمعة تتأدأ منها من فرسه مراراً - أرى قلبك فجعل يتسرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بني عبد الدار . أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحتري ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هي من أروع أبيات البيان العربي ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ : ٤٠١) والبحتري في حماسة ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لحملت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحتري والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبي معيط - بهيئة التصغير - كان من أسر يوم بدر من المشركين ، قتل في أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبي الأتخ الأنصاري . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « من قلع ليس منها ! » يعرض بنفسه . الروض الأنف (٧٧ : ٢) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عتيان بن حنن ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعت الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداهم قتلته . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبي المغيرة » صوابه في س ، هو كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحمله ليقتل . وما ينهى -

وحدث^(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صفى بن
أبي أيوب ، أنه سمع أبا بشير الأنصارى^(٢) يقول : « كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك
من المَذَمِّ^(٣) وأعوذ بك من التردّي^(٤) ، وأعوذ بك من الغمِّ والفرق^(٥) ،
وأعوذ بك من الحرقِ والمَرَمِ^(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند
الموت^(٧) وأعوذ بك من أن أموتَ في سبيلك مُذْبِراً ، وأعوذ بك من
أن أموتَ لغيري^(٨) .

وطلمة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول : « اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الأسد [و^(٨)] الأسود ، وأعوذ بك
من المَذَمِّ » .

-
- = ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب الثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل
بيله إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيله .
- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
- (٢) أبو بشير الأنصارى ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل
اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أوردته ابن سعد فيمن شهد
الفتح . وقيل مات سنة أربعين .
- (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأعداء » قيل في تفسيره : هو
أن ينهم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه المروى في التريين . اللسان
(عدم) .
- (٤) تردى سقط في بئر أو نهر أو حوة .
- (٥) كذا في هو واللسان (فرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن الثناقي
والجناح . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
- (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والمَرَم ، بالتحريك : أقصى للكبر . ط ،
س : « المغم » صوابه في هو .
- (٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولصق به .
- (٨) هذه الزيادة الضرورية من الميمى (رسم الأسود السالغ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لنوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صغيراً ، والرجل يصغِرُ بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وبعوض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفَّارَةُ [يُصَفِّرُ بِهَا^(١)] للحام وللطير في المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :

وَإِذَا جَسَا لِلزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ تَأَوُّهَاً وَصَفِيرًا

(لسان الحية)

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندي غلط ، وأظنُّ أنه لما رأى افتراق طرف اللسان^(٢) قضى بأن له لسانين .

(عجبة الضب)

ويقال : إن^(٣) للضبِّ أَيْرَيْنَ ، ويسمى أير الضبِّ نَزْكَاً^(٤) .

قال الشاعر^(٥) :

= والتساق والحاكم وصحبه ، من عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أهوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ! أهوذ بالله من أمد وأسود ، ومن الحية والمقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن ولد وما ولد ! » .

الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلم جلد كل عام .

(١) الزيادة من هـ فقط .

(٢) ط : « طرق اللسان » . وأثبت ما في س ، هـ .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) التزك ، بكسر التون وتفتح . ط : « طرك » هـ : « ترك » س : « نرك » .

سواها ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بقبيله .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لخميران ذى النصة » ، وكان قد أهدى =

كَضَبَ لَهُ زُرْكَانٌ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(١)
 قَالَ أَبُو خَلْفٍ الْهَمَرِيُّ : سَأَلَ أَبُو حَيَّةَ الْهَمَرِيُّ عَنْ أَيْرِ الضَّبِّ ،
 فَرَعِمَ أَنْ أَيْرَ الضَّبِّ كُلُّسَانُ الْحَيَّةِ : الْأَصْلُ وَاحِدٌ ، وَالْفَرْعُ اثْنَانِ .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعم أن الله عاقب الحية حين أدخلت إبليس
 في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَخَدَعَهُمَا عَلَى لِسَانِهَا ، بِعَشْرِ خِصَالٍ :
 مِنْهَا شَقُّ اللِّسَانِ^(٢) . قَالُوا : فَلِذَلِكَ تَرَى الْحَيَّةَ إِذَا ضُرِبَتْ لِلْقَتْلِ كَيْفَ
 تَخْرُجُ لِسَانَهَا لِتَرَى الضَّارِبَ عَقُوبَةَ اللَّهِ ، كَأَنَّمَا تَسْتَرْحِمُ . وَصَاحِبُ هَذَا
 التفسير لم يقل ذلك إِلَّا لِلْحَيَّةِ كَانَتْ عِنْدَهُ تَتَكَلَّمُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَنْكَرَ
 آدَمُ كَلَامَهَا ، وَإِنْ كَانَ إِبْلِيسَ لَا يَحْتَاحُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْحَيَّةِ ، وَلَا يَحْتَاحُ
 بِشَيْءٍ غَيْرِ مَمُوءٍ وَلَا مُشَبَّهٍ .

— ضبابها لخالد بن عبد الله القسري . انظر اللسان (مادة نرك) حيث تجد أبيات
 الشاهد . وقال ابن السكيت في الاختصاص ٣٥٥ : « كَانَ خَالِدٌ وَلَاهُ بَعْضُ الْبُؤَادِ
 فَلَمَّا جَاءَ الْمَرْجَانُ أَهْدَى كُلَّ حَامِلٍ إِلَيْهِ مَا جَرَتْ عَادَةُ الْعَمَالِ بِإِهْدَائِهِ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ
 حِمْرَانٍ قَلَصًا مَلُوءًا ضَبَابًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ . » وَأَنْشَدَ الْآيَاتُ الَّتِي رَوَاهَا الْجَاهِلُ أَيْضًا
 فِي الْجُزْءِ السَّنَدِيِّ .

(١) الرواية : « سِجِلٌ لَهُ زُرْكَانٌ » انظر الخيروان (٦ : ٧٣) واللسان (نرك) ،
 سِجِلٌ وَالْمُخَصَّصُ (٨ : ٩٧) وَهِيَونُ الْأَخْيَارِ (٢ : ٩٨) وَأَدَبُ الْكَاتِبِ
 ١٥٤ وَمَجْمَعُ الْأَدَبَاءِ (٩ : ١٦١) وَمَحَافِظُ الرَّاغِبِ (٢ : ٣٠٣) .
 وَفِي ط « طَرِكَانٌ » وَ هـ : « تَرِكَانٌ » صَوَابُهُ فِي سِ وَالْمَرَايِجِ . وَنَاعِلٌ :
 مَنْ يَلِيسُ تَمَلًا . س : « وَفَاعِلٌ » بِمَحَرَفٍ .

(٢) انظر ما ساقى في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحَوَّةٌ وَمَحَيَّةٌ من الحَيَات (١) كما يقال أرضٌ مَضَبَّةٌ وَضَبِيَّةٌ من الضَّبَاب (٢) ، وفَتْرَةٌ من الفَتَار (٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ » (٤) :
 إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لابنه : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْحَرْشِ فَلَا تَخْرُجَنَّ ! قَالَ : وَذَلِكَ
 أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَرْشَ تَحْرِيكُ (٥) الْيَدِ عِنْدَ جُحْرِ الضَّبِّ ، لِيُخْرَجَ إِذَا
 ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قَالَ : وَسَمِعَ ابْنَهُ صَوْتَ الْحَفْرِ فَقَالَ : يَا أَبْنَى هَذَا الْحَرْشُ ؟ قَالَ :
 يَا بَنِيَّ ، هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ ! فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحيات وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكلها أكلاً ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضببة ، يفتح للم والفساد وتشديد الباء . وفي ط ، س : « مضببة »
 و هـ : « مضبته » صوابها ما ألئت . وضببة ، كفرةة ، وهو من شواذ
 المصنف . ط ، هـ : « ضبية » صوابه في س . والضباب ، بالكسر :
 جمع ضب .

(٣) في الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فآر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عنه المرتضى في أماليه (١ : ١٧٠) والمليحاني
 (١ : ١٧٠) والبيهقي في الخزانة (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بولاق) .

(٥) هـ : « تحريه » بالنال . والتحرید : التصريح .

ومعوم ذوات الأنبياء من الحيات ، وفوات الإبر^(١) ، سريعة في الخنازير ،
وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً ، فلذلك لا ترضى بقتلها حتى تأكلها .
وتأكل الحيات العقبان ، والأبائيل ، والأراوى^(٢) ، والأوعال ، والسنانير
والشاهر^(٣) . والقنفذ . إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعى ،
ولما يظهر بالليل . قال الراجز :

• قنفذ ليل دائم التجآب^(٤) •

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقمسى .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه النمام ، والمداخيل ، والدسيس^(٥) ، بالقنفذ ؛ لخروجه
بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطبيب :
أعصوا الذى يلقي القنفذ بينكم متنصحا وهو السام الأنفع^(٦)
يزجى عقاربته ليعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأخدع^(٧)

(١) أى ومعوم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعل .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٣٦) .

(٤) التجآب : تفعال من جاب يحوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جآب : أى يحوب الفيلاد

ويكسب المال » . ط : « التجآب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس : يسيتين بينهما ياء : من تدسه لياتيك بالأخبار . ط : « الدسيس »

صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرعى » س ، هـ : « يزجى » صوابهما -

حِرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ قَوَادِهِ عَسَلُ بَعْلٍ فِي الْإِنَامِ مُشْعَشَعٌ^(١)
لَا تَأْتُمُّنَا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهِم بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعِدَاوَةِ يُنْشَعُ^(٢)
وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول^(٣)] مجنون بن عامر :

أَتَانِي هَوَامًا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تَقْبَلُ^(٥) » الطبايع ما كانت
لَيِّنَةً .

ثم قال عبدة بن الطيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ
والنميمة :

لِأَنَّ الَّذِينَ تُرَوِّهِمْ خُلَاكَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصَرَّعُوا
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَدَّعُوا قَنَافِدَ بِالْهَيْمَةِ تَمَزَّعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حملة البحري ٢٤٠ : « بهي » . والأخضع : واحد
الأخضعين ، وهما عرقا الرقية . س ، هـ : « التفروق » صوابه في
ط والحجاسة .

(١) شعث السمل بالماء : مزجه به وغلطه .

(٢) القوائيل : جمع قابلة ، وهي التي تطلق الولد عند ظهوره . س ، هـ :
« القرائل » وهي الإبل ذوات الثمانية . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة :
كانه يوجر بها ، أي توضع في فم ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا في ط ، هـ . وفي س : « ابن أمر » .

(٥) في الأصل : « تغفل » ، ووجهه ما أثبت . وفي س زيادة وار ، قيل :
« الطينة » .

(٦) دمى : اختلطت ظلمته . الحجاسة : « فهم إذا دمى » . ويطحروا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مِمَّا يحفظ .

وقال الأودي^(١) :

كَقَتَفَدِ الْقَنْ لَآخِنَى مَدَارِجُهُ خَبٌ إِذَا نَامَ عَنْهُ النَّاسُ لَمْ يَنْمِ^(٢)

(عهد آل سبجستان على العرب)

وفي عهد آل سبجستان على العرب حين افتتحوها^(٣) : لا تَقْتُلُوا قَتْنُذًا

= جُدج بين البحرين : قرنهما في قرن ، أى حبل . ورواية الحجاسة ، واللسان « مادة مزح » وديوان المغانى (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٢٠) : « حذجوا » . وهو من حذج البعير والثاقة : شد عليهما الحذج ، بالكسر ، وهو نحو المودج والحفة . والمضى أمداً تلك القنافة . وتمزج ، من المزج ، وهو شدة السبر . وفي اللسان : « ابن الأهرابى : القنفذ يقال لما : المزاج » بتشديد الزاى . س ، هو : « تمزج » بالراء صوابه في ط ، والحجاسة ، واللسان (مادة مزح) .

(١) اسمه سلامة بن عمرو . والأودي : نسبة إلى أود بن الصمصم بن سعد المشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وله شعر حكى سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ - ٤٢) . والبيت في ديوان المغانى (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالفم : موضع ، وفي ديوان المغانى : « الرمل » . وانحب ، بالفتح ويكسر : اتفدح . « عنه » هى فى الأصل : « عنه » محركة . وفي ديوان المغانى : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطلوايس » ، إلى سبجستان لتزويد تيبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

وَلَا وَرَلًا وَلَا تَصِيدُوا^(١) ، لَأَتَهَا بِلَادُ أَفَاعٍ^(٢) . وَكَثُرَ مَا يَجْتَلِبُ أَصْحَابُ
صِنْعَةِ التَّرْيَاقِ وَالْخَوَامُونَ الْأَفَاعَى مِنْ سِجِسْتَانٍ . وَذَلِكَ كَسَبٌ لَهُمْ وَحِرْفَةٌ
وَمَنْجَرٌ . وَلَوْلَا كَثْرَةُ قَنَافِذِهَا لِمَا كَانَ لَهُمْ بِهَا قَرَارٌ .

(أَكْلُ الْقَنْفَذِ لِلْحَيَةِ)

وَالْقَنْفَذُ لَا يَبَالِي أَى مَوْضِعٍ قَبِضَ مِنَ الْأَفْعَى . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ قَبِضَ
عَلَى رَأْسِهَا أَوْ عَلَى قَفَاها فَهِيَ مَا كَوْلَتْ عَلَى أَسْهَلِ الْوُجُوهِ ، وَإِنْ قَبِضَ عَلَى
وَسْطِهَا أَوْ عَلَى ذَنْبِهَا ، جَذَبَ مَا قَبِضَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَدَارَ وَتَجَمَّعَ ، وَمِنْهُ سَارَتْ
بَدَنُهُ ، فَتَنَحَّصَتْ فَاهَا لِقَبْضِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، لَمْ تَصِلْ إِلَى جِلْدِهِ مَعَ شَوْكِهِ النَّاتِبِ ٥٦
فِيهِ . وَالْأَفْعَى تَهْرُبُ مِنْهُ ، وَطَلَبُهُ لَهَا وَجَرَاءَتُهُ عَلَيْهَا ، عَلَى حَسَبِ هَرَبِهَا مِنْهُ
وَضَعْفِهَا عَنْهُ .

(أَمْثَالُ فِي الْحَيَةِ وَالْوَرَلِ وَالضَّبِّ)

وَأَمَّا قَوْلُهُ : «أَضَلُّ مِنْ حَيَّةٍ» ، وَ«أَضَلُّ مِنْ وَرَلٍ» ، وَ«أَضَلُّ
مِنْ ضَبٍّ» - فَأَمَّا الْحَيَّةُ فَإِنَّهَا لَا تَسْخُذُ لِنَفْسِهَا يَتِيًّا ، وَلِلذِّكْرِ لَا يَقِيمُ فِي الْمَوْضِعِ ،
وَأَمَّا يَقِيمُ عَلَى يَبْضِهَا بِقَدَرِ مَا تَخْرُجُ فِرَاقُهَا وَتَقْوَى عَلَى الْكَسْبِ وَالْعَلَسِ
الطَّمِ ، ثُمَّ تَصِيرُ الْأُنْثَى سَيَّارَةً ، فَتَقِي وَجَدَتْ جُحْرًا دَخَلَتْ وَائْتَقَتْ بِأَنَّ

(١) أَى وَلَا تَصِيدُوا شَيْئًا مِنْهَا . ط : « وَلَا وَرَلًا تَصِيدُونَهُ » س : « وَلَا وَرَلًا
تَصِيدُونَهُ » . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ . وَهِيَ يَأْتِيَتْ : « أَلَا يَقْتُلُ فِي بِلَادِهِمْ
قَنْفَذًا وَلَا يَصْطَادُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَفَاعَى » وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ . قَالَ يَأْتِيَتْ فِي سِجِسْتَانٍ : « فَا مِنْ
بَيْتٍ إِلَّا وَفِيهِ قَنْفَذٌ » .

السَّائِكِينَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إمَّا أَقَامَ فِصَارَ طَعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَزَبَ فِصَارَ
الْبَيْتِ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيات^(١) وكسرتها لأتعرّفَ ما فيها ، فإذا هو بيضٌ
مستطيلٌ أَكْثَرُ اللونِ أَخْضَرُ ، وفي بعضه نَمَشٌ وَلَمَعٌ^(٢) . فَأَمَّا^(٣) دَاخِلُهُ
فَلَمْ أَرَقَبِيحًا قَطُّ ، وَلَا صَدِيدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فَاسِدٍ ، إِلَّا وَالَّذِي فِي بَيْضِهَا
أَسْمَجٌ مِنْسَهٍ وَأَقْدَارٌ . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْبَيْضِ جِدًّا ، وَأَنَّ السَّلَامَةَ
فِي بَيْضِهَا [عَلَى^(٤)] دُونَ ذَلِكَ ، وَأَنَّ بَيْضِهَا يَكُونُ مَنْشَدًا فِي جَوْفِهَا طَوْلًا
عَلَى غِرَارٍ^(٥) وَاحِدٍ ، وَعَلَى خَيْطٍ وَاحِدٍ .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرجام . وعددُ أضلاعِها عددُ أيامِ الشهر .
وكان ذلك بعضَ ما زاد في شِدَّةِ بغنيها^(٦) .

(١) ط : « الحياة » صوابه في س ، هـ .

(٢) الفش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفي الأصل : « هش » وليس بشيء .
وأثبت الصواب موافقا لما في الديري (١ : ٤١٠) . والبع : جمع لمة ، بالضم ،
وهي كل لون غالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غرار : أي على قالب . ط ، هـ : « غرار » س : « حرام »
صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا في كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتنا هنا إثباتنا
تاريخيا : « كنت بهجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من
سبعين عقارب صفار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكي » .
وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذرة^(١) الدجاج . والضب أكثر بيضا من الدجاجة .
والخنزيرة تضع عشرين خنوصا .

ويخرج من أجواف العقارب عقارب صغار . كثيرة العدد جدا .
وعامة العقارب إذا حيلت كان حثفها في ولادها^(٢) ؛ لأن أولادها إذا
استوى خلقها أكلت بطون الأمهات حتى تنقبها^(٣) . وتكون الولادة
من ذلك الثقب ، فتخرج والأمهات ميتة .

وأكثر من ذلك كله ذرة السمك ؛ لأن الإنسان لو زعم أن بيضة^(٤)
واحدة من يقص الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظم
ما تحيل ، ولدقة حبه^(٦) وصغره . ولكن يعثر بها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أن الذكورة في أوان ولادة الإناث تنقب أذنابها ، فكلها زحرت
بشيء التفتته والتهمت .

ثم السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضا .

(١) الذرة : النسل . ط ، س : « الذر » صواب ما أثبت من هـ .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، هـ : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تنقبها » و هـ : « يشقها »
مخوفان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم لقمة من ياض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .

(٦) أي حب البيض . ط ، هـ : « حبه » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ، وعلى قدر كثرة المائية وقلتها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات والنصرانيات أكثر لنا ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينى اللخن والعفن . ويزعمون أن المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت معطرة قربة المنة قل حملها ، فإن أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمان الرجال لا يكاد يعترهم ذلك . وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنحل . إذا قويت النحلة وكانت شابة ، وسمن بجأرها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضب على خلاف ما ذكرتم ؛ قد تبيض الأثني سبعين بيضة فيها سبعون حبيلاً^(١) . ولولا أن الضب يأكل ولده لانقضت الصحارى ضياباً . والضب لا يحفر إلا في كذبة^(٢) وفي بلاد العراق^(٣) . وإذا هرمت تبلغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدل

(١) الحسل ، بالكسر : ولد للضب .

(٢) الكذبة ، بالضم : الأرض الصلبة الخفيفة .

(٣) العراق : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « المرار » بحركة ، صوابه بالادال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّحْنِ واللَّغْنِ^(١) .

قيل لم : قد يمكن أن يكون ذلك كذلك^(٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيات سفادٌ معروفٌ يَنْتَهِي إليه علمٌ ، ويقف عليه عيانٌ ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يَرَوْنَ من ملاقاتِ الحيَّةِ [للحيَّةِ^(٣)] والتواء كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجٌ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خلخالٌ مفتولٌ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرجٍ يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجراذة الذكر في الشعر)

والعرب تذكرُ الحياتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أيمٌ ، فلإنما يريدون الذكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودةِ الانسيابِ ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (هرد) . ومن تكذيب الأعراب قولهم
حل لسان الغيب :

أصبح قلبي مردا لا يشتهي أن يردا
إلا مرادا مردا أو صليانا يردا
• أو عنكنا ملعبا •

(١) أي أن سكنى الضباب في الكدى وهي بيضة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التي تبت الخشيش الطيب الرائحة - من شأنه أن يبعد طبايعها من اللغْنِ واللَّغْنِ . وفي الأصل : « حل بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه ما بينت .

(٢) كلا في ط . وفي س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفي هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) حله الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخيفة البدن ، كما تذكر الشعراء في صفة الخليل الجرادة للذكر^(١)
دُونِ الْأُنْثَى . فهم وإن أَلْحَقُوا الهاء فلم يَرِدُونَ الذَّكَرَ . قال بِشَرُّ
ابْنِ أَبِي خَازِمٍ :

جَرَادَةٌ هَبْؤَةٌ فِيهَا اصْفَرَّارُ^(٢)

لأنَّ الْأُنْثَى لَا تَكُونُ صَفْرَاءَ . وإنما الموصوفُ بِالصُّفْرِ الذَّكَرُ^(٣) ، لأنَّ
الْأُنْثَى تَكُونُ بَيْنَ حَالَتَيْنِ^(٤) : إمَّا أَنْ تَكُونُ حُبْلَى بَيِّضَهَا^(٥) ، فهي مُثْقَلَةٌ
وإمَّا أَنْ تَكُونُ [قَدْ^(٦)] سَرَأَتْ وَقَذَفَتْ بَيِّضَهَا^(٧) ، فهي أضعفُ
مَا تَكُونُ .

قال الشاعر :

أَتَذْهَبُ سَلَمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى وَفِي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ^(٨)

(١) ط : « والجُرادة الذَّكَرُ » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذَّكَرَ
دُونِ الْأُنْثَى ؛ لأنَّ الجُرادة الذَّكَرَ أسرع من الْأُنْثَى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأملح ٧٥ .

(٢) الهبة : القبرة . ومصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :
« جهازة العنان كأن فيها » .

وانظر الاستدراكات .

(٣) أي كَوْنُ الشَّاعِرِ ذَكَرَ الصُّفْرَةِ ، قريبة لأنه مني الذَّكَرُ . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هيرة الْأَسَى (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(مجمع المرزبانى ٣٣٩) :

كَانَ جَرَادَةٌ صَفْرَاءَ طَارَتْ بِأَلْيَابِ الْفَوَاحِرِ أَجْمَعِينَا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذَّكَرَ ، دون الْأُنْثَى .

(٥) ط : « إنَّ جِلَّ بَيِّضَهَا » س ، ه : « إنَّ حَبْلَ بَيِّضَهَا » ، وأصلحت الكلام
وَأَكَلَتْهُ بِرَأْسِهَا .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سَرَأَتْ الجُرادة والسَّمَكَةُ ، من باب منع : باخست .

(٨) اللام ، بالكسر : القفا العيسر .

(آثار الحيات والعطاء في الرمال)

وإذا انسابت في الكُتبانِ والرملِ ، بينَ مواضعٍ مَزَاحِفِها ،
وعُرفت آثارُها .

وقال آخر ^(١) :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الحَيَاتِ فِيهَا قُيِّلَ الصُّبْحُ آثَارُ السَّيَاطِ ^(٢)
وكذلك يعرفون آثار العطاء . وأنشد ابن الأعرابي :

بِهَا ضَرْبُ أَذْنَابِ الْعَطَاءِ كَأَنَّمَا مَلَاعِبُ وَلَدَانٍ تَخْطُ وَتَمْصَعُ ^(٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حيات :

كَأَنَّ مَزَاحِفَهَا أَنْسَعُ جُرُونِ فَرَادَى وَمُثَنَانِهَا ^(٤)
وقال ثُمَامَةُ الكلبي ^(٥) :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْهَزْلَى ^(٦) صَبَاحاً خَلْدُودُ رَصَائِعِ جُدِلَتْ ثَوَامَا ^(٧)

٥٨

(١) هو المتخيل الهللي ، ديوان اخذلبن ٢ : ٢٥ و جهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كَأَنَّ وَغَى الْخَمُوشِ أَمِيمٌ فِيهَا وَغَى رَكِبِ أُمِّى أَوَّلَى زِيَاطِ

(٢) رواية المنصم (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كَانَ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ فِيهَا » ونهاية

الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وَهَذَا » مكان : « فِيهَا » .

(٣) تمصع : تسمع .

(٤) ط : « مَرَاكِفُهَا » . هـ : « مَرَاكِفُهَا » صوابه في س . والأنسع : جمع نسع

بالكسر ، وهو سير يضفر ويصل زمانا للبحر وغيره . وانظر رواية البيت

في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثله في أمال الفلك (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا

السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخلدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيمة =

والهزلي من الحيات . قال جرير أو غيره :
 ومن ذات أصفاه سُهوب كَأَنها مَزَاحِفُ هَزَلِي بينها متباعد^(١)
 وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى
 أي شيء صارت :
 وإذا نظرتَ إلى التري بِعِراضهم
 قلتَ : الشجاعُ نوى بها والأرقمُ^(٢)

وقال البَيْهَقِي :
 لَقِيَ سَمَلَةً أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فُجِيعَةٌ يَبِينُ لِلضَّيْفَةِ أَرْكَامُهَا^(٣)
 مُدَامِينَ جُوعَاتٍ كَانَ عُرُوقُهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبُنْ مَحْمَسًا^(٤)

-
- = وهي سير مشغور في أسفل حالة السيف . ط ، هـ : « وضائع » س .
 « صابع » كذا . وما تحريف ما أثبت . جعلت : أحكم ففعلها . ط :
 « غلظت » هـ : « غزلت » س : « حذلت » والوجه ما كتبت . تروا :
 جمع تروم . والمراد : أزواجها . وانظر (٦ : ٢٥٩) .
 (١) ذات أصفاه : أي أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفا :
 جمع صفاة . ط ، هـ : « إصفاء » صوابه في س . وفي اللسان (صوى) : « أصواء »
 مع تفصيل في الفرج . والسهوب : المستوية الواسعة . والين : البعد . إن جعل « بينها »
 مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أي مزاحف متباعد بينها . ط ، هـ :
 « بينها » صوابه في س .
 (٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهي أغيب الحيات
 وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها نوى » .
 (٣) القى ، بالفتح : الذي لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، هـ : « قى »
 س : « لند » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والانتصاب ٣٤٦
 واللسان (ضيف ، رقم ، ين ، لى) . حقيقة : أراد أن أمه حملت به وقد
 دعت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكفى عن زنى
 أمه . والين : الذي يخرج وجهه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشامسون
 به ، تخرجه مغلوبا . والأرقم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
 « أرقم » ، س ، هـ : « أرقما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة
 وأدب الكاتب ١٢٧ .
 (٤) ملان جومات : أي هو يلسن المجرع . وفي الأصل : « مدافع جرعات »

(روعة جلد الحية)

ولا ثوب ولا جناح ، ولا ستر عنكبوت^(١) ، إلا وقشر الحية
أحسن منه وأرق ، وأخف وأنعم ، وأعجب صنعة وتركيباً . ولذلك وصف
كثير قصص ملك ، فشبهه بسلخ الحية ، حيث يقول :
إذ ما أفاد المال أودى بفضلِهِ حقوق ، فكرة العاذلات يوافقه
يجرر سربالاً عليه كأنه سبيء فزنى لم تقطع شرانقه^(٢)

والسبيء : السلخ والجلد . قال الشاعر :

• وقد نصّل الأظفار وانسبأ الجلد^(٣) •

= كان مروها ، وصوابه من الانقضاب ٣٤٧ والسان (سمم) ، ومعجم
البلدان (سمم) . جعل مروقه كأنها مدارب الحيات ، أى آثارها في الرمال ، وهى
ملعوبة دقيقة . و « سمم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربت : مشين
فيه . وفى الأصل : « سربن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تثرين سمياً » بالسين المجمة . والسمم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيه السم ففقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد ستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى تفسار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٤١١ : ٥) .

(٢) السبيء : جلد الحية تسليخه . وجابت هنا مهموزة ، يؤيد هذا الشعر بدله . والمزلى
بالزاي : الحيات . وجابت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ
الحية إذا ألقته . ط : « سرائقه » س ، هـ : « سرائقه » ، صوابه من
السان (سبي) وما فى (٣ : ٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفمى)

وزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ والأفمى صُمٌّ لا تسمعُ ، وكذلك هما من بينِ
جميعِ الخلقِ . وسنذكرُ من ذلك في هذا الموضع طرَفًا ، ونؤخر الباقي إلى
الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النعام .

(أصحاب الدعوى الكبيرة)

وقد ابتلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة ^(١) ، أحدهما يبلغ من
حبه للفرائب ^(٢) أن يجعل سمعه هدفًا لتوليد ^(٣) الكذابين ، وقلبه قراراً
لفرائب الزور : ولكنفٍ بالغريب ، وشغفٍ بالطرف ، لا يقفُ على
التصحيح والتمييز ، فهو يدنل الغث في السمين ، والممكن في الممتنع ،
ويتعلقُ بأدنى سببٍ ثم يدفع عنه كلَّ الدفع .

والصنف الآخر ، وهو أن بعضهم يرى أن ذلك لا يكون منه عند
من يسمعه يتكلم إلا من خاف التفتُّز ^(٤) من الكذب .

(قول في صمم الأفمى وعماء)

فزعم ناسٌ أنَّ الدليلَ على أنَّ الأفاعى صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، هـ : « وعودها كثير » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « الغريب » .

(٣) هـ : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « النظر » هـ : « التفتُّز » صوابهما ما أثبت . وفي العبارة
قبله اضطراب .

أُنْعَتْ نَفْسَانَا مِنَ الْحَيَاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ^(١) لِلرُّقَاةِ
وقد ذكروا بالصَّمِّ أَجْناساً من خبيثات الحَيَاتِ ، وذهبوا إلى امتناعها
من الخروج عند رُقِيَةِ الرَّاقِ عند رأس الجحر ، فقال بعضهم :
وَذَاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفَاعِي صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي
ويزعمون أَنَّ كُلَّ نَفْسَانَا أَفْعَى . وقال آخر :
وَمِنْ حَنْشِرٍ لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي حِمَةٍ كَالرُّشَا^(٢)
أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السَّبَا تِ مُنْهَرَتْ الشَّدْقِ عَارِي النَّسَا^(٣)
فزعم أَنَّهُ أَصَمٌّ سَمِيعٌ ، فجاز له أَنْ يجعله أَصَمٌّ بقوله : « وَمِنْ حَنْشِرٍ
لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ » . وقال الآخر :
أَصَمٌّ أَفْعَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلِ حَلِيدَاتِ^(٤)
والأفْعَى ليس بأفْعَى ، وعينه لا تنطبق ، وَإِنْ قُلِعَتْ عينه عادت .
وهو قائمُ الْعَيْنِ كَعَيْنِ الْجُرَادَةِ ، كَأَنهَا مِسْمَارٌ مضروب . ولها بالليل شُعَاعٌ
خَفِيٌّ . قال الرَّاعِي يصفُ الْأَفْعَى :

(١) الرقاة : جمع راق . وروى في الأصل بالياء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ، وهي مبالغة
ظاهرة . وروى البيتين هو الألف .

(٣) منهت الشفق : واسمه . والنسا ، بالفتح : فرق .

(٤) عصل : جمع أصل بمعنى المتوى . س ، هـ : « عصل » صوابه في ط .
وقبله كما سيأتى في ٢٨٢ :

وكم طوت من حشش واحد للفسر في أهل التنبات

وَيُذْنِي ذِرَاعَيْهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسِ حِلٍّ قَامَ الْعَيْنِ أَسْفَعُ^(١)
وهذه صفة سليم الأفعى^(٢) فيجوز أن يكون الشاعرُ وصفها بالتمتع من
الخروج بالصَّمَم ، كما وصفها بالعمى ، لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطراق .
قال الشاعرُ :

أَصَمٌّ مَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ عَارِي الْقَرَا^(٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى سَلِي طُمُورٍ بِالدُّجْنَاتِ^(٤)
وَنَارَةٌ تَحْسَبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَلِإِخْبَاتِ^(٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٦)
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أفعى بقوله :

أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرَّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصَلٍ حَدِيدَاتِ^(٧)
مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى « إلخ »
ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قَدْ مَنَ عَنْ ضِرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ

(١) الأسفح : الأسود . هـ : « أسفع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : الملوغ .

(٣) القرا : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطُمُور : الوثائب . طمر : وثب . والدُّجْنَات : الظلمات .

(٥) الإِخْبَات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يَسْبِتُهُ الصُّبْحُ : يَنْهِيهِ . ط : « يثبته » صوابه في ص ، هـ . والنَفْثُ : النَفْعُ
وفى الأصل : « نَقَب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتى ص ٢٨٣ . ولا تنقب
الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهي الجحر . ص : « المغارات »
ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعلهُ أعصَلَ^(١) الأتْيَابِ ، منهرتَ الأَشْدَاقَ ، ثمَّ وصفها بالسُّبَاتِ
وطولِ الإطْراقِ ، وبِشُرْعَةِ النَّشْطَةِ^(٢) ، وخَفَّةِ الحركةِ ، إذا هَمَّتْ بذلكِ
وكانتِ تعظمُ^(٣) .

(شعر امرأة جمع صِفَة الحية)

وقد وصفنا امرأة جاهليَّة بجميع هذه الصِّفَة^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشَّعرُ صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صِفَة الأفاعي مثلها :
وقد رأيتُ عندَ داودَ بنِ محمدٍ الهاشميِّ كتاباً في الحَيَّاتِ ، أكثرُ
من عشرة أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .
ولقد ولَّدوا على لسانِ خَلْفِ الأَخْصَرِ ، والأصمعيِّ ، أرجازاً كثيرة . فما
ظَنَكُ بتوليدهم على السِّنَةِ القَدَماءِ !
ولقد ولَّدوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ في الحُلَاقِ أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيْهِ
قط . فلو تَقَدَّرُوا من شيءٍ تَقَدَّرُوا من هذا الباب .
والشَّعرُ الذي في الأَفْعَى^(٥) :

قَدْ كَادَ يَقْتُلَنِي أَسَمٌ مَرَقَشٌ مِنْ حُبِّكُمْ ، وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٦)
خُلِقْتُ لَهَا زِمُهُ عِزَّنَ وَرَأْسُهُ كَالْقِرْصِ فَلَطَحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أصل : أعرج . هـ : « أفضل » مسخف .

(٢) نشطت الحية تَنَشُّطاً وتَلَشُّطاً : عضت بنابجها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المَثْبُوتُ في س ، هـ أَجْزَلُ مِنْ : « الصفات » المثبتة في ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلمم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أنطح » س : « فسلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح

البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَاءٌ طَاحَتْ مِنْ نَفْيِضِ رَبْرِ (١)
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنَوُّفٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورٍ (٢)
وَكَأَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزَ مَضْمَضَتٍ لِبَطْهُورٍ (٣)

فقد زعمت^(٤) كما نرى أنها تدبر عينا^(٥) ، وزعم الأول^(٦) أنها قائمة العين .
إلا أن تزعم أنها لم ترد بالإدارة أن مقلتها تزول عن موضعها ، ولكنها
أرادت أنها جَوَّالَةٌ في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والتمياصة
والتمياصة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمعية^(٧) للغة الحس ، وكثرة الاكثرات
وجودة الشم ، لا جودة السمع ، فإن الذين زعموا أن النعامة صماء زعموا
أنها تذرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من (٨)]
قيل السمع لو كانت سمعية . وقد قال الشاعر^(٩) في صفة الحية :

(١) في الأصل : « الوقاع » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤلف والأسميات وميون
الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
والماطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤلف
ومن الأصل المصور لميون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
والصوى ، وهما ما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ من ١٢ - ١٤ ساسي .
ورواية صدر البيت في المؤلف :

« وكان مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

(٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والبطور ، بالضم : التطهر .
(٤) أي الشاعر . وفي ط : « زعم » .
(٥) أي الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .
(٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .
(٧) هـ : « سمياً » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سممة ويحرك
وكفرحة ، وشريفة وشريف .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) هو الزياتي كما سيأتي في ص ٢٨١ .

تَهْوِي إِلَى الصَّوْتِ وَالظِّلَاءِ عَاكِفَةً تَقُورُ السَّيْلَ لَأَقَى الْحَيْدَ فَاطْلَعًا^(١)
هَذَا بَعْدَ أَنْ قَالَ :

إِلَى وَمَا تَبْتَغِي مَنَى كَلْتَمَسَ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرُّيَّ وَالشُّبْعَا
أَهْوَى إِلَى بَابِ جَحْرِ فِي مَقْدِمِهِ مِثْلُ الْمَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ نَزْعًا^(٢)
الْلَوْنُ أَرْبَدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ

عَصَلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قِطْعًا^(٣)
أَصَمَ مَا شَمَّ مِنْ خَضْرَاءَ أَيْسَهَا أَوْشَمَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعًا^(٤)
فَقَدْ جَعَلَ^(٥) لَهَا أَنْيَابًا عَصَلًا ، وَوَصَفَهَا بِغَايَةِ الْخَبْثِ وَزَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ .
فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةُ شِعْرَاءَ .

(الثقة بالعلماء)

فَإِنْ قُلْتُ : إِنَّ الْمَوْلِدَ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ إِذْ كَانَ دَخِيلًا فِي ذَلِكَ
الْأَمْرِ ، وَلَيْسَ كَالْأَعْرَابِيِّ الَّذِي لِنَمَّا يَحْكِي الْمَوْجُودَ الظَّاهِرَ لَهُ ، الَّذِي عَلَيْهِ ٦١

(١) التَقُورُ : التَّنْقِي . وَفِي الْأَسْل : « تَقُورُ » ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ وَجْهًا ، وَصَوَابُهُ فِي
الْأَسْل (قُور) : وَالْحَيْدُ بِفَتْحِ الْهَاءِ : مَا شَخَصَ مِنَ الْجَبَلِ . وَفِي الْأَسْل :
« الْحَيْدُ » وَصَوَابُهُ مَا سَأَلْتُ عَنْ ٢٨١ وَالسَّانِ . وَاطَّلَعَ : أَشْرَفَ . جَعَلَ الْأَنْيَابَ الْحَيَّةَ
فِي سِرْعَتِهَا وَتَلَوِيهَا كَأَنْيَابِ السَّيْلِ إِذَا لَاقَاهُ حَيْدٌ تَنَفَّى وَأَدْرَفَ كُلَّ طَرِيقٍ آخَرَ .

(٢) فِي مَقْدَمِهِ : فِي مَقْدَمِ الْجَحْرِ . وَالْمَسِيبُ : السَّعْفُ لَمْ يَنْتَهَ طَلْعُهُ غُرُوسَ .
(٣) ط : س : « شَابِكَةٌ » وَالْأَوْجُ مَا أُثْبِتَ مِنْ هـ . وَشَابِكَةٌ : مُشْتَبِكَةٌ .
وَعَصَلُ : مُوَجَّاتٌ . هـ : « عَصَلُ » مُصَنَّفٌ .

(٤) سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثُمَّ » مَوْضِعُ
« ثُمَّ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي الْأَسْل : « جَعَلُوا » .

نَشَأَ ، وَيَمْعَرِفْتِهِ غَدَى . فالعلماء الذين اتَّسَعُوا في علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بجزء كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم ، هم الذين نقلوا إلينا . وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً^(١) ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً^(٢) .

ومنى أخبرني بعض هؤلاء بجزء لم أَسْتَظْهِرْ عليه بمسألة^(٣) الأعراب . ولكنه إن تَكَلَّمَ وتحدَّثَ ، فأنكرتُ في كلامه بعض الأعراب ، لم أجعل ذلك قُدُوةً حتى أوقفه عليه ، لأنه بمن لا يؤمن عليه اللحن الخفى قبل التفكير . فهذا وما أشبهه حكمه خلاف الأول .

(الرُّقِيَّة)

والرُّقِيَّة تكون على ضروب : فمنها الذى يدعى الحَوَاءَ والرُّقَاءَ ، وذلك يُشَبِّه بالذى يدعى^(٤) ناساً [من^(٥)] العزائم على الشياطين والجن ، وذلك أنهم يزعمون أن في تلك الرُّقِيَّة عزيمة لا يمنع منها الشيطان ، فكيف العامر^(٦) ؟ ! وأن العامر إذا سئل بها أجاب ، فيكون هو الذى يتولى إخراج الحيات من الصخر . فإن كان الأمر على ما قالوا فما ينبغي أن يكون بين خروج الأفاعى الصم وغيرها فرق ، إذا كانت العزائم والرقي

(١) ط : « أو حديثاً منشوراً » .

(٢) ط : « أو قصيداً موزوناً » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا في ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمي من سأل . وفي س :

« بمسألة » .

(٤) ط فقط : « يدعى » .

(٥) زيادة ينتظر إليها الكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، قيسا يزعمون .

وَالْفَنْتُ لَيْسَ شَيْئاً^(١) يَعْمَلُ فِي نَفْسِ الْحَيَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَعْمَلُ فِي الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّةَ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ [كَذَلِكَ^(٢)] فَالْسَّمِيعُ وَالْأَصَمُّ فِيهِ سَوَاءٌ .
وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي التَّحْيِيبِ وَالتَّجْفِيفِ ، وَفِي النُّشْرَةِ^(٣) وَحُلِّ الْعُقْدَةِ
وَفِي التَّعْقِيدِ وَالتَّحْلِيلِ .

(العزيمة)

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْجِنَّ لَا تَجِيبُ صَاحِبَ الْعَزِيمَةِ حَتَّى يَتَوَحَّشَ وَيَأْتِيَ
الْخُرَابَاتِ وَالْبَرَائِي ، وَلَا يَأْتِسُ بِالنَّاسِ ، وَيَقْشَبُهُ^(٤) بِالْجِنَّ ، وَيَغْسِلُ
بِالْمَاءِ الْقَرَّاحَ^(٥) ، وَيَتَبَخَّرُ بِاللُّبَانِ الذَّكْرَ ، وَيَرَاعِي الْمَشْتَرِيَّ^(٦) . فَلِذَا دَقَّ
وَلَطْفٌ ، وَتَوَحَّشَ وَعَزَمَ ، أَجَابَتْهُ الْجِنَّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بَدَنُهُ يَصْلُحُ
هَيْكَلًا لَهَا ، [وَ^(٧)] حَتَّى يَلْدَ دُخُولَهُ وَادِيَّ^(٨) مَنَازِلَهَا ، وَالْأَيَّكَرَةَ
مَلَابَسَتَهُ وَالْكُونِ فِيهِ . فَإِنَّ هُوَ أَلَحَّ عَلَيْهَا بِالْعَزَامِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ لَذَلِكَ أَهْبَتَهُ
خَبَلَتَهُ ، وَرَجَمًا قَتَلَتْهُ ؛ لِأَنَّهَا تَظُنُّ أَنَّهُ مَتَى تَوَحَّشَ لَهَا ، وَاحْتَمَى ، وَتَنَظَّفَ^(٩)

(١) هـ ، س : « شَيْءٌ » بِالرَّفْعِ ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) زِدَتْهَا مَطَاوِعَةً لِأَسْلُوبِ الْجَاهِلِ .

(٣) النُّشْرَةُ ، بِالْفَمِّ : رَقِيقَةٌ يَمَاجُ بِهَا الْمَجْنُونُ وَالْمَرِيضُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَيَشِبُّ » .

(٥) مَاءُ قَرَّاحٍ ، كَسَحَابٍ : خَالِصٌ لَا يَخَالَطُهُ شَيْءٌ .

(٦) هُوَ ذَاكَ الْكَوْكَبُ : سَمَاءُ الْمُنْجِمِينَ الصَّحْدِ الْأَكْبَرِ ؛ لِأَنَّهُ فَوْقَ الزُّهْرَةِ فِي الصَّعَادَةِ

وَأَصْغَرُهَا إِلَى الْخَبَرَاتِ الْكَثِيرَةِ ، وَالصَّعَادَةِ الْعَظِيمَةِ . عَجَابُ الْخُلُوقَاتِ .

(٧) زِيَادَةٌ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ .

(٨) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي س ، هـ . وَفِي ط : « وَارَى » .

(٩) ط : « وَتَنَظَّفُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَهَطُ^(١) ، حتى يكونَ المَرْمُ مشاكلاً لها
فى الطَّبَاع .

فیزعون أَن الحَيَّاتِ إِنَّمَا تُخْرَجُ إِخْرَاجاً ، وَأَنَّ الذى يَخْرُجُها هو الذى
يَخْرُجُ مَمُومَها مِنْ أَجْسَادِ النَّاسِ ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْها^(٢) .

(التعميد)

والرُّنْيَةُ الأُخْرَى بِمَا يُعْرَفُ مِنَ التَّعْمِيدِ^(٣) . قال أَبُو عُبَيْدَةَ :
سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ^(٤) : قَدْ جَاءَكُمْ أَحَدُكُمْ يَسْتَرْقِيكُمْ فَأَرْقُوهُ . قال :
فَعَوَّذُوهُ بِبَعْضِ الْعَوَائِدِ^(٥) .

والوجه الآخر مشتق من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ : مَا زَالَ
فُلَانٌ يَرَقِي فُلَانًا حَتَّى لَانَ وَأَجَابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجَاهِلِيَّةِ والإِسْلَامِ فى رُقَى الحَيَّاتِ ، وَكَانُوا
يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ وَيَصْدُقُونَ بِهِ ، وَسَنُخْبِرُ بِأَقَاوِيلِ الْمُتَكَلِّمِينَ فى ذَلِكَ ،
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) أى أَن الجِزْ لا تُجيبُ بِالْعَزِمةِ فَهَطُ ، بَلْ لا يَدْخُلُ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ يَشَارِكُهَا الْمَرْمُ
فى طَبَاعِها . وفى الأَصْلُ : « وَهُوَ لا يُجِيبُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فى ط . وفى هـ ، س : « عَلَيْهِ » .

(٣) س ، « التَّعْمِيدَةُ » .

(٤) ط ، « وَقَالَ سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ » هـ : « وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتُ يَقُولُ »
وَصَوَّاهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س .

(٥) كَذَا جَاءَتْ هَذِهِ السَّكَلَةُ ، وَلَمْ أَرَاهُ فى غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَالْمَعْرُوفُ : « التَّعَاوِيدُ »
جَمْعُ تَعْمِيدَةٍ ، وَ « الْعَوْدُ » : جَمْعُ عَوْدَةٍ بِالضَّمِّ . وَ « الْعَاذَاتُ » بِالْفَتْحِ :
جَمْعُ مَعَاذَةٍ .

و [منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنَّ إخراجَ الحَيَّةِ مِنْ جُحْرِها إِلَى الرَّاقِ ، إِنما كانَ لِلزَّيْمَةِ وَالإِقْسامِ عَلَيْها ، وَلأنَّها إِذا فَهَمَّتْ ذلِكَ أَجابَتْ وَلَمْ تَمْتنع .
وكانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لا يَعْرِفُ قَوْلَهُمْ فِي أَنَّ العُمَّارَ هُمُ الَّذِينَ يُجَيِّبونَ العِزائِمَ بِإِخراجِ الحَيَّاتِ مِنْ بُيوتِها ، وَفي ذلِكَ يَقولُ :

والحِيةُ الذِّكْرُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذا دَعَا بِاسْمِها الْإِنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ذاتُ الإِلَهِ بَدَأَ فِي مِثْلِها رَزَمُ ^(٣)
مَنْ خَلَفَها حَمَّةٌ لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كانَ ثَبَّتَها فِي جُحْرِها الحِمَمُ ^(٤)
نابٌ حديدٌ وَكَفٌّ غَيْرُ وَادِعَةٍ وَالخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَوْلِ وَالشِّمِ ^(٥)
إِذا دُعِيَ بِأَسْمائِها أَجَبْنَ لها لَنافِثٍ يَعْتَصِدُ بِهِنَّ اللَّهُ وَالْكَلِمُ
لَوْلَا غِشاقَةُ رَبِّ كانَ عَذَبُها عِراجاً تَظَلُّعٌ ، فِي أَنْبائِها عَسَمُ ^(٦)

(١) لَيْستَ بِالأَصْلِ ، وَبِها يَسْتَقِمُ الْكَلَامُ

(٢) فِي الْسانِ : هـ وَوصَفَ أُمَيَّةُ الحِيةَ بِالْحَفْظَةِ فَقالَ :

والحِيةُ الحَفْظَةُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ بَيْتِها أَمَنَاتُ اللَّهِ وَالْكَلِمُ .

وهُيَ رِوايةُ الْخُصائِمِ (١ : ١٥٤) ، قالَ : هـ أَنْشَأَ الْمَصْدَرُ لما جَرى وَصفاً عَلَى الْمُؤنَّثِ ، بِعَنِ الْحَفْظَةِ .

(٣) فِي الْسانِ : « رَزَمَ الْبَيْرَ وَالرَّجُلَ وَغَيْرَها بِرَزَمٍ وَرَزَماً : إِذا كانَ لا يَقْدِرُ عَلَى التَّهَوُّسِ رَزَاحاً وَهَزَلاً » . وَرِوايةُ الْديوانِ ٥٧ : « يرى فِي سِمْها رَزَمٌ » .

(٤) كذا فِي ط ، هـ وَالدِّيوانُ ، وَقَدْ اسْتَمْعِلَ الْبَازِ فِي « خَلْفِها » كما يَقولُ الْقَتالُ : « مَنْ خَلْفَهُ الشَّرُّ وَالْأذى » ، أَيْ هُوَ صَاحِبُ شَرٍّ وَأذى . وَالْحِمَةُ ، هُضمُ الْحاءِ وَتَشْدِيدُ الْميمِ الْمُفتوحةِ : السِّمُ ، وَتَجْميعُ عَلَى حِمَمٍ ، أَنْظَرَ الْسانُ . وَفي س : « مَنْ خَلْفَها حِيةٌ » وَلَا توافِقُ ما سَأَلْتُ مِنْ تَعْقِيبِ الْجاسِظِ فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ س ٤ .

(٥) نابٌ حديدٌ : حادٌ . وَلَيْسَ لِلْحِيةِ كَفٌّ ، وَإِنما أَرادَ كَثَرَةً ما يَصِيبُ الْناسَ مِنْ شَرِّها .

(٦) تَظَلُّعٌ : تَمَرُّجٌ وَتَمَرُّزٌ فِي سِيرِها . وَفي الْأَصْلِ : « تَظَلُّعٌ » ، صوابُهُ فِي الدِّيوانِ . وَالسِّمُ . بِالتَّحريكِ : أَسْلٌ مَعناه يَبْسُ فِي الْمَرْتَقِ تَمَوِّجٌ مِنْهُ الْيَدُ ، فَهُوَ أَرادَ بِهِ هَذَا الْأَعْواجَ وَالانْتِفافَ ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ نابِ الحِيةِ . وَفي الْأَصْلِ وَالدِّيوانِ أَيْضاً : « غَشَمٌ » ، وَأَرادَها تَحْرِيقاً .

وقد بَلَّتَهُ فذاقَتْ بَعْضَ مَصْنُوعِهِ فليس في سَمْعِهَا ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ^(١)
فكيف يَأْمُنُ أُمُّ كَيْفَ تَأْلَفُهُ وليس بينهما قُرْبَى ولا رَحِمٌ !
يقول : لو أَنَّهَا أُخْرِجَتْ^(٢) حين اسْتَحْلِفَتْ بِاللَّهِ لَمَا أُخْرِجَتْ ؛ إذ
ليس بينهما قُرْبَى ولا رَحِمٌ . ثُمَّ ذَكَرَ الْحَمَّةَ^(٣) وَالذَّابَّ .

وقال آخرون : إِنَّمَا الْحَيَّةُ مِثْلُ الضَّبِّ وَالضَّبُعِ ، إِذَا سَمِعَ بِاللَّهِ وَالْهَذْمِ
وَالصَّوْتِ خَرَجَ يَنْظُرُ . وَالْحَوَاءُ إِذَا دَنَا مِنَ الْجَحْرِ رَفَعَ صَوْتَهُ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ،
وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى يَخْرُجَ الْحَيَّةُ ، كَمَا يُخْرَجُ الضَّبُّ وَالضَّبُعُ .
وقال كثيرٌ :

وَسَوْدَاءُ مِطْرَاقٍ إِلَى مِنَ الصَّفَا^(٤) أَنِي^(٥) إِذَا الْحَاوِي دَنَا فَصَدَّاهَا^(٦)
وَالْتَصْدِيهِ : التَّصْفِيقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الْآيَةِ . فَالْمُكَاءُ : صَوْتُ بَيْنَ التَّفْخِخِ وَالصَّمِيرِ .
وَالْتَصْدِيَةُ : تَصْفِيقُ الْيَدِ بِالْيَدِ .

فَكَانَ الْحَوَاءُ يَحْتَالُ بِذَلِكَ لِلْحَيَّةِ ، وَيُوهِمُ مَنْ حَصَرَ أَنَّهُ بِالرُّهْبَةِ

(١) بَلَّ الشَّيْءُ يَبْلُوهُ : اخْتَبَرَهُ . وَالْمَرَادُ هُنَا عَرَفْتَهُ بِعَدِّ الْاِخْتِبَارِ . وَالضَّبْعُ عَائِدٌ إِلَى
« نَافَث » فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَ السَّابِقِ . س ، هـ : « قَدْ أَبْلَه » ، وَفِي الدِّهَانِ :
« وَقَدْ بَلَكَ » ، صَوَاهِمَا مَا أُثْبِتَ مِنْ ط .

(٢) س : « أُخْرِجَتْ » .

(٣) الْحَمَّةُ ، بِالضَّمِّ الْحَامُ وَفَتْحُ الْمِيمِ ، وَيُقَالُ الْحَمَّةُ ، بِضَمِّ الْحَامِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ الْمَقْتُوحَةِ أَيْضاً ،
يَعْنِي السَّمَّ .

(٤) الصَّفَا : جَمْعُ صَفَاةٍ ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْمُسَاءِ الصَّلْبَةُ . ط ، س : « الصَّفَا »
صَوَاهِي فِي هـ .

(٥) أَنِي ، مِنَ الْآتَاةِ يَعْنِي الْبَعْدَ . ط ، هـ : « أَنِي » صَوَاهِي فِي س .

(٦) ط : « إِذَا الْحَاوِي » تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، هـ . وَوَصِيحٌ « فَصَدَّاهَا » بِالْأَلْفِ
وَهِيَ مِنَ الصَّدْوِ ، يَعْنِي التَّصْفِيقَ . وَفِي ط : « فَصَدَّاهَا » ، مَصْنُوعَةٌ .

أخرجها ، وهو في ذلك يشكلم ويعرّض ، إلا أن ذلك صوتٌ رفيع . وهو
لورقَع صوتَه بيتٌ شِعْرٍ أو بخرافَةٍ ، لَسكان ذلك والذي يظهر من العزيمة
عندَ الحكيمة سَوَاء . وإنما يُشكر الصوتُ ، كما يُنكره الضبُّ وغيرُ ذلك
من الوحش .

ثم قال :

كففتُ يداً عنها وأرضيتُ سمعها من القولِ حتى صدقتُ ما وعى لها
وأشعرتها نفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن رعى النَّفثَ بالها^(١)
نسلتُها من حيث أدركها الرقِ إلى الكفِّ لما سالت ، وانسلها ٦٣
فقال كما ترى :

• كففتُ يداً عنها وأرضيتُ سمعها • (البيت)

ثم قال :

• وأشعرتها نفثاً بليغاً فلو ترى •

وقال الأعشى^(٢) :

أبا مسمعٍ إني امرؤ من قبيلةٍ بنى لي عزّاً مؤنّها وحياتها
فلا تُلِمّس الأفعى يديك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سقّاها^(٣)

(١) هـ : « بالها » .

(٢) النسبة في المختصر (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى
٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي
يُخاطب معقل بن عوياد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو
الصواب في النسبة .

(٣) السقاة هـ بالفتح ، يهسرهما الجاحظ بعد . وفي ط ، هـ ، س : « سى لها »
وهو تحريف حبيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجين
للمتقين وكذا المقصور والمودود ٥٣ والمختصر (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية
في الجنيح ماعدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ ^(١) فَإِنْ آتَى شَمَّ سَفَا وَجَارِهِ ^(٢)
وَالسَّفَا : التراب اليابس بين الترين . يقال سَفَا وَسَفَاة .

(تمويه الهواء والراقى)

والهواء [و ^(٣)] الرَّاقِ يُرَى ^(٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جَحْرًا ^(٥)
لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ : أجحرج حية هو أم جحرجى غيره ، فإن كان جحرج حية
لم يخف عليه أمى فيه أم لا . ثمَّ إِذَا رَقَى وَعَزَمَ فَامْتَعَتْ مِنَ الْخُرُوجِ ،
وَخَافَ أَنْ تَكُونَ ^(٦) أَفْعَى صَبَاءَ لَا تَسْمَعُ ، وَإِذَا أَرَاغَهَا ^(٧) لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأَ
لَمْ يَأْمَنْ مِنْ أَنْ تَنْقَرَهُ نَقْرَةً ^(٨) لَا يُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدًا ، فَهُوَ عِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَبْرَى ^(٩)
بِأَنْ يَشُمَّ مِنْ تَرَابِ الْجَحْرِ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ : أمى أفعى أم حية من سائر
الحيات . فلذلك قال :

فَلَا تَلْسُ الْأَفْعَى يَدَاكَ تَرِيدَهَا وَدَمْعَهَا إِذَا مَاغِيَتْهَا سَفَاتُهَا

لكن في مجموعة المعاني : « صفاتها » . وانفرد المرزبان بروايته :

وَلَا تَبْهَثُ الْأَفْعَى تَدَاوِرَ رَأْسِهَا وَدَمْعَهَا إِذَا مَاغِيَتْهَا سَفَاتُهَا

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : التواسى التي

يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو الرقيق أو الخاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، ثم الخاوى تراب جحره ، ليلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وجا يكثم الكلام .

(٤) كذا على التصواب في ط . وفي س ، هـ : « يرق » محركة .

(٥) ط ، س : « جحرج حية » . والوجه حذف : « حية » لتصميم ، كما في هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى ماقى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت ماقى هـ .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ماسبق في تحقيق هذه للكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرى بمعنى يختبر . ومعمناها التدقيق : يطلب برادة الجحر مما قد يكون

به من الأفاعى الصم والمؤذنة .

• يدعو به الحية في أنظاره • (البيت)

والوجار : الجحر .

(ربح الأفي)

وزهم لى بَغْضُ الحَوَّاثين أَنَّ للحَيَّاتِ نَتْنًا وَنَهَكًا ، وَأَنْ دَرِيحَ
الأَفْعَى مَعْرُوفَةً . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْلَقَ ، وَلَا أَعْنَقَ ^(١) ، وَلَا أَسْرَعَ أَخْذًا لِرَاثِحَةٍ
مِنْ طِينٍ أَوْ تَرَابٍ ، وَأَنَّهُ ^(٢) إِذَا شَمَّ مِنْ طِينَةِ الْجَحْرِ لَمْ يَنْخَفِ عَلَيْهِ . وَقَالَ :
اعْتَبِرْ ذَلِكَ بِهَذَا الطِّينِ السَّدَانِي ^(٣) وَالرَّاهَطِي ^(٤) إِذَا أَلْتَقَى فِي الرُّعْفَرَانِ
وَالْكَافُورِ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الطُّيْبِ ، فَإِنَّهُ مَتَى وَضَعَ إِلَى جَنْبِ رَوْثَةٍ
أَوْ حَلِيزَةٍ ، قِيلَ ذَلِكَ الْجِسْمِ .

وَالرَّفَاءُ يَوْمَ النَّاسِ إِذَا دَخَلَ دُورَهُمْ لِاسْتِخْرَاجِ الْحَيَّاتِ أَنَّهُ يَعْرِفُ
أَمَاكِنَهَا بِرَائِحَتِهَا ، فَالْمَلِكُ يَأْخُذُ قَصْبَةً وَيَشْعَبُ رَأْسَهَا ، ثُمَّ يَطْعُنُ بِهَا
فِي سَقْفِ الْبَيْتِ وَالزُّوَايَا ، ثُمَّ يَشْمُهَا وَيَقُولُ مَرَّةً : فِيهَا حَيَّاتٌ ؛ وَيَقُولُ مَرَّةً :
بَلَى ، فِيهَا حَيَّاتٌ ، عَلَى قَدْرِ الطَّمَعِ فِي الْقَوْمِ ، وَفِي عَقُولِهِمْ .

(تأثير الأصوات)

وَأَمْرُ الصَّوْتِ عَجِيبٌ ، وَتَصَرُّفُهُ فِي الْوُجُوهِ عَجَبٌ . فَمَنْ ذَلِكَ أَنَّ مِنْهُ

(١) لى أسرع . ط : « ألق » س ، هـ : « احقق » ولعل نواحيها ما أثبتت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب في س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرانى » نسبة إلى سيران . وقد ذكره صاحب

المختص في الكلام حل (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع في غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة

المشهورة : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِطَ عليها^(١)
 السرُّورُ فتقلُّقُ حتى تَرْقُصَ ، وَحَيَّ رُبَّمَا رعى الرَّجلُ بنفسه من حائق^(٢) .
 وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُسَكِّدُ . ومن ذلك ما يزيل
 العقلَ حتى يُغشَى على صاحبه ، كتمحو هذه الأصواتِ الشجية ، والقراءات
 الملحنة^(٣) . وليس يعترِبهم ذلك من قِبَلِ المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك
 ٦٤ لا يفهمون معانيَ كَلَامِهِمْ . وقد بَكَى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الخوخ ،
 فقيل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقُ به ؟ قال : إنما
 أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصَّبيانَ والأطفالَ .

(١) ط : « عليه » صوابه في س ، هـ .

(٢) الحائق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولا ين قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه :
 « وكان القراء كلهم : الميثم ، وأبان ، وابن أئين ، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء ،
 والحداء والرهبانية . فثم من كان يمس الشيء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من
 كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الميثم : أما السفينة فكانت لمساكين
 يعملون في البحر . سلخه من صوت الغناء كهيفة :

أما القطاة فإني سوف أنعمها نمتا يوافق نقي بعض ما فيها

(٤) ما سرجويه : طيب بصري يهودي ، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية
 وهو الذي فرس كتابي القس أهرن بن أئين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هي في ط ، س : « بكأى » . وفي هـ : « بكأ »

(أثر الأصوات في الحيوان)

والدوابُّ تَصُرُّ آذانها^(١) إذا غَيَّ المكارى . والإبلُ تصرُّ آذانها إذا حدا في آثارها الحادى ، وترداد نشاطاً ، وتزيد في مشيها^(٢) . ويجمع^(٣) بها الصيَّادون السَّمَك في حظائرهم التى يَسْخَنونها له . وذلك أَنَّهُم يَضْرِبُونَ بعضىَّ معهم ، وَيَعْطِفُونَ^(٤) ، فَتَقْبِلُ أجناسُ السَّمَكِ شاخصةً الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات ، حَتَّى تَدْخُلَ في الحظيرة . وَيَضْرَبُ بالطَّاس الطَّيْر ، وتُصَاد بها . ويضْرَبُ بالطَّاس للأُسْدِ وقد أَقبلتْ ، فترُوِّعُها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق : الأَبَائِلُ تُصَادُ بالصَّغِيرِ والغناء . وهى لا تَنَامُ مادامت تَسْمَعُ ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفها فَإِنَّ رَأَوْها مسترخيةَ الأَذَانِ وثَبُّوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سَبِيل .

والصَّغِيرُ تُسْقَى به الدوابُّ الماء ، وتنفَّرُ به الطير عن البلور . وزعم صاحبُ المنطق أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ إذا وافق سِبَاحَةَ السَّمَكِ

(١) صرت الدابة أذنها : نصبها للاستماع .

(٢) هـ : « مشيها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنث لفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ، لا يجوز في فعله إلا المذكر ، خلافاً للكوفيين الذين استجروا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) السطلة : تتابع الأصوات واحتلاطها .

في أعلى الماء رَمَتْ ببيضها^(١) قيلَ انتهاء الأجل . [وربما تمّ الأجل^(٢)]
تَسْمَعُ^(٣) الرُّعْدَ الشَّدِيدَ ، فيتمعضل^(٤) عليها أيتاما بعد الوقت .

(قول لأبي الوجيه المكلّي)

وقال أبو الوجيه المكلّي : أَحِبُّ السَّحَابَةَ الْخَرَسَاءَ وَلَا أُحِبُّهَا !
فقليل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرسُ حتى تمتلئ ماءً وتصبَّ صبًّا
كثيراً ، ويكون غيثاً طبعاً^(٥) . وفي ذلك الحياء^(٦) . إلا أن الكمأة لا تكون
على قدر الغيث . ذهب إلى أن للرعد في الكمأة عملاً .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد^(٧) : سألت كسرى عن الكمأة فقليل له : لا تكون
بالمطر دون الرعد ، ولا بالرعد دون المطر . قال : فقال كسرى : رشوا بالماء
واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح^(٨) . وقد علم جعفر أن
كسرى لا يبجل هذا المقدار .

(أثر الصوت في الحية)

فالحيّة واحدة من جميع أجناس الحيوان الذي للصوت في طبعه عمل .

(١) ط . هـ : « يبيضها » صوابه ، في س .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) في الأصل : « فيسمع » .

(٤) يتمعضل : يصر عروجه . وفي الأصل : « فيتمعضل » ، تحريف .

(٥) طبعاً : أي مائلاً للأرض منثباً لها .

(٦) الحياء ، بالقصر ، ويعد أهنأ : الخصب .

(٧) تقدمت ترجمته في (٣ : ١٦٩) .

(٨) التمليح : أن يأتي بغير ملح . وأصل ذلك في الشاعر ، وقد جملة هنا التحدث

ط : « التلع » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذا الموضع ،
وصوابه في س ، هـ .

فاذا دنا الحوَاء وصفق يديه ، وتكلم رافعا صوته حتى يزِيد^(١) ، خرج إليه كلُّ شئء كان في الجَحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحَيَّةَ خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للزِمة ، ولأنَّ المعتزم مُطاعٌ في العَمَار . والعامَّة أسرعُ شئء إلى التَّصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح ، وفي^(٢)] أنَّ البدنَ هيكلُ لها ، يقول سليمانُ الأعمى^(٣) وكان أنا مسلم بن الوليد الأنصاريُّ . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُستجِيبِ^(٤) بشارِ الأعمى ، وأَنَّهُ كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدَّين . وهو الذي يقول :

إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ^(٥) مُعْتَبَرًا لِيَطْلُوبَ الْعِلْمِ مُقْتَنَسَةً

(١) يقال زِيدَه ، بالتشديد ، فزاد وأزداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتي .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الفرير ، جملة الجاحظ أعماسم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفي في نكت المهيان ١٦٠ فقد جملا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريح الفواق ، الشاعر المعروف كان كأيِّه شاعراً جيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشده الشعر الآتي . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي حيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأصمسي » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أي من قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « متحبى » صوابها ما أثبت .

(٥) كلمة « في » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هي في الأصل : « الدم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا للمنى الذى سبق من أجله التهم . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت المهيان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هي في ط فقط « معتبر » محرفة .

مَيْكَلُ الرُّوحُ يَنْطِقُهُ عِرْقُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ (١)
لَا تَعْظُ إِلَّا الْإِيْبَ فَا يُعَدُّ الضِّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدَتْهُ (٢) كَفَّ مُغْتَرِسِهِ
وكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَأْمَةٌ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيءٍ ينطق ، وكان ذلك
والحجارة رَطْبَةً .

قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لَبُوسَ لَمْ تَقِيهِمْ وَإِذْ هُمْ السَّلَامُ لَمْ رِطَابُ (٣)
بَآيَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدَّيْكَ الْغُرَابُ
وَأُرْسِلَتِ الْحِمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلْعَسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَانِيَةً بِهَا الْمَاءُ الْعِيَابُ (٤)
فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الشَّاطُ وَالطِّينُ الْكُبَابُ (٥)

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونسكت الحميان : « عرقه » صوابه في المجمع .

(٢) في البيان والمجمع ونسكت الحميان وحيون الأغيار : « علمته » . ورواية السكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثى . ويظهر من تأنيث الفعل بعينه أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، هـ . وفي س : « وعانية بها أبناء العياب » . وانظر ما سبق من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الشاط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : -

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عَقِدَ السَّخَابُ^(١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّثَهُ بَنِيهَا وَإِنْ تَقَتَّلَ فَلَيْسَ لَهُ انْصِلَابٌ

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم خبر عن
منادمة الذئب الغراب ، واشترط الحامة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على
ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كَذَى الْأَقْعَى تَرْبِيَهَا لَعَيْنُو وَذَى الْجَنَى أَرْسَلَهَا تَسَابُ^(٢)
فَلَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ يَأْمَنْهَا وَلَا الْجَنَى أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بلوياً^(٣) ، وهذا من خرافات
أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية^(٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني
سأنشذك لعنوى بن زيد ، وكان نصرانياً دينانياً^(٥) ، وترجماناً ، وصاحب
كتب ، وكان من دهاة أهل ذلك الدهر .

قال عدى بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف
دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جمل فسخها الله عقوبة لها ،
حين طاولت عدوه على وليه . فقال :

(١) = (٣٢١) . وقد سقت رواية « عليه اللط » أي حل القطف . وأما سير
عليها ، هنا فمادة إلى الحامة .

(٢) طوق الحامة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٣) تربها : ربها . والتريب : التربية . وفي الأصل : « تربها » محرف . وانظر
لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٤) في الأصل : « ملربا » .

(٥) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قَصَى لِسِيَّةَ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ^(١) وكان آخرها أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له ٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا^(٢)
كُنِمَتْ أَوْرَثُهُ الْفَرِيدُونَ يَحْمُرُهَا وَزَوْجُهُ صَنَعَةً مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرِ طَيْبٍ: أَنْ تَمَّ أَوْ أَكَلَا^(٣)
فَكَانَتْ الْحَيَّةُ الرَّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا رَى نَاقَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَعَلَا
فَعَمَدَا اللَّيْلِ عَنْ أَكْلِهَا نُهَيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدُّغْلَا
كَلَامَهَا خَاطَ إِذْ بُرَا لَبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ التَّيْنِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غُرْلَا^(٤)
فَلَا طَلَمَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيقَتَهُ طُولَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجْلَا^(٥)
تَمَشَّى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزَنًا وَإِنْ سَهْلَا^(٦)
فَأَتَوِيصَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا

وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا^(٧)

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه في هـ .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أي من شهما وأكلها .

(٤) بُرَا لبوسهما : أي سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهَا سَوَاتِمُهَا » و : « لَا يَفْعَلُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِمَهُمَا » . وفي ط ، هـ : « بُرَا » وفي س : « بِر » والوجه ما أثبت .

(٥) لَا طَلَمَهَا : أَلْسَقَهَا . وخليفة الله : آدم : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » . وقول حتى : « وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلًا » إشارة إلى ما يزعون من أن الحية لا تموت إلا يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كدبح ونصر وشرب : بقي زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فأتينا أبرانا » . ط فقط :

« فأتينا » محرقة . وفي س ، هـ : « ووجه الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْفِي بِحِكْمَتِهِ أَهْلَامَنَا حِلَلًا^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحية)

فَرَوَوْا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ
ذَلِكَ عُوقِبَتْ بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوقِبَ
بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوقِبَتْ أَيْضًا بِعَشْرِ
خِصَالٍ^(٣) .

وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْإِفْتِضَاضِ ، ثُمَّ الطَّلَقُ ، ثُمَّ
الزَّعْجُ^(٤) ثُمَّ بَقْنَعُ الرَّأْسِ^(٥) ، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْيَ^(٦) وَالنَّفْسَاءُ مِنَ الْمَكْرُوهِ ،
وَالْقَصْرُ فِي الْبُيُوتِ^(٧) ، وَالْحِيْضُ ، وَأَنَّ الرِّجَالَ هُمُ الْقَوَّامُونَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَنَّ
تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ .

(١) الْأَهْلَامُ ، الْمَقُولُ . وَعَلَا ، يَدُلُّ مِنْ أَهْلَامِنَا ، وَالْفَسِيرُ فِيهَا مُقَدَّرٌ ، أَيْ :

(٢) الْبَرِيَّةُ : الْخَلْقُ . وَأَرْبَابًا : جَمْعُ رَبٍّ ، جَاءَ فِي السَّانِ : « الرَّبُّ يَطْلُقُ فِي الْفِعْلِ عَلَى
الْمَلِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُرَبِّيِّ وَالْقَيِّمِ وَالْمُنْعَمِ » . قَالَ : وَلَا يَطْلُقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ . وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أَضِيفَ فَقِيلَ رَبُّ كَذَا . قَالَ : وَلَقَدْ جَاءَ
فِي الشَّعْرِ مُطْلَقًا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي غَيْرِ الشَّعْرِ » .

(٣) هَذَا الْقَوْلُ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِيهَا تَفَاوُتٌ . انْظُرْ مَفْرُوعًا
لِلْمَكُونِ ، الْأَصْحَاحُ الثَّالِثُ الْآيَاتُ ١٤ - ١٩ . وَانْظُرْ تَفْهِيمَ الْجَلَّاحِظِ عَلَى مَرْوِيَّاتٍ
كَمَبٍ فِي ص ٢٠٢ .

(٤) أَيْ زَجُّ الْوَلَدِ .

(٥) أَيْ لَيْسَ طَعَامُ الرَّأْسِ ، وَحَقُّ هَذِهِ الْخِصَالَةِ أَنْ تَكُونَ بِمَدِّ تَالِيَتِهَا .

(٦) وَجَعَتِ الْمَرْأَةُ : حَبِلَتْ وَاشْتَبَهَتْ الطَّلَامَ ، فَهِيَ وَحْيٌ مِنْ وَحَامٍ وَوَحْشَى . ط ،
س : « الْوَحْمُ » هـ : « وَمَا يَصِيبُ الْفَرْحَمَ » صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٧) أَيْ حَبْسُهُنَّ فِي الْبُيُوتِ . هَذَا . وَمِنْ عَدَدِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَجَدَهَا تَعْمًا ، فَلَمَلَهُ جَمَلُ
الْخَامَةِ مِنْهُنِ اثْنَتَيْنِ .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه ^(١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوام والسباع ، ونكد العيش ، ويتوقع الموت ،
ويسكن الأرض ، وبالعري من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطرف ^(٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحية فلأنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطع أرجلها ، والمشي على
بطنها ، وإعراء جلدها — حتى يقال : « أعرى من حية » وبشق لسانها —
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لتريم العقوبة — وبما ألقى عليها
من عداوة الناس ، وبخافة الناس ، وبجعله لها أول ملعون من اللحم والدم ،
وبالذى ينسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حية » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرمل
على الطريق وتدخل بعض جسدها فى الرمل ، فتظهر كأنها طبق خيزران ،
ومنها حيات بيض قصار تجمع بين أطرافها على طرق الناس ، وتستدير كأنها
طوق ^(٣) أو [^(٤)] خلخال ، أو سوار ذهب أو فضة — ولما تلقى على نفسها من
السبات ^(٥) ، ولما تظهر من الهرب من الناس . وكل ذلك إنما تفرهم
وتصطادهم بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تنجيه العين من جنائيات النظر . وفى « : »

« وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالنوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعوقبت الأرض حين شربت دم ابن آدم^(١) بعشر خصال :
أنبت فيها الشوك ، وصير فيها القياف ، وخرق فيها البحار ، وملح أكثر
ملها ، وخلق فيها الموام والسباع ، وجعلها قرارا لإبليس والعاصين ،
وجعل جهنم فيها ، وجعلها لا تربي ثمرها إلا في الحر ، وهي تعذب بهم إلى
يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخفاف ، والحوافر ، والأظلاف والأقدام^(٢) ،
وجعلها مألحة الطعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ، ولا من غير ولده .
قال : ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي مريم الحنفى^(٣) :
« لَنَا أَشَدُّ لَكَ بُغْضًا مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ ! » .
وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا سيرا من دماء
الابل خاصة .

(اختيار المسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جودة الصل من رداة ، قَطَرُوا عَلَى الْأَرْضِ

(١) هو الذى تسميه للتوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقسمته في سورة
المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) في الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
في حيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال :
أضئنى لك سقا ؟ قال لا ! قال : لا صير ؛ إنما يأسف حل الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةٌ . فإذا استدارت ^(١) كأنها قطعة زبيب ، ولم تأخذ من الأرض ولم تعطها ^(٢) فهو المادى الخالص الذهبى . فإن كان فيه غشوة ^(٣) نفشت القطرة على [قدر] ما فيها ، وأخذت من الأرض وأعطتها . وإن لم يقلدوا على اللحم الغريس ^(٤) دَفَنُوهُ وخرقوه في العسل ، فإنهم متى رجعوا فسلوه عنه وجدوه غصبا طريا ، لأنه ذهبى الطباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شىء . فهو لا يعطيه شيئا ولا يأخذ منه ، وكذلك الذهب إذا كان مدفونا .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديث ، وهذه الأشعار ، تدل على أنهم قد كانوا يقولون :
إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ رَطْبَةً لَبَنَةً ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ بِعَرَفٍ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
الْأَشْجَارَ وَالشَّجَلِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ ' وقد قال العجاج ، أو زُوبه ^(٥) :
أَوْ عَمَّرَ نُوحٌ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأخبار)

وأنا أظن أن كثيرا مما يُحكى عن كعب أنه قال : مكتوب في التوراة
أنه إنما قال : ونجد في الكتب ، وهو إنما يعنى كتب الأنبياء ، والذي يتوارثونه
من كتب سليمان ، وما في كتبهم من [مثل ^(٦)] كتب إشعياء ^(٧) [وغيره ^(٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تسله » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا في الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريس : الطرى .

(٥) أنظر ما سبق من التحقيق في ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط في المعجم القديم .
كان أحد أنبياء بني إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير في الكامل (١ : ١٤٣ - ١٤٥) حديثا طويلا ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاحا .

(٨) يمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتابا واحدا كما مر -

والذين يروون عنه في صفة عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبار^(١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلا على ما قلْتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفى أنَّ الحيةَ قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النَّابِغَةُ^(٢) في المثل الذى ضربَهُ^(٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يحبُّ سَراحنا فيعلِّمنا من مُرَّةِ المتاصِره^(٤)
ليَهْنِكُمْ^(٥) (أنْ قَدْ نَفَيْتُمْ^(٦)) يَبُوتُنَا مَحَلَّ عُيَيْدَانِ المَحَلِّ بِاقِرِهِ^(٧)

= في التنبية السابق . فن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يخاطب بها بني مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . ووجه التيميز في نسبة الشعر إلى النابغة الجعدي .

(٣) انظر قصة الشمرى المصدرين للظهير ، والشراء ١١٢ - ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والشمري (١ : ٤١٦) وأعمال الميداني (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهي ما وضعه العرب حل لأسنة الحيوان .

(٤) س : « يحب سراحنا » .

(٥) كذا في ه . وفى س : « لينكر » وهما كتابتان جازتان ، وفى ط : « ليناكم » ، وفى خسة دواوين العرب واللسان (مادة عب) : « ليناكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عب) .

(٧) فى البيت اقواء . وقوله ابن برى : صواب إنشاده : « المحلِّ باقره » بكسر اللام من المحلِّ ، وفتح القراء من باقره . وعبيد الله : ما منقطع بأرض ابن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو معنى لفظة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » بحرف . وانظر الاستدراكات .

وإني لألقى من ذوى الضغنى نكبةً بلا عثرةٍ والنفس لابدٌ عاثرةً^(١)
كما لقيت ذات الصفا من حليفها

وما انفكت الأمثال في الناس سائرةً^(٢)

فقلت له : أدعوك للعقل وافرًا ولا تغشيني منك للظلم بادرةً^(٣)

فوافقها بالله حتى ترأضيا فكانت تديه الجزع خفيا وظاهره^(٤)

فلما توفى العقل إلا أقله وجارت به نفس عن الخير جاره^(٥)

تفكر أنى يجمع الله شمله^(٦) فيصبح ذا مال ويقتل واثره

فظل على فأس يحيد غرابها^(٧) ليقتلها ، والنفس للقتل حاذره^(٨)

فلما وقاها الله ضربة فأسه^(٩) ولله عين لا تغص ساهره^(١٠)

فقال : تعالى نجعل الله بيننا على العقل حتى تنجزى لي آخره^(١١)

(١) الخزانة : « إني لألقى من ذوى الضغنى منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التي كان لها هذا اللعل ؛ وسيت بملك لأنها تسكن في الصفا ، وهي الحجارة الملصق الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أحبا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد . هو : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة وللديوان : « وكانت تديه المالغيا » . والغب بالكسر : أن تطيه في يوم ولا تطيه في الثاني . والظاهرة أصله من ظم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية للديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية . ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميمنى والخزانة والشعراء : « أكب حل فأس »

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز في الخزانة والميمنى والديوان : « مذكرة من الماويل ياره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميمنى : « ولله عين لا تغص ناظره » .

(١٠) قال الحية : تعالى نجعل الله شاهدا بيننا على دية أخى حتى تنجزها . س ، هـ : =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ، إِنِّي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرُهُ ^(١)
 أَبِي لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاجِهًا وَضَرْبَةً فَأَسِرَ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ ^(٢)
 فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَاتِ مَذْهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصُّلْتِ ، وَعَدَى
 ابْنُ زَيْدٍ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصُّخُورُ وَالْأَشْجَارُ فِي مَاضَى الزَّمَانِ)

وَأَنشَدَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ :
 فَكَانَ رَطْبِيًّا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا ^(٣) طَلَحُهَا وَسَيَّامُهَا
 فزعم كما ترى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْثَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسَّيَّالَ
 كَانَتْ خَضِيدًا ^(٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .
 وزعم بعضُ المفسرين وأصحاب الأخبار ، أَنَّ الشَّوْكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
 الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فَقَالَتْ لَمَلٍ يَجْمَلُ » صَوَابُهُ ، فِي طِ وَالْهِوَانِ وَالْمُخْرَافَةِ وَالْمِيدَانِ . وَيُرْوَى :
 « حُلُ الْمَالِ » وَ « حُلُ مَالِ » .

(١) يَمِينُ اللَّهِ : قِسْمٌ مِنَ الْإِيمَانِ . وَ « أَفْعَلُ » أَيْ : لَا أَفْعَلُ . وَحَذَفَ « لَا » بَعْدَ
 الْقِسْمِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ . وَفِي الْكِتَابِ : « قَاتِلُهُ تَفَقَّرَ تَذَكَّرَ يَوْسُفَ » أَيْ لَا تَفَقَّرَ .
 وَانْظُرْ لِهَذَا الْبَحْثِ أُمَالَ الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧) وَالْمُفَصَّلُ (١٣ : ١١٥)
 وَالْأَنبَادُ ١٤٨ . وَالْخِتَارُ : الْفَنَاءُ .

(٢) تَقُولُ : أَبِي لَكَ أَنْ تَكُونَ وَفِي مَا أَسْلَفَ إِلَى أَخِيكَ الَّذِي قَبْرُهُ مُوَاجِهَةٌ لَهَا
 وَكَانَ أَخُوهُ فِيمَا زَعَمُوا - ضَرْبَهَا بِفَأْسٍ ، فَانْتَضَمَتْ مِنْهُ بِأَنْ تَقْلَهُ . وَرَوَايَةُ الْهِوَانِ
 وَالْمُخْرَافَةِ وَالشُّعْرَاءِ : « أَبِي لِي » أَيْ أَبِي لِي أَنْ أَخْذَعُ أَوْ أَنْ أَضْمِنَ وَفَاكُ
 وَصَدَقَ الصَّاهِدُ وَالتَّوَاتُقُ . وَالضَّرْبَةُ الْفَاقِرَةُ : الْفَاقَةُ ، كَأَنَّهَا تَقْلَعُ الْفَقَارَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَضِيدًا » ، صَوَابُهُ مَا أَثَبْتُ . وَانْظُرْ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ .

(٤) خَضِيدٌ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَقْمُولٍ مِنْ خَضَعِ الشَّوْكَ : أَيْ قْلَهُ . وَفِي الْأَمْسَلِ .
 « خَضِيدٌ » وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَقْمُولٍ وَذَكَرَ مِنْهُ الْمَوْصُوفُ اسْتَوَى فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ — حَدَّثَنَا بَنُكَ [عنه ^(١)] أبو عقيل السَّوَّاقُ ، وكان أحدَ رواةِ الحاملين عنه — إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ لَيْتَةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ ^(٢) فِي تِلْكَ الصُّخْرَةِ ، كَتَابِيرُ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ . ٦٩
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَقَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَفَى عَلَيْهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاهَا ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحُجَّةُ لِنَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِبَنُكَ وَنَحْوِ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلْقَاءَ ^(٣) يَابِسَةٍ فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيثِ ذَلِكَ بِالْحُجَّةِ ^(٤) . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَذَرِ وَالتَّكْلِيفِ وَاتْتِحَالِ مَا لَا أَقُومُ بِهِ . أَقُولُ : إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ هَلَكَتْ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِلَةِ هَلَكَتْ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النَّحْلِ . فَلَمَّا لَمْ أَقُلْ : وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ هَلَكَتْ الْعَوَامُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَلَمَّا أَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَتَاهِجَ لَهُمْ سُبُلًا ، وَفَتَقَ لَهُمْ أُمُورًا ، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ فِيهَا الْمُنْفَعَةُ ، وَشَمِلَتْهُمْ بِهَا النِّعْمَةُ .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وَإِنْ قَدِمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرْنَا » ، وَيَكُونُ صَوَابُ مَا فِي ط :

« وَإِنْ قَدِمَا » لَفْظٌ .

(٣) صخرة خلقاء : ملء .

(٤) س : « الْحُجَّةُ » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّمُ أن الناس يحتاجون بديلاً^(١) إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يتدبّر به صاحبُ الإنصافِ أمره ألا يعطى نفسه فوقَ حقها ، وألا يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتم إلاّ بالتحفّظِ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السابّ إلى القلب - والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكبابي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطنابي في القول ، بيتُ ابنِ هرّمة ، حيث يقول :

إنّ الحديثَ تفرّ القومَ خلوتُهُ حتّى يَلجُ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ عُجْرٍ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

(١) بدلياً : أي بدلاً . وفي الأصل : « تدلياً » .

(٢) أحب حل الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكباب » .

(٣) خلوته : أي أن يختل بعضهم ببعض لمداورته وتبادلته . وفي الأصل : « خلوته » بالغاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأسفل الميداني (٢ : ٧٣) وأمال القائل (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخال لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلقة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى الخليل أيضاً : « كلُّ جِرٍّ في الخلاءِ سرٌّ » ، يميل « سر » اسم مفعول من « أسره » أي أفرسه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر في حكمه : =

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَغْرَّ مِنْ نَفْسِي ، عِنْدَ غَيْبَةِ خَصَمِي ، وَتَصْنَحَ الْعِلْمَاءُ
لِكَلَامِي ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فِتْنَةَ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ ، أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ ، وَالْحَرَصِ
عَلَى الْمَالِ .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ،
أَوَّلُ ذلكِ العلةُ الشديدة ، والثانية قلةُ الأعوان ، والثالثة طولُ الكتاب ،
والرابعة أني لو تكلفتُ كتاباً في طوله ، وعدَدِ ألفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من
كُتُبِ العَرَضِ والجوهر ، والطفرة ^(١) ، والتولد ^(٢) ، والمداخلة ^(٣) ، والغرائز ^(٤)

= وهلمة يقضى حل الموت يقضى كإفشاء الروى المنيوت
أراد : الميت ، فتوهم : نية . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق
في (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النخعي ، كما في الفصل (٥ : ٦٤) ،
وهي قوله : إن المارحل سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم
يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك
أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ - ٧ ، ١٥ ، وتأويل مختطف الحديث ١٦ س
٢ . وفي الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامي ، وذلك أنهم اختلفوا فيما رى سبها فخرج به إنساناً ، أو
غيره ، وفي حرق النار ، وتجريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من المبادات ، فقالت
طائفة : ماتولد من ذلك من فعل إنسان أو شيء ، فهو فعل الإنسان والشيء .
واختلفوا فيما تولد من غير شيء ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة :
هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام
فيه في كتابه (٥ : ٥٩ - ٦٠) . وانظر ملهيب الجبائي والنظام في الفرق
١١٥ ويشر ، في الفرق ١٤٣ . وفي الأصل : « التولد » وصوابه بما
سبق ومن تأويل مختطف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطبوع ، والزوايح ، والأصوات
والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام يزعمهم تتداخل في حيز واحد . الفصل
(٥ : ٦٠ - ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أي الطبايع الموجودة في الأشياء ، كالحرق للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لا أفرغ فيه إلى تلقط الأشعار^(٢) ، وتبشع الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب ، وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام^(٣) ، ومن وقوع الشيء في غير موضعه^(٤) - فلا تنكّر ، بعد أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنت لم ألتبس به إلا لفهامك مواقع الحجج لله ، وتصاريف تدبيره ، والذي أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - كما تعرضت لهذا المكره .

فإن نظرت في هذا الكتاب فانظرت فيه نظر من يلتبس لصاحبه المخارج ، ولا يذهب مذهب التعتب ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرض له

= لخير . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (١٤ : ١٥) .

والجاءت كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ سلس .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء بالماء ، والذئبق بالماء ، والذئبق بالحل . وتجد أقسامه موضحاً في الفصل (٦١ : ٥) وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق ٢٠٥ ط ٥ : التماس س : التماس وما تحريف ما أثبت .

(٢) أفرغ إليه : أي ألقا . وفي الأصل : « أفرغ » بحرة . والتلفظ : التقاط الشيء من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلطف » ، وليس صواباً .

(٣) ط س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع . . . الخ » ، وأثبت ما في ط س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .
فلينظر فيه على مثال ما أدب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
والاعتبار والتعليم ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررتَ بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
والجرجسة ^(١) ، ألا تحقير تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما
عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك ^(٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و ^(٣)] من ذلك التدبير ،
كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَّاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
بِحُسْنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
وَطَلُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامر بن عبد قيس ^(٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : البومض الصغار . ط : « الحرجة » ، صوابه
في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « آل » وهو جائر في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٣٨٢) .
وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي اللخمي . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسى بالله أن أقول إلا لله ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا لله .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فأحذر من أن تكون منهم ، ومن
يَنْظُرُ إِلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهَا ، وَيَمْنُ^(١) يَبْصُرُهَا بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَاسْتِجَارِ
الْأَذَانِ ، ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبحفظه
وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يُعرضُ عنها . وقد
قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
كانوا صُماً بُكاً وكانوا هم لا يعقلون ، لما عيرهم بذلك ، كما لم يعير من خلقه
معتوها كيف لم يعقل ، ومن خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يلم^(٢)
الدواب ، ولم يعاقب السباع . ولكنة سُمي البصير المتعالي أعمى ، والسميع
المتصائم^(٣) أصم ، والعاقل المتجاهل جاهلاً .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغْنِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعيادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة .
انظر الإصاية ٦٢٨٠ . وكان من الأيتام الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٢ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » ، صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كَمَا أَمَرَكُ اللَّهُ ، وانظر من الجهة التي دَلَّك مِنْهَا ، وَخُذْ ذَلِكَ بِقُوَّةٍ .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ (١) .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى مَا فِي الْحَيَاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَرَةِ ، وَالْفَائِدَةِ
وَالْحِكْمَةِ ، وَلِلَّذَلِكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : « لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يَمُرُّ بِنَا طَائِرٌ إِلَّا وَعِنْدُنَا مِنْ شَأْنِهِ عِلْمٌ » . وَهَذَا الْقَوْلُ مُصْبِحٌ
عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَلَمْ يَخْصُ « أَبُو ذَرٍّ » خَشَاشَ الطَّيْرِ مِنْ بُغَائِهَا وَأَحْرَارِهَا ، وَلَا
مَا يَدْخُلُ فِي بَابِ (٢) الْمَمَجِّ . وَقَدْ أَرَيْنَاكَ مِنْ تَحْقِيقِ قَوْلِهِ طَرَفًا . وَلِعَلَّكَ
إِنْ جُمِعَتْ نَظَرُكَ إِلَى نَظَرِنَا ، أَنْ (٣) تَسْتَمَّ هَذَا الْبَابَ ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ (٤) أَشِيرًا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرَبَّيَانِ
وَقَالَ الْأَحْنَفُ : « مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى
مِنَ الْأَمَةِ الْوَزْهَاءِ وَالْعَبْدِ الْأَوْزَةِ (٥) » .

(أنواع الحيات)

وَالْحَيَاتُ مُخْتَلِفَاتُ الْجِهَاتِ جَدًّا ، وَهِيَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَكْثُرُ اخْتِلَافُ
أَجْنَاسِهَا فِي الضَّرَرِ وَالسَّمِّ ، وَفِي الصَّغَرِ وَالْعِظَمِ ، وَفِي التَّمَرُّضِ لِلنَّاسِ

(١) مَا آتَيْنَاكُمْ : أَيْ الْكِتَابَ . وَأَصْلُ التَّلَطُّبِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . بِقُوَّةٍ : بِجِدِّ وَهَزِيمَةٍ .

اذْكُرُوا مَا فِيهِ : اذْكُرُوا وَلَا تَنْسَوْهُ ، أَوْ تَفْكُرُوا فِيهِ .

(٢) س ، هـ : « يَاب » ط : « يَاه » ، وَأَنْتَ تَصْحِيحُ مَا فِي ط .

(٣) فِي الْأَسْلِ : هـ لَمْ » .

(٤) رَوَايَةُ الرَّائِبِ فِي الْمَاضِرَاتِ (١ : ١٢) : « فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ » .

(٥) الْأَوْزَةُ : الْأَحَقُّ ، وَالْأَنْثَى وَرِجَالُهَا .

وفي الحرب منهم . فيها مالا يؤذى إلا أن يكون الناس قد آذوها مرة .
وأما الأسود فإنه يحمّد ويطلب ، ويكمن^(١) في المتاع حتى يدرك بطائلته .
وله زمان يقتل فيه كل شيء نهشه .

وأما الأفعى فليس ذلك عندها ، ولكنها تظهر في الصيف مع أول
الليل ، إذا سكن وهج الرمل وظاهر الأرض ، فتأق قارعة الطريق حتى
تستدير وتطحن^(٢) كأنها رحي ، ثم تلصق بدنها^(٣) بالأرض وتشتخص
رأسها ، لئلا يدركها السبات ، معترضة ، لئلا يطأها إنسان أو دابة فتنهش .
كأنها تريد ألا تنهش إلا بأن يتعرّض^(٤) لها ، وهي قد تعرّضت
لنهنشه باعتراضها في الطريق وتناومها عليه ! وهي من الحيات التي ترصد^(٥)
وتوصف بذلك . قال معقل بن خويلد^(٦) :

أبا معقل لا توطئكم بغاضق

رُموس الأفاعى في مراصيلها العرم^(٧)

-
- (١) كمن يكن ، من بكى نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرقة .
(٢) في الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهري : طعنت الأفعى : رحت
واستدارت ، فهي مطحان . قال الشاعر :
بجرشاء مطحان كأن فحيحها إذا فرغت ماء هريق حل بحر
(٣) ط : « بلنّها » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .
(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، ه .
(٥) ترصد : أي تكن . والمراد : المسكن .
(٦) معقل بن خويلد بن وائلة بن عمرو بن عبد ياليل الحنّلي ، شاعر مخضرم أدرك
المجاهلة والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبان
٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .
(٧) مخاطب أبا معقل عبد الله بن حنينة ، كما في شرح أشعار المذليين للسكري ٣٨٣ تحقيق
فراج . والبغضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، مرم)
والخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها^(١) . وكل منقطعة^(٢) فهى عزماء ،
من شاة أو غير ذلك .
وقال آخر :

وكم طوت من حنش وراصيد للسفر فى أعلى البيات قاصيد
والأفعى تقتل فى كل حال وفى كل زمان . والشجاع^(٣) يوايب
٧٢ ويقوم على ذنبه ، وربما بلغ رأسه رأس الفارس .

(ما يقتل الحية والمقرب من الحيوان)

وليس يقتلها - إذا تطوقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها
لتقطعها عابرة إلى الجانب الآخر - شئ كأقاطيع الشياور إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبل الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وقعت بين أرجلها كان
هبتها نفسها ، ولم يكن لها همة إلا التخلّص بنفسها ، لئلا تعجلها بالوطء .
فإن نجت من وطء أيديها ، لم تنج من وطء أرجلها . وإن سلمت من واحدة
لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن كجأ ، وهو يصف إبله :

• تعرّض الحيات فى خرشائها^(٤) •

(١) ط : « بافلاى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٧٤ هـ إذ لا داعى لباء . ويبنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمرصعة . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة » ، تحريف . وفى المحصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء
التي فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

• دحوس الأفاعى فى مرابضها العرم • •

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (حفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابها « تفرش » . والتفرش : التجمع . وانفرش : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « حاسبها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام^(١) :

• تُعَجِّلُهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالسَّكَّرِ^(٢) •

ومن ذلك أَنَّ العَقْرَبَ تَقَعُّ فِي يَدِ السَّيَّوَرِ ، فَيَلْعَبُ بِهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ
وهي في ذلك مسترخيةٌ مستخيلةٌ لا تضربه . والسَّيَّوَرُ من الخُلُقِ الذي
لا تسرع^(٣) السُّمُومُ فيه .

(مسألة الأفعى للقائض والراعى)

وربَّما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجُلِ وعلى فراشه فلا تنهشه .
وأكثرُ ما يُوجَدُ ذلك من القائض^(٤) والراعى . قال الشاعر^(٥) :
تَيْتُ الحَيَّةُ النُّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الحُبِّ مَسْتَمِعَ السَّرَارِ^(٦)
قال : الحُبُّ : الحبيب^(٧) . والنُّضْنَاضُ من الحَيَّاتِ : الذي يحركُ

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي .
وهو كذلك لقب لنويع ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما
الفردزدق بشعر ، فرد عليهما الفردزدق بنقيضة طويلة ، في النقاظس . وانظر المؤلفات
١٧٩ ومجمع المَرْزِيَّانِي ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نَكَزَتُهُ الحَيَّةُ : لَسَعَتْهُ بِأَنْفِهَا . والنَكَازُ : ضرب من الحيات ينكر بأنفه ولا
يمض يفيه . في الأصل : « والمتكر » .

(٣) س : « تسرح » . وليست هناك .

(٤) القائض : الصائد . ط : « القاض » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما في اللسان (حُب ، نفض) وأمل القائل (٢ : ٢٣)
والاشتقاق ٣٠٨ من محقق .

(٦) كذا . وصواب للرواية : « يستمع السرار » . انظر المصدين المتقدمين
والنقص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحُب ، هنا : القدر . عن الأصمعي أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن
معنى قول أبيه الراعى :

تَيْتُ الحَيَّةُ النُّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الحُبِّ يَسْتَمِعُ السَّرَارَ
ما الحُبُّ ؟ فقال : القدر . فقال : خطأ عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب
العين : « الحُب والحباب : القدر من حية » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرُّمّة : ما التضناص ؟
فأخرجَ لسانَه يحرِّكه ^(١) .

وإنما يصف القانص وأنه يبيت بالقفر . ومثله قولُ أبي النجم ^(٢) :

نَحَى لَنَا الْقَرْنَاءَ فِي عِرْزَالِهَا جَرَى الرَّحَى تَجْرَى عَلَى ثِفَالِهَا ^(٣)
العِرْزَال ^(٤) : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وَجْزَة ^(٥) :

بَيْتَ جَارَتِهِ الْأَفْعَى وَسَامَرَهُ رُمْدٌ بِهِ عَاذِرُ مَنْهَنْ كَالْجَرْبِ ^(٦)
وقوله : رُمْدٌ ^(٧) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر ^(٨) .

(قصة في مسألة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن مناقش مع دارم الدارمي ، فلما أصبح يحيى

(١) في المختصر : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية التضناص ؟ فحرك لسانه في فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروي للأعشى ، كما في اللسان .

(٣) الحية القرناء : التي لها لحيان في رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر ما يكون ذلك في الأفعى . هـ : « الفرعاء » س : « الفرعاء » ط : « الفرعاء » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عززل ، قرن) . و « لنا » هي في ط : « بها » وفي اللسان : « له » . و « عززالها » بكسر العين يفتح واء ساكنة وزاي . وفي الأصل : « عززالها » تصحيفه من اللسان . و « جرى » مفعول « نَحَى » . ونفال الرعى : الجلد ييسط تحتها ليق الطحين من القرب .

(٤) في الأصل : « الفرعاء » تحريف . وفي اللسان : « عززال الحية : جعرها » .

(٥) في الأصل : « أبو وجزة » بالراء ، وإنما هو بالزاي المجعفة . وقد تقلعت ترجمته في (١ : ٩٦) . وانتظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغاني (١١ : ٧٥) .

(٦) في الأصل : « ويد » بالياء ، صوابه من (هـ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما في اللسان (٧) .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقطعها ، فقال له دارم . قد اعتقنتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :
أعودُ برَبِّى أن تَرى لى صَبيتى يُطِيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم .
من الخُرْسِ لا ينجو صحيباً سَليماً وإن كان معقوداً بحل النائم^(١)

(مسألة المقارب للناس)

والمقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فلئها رَجْمًا باتت
فى الحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قيصة عامَّة يومها ، فلا تلتسه .
فهى بالأفعى أشبه .

فأما سائرُ المقارب فلئها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربت إنساناً فَرَّتْ ٧٣
كما يصنع المسمى الخائف للمقارب^(٣) .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغشى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فلئها عند ذلك تضربه .

(مسألة المقارب للخنافس والحيات)

ويقال لئها تأوى مع الخنافس وتسلئها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كل أسود سائغ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدث أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج الشلمى

(١) السليم : اللعغ . وأراد معقوداً به حل النائم ، قلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « والمقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لَسْتُ قَتَلْتُ ، فِدْبٌ ضَيْفٌ لِمِمْ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الدَّارِ فَضَرَبَتْهُ
عَقْرَبٌ عَلَى مِذَا كَبِيرِهِ ، فَقَالَ نَصْرٌ يَعْزُضُ بِهِ :
وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَّانُهَا أَقَامَ الْحُدُودَ بِهَا الْعُقْرَبُ
إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنْ عَقَارِبُهَا تَضْرِبُ^(١)
قَالَ : فَأَدْخَلَ النَّاسُ بِهَا حَوَاءً ، وَحَكَّوْا لَهُ شَأْنَ تِلْكَ الْعَقَارِبِ ،
فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ الْعَقَارِبُ تَسْتَقِي مِنْ أَسْوَدَ سَالِخٍ . وَنَظَرَ إِلَى مَوْضِعِهِ فِي الدَّارِ
فَقَالَ : احْفَرُوا هَاهُنَا . فَحَفَرُوا عَنْ أَسْوَدَ بْنِ ذَكْرٍ وَأَنْثَى ، وَلِلذَّكَرِ خُصِيَّتَانِ
وَرَأَوْا حَوْلَ الذَّكَرِ عَقَارِبَ كَثِيرَةً فَقَتَلُوهَا .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قَالَ : وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ حِينَ رَأَاهُ عَقْرَبٌ بِالشَّعْرِ^(٢) ، وَقِيلَ
لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : لَسْتُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَغْلِبَ صَاحِبُكَ . فَقَالَ الْفَضْلُ :
قَدْ تَجَمَّرَ الْعُقْرَبُ فِي سَوْقِنَا^(٣) لَامَرْحَبًا بِالْعُقْرَبِ النَّاجِرَةِ

(١) فِي الْمَحْاسَنِ وَالْأَعْيَادِ ١٧١ : « فَإِنْ عَقَارِبُنَا تَغْضِبُ » . وَالتَّصَدُّقُ فِيهِ فِي مَخَافَاتِ
الرَّغَائِبِ (٢ : ١١٥) مُخَالَفَةٌ لِمَا هُنَا . وَنَقَلَ الدِّمِيرِيُّ مَا أَثْبَتَ الْجَاهِظُ هُنَا . وَزَادَ بَعْدَ
هَذَا الْبَيْتِ :

فَلَا تَأْمَنُ سُرَى عَقْرَبٍ بِلِيلٍ إِذَا أَذْنِبَ الْمَذْنِبُ
(٢) عَقْرَبٌ هَذَا ، كَانَ تَاجِرًا مِنْ تِجَارِ الْمَدِينَةِ ، ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْمَطْلِ وَالْتِمُوسِ ،
فَقَالُوا . « أَمَطَلٌ مِنْ عَقْرَبٍ » وَ : « أَتَجَرُّ مِنْ عَقْرَبٍ » . وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ
ابْنَ حَبِيبَةَ بْنِ أَبِي لَيْبٍ ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ انْتِصَاءً ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَقْرَبًا عَامِلَ الْفَضْلِ ،
وَمُطْلَعًا ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْفَضْلُ مَفَالِقَتَهُ ، حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى هِجَاؤِهِ عَرْضَهُ بِالشَّعْرِ الْإِقَى .
هُوَ : « رَاهَتُهُ عَقْرَبٌ » ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ كَمَا أَسْلَفْتُ . انْظُرِ السَّانَ (عَقْرَبٌ)
وَأَمْثَالَ الْمِيدَانِي (١ : ١٣٣) وَحِيدُونَ الْأَخْيَارِ (١ : ٢٥٦) وَالْمَحْاسَنِ
وَالْمَسَاوِي (١ : ٢٢٨) . وَ« عَقْرَبٌ » إِذَا سَمِيَ بِهِ رَجُلٌ جَازَ صَرْفُهُ وَمَشَهُ .
وَانْظُرِ اسْتِعْرَافَاتِ .

(٣) فِي السَّانِ وَأَمْثَالَ الْمِيدَانِي وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الشَّافِيَّةِ ٦٥ : « قَدْ تَجَمَّرَتْ فِي سَوْقِنَا عَقْرَبٌ » .

كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ مُخْشَى مِنَ الدَّائِرَةِ^(١)
كُلُّ عَدُوٍّ كَيْدُهُ فِي اسْتِهِ فَغَيْرُ ذِي أَيْدٍ وَلَا ضَائِرَةٍ^(٢)
قَدْ ضَاقَتِ الْعَقْرَبُ وَاسْتَيْقَنَتْ أَنَّ لَادُنْيَا وَلَا آخِرَهُ
إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ التَّلُّ لَهَا حَاضِرَهُ

(من سمى بعقرب)

واسم أم حارثة بن بلر^(٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب اللبي^(٤) الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَاهُ اللَّهُ ،
ظُلْمَتُهَا لَا تُبَالَى مَنْ ضَرَبَتْ ! » .

وقال الضبي^(٥) : أنا عقرب ، أضر^(٦) ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرجلُ تلسه الجرارة^(٧) بعسكر مُكْرَم^(٨) ، أو مجنديسابور ،

-
- (١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .
 - (٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أي غير ذي ضائرة . والضائرة : ما يقصر ، أي
تفسر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذي كيد ولا نائره » . والنائرة : الخفة
والمدانة ، والكائنة تقع بين القوم .
 - (٣) سبق ترجمته في (٣ : ٧٧) .
 - (٤) في (٥ : ٣٠٣) : « ألقبي » .
 - (٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنائها . ط : « الجرادة » ،
صوابه في س ، هـ .
 - (٦) بغم الميم وفتح الهاء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ، وربما تناثر لحمه ، وربما تعفنَ وأتقن ، حتى لا يلتصق منه أحدٌ إلا وهو مُخَضَّرٌ أنه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أنَّ الوخزة التي وُخِزَها كانت من جرارة .

٧٤ وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حجاجاً ، يحجمُ ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجاجُ لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرَ كثيرة . وإنما كانوا يهودون له بذلك ؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج ، وما على الحجاجِ في ذلك من الضرر . وذلك أنَّ وجهه ربما اسماً وأربد ، وربما عطلت مقادير أسنانه وتوجعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بخار الدَّم ، ومن ذلك السمُّ المخالط لذلك الدَّم . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حشوا أذنان^(٢) الحجاجِ بالقطن ، فصار القطنُ لا يمنع قوَّةَ المصِّ والجذب ، ولم يدعه يصلُ إلى فم الحجاج . ثمَّ إنَّهم بعد مدَّة سُنَيَاتٍ^(٣) أصابوا نبتةً في بعض الشعب^(٤) ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حسنت حاله .

والجزارات تألف الأخوا^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع النارية . وممَّا نار .

(١) خر أنفه : غلاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تعبير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو الين من الأرض . وفي الأصل : « الأخوا » باللهمة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقعا . وفي الأصل : « الأتاتين » بتوئين يفتها ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلينِ فقتلُ أحدهما
ويقتلُها الآخرُ^(١) ، وربما نجتْ ولم تمتْ ، كما أنَّه ربما عُقِرَتْ ولم تُفَتِّ ،
ونجدُها تضربُ رجلينِ في ساعةٍ واحدةٍ ، فيختلفان في سوء الحال . ونجدُها
تختلف مواضعُ ضررها على قدرِ الأغذية ، وعلى قدرِ الأزمان ، وعلى قدرِ
مواضعِ الجسد . ونجدُ واحداً يتعالج بالأسوس^(٢) فيحمدهُ ، ونجدُ آخرَ يدخلُ
يدهُ [في^(٣)] مدخلِ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماءٌ فيحمدهُ ، ونجدُ آخرَ
يعالجه بالتخالة الحارة فيحمدها ، ونجدُ آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمدهُ ،
ونجدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ما يوافقه ، ثم إننا نجدُ يعاود ذلك
العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمدُه !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ،
وفي الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاهُ^(٤) اختلفَ الذي وافقه على حسب
اختلافه .

وكان يقول : إنَّ قولَ القائل في العقرب : شرُّ ما تكون حين تخرج
من جحرها ، ليس يعنون من ليلتها - إذ^(٥) كان لا بدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) السموس ، كصبور : الترياق الذي يعالج به للملوس والملدوخ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وبها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion

وهو اسم لما ينش من الحيوان كالأنامى ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣
وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالأسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « ماله » ، صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيب من الشدة - ولكنهم إنما يغنون : في أول ما يخرج من جحرها عند استقبال الصيف ، بعد طول مكثها في غير عالمنا وغدائنا وأنفاسنا ومعاشنا .

(زعم العامة في المقرب)

والعامة زعم أنها شر ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام ، لتفتح المسام^(١) ، وسعة المجارى ، وسخوة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشد . هذا قول أبي إسحاق . كأنه كان يرى^(٢) أن الهواء كلما كان أحر ، وكان البدن أسخن كان شرًا .

ونحن نجدهم يصرخون من لسعتها الليل كله ، وإذا طلعت الشمس سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلة من تلك الجراحة في الشمس فما أكثر ما يسكن . وهو معها بالليل أشد ، إلا أن يزعم أن أجواف الناس في برد الليل أسخن وفي حر النهار أقر .

(الدساس)

وزعم لي بعض العلماء^(٣) ممن قد روى الكتب ، وهو في إرث منها ، أن الحية التي يقال لها : الدساس^(٤) ، تلد ولا تبيض ، وأن أنثى العور لم تضع عراً قط إلا ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لي في بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، هـ .

(٤) الدساس : حية غيبضة . وفي السيرى : « الدساس يفتح الدال : حية صماء تدس =

(زعم استحالة الكأءة إلى أفاع)

والأعرابُ زعم أن الكأءة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطَرَةً صَفِيَّةً ، فيستحيل بعضها أفاعى . فسمِعَ هذا الحديثَ منى بعضُ الرؤساءِ الطائِفينَ ^(١) ، فزعم لى أنه عابَرَنَ كأءةً ضَخْمَةً فتأَمَّلَهَا ، فإذا هى تتحركُ ، فنهض إليها فقلَّعَهَا ، فإذا هى أفعى . هذا ما حُدِّثَتْهُ عن الأعرابِ ، حتى برئت إلى الله من عيب الحديث .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحياتِ تأكلُ الأحْمَ والعُشبَ . وزعم أن الحياتِ أظهرُ كَلْباً من جميع الحيوانِ ، مع قلَّةِ شربِ الماءِ . وأن الأسمدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماءِ . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفُسَهَا إذا شمت رِيحَ السَّدَابِ ، وربما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها وقد مَكَّرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخَ ، والعُشبَ .

وزعم أن الحياتِ تُلَخُّ جلودَهَا في أوَّلِ الرَّبيعِ ، عند خروجها من أعشِئهَا ^(٢) وفي أوَّلِ الخريفِ .

= تحت التراب انتماساً ، أى تنفخ . وفى اللسان : « أبومرو : الدساس من الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أعشِئ الحيات ، ينسج فى التراب فلا يظهر للشمس . وهو حل لون القلب من الذهب المحل » وانظر لولادة الدساس ، ما فى الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، هـ .
(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيس على الشفوذ . س : « الكاينين » هـ : « الكاينين » . وكنت حسبتها : « الكياينين » لكن وجدت تعقيب الجاحظ لايسف هذا .
(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة - كمنية - فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السِّلْخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها^(١) أنها عمياء .
وهي تسلخُ من جلودها في يوم وليلة من الرأس إلى الذَّنْب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يُسلخ الجنين من المشيمة ؛ وكذلك^(٢) جميع الحيوان المخرز^(٣) الجسد ، وكل طائر لجناحه غلافٌ مثل الجعل والدَّبر^(٤) وكذلك السرطان ، يسلم أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشي .
وتسلخ جلودها يرازا .

(سلخ الحيوان)

والسِّلْخ يصيب عامة الحيوان : أمَّا الطير فتحسرها^(٥) ، وأمَّا ذوات الحوافر فسلخها عقائقا^(٦) ، [وسلخ الإبل طرح أوبارها ، وسلخ الجراد انسلاخ جلودها^(٧)] ، وسلخ الأيائل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المجهود استعمال المش لجر الحية ؛ إذ المش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا لحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للضب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الضب يمسّ عته وكره ، ذا سمة أججرة » . فقد زاد على الجاحظ استعمال (الوكر) للضب أيضاً .

- (١) بتقديم النون على الياء ، أي يقوم عليها ويحمي بشأنها . وفي القاموس : « ما يمانون ملحم : ما يقومون عليه » .
- (٢) ط ، هـ : « ولذلك » سوابه في س .
- (٣) كلما في ط ، هـ . وفي س : « المخرز » .
- (٤) الدبر ، يفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . (دبر ٣٦٠) .
- (٥) التحشير : سقوط ريش الطائر . ط : « تحشيرها » س ، هـ : « تحسرها » .
- والصواب ما أثبت . وانظر ما سبق في (٣ : ١٩ س ١٠) .
- (٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهي شمر للولود .
- (٧) هذه التكلة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبة تنسلخ فتصير فراشة . وقال الطرمح شعراً :
 ونجرد الأسروع واضرد السقا وجرت بجاليها الحذاب القردد^(١)
 وانساب حيات الكتيب وأقبلت وزق الفراض لما يشب الموقد^(٢)
 يصف الزمان .
 والدعوص ينسلخ ، فيصير إما بعوضة وإما فراشة .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك^(٣) أن البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
 وأن العوضة التي من سلخ دعوص رجباً انساخت^(٤) برغوثاً .
 والنمل تحدث لها أجنحة ، ويتغير ظنّها ، وذلك هو سلخها . وملكها
 يحين عند طيراتها .

٧٦

-
- (١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بجاليها » ، وصوبه ما أثبت
 من الديوان ص ١٤١ . والحذاب : جمع حذب ، وهو ما أشراف من الأرض
 وغلط . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من
 الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقيل هذا الرث :
 حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجندب
 (٢) يقول : أقبل ذلك الفرائش التي في لونه سواد وبياض ، إلى النار التي
 يشبها موتها .
 (٣) نسبة إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
 ومعلمه ، وكان الرشيد يدعو ييا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم
 وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه
 بالرقعة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .
 (٤) في الأصل : « تملحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الراجز^(١) :

مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ^(٢) .

(أثر البلدان في ضرر الأفاعي ونحوها)

قال : وعصرُ السَّباعِ ذواتِ الأربع ، ولدغُ المَوامِ ، يخلفُ بقدر اختلافِ البلدان ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعي الرَّمْلِ^(٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقارب نصيبين^(٤) ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيَّاتِ^(٥) الحرابات .

وفي الشَّيْثَانِ^(٦) ، والزَّنايِرِ ، والرُّتِيَلَاتِ^(٧) ما يقتل . فأما الطَّبَّوعُ^(٨) فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْأَذَى . ولِلضَّمَجِ^(٩) أَذَى لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ .

(١) هو صوف بن ذؤوة ، كافي نوادر أبي زيد الأنصاري ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما ساقى في (: ٥٥٨ :) : « تسليخ لونا عن لون » . وقبل البيت : « من كل سفهاء القفا والتخدين » .

(٣) الرمل : موضع بعميه ، كما في ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت حينها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت في (٣ : ٣٥٣) . وفي الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعي ، سبق ذكرها في ١٢١ . ط ، س : « هنديات » وأثبت صوابه من هو .

(٦) الشَّيْثَان : جمع شَيْث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من المتأكب قتال .

(٨) الطَّبَّوع : كتنور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لدغته ألم شديد .

(٩) الضَّمَج : دويبة مثثة تلسع ، تسمى في مصر بالبق . وهي : Cānex . وفي الأصل : « الصنج » محرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر ، يُخرج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أروا ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال . والأيل إذا ألقى قروته علم أنه قد ألقى سلاحه : فهو لا يظهر . وكذلك
إن ممن علم أنه يُطلب ، فلا يظهر . وكذلك أول ما ينبت قروته يعرضه
للشمس ، ليصلب ويجف . وإن لدغت الأيل حيّة أكل السراطين ، فلذلك
نظن أن السراطين صالحة للديع من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيل ولداً أكلت مشيمتها . فيظن^(١) أن
المشيمة شيء يتداوى به من علة النفاس .

[قال] : والذبة إذا هربت^(٢) دفعت جراحها^(٣) بين يديها ، وإن
خافت على أولادها غيبتها ، وإذا لحقت^(٤) صعدت في الشجر وحمّلت
معها جراحها .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « فظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والذبة فاتها إذا هربت » . والأولى حذف الكلمة الثانية
كأن في هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون مز في الأصل . والمجرأ : جمع جرو :
وهو ولدعا .

(٤) يقال لحقه ولحقه : أدركه . وقرئ في المتن : « إن عذائك الجد بالكفار »

قال : والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له : « خانيق الفهود » أكل للعذرة فبرئ منه^(١) .

قال ، والسباع تشهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فرغ بعضها منه فيطعم في نفسه ، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمّه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي طائر^(٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فلإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صغترًا جبليًا . وقد فعلت ذلك مرارًا ، وربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصغتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هنكت .

قال : وأما ابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية : كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح . قال : ونظن أن ابن عرس مختال للطير بحيلة الذئب للغم ، فإنه يلذعها^(٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحق بكر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللفظة الضعيفة . وأثبت ما في س .

(١) وجاء في كتاب الإصطاح والمروانة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل الحية التي تسمى خانيقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير في رأسه شوكة ، إذا أطيح التمساح فيه عليه غمسه بها فيقتله .

(٣) انظر ما سبق في (٥ : ٣٢٠) .

وَزَعَمَ أَنَّ الْقَنَافِدَ لَا يَحْتَمِلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِهَةِ الرِّيحِ وَتَحَوَّلَهَا وَمُيُوبَهَا ، ٧٧
وَأَنَّهُ كَانَ يَقْسُطُنْطِينِيَّةُ رَجُلٌ يُقَدِّمُ وَيُعْظِمُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ هُبُوبَ
الرِّيحِ وَيُخْبِرُهُمْ ^(١) بِأَنَّكَ . وَلَمَّا كَانَ يَعْرِفُ الْحَالَ فِيهَا بِمَا يَرَى مِنْ
هَيْئَةِ الْقَنَافِدِ .

(العيون الحمراء)

وَالْعُيُونُ الْحُمْرُ لِلْعَرَضِ الْمَقَارَتِ ، كَعَيْنِ الْغَضْبَانِ ، وَعَيْنِ السَّكْرَانِ ،
وَعَيْنِ الْكَلْبِ ، وَعَيْنِ الرَّمَامِ .

(العيون الذهبية)

وَالْعُيُونُ الذَّهَبِيَّةُ : عُيُونُ ^(٢) أَصْنَافِ الْبَزَاةِ مِنْ بَيْنِ الْمُقَابِ ^(٣) إِلَى الْبُرُوقِ .

(العيون التي تسرج بالليل)

وَالْعُيُونُ الَّتِي تَسْرَجُ بِاللَّيْلِ : عُيُونُ الْأَسَدِ ، وَعُيُونُ الْفُورِ ، وَعُيُونُ
السَّنَانِيرِ ، وَعُيُونُ الْأَفَاعِي ^(٤) .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حنيفة :

غَضَابٌ يُشِيرُونَ الذُّحُولَ ، عُيُونُهُمْ كَجَمْرِ الْغَضَى ذَكَبَتْهُ فَتَرَقَّدَا ^(٥)

(١) ط ، هـ : « ويخبر » .

(٢) ط ، هـ : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، هـ : « المقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتي مثله في (٥ : ٢٢٩) .

(٥) للذحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو النار . س ، هـ : « الذحول » صوابه -

وقال آخر^(١) :

وَمَدَجَّجَ يَسْعَى بِشَكَّتِهِ عَمْرَةَ عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ^(٢)
رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحَّارِ العبدى : يا أحر ! قال : والذهب أحر ! قال :
يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَةٍ عينا
كذلك عِتَاقُ الطيرِ شُكْلُ عَيْنُونِهَا^(٣)

وقال آخر :

وَشُكْلَةُ عَيْنٍ لَوْ حُيْتُ بِبَعْضِهَا
لَكُنْتُ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَأًى وَمَسْمَعاً^(٤)

= فى ط . وذكى النار : أتى عليها ما تذكر به وتزيد اشتغالا . ط ، هـ :
« ذكته » ، ووجه ما أثبت من ص .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، يكرر الجيم ويفتحها ، كافى المضمض (٨ : ٩٥) نقلا من العين .
وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المضمض واللسان (دجج) . والشكة :
السلح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليسك :

ومدججا يسمى بشكته عمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وحياتنا يرقان بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كافى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه .
وسيماد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو غيبت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحانية .
والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب^(١) ، والأزرق ، والأشكال^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشبل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كحلاء ، وهي أبصر بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر في حمرة العينين وضياهما)

وفي حمرة العينين وضياهما يقول محمد بن ذؤيب العُمانى ، في صفة
الأسد :

أَجْرًا مِنْ ذِي لَيْدَةٍ هَمَّاسٍ^(١) عَضَنَفَرٍ مُضَبَّرٍ رَهَّاسٍ^(٢)

(١) للمغرب ، يفتح الراء : الأبيض . هـ : المغرب . س : العطب .
صوابه في ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، هـ :
« الأسجر » ، بالياء ، صوابه في س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زوقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأخف »
ط : « والأخف » س : « والأخف » بإبدال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهامس : الشديد للشمز يفرسه .

(٧) المضير : الموثق الخلق . وفي الأصل : « مضير » بحرف . والرهاس : الذي يتأ
الأرض وطناً شديداً .

شُعْخُ أَخْيَاسٍ إِلَى أَخْيَاسٍ^(١) كَأَنَّمَا عَيْنُهُ فِي مِرَاسٍ^(٢)
• شُعْخُ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسٍ^(٣) •

وقال المرار :

• مِثْلُ مَا وَقَدْ عَيْنِي الشَّعْرُ^(٤) •

أصوات خشاش الأرض

بحو الضب ، والورن ، والحية ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضب والحية والورن : فَحَّ يَفْحُ فحياً . وقال رؤبة :

٧٨ فِجْحِي فَلَا أَفْرِقْ أَنْ تَفِجْحِي^(٥) وَأَنْ تَرَحَّحِي كَرَحِّي المَرْحِي^(٦)
أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحٍ وَأَحَّ^(٧) يَحْكِي سَعَالِ النَّشْرِ الْأَبَحِ^(٨)

(١) أخياس : جمع عيس ، بالكسر ، وهو الأجرة يكون فيها الأسد . وإل هنا بمعنى مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابه ما في هـ .

(٢) أي في أثناء غارته الصيد .

(٣) المقياس : شطلة النار تقعس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأما وقد » ، وصواب روايته من أغصليات ٨٧ . وصلوه :

• حقق قد وقدت ميناء لي •

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحي لا أفرق » ، أي ياحية .

(٦) يقال رحح الحية ترحو ، وترححت ترحى : إذا استطارت . وأما رحح ترحى بالتشديد فلم أراه في معجم ، وهذا لا يبنى صوابه . والمرحى : الذي يدوى أثرى . وهذا البيت وما قبله سيمادان في (٦ : ٤٧) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يرح : إذا سئل . وكلية « أصبح » هي في الأصل : « أصبح » تحريف . ورواية اللسان : « يكاد من تنمخ وأح » . قال : « يصف وجلا غجلا إذا سئل تنمخ وسئل » .

(٨) النشز ، محركة : المنن القوي . والأبح : السلى غلط صوته من داء . ورواية اللسان :

• يَحْكِي سَعَالِ النَّشْرِ الْأَبَحِ •

قال : الفحيح : صوتُ الحَيَّةِ منَ فيها : والكشيش والتشيش ^(١) :
صوتُ جلدها إذا حَكَتْ بعضه ببعض . قال الرَّاغِزُ ^(٢) في صفة الشَّخْبِ
والحَلْبِ :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْفِرٌ حراءٍ منها شَخْبَةٌ بالْمُخَفَضِ ^(٣)
ليستْ بذاتٍ وَبَرٍّ مَبْيُضٌ كأنَّ صَوْتَ شَخْبِها المَرْفُضِ ^(٤)
• كشيشٌ أَفْعَى أَجْمَعَتْ لَمَفَضٌ ^(٥) •

ويقال للضَّبِّ والورل : كش يشكش كشيشا . وأنشد أبو الجراح :
رَئى الضَّبَّ إن لم يَرْهَبِ الضَّبَّ غَيْرَهُ يَكِشُّ له مُسْتَكْبِرًا وَيُطَاوِلُهُ ^(٦)

باب

من ضرب المثل للرجل الداهية وللحي الممتنع بالحَيَّةِ
قال ذو الإصبع العَدَوَانِيُّ :

عَذِيرَ الحَيَّةِ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ ^(٧)

(١) في الأصل : والتشيش ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هـ معتمر بن قتيبة ، كما في تاج العروس (كشش) .

(٣) حراء : أى ناقة حراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترشه . وفي الأصل : • كأن شخب صوتها •

صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والنقراة (٤ : ٧١ • يولاقي) وأدب الكاتب

١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ والسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشيء . وفي الكتاب : • فاجمعوا أركم •

س ، هو : • جمعت • ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبط هذا البيت :

• نهى نحاك بعضها يبيض •

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتضاب وأمال التزجاجي ١٢٠ والسان (فا) :

كان صوت شخبها إذا همى صوت الأفاقي في غشى أشخها

(٦) في الأصل : • مستنكرا • صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : • العرب تقول للرجل المتعج الجانبي : حية الأرض • .

بَنَى بَعْضُهُمْ ظِلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضِهِ^(١)
 وفيهم كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْصِ^(٢)
 يقال: «فُلَانٌ حَيَّةُ الْوَادِي»، وهو ما هو إِلَّا حَيْلُ أَصْلَالِ^(٣)، وَالصَّلُ:
 الداهية والحية. قال النَّابِغَةُ:
 مَاذَا رُزِّنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَقْضَانَةٍ بِالرَّزَايَا، حَيْلُ أَصْلَالِ^(٤)
 وقال آخر:
 حَيْلُ صَفَا تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ بِحِمَامٍ ذِيْفَانٍ بِجِبَرَاتِ^(٥)
 وقال آخر^(٦):
 مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَمًا، كَمَا أَطْرَقَ أَفْقَى يَنْفُثُ السَّمَّ حَيْلُ
 وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «صَمَى صَمَامٌ»^(٧)، وَ«صَمَى ابْنَةُ الْجَبَلِ»^(٨) وَهِيَ الْحَيَّةُ.

- (١) روايته في حاشية البحرى ١٦٩: «بنى بعضهم بعضاً» فلم يرعوا.
 (٢) القرض: ما يجازى به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول:
 هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلها. وفي ذلك
 المروءة، والقدرة. س: «بالعرض»، وأثبت ما فى ط، هـ.
 والشعراء ٦٩٠.
 (٣) ويقال غل أصلال، كما فى اللسان (غلل) والمزهر (١: ٣٢٣).
 (٤) رُزِّنَا به: أصبنا. وفى ط، هـ: «رَأَيْنَا» وس: «رَأَيْتُ»، وصوابه
 من اللسان (صلل) وتجار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميداني (١: ٢٤). من
 حية: يقول: هو حية. والنقضاة: التى تحرك لسانها. أنها ناظرا لفظ الموصوف.
 (٥) تنطف أنيابه: ينظر منها السم. ط: «تنطف»، صوابه فى س، هـ.
 والسم: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم الناتج.
 (٦) هو تأبط شرا، كما سبق فى (٣: ٦٨) والحاشية (١: ٣٤١)، وشرحها
 (٢: ١٦٠ - ١٦١).
 (٧) سم يصم، يفتح للصاد فيها. وصمام كقطام: الداهية. والمثل يشرب للرجل
 يأتى بالداهية. اللسان وأمثال الميداني (١: ٣٦٢).
 (٨) ابنة الجبل: الحية. أى لانييس الرائق ودوى على ذلك. يشرب لفريقين إذا أبيا
 الصلح ولجأ إلى الخلاف. أمثال الميداني. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة،
 والصلى، أو الصخرة. اللسان (صم).

قال السكيت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها وَنَادَى بها : صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ ، السَّفِيرُ^(١)

(قولهم : جاء بأُم الرُّبَيْقِ على أَرَيْق)

ومن أمثالهم : « جاء بأُمُّ الرُّبَيْقِ على أَرَيْق »^(٢) ، أُمُّ الرُّبَيْقِ : إحدى

الحيات . وأَرَيْق : أُمُّ الطَّبَقِ^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدواهي . وأصلها ٧٩

من الحَيَّات قال :

إذا وَجَدْتَ بوادٍ حَبَّةً ذَكَرًا

فادَّهَبْ وَدَعْنِي أُمَامِرَ مِنْ حَبَةِ الْوَادِي^(٤)

(١) يقول : إذا لَقِيَ السَّفِيرَ السَّفِيرَ ، فأخبر الفاعل . و « جاء » و « لها » يرجعان إلى

الحرب . السان وأمثال اليداني . والمعنى : إذا نفل السفيران المنتهبان - بكسر
اللام - صلح ونفس النزاع ، وتركوا الحرب في شفتها لا يستطيعان لها دفعا . في
الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من السان وأمثال اليداني .

(٢) رواه القراء : « لقيت منه أُم الرُّبَيْقِ على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأَرَيْقِ الطُّبُق » وهو كلام ناقص . وأُم طَبَقٍ من كَيْ الحيات .
ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت بيكرها أُم طَبَقٍ فظفروها ومة ضخم لعنق

انظر السان (طَبَق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وصحبت أُم طَبَقٍ لترحيلها ونحوها
كالطَّبَق ، أو لإطباقها على من تلسه . و « أَرَيْق » من الحيات ، كما في
قول المجاج :

وقد رأى دوق من تهجى أُم الرُّبَيْقِ والأَرَيْقِ الأَزْمَ

بهذالة قوله : « الأَزْم » وهو الذي له زعمة من الحيات . السان (أَرَق) ،
وفيه كلام صرفي خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادي : مثل الرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادي تعبه فلا يقربه شيء .

ثمار القلوب ٣٣٥ وفي البيت . وروى في القصص (١٦ : ١٠١) : « إذا
رأيت ... الخ » .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها المويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها المويمة » ، يعني ^(١) الصبي الذي يلدج ويتناول كل شيء سنح له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمة : أدركي لاتأكله المائمة ! وهي الحية . وهو قوله ^(٢) في التحويل : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفسر وعين لامة ^(٣) » :

(شمر للأخطل في الحية)

وقال الأخطل ، في جنونهم الرجل الشجاع وذا الرأي ^(٤) الذاهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فأكثروا يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبتت كلباً نمتي أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ما ظفروا ^(٥)

(١) أي بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير ، تامة بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفي أمثال الميداني (١ : ٧٥٧) : « ويصن بها - أي القامة - الصبي ؛ لأنه يتم كل ما أدرك ، يحمله في فيه ، فرما أي حل بعض الهواء ، كالمقرب وغيرها . . . يضرب في حفظ الصبي وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع في حليقة » .

(٢) أي في الحديث النبوي . روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أميذا بكلمات الله التامة » ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل حين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التي تصوب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأي » ، « صوابه في س » ، هـ .

(٥) كذا في الرواية في الأصل . وأراد بكلمة : التحويل ، فذكره . ورواية للديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا » ورجا .

كَلْفَمُونَا رَجَالًا قَاطِعِي قَرْنٍ مُسْتَلْحِقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْيَسَرُ^(١)
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا عُدَّتْ خَصَالُهُمْ خَصْلٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِيْجَابٌ مَا قُرُوا^(٢)
 قَدْ أُتْلِفُوا حَيَّةٌ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالنَّذْرُ^(٣)
 يَأْتُوا رُقُودًا عَلَى الْأَمْهَادِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلُهُمْ سَاهِرٌ فِيهَا ، وَمَا شَعَرُوا^(٤)
 كَمَتَ قَالُوا أَمَاتَ الْمَاءُ حَبَّتْهُ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذَّكَرُ^(٥)

(حَيَّةُ الْمَاءِ)

وَمَا أَكْثَرَ مَا يَذْكُرُونَ حَيَّةَ الْمَاءِ ، لِأَنَّ حَبَّاتِ الْمَاءِ^(١) فِيهَا تَفَاوَتْ .
 إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَا تَصُرُّ كَبِيرَ ضَرْبٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَقْتَلَ مِنَ الْحَيَّاتِ
 وَالْأَقَاغِي .

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القُدَح من قُدَاح الْمَاءِ . وَكَانُوا رَجُلًا جَاءَ الرَّجُلُ بِفَدَحِهِ
 بَعْدَ مَا فَازَ مِنْهُمْ الْوَارِثُ وَالْإِثْنَانِ ، فَيَسْتَلْحِقُ أَنْ يَدْخُلُوا قُدَاحَهُ فِي قُدَاحِهِمْ ، فَيَقْطُونَ
 ذَلِكَ ، وَيَسْمُونَهُ الْمُسْتَلْحَقَ . انْظُرِ الْيَسَرَ وَالْقُدَاحَ ١٥٣ . وَقَوْلُهُ : « قَاطِعِي
 قَرْنٍ » يَعْنِي قَيْسًا . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّيْهُمَا تَلَبَّ قَالُوا : « أَعْنَمَ قَيْسًا عَلَيْنَا ! فَقَالَ :
 الْأَعْطَلُ : حَمَلْتُونَا ذَنْبَ هَؤُلَاءِ ، وَأَنْزَمْتُونَاهُ ، وَلَيْسُوا مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ .
 كَمَا يَسْتَلْحِقُ الْأَيْسَارُ رَجُلًا لَمْ يَسْكُنْ مَعَهُمْ . ط ، س : « مُسْتَلْحِقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ
 الْيَسَرُ » ، هـ : « مُسْتَلْحِقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْيَسَرُ » ، صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ مِنَ الْفِيْهَوَانِ
 وَالْيَسَرِ وَالْقُدَاحِ .

(٢) س ، هـ : « إِيْجَابٌ مَا قُرُوا » ، صَوَابُهُ فِي ط وَالْفِيْهَوَانِ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ .

لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ دِيَاتٌ يُدْرَعُونَ بِهَا وَلَا يَكُونُ لَهُمْ إِيْجَابٌ مَا قُرُوا

(٣) س : « بِهَا الْأَنْبَاءُ » ، وَالْفِيْهَوَانُ : « بِهِ الْأَنْبَاءُ » .

(٤) الْأَمْهَادُ : جَمْعُ مَهْدٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ الْقَشْرُ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ مَا اخْتَفَضَ مِنْهَا فِي سَهْوَةٍ
 وَاسْتَوَاهُ . وَرَوَايَةُ الْفِيْهَوَانِ : « يَأْتُوا نِيَامًا عَلَى الْأَنْمَاطِ لَيْلَهُمْ » وَلَيْلُهُ .

(٥) فِي الْفِيْهَوَانِ : « هَتَاكَ قَالُوا أَنْأَمَ الْمَاءُ حَبَّتْهُ » .

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَتَطْبِيقُهَا ، هِيَ فِي الْأَصْلِ : « الْمَاءُ » مَحْرَفَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَيَّةٌ » .

(الهنديات)

ويقال إِنَّ الهندِيَّات^(١)، إِنَّمَا تُصِيرُ فِي الْبُيُوتِ وَالْأُتُورِ ، وَالْإِصْطِبَلَاتِ ،
وَالْخِرَابَاتِ ، لِأَنَّهَا تُحْمَلُ فِي الْقُضْبِ^(٢) وَفِي أَشْبَاهِ ذَلِكَ .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أَكْلاً شَدِيداً ، فَبِمَا فَتَحَ رَأْسَ كَرْزِهِ^(٣)
وَجَرَابِهِ وَجَوَالِقِهِ ، الَّذِي يَأْتِي الْجِرَادُ^(٤) ، وَقَدْ ضَرَبَهُ بِرُذِّ السَّحَرِ ، وَقَدْ
رَأَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، لِأَنَّهَا مَوْصُوفَةٌ بِالْصَّرَدِ^(٥) .

وَالْحَيَّاتُ تُوصَفُ بِالْصَّرَدِ ، وَكَذَلِكَ الْخَمِيرُ ، وَالْمَاعِزُ مِنَ الْغَنَمِ . وَلِلذَلِكَ
قَالَ الشَّاعِرُ^(٦) :

(١) الهندية : ضرب من الأفاعي ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديات » مصنف .
(٢) أي في قصب الشجر . والقضب : القصب . وذلك أن الحائط ربما علقت الحيات
ببعض ما يحمله . وقالوا في أمثالهم : « كحائط ليل » ، فهو يجمع القصب والحيات
وقد يصيب منها الفرس الشديد .

(٣) الكرز ، بالفهم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل
فيه الراعي زاده ومطاعه . ط ، هـ : « كزره » ص : « كنده » وما
تحرift ما أثبت .

(٤) كلمة « الهى » هي فاعل « فتح » المتضمنة . وما سيأتى إل السطر الخامس من الصفحة
الآتية : استطراد متروك ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فرما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفتح : وجد البرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجهد الحضري ، كافى نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومجموع
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من حضري الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مترماً بكسلى يفت جبير بن جندب ، وهي ابنة عمه . قالوا : وكانت كاس
تشر من غير يقال له جنان ، وبحضرته أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبكي ، وقال
الشعر الآتى .

بليت كما يلى الوكاه ولا ارى جناناً ولا اكناف ذروة تخفى^(١)
 ألوى حيازيمى بن صباية كما تملوى الحية المتشرقة^(٢)
 وإنما تشرق إذا أدركها برد السحر ولم تصر بعد إلى صلاحها ٨٠
 و [إذا^(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع .
 فرمما اجترى صاحب الكرز الجراد^(٤) ، فأدخله كرزّه ، وفيه الأفعى وأسود
 سالخ ، حتى يُنقل ذلك إلى اللور ، فرمما لقي الناس منها جهداً .

وقال بشر بن المتصير ، فى شعره المزوج :

يا عجباً والدمر ذو عجائب من شاهد قلبه كالغائب
 وحاطب يحطب فى مجاده^(٥) فى ظلمة الليل وفى سواده
 يحطب^(٦) فى مجاده الأيم الذكر والأسود السالخ مكروه النظر

(شعر فى حية الماء)

فمن ذكر حية الماء ، عبد الله بن همام السلولى فقال :

كحية الماء لا تنحاش من أحد صلب المراس إذا ما حطت النطق^(٧)

(١) الوكاه ، بالكسر ، أراد به هنا المقاه ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ الماء .
 والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يلى الرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
 يتجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من مجمع البلدان . وذروة ، بفتح أوله
 ويكسر : مكان حيازى .

(٢) ط : « يملوى » . وفى نقد النثر : « تملوى » . واستشهد ابن رشيق
 فى المصدا (٢ : ٤٧) بهذا البيت حل ما سماه « الإقبال » ، وهو المبالغة التى يكون
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « الجراد » وفى س : « فرمما اجترى » عرقان .

(٥) الهجاء ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كتابة من اشتداد الأمر . والنطق :

جمع نطق ، وهو شبه إزار قبة تكة .

وقال الشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ :

حَوْصُ الْعَيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمِهَا إِذَا تَقَصَّدْنَ مِنْ حَرِّ الصَّيَاحِيدِ (١)
وَكُلُّهُنَّ تُبَارَى نِسَى مُطَرِدٍ كَحَبَةِ الْمَاءِ وَلَى غَيْرَ مَطْرُودٍ (٢)
وقال الأَخْطَلُ :

ضَفَادُحُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ مَجَاوَبَتْ فَدَلَ عَلَيْهَا صَوْتَهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ (٣)
وقال أَيْضاً :

هَمُُّ ابْنِ صَفَّارٍ فَإِنَّ قَتَلْنَا جَهَاراً وَمَا مِنَّا مَلَاوِدَةُ الْعَدْرِ
فَإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَتَالِ مُدْبِلَبٍ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو الشَّنَاءِ وَذُو الشَّغْرِ
وَنَحْنُ مَتَعْنَا مَا دَجَلَةٌ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْإِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ (٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرْمِ الْعَلَى (٥) وَلَا تَذْكُرْ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّغْرِ
فَمَا تَزَكَّ حَيَّاتُنَا لَكَ حَيَّةٌ تَحْرُكُ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ (٦)
وقال نَفِيعٌ (٧) [يَعْنِيهِ (٨)] بِالْكُحَيْلِ (٩) :

(١) يقول : تلك الإبل الفائرة العيون تتسابق ، وقد تسبب عرقها من حر الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إِذَا تَقَصَّدْنَ » بالقاف ، وانقصد أصل معناه الهلاك ،
وأراد به تغير ما به السن .

(٢) أي كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « فِي مَطْرَدَةٍ » ، صوابه
فِي طَوَالِدِيَّانٍ .

(٣) سبق الكلام حل هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البش ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « الْبِشَر » ، صوابه فِي ط ، س .

(٥) لَا تَرْمِ : لَا تَطْلُب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كساحب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير . هو ابن سالم بن صفار الحجازي ، وقد هجاه الأخطل
بالشمر المتقدم ، فقال هو الشمر الآق . وفي الأصل : « نَفِيعٌ » مصحف . انظر

المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشير بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، هيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنه وقعة هزمت فيها

تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الألفاني (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلاكم بديلة عرقت فما أشبهت قتل حنين ولا بئر
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر^(١)
بديلة حالت حربنا دون قومنا وأوطاننا ما بين دجلة فالخضر^(٢)
ولو كنتم حيات بحر لكنتم
غداة الكحيل^(٣) إذ تقومون في القمر^(٤)

(ما يشبه بالأيام)

فالأيام الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية المجدولة
الخميسة الخواصر^(٥) ، في مشيها ، بالأيام ، لأن الحية الذكر ليس له غيب ،
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المل في البقاء .
قال ليبيد :

فهل نبتت من أعوين داما على الأحداث إلا ابني شمام
وإلا القرقيذين وآل تمش عwald ما تحدث بالهدام

(٢) الخضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .
ياقوت . وفي الأصل : « فالخضر » ، وهو تحريف .

(٣) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعمت السباحة . ط : « كدات الكحيل »
ص : « كدات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك في الماء مطية .
ه : « تقومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الأملئ : « يلون » من ألبي
بالمكان : أقام به ولزمه . والقمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »
وتصحيحه من المؤلف .

(٥) الخاصرة : ما فوق الخصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاضرتان . فهو قد جمع وأراد
الانتثيق . انظر المزهري (٢ : ١٢٥) .

فعدت على السعلاة تنفض مسحها وتجنب مثل الأيمر في بلد قفر^(١)
 تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمناها صديري^(٢)
 (شعر في حمرة عين الأفي)

وقال الآخر في حمرة عين الأفي :

لولا المسراوة والكيفات أوردني حوض المنية قتال لمن علقا^(٣)
 أصم منهرت الشدين ملتبد لم يبعد إلا المتابا من لدن خليقا^(٤)
 كأن عينيه مساران^(٥) من ذهب جلاهما مدوس التالاق فالتلقا^(٦)
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابن ميادة :

(١) البداية : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغانى (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، من به الزمام . يقول : هي تجنب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغانى :
 « في بر الصفر » .

(٢) رواية الأغانى : « تيمم خير الناس ماء وحاضرا » . ويد البيت خمسة أخرى في الأغانى .

(٣) الكيفات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، ه ، ه :
 « السفاة » ، صوابه في س .

(٤) منهرت الشدين : واسمها . ط ، ه ، ه : « منيرة » ، صوابه في س .
 في س : « لم يقد » ، من الغداء . ط ، س : « يقد » ه : « يقد »
 صوابها ما أثبت .

(٥) في الأصل : « مساران » . ولا تصح : فإن المسالك : عود الخيل . وقد ذكر
 اللديري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها » بل كأنها مسار
 مضروب في رأسها . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ س ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها منن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى
 يجلوه . والتالاق : تقال : ن ألق ، بمعنى لم . وفي الأصل : « التلاق » ! والتلقا :
 لما وبرقا . وفي الأصل : « فالتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند القسزاري العرائي عارض كأن عيون القوم في نبضة الجمر^(١)
وفي حمرة العين من جهة الخلقعة ، يقول أبو قردودة ، في ابن عمار^(٢)
حين قتل النعمان :

لأني نهيئت ابنَ عمارٍ وقلتُ له : لا تأمنَ أحمَرَ العَيْنينِ والشَّعرَةِ
لأنَّ الملوكة متى نزلَ بساحتهمْ تطرُّ بنارك من نيرانهمْ شرَّرةً
باجفنةٍ كلِّزاءِ الخوضِ قد هُدِمتْ ومنطقاً مثلَ وشي اليمنةِ الحبرةِ^(٣)

(معرفة في الحية)

وأكثرُ ما يذكرون من^(٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لُحَا :
• يلزق بالصخر لزوق الأرقم •

وقال آخر :

ورفع أولى القوم وقعُ خرادل^(٥) ووقع نبال مثل وقع الأساود

(١) ط : س : « القسزاري » ، صوابه في هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً غطياً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فعلمه على منادته ، وكان النعمان أحمَرَ العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريفة ، قتالا للنساء ، فهذه أبو قردودة عن منادته ، فلما قتل النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحیوان (٥ : ٣٣٢) ومجمع المربعات ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى اليد المطعام جفنة ؛ لأنه يضمها ويطلع الناس فيها . السان (جفن) . وإزاء الخوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « حر » صوابه في س ، هـ .

(٥) لعلها : « غوازيق » جمع غازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . السان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الأنبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أَنَّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولاد الأفاعى ^(١) » .

(أمثال وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بِأَفْعَى حَارِيَّة ^(٢) » وهى التى تحرى ^(٣) ، وكلما
كبرت فى السن صغرت فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شذذة اسوداد
أسود سالخ :

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقُ عَوْدٌ قَدْ كَلَّ ^(٤) كَأَنَّمَا قَيْظٌ مِنْ لَيْطٍ جُعِلَ ^(٥)
وقال جرير فى صفة عروق بطن الشَّعْبَانِ ^(٦) :

٨٢ وَأَعُورٌ مِنْ نَبْهَانٍ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ ^(٧)

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧)
والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته
قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ ! » . ومثل هذا
النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وشعر (قال) عائد إلى يوحنا
المسدان — وهو يحمى بن زكريا عليها السلام — يحط اليهود مبشراً بهمى عليه
الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « حارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كبرى : نقص . وفى ط ، س : « تحرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كلما . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن الشنان » . ولا وجه
للمبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النباهى ، واسمه على بن أوس ، أرمحة بن نعيم ، وكان بينه وبين
جرير منازعة . انظر المؤلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية
هذا البيت :

رَفَعَتْ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ مَنَاهَا فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ^(١)
فَلَمَّا اسْتَوَى جَنْبَاهُ لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ^(٢)
قَالَ : وَيَقَالُ : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كَمَا يَقَالُ : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
و : « أَسْمَعُ مِنْ عِقَابٍ » . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

• أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعِقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) •

وَقَالَ آخَرُ^(٤) :

أَسْوَدُ شَرِّ لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوَا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ^(٥)

== وأورد من نهبان يموى ودونه من الليل بابا ثلثة وسور
كما هو عند الأملد والمزبانى وفي الديوان ٢٦٥ . والذي أومى الجاحظ ذلك
أن في القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التي أثبتنا ، ولكن موضعه
في نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٤ .
(١) مشبوبة : أي ناراً . وكانوا يرفقون النيران لترده إليهم الضيفان . يلتوى : كذا
جاءت الرواية هنا . وهى في الديوان والمؤتلف : « يمدى » .
(٢) استوى جنباه : أي برزا من امتلائهما . في الأصل : « استوت » محركة . لاصب
ظل : أي جعل ذلك النجافي يلعب ظلّه مما طرأ عليه من السور . وضير : ظلّه
راسع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن .
وفي الأصل : « عروض أفافى الحالبين » ، تصحيحه من النقاظس . وانظر الرواية
في الديوان .

(٣) الأسحم : الأسود . وفي الأصل : « الأشجع » ، صوابه في (٦ : ٤٣٩) . وفي العمري
« فاما العقاب فهنا السود والخوخية والسقم والأبيض والأشقر » .

(٤) هو الأذهب بن ربيعة ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨
ليسلك والقدح (١ : ٥٣) وألسان (حرد) .

(٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة في سواد
الكوفة . هو : « حفة » بإخاء المهمله صوابه في ط ، ص والمراجع المتقدمة
وكذا الأنداد ١٩٨ والمقصود ٥٨ والمختصر (١١ : ٤٨) . والمرد :
الغضب . وروى في المقصور : « لوح » . واللوح ، بالفم ، ويفتح : العطش .
وقبل البيت :

ضَرَبَ المَثَلَ بِمَجْنِسِينَ مِنَ الْأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَا ^(١) عِنْدَهُ الْغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ
وَالهَوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مَعْمُومِ الْحَيَاتِ .

(مَا يُشَبِّهُهُ بِالْأَسْوَدِ)

وَفِي هَؤُلَ مِنْظَرِ الْأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٢) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلٍ مُظْلِمٌ وَحَقِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسِدٌ ^(٣)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا يَلُ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ ^(٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَاتِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الْغَايَةَ شَبَّهُوا بِالْأَسْوَدِ . قَالَ
جِرَانُ الْعَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرُنْ أَمْرًا نَوَقْلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضَحٌ ^(٥)
وَلَا فَاحِجٌ يُسَوِّ الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسْوَدٌ يَزَاهَا لَعِينُكَ أَبْطَحُ ^(٦)

= وإن الذي ساءت بفالج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالدهم
هم ساعد الدهر الذي يتق به وما غير كف لا تنوء بساعده

- (١) في الأصل : « كان » ، وصوابه ما أثبت .
- (٢) هو حسيل بن حرفلة ، الذي نقلت ترجمته في (٣ : ١٠٢) . انظر نوادر أبي زيد ٧٥ وديوان المعاني (١ : ١٠٦) والحيوان (١ : ٣٨٣) .
- (٣) التافجة ، بالجم بعد الفاء : الريح تبدأ بقوة . وفي الأصل وكذا ديوان المعاني : « نافجة » ، وصواب الرواية من النوادر . و : « كلب » هي في الأصل : « قلب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة .
- (٤) مكان : « أحجها » ، يافض في س .
- (٥) التوقلية : ضرب من الاشتطاط ، وفسره صاحب التلخيص بأنه شيء يتخلله نساء الأعراب من صوف يكون في غلظ أكل من الساعد ، ثم يحشى ويصطف ، فعضه المرأة حل رأسها ، ثم تختصر عليه . ورواية الديوان واللسان : « حل الرأس بمنى » . والترايب : جمع تريبة ، وهي موضع القلادة . وضح : جمع واشحة بمعنى مشرقة .
- (٦) الأبطح : بطن وادفيه ومل وحجارة . والديوان : « لعينك » ، واللسان : « مع اليل أبطح » .

(استطراد لغوى)

قال : وخرشاء^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها ،
وجاعه الخراشي^(٢) ، غير مهموز . قال : وخرشاء الحية : سلخها حين تسليخ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالخة .
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لِيَذَا كَمْ كَمَا يَنْسَلُ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخللاخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ تَعْلِيْقَ الْحَلَى ، وَخَشْخَشَةَ الْخَلَاخِيلِ عَلَى السَّلِيمِ ، ثَمَّا
لَا يَبْقَى وَلَا يَبْرَأُ إِلَّا بِهِ ، وَقَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ :

أَيْمٌ يَكُونُ التَّمَلُّ مِنْهُ ضَجِيجُهُ كَمَا عَلَّقْتَ فَوْقَ السَّلِيمِ الْخَلَاخِيلَ^(٤)
وَجَبَرَنِي خَالِدُ بْنُ عَقْبَةَ ، مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ بْنِ الْأَكْوَاعِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي
تَمِيمٍ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ حَزْنٍ ، مِنْ بَنِي عُدْرَةَ ، يَسْمَى أَسْبَاطَ ، قَالَ فِي تَعْلِيْقِهِمْ
لِلْحَلَى عَلَى السَّلِيمِ :

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها اللد .

(٢) جاعه : أى جمه . وفى ط ، هـ : جاعه ، س : جاعه ، وصوابه
ما أثبت . وكلمة الخراشي : هى فى ط ، س : الخراش ، وفى هـ :
وخرشاء ، تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .

(٣) س : تسليخ . وخرشاء ، هى مقصورة في الأصل ، والصواب مدحا ، كما في المفصليات
٢٤٠ والمقصود والممود ٣٨ وما سيقى في ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخيل : جمع خلخل ، وهو الخلل ، ذلك الخلل . وكان العرب يطلقون الجلابيل
أيضا على اللدج ، جمع جليل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أَرَقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي أَلْعَيْنُ مَهْجَعًا وَبَيْتٌ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا^(١)
كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالُهُ كَلَمٌ حَبِيبٌ تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مَرَصَعًا^(٢)
وَقَالَ الذُّبْيَانِيُّ :

٨٣

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَنْيَلَةٌ مِنَ الرُّقَشْرِ فِي أَنْبَاهِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لَحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَائِجُ
(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين تَرَجَّعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . وهو قول النابتة :
تَنَازَرُهَا الرَّاغِقُونَ مِنْ سُوءِ مَمِّهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٤)
وقال العبدى^(٥) - إن كان قاله - :

= الأوب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابتة ٥٢ : « كان الحل في الزمان الأول له جلال يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقاف بعدها راء : من التقرع ، وهو الإقلاق .
(٢) مرصعا : معقودا . وفي نهاية الأوب (٢ : ٣٠٥) : « موضعا » وهي صحيحة
من وضع الباني الحبر ، بالتشديد : قصد بضه على بعض .
(٣) في القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمر . ولسان طلق ذلق -
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم - وطلق ذليق ، رطلق ذلق بضتين ، وكسر د
وكنت : ذو حدة » .

(٤) تنازرها الراغون : أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرضوا لها . في الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه من الديوان ٥٢ « والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكمال
٥٠٧ ليبس . ويروى : « من سوء مَمِّهَا » بفتح الميم وبكسرهما ، بمعنى
الشبهة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور في البيت السابق ، والمعنى
تخفف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المهنوش إذا ألح
الوجع تارة وأسك عنه تارة فقد قارب أن يؤأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الميزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَسَكُنْ أَنْتَ أَكَلِي وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَسَا أَمْرُكَ =

نَبِيْتُ الْمُسُومِ الطَّارِقَاتُ يُعَذِّنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَهْوَالُ رَأْسُ الْمَطْلَقِ (١)

وَأُنْشَد :

تُلَاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْسَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)

والعِدَاد : الوقت . يقال : إِنَّ تِلْكَ الْأَسْعَةَ لَتُعَادُهُ (٣) : إذا عاده الوجع في الوقت الذي نُسِعَ فيه .

(حديث الحبل المصلّي)

وذكر النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم السم الذي كان في الحبل المصلّي (٤) ، الذي كانت اليهودية قد منته إليه فنال منه ، فقال : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ لَتُعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعذني » س : « تفدني » هـ : « تعفني » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليسك . وفيه أيضاً : « كما تَعْتَرِي الْأَوْصَابُ » .

(٢) الرواية في المختص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عند) : « يلاقى من تذكر » . وقد أتمم الشاعر كلية « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من تذكر ليل نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعاده » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) المصل : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ، لا حل . تأويل غلط الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . ولأنى أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . والروض الأتف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : للأراع ، فأكثر فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » ، وصوابه في س ، هـ والروض الأتف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمختص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عند) . والرواية في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » .

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ، وأعجب من سائر العنكبوت ، وغريفي^(١) البيض .

(ما يشبه لسان الحية)

ويقال في مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخلف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كأنه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذى
لا يوجد إلا بمنون^(٣) الأفاعى . قال كثير :
وما زالت رقاك تسأل ضيغى وتخرج من مكاميزها ضيغى^(٤)
وترقيسى لك الحاوزون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

— وقد قال هذا القول في مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم
مات شهيداً .

(١) الفرقه ، كزبرج : القشرة الملتزمة ببيض البيض .

(٢) في الأصل : « ملح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمنون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمنون » وصوابهما
ما أثبت . والمثنى : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضفن والعداوة .
وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كافي الموشح ١٤٣ والصادق
٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جعاً نقده جيد
لخدين البيتين .

(٥) ترفيق ، كذا في الأصل ، وهى صيغة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به —

(قصة امرأة لدغتها حية)

جوير بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حججتُ فإِنَّا لَنُقِ وَقَعَةٌ مَعَ قومٍ ^(١) نزلوا منزلنا ^(٢) ، ومعنا امرأة ، فنامت ^(٣) فالتبَّتْ وَحِيَّةٌ مَنْطُوبَةٌ عليها ، قد جمعتُ رَأْسَهَا مع ذنبا بين ثدييها ^(٤) ، فها لما ذلك وأزعجتنا ، فلم نزلْ مَنْطُوبَةٌ عليها لا تضرُّها بشيء ، حتَّى دخلنا أنصاب الحرم ^(٥) ، فانسابت فدخلتْ مَكَّةَ ، فقضيتُنا نسكرنا وانصرفنا ، حتَّى إذا كنَّا بالمكان الذي انطوتْ عليها فيه الحيَّةُ ، وهو المنزل الذي نزلناه ، نزلتْ فنامت واستيقظت ، فإذا الحيَّةُ مَنْطُوبَةٌ عليها ، ثم صفرتْ الحيَّةُ فإذا الوادي يسيلُ حَبَاتٍ عليها ، فنهشتها حتَّى نَعَتَتْ ^(٦) عظامها ، فقلتُ لجارية كانت لها : ويحك ! أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغتْ ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلُّ مرَّةٍ تأتي بولدي ، فإذا وضعتْهُ سَجَرَتِ التَّنُّورِ ^(٧) ، ثم ألقته فيه .

= بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت في ص ١٩٢ . والرواية في المراجع : « وريقى » . والخلوون : جمع حلو . وفي ط ، س : « الحادون » . وه : « الحاذن » . عرقان ، صوابها في المراجع المتقدمة .

(١) القومة ، بالفتح : التومة في آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه في ه .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » ه : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحقة .

(٣) س : « فقلت » .

(٤) ط ، ه : « ثديها » س : « أيدنها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما في القفاوس واللسان .

(٦) نى النظم نقياً : استخرج نقيه . والنن بالكر : مع النظام .

(٧) سَجَرَتِ التَّنُّور : أحمته وأوقدته . والهجور : بالفتح : التروود . وفي الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يجز فيه .

(قول امرأة في علي والزبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأة إلى علي ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقم يلمظ ؟ قيل لها : الزبير . قالت : فن هذا الذى كأنه كُير ثم جبر^(١) ؟ قيل لها : علي . قالت : فن هذا الذى كأن وجهه ديناراً هرقل^(٢) ؟ قبل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنهشُ نهشاً . والنهش : هو تناولك الشيء بفيك ، فتمصغهُ فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . وأما نهش السبع فتناوله من الدابة بفيه ، ثم يقطع ما أخذ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً^(٣) ، وهو انتزاع اللحم بالثنايا ، للأكل . ويقال نشطت العقْد نشطاً : إذا عقدته بأنشوطه^(٤) . ونشطت الإبلُ تنشطُ نشطاً : إذا ذهبت على هدى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزع . ونشطته الحية فهي

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً فغم البطن ، أفلس الأنف ، دقيق الذراعين .
المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقل نسبة إل هرقل . قال الأب أنطاس ماري في حواشي التفود العربية ٢٥ : « وكان ذهب من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة في حيون الأعيان (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض القويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطه ، بالضم : حقة يسهل انحلالها . ط ، هـ ، بالانشوطه ، صوابه في س . وفي اللسان : « ونشطت القند : إذا عقدته بأنشوطه » .

تَنْشِطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعْضُهُ عَضًا . وَنَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنْكَزُهُ نَكَزًا ، وهو طَعَنُهَا الْإِنْسَانُ بِأَنْفِهَا^(١) . فَالْكَزَمُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضَّ . وَيُقَالُ : تَشْطَنُ شُعُوبٌ نَشْطًا^(٢) وَهِيَ الْمَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النيش بالسليم)

ويسمون النيش سليماً على الطيرة^(٣) . قال ابن ميادة :

كَأَنِّي بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرُّقَاةِ سَلِيمٌ

(شعر في الحية)

وَمِمَّا يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ بِالْحَيَّاتِ فِي دَوَاهِي الْأَمْرِ ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ

الْقَيْنِيِّ^(٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ^(٥) أَنْ انْطِلَاقِي إِلَى الْحِجَااجِ تَغْرِيرُ

(١) في الأصل : « بفمها » . وهو تحريف ، تصحيفه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أى تفرق .

ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطيرة ، كناية : ما يتشام به من القاتل الرديء . فاللعن على تشاؤمهم من تسميته بالنيش .

(٤) هو الأقبيل بن بهان بن خنيف ، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج . وكان الأقبيل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتسب بقر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يمرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، ففرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتي . وفي الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العنق » وصوابه من الموقلف ٢٤ . ونسخة كوبريل الجزء السابع . وهو نسبة إلى بني القين بن جسر .

(٥) رواية الأملئ :

« إلى لأمل والأقدار غالية » .

لَنْ دَقَبْتَ^(١) إِلَى الْحَجَّاجِ يَقْتُلَنِي إِنْ لَمْ يَحَقْ مَنْ تُحَدِّدُ بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحْبًا صُحْبًا تَدْعِي طَوَائِعَهَا^(٢) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَاقِبُ

(استطراد لغوي)

وقال الأصمعي: يقال للحجة الذكر أيم وأيم ، مثقل ومخفف ، نحو
لَيْنٌ وَلِينٌ ، وَهَيِّنْ وَهَيْنٌ . قال الشاعر^(٣) :
هَيْنُونَ لَيْتُونَ أَيْسَارُ دَوْرٍ يَسِرُ سُوَاسُ مَكْرَمَةِ ابْنَانِهِ أَيْسَارِ
وَأَشْدَى تَخْفِيفِ الْإِيمِ وَتَشْدِيدِهِ^(٤) :
ولقد وَرَدَتْ الماء لم تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّيِّحِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيْمٍ مُتَغَضِّفٍ^(٦)

(١) رواية الأملی :

* لَنْ حَدِّدُ بِهِ *

(٢) استحب الشيء : حلة في مؤخرة الرجل . ط : « مستحبيا » س :
« مستغنيا » هـ : « مستغنيا » وهو تحريف ما أثبت من اللؤلئف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طايح ، يفتح الباء وكسرهما ، وهو الخاتم الذي يثبت
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائها » س : « طوائها » صوابها
من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه في (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته في :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير المذلي ، كافي دهران المتهللين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف) ، خفف : وأمان القائل (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، يفتح تاء الخطاب ، يخاطب رجلا رثاء من قومه . وقيل البيت ، كافي
تنبيه البكري ٩٩ :

أزهير إن أخطأ لنا ذا مرة جلة القوي في كل ساعة محرف

فأرثته يوما يجانب غفلة سبق الحماهم به زهير تلهم

وفاعل « تشرب » هو « حواسر » في البيت الآتي . وروى في الأمل ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هي في الأصل : « بالمل » وتصحيحه من اللسان (صر ، صيف ،
خفف) والأمل .

الصَيْفُ ، يعنى مَطَرُ الصَيْفِ^(١) . والعواصر : يعنى ذئاباً رافعة أذنانها : ٨٥
والمرأط : السهام التى قد تمرط ريشها . ومُعِينة : يعنى معاودة للوَرْد .
يقول هو مكانٌ لخَلَاة^(٢) يكون فيه الحَيَاتُ ، وتَرِدُهُ الذَّائِبُ . ومتغصِّفٌ
يريد بعضُهُ على بعض ، يريد تنفى الحَيَّة :
وأنشد لابن هند^(٣) :

أودى بأمِّ سُلَيْمَى لاطيئٌ ليدٌ كحِيةٍ منطويٍ من بينِ أحجار^(٤)
وقال محمد بن سعيد^(٥) :

قريحة لم تُدْنِهَا السَّيَاطُ ولم تُورَدَ حِرَاكاً ولم تعصر على كَدَرٍ^(٦)
كنطوى الحِيةِ التَّنْضَاضِ مكنها فى الصَّدْرِ مالم يهيجها على زَوَرٍ
الليث لبيثٍ منسوبٍ أظافره^(٧) والحِيةُ الصِّلُ نجلُ الحِيةِ الذَّكَرِ

-
- (١) فى الأصل : « مطرا الصيف » ، ونصحيحه من اللسان (صيف) والأمال .
(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلابة » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القتال : « هذا المكان لخلاة » من موارد الحيات « أى لكونه خالياً ترده الحيات .
(٣) هو عبد الله بن هند ، كما فى العقد (٦ : ١٢٧)
(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفى العقد : « يحب سليم » ، وهو الصواب .
(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه
محمد بن سعد الكاتب القيسى ، وهو حربى بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :
سأفكر حراً إن تراخت تنقئ أليادى لم تخن وإن هى جلت
وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٢ ساسى ، ونسبها إلى
محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق سفسى كان محمد هذا
هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .
(٦) القريح : الخالص . وحى أن هذه الإبل أو الدابة التى ينمها خالصة النسب .
ويقال أورد إبله المراك وأوردها حراكاً : أى أوردها المساء مزدحة . وجاء فيه
قول لبيد (وهو من شواهد التحوين) :
فلأوردها المراك ولم يلدها ولم يشفق على نفس الدخال
وفى الأصل : « ولم ترد » ، وصوابه ما أثبت .
(٧) ط : « أظافره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرمة :

وَأَحْوَى كَأَيِّمِ الضَّالِّ أَطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا نَحْتَ فَيَنَانٍ مِنَ الظَّلِّ وَارْفِ^(١)
قال : ويقال انبثت الحيات^(٢) : إذا تفرقت وكثرت . وذلك عند
إقبال الصيف . قال أبو النجم :

• وانبثت حيات الكتيب الأهيل^(٣) •

وقال الطرماح :

وَتَجَرَّدَ الْأَسْرُوعُ وَأَطْرَدَ السَّفَا وَجَرَتْ بِجَالِيهَا الْخِدَابُ الْقَرَدُ^(٤)
وانساب حيات الكتيب وأقبلت ورق الفراش لما يشب الموقد^(٥)
قال : ويقال جباً عليه الأسود من جحره : إذا فاجأه . وهو مجبأ
جبناً وجبواً .

وقال رجل من بني شيان :

وما أنا من ربيب المنون بجباً وما أنا من سينب الإله بيأس^(٦)

(١) الأحمى ، حتى به زمام الناقة ، كما في المصنف (١٠ : ٩٥) . والأحمى : الذى
يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث
استشهد بالبيت .

(٢) انبثت ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، هـ : « انبثت » مصحف .
وكلمة « الحيات » هى ذى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبث » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكتيب »
صوابه فى هـ . والكتيب الأهيل : لمرل المائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث نجد
شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « ورق الفراش » ، وتصحيح الرواية ما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الميؤب الجبان . وقد وهم أبو عمرو
الشيئاني فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها التاجى من الأمر الذى انفلت
منه . وقد افترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المصنف =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ ^(١) فغَطُّ إناذك . كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الجَنِّ تَشْرَعُ فِيهِ ^(٢) ، على تصديق الحديث في قول المفقود ^(٣) لعمر ، حين سألَه وقد استهوته الجنان : ما كان طعامهم ؟ قال : الرَّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شربهم ؟ قال : الجَدَف . قال : وهو كلُّ شراب لا يُخْمَرُ ^(٤) .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلَّا في اللَّبَنِ . وَأَمَّا النَّاسُ فيذهبون إلى أَنَّ الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ ^(٥) في اللَّبَنِ ، وكذلك سَامُ أَرْص ، وكذلك الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ في كثير من المرق .

(حديث في المصفر)

وجاء في الحديث : « لَا تَبَيَّنُوا فِي الْمَصْفَرِّ ^(١) ؛ فَإِنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَار .

= (١٦ : ١٢) : « قَا أَنَا مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ » . والسبب ، بالفصح : البطاء . وروى في المختصر (٣ : ٧٠) : « وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بِأَيْسَ » ، على القلب . (١) محتضر : يحضره الجن ، واللواب وغسيرا من أهل الأرض . س : « فقه أذاك » محرف .

(٢) تشرع فيه : تعمل فيه لتشرب . وفي الأصل : « تشرع فيه » ، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يخمر : أى لا يغطى .

(٥) في الأصل : « تشرع » . وانظر ما سبق قريبا .

(٦) المصفر : المصبوغ بالمصفر ، وهو زهر القرمطم . ط : « المصفر » ، صوابه

في س ، هو . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفي :

رَمَّاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْرِ بَاقِي وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَسَاءِ^(٢)
أَجْبُنًا فِي الْكَرِيمَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخِلَاءِ !
فَلَوْلَا اللَّهُ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبَوْلُ عَوَجَلًا بِالْخِصَاءِ
وقال أبو النجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَصْجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي مِرْيَالِهَا^(٤)
فَرَأْتُ لَهَا كَفْلًا يَنْوُو بِخَصْرِهَا وَحُشًا رَوَادِفُهُ وَأَخْشَمَ نَائِيَا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجنون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر
الآتي وما بعده مجنون .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبون سنة ،
فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : واقع يا أمير المؤمنين ، ما أنظر
إلّين إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وحل رأس هشام وصيفة تلب عته ،
فقال : يا أبا النجم : غدا هذه الوصيفة غافل بها نفسك ، واغدا حل بخيرك . فانصرف
بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما التي صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا
والذي أكرهك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد
قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف
درهم وقال له : غدا هذه فاجعلها عوضا عما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب
الختار من شعر يشار ص ٢٠٩ .

(٤) الكرع : التميمي . رواية الأغاني : « من حسنه » والختار : « خلفها » .

(٥) ينوء بخصرها : أي ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا القرب
من التعبير يسى القلب . وحشا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل اللين
تقيب فيه الأقدام . وهذه هي رواية ط والأغاني والختار . وفي س ، هـ :
« وصا » بالسين ، وهي بمعنى الأول . والأخشم : المرتفع الفليط . ونائيا ، أي
بارزا ، وأصله نائتا . ورواية الأغاني والختار : « جثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجانِ مُقَبِّضًا رِخْوا حائله وجِلْدًا باليا^(١)
أدنى له الرِّكَبَ الحَلِيقَ كأنما أدنى إليه عتارياً وأفاعياً^(٢)
وقال آخر^(٣) :

مريضة أنفاه التَّهادى كأنما تخافُ على أحشائها أنْ تَقَطَّعا^(٤)
تسبب انسياب الأيمِ أنْخَصَرَ النَّدَى يرفعُ من أطرافه ما ترفعنا^(٥)

(شعر في المقربان)

وقال لياسُ بن الأوت^(٦) :

كأنَّ مَرعى أَمَكُم سوءة عقرَبَة يَكُومُها عَقْرُبَانُ^(٧)

(١) في المختار : « منتفخ العجان مقلصاً » ، والأغاني : « رخوا ، دافله » . وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

أرفع جبينك ليم أنت منكس أفضحنى وطردت أم عيالها

(٢) الركب ، بالتحريك : المن . وفي المختار « أدنى لك » . كما أدنى إليك » على الخطاب . ويعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنتان في المختار .

(٣) بهذه في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للمدى » ، أى رجل من بني سعد .

(٤) التهادى : مشى في تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في س ، ط والمحاضرات والحامسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحامسة : « مريضات أبواب التهادى » . ينبتا أو ينبتن بلبن المشية ودقة التمسر .

(٥) يقول : تتدافع في السير تدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، نهى في مشيتها البليطة وتنافها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحامسة ومجموعة المعاني : « ترفع من أصلاته » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رقت) : « ولياس بن الأوت ، كرم ، شاعر » . والأوت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والمقربان ، بالضم : ذكر المقارب ، أو دوية صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلها زَوْلٌ وَفِي شَوْمِهَا وَخَزْ حَدِيدٌ يَثْلُ وَخَز السَّنانُ^(١)
كلُّ امرئٍ قَدْ يَتَقَى مُقْبِلًا وَأَمَّكُمْ قَدْ تَتَقَى بِالْهِجَانِ^(٢)
وقال آخر^(٣) لمضيفه :

تَبَيْتُ تَدَمُّدِهِ الْقِيْدَانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرِيَانُ^(٤)
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا شَكَرْتُكَ ؛ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ^(٥)

= ويسمى العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسمى علماء الإفرنج : Centipede .
وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيبه .
وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كثر من قرني العقرب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزلزل : الخفيف
الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاي : طعن لا ينفذ .
حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه في ط والحامسة .
وفي س : « مثل وخذ » و هـ : « مثل خذ » وهما تصحيفان .
(٢) أي إذا أدبرت . ولطه يعني أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قاتل الشعر الآتي هو الهيردان بن العيين المنقري . والهيردان ، يفتح الهاء بعدها
مثناة تحتية وواه مقسومة . وقد ذكره المرزباني في محبته ٤٨٨ . وأما أبوه
العيين المنقري فقد أسلفت ترجمته في (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
نزل في البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمرًا وأسقاه لبنًا وقام
يصل ، فقال الهيردان للشعر الآتي . وقيل البيت الأول :

تَلَبَّزَ يَا ثَبَيْتَ عَلَيْهِ لَحْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَوْتِ الْأَذَانِ
انظر معجم المرزباني . وقد روى الثعالبي في أماليه (٣ : ١٧) هذه القصيدة ،
ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يمشهم وقام
يصل ، فقال رجل منهم الشعر الآتي .

(٤) يدهمه : يدهرج أو يقلب بضمه على بعض . والثذان : البراغيث ، واحدها قذ ،
كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بضمه في إثر
بضم . والمقربان سبق شرحه في التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال الثعالبي
في شرح هذا البيت : « واعتفوا في المقربان » فقال قوم : هو ذكر المقارب ،
وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزباني .
ورواية الثعالبي :

فلو أطعمتني خبزاً ولحماً حدثتك والطعام له مكان

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال النابغة :

فلو يستطيعون دبَّتْ لنا مَذَاكِي الْأَفَاعِي وَأَطْفَالُهَا^(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرُ وِلَاةِ السُّوءِ مُنْتَشِرًا حَتَّى أَظَلَّ^(٢) عَلَيْهِمْ حَيَّةٌ ذَكَرُ
ذَوِيرةٍ تَفَرَّقُ الْحَيَّاتِ صَوْلَتَهُ عَفَّ الشَّائِلِ قَدْ شُدَّتْ لَهُ الْمِرْرُ^(٣)
لم يَأْتِهِمْ خَبْرٌ عَنْهُ يَلِينُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْخَبْرُ

وقال بشار :

تَرَلَّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا حُمَاتِ الْأَفَاعِي رِيْقَهُنَّ قَضَاءُ^(٤)

[وقال^(٥)] :

فَسَكَمَ مِنْ أَخٍ قَدْ كَانَ يَأْمُلُ نَفْعَكُمْ شَجَاعَ لَهُ نَابُ حَديدٌ وَمُخْلِيبُ^(٦)
أَخْ لَوْ شَكَرْتُمْ فَعَلُهُ لَوْ عَصَصْتُمْ رُءُوسِ الْأَفَاعِي عَصَصَ لَا يَنْهِي^(٧)

٨٧

(١) المذاكي : جمع المذكى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسمن من كل شيء .

(٢) كذا في الأصل بالطاء المصيبة .

(٣) المير : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكينة .

(٤) الحيات : جمع حية يضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفي الأصل : حية .

عزف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ :

« قضيب » ، صوابه ما أثبت من سر واختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معه بأننى إذا السيف أكنى كان في مضاه

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القتال بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) في الأصل : « لعضفم » ، ويذا يضطرب نجع البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف -

وقال الحارث دعى الوليد، في ذكر الأسود بالسّم من بين الحيات :
 فَلَمَّ أَنْتَ أَقْرَرْتَ الغداةَ يَنْسِنِي عُرْفَتِ وَلَا كُنْتُ فَقْعًا بِقَرْدَدٍ (١)
 وَيَسْمَتُ أَعْدَاءُ وَيَجْذَلُ كَاشِحٌ عَمَرْتُ لَهُمْ مُمًّا عَلَى رَأْسِ أَسْوَدٍ (٢)
 وقال آخر :

ومعشرٍ منقَعٍ لِي فِي صُدُورِهِمْ سَمُّ الْأَسْوَدِ يَغْلِي فِي الْمَوَاعِيدِ
 وَمَتْمَتُهُمْ بِالْقَوَائِي فَوْقَ أَعْيُنِهِمْ وَسَمُّ الْمَعِيدِي أَعْنَاقَ الْمُقَاوِدِ (٣)
 وقال أبو الأسود (٤) :

لَيْسَكَ آذَنْتِي بِوَاحِدَةٍ جَعَلْتَهَا مِنْكَ آخِرَ الْأَبْدِ (٥)

-
- = جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أى لو شكرتم فعله لشاركنكم في جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقنصتم الصمعة لتقحمها معكم .
- (١) الفقع : كثرة رعوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميذاني (٢ : ٥٩) .
 والقرقرة : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطبنة اللينة .
- (٢) عمرت لهم : أى أقيمت للأعداء .
- (٣) أى جبل هجره لإهامهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاييد : جمع مقحاذ ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعيد » بتشديد الياء للوحدة المكسورة ، وهو الذى يعيد الإبل ، أى يظليها بالقطران ليمالج جربها ؛ فإن المعيدى تصغير المعلى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .
- (٤) مثل هذه النسبة في عيون الأغيار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأديباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولي في عهد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٣٩٧) إلى أبي زيد . وصواب نسبه أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كافي طبقات الشعراء لابن الممتز ٣٤٨ والأغاني (١٢ : ١٦٨) وديوان الملقا (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما دميت به أكفى أباً الكلْب لا أباً الأسد

- وأبو الأسود ، قال الجاسط : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمرو بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلي البصري ، أول من أسس الشعر ، وأول من نقط للصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيبا . انظر بقية نعت في بقية الرواة ٢٧٤ . توفي سنة ٩٧ بطاعون الجارف .
- (٥) كذبه بالامر : أحله . ورواية ابن هبيرة : « تجلسها منك » .

تَحْلِفُ أَلَّا تَبْرُقَنِي أَبَدًا فَلَنْ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَيْدِي^(١)
 إِنْ كَانَ رِزْقُ إِلَيْكَ فَارِمْ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصَدِ^(٢)
 وَقَالَ أَبُو السَّفَّاحِ^(٣) بَرَى أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ عَمِيرَةَ^(٤) وَيَسْمِيهِ بِالشَّجَاعِ^(٥) :
 يَعْدُو فَلَا تَكْذِبْ شِدَائُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بَوَادِي السَّيْبِ
 يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاءَ مَعًا مُنَّمَتْ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعِ الشَّجَاعِ^(٦)
 وَقَالَ الْمُظْمَسُ :

فَاطَرَقَ إِطْرَاقُ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ بَرَى مَسَاغَا لَنَائِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَّمَ^(٧)
 وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيطٍ^(٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ^(٩) :

شُمُوسٌ يَظَلُّ الْقَوْمَ مَعْصَمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

-
- (١) يقول : لئنك تحلف ألا تبرقني ؛ فقد سئمت برك وما تحلفي من الخ .
 (٢) في مجمع الأدباء : « في ماصفاحه » . وصواب ما في المجمع : « في ماضي حية » .
 (٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموقفيات الزبير بن بكار
 طبعة ومستفلك . واسمه بكير بن مدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر
 منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير التليسي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .
 (٤) وقال أبو حميدة : هي لرجل من بني قريظ ، برى بها يحيى بن عميرة ، صاحب
 مصعب بن الزبير ، وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ،
 وكذا خزنة الأدب (٢ : ٣٧٧ بولاق) .
 (٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
 (٦) ينباع : يشب ويسطر .
 (٧) روى : « والطرق » في حاشية البحري ١٥ ولباب الأدب ٣٩٣ والميداني (١ :
 ٢٩٥) . وروى في سر الصنعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام
 اللحن الألف في أسواق الإعراب الثلاث عند بعض القائلين . انظر الخزنة (٣ :
 ٢٢٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر مجمع
 المرزبانى ٢١٣) :
 فاطرق إطرارق الشجاع ولورى مسافا لنابيه الشجاع لقد أرم
 (٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يسر » .
 (٩) المرووف في الشعر : « ذو القروح » ، وهو امرق القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى النُرى وأغثو على هُمى وإن بت طَاوِيَا
ولأني أَعْصُ النُصْبِ مِنِّي بصارمٍ رَهِيفٍ وشيخٍ ماجِدٍ قَدْ بَنَى لِيَا^(١)
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابتةٌ مستوية ، فإنْ أُنْكَرَتْ شيئاً
فَنَشَطَهَا كالْبَرْقِ الخاطِيفِ .

ووصف آخرُ أفعَى ، فقال :

وقَدْ أَرَانِي بطوئى الحُسَّ وذاتِ قرْنَيْنِ طَحُونِ الضَّرْمِ^(٢)
نَفْثَانِضَةٍ مثل انْثاءِ المَرْسِ^(٣) تدير عَيْناً كشَّابِ القَبْسِ
لَمَّا التَّقَيْنَا بِمَضِيقِ شَكْسٍ^(٤) حَتَّى قَنَصْتُ قَرْنَهَا بِخَمْسِ^(٥)

وهم يتهاجرون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فَلْيَاكُمُ والرَّيفَ لَا تَقْرُبْنَهُ فَإِنْ لَدَيْهِ المَوْتُ والحَمَمُ قَاضِيَا
هُمُ طَرَدُوكُم عَنْ بِلَادِ أَيْكُمُ وَأَنْتُمْ حُلُولُ تَشْتَوُونَ الْأَفَاعِيَا
وقال عمر بن أبي ربيعة :

وَلَمَّا قَدَّتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأَطْفَيْتُ مَصَابِيحَ شَبَّتَ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوَرُ^(٦)

(١) أعض النصب : أدفعه . وأصل المض : الكمر والدق .

(٢) في الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الميمى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الجبل . وقد سكن الراء للشعر . وفي الأصل :
« الترس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : غيق . وانظر نهاية مادة (شكس) في اللسان .

(٥) لى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفي س : ط : « فبوتها »
وصوابهما في هـ .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد في الكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :
وأنور ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عنه
الذي (١ : ٣١٨) .

وغاب فَمِيرٌ كنتُ أرجو مَغِيَّهَ وروَّحَ رُعيانَ وهومَ مِيرُ
ونفَضْتُ عَنِّي اللَّيْلَ^(١) أَقبلتُ مِشْيَةً ۝ حُبَابٍ ، ورُمِئني خَيْفَةً القومِ أَزورُ^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و] ^(٣) ضَرَبَ كَلْتُومٌ بَنَ عَمْرُو المثلَ بِسَمِّ الأَسَاوِدِ ، فقال ^(٤) :

تلوم على تَرَك الغنى ^(٥) بِأَهْلِيَّةٍ ^(٦) طوى الدَّهْرَ عنها كلَّ طِرْفٍ وتاليد
رأت حولها النِّسوانَ يَرْقُلْنَ في الكَسَا^(٧)

مقلِّدةٌ أَجْبَادُهَا بِالْقِلَادِ

يسرُّك أُنِّي نلتُ ما نالَ جعفرُ من الملك ، أو ما نالَ يحيى بنُ خالد^(٨)

(١) يروى : « ونفَضْتُ عَنِ اللَّيْلِ » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها الميون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيِّب وألطف . ورواية البقي : « ونفَضْتُ عَنِ الصَّوْتِ » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخف .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأخانى (١٢ : ٨) : « وكانت تحب امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور اشترى قد أخذ الأموال ، فحل نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر حقبة حمزة السلطان ، وأنه ما لمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غور الخصائص الواضحة لوطوط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأعيان (١ : ٢٣١) واللمعة (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ورواج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٢ : ٣٩) وحامسة ابن السجرى ١٤٠ ومغاضرات الأراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، ه : « الفناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » ، ه : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .
وبالاهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرقلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفرا الجرمي ، ويحيى بن خالد الرمي . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْضَىٰ مَعْصِيَةً بِالْمَرْفَعَاتِ الْبَوَارِدِ^(١)
خَرِبْنِي تَجْنِسْنِي مِيتَى مُطْمِئِنَّةٌ وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوًى^(٢) تِلْكَ الْوَارِدِ
فَإِنْ كَرِمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ^(٣)

حيات الجبل

وفي التشنيع لحيات الجبل ، يقول اللَّعِينُ الْمُنْقَرِي^(٤) : لَوْبَةٌ
ابن العجاج^(٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصة مؤسفة ، يرويها المسعودي في مروج الذهب .
وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفصل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
(١) أحضه الشيء : جمعه يضمه . ومن عض السيف فقد أحلكه . وروى في البيان
والفرق وحيون الأخبار وحاسة ابن الشجرى والأخاني : « أحضى مَعْصِيَةً » .
والمرفعات : السيوف المرفقات . والبوارد : التي تثبت في القربة ، لا تنفخ .
وهم يمسحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينفخ من ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى
وفى الأصل : « انفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وحيون الأخبار وحاسة
ابن الشجرى والمروج والزهر . وفى العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا فى ط وسائر المراجع . وانقردت ص ، هو رواية : « حول »
ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وحيون الأخبار . وفى الزهر : « فإن رفيمات المعالي » ،
والمروج : « فإن رفيمات الأمور » ، والحاسة : « فإن رفيمات الأمور » ، والعقد :
« وجدت للآذات الحياة » ، والأخاني : « رأيت رفيمات الأمور » ، وديوان المعاني
(١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أسطى تصريف
الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمضى دون القفط . وانظر ماخذ البيت في محاضرات
الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البيهقي في حاشيته ص ٨ البيهقي منسوبين إلى المسكبر القسبي . واللعين المنقري
سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « غلت الزم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والبيهقي ٢ :
٤٠٤ منسوباً إلى اللعين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُؤبُ ، والحياة الصماء في الجبل^(١)
أبا الأراجيز يا ابن اللوم. توعدي وفي الأراجيز جلب اللوم والكسل^(٢)

(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدثني ابن أبي طرفة^(٣) ، قال : مر قوم حجاج من أهل
همن مع المساء ، رجل من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسألوه القرى ،
فقال لهم : هذه قري ، وهذه مسقاة ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وقينا
حق قرانا ! فأخذ القرية فتقلدها يسقيهم ، فبهتته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القرية ، والشرب^(٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لشأنا ، وما في الشرب من فم قرية حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ ! حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قرية ، فوكتته^(٥) حية فات ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب . فعملت^(٦) أن كل شيء لا أعرف^{٨٩}
تأويله من الحديث ، أن له مذهبا وإن جهلته^(٧) .

(١) يقولون الرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحرى : « إن كنت
تتكفر » . قوله : « والحياة الصماء » لى وأنا الحياة الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحرى : « أبا لأراجيزه . في س ، ط :
« يعرف صوابه في ه وحالة البحرى . وروى : « غلت اللوم والقشل » . رفع اللوم
والقشل ، حل الإقواء . وعند البحرى : « إن الأراجيز رأس للتوك والقشل » .

(٣) الخبر في الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اخنثت فم القرية والسقاء : ثناء إلى خارج فشربه منه . وفي الأصل : « اخنثت »
بدل : « اخنثت » وهو تحريف ، صوابه في نهاية ابن الأثير والسان (مادة
خنث) من كل حنما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكتته الحية : لدغته .

(٦) في الأصل : « عملت » ووجه ما أثبت .

(٧) وعط أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب حكلا مما يغير دمه ، وبأنه
يجعل للماء يترشش على الشارب لسة فم السقاء . انظر لنهاية والسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعر في سلخ الحية :

حَتَّى إِذَا تَابَعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْيَسَمْرِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ^(١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَتَيْنِ : بِسَمِّ الرَّأْسِ وَنَهَشِ الرَّجْلَيْنِ^(٢)
قال : كأنه ذهب إلى أن سمّه لا يكون قاتلاً مُجْهِزاً حَتَّى تَأْتِيَ
عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحَيَّةِ مِثْلُ الْبَرْزُولِ وَالْقُرُوحِ لِلْخَفِّ وَالْخَافِرِ .
قال : وليس ينسلخ إلا بعد سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنَ السِّنِينَ
على حَدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الْحَيَّةَ تَسْلُخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الْحَيَّاتِ
كَالتَّحْصِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا يَجْتَمِعُ قُوَّةٌ إِلَّا بَعْدَ التَّحْصِيرِ وَتَمَامِ
نَبَاتِ الرِّيشِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعي : أخبرني أبو رفاعة^(٣) ، شيخ من أهل البادية ، قال :
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَنْخَطِي حَيَّاتٍ . فَعَطَّرْتُ السَّمَاءَ ، فَجَعَلَتْ أَسْجُلُهَا سُبُولاً .

(١) اليم بالكرس : أداة الوسم . والقيّن : الحداد .

(٢) في الأصل : « بمسة الرأس » ، والمسة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رفاعة » ، بالف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في يوته حَيَاتٍ ، فقال من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته .

(شعر للمرجي والشمخ في الحيات)

قال المرجيُّ ، في ديبب السمِّ في المنوش :
 وأُشْرِبَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَتْنِي بِهِ كَشَى حُمَيَّا الكَأْسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
 يَذِبُ هَوَاهَا فِي عَظْمِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي الْمَسْوَعِ سَمُّ الْعَقَّارِبِ
 وقال المرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صُدُوعِ
 الصُّخْرِ ، فقال :

تَأْتِي بَلْبِلٌ ذُو سَعَاةٍ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرُقْ سَلَامًا^(٣)
 كَثَلُ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابَسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا
 أُرِّ عَلَى الْحَوَاهِ^(٤) حَتَّى تَنَادَرُوا جَمَاهُ^(٥) مَحَامَاةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرماء » . وكلمة « في » قبلها ماقطة من « ه » .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إصباح . وصوابها في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشعر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستصغى عليهم . والحواه ، بضم الحاء : جمع حار . وهذا الجميع ليس قياسياً ولا بما ذكرته المااجم . وسمي نظيره : غاز وغزاه ، وسار وسراء . انظر مع الماواع (٢ : ١٧٧) . والمرجي بمن يحنج بكلامه ، فانه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن هبائن بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينسج نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من القفرسان للظرفاء . واتب بالمرجي لسكنه قرية البرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواه » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تنادروا جماء : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت النابتة ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

بِظَلِّ مُشِيحاً سامعاً ، ثُمَّ إِنِّهَا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأَلُ إِلَّا تَقْدُماً^(١)
 قال : ويقال : تطوّت^(٢) الحية . وأنشد العرجي :
 ذَكَرْتَنِي إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الثِّيَابِ^(٣)
 وقال الشَّيْخُ ، أَوْ الْبَيْهَقِيُّ^(٤) :
 وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الشَّجَاعِ وَقَدْ جَرَى عَلَى حَدِّ نَابِيَةِ اللَّحَافِ الْمُسَمِّ^(٥)
 (ما ينبع من الحيوان)

٩٠ والأجناس التي تَذَكَّرُ بِالنَّبَاحِ : الكلب ، والحية ، والظَّبْيُ إِذَا
 أَسَنَّ ، وَالْمُهْدُودُ . وقد كتبنا ذلك مرة ثم^(٦) .
 قال أبو التَّجَمُّمِ :

وَالْأَسَدُ قَدْ تَسَمَّعَ مِنْ زَيْهَرِهَا وَبَانَتْ^(٧) الْأَفْعَى عَلَى مَخْفُورِهَا
 تَأْسِيرُهَا يَحْتَكُّ فِي تَأْسِيرِهَا^(٨) مَرَّ الرَّحَى تَجْرِي عَلَى شَعِيرِهَا

-
- (١) للشَّيْخِ : الخدر . وقد ذكرها مرة وأنها أخرى . والحية بما يذكر ويؤنث .
 (٢) س : « تطوت » . والأوْفَقُ ما أثبت من ط ، هـ .
 (٣) كذا جاء هذا الشطر في ط ، هـ . وفي س : « عتد مريضه » ، وكلا التصيغ
 محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .
 (٤) ليس البيت في ديوان الشَّيْخِ .
 (٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٢ .
 (٦) انظر لبناح الظبي ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولبناح للمهدد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .
 وأما لبناح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .
 (٧) هـ : « وبانت » بالتون . وانظر بعض أشعار من الأرجوزة في اللسان (صفر) .
 (٨) التَّاسِيرُ : واحد التَّاسِيرِ ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،
 وجله هنا للجماع . و « يحتك » هي في الأصل « يحتك » بالتون .
 وصوابه ما أثبت .

كَرَعَدَةِ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا^(١) نَضْرُمُ الْقَصَبَاءِ فِي تَنُورِهَا^(٢)
تَوْقِرُ النَّفْسَ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَقْيِيرِهَا
• فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا •

(قَوْلٌ فِي آيَةِ)

وَسَنَذَكُرُ مَسْأَلَةً وَجَوَابَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا زَعَمُوا أَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ يَطِيرُ ، وَشَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يَعُومُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ .

وَقَدْ وَضَعَ الْكَلَامَ عَلَى قِسْمَةِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ ، وَعَلَى تَصْنِيفِ ضُرُوبِهِ
الْمَخْلُوقِ ، ثُمَّ قَصَرَ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ^(٣) ، فَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَطِيرُ
وَمَا يَعُومُ . ثُمَّ جَعَلَ مَا يَنْسَاحُ ، مِثْلُ الْخَيْاتِ وَالذِّبْدَانِ ، ثُمَّ يَمْشِي ، وَالْمَشْيُ
لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَجْلٍ ، كَمَا أَنَّ الْعَصَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِفِمْرٍ ، وَالرَّمْحُ لَا يَكُونُ
إِلَّا بِخَافِرٍ . وَذَكَرَ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَهَاهُنَا دَوَابٌّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الْجِرَاءُ : جَمْعُ جِرْوٍ ، أَرَادَ بِهِ وَلَدَ الْكَلْبِ . وَرَعْدَتُهَا : صَوْتُهَا ، وَكَذَلِكَ هَدِيرُهَا .
وَفِي الْأَصْلِ : « الْجَزَاءُ » ، وَلَا وَجْهَ لَهُ .

(٢) الْقَصَبَاءُ : جَمَاعَةُ الْقَصَبِ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا الْأَبَاءُ بِالْفَتْحِ . وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي شِدَّةِ
الصَّوْتِ عِنْدَ التَّضَرُّعِ . وَمِمَّا قَوْلُ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ :
مَنْ سَرَهُ ضَرْبُ رَجُلٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ كَصَمَةِ الْأَبَاءِ الْمَحْرُوقِ

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَعْرُوفَةٌ فِي الْأَصْلِ ، فَهِيَ فِي ط : « الْقَصَبَاءُ » وَ : « هُ »
« النَّصْبَاءُ » وَ : « الْقَصَبَاءُ » . وَفِي س : أَيْضًا « تَنُورٌ » مَكَانٌ « تَضَرُّعٌ » .
(٣) هَذَا حِكَايَةٌ مِنَ الْجَاهِلِ لِقَوْلِ الْمُتَضَرِّعِينَ عَلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَيَرِدُ عَلَيْهِمْ
فِي السُّلُوكِ الثَّلَاثُ مِنَ الصَّفْحَةِ الْآتِيَةِ .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومن نفَقَدَ قوائمَ
السرطانِ وبناتِ وِرْدَانَ ، وأصنافَ العناكبِ - عَرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التأويل وحده . فإلّا الدليل على أنّه
وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم ؟ وبأي حجة جزمتم على ذلك ؟
وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَفَوَّضَهَا لِلْأَنسِ وَالْجِنِّ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ
الشَّيَاطِينِ وَالنَّارِ لَمْ أَكُلْ ، وعلمناهم بها أشدّ . فَتَرَكَ ذِكْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ
نِسْبَانٍ ، وعلى أنّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزّ وجلّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾^(١) ، أخرج
من هذا العموم عيسى بن مريم ، وقد قصّد في مخرَج هذا الكلام [إلى^(٢)]
جميع ولدِ آدم . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أَدْخَلَ فِيهَا آدَمَ وَحَوَاءَ . ثم قال على صلة الكلام :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدَمَ وَحَوَاءَ
وعيسى بن مريم . وحسّن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضَعَ على جميع ما تعرفه
النفوسُ من جهة استقصاء اللفظ . فقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾^(٣) كان على
هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أنّ كلّ شيء يمشي على أربع فهو مما يمشي على
رجلين ، والذي يمشي على ثمان هو مما يمشي على أربع ، وعلى رجلين .

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) بين هذه الآية والكلام بينهما ، جملة : « فهو مما يمشي على أربع » في ط ،
س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم ^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إن المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فنبغى أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إن ذلك خطأ ؛ لأن السعى لا يكون إلا بالأرجل . وفى هذا الذى جهلتموه ضروب من الجواب : أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر : « ما هوَ إلا كأنه حية » ، و : « كأن مشيته مشية حية » يصفون ذلك . ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب ، وذكور الحيات . ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء ، أكثر من أن نقف ^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبه به فى حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنه أجراً مجزئ كلامهم ، كقول حاتم حين أمرؤه يفصد بعير ، وطعنه فى سنامه ، وقال : « هذا فصد ^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » سائلة من هـ . وفى هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مائين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والقصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصلون الإبل ويسخنون دم القصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الصيفان ، أو يحملون ذلك الدم فى موى من الأمداء ويشورونه ويأكلونه . ويروى المثل عند المداين (٢ : ٢١٧) : « هكذا نصسى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى غزاة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، ففصرها ، فلامته على تحمره إياها فقال : هكذا نصسى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . غزاة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرُ أطمِئني تَمَرًا^(١) فكان تَمَرِي كَهَرَّةً وَزَبْرًا^(٢)

وذمَّ بعضهم^(٣) الفأْرَ وذكرَ سوءَ أثرها في بيته ، فقال :

يَا عَجَلُ الرَّحْمَنِ بِالْعُقَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخِرَابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرَّجُلُ ، « مانَرِي مِنْ خَيْرِكَ

وَرَفِيكَ إِلَّا مَا يَلْفُئُنَا مِنْ حَظِّكَ »^(٤) علينا ، وقتلَكَ في أَعْضَادِنَا^(٥) !

وقال النَّابِغَةُ في شيءٍ بهذا ، وليس به :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُوقٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ

ووجه آخر : أَنَّ الْأَعْرَابَ تَزْعُمُ — وكذلك قال ناسٌ من الحوَّاثين

وَالرَّقَائِثِ — إِنَّ الْحَيَّةَ حَزُوزًا^(٦) في بطنه ، فإذا مَشَى قامت حُزُوزُهُ^(٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمِئني عمر » ، والحيوان (٥ : ٣٣) :

« قالت ألا فاطم عمر » . وروى في المختص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمِئني

عمر تَمَرًا » ، وهي رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عمر :

تصغير حم . أي يامري .

(٢) الكهرة : الاتهام . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله فأغار . انظر الحيوان (٥ : ٣) :

٢٥٨) وديوان الملق (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفي اللسان : « وحطب فلان

بفلان : سعى به » ، فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتألَّب الناس علينا .

وفي الأصل وكذا في بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « وحطبك » بالهاء . ولا تصح إلا

بتكلف . وما يلفتنا : أي ما يصل إلينا .

(٥) نت في ضمه : رام إضراره بتخونه أهل بيته . وحشد الرجل : أهل بيته .

ط : « وحطك » صوابه في س ، ه والبيان . وفي ط ، ه : « أعضامنا »

صوابه في س والبيان .

(٦) ط ، س : « وحزوزا » صوابه في ه .

(٧) ط ، س : « وحروزه » صوابه في ه .

وإذا تَرَكَ المثنىَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُنْسا . ولم تُوجَدْ بعينٍ ولا لَمَسٍ ، ولا يُلغها الأكلُ حَوًّا دقيقِي الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجَبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربيِّ ، فإنه يظهرُها كالدُّلْوِ ،

فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجِع ذلك الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢ عليه بلمَسٍ ولا عَيْن . وكذلك عروقُ الكَلَى ^(١) إلى المثانة التي يجرى فيها الحصى المتولد في الكَلَى إذا قَلَّتْهُ ^(٢) تلك العروق ^(٣) إلى المثانة ، فإذا بال الإنسان انضمتْ العروقُ واتصلت بأماكنها ، والتحمت حتى كان موضعها كسائر ما جاوز تلك الأماكن .

وجه آخر : وهو أن هذا الكلامَ عربيٌّ فصيحٌ ، إذ كان الذي جاء به عربياً فصيحاً ، ولو لم يكن قرأنا من عند الله تبارك وتعالى ، ثم كان كلامَ الذي جاء به ، وكان يَمُنُّ بجهلِ اللحنِ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماء في لغته ، لكان هذا - خاصةً - مما لا يجهله .

فلو أننا لم نجعلْ لِحْمِدِ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً في نُبُوَّةٍ ، ولا مزيةً في البيانِ والفصاحةِ ، لكننا لا نجدُ بُدًّا من أن نعلم أنه كواحدٌ من الفصحاء . فهل يجوزُ عندكم أن يخطيء أحدُ منهم في مثلِ هذا في حديثٍ ، أو وصفٍ ، أو خطبةٍ أو رسالةٍ ، فيزعمُ ^(٤) أن كذا وكذا يمشى أو يسمى أو يطير ، وذلك الذي قال ^(٥) ليس من لغته ولا من لغة أهله ؟ ! فعلومُ عندَ هذا الجواب ، وعند ما قبله ، أن تأويلكم هذا خطأ .

(١) ط : « الكَلَى » . س ، هـ : « الكَلَا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع كَلَى ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « يجرى » . والحصى ، كُتبت في ط ، س بالألف . وفي هـ : « انصبا » صوابها ما أثبت . وفي الأصل : « قَلَّتْها » بدل : « قَلَّتْ » .

(٣) في الأصل : « في تلك العروق » . والوجه حلف « في » كما أثبت .

(٤) في الأصل : « يزعم » .

(٥) أي الذي قاله من الكلام للتعظيم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاعِيُونَ ﴾^(١)
وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة : بأيَّ شيء يتشغلون ؟ أم لم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الخبيب : لا ،
ما شغلهم إلَّا في افتضاض الأبيكار ، وأكل فواكه الجنة ، وزيارة الإخوان
على مناجيب الباقوت !

وهذا على مثال جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل
من جهة الحلبة^(٢) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنْ
الْحَيْلِ ! قال : وَأَنَا أَجيبُكَ عن الخير !

وهو كقول المفسر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشْيٌ . وقد صدَّق القرآن ، وصدق
المفسر ، ولم يتناقرا . لأنَّ القرآن ذهب إلى المقادير ، والمفسر
ذهب إلى الموجد ، بين دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .
وعلى ذلك المعنى روى عن عمر أنه قال : « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْتَهَى عَنْهُمَا وَأَضْرَبُ عَلَيْهِمَا^(٣) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : النخعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاسط هذا الحديث في البيان
(٢ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوباً
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : حمامة النساء ومتممة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب المباسية
من رسائل الجاسط ٣٠٢ الرحمانية .

أما حمامة النساء ، فهي مايسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو للزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحاً
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَاِصْنَعُوا لَهُمْ قُلُوبًا مَبْعُوثَةً »
أبجورهن فريضة ، ثم نسخ ذلك بنهي الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويَطْبِقُونَ^(١) إذا ركعوا ، فَتَهَى
عن ذلك إمام من الأئمة ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهر النسخ ، وعرفهم
أن ذلك من المنسوخ ، فَكَانَ قَائِلًا قَالَ : أتَناهنا عن شيء ، وقد كان على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قَدَّمَ الاحتجاج ٩٣
في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ^(٢) .

ومن العَجَبِ أَنَّ ناساً جعلوا هذا القول على المنبر من عيوبه . فإن
لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فسا في الأرض أَجْهَلُ من عَمَرَ حِينَ يُظْهِرُ
الْكُفْرَ في الإسلام على منبر الجماعة ، وهو إِمَاعُ علاه بالإسلام . ثُمَّ في شيء
ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلَّةٌ . وأعجَبُ منه تلك الأئمة ، وتلك الجماعة [التي^(٣)]
لم تُشَكِّرْ تلك الكلمة في حياته ، ولا بَعْدَ موته ، ثُمَّ تَرَكَ ذلك جميعُ
التَّابِعِينَ وَاتِّبَاعِ التَّابِعِينَ ، حَتَّى أَفْضَى الأمرُ إلى أَهْلِ دَهْرِنَا هذا .
وتلك الجماعة هم الذين قَتَلُوا عُمَانَ على أَنَّ سَيَّرَ رجلاً^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وفي عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ
قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول
عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على
عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى
عنهما » ، فلماذا « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يَضْمُونَ » ، وهو تحريف صوابه ما في البيان (٢ : ٢٨٢) .
والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويحسهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد .
وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمرُوا بالصلاة ، ثُمَّ أمرُوا بِإِلْقَامِ السَّكِينِ
رَأْسَ الرُّكْبَتَيْنِ . وانظر لسان العرب (طبع) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصمعي الجليل ، أبوذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على
الأغنياء ، غضب عليه من أبجلها حَيَّان ، وسيره إلى الريلة ، وهي من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمَاهِدُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَّتْ أَمْثُلُهَا ﴾ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ فجعل للنار خزان ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزان وجعل لها خزنة .

ولو أن جهنم فتحت أبوابها ، ونُحِّي^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكل نصيب في الأرض ، ولكل خزان في الأرض : دونك ؛ فقد أبيضت لك ! لَمَّا دَنَا مِنْهَا ، وقد جعل لها خزان وخزنة . ولَمَّا هَذَا عَلَى مِثَالِ مَا ذَكَرْنَا . وهذا كثير في كلام العرب .

والأحاديث التي ذكرنا في صديق هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخواارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين^(٢) .

— المدينة حل ثلاثة أميال ، قرية من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢٠ .
واسم أبي ذر جندب بن جندبة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضي الله عنها .

(١) ط ، ص ، ونحى ، صوايه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المنزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا فريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فتركب الكبيرة إذا لم يقب فهو خالدة في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون بالمنزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخواارج حل أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المنزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

(شعر خلف الأحر في الحيات)

وقال خلف الأحر في ذكر الحيات :

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونِي إِنْ رَأَوْنِي وَصِلْ صَفَا لِنَائِيهِ ذُبَابٌ^(١)
مِنْ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكُفْهِ طُودٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطَّوُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرَى بِعَقْوَتِهِ الذُّنَابُ^(٤)
كَأَنَّ دَمًا أَمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أَمِيرَ بِهِ كُيُوبُ^(٥)
إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتُ أَبَدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب الناب : طرته الخاد .

(٢) المتحرّمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمه وحايته . يقول :
هو من تلك الحيات التي تحرمت بذلك السكف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاوها
أحد . في الأصل : « المتجريات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع للقرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « حرام » .
يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه في س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ،
وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموشعين ، بمعنى جعل يمر ،
وما كتبت أشبه . وجه في الحديث : « أمر الدم بما شئت » . وللأثرات :
الدماء . قال رشيد بن ربيعة :

حلفت بماثرات حول موغس وأنصاب تركن لدى السمير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل :
« استعيرش » ولم أجده له وجهًا ، وما يميز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢
من قول حنّرة :

رقود ضحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس سكحال أرمدا

(٧) كذا ولله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت
الصهاب : للشديد ، كالموت الأحر ، قال الجدي :

فجئنا إلى الموت الصهابي بعدما تجرد هرهان من القتر أحذب » .

إذا ما الليلُ ألبَسَهُ دُجَاهُ مَرَى أصمى تصيحُ له الشُّعَابُ^(١)
 قُلت الحَيَّانُ^(٢) بن عتي^(٣) : [لَمْ^(٤)] قال موسى بن جابر
 الحنفى^(٥) :

طَرَدَ الْأَزْوَى فَا تَقَرُّهُ وَتَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ^(٦)
 قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . [قُلت^(٧)] : فلم قال خلف الأحر :
 • ولا تمرى بقوته الذَّنَاب • ؟

قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ^(٨) ولم يقل يعلم .

(١) الأصمى : الشديد الوثب . ط : « أسمى » صوابه في س ه . و « تصيح » هي في
 س : « تضحج » . ولو كانت « تصيح » لزادت حسنا .

(٢) ط : « الحيات » صوابه في س ه .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أثر له على تحقيق . وجاء في حيون الأخبار (٢ :

٤٣) من اسمه : (حيان بن غسيان) وهو الذي ورث نصف دار أبيه ،
 فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار واشترى النصف الباقي نصبر كلها لـ
 فطمع هذا .

(٤) زيادة يقتضيا السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بني حنيفة ، يقال له ابن الفريمة ، وهي أمه ، كما أن حسان

ابن ثابت يقال له ابن الفريمة . المؤلف ١٦٥ . وقال المرزبان في معجمه ٢٧٦

إنه نصراني جاهل ، يلقب أزرق الجمالة . والحق أنه إسلامي ، وأنه قال شعرا

في الإسلام . انظر الأغانى (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره في الحاشية (١ :

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥) يشر بما تقدم . وفي شرح الحاشية لتبريزي

(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى متقول من العبرية . ولم أعلم أن في العرب

من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا في الإسلام ، لما نزل القرآن

وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ه .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) الحسن : الخور والضمين .

(منافضة شمريّة للزيادى ويحيى بن أبى حفصة)

وقال الزيادى فى يحيى بن أبى حفصة ^(١) :

إلى ويحيى وما يبنى كلتبصر صَيْدًا وما نال منه الرّىّ والشَّبَعَا ٩٤
أَمْوَى إلى باب جُحْرٍ فى مقدّمه مِثْلُ الصَّيْبِ تَرَى فى رأسه قَزَعَا ^(٢)
الْوَنُ أَرِيدُ والأَنْيَابُ شَابِكَةً عُصْلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرَى بَيْنَهَا قِطْعَا ^(٣)
يَهْوَى إلى الصَّوْتِ وَالظَّلَاءِ عَاكِفَةً تَقْوَرُ السَّيْلُ لاقى الْحَيْدَ فَاطْلَعَا ^(٤)
لو نَالَ كَمَلِكَ آبَتْ منه مَغْضَبَةً بَيْضَاءُ قد جَلَّتْ أَنْيَابُهَا قَزَعَا ^(٥)
بِيعَتْ بوسْكَسِرٍ قَلِيلٍ فاستقلَّ بها من المَوَالِ أبوها بعد ما رَكَمَا
فردّ عليه يحيى فقال :

كَمْ حَيَّةٌ رَهَبُ الْحَيَّاتِ صَوْلَتُهُ يَحْمَى لِرَيْدِيَّةٍ ^(٦) قد غادرته قِطْعَا

(١) هو جدد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) :
« ويحيى أشمار كثيرة » .

(٢) الصَّيْبُ : أصل الذئب ، أو الجريدة المستقيمة الحقيقية من النخل يكشط غوصها .
والقَزَعُ ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شَابِكَةٌ : مشبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سائلة » . وصوابه ما
أُثْبِت . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٢٤) . والصل : للكتويات . وفى الأصل :
« صلا » صوابه مما سبق ص ١٨٢ .

(٤) الْحَيْدُ ، بالفتح : ما يخص من الجبل ومن كل شيء . والتَقْوَرُ : التثنى . وفى
الأصل : « تود » . وانظر ما سبق فى ١٨٢ . يقول : هذا الحية يتلوى فى مشبه
كما يتلوى ماء الليل إذا لاقى حيناً فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع
لجره وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قذعا » بالفتح المعجمة .

(٦) أى تذكره الحية والأفعى إذا احتل على ريديه . والريد : بالفتح : الحرف الثانى
من الجبل . س : « ليليه » .

يَلْقَيْنَ حَيَّةً قَفًى ذَا مُسَاوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعَاً^(١)
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَتْهُ ، قَرَعَاً^(٢)
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءِ أَيْبَسَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا^(٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

وَكَمْ طَوَّتَ مِنْ حَنْشِرٍ رَاصِدٍ لِلْسَفَرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ^(١)
أَصَمَّ أَحْمَسَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى بِفَتْرٍ عَنْ عُصَلٍ حَدِيدَاتِ^(٢)
مَنْهَرِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضَّحَى سَارٍ طَمُورٍ فِي الدُّجَنَاتِ^(٣)
ذِي هَامَةٍ رَقَطَاهُ مَقْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَلْبِيَّاتِ^(٤)
صِلْ صَفَاً ، تَتَلَفُ أَنْيَابُهُ بِمِخَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ^(٥)

(١) القف : بالفم : مرتفع جبرى . و « يسق » هى فى الأصل : « تسق » .
والوجه ما أثبت .

(٢) قرعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحب . ط ، س :
« قلما » بالذال المعجمة ، صوابه فى هـ .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العال فى الجبل .

(٥) الأنياب العسل : اللصوية . هـ : « ضل » ، صوابه فى س ، ط .

(٦) منهر الشدق : واسمه . والطمور ، كسبور : الوثاب . ط : « طمورا »
صوابه فى س ، هـ .

(٧) مقطوعة ، يالفاء : مرفقة . ط : « مقطوعة » بالنون ، تصحيحه من س ، هـ .

(٨) تتلف أنيابه ، بكسر الطاء وضمتها : تقطر . وللميام ، بالكسر : جمع سم .

والذيفان بالفتح والكسر : قسم القتال . و « مجيرات » كلها جاءت بالجم ،

وللها « ميرات » بمعنى مهلكات . وفيه سبق البيت فى ٢٢٤ .

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسِهِ وَأَشْدَاقِ رَحِيَّاتِ^(١)
 قَدَمَيْنِ عَنْ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى مِمْلَحَيْنِ وَلَهَوَاتِ^(٢)
 يُسَبِّتُهُ الصَّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْحٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَقَارَاتِ^(٣)
 وَتَارَةً تَحْبُسُهُ مِيْنًا مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتِ^(٤)
 وَقَالَ آخِرُ ، وَهُوَ جَاهِلٌ :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
 فَايْتُ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّحْمِ لَمِصَةً مِنْ حَنْشَرٍ أَعْمَى أَصَمٌ^(٥)
 أَتَمَرَ زَخَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعَرُمِ^(٦) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بَلَمَ ٩٥
 فَكُلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهَ الْجُلُوعُ شَمٌ^(٧) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 يَمَسَّ مِنْهُ مَضَضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقَمَّ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والقصير ماله إلى القصرين .
 والسيح بكسر السين : لغة في السباح بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللاهوات
 جمع الهواة ، وهي اللصة للشرقة على الخلق . وقد سكنت الهاء كقصر ، كما أنه
 جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لغة واحدة .

(٣) س : « المقاربات » ، صوابه في ط ، هـ . يسميته الصبح : يفهمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرضاء العينين . وفي الأصل :
 « إشراف » بالثين . ولا وجه له . قال :

سُطِرَ يَنْفِثُ سَمَا كَمَا أُطِرَ أَقْصَى يَنْفِثُ لَحْمَ صَل
 وَإِخْبَاتٍ : مَنْ أَعْيَتْ بِمَعْنَى خَشَع . وَأَصْلُهُ مَنْ انْثَبَت ، وَهُوَ الْمَطْلُوتُ
 مِنَ الْأَرْضِ .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أرم ، وهو ما كان متقطعا بواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
 نسبت الراء في (العرم) لضرورة الوزن . وفي الأصل : « القرم » ،
 ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أسبابه . وفي الأصل :
 « أنفل » ووجه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أي تنسم الهواء
 لينتلي به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

وَلَمْ يَكُنْ لِإِبْلِى وَلَا غَمٍّ وَلَا لُخُوفٍ رَاعُهُ وَلَا لِيَهُمْ
حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضَانٍ أَحْمَرٍ ^(١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ ^(٢)
بِمِلْزَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كَمٍّ ^(٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْظَمَّ
• وَخَزَةٌ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍّ ^(٤) •

ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع ، تكون في غُلفٍ ^(٥) ، إذا
وطئت على يطون أكفها ترفعت المخالبُ ، ودخلت في أكمام لها . وهو قول
أبي زبيد :

بُحْجِنِ كَالْحَاجِجِ فِي فُتُوحٍ يَقْبِيهَا قِصَّةُ الْأَرْضِ اللَّذْخِيسِ ^(٦)
وكذلك أنياب الأفاعى ، هي مالم تعض قصونة في أكمام . ألا تراه
يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِلْزَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كَمٍّ ^(٧)

(١) النضان : الحية ينفض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
في س . هـ .

(٢) هو من غاضه بالسيف عوصاً : وضعه في أسفل يده ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) كمن بالميلزب ناب الحية . هـ . « ملوب » ، صوابه في س ، هـ . والكم ،

بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشب : الخرز ، يذكر ويؤنث . والمطوف ، بالفتح : المطوف . وإذا أظهر
لأثر الخرز . والادم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو ملبوذه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، هـ .

(٦) الحس : غنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زيد بنته . والحاجن : جمع
حاجر ، وهو الصا الموجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالحاء المعجمة في آخره : هو
من الأسد مفاسل مخالبه ، كافي القاموس . وفي الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة
مصحف . والقصة ، بكسر القاف وفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى
الصغار . وفي الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والذخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت في التثنية الثالث من هذه الصفحة . ط : « غاشه » صوابه
في س ، هـ . هـ : « ملوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أُنعتُ نضاضاً كثيراً الصَّخْرَ ^(١) مولده كمولد ابن الدَّهْر ^(٢)
كاننا جميعاً ولدنا في شهر يظلُّ في مرأى بَعِيدِ الصَّخْرِ
بَيْنَ حَوَافِي سَلِيلٍ وَصَخْرٍ ^(٣) .

وقال :

وكيفَ وقد أسهرتُ حَيْنَكَ بَتْنِي عِنَادًا لِنَابِي حِيَّةٍ قَدْ تَرَبَّدَا ^(٤)
من الصَّمِّ يَكْنَى مَرَّةً مِنْ لُعَابِهِ وَمَا عَادَ إِلَّا كَانَ فِي الْعَوْدِ أَحْمَدَا ^(٥)

(شعر لحلف في الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر - وهي مخلوطةٌ فيها شيءٌ ، وله شيءٌ ، من الغبرة ^(٦)

(١) الصخر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس لحية ظفر .
وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسر ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد
فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه البهار ، واستشهد بيت ابن الرومي :
وما للمهر إلا كآبته ، فيه بكرة وحاجرة مسمومة الجور قاتله

في الأصل : « ومولده ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد سئى الراجز
أن ذلك الحية متقدم الميلاد ، وذلك ما يزيد في شدة سمه .

(٣) الحوائ : جمع حافة ، يفتح الفاء الخفيفة ، وهو من نادر الجمع . والمخافة : الجانب .
والسدر ، ككثف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والتكر . وفي
الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أride . والريبة : لون إلى الغبرة . وضمبر : تربد « عائد إلى الحية ،
والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، ص : « مرة » . هـ : « مرة » ، صوابها ما أثبت . والشرط الثاني
فيه تهم .

(٦) كما جاءت هاتان الكلمتان . وحققنا أن تكونتا في صدر الفقرة مسبوطين بنحو
كلمة : « تربد » ، فتكونتا شرحاً لها ، كما أسلفت في الفقيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أَنَّ أَحَدًا وصفَ عَيْنَ الأَفْصَى على معرفةٍ واختبارٍ غيرِ .
وهو قوله :

أَفْصَى رَخْوَفِ العَيْنِ مِطْرَاقِ البُسْكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من الكبير

صِلَ صَفًا ما يَنْطَوِي مِنَ القِصْرِ^(٢) طويلة الإطراق^(٣) من غير حسر

كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِدِ النِّسْكَرِ شُقَّتْ لَهُ العَيْنَانِ طُولًا فِي شَتَرِ

مَهْرُوتَ الشَّدَقَيْنِ حَوْلَاءِ النِّظَرِ جاءَ بِهَا الطُّوفَانُ أَيَّامَ زَخَرِ^(٤)

كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدْرَ^(٥) نَشِيشُ جَرٍ عِنْدَ طَاهٍ مَقْتَلَرِ

(أحاديث في الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أَنَّ عائشةَ أُمَ المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا
كَانَتْ تَقْتُلُ الأَوْزَاعَ .

يعني بن أبي أنيسة^(١) ، عن الزُّهري ، عن عروة^(٢) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رَغِفَ بمعنى استرخى . ط ، هـ ، زحوف ، صوابه في س .
ومطراق البكر : أى يطرق إطراقًا في الغدوات . وذلك من صفة الأَفْصَى . أما
انتباها فيكون على أشبه في الليل .

(٢) حلال الصفا من أعيت الحيات . وقد بالغ الراجز في جملة العمل لا ينطوي من
شدة قصره . في الأصل : « صل صفا ينطوي » ، وضوايه مما سبق في ص ١١٩ .

(٣) في الأصل : « الأطراف » ، بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون
مع النظر في الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد مضى أَنَّ تلك الأَفْصَى سمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركه .

(٦) يعنى بن أبي أنيسة ، جهة التصغير ، الجزرى ، ضيف من السادسة ، مات سنة
ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر -

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويستق » .
 قالت : « ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .
 قال ^(١) قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعتُ معداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني ^(٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة
 « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الكفويسق » .

أبو بكر الهذلي ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفي يدي عُكَّازُ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتَصْنَعِينَ بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الـوزغَ في بيتي . قال : إن تفعلِ فإنَّ الدُّوَابَّ كُلَّهَا حينَ أتى لإبراهيمَ صلى الله عليه وسلم في النَّارِ ، كانت تُطْفِئُ عنه ، وإنَّ هذا كانَ يَنْفُخُ عليه ، فَصَمَّ وَبَرَصَ » .

وهذه الأحاديثُ كلها يَحْتَجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الأشياءَ كُلَّهَا كانتْ ناطقةً ، وأنها أمٌّ مجراها مجرى الناس .

(تأول آيات من الكتاب)

وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنَمِّئُ مَا قَرَّرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خاله ، وروى عنه الزهري . ولدت سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرة .
 وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلي نظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(١) وقال^(٢) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾^(٣) وقال : ﴿ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية وَمَنْ أَنْكَرَ إِمْعَادَ الطَّبَائِعِ مذهباً ، وذهب ابنُ حَاتِمٍ^(٤) وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُ مِنْ أَهْوَائِ الْجَهْلَاتِ مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، وَاتَّبَعُوا ظَاهِرَ الْحَدِيثِ وَظَاهِرَ الْأَشْعَارِ ، وَزَعَمُوا^(٥) أَنَّ الْحِجَارَةَ كَانَتْ تَقِيلُ وَتَنْطَلِقُ ، وَإِنَّمَا سُلِبَتْ الْمُنْطِقَ فَقَط . فَأَمَّا الطَّيْرُ وَالسَّبَاعُ فَعَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَالْوُطُوطُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالضَّفْدَعُ ، مَطِيعَاتٌ وَمُثَابِتَاتٌ^(٦) . وَالْعُقُوبُ ، وَالْحَيْثُ ، وَالْحِدَادَةُ ، وَالْغُرَابُ ، وَالْوَزَغُ ، وَالْكَلْبُ ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ ، عَاصِيَاتٌ مُعَاقَبَاتٌ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَقَوْلُهُ » .

(٢) لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي تَسْمِيَةِ . وَمَا رَوَى عَنِ الْبَصْرِيِّ وَعَاصِمٍ وَرُوِّعَ مِنْ رَفْعِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ أَوْجُهُ صَحِيحَةٌ فِي الرَّبِّيَّةِ ، لَا يَقْرَأُ بِهِ ؛ لَضَعْفِهِ فِي الرَّوَايَةِ . السَّفَاقِيُّ .

(٣) هُوَ أَحَدُ بَنِي حَاتِمٍ ، صَاحِبُ مَذْهَبِ الْحَاطِطِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْوَائِ النَّظَامِ وَأَخَذَ عَنْهُ وَأَقْبَى فِي مَذْهَبِهِ بِمَثَرَاتٍ صَحِيَّةٍ . وَمَا قَالَهُ : إِنْ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ أُمَّةٌ عَلَى حِيلِهَا ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا تَلَّاظِي طَيْرٌ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمٌّ أَشْتَاكُم » ، وَقَالَ : إِنْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهَا رَسُولٌ مِنْ نَوْعِهَا ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » . انْظُرْ لِلْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (١ : ٨٠ — ٨١) وَالْفِرَقِ ٢٥٥ — ٢٥٩ حَيْثُ تَجِدُ قَوْلًا فَسَكَّهَا خَبَرِيًّا فِي الْخَيَالِ . وَفِي الْأَصْلِ : « ابْنُ حَافِظٍ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٤) هـ : « فَرَعَمُوا » .

(٥) ط : « مُثَابِتَاتٌ » بِالنُّونِ ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

ولم أقف^(١) على واحدٍ منهم فأقول له : إِنَّ الْوَزْعَةَ الَّتِي تَقْتُلُهَا عَلَى أَنَّهَا
كَانَتْ تُضَرِّمُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، أَمْ هَذِهِ أُمُّ هِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا فَأَخَوْذَةُ
هِيَ بَذَنْبٍ غَيْرِهَا ؟ أَمْ تَرَعَمُ أَنَّهُ فِي الْمَعْلُومِ أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ الْوَزْعُ لَا تَلِدُ
وَلَا تَبْذِضُ وَلَا تُفْرِخُ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بَدْنِيهَا ، وَيَنْهَبُ مَذْهَبُهَا ؟ !
وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ يَمْنُ يَفْهَمُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا
يَكُونُ مُرَدُّوهُ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَكُونُ مُتَأَوَّلًا ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَقَالُ ٩٧
إِنَّ ذَلِكَ لِنَسَمًا هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ بَعْضِ الْقَبَائِلِ .
وَلِذَلِكَ أَقُولُ : لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ ، وَاخْتِطَفَتْ
وَاسْتُرِقَتْ ، وَلَوْلَا الْمَعْزَلَةُ لَهَلَكَ الْمُتَكَلِّمُونَ^(٢) .

(أَحَادِيثُ فِي قَتْلِ الْوَزْعِ)

شريكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ لَيْثٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو كَانَ يَقْتُلُ الْوَزْعَ
فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ : هُوَ شَيْطَانُ !
هَشَامُ بْنُ حَسَّانٍ ، عَنْ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ خَشَاشِ
الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ يُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا الْوَزْعُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ .
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْزَاعَ كَانَتْ يَوْمَ حَرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنْفُخُهُ وَالْوَطَاوِطُ^(٣) بِأَجْنِحَتِهَا .
شريكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْوَزْعُ
شَرِيكُ الشَّيْطَانِ .

(١) ط : « أقف » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ماسبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطواط ووطواط . كما هنا وكذا في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ اللهُ عَنْهُ سَبْعِينَ سَخِيطَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعاً^(١) كَانَ كَمَنْ قَتَلَ رَقَبَةً .

هشامُ بن حسان ، عن واصل مولى أبي عيينة^(٢) ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أَقْتُلَ مِائَةَ مِنَ الْوَزْغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأول ، لأن يحيى بن يعمر لم يزعم أنه يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابة تطاعم الحيات وتزأقها وتقاربها ، وربما قتلت بعضتها ، وتكروخ في المرق واللبن ثم تمجؤه في الإناء فينال الناس بذلك مكروه كبير ، من حيث لا يعلمون . وقتله في سبيل قتل الحيات والعقارب .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهل السجون^(٣) يعملون منها سموماً أنفذ من سم البيش^(٤) ، ومن ريق

(١) تحتل الرواية أن تكون سماً بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . ومحتمل أيضاً أن تكون سماً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) لى حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بفتحانية مصر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولطعم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا من يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوصى به إليهم أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السر » ، والأوفق ما أثبت كما في حيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « للسجون » هو الذى يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صينى وهندى ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع تفكاً بالإتقان من سم الأفاعى .

الأفاعي ، وذلك أنهم يُدخِلون الوزَّ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيت ما يغمِّرها ، ويضعونها في الشَّمْسِ أربعين يوماً ، حتَّى تخطط بالزَّيت وتصبِر شيئاً واحداً . فإنَّ مَسَحَ السَّجِّين منه على رَغيْفٍ مَسْحَةٌ يسيرةٌ فأَكَلَ منه عشرةُ أنفُس ماتوا^(١) . ولا أدري لِمَ تَوَخَّوا من مواضع الدُّفْنِ عَتَبَ الأبواب^(٢) .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبي أنيسة ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال :
« أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرَنَا أَنْ نُجِيفَ أَبْوَابَنَا ، وَأَنْ نَحْمَرَ آتِيتَنَا ، وَأَنْ نُوَكِّيَ أَسْقِيتَنَا ، وَأَنْ نُطْفِئَ سُرُجَنَا^(٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَإِنَّا نَحْمَرُّهُ لَمْ يَكْشِفْهُ ، وَسَقَاءَ مُوَكِّي^(٤) لَمْ يَحْلِهِ . وَإِنَّ الْقُوسِيَّةَ^(٥) تَأْتِي الْمَصْبَاحَ فَتُضَرِّمُهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ . وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : نَهَانَا عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ^(٦) ، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي التَّغْلِي

(١) ط : « ماتوا » ، صوابه في س ، هـ .

(٢) أي دقهم ما يقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخدير الآتية : تغليلها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أي شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو غيط . والسرَج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، هـ : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالقوسية : القنطرة ، تصغير قاسقة .

(٦) اشتمال الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً ، فن ذلك ما قيل للصماء . وللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضمه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س : الصماء : محرف .

الواحد أو الخُفُّ الواحد ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مَنَّا فِي التَّوْبِ الْوَاحِدِ^(١) ليس عليه غيره ، وَأَنْ يَسْتَلْقَى أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى^(٢) .
 ٩٨ وهذا الحديث ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النَّار ، وهو يقع [بعد^(٣)] هذا الذي يلي القول في النِّعَام .

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قيس^(٤) ، وريبع بن خثيم^(٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً^(٦) تُجْزَوُا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلُ الْمِيلِ^(٧) ؛ فَلَمْ تَهْجَأْ^(٨) . وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مَنَّا فِي التَّوْبِ الْوَاحِدِ » ، وهو على الصواب في س ، هـ .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، يسم للمعجمة القوقية وفتح المثلثة ، ابن عائد بن عبد الله الثوري الكوفي . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وثلاث وسبعين . من تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد ثبت عليه في تدليل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « قُتِلَتْ أَفْضَلُوا خَيْرًا » ، وتصحيحه وإكاله من س ، هـ .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتمل به . والنص مضطرب في الأصل . فني ط ، س : « إِلَى مِثْلِ الْمِيلِ » وفي هـ : « إِلَى مِثْلِ » بدون ذكر « الْمِيلِ » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ما ورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أَنَّهُ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجَنَانِ » ، قال : « هِيَ الْحَيَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ ، وَاحِدُهَا جَانٌ ، وَهُوَ الْبَقِيْقُ الْخَفِيفُ » .

(٨) هـ : « فَانْهَاجَتْ » .

إسماعيل المكي^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله
ابن مسعود : من قتل حيّة فقتل كافراً .
ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيّة أو عقرباً
فقتل كافراً .

وهذا مما يتعلق به أصحابُ ابن حبان^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) .
عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ،
يقول : قال عبد الله^(٦) : من قتل حيّة أو عقرباً فكأنما قتل كافراً . فعلى
هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « مَا سَأَلْتَاهُنَّ مَدَّ حَارَبَتَاهُنَّ »^(٨) .

(١) في الأصل : « المكي » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العلوي ، ولد في حياة الرسول ، وولى إمارة مكة
ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : « عبد الرحمن بن زيد » ،
من ولد في عهد الرسول أيضاً . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) في الأصل : « ابن حبان » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حبان وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان
مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلاً منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من
الحيوان المؤمن ، والكافر ، وال صالح ، وال طالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن هبة بن مسعود الكوفي المسعودي ، مات سنة
ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « المسعودي » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعني عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبي عروبة الليثي - مولاهم - البصري . وكان من أثبت الناس
في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح
العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حلوتاهن » ، وهو تحريف . وسيد هذا الحديث قريباً .

سعيد بن أبي عروبة^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ^(٢)] قَتَلَ حَيَّةً خَافَةَ أَثَارَهَا^(٣) » فليبه لعنة الله والملائكة .

الربيع بن صبيح^(٤) عن عطاء الخراساني^(٥) قال : كان فيما أخذ على الحيات ألا يظهرونها . فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ حَلًّا قَتَلَهُ . وَقَتْلُهُنَّ كَقَتْلِ الْكُفَّارِ ، وَلَا يَتْرُكُهُنَّ قَتْلُهُنَّ إِلَّا شَاكًا .

وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حبان .

محمد بن عجلان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا سَأَلْتَاهُنَّ مَذْحَارَ بَنَاهُنَّ » .

ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ما أثبت من س ، ب . وانظر التتبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فقولوه : « خافه آثارها » ، « فأنخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل » ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بنجل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد روى ابن قتيبة عن هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات خافه الثأر فقد كفر » . وفي معاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف آثارها فليبه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « آثارها » ، صوابهما ما أثبت من معاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهي جمع ثأر . وانظر التتبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : يفتح المهمله ، السملى البصرى ، صدوق ميسر الخلف . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفي سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو هانئ ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بصنيير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفي الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفي عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق في (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهم ^(٢) ذا القرنين ^(٣) » . قال : والقرة ^(٤) : حوة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالصفر والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذي غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعم النحل المعسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالضم : غطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهم : الذي لا شيء فيه .

(٣) في الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت في (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والقرة » س : « والقرة » صوابها ما أثبت . وانظر ما كتبت في (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذي يصنع المعسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قيل أن يصنع المعسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « الصل » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل المعسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « اللبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ، كأنخلد^(١) والفأر ، والنمل ،
 ٩٩ والنحل ، والضَّب . ومنه ما لا يتخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحَيَاتِ^(٢)] ، لأنَّ
 ذُكُورَ الحَيَاتِ سَيَّارَةٌ ، وإنثائها^(٣) إنما تُقيمُ في المكانِ إلى تمامِ خُرُوجِ
 الفِرَّاخِ من البيضِ ، واستغناء الفِرَّاخِ بأنفسِها . ومما ما يكونُ يأوى إلى
 شقوقِ الصُّخُورِ والحِيطَانِ ، والمدانِخِ الضَّيِّقَةِ ، مثل سَامِ أبرص .
 قال : والحَيَاتِ تألفُها كما تألفُ المقاربُ الخنافس . والعظايا تألفُ
 المزابلَ والحراياتِ . والوزغُ قريّةٌ من النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادُشتُ^(٥) أَنَّ العظايا ليستْ من ذواتِ السُّمُومِ ، وأنَّ
 سَامَ أبرصَ من ذواتِ السُّمُومِ ، وأنَّ أهرمن^(٦) لما قعدَ ليقسيمَ السُّمُومَ ،

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أسمى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيه .

(٣) في الأصل : « وإنثا » . والوجه ما أثبت . وعند القميري : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كيشتاسب من ملوك الفرس السكيانيين ، ودعا إلى دين المهرسية ، وهو صاحب الأبهتا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثائة سنة ، على ما في التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من يده مزدك المولود ، فآذله الأبهتا ، وجعل لظاهرها باعناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » وب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان في تزاح دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبذل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، هـ : « لآته » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلِبِهِ ، كَالْأَفَاعَى ، وَالشَّعَابِينَ
وَالْجُرَارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزْغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكُلُّ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ ^(١) ، فَتَمِيرُهُ ^(٢) ، مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَرَ ^(٣) الْوَزْغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمِنْ لُعَابِ الْأَفَاعَى . فَأَمَّا الْعَظَايَةُ ^(٤)
فَلَمَّا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِذَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعَظَايَةُ وَقَدْ فَبَى ^(٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلَاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخُرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فَإِذَا رَأَيْتَ الْعَظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَنْ يَعْزُضَ لَهَا مِنَ التَّنْذِيرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدُّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعَظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزْغِ ، لِأَنَّهَا
لَوْ لَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ ^(٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِقَاةً ، مِنْ زَقَّ الطَّائِرُ فَرَعَهُ : أَطْعَمَهُ . س : ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) تَمِيرُهُ : مَادَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَادَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فَيَمِيرُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَرَ ، مِنْ يَابُ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْمَرْمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمَتَى فِي الْكِتَابِ : وَالْأَيْلِ
إِذَا دَبَرَ ، فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ .

(٤) الْعَظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ كَسَامُ أِبْرَصَ . ط : « الْعَظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قَبَى » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ ثَرِ يَشْرُ وَيَشْرُ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ — يَفْتَحُ الشَّيْءُ وَكَسَرَ الرَّاءَ —
وَشَرِيرٌ ، كَسَكَيْتَ .

ولم يَسْتَبِنَ لِلنَّاسِ ^(١) من اغتباطِ الوَزَخِ بنصيه من السَّمِّ ، بقدرِ ما استبانَ من تُكَلِّمِ العظَايِرَ ، وتسلُّها وإحضارها ^(٢) وبكائها وحزنها ، وأسفها على حافاتِها من السَّمِّ .

(زعم زرادشت في خَلْقِ الفأرةِ والسُّتورِ)

ويزعم زَرَادُشت ^(٣) ، وهو مذهبُ المَجُوسِ ^(٤) ، أَنَّ الفأرةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَنَّ السُّتورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ، وهو إبليس ، وهو أَمْرَمَن ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفْسِدةٌ ، تجلبُ فِتْلَةً المِصْبَاحِ فتَحْرِقُ بذلكَ البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمَدَنَ العِظَامَ ، والأرباضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرِضُ دِفَاتِرَ العِلْمِ ، وكتبَ اللَّهِ ، دِفَاتِقَ الحِسابِ ، والصُّكَّالَ ^(٦) ، والشُّروطَ ، وتقرِضُ الثِّيَابَ ، وربما طلبتِ القُطُنَ لتَأْكُلَ بِزَرِّهِ فتَدْعُ اللَّحَافَ غِرْبَالاً ، وتقرِضُ الجُرْبَ ^(٧) ، وأَوْكِيَةَ الأَسْفِيَّةِ والأَزْهَاقِ والقِرْبِ فتُخْرِجُ جَمِيعَ ما فيها ، وتقعُ في الآثِيَةِ

(١) في الأصل : « النَّاسِ » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرقة الجوى .

(٣) في الأصل : « زَرُودشت » وهو تخریف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦
التنبيه الخامس .

(٤) ذلك الزعم ملحق بالمجوس ؛ لأن زرادشت صاحب ملهيم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكالة من س ، هـ . وانظر التنبيه السادس
من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، مغرب بك ، وهو بالفارسية : كتاب القاض . وقيل : الصك مغرب . شفاء للعليل .

(٧) الجرب ، بضمين وبضمة أيضاً : جمع جرب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخَوِّج النَّاسَ إِلَى مُؤْنٍ عِظَامَ ، وربما عَصَتْ
رِجْلُ النَّاسِ ، وربما تَحَلَّتِ الْإِنْسَانُ بِعَصَتِهَا . والفَّارُ ^(١) بِخُرَّاسَانَ رَبِّمَا قَطَعَتْ
أُذُنَ الرَّجُلِ . وَجَرْدَانُ أَنْطَاكِيَّةُ تُعْجِزُ ^(٢) عَنْهَا السَّنَانِيرُ ، وقد جلا عنها قومٌ ١٠٠
وكررَها آخرونَ لِمَكَانٍ جَرْدَانِهَا . وهى التى فجرتِ المسنأة ^(٣) ، حتى كان
ذلك سببَ الْخَسْرِ ^(٤) بِأَرْضِ سَبَأَ ، وهى المضروب بها المثل . وَسَيْلُ الْعَرَمِ مِمَّا
تَوَرَّخُ بِزَمَانِهِ الْعَرَبِ . والعَرَمُ : المسنأة . وإنما كان جُرْدَا .
وتقتل النَّحْلُ والفَسِيلُ ^(٥) ، وَتَعْرَبُ الضَّيِّعَةُ ، وتأتى على أَزْمَةِ الرِّكَابِ
وَالْخَطْمِ ^(٦) ، وغير ذلك من الأموال .

وَالنَّاسُ رَبِّمَا اجْتَلَبُوا السَّنَانِيرَ لِيُدْفَعُوا بِهَا بَوَائِقُ الْفَأْرِ ^(٧) - فَكَيْفَ
صَارَ خَلْقُ الضَّأْرِ الْمَفْسِدِ مِنَ اللَّهِ ، وَخَلْقُ النَّافِعِ مِنَ الضَّرَرِ مِنْ
خَلْقِ الشَّيْطَانِ ١٩

(١) أراد بالفار هنا الجماعة . ط : « للفار » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « تفجر » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٣) المسنأة : السد الذى يعترض به القوادى لتنظيم تدفق المياه . وفجر ، تفال بالتخفيف
والتشديد ، بمعنى جملة يتفجر ويسيل .

(٤) الخسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدا ما تحته . وجاء فى معجم
البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالربل قطبها » . وطبها : من قولم :
جاء السيل فطم الركبة : أى دفنها وسواها . ط : « الخسر » بالهاء المسجدة .
وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهى النحلة الصغيرة . س : « النحل والسيل » . صوابه
فى ط ، هـ .

(٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم :
جمع عظام ، وهو ما يوضع حل عظام البعير ليقاد به . وفى الأصل : « حل أفرقة
الركاب والخضر » . وهى عبارة لا معنى . والصواب ما أثبت .

(٧) بوائق : جمع باقعة ، وهى الهامة ، أو الفار .

وَالسُّورَ يُعَدِّي بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) مِنَ الْحَيَاتِ ،
وَالْعَقَارِبِ ، وَالْجِلْعَانِ ، وَبَنَاتِ وَرْدَانَ . وَالْفَأْرَةُ لَا تَنْفَعُ^(٢) لَهَا . وَمَوْتُهَا
عَظِيمَةٌ .

قال : لَأَنَّ السُّورَ لَوْ بَالَ فِي الْبَحْرِ لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلَافٍ سِمَكَةً !
فَهَلْ سَمِعْتَ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أَوْ بِعَمَلَةٍ ، أَوْ بِأُصْحَوَكَةٍ ، أَوْ بِكَلَامٍ ظَهَرَ عَلَى
تَلْقِيحِ هَرَّةٍ^(٣) ، يَبْلُغُ مَوْنُ هَذَا الْاِعْتِلَالِ ؟ !
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ هَذَا مَقْدَارَ عَقُولِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ^(٤) .
وَأَتَشَدُّ أَبُو زَيْدٌ :

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ هَذَا خَالِصًا لَكُنْتُ عَبْدًا آكِلَ الْأَبْرَصِ^(٥)
يَعْنِي جَاعٌ^(٦) سَامٌّ أَبْرَصٌ : أَبَارِصُ .

(١) هذا مجازاة من الجاحظ المجوسى الذى يمارسه .

(٢) فى الأصل : « لَا تَقْعُ » .

(٣) كَذَا . وَالْبَهَارَةُ غَيْرُ وَاضِعَةٍ .

(٤) غلن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لا لعدم الرابط فى الصلة ، ومنهم
الحريرى فى دوة الفروس ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن
حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا :
الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل . فتكون فعلا مرفوعا . وتجاوز أيضاً
أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء
حذفه فى قوله :

فَأَتَفَيْتُهُ خَيْرَ مَسْتَتَبٍ وَلَا ذَاكَ رَافِعٍ إِلَّا قَالِيَا

ينصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين عما قبله . انظر ابن السيد فى

الانتصاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، يعنى الجمع .

(أَرَأَيْتَ أَكَلَ سَامَ أِبْرَصَ وَنَحْوَهُ)

وسامٌ أبرصٌ رُبَّمَا قَتَلَ أَكَلَهُ^(١) ، وليس يُؤَكَّلُ إِلَّا مِنْ الْجُوعِ الشَّدِيدِ .
وَرُبَّمَا قَتَلَ السَّنَانِيرَ وَبَنَاتِ عِرْسَ ، وَالشَّاهْمُرَكَ ، وَجَمِيعَ اللَّقَاطَاتِ^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَبَانٍ فَهُمْ نَعِيجُونَ قَدْ مَالَتْ ظِلَاهُمْ^(٤)
وهو شيءٌ يعرض عن أَكْلِهِ دَسَمَ الضَّبَّانَ ، وهو أيضا يلقي على دسمة^(٥)
النَّعَاسِ . وقد يفعل ذلك الْحَبِيقُ^(٦) ، وَالْخَشْخَاشُ .

[وَالْخَشْخَاشُ] يَسْمَى بِالْفَارَسِيَّةِ « أَنْارُ كَبُورُ » ، وتأويله رَمَانُ الْخَسْرِ .
وإنما اشتقَّ له ذلك إِذْ كَانَ يورث النَّعَاسَ ، كما يورثه الْخَسْرُ .

- (١) يصح قرأتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أَكَلَهُ) و : (أَكَلَهُ) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « اللقافات » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .
(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نَج) .
(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فَإِنْ أَكَلَ لَحْمَ ضَبَّانٍ فَتَقَلَّ عَلَى قَلْبِهِ فَهُوَ نَجَجٌ » . ومن هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طيبة الحلبى ، ولسان العرب (نَج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يَمِجُونَ » ، بالياء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ البيت بما سيأتى من الكلام . والبيج : المتسع البطن .
والضبل ، بالنم : الأضاق ، جمع طلية بالنم . وإنما مالت ظلاهم لما غلب عليهم من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .
(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « دسمة » ، ولعل صوابهما : « يلقي عن دسمة » .

- (٦) الحيق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أَنْار) ومعناه الرمان . ويقال فيه أيضا (نَار) . ومنه (جَلَنَار) بمعنى زهر الرمان . و (جِل) بمعنى زهر =

(أكل السماني)

وأكل الطعام الذي فيه سماني يُورث الثَّوَار . وزعوا أَن صيًّا من
الأعراب فبا مضى من الدهر ، صاد هامة^(١) على قبر ، فظنها سماني ، فأكلها
ففتت نفسه ، فقال :

• نفسي تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانِي الْأَكْبَرِ^(٢) •

(استطراد لنوى)

ويقال : غَتَّتْ نفسه غَثِيَانًا وَغَثِيًّا^(٣) ، وَلَقِستْ تَلَقَّسُ لَقْسًا ،
وَتَمَقَّستْ^(٤) تَتَمَقَّسُ تَمَقَّسًا : إذا غَثِيَتْ^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناساً حَوْلَ نَارٍ
فسألتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوئونها ويأكلونها ،
إِذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجها من الجحر ، فرأيتُه إِذَا

= والثاني (كبر) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كبر ، كبر ، كبر ، كبر) .
وهذه الكلمة محرقة في الأصل . فهي في ط ، هـ : « أباركوا » وفي س :
« أباركو » . واحتجت في تصحيحها على معجمي بالمر وريشاردن .

(١) الهامة : ضرب من اليوم .

(٢) الأكبر : جمع قبر . والخبر في السان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « عثت نفسه غثياناً وغثياً » بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ،

والهمزة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .

(٤) في الأصل : « وتقس » . والوجه ما ألبت .

(٥) س : « عثت » محرف .

امتنعت عليه يعلها كما يحد عصب لم ينضج . فما صرفت بصرى عنه حتى ليط
به (١) ، فما لبت أن مات ، فسألت عن شأنه ، فقيل لى : صجل عليها قبل ١٠١
أن تنضج وتعمل النار فى منها .

(أكل الحوائن للحيات)

وقد كان فى بغداد وفى البصرة جماعة من الحوائن ، يأكل أحدهم أى
حية أشرت إليها فى جونتة ، غير مشوية . وربما أخذ المرأة (٢)
راحته ، فطعمها بلسانه ، ويأكل عشرين عقريانة (٣) نية (٤) بدرهم . وأما
المشوى فإن ذلك عنده عرس (٥) .

(شعر فى الحيات)

وقال كثير :

وما زالت رفاك تسلى ضيغى فخرج من مكانها ضيغى (٦)
وترقيبى لك الخاؤون حتى أجابت حية خفف الحجاب (٧)

(١) ليط به : صرح . وفى الأصل : ليط به ، بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أى مرادة الحية ، أو لعلها : الجرارة هـ : والنواه : عرقه .

(٣) كذا فى الأصل . ولعلها : عقرياً .

(٤) القى بالكسر والمز : اللحم الذى لم ينضج . وفى اللسان : وقد يترك المنزل
ويقلب يده ، فيقال : فى ، مشعداً ، فاهو هنا صواب . وانظر (٣٥٦ : ٥) .

(٥) العرس ، بالضم ويضمين : طعام الرقيقة .

(٦) س : « وخرج » . وفى الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق

فى ص ٢٥٠ .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على طين البجين فى ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن تروان^(٢) الخارجي ، حين [كان] صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثمير :
 حَبِيتْ ثَمِيرًا يَا ابْنَ تَرْوَانَ كَالْأَيِّ لَقَيْتَهُمْ بِالْأَمْسِ : ذَهَلًا وَيَشْكُرًا^(٣)
 كما ظنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي
 جَمِيعِ الْكَوَى ، جَهْلًا ، فِرَاحًا وَأَطِيرًا^(٤)
 فَأَذْخَلَ يَوْمًا كَهْمَهُ جُحْرُ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرُهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)
 أراد قول روبة :

كَنْتُمْ كَنَ أَذْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَمَى الْأَسْوَدَا
 لَوْ مَسَّ حَرْفِي حَجَرٍ نَقَصَّدًا^(٦) بِالْشَّمِّ لَا بِالْمِمْ مِنْهُ قَصْدًا^(٧)
 فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وهذا لا يقوله مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ^(٨)
 صُمِّ الْحَيَاتِ .

-
- (١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو عجينان » ، محرف .
 (٢) في الأصل : « أبا تروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .
 (٣) ط ، هـ : « حببت فيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قبيحان .
 (٤) الكوى ، بالهم : جمع كوة بالهم ، وهي المرق في الحائط .
 (٥) شرشره : قطعه تقطياً .
 (٦) يقال قصده نقصد : أى كمره فكسر . وفي الأصل : « تقصد » ، وتقصد بمعنى سأل لا وجه له هنا .
 (٧) كذا في ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحبر — بالقاف — بمعنى كمره وفي س : « أقصد » ، من أقصدته الحية : بمعنى قطعه مكانه .
 (٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى في الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ وللشراء ٧٩ .

وقال عنترة :

حَلَفْنَا لَمْ وَالْحَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعَا زَايِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا^(١)
عَوَالِي مُمَرٍّ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيرِ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا^(٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي ﷺ : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْنَيْنِ وَالْأَبْتَرَ » .
شَبَّهَ الْخَبِيثِينَ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَوْصِ الْمَقْلِ^(٣) وَأَنْشَدَتْ لَأَبِي ذُؤَيْبٍ :
عَفَّتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لِأَيَّا أُبَيْتُهُ وَأَقْطَاعِ طُفْيٍ قَدَعَفَتْ فِي الْمَاعِلِ^(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بجوارفها . زاييلكم ، أى لا زاييلكم .
فحلف الثاني . وهو جائز مع القم . وفي الكتاب : « تاته تفتت تذكر يوسف »
أى لا تفتت . وقال امرؤ القيس :

فَقَلَّتْ بَيْنَ أَهْلِ أَرْحِ قَاعِدَا وَلَوْ طَلَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالُ
وَانْظُرْ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْخُصْمُ (١٣ : ١١٥) وَأَمَّا الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧)
وَالْأَضْدَادُ ١٤٨ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته .
انظر أساس البلاغة . والموالي ، رموس الرماح . وليس للمنى أنهم ينبسونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بفضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئاً نبحه ، حتى
إنه ينجح السحاب ما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى في الديوان والكمال ١٧٥ ليسك : « هوال زرقاه
فتكون زرقاة صفة للموال ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشبيه الصفاء ،
فكانه امرأة يطبخ فيها لون الساء . والبيتان من قميدة لمترة يقولها في يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عيس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :
أَلَا قَاتِلَ أَهْلَ الطُّلُولِ الْبَوَالِيَا وَقَاتِلَ ذَكَرَاكَ السَّنِينَ الْخَوَالِيَا

(٣) انظر ما أسلفت في ص ٢٩٥ .

(٤) التوى : حفر حول الخيل أو الخيمة بمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
بمعنى المقتطوع . والماعل : جمع معقل ، كيجلس ، وهو المكان تنقل فيه الإبل =

والطقي^(١) : خوص المقل .

وهم يصِفُون بَطْنَ المِرْأَةِ الحَمِيصَةِ البَطْنِ ، ببطن الحَيَّةِ . وهي^(٢)
الآيَم . وقال العجاج :

• وَيَبْطَنَ آيَمٍ وَقَوَّامًا عُسْلَجًا^(٣) •

(مناقضة شعرية)

وقال أدهم بن أبي الزُّعْرَاءِ^(٤) ، وشبَّه نفسه بِحَيَّةٍ :

١٠٢ وما أسودُّ بالباس ترتاحُ نفسهُ إذا حَلَبَةٌ جاءتْ وَيُطْرَقُ لِلْحِسِّ
به نَقْطُ حَمْرٍ وَسودُّ كأنما تنضجُ نَضْجًا بِالْكَحِيلِ وَالْوَرَمِ^(٥)

— أى تشد ، وفق الأصل : « المالف » ودو خطاً ؛ إذ أن البيت من قصيدة
لامية ، مغلها :

لمن طلل بالمتنقى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووايل

انظر السان (طى) ومعجم البلدان (المتنقى) . وروى أيضاً : « فـ
الناقل » ، و : « فى المنازل » كما فى السان .

(١) جمع طقة بالضم ، وتجمع أيضاً على طق بضم ففتح . قال (انظر السان) :
وهم يذلونها من بعد عزها كما تذل الطق من رقية الراق
أى ذوات الطق ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام صلج ، بضم الميم واللام ، أى ناعم ينثى ويميل .

(٤) أدهم بن أبي الزُّعْرَاءِ الطائي ، شاعر محسن ، له أشعار جيدة فى أوصاف الحيات ،
كما ذكر ذلك الأدهم فى المؤلفات والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة .
وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنتهب ، التى كانت فى أيام مروان
ابن محمد آخر خلفاء بني أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط :
« أدهم بن أبي الزُّعْرَاءِ » و س : « أدهم بن أبي الزُّعْرَاءِ » . و هـ : « ابن
أبي الزُّعْرَاءِ » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، هيئة الاصغير : القطران يطل به الإبل ، وهو أسود اللون .
والورس ، بالفتح : نيت يصيغ به ، فيعطى صفرة إلى حرة .

أَصْمُ قَطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبِيلُ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلِطُ الدَّنَسِ (١)
 له منزلٌ ، أَنفُ ابنِ قِثْرَةٍ يَغْتَلِي بِهِ السَّمَّ ، لَمْ يَظْهَرْ نَهَارًا إِلَى الشَّمْسِ (٢)
 يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَرْلُ الْعُقَابِ عَنْ نَفَائِظِهَا الْمَلَسِ (٣)
 بِأَجْرٍ أَمِيٍّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقْتَرِمًا (٤) إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْلَيْسَتْ لَهَا لَيْسَى (٥)
 فَأَجَابَهُ عُنْتَرَةُ الطَّائِي (٦) ، فَقَالَ :

عَسَاكَ تَمْنَى مِنْ أَرَاغِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمِ يُسْنِقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنَظِفٍ (٧)

(١) قطارى ، بالفهم : يقطر منه من كثرتة ، أو ضخم . مختلط الدنس : أى عند اختلاط
 النظام . وروى هذا البيت فى السان (قطر ١٨) منسوباً إلى تأبط شراً برواية :

« بيده غروب الشمس مختلط الرمس »

(٢) ابن قثرة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصفر ، تتلوى ثم تنفز
 ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قثرة » س : « ابن قثرة »
 صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقعد إلى منزل ذلك الأسود
 فتغلى بأنفها السَّم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « هيتاً يشرب بها »
 عباد الله ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهق : الجبال العالية . والنفائف
 جمع نفائف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم
 وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) الميس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدروع والبيضة
 ونحوهما . ط ، هـ : « ليس » صوابه فى س .

(٦) هو عنتر بن عكرمة الطائى ، وهكبة أم أمه ، وهو عنتر بن الأخرس بن ثعلبة .
 وساق نسبته الأدمى فى المؤلف ١٥٢ قال : « شاهر محسن وفارس » . والبيت
 الأقدمين أبيات خمسة فى الحيلة (٢ : ٢٨١) . وفى الأصل : « عنتره الصابى »
 وتصحيحه من المؤلف وشرح للتبريزى الحيلة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر ، أى الله له الشيء : قدره . ولم أر تضعيف هذه التون
 إلا فى هذه الرواية . ورواية الحيلة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .
 « تملك تمنى » . والمتنطف : الموضع ينطف منه السَّم ، أى يقطر . وروى :
 « وأنطف » على وزن أنفل ، قال للتبريزى (٤ : ١٥١) . « وأنفل يوضع موضع
 فعل وقابل » . وتنطف يقال من بهي نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنترة :

أزجو حياة يا ابن بشر بن مُسبر
وقد علقت رجلاك في ناب أسودا
أصمٌ جبليٌّ^(١) إذا غصَّ غصَّةً
تزأيلٌ عنه جلده فبدا^(٢)
يسلح صفاً لم يبدُ للشمس قبلها
إذا ما رآه صاحب اليمِّ أزعدا^(٣)
له ريقَةٌ في عنقه من قيصيه
وسائره عن متنيه قد تقددا^(٤)
وقود ضحياتٍ ، كأن لسانه
إذا سمع الإجراس مكحال أزعدا^(٥)
يُفيت النفوس قبل أن يقع الرق
وإن أبرق الحاوي عليه وأزعدا^(٦)

(١) كلا . ويقال لحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى »
بمعنى فخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أمل جلده فربدا » .

(٣) السلح ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (سلح) : « راكب »
بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للجھول : أصابته الرعدة .

(٤) الريقَة ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام في الفصحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تسمي قنط في الظلام .
والإجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس »
بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمه : ما يكتحل به . وجمل لسانه
كالمكحال في دفته ، وفي سواده أيضاً . ومكحال الأرمه أشد سواداً من غيره ؛
لكثرة ما يستعمل .

ومن طريق ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأما لسانه على فيه دخان مصليح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس طلمب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا
البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية
في ١٦٣ .

(٦) يفيت للنفوس : يميته موت الفجأة . و « يقع الرق » كلا في الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبَغُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ ^(١) وَلَا يَجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةِ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ يَنْبُو، مِنَ الْيَبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ^(٢)
لَوْ سَرَّحْتُ بِاللَّيْلِ مَا مَسَّهَا بَلَلٌ وَلَوْ تَكْتَفُّهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرِّقَاةُ لَهَا وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِيرُوا ^(٤)
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا نَكْرًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذِّكْرُ ^(٥)

= « يصح الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأرعد ، بما يتلو من الزنايم .
(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يبنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ،
ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .

(٢) ربداء : من الرعدة ، وهى الفبرة . شابكة : مشبكة . س ، هـ : « شائكة »
وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س . هـ . وذابلة : دقيقة . ويعرض الحية الدقة عند الكبر
فيكون ذلك أشد لسهها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه فى
ط ، هـ . واليافوخ : ملحق عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : يزلق عنها اللتى للانسبا ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من
جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقى .

(٤) خاتلوها : غادعوها . س ، هـ : « فاقابوا » ، صوابه فى ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد فى ذنبه
كمفقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التماسح : Varanus
والبادى : الذى يمدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتقضله تفصيلا . انظر اللسان

(قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ ط ، هـ : « تنصر » ، س : « تذكر » ، والوجه
ما أثبت . والتكر : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في العظيم

فَمَا فِيهِ مِنَ الْأَعَاجِبِ أَنَّهُ يَغْتَلِي الصَّخْرَ ، وَيَتَلَعُ الْحِجَارَةَ ، وَيَعِيدُ إِلَى ١٠٣ الرُّوْ ، [والرُّوْ] من الحجارة التي توصف بالملاسة ؛ ويتلع الحصى ، والحصى أصْلَبُ من الصَّخْرَ ، ثُمَّ يُبَيِّعُهُ وَيُذَيِّبُهُ فِي قَانَصَتِهِ ^(١) ، حَتَّى يَجْعَلَهُ كَالْمَاءِ الْجَارِي . وَيَقْصِدُ إِلَيْهِ وَهُوَ وَاقِعٌ بِاسْتِمْرَائِهِ وَهَضْمِهِ ، وَأَنَّهُ لَهُ غَدَاءٌ وَقِيَامٌ . وَفِي ذَلِكَ أَعْجُوبَتَانِ : إحداهما التَّغَلُّي بِمَا لَا يُتَغَلَّى ^(٢) بِهِ . وَالْأُخْرَى : اسْتِمْرَاؤُهُ وَهَضْمُهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَوْ أَلْقِيَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ طَبِخَ أَبَدًا مَا انْحَلَّ وَلَا لَانَ . وَالْحِجَارَةُ هُوَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ فِي الشَّدَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

• حَتَّى يَلِينُ لِيُفْرِسَ الْمَاضِغَ الْحَجَرُ •

وَقَالَ آخِرُ ^(٣) :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ تَنْبُو الْخَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْعُومٌ ^(٤)
وَوَصَفَ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ ^(٥) بِالشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ ، فَقَالَ : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ ، وَقَالَ فِي التَّشْدِيدِ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ^(٦)

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ قَانَصَةٍ » .

(٢) يَذَلُّهُ فِي س : « بِمَا لَا يَفْطَرُ » .

(٣) هُوَ تَمِيمُ بْنُ أَبِي مَقْبِلٍ ، كُنَى فِي دِيْوَانِهِ ٢٧٣ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْغَنَى ٢٢٧ .

(٤) الْحَجَرُ الْمَلْعُومُ : هُوَ الْمَجْمَعُ الشَّدِيدُ .

(٥) هُمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ . انْظُرِ الْآيَةَ الرَّابِعَةَ وَالسَّابِعِينَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٦) وَقَعَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي النَّسَخِ الثَّلَاثِ . فَقِي ط : « النَّارُ » وَفِي س ، هـ : « نَارُ » . وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ السَّادِسَةُ مِنْ سُورَةِ التَّحْرِيمِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَطِيعُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَصْنَعُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » . وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَيْضًا : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » . الْآيَةُ ٢٤ .

لأنه حين حذر الناس أعلمهم أنه يلتقي العصاة في نارٍ تأكلُ الحجارة .
ومن الحجارة ما يتخذهُ الصفَّارون^(١) عَلاَةً^(٢) دونَ الحديد ، لأنَّه
أصبرُ على دقِّ عِظامِ المطارقِ والْفِطْطِساتِ^(٣) .
فجوفُ النِّعامةِ يُذيبُ هذا الجوهَرَ الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرِّمَّة :

أَذَاكَ أُمُّ خَاظِبٍ بِالسَّيِّئِ مَرْتَعُهُ أَبُو ثَلَاثِينَ أَمْسِي وَهُوَ مُنْقَلِبٌ^(١)
شَخَتْ الْجَزَارَةُ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ مِنَ الْمُسَوَّحِ خِدْبٌ شَوْقَبٌ خَشْبٌ^(٢)

(١) الصفَّارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفرة ، وهو بالغم ، النعاس الجيد أو
الأصفر . ط ، هـ : « الصانفون » ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن الساق يأبي ماقط ، هـ .
(٢) العلاءة : بالفتح : السنان ، هـ وبالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .
(٣) جمع فطيس ، كسكت ، وهى المطرقة الضخيمة . ط : « للفطيسات » س :
« الفطيسات » ، صوابها ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب :
الظلم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى يكسر السين يفتحاً ياء
مشددة : ما استوى من الأرض . وجهه فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان
(سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأما القتال (٣ : ١٦٤) ودويان ذى الرمة
ص ٢٨ كبرجد . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرساً . والنعام يبيض نحو العشر فا
فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حُسن أبطناً فعرف ما يصلح للبيض وما يقصد ،
فهو حينما ينتهى من الرعى يرحل إلى أدحمته . وقال : أمسى : ليحمر من جده
فى الحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رمى فاشتدت قوته .
منقلب : متصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابها فى س والمخصص والأماي
والديوان . ط : « رتمة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو
منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقق القوائم . والجزارة ، بالغم : أجرة الجزارة ، كالمعاملة أجرة
العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَانَ رَجُلِيهِ يَشْمَاكَانِ مِنْ عَشْرِ صَقَبَانِ لَمْ يَنْقَشَرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ^(١)
 الْهَادِءُ وَتَشْوِمٌ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرْوِ ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ^(٢)
 وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ :

وَالْمَرْوُ يُنْقِيهِ إِلَى أَمْعَانِهِ^(٣) فِي سِرْطَمٍ مَادَ عَلَى التَّوَاتِهِ^(٤)

= البيت ، هو القيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول طلحة بن عدي :

سمل كان جناحيه وجوزؤه بيت أطافت به عرقاه مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والنجب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ عشن . ط : « حطب » صوابه في س ، هو والديوان والكمال ٤٤٩ ليسك .

(١) المساك : عود يكون في الأنبله . والمشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو . صقبان : طريلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجله كالمسكين الطويلين الخشتين . وفي الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجب التعريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم ينشر » صوابه في س ، هو والديوان .

(٢) الآه : شجر له ثمر يأكله النعام . والفتوم : شجر له حل صفار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقة ثم تحولت إلى الحمض عقة أخرى ، أو العكس . أى هو يمد أن يأكل طين يحمل عقيقه من لائح المرء . والمرء : الحجارة البيض . واللائح : اللاص .

(٣) المرء سرقياً . في الأصل : « والمرء » ، تصحيحه من حيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأعلاء : جمع مئى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معاته » ، تحريف ما أثبت من حيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجسفر : اليلوم . في الأصل : « سرط » وصوابه من حيون الأخبار . ماد اليلوم : مال واضطرب . في الأصل : « عار » ويصح بها المعنى ، لكن يتركبها الرجز لما ساقى في البيت يعلفه . وفي حيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . حل التواته : أى سبب التواء بلعوم هذا الظلم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ ^(١) تَمُجَّ الْحِجَرُ فِي غَشَائِهِ ^(٢)
 . هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِمُحَوَّلَاتِهِ .

(إذابة جوف الظلم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظُّلْمِ إِنَّمَا يُذِيبُ ^(٣) الْحِجَارَةَ بَقَيْطِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ
 أَخْطَأَ . وَلَكِنْ لَا يَذُومُ مَقْدَارَ الْحَرَارَةِ [و ^(٤)] نَحْوَ غَرَاوِزٍ أُخْرَى ، وَخَاصِّياتٍ
 أُخْرَى . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالَى ، لَا تَنْوِبُ .

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وَسَادُّكَ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْخَاصِّياتِ وَالْمَقَابِلَاتِ وَالْغَرَاوِزِ حَقٌّ . أَلَا
 تَرَى أَنَّ جَوْفَ الْكَلْبِ وَالذَّبِيبِ يَذِيبَانِ الْعِظَامَ وَلَا يَذِيبَانِ نَوَى الْفَرِّ ،
 وَنَوَى الْفَرِّ أَرْخَى وَأَلْيَنُ وَأَضْعَفُ مِنَ الْعِظَامِ الْمُصْمَتَةِ . وَمَا أَكْثَرُ مَا يَهْتَمُّ

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والفسير للبرو . ط ، س : « تمر » هـ :
 « يمر » صوابها من الخضم (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت
 بما بعده . والعلواء ، بالكسر : صعب المتق . في الأصل : « عليائه » بالياء ،
 والوجه ما أثبت موافقاً لما في الخضم .

(٢) التمج : التلوي . ورواية الخضم (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمج » بتقديم
 العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جأده الذى يسلكه . والحية
 يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد في حلق الظلم كحركة الحية حين تضطرب
 في حلقها قبل تمام انبلاعه . في الأصل : « عشاء » صوابها من الخضم .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً في وصوله إلى حوصلة الظلم ، فهو هادٍ بها في
 آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، هـ : « جاد » بحركة . س : « حاد » .
 والأدق ما أثبت من الخضم (٨ : ١٢٢) . و « بمحوصلاته » : أى هو
 مهتد بمحوصلته ، كأنها علم له . ورواية الخضم والقصور ٦٧ : « لمحوصلاته » .

(٤) ط . هـ . « تذيب » ، صوابها في س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

١٠٤ العظيم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضم اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام .
والبراذن التي يُحِيلُ^(٢) أجوافها القَتَّ والقَبَنَ^(٣) رَوْنًا ، لا تستمرى الشعر .

والإبلُ تقبضُ بأسنانها على أغصانِ أمَّ غَيَّالَن ، وله شوكٌ كصياحي البقر^(٤) ، والقَضْبَانُ علكة^(٥) يابسة جرد ، وصلاب متينة ، فستمرُّها^(٦) وتَجْعَلُهَا ثُلُطًا^(٧) ولا تقوى على هضم الشعر المنقع . وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات .

وقد قدَّر كلُّ شئٍ شئًا . ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموسَ يهرُبُ إلى الانفاس في الماء مرَّةً ومرَّةً بتلطُّخ بالطين ، ومرَّةً يجعله أهله ريثَ الدكان^(٨) . ولو دفعوا إليك مسكَّةً شديدة المَن ، كما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد أن شكَّلفَ ، وإلاَّ يَبْغَضُ الاعتقاد .

والذي سخرَ جلدَ الجاموس حتى انفردَ وانصدع لطفنة البوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القنطة من اللحم ، جمعها بضم الفتح ، وكتب ، ومخاف ، وتمرات .

(٢) في الأصل : يحيل .

(٣) القَت : يابس النصفصة ، والنصفصة ما يعرف في مصر بالبرسم . في الأصل : « أَلَقَت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياحي البقر : قرونها ، مفردتها عيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرُّها » .

(٧) الثلُط ، بالفتح : الروث . س ، هـ : « ثلُكا » صوابه في ط .

(٨) الريث : المحبوس . وفي الأصل : « حل ريث » وهذا الصحيح لأب أنثاس .

وسخر^(١) جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخر الحجارة لجوف الظلم ،
والصخر لجوف الكلب - هو الذى سخر الصخر للصلب لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تلتقي بيضا ، فإنها فى تلك الحال متى عقدت ذنبا فى ضاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصدعها من جهة الأسر^(٣) ، ومن قوة
الآلة^(٤) ، ومن الصدم^(٥) وقوة الغمز ، لانصدعت لما هو فى الحس أشد
وأقوى . ولكنه على جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الحلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبت
فى عمق الأرض ، وتلقاه الآجر والحزف الغليظ ، ثقب ذلك ، عند نباته
وشبابه ، وهو فى ذلك عبقر نصير .

وزعم لى ناس من أهل الأردن^(٧) ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرقت
جوف القار^(٨) .

وزعم لى أبو عتاب الجزار^(٩) ، أنه سمع الأكرة يخبرون أنهم وجدوه
قد خرقت فلسا^(١٠) بصريا .

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « ضاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الآلة » .

(٥) ط ، هـ : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « وللك » .

(٧) لقار : القرف . ط : « القار » س : « عار » كذا . صوابه فى هـ .

(٨) ط : « الجزار » وأثبت ما فى س ، هـ . وانظر ما سبق فى (٣ : ٢٤) .

(٩) القفس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب

انتاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد قطع
فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملاقة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقطُ في حانوت الصَّيقل ^(١) فتذيب السيوف بطبعها ^(٢) ، وتدع الأغماد على شيءٍ عالها . وتسقطُ على الرَّجل ومعه الدراهم فتسبك الدراهم ، ولا يصيب الرَّجل أكثرُ من الموت .

والبحريون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصَّواعق ^(٣) ، لا يدعون في محوون ^(٤) دورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصَّفر إلَّا رفعوه ، لأنها عندهم تنقصُ من أصل مغارجها ، على مقدارٍ من عاذاة الأرض ، ومقابلة المكان ، فإذا كان ^(٥) للصَّفر لها صاحياً ، عدلتُ إليه عن سَنها ^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النَّوى ^(٧) في مُرابِ المتوضأ ، فإذا صُبرجَ نبت ^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإنَّ قُبَره ، وجعلَ غِلظه بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النَّوى حتَّى يخرج ذلك القار .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلازها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « منها الصواعق » .

(٤) حصن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل : « كالت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنها » . والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صبرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أحلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصاروج » ، صوابه في س ، هـ .

ولورام رَجُلٌ خَرَقَهُ بِمَسَارٍ أَوْ مَكَّةَ^(١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذى سَخَّرَ هذه الأمور القويَّة في مذهب الرأى وإحساس الناس ،
هو الذى سَخَّرَ القُصَمَ ، والطَّيِّجَ ، والمرجَل ، والطَّسْتَ ، لإبرة العقرب .
فما أحصى عَدَدَ مَنْ أَخْبَرَنِي مِنْ^(٢) الحَوَائِثِ ، مِنْ أَهْلِ التَّجَارِبِ ، أَنَّهَا رُبَّمَا
خَرَجَتْ مِنْ جُحُومِهَا فِي الْأَيْلِ لَطَلَّبِ الطَّعْمِ^(٣) ، وَلَهَا نَشَاطٌ وَعُرَامٌ^(٤) ،
فَتَضْرِبُ كُلَّ مَا لَقِيَتْ وَلَقِيَهَا : مِنْ حَيَوَانٍ ، أَوْ نَبَاتٍ ، أَوْ جَادٍ .

وَزَعِمَ لِي خَاقَانُ بْنُ صَبِيحٍ - وَاسْتَشْهَدَ الْمُنْتَى بْنُ يَشَرَ ، وَمَا كَانَ
يَحْتَاجُ خَبْرَهُ إِلَى شَاهِدٍ ، لَصَدَقَهُ - أَنَّهُ سَمِعَ فِي دَارِهِ نَقْرَةً وَقَعَتْ عَلَى قُفْمٍ
- وَقَدْ كَانَ سَمِعَ بِهَذَا الْحَدِيثِ - فَهَضَّ^(٥) نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَإِذَا هُوَ بِعَقْرَبٍ
فَعَاوَرَهَا هُوَ وَالْمُنْتَى بِنَعَالِمَا^(٦) حَتَّى قَتَلَاهَا ، ثُمَّ دَعَا بِمَا وَفَصَبَّاهُ فِي الْقُفْمِ
فِي عَشِيَّتِهِمَا ، وَهُوَ صَحِيحٌ لَا يَسِيلُ مِنْهُ شَيْءٌ .

فَنَ تَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَصْرِفْ بَلَدِيًّا^(٧) تَعَجُّبَهُ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المخرات ط : سلة ، وأثبت ما في
س ، هـ .

(٢) في الأصل : « من » .

(٣) ط : هـ : « الطعام » ، وما أثبت من س أشبه بلفظ الجلسط . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدَّة . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ،
فهي في ط : س : « غرام » و هـ : « مزام » .

(٥) هـ : « فهاض » ، صوابه في ط : س .

(٦) القماور : القملول والقناوب . س : هـ : « بملهما » وهو وجه جائز ، وأثبت
ما في ط .

(٧) بلدا : أى يهدأ وأولا . وجاء في س : « يهدأ » .

تقذفه بنفخها^(١) العُربُ في بَدَنِ الإنسانِ والحُميرِ والبغالِ ، فليُفَكِّرْ^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل السُّكْرِ^(٣) أنهم وزنوا جَرَّارَةً^(٤) بعد أن السَّوَّها^(٥) فوجدوا وَزَنَها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المَقْذُوفُ من شكل [الشيء] الحارِّ ، فلم قَصَّرَتِ النَّارُ عن مَبْلَغِ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قَصَّرَ الثلج عن مَبْلَغِ عمله ؟ ! فقد وَجَبَ الآنَّ أنَّ السَّمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وَجَدْنَا فيها أردنا شيئاً بلغ مَبْلَغَ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أنَّ جَوْفَ النَّعَامَةِ ليس يُذِيبُ الصَّخْرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنَّه لا يَدُّ على كُلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصِّياتٍ أُخَرَ ، ليست^(٦) بذاتِ أسماها ، ولا تعرفُ إلَّا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « يدخا » س : « يدخا » . ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح القاء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارَات : « وهي تكون بـسكـر مكـرم وجندوسابور » . وقال الديلمي عند ذكر الجرارَات : « وهي مغارب صفار صفر على مقدار ورق الأنجلان . وتكون بـسكـر مكـرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارَات . وهي ضرب من المغارب صفار تجر أذناها وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) السَّوَّها : أي مكتوها من لح حيوان . ط ، هـ : « السَّوَّها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف :
الحذ . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

وزعم المند أن السم إنما يقتل بالقرابة ، وأن كل شيء غريب
خالط جوف حيوان قتلته . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون
غريباً إذا لاقى المصّب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس
بقتل إلا بالجنس ، وليس تحسّ النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت
جسمهما إنما يميته لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢)
لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقليل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان
إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمداً لم يجاوزا مكانهما - لكانتا^(٣) ١٠٦
من القوائيل بالقرابة .

وهذا القول دعوى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت
للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء
تلك الكتب على وجوه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة
بعد أمة ، وعمرها بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « عين » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صيغة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسه » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) نلها : « وقده » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يتعلموا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب
الظلم .

باب آخر

وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعهُ الجمرَ حتى يتقدَّ إلى جوفه ، فيكون جوفه هو العامل
في إطفائه ، ولا يكون الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظم - وكنا لارتباب
يحديثه إذا حكى عن صناع أو عيان - أنه شهد محمد بن عبد الله ، يلقي
الحجر في النار ، فإذا عاد كالجمر قذف به قدامه ، فإذا هو يتلعه كما يبتلع
الجمر . وكنت قلت له : إن الجمرَ سخيْفٌ سريعُ الانطفاء إذا لقي
الطوباء ، ومتى أطبقَ عليه شيء يحولُ بينه وبين النَّسيمِ خمد ، والحجر
أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقلُ ثِقَلًا ، وألزقُ لزوقاً
وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع
الأولى فارتبَّت به ، فلما ثنى وثلثَ اشتدَّت تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت
أواني الحديد ، ما كان منها رُبْعٌ رطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ،
فقلت : هذا أعجبُ من الأول والثاني ، وقد بقيتُ علينا واحدة ، وهو أن
ننظر : أيسْتَمْرَى^(١) الحديدُ كما يستمرى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

(١) يستمرى : يستقيم . وأصلها الحذر .

وأصحاب الخرق^(١) أن نتعرف ذلك على الأيام . وكنت عزمت على ذبحه
وتفتيش جوفه وقانصته ، فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً
فعمد بعض زلمائه إلى سكين فاجسى ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز
أعلى حلقه حتى طلع طرف السكين من موضع مذبحه ، ثم خر ميتاً .
فمنعنا بحرقه من استقصاء ما أردنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفي النعامة أنها لا طائر ولا بعير . وفيها من جهة المنسم [والوظيف^(٢)]
والخرمة^(٣) ، والشق الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الریش والجناحين
والذنب والمنقار ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها
إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى
الوليد^(٥) . وسماها أهل فارس : « أشتر مرغ^(٦) » ، كما هم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

(١) الخرق ، بالفم : الحق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستند الذراع والرجل من الخيل والإبل . وعلمه الزيادة من س .
(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفي كل أنف غمرات ثلاث ،
ثنتان خارجتان من العين واليسار ، والثالثة الورة التي بين المنخرين . ط :
« الخرمة » ، وهي بالكسر : ما يوضع في غرمة الأنف ، وليست مرادة . س ،
هـ : « الخرمة » ، صوابه ما أثبت . وانظر المقد (٦ : ٢٢٧) .

(٤) البيض ، ككتيب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والبيارة محرفة
في الأصل . في جمع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة
« الطائر » في كل من ط ، هـ : « حلقها » ، وفي س : « حلقها »
وهو تحريف جده مضلل ، وقد هداني إلى تصحيح البيارة ، ما تقتضيه المقابلة بين
هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالفم وكسر : جمع والد بمعنى والدة . وفي اللسان : « وشاة والدة
ورلود : بيضة للولاد . ووالد ، والجمع ولد . وانظر تلج العروس . ط ، هـ :
« الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهزنة والهاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهزنة ونقل =

(شعر في شبه النمامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحشَايا تصير إلى الخَيْثِ من المَصِيرِ^(١)
ومثلُ نَعامةٍ تُدعى بعيراً تعاضلُها إذا ما قِيلَ طَيْرِي^(٢)
فإن قيل أحمِلُ قالت فُلَانِي مِنْ الطَّيْرِ المُرْبَةِ بالوُكُورِ^(٣)
ثمَّ هجا خالداً^(٤) فقال :

وكنْتَ لَدَى المَغْبَةِ عَيْتَرٌ سَوٌّ تَصُولُ ، من المَخَافَةِ ، للزَّيْبِ^(٥)

= الفسمة إلى الشين : منناه البعير . ومرغ ، بالضم : منناه الطائر .

(١) جعله من يلازم الفراش ، ويقعد مما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث علي
« من يملأ من هؤلاء الضباطة ، يتخلف أحلمهم يتقلب على حشايه ! » .
وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يتسرع غور الحشاي من يمنه
وشاله » . الثور : البيت . « قصير » هي في الحيوان (٧ : ٢٥) والبيان
(٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاضلها : أي ادعاؤها اللحظة والقوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك
في الجزء السابع ، والبيان ، وأصل صيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الرافض
(٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاضينا » كما هي عند الحميري . وروى في اللسان
(مادة نم) : « تعاضله » ، أي تعاضم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكرة : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسري . وروى الجاحظ في البيان (١ : ١١٢) بيتين
ليحيى بن نوفل في هجاء خالد بن عبد الله القسري :

هل القسري أول من خوف ومن وهل واستطعم المساء لما جدَّ في الحرب
والحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرة ، وهو متنبئ مخرج
في إمارة خالد بن عبد الله القسري ، وكان يقول بإلاهية علي ، وتكفير أبي بكر ،
وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي . وعظف به خالد بن عبد الله آخر
الأمر ، فأمرته وأحرق أصحابه في سنة ١١٩ من الهجرة . والبعير : الحمار الوحشي =

لأعلاج ثمانية وعِشْرَ كبير السنّ ذى بصيرٍ ضَرِيرٍ^(١)
 هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعُمُونِي شَرَاباً ؛ ثُمَّ بُلَّتْ عَلَى السَّرِيرِ^(٢)
 وإنما قيل ذلك في النّعمة ؛ لأنّ النَّاسَ يَضْرِبُونَ بِهَا المِثْلَ لِلرَّجُلِ
 إذا كَانَ يَمُنُّ بِعَيْلٍ فِي [كُلِّ] شَيْءٍ يَكْلِفُونَهُ بِعِلَّةٍ ، وإن اِخْتَلَفَ ذلك
 التَّكْلِيفُ ، وهو قولهم : « إِنَّمَا أَنْتَ نِعْمَةٌ ، إِذَا قِيلَ لَهَا أَحْمِلِ قَالَتْ : أَنَا طَائِرٌ ،
 وَإِذَا قِيلَ لَهَا طَبِىْ قَالَتْ : أَنَا بَعِيرٌ » .

(قصة أذنى النّعمة)

وترعّم الأعرابُ أنّ النّعمةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرَيْنَ ، فرجعت مقطوعةً
 الأذنين ؛ فلذلك يسمونه « الظلم »^(٣) ، ويصفونه بذلك .
 وقد ذكر أبو العيَالِ^(٤) المُلْتَمِ ذلك ، فقال :

= جملة عند ملاقاته المغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعه شدة الجبن والذعر إلى
 أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من
 طباع العير . والبيت معروف في الأصل وفي البيان أيضاً . فهو في الأصل :
 « حيدسوه فتصول من الخافة للزئير » ، وفي البيان : « تبول من الخافة للزئير » .
 وصوابهما ما أثبت .

- (١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . وللمرهباني حديث من هذا البيت في الموشح ٢٣٥ .
- (٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق في (٢ : ٢٦٧ ص ١٠) والحواشي .
- (٣) الظلم ، أي المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سبق في ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء
 في هذا قول بشار : كافي محاضرات الرافض (٢ : ٢٩٨) :
 وكنت كالخيط غدا يبتنى قرنا فلم يرجع بأذنين
 وانظر مع هذا التفتيل في آخر الجزء .

- (٤) أبو العيَال ، شاعر من شعراء حنظل ، مختصرم ، أدرك الجعلدية والإسلام ،
 وأسلم فيمن أسلم من حنظل ، وعمر إلى علاقة معاوية . الأغاني (٢٠ : ١٦٧) .
 الجعسى : « كان رجلاً من حنظل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر
 والآخر يقال له أبو العيَال بن أبي خنير . فبينما ابن أخ لأبي العيَال قائم عند قوم =

وإِخَالٌ ^(١) أَنْ أُنْحَاكُم وَعِتَابُهُ ^(٢) إِذْ جَاءَكُمْ بِمَعْطَفٍ وَسُكُونٍ ^(٣)
يُمَيِّسِي إِذَا يُمَيِّسِي بَيْطَنَ جَالِعٍ صَفَرٍ وَوَجْهِ سَاهِمٍ مَذْمُونٍ ^(٤)
فَغَدَا يَمُتُ ^(٥) وَلَا يُرَى فِي بَيْطَنِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مُوزُونٍ ^(٦)
أَوْ كَالنَّعَامَةِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْنِهَا لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أَذِنٍ ^(٧)
فَاجْتَنَّتِ الْأَذْنَانِ مِنْهَا فَانْتَشَنَّتِ صَلَاحٌ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ ^(٨)

- ينتظرون إذا أسباه بهم فقطه . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع اللقوم الذين يتخاصمهم ، وخاف أن يمينهم عليه .
وقد قال بدر بن عامر يرى نفسه عاقيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار المهذلين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجلوا عدة مرات . انظر أشعار المهذلين ص ١٣٦ .
وهذا الشعر الآخر هو المجاورة الخامسة من أبي العيال المهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذئبك الرجلين المهذلين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو الياس » وصوابه ما ذكرت .
(١) س : « وأحاك » ، صوابه في ط ، هـ وبقية أشعار المهذلين .
(٢) في الأصل : « وعتابة » ، تصحيحه من بقية أشعار المهذلين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جلكم متطافا ساكتا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .
(٤) ط : « يمسي إذا يمسي » صوابه في س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : التلألؤ للشيء لاطمأ فيه . ساهم : ضئير مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه غضب وليخفهم عن سبوه وتفريده .
(٥) يمت : يرى حل سمته وجلده مثل الدخن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار المهذلين . والرواية فيه : « فيرى يمت » .
(٦) مِثْقَال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مِثْقَال حبة خردل من طعام . وجهه موزوناً مبالغة منه وإظهاراً للمعنى .
(٧) يثير أذنين : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، وجهه ما أثبت من بقية أشعار المهذلين .
(٨) اجتنت : قلمت من أصلها . والصلحاء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للمصفور)

ويقولون : ذهبَ الغرابُ يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ المَصْفُورِ ^(١) ، فلم يَتَعَلَّمْهَا ، ونَبِىَ مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يَحْجُلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ المَصْفُورِ ^(٢) .

(مثنى طوائف من الحيوان)

والْبُرْغُوثُ والجُرَادَةُ ذاتُ قَفْزٍ ، ولا تَمْشِي مِشْيَةَ الدَّبِّكَ والمَصْفُورِ والْبَازِي ، ولكن تَمْشِي مِشْيَةَ المَقِيدِ أو المَحْجَلِ ^(٣) [خِطْفَةٌ ^(٤)] .

قال أبو عمران الأعمى ^(٥) ، في تحوّل قضاة إلى قطّان ^(٦)

(١) الشعر الذي رواه الديلمي يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشي مشية نيسا مثنى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشي مشيا فأصابه ضرب من العقاب
فأفل مشيه وأعطى مشيا فذلك سموه أبا المرقال

(٢) هي مصيعة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بهم فتحة خفيفة — وقفوزاً .
والأسيب والأعراف : نقز المصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « المحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهي في أصلها : « خلقتة » .

(٥) كذا في ط ، هـ ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد
كما في كتاب المقيّة والبردة لأبي حنيفة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاة ، هو قضاة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في ابن .
انظر الماروف ص ٢٩ . وقد وضع ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة
ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من ابن ، فلما توفي
والد قضاة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فبنوا حيلة
وتكنى به ، فنسب إليه ، لئى إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقة
فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .
وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الحجان الأزهر قضاة بن مالك بن حير =

عَنْ نَزَارٍ (١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ فَمَارَقُوا أَلْ حَلِيطَ فَلَا عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كَتَارَكَ يَوْمًا مِشْيَةً مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى فَمَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يُحْجَلُ (٢)

(عظام النعامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنها مع عظم عظامها ، وشدة عدوها ، لا مخ فيها .
وفي ذلك يقول الأحم الهليلي :

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ (٣) زَغْخَرِيٌّ لَا سَوَاعِدِ (٤) ظَلَّ فِي شَرِّ طُيُولِ (٥)
يعنى ظليماً شبه [به (٦)] عدو فرسيه . والحِثُّ (٧) : السريع . والشَّرَى :

= النسب المعروف غير المنكر في الحجر للقوش تحت المنبر

وقال الكيت يعتب قضاة في انتسابهم إلى النبي :

عَلَامَ نَزَلْتُمْ مِنْ غَيْرِ فُقِرَ وَلَا ضَرَاءَ مَنَزَلَةِ الْحَمِيلِ

والحميل : السبي يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أي عن إخوانهم نزار بن معد بن عدنان . وفي الأصل : « بن نزار » وليس
شيئاً ؛ فإن قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ؛ بالكسر : الهيئة من المشي . وقد فصل بين المتضامتين بالطرف ، وهو
جائز . وفي الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى »
أي لمشية أخرى . وانظر العقدة والبررة لأبي عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حَت ، بجاء مفتوحة بهما تاء مشناة . وفي الأصل : « حث » بالثناة ، وهو
وهم وتحرير ، صوابه من اللسان (حث ، زغر ، برى) وحاملة البحرى
٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » بخرير .
(٤) لَزَغْخَرِيٌّ : سيفره الجاحظ . س : « زغري » ، صوابه بالزاي كما أثبت .

(٥) تَقَرَّأَ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالفم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جني
« يريد أنهم إذا كن طوالاً سترته فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لرح بصره ،
وطابت نفسه ، فخفض علوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ ، و : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالثناة . انظر التثنية الثالث .

الحنظل . وبرأيه : قوته على ما يبريه من السير^(١) . والسواعد : مجارى عظمه
في العظم وكذلك مجارى عروق الضرع ، يقال لها السواعد .
قال : ونظن أعمأ قيل لها ذلك لأن بعضها يسعد^(٢) بعضاً ؛ كأنه من
التعاون أو من المواسة^(٣) .

قال : والرمخري : الأجوف . ويقال : إن قصب عظم الظلم لا مخ
له . وقال أبو النجم :

• هار يظلُّ المخُّ في قوائِه^(٤) •

وواحد السواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخُّ إلا في المبرقة^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفي بعض عظامه مخٌ يسير . وكذلك المخُّ قليلٌ في عظام الخنازير ،
وليس في بعضها منه شيء البتة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومن أعاجيبها أنها مع عظم يبيضها تكثُرُ عدد البيض ، ثم تصح
بيضها طويلاً حتى لو مددت عليها خيطاً لما وجدت لها منه^(٦) خروجاً عن
الأخرى ، تعطى كل بيضة من ذلك قسطه . ثم هي مع ذلك ربما تركت

(١) ذهب ابن سيده في تفسير هذا البيت إلى أن «حت البراية» بمعنى نمت البريش
لما ينقض عنه عظامه من الربيع . والبراية : الخناقة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعد بمعنى أحياه . وفي ط ، هـ : «يساعده» ، وأثبت ما في س .

(٣) ط ، هـ : «المساواة» ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) في القريظين (٧٧ : ٢) : «هار تضل الطير في قوائِه» .

(٥) أي النظام المبرقة .

(٦) أي من الخيط . وفي الأصل : «منها» .

يبيضها وذهبَت تلتمسُ الطعام ، فتجدُ بَيْضَ أُخْرَى فحَضَنَهُ . وربما حَضَنْتْ
هذه بَيْضَ تِلْكَ ، وربما ضَاعَ البَيْضُ بينهما .
وَأَمَّا عَدَدُ بَيْضِهَا وَرِثَالِهَا فَقَدْ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

أَذَاكَ أُمُ خَاضِبٍ بِالسَّيِّ مَرْتَعَهُ أَبُو ثَلَاثِينَ أُنْثَى وَهُوَ مُتْقَلِبٌ^(١)
وَفِي وَضْعِهَا لَهُ طُولًا وَعَرْضًا عَلَى خَطٍّ وَسَطَرٍ ، يَقُولُ^(٢) :
وَمَا بَيَّضَاتُ ذِي لَيْدٍ هِجَفٍ سَقِينِ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٣)
وُضِعْنَ فَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعْ جَنِينَا^(٤)
بَيْتٌ يَحْفَهُنَّ بِعَرَفَقِينِ وَيَلْحَقُهُنَّ هَفْهَافًا ثُنِينَا^(٥)

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : وَأَخَاكَ . هـ : بالسَّيِّ ط : بالسَّيِّ .
وكل ذلك محرف . س ، هـ : « وهو متقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحر اليامي ، كما سيأتي في ص ٣٤١ والكامل ٢٥
ليسك وحيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) حتى بالبد هنا الريش . والهجف ، بكسر الفتح : الطويل الضخم . أو اللسن .
ط ، هـ : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والخصص
(٨ : ٥٥) . والزاجل ، يفتح الجيم ، ويقال بالهز أيضاً : مايسل من مؤخر
الظلم على البيض إذا حضته . س : « بداجل » ، صوابه في ط ، هـ والخصص
واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى
يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجبان : البيض اللون .
ولفظه بكسر الهاء يقال لواحد والجمع . و لم تقرع هـ هكذا جاءت في الأصل ،
ورواية البرد : « قد وسقت » ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه
هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذواي حرة أماء بكر هيجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك اليوم ثم التصریف . ثم إن العلامة المرسى وهم أيضاً في شرح
هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل ١ : ١٤٧) فجمله في صفة نوق ، وإنما
هو في صفة بيش التام .

(٥) لحقه ، من باب منع : غطاه بالحاف . ههفاها ، يعنى به الجناح . ونجينا : أى «

وقال الآخر (١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ فِي مَرَاقِبِهَا قُتِلَ صِلَابٌ مِيَاسِيرٌ مَعَاجِلُ (٢)
يَدَا مَهَاةٍ ، وَرِجْلَا خَاصِبٍ سَتَقِ كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولُ (٣)
هَيْتِي هِجَفٌ وَزَفَانِيَّةٌ مَرَطَى زَعْرَاءُ ، رِيشٌ جَنَاحِيهَا هَرَامِيلُ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

بيتٌ يحفهن برقيقها ولحفهن هفهافا فحينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضائر راجعة إلى الظلم . ورواية السان في مادة .
(هف) : « بيت يحفهن بقققيه » . وفي مادة (قف) : « ظلل يحفهن بقققيه » .
وتققفا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشيخ ، من قصيدة له في ديوانه ٧٧ - ٨٢ مملها :

بانت سماء فطمع العين ملول وكان من قصر من عهدا طول

(٢) تهوى بها : أي تفرح . والتفسير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات :
المشعومات ، يعني أن أذرعها مشعومة بمراقفها . وقيل : جمع أفنل وفنلاء ، بمعنى
منتجة شديدة . ط ، هـ : « ملزمات » ، س : « مكربات » ، وهما تحريف .
ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاصب : الظلم احمرت ساقه . والسق : الذي أصابه
السق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب
طعام منه لتمام . يقال جنى التمريحيته جنى ، بالتحريك . والخنلول ، هو الفصيل
يحمل في لسانه حرد لينعه من الرضاع . جميل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، مما
شبع ، كالفصيل الخنلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل
تحريفاً كبيراً ، ففي الأصل : « أشقى » موضع « سق » ، والأول لا وجود
لها في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » هـ : « من حناه »
صوابه في ديوان . س : « ملول » صوابه في ط ، هـ والديوان .

(٤) الميق : الطويل . والمجف : الطويل النخم . وفي الديوان والسان (هرمل)
والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والمزف : السرج . والزفانية ، بالكسر
كأن في القاموس (زف) - السريمة . ط ، هـ : « زفانية » س : « زفانية » .
مخرتان . وبسببت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ،
بفتحات : السريمة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في المخصص والسان .
(هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات .
وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والمخصص والسان .

كأنما مُثني أفاعٍ ما حصرت من الغفاه بليتها ثأليل^(١)
 تروحا من سنام المرق فالتبطا إلى القنات التي فيها المداخيل^(٢)
 ١٠٩ إذا استهلاً بشؤبوب فقد فعلت بما أصاباً من الأرض الأفاعيل^(٣)
 فصادفاً البيض قد أبدت مناكيها منها الرثال ، لها منها سرايل^(٤)
 فنكباً ينقضان البيض عن بشر كأنها ورق البسباس مغسول^(٥)

(١) يقول : كأن وحوش مغازز الريش التي حصرت تلك النعامة وزمت ، بنور ظاهرة . واليت ، بالكسر : صفحة العنق . في الأصل : « من الغفاه » وتصحيحه من الديوان . والغفاه ، بالكسر : الريش . س : « بليتها » هـ : « بليها » هذا الإجمال . وصوابها في والله ديوان .

(٢) تروحا : أي سارا في الرواح . وسنام المرق : أملاه . والمرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الجبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « الحرف » بالغاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت ماق ط ، هـ والديوان . والتبطا : توجهها . والقنات : جمع قنة بالضم ، وهي الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض . وفي الأصل : « القنار » وأثبت ماق الديوان . والمداخيل : المداخل ، وفيها المداخل التي تحت الجرف ، التي تسمى الدحال . وفي الديوان : « للمداخيل » بالغاء المهملة .

(٣) أي إذا اشتد في الجري بغضه منه فإنيهما يتحدان الأرض بمناسهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : اللقمة منه . في الأصل : « إذا استهل . . . » بما أصاب . . . وصوابه ما أثبت موافقاً لما في الديوان .

(٤) أي وجدنا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكيها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لمن كالسرايل . في الأصل : « قصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفي الديوان أيضاً : « من الرثال لها من » وما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحد الهاء نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجلاج . ولابن سيده تفصيل طيب في هذا المعنى . المختصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزحان قشره من بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذلك الثبت حين يفسل . مكان « عن بشر » في ط : « أميتها » وفي س : « عن » فقط ، وفي هـ : « ضها » وتصحيحه وإكالة من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما في التنبيه السابق . والبسباس : ثبت له أوراق متراكبة شقر . تذكرة داود . وفي الديوان : « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ الَّتِي تَكُونُ يَنْزِلُ الْعَظِيمُ وَأَشْبَاهُهُ
 مِنَ الْأَجْوَادِ ، بِالنَّعَامَةِ . قَالَ الرَّمَّاحُ ، ابْنُ مِيَادَةَ ^(١) :
 وَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلِي كَذَلِكَ تَقْرَى الشُّوكَ مَا لَمْ تَرُدِّي ^(٢)
 إِلَى جَامِعٍ ^(٣) مِثْلَ النَّعَامَةِ يَلْتَقِي عَوَازِيهِ ^(٤) فَوْقَ
 جَامِعٍ : يَعْنِي الْقَدْرَ . وَجَعَلَهَا مِثْلَ النَّعَامَةِ .
 وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ يَمْلَحُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ :

نَتَاجُ الْعِشَارِ الْمُنْقِيَاتِ إِذَا شَتَّتَ ^(٥) رَوَابِدُهَا مِثْلُ النَّعَامِ الْعَوَاطِفِ ^(٦)

-
- (١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء
 الدولتين . س ، هـ : « الرمّاح ابن ميادة » ، صوابه في ط .
- (٢) س : « يقرى » . ط : « ما لم تزد » . وفي هذا البيت والذي بعده
 نقص وتحريف .
- (٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفي القاموس : « وقدر جامع وجامعة
 وجامع ككتاب : حظية » . وفي السائد : « وقدر جامع وجامعة : مظية .
 وقيل هي التي تجمع الجزور » .
- (٤) س : « عوادية » ، هـ : « عواريه » .
- (٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه في ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والفتى ، بالكسر :
 الشحم . وشتت : دخلت في الشتاء . ط : « إذا المنقيات شتت » ، هـ : « العشار إذا شتت »
 س : « العشار إذا شتت » ، وقه وجهه بما ترى .
- (٦) الروايد : من ربه رويدا : أقام . وقد عني ابن القلندر المقيمة على النار .
 والعواطف : الحانات على أولادها .

وقال ^(١) الفرزدق ^(٢) :

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت ^(٣) بأجذال خشب زال عنها هشيمها ^(٤)

(الذئب والنعامة)

وضحك أبو كلفة ^(٥) حين أنشد شعر ابن النطاح ^(٦) ، وهو قوله :

• والذئب يلعب بالنعامة الشارد •

قال : وكيف يلعب بالنعامة والذئب لا يعرض لبيض النعامة وفراخه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأيهما متى ناهضه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقية إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقوَ عليه . قال : فكيف يقول :

(١) قيل هذا في هـ : فضحك أبو عبيدة ، وهي زيادة لاموضع ها .

(٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مفرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار بيئتها وظهرها . ويقال أحمش الفدر وأحمش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحمشت » ، صوابه في س والبهلاء ١٩٠ وآمال المرتضى (٤ : ٢٩) والحامسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيما : « غصوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجفال » . تحريف ما أثبت من البهلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرتضى : « بأجواز » أي أوساط . وهي أصلب الخشب وأبقاه نارا . والمشم : التشم . ط : « هشما » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » . وأثبت ما في سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلفة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

• والذئب يلبعُ بالنعام الشارد •

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعمتين اعتورتا ذنباً فهزمتاه^(١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ،
فغقره أحدهما ، فتناول الذئب رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر
خساوره فهزمته .

(جُبْنُ الظَّليمِ ونِفَارُهُ)

والظَّليمُ يُوصَفُ بِالْجُبْنِ ، وَيُوصَفُ بِالنَّفَارِ وَالتَّوَحُّشِ .

وقال سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ^(٢) ، فِي هِجَائِهِ بَنِي عَامِرٍ :

إِذَا مَا رَأَيْتَ بَنِي عَامِرٍ رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا كَثِيرًا^(٣)
نِعَامٌ تَجْرُ بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نُوكُهَا أَنْ تَطِيرَ^(٤)

(ضُرُّ النِّعَامَةِ)

وَالنِّعَامَةُ تَتَخَذُهَا النَّاسُ فِي الدُّوَرِ^(٥) ، وَضُرُّهَا شَدِيدٌ ، لِأَنَّهَا رُبَّمَا
رَأَتْ فِي أُذُنِ الْجَارِيَةِ أَوِ الصَّبِيَّةِ قُرْطاً فِيهِ حَجَرٌ ، أَوْ حَبَّةَ لَوْلٍ ، فَتَحْطَفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولته . هـ : « فهرسته » .

(٢) فِي الإصَابَةِ ٣٧٠٣ : « سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ خَتَّانٍ — صَوَابُهُ حِلْوَانٌ — بْنُ خُوَيْلِدٍ
ابْنِ حَرَمَانَ — كَذَا — الْفَنَوِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : هَامِرٌ شَاىْ غَضْرَمَ » . وَذَكَرَهُ
صَاحِبُ الْمُؤْتَلَفِ وَاتَّخَلَفَ ١٣٦ .

(٣) النُّوكُ ، بِالْفَمِّ وَالْفَتْحِ : الْحَقُّ . وَفِي عَيُونِ الْأَخْيَارِ : « وَنُوكَا كَثِيرًا » .

(٤) الرَّوَايَةُ فِي عَيُونِ الْأَخْيَارِ (٢ : ٨٧) : « تَمْنَعُ بِأَعْنَاقِهَا » . وَهَذِهِ أَجْوَدُ .

(٥) الدُّوَرُ : جَمْعُ دَاوَرٍ . س : « تَمْتَلِكُ فِي الدُّوَرِ » .

١١٠ لتأكله . فكم أذن قد خرقتها ! وربما رأيت ذلك في لبنة^(١) الصبي أو الصبية ،
فتضربه بمنقارها ، وربما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

ومما يشبه به الفرسُ ممّا في الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :
وخذُ أسيلُ كاليسنٍ وبركةُ كَجَوْجُو هَيْتٍ دُهُ قد تَمَوَّرا^(٢)
وقال عُبَيْة بن سَاقٍ^(٣) :

وله بركة كَجَوْجُو هَيْتٍ وَلَبَانٌ مَضْرُجٌ بِالْخَضَابِ^(٤)
وقال أبو دُوَادٍ^(٥) الإيادي :

-
- (١) الآية ، بالفتح وتشديد الجاء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجَوْجُو : الصدر أيضاً . والحق : الذكر من النعام .
والدهف : بالفتح : صفحة الجنب . وتَمَوَّرَ : سقط منه الفيل أي الريش . وإنما
يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرض . ويحدث ماله أيضاً للبحار حيث يسقط
منه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمون نمواً كبيراً . وقد
سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عتبة بن ساق الخزاعي ، شاعر من شعراء الأصبغيات (٦ - ٧) . وفي
الأصل : « عتبة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء
الأول ص ٢٧٣ .

- (٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء
الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ
بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره
بدم ما يسكونه من الصيد ، علامة على أنه سابق غايات . بلوغ الأرب (٣ :
١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يمرض نفسه للمخاطر ،
فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

- (٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تهريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة
أبي داود تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعت الخيل المحمدية .

يَمْشِي كَشَى نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ^(١)
وقال آخر^(٢) :

كَأَنَّ حَاتَهُ كُرْدُوسٌ فَحَلِي مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقٍ ظَلِيمٍ^(٣)
وقال أبو دُوَادٍ الإيَادِيُّ :

كَالسَّيْلِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلَّى تَقُولُ مُلَمَّمٌ ضَرْبُ^(٤)
لَأَمٍّ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَابِعاً مَا خَانَهُ عَقَبُ^(٥)
يَمْشِي كَشَى نَعَامَةً تَبِعَتْ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبُ

القولُ فيما اشْتُقَّ له من اليبُض اسم

قال العَدَبِيُّ^(٦) الْكِتَابِيُّ : باضتُ الْبُهْمَى^(٧) : أى سَقَطَتْ نِصَالُهَا^(٨)

(١) أَشَقَّ : يعنى ظليماً واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت
في (١ : ٢٧٤) .

(٢) في (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عید الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بالنغم : واحد الكراديس ، وهو رموس
الظلام . وفي الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ ،
« حل شق » س : « حل سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والملمم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العَدَبِيُّ الْكِتَابِيُّ : أعرابي فصيح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر .

وفي القاموس (مادة عديس) ، أن العَدَبِيَّ رجل كَتَابِي . وفي اللسان (مادة عديس أيضاً) :

« ومثى عديس الأصمعي الكَتَابِي » . وفي الأصل : « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت

من المراجع المتقدمة .

(٨) البهي ، كحلي : نبت هيئة كالشعير ، ولكته قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان

في سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . من مجسم النبات ، وقد ذكره

داود ، والقاموس .

(٩) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهي .

وباض الصَّيْف ، وباض القَبْط : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأسيدي :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عِيُونِنَا ^(١) قَتَى مِنْ عُيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسْلِمًا ^(٢)
وقال أمية بن أبي الصلت :

رَكِبْتُ بَيضَةَ الْبَيَاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحْسُوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا ^(٣)
وقال الرُّاعِي ، يهجو ابنَ الرِّقَاع ^(٤) :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ
يا ابنَ الرِّقَاع ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعُهُ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَبَأًا وَابْنَا زَارِرًا فَاَنْتُمْ بَبِضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أَنَا بَبِضَةُ الْبَلَدِ »
ومنه بيضة الإسلام . وبيضة القَبَّة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَةُ ^(٥) .
والبيض : قلانس الحديد .

-
- (١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .
(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان مجينا ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فصحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .
(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدتم في الليل من غير أن يملؤا ، فيأخذهم بقتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، هـ .
(٤) هو علي بن الرقاع . وكلتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) والسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والسنة (٢ : ١٥٣) .
(٥) الصومة ، كجوهرة : بيت للتصاري ، سمى بذلك لثقة في رأسه .

وقال أبو حية التميمي^(١) :

وصدَّ الغانباتُ البيضُ عني وما إن كان ذلك عن تَقَالِي^(٢) ١١١
 رأيتُ الثَّيْبَ بَاضَ على لَدَاقِي^(٣) وأفسدَ ما عَلَيَّ من الجَمَالِ^(٤) !
 وبَيضُ الجُرْحِ والخِرَاجِ والحِجْنِ^(٥) : الوعاء الذي يجمع فيه الصديد ،
 إذا خَرَجَ برئ وصلح .

وقد يُسمون ما في بطونِ إناث السمك بَيضاً ، وما في بطونِ الجرادِ
 بيضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْرًا يشتمِلُ عليه ، ولا قَبْضاً يكونُ لما
 فيه حَفْضًا^(٦) .

والخِرْشَاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ ما فيه . وسلَخَ الحَيَّةُ يقال له
 الخِرْشَاءُ .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبه إل تميم بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من
 غنصرى الدولتين ، وقد ملح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكني
 البصرة ، وكانت به لوعة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب النية ،
 ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . لشراء ٧٤٩ والأغاني
 ١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النوى » بحرف .

(٢) التَقَالى : المباغضة . هـ : « ثقال » مصحفة .

(٣) لَدَاقِي : جمع لَدَّة ، بالكسر . والدة : من يولد مملوك .

(٤) الجَمَلُ ، بالكسر : الثمل . ط : « الجبن » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
 وصوابه في س ، هـ .

(٥) الحِجْنُ ، بالفتح : القشرة العليا لليابسة على البيضة . والحفْنُ ، بالكسر :
 بمعنى ما يحيط بالشيء . وأصله من حفن الجبل ، وهو ما يطيف به .

(شعر في التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى في تشبيه اللّقاء^(١) الحسناء بالبيضة :

أو بيضة في الدّعصر مكتونة أو دُرّة مبيّنة إلى تاجر^(٢)

وقال في بيض الحديد :

كان نعام الدّو بأصّ عليهم إذا شام يوماً للصّريخ المنذّر^(٣)

وقال الأعشى :

أتقننا من البطحاء يبرق بيضها وقد رُفعت نيرانها فاستقلت^(٤)

(١) في الأصل : « اللّقاء » ، وهي القصيدة الألف الصغيرة. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللقاء : الضخمة القنطري في اكتناز واحتاج .

(٢) مكتونة في الدعص : غبأة في الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جلّيت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كسمية صور محرابها بذهب في مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا رجع شئ للصريخ المنذر » .

والبيت في صفة كتيبة . جعل البيض الذي يحسّ رحس الرجال شيئاً يبيض التمام ؛ لكثرة . فإن كل نعمة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . ولفظ : لئول ثلاثين . وقبل البيت :

بلمومة لا ينفذ الطرف عرضها وغيل وأرماع وجند مطوي

فتسير « شام » مائة إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ : صوت المنصرخ المستغيث . والمنذر ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ في رفعه وتحذيره . ومنه قول طرفة : ولجس غنى أو لصوت منذر ، وفي الأصل : « المنذر » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) في الأصل : « أتينا » صوابه من أمال ابن الشجري (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) . ورواية الديوان : « أتتهم » . س ، هـ وحامدة ابن الشجري ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها في هـ وأمالي وحامدة ابن الشجري وديوان =

وقال زيد الخيل :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ قَهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ^(١)

(استطرد لغوي)

قال : ويقال تَفِيضَتِ الْبَيْضَةُ ، والإناءُ ، والمقارورة ، تَفِيضُ^(٢) : إذا انكسرت فَلَقًا . فإذا هي لم تَتَفَلَقْ^(٣) [فَلَقًا] وهي^(٤) متلازمةٌ ، فهي مُنْقَاضَةٌ انقياضاً . وَقَبِضُ الْبَيْضَةِ : قشرتها اليابسة . وغَرَقَها : القشرة الرقيقة التي بين اللحم وبين الصَّمِيمِ . قال : والصَّمِيمُ : الجلدة .

= الأمشي ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بلغت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأمشي يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :
فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هجرة فستلت
نحاصهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت
ومثله للأمشي في تمثيل شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :
لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تششاهم لم سدت
بطارق وينو ملك مرازية من الأعاجم في آذانها التطف
من كال مرجانة في البحر أحزها قيارها ووقاها طينها الصدف
وعظمتنا خلفنا تجرى مدامها أكبادها وجلا بما ترى تجب
وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذي قار المعقده (٣ : ٣٧٤) والصدمة (٢ : ١٦٩) والميداني (٢ : ٣٥٢) ومجمع البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بملحظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراه تحديده النظر . ورواية الشراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمقر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « تقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تتفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقات البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر
غير الخرقنة ^(١) .

قال الرُّدَاد : غرقات الدُّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغرَقة ^(٢) . والخرشاء :
القشرة الغليظة ^(٣) من البيضة ، بعد أن تُنقَب فيخرج ما فيها من البِلل ؛
وجمعها الخرشاشي ، غير مهحوز .

قال : وقال رُدَاد : خرشاء الحية : سلخها حين تنسلخ ^(٤) .
قال : وتغذى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبَّت على حلقة قلعة ،
فتناولها فقصرها بإبهامه وسبَّابته ، ثم قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت ؟ !
فقال : بأبي أتمم وأمي ، ما بقي إلا خرشاؤها !

وقال المرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لَذَا كَمَا يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَانِهِ الْأَرْقَمُ ^(٥)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي بَيْضِ الْحَدِيدِ ^(٦) :

قال : ويقال في الحافر نزا ^(٧) ينزو . وأما الظلم [فيقال ^(٨)] قعا بقعو ،

١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المأاجم : « الفرق » بالفتح الكبير .

(٢) ط ، هـ : « فرقات » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مفرقات الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ،

صوابهما في س .

(٤) ط ، هـ : « يسليخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : التي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشاتها » ، صوابه من
المنفصلات ٢٤٠ والمقصود والمدحود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، هـ :

« تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتم بعد إلى شعر لدريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعاً^(١) وقِياعاً ، وقَعاً يَقْعُو قَعْواً . فهذا مايسوون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خَفَّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسَمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنعامِ .

وقال الراعي :

ورجل كرجل الأخدريِّ يُشِيلُها وَظِيفٌ على خَفِّ النّعامِ أَرْوَحُ^(٢)

وقال جرّان المود :

لَهَا مثل أطفار العقابِ وَمَنْمِمٌ أَرْجُ كُظُنْبُوبِ النّعامِ أَرْوَحُ^(٣)

قال : والزَّاجِلُ^(٤) : ماء الظليم ؛ وهو كالـكِـرَاضِ من ماء الفحل . وأنشد لابن أحر^(٥) :

وما بيضات ذى لَبْدٍ هِجَفٌ سَقِينَ بَزَاجِلٍ حَقَّى رَوِيناً^(٦)

وقال الطُّرْمَاحُ :

سَوْفَ تُذْنِيكَ مِنْ لَيْسَ سَبْنَدَا ةُ أَمَارَتَ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكِـرَاضِ^(٧)

(١) كلما على الصواب في هـ . وفي ط : « قيا » وس : « قيا » .

(٢) الأخدري : الحمار الوحشي . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستطى الذراع والساق . وظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكري : « يقول : أطفارها كخالب العقاب . والمسم : طرف خف النعام . والأرج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . في الأصل : « أطفار الكناء » تصحيحه من ديوان جرّان المود ص ٦ . والبيت وجلة : « وقال جرّان المود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحر » ، صوابه في س . وانظر ماسبق في ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٢٨ .

(٧) السبنداء : الناقة الجريئة لاتقر الفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاء » وها لنتان يقال هاتوا وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : ماني جوفها =

وربما استعاروا المناسم . قال الشاعر :

توعدنى بالسَّجْن والآدَاتُ ^(١) إذا عدتْ تأظبتْ أداتُ ^(٢)

• رِبْطٌ بِالْحَبْلِ أَكْبَرُ عَاتٍ •

قال : ويقال لولد النعام : الرَّأل ، والجمع رِئَال ورِئَالان ، وَحَفَانٌ .
وَحَفَانَةٌ لِلوَاحِدِ ، والجمع حَفَانٌ ؛ وَحَسْكَل . ويقالُ : هَذَا خَيْطٌ نَعَامٍ
وخيْطَان ^(٣) . وقال الأسود بن يَصْفَر ^(٤) .

وَكأنَّ مَرَجْمَهُمْ مَنَاقِفُ حَنْظَلٍ لِعِبِّ الرَّئَالِ بِهَا وَخَيْطٌ نَعَامٍ ^(٥)

ويقال : قَطِيعٌ مِنْ نَعَامٍ ، وَرَعْلَةٌ مِنْ نَعَامٍ .

— من ماء النمل . س ، ه : « سوف يفتيك » ، وأثبت مائه ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في ه والديوان . والبيت من قصيدة الطرماح ، مغلها :

قل في شط نهر وان اغتاضى ودعاني هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفي ط : « عدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكرر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يصفى ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالكثير . وكان يتنادم

القصمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه في أحاديث

المرب : أمى بن نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يصفى) يفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس

سمعت روبة يقول : أسود بن يصفى بضم الياء — أى وبضم الفاء أيضاً — انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

منعرج من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه النمل عنه . ط : « يصفى »

صوابه في س ، ه .

(٥) « مرجمهم » لمبا « مرجمهم » . ومنافق الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليشتفرج

حبه للهى بالمبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعي^١ : الرُّعْلَة : القطعة من النِّعَام . والشَّرْب من الطُّبَاءِ
والقَطَا . والإِجْل^(١) من الطُّلْف .

وقال طُفَيْلُ الغَنَوِيُّ في بَيْضَةِ الحَيِّ^(٢) وما أشبه ذلك :

صَوَابِعُ تَنْوِي بَيْضَةَ الحَيِّ بعدما أذاعتْ بَرِّيْعَانِ السَّوَامِ للمَرْبِ^(٣)

قال : ويقال : للظلم إذا رعى في هذا النِّيَاتِ ساعةً وفي هذا ساعةً :

قد عَقَبَ يُعَقَّبُ تعقيباً^(٤) . وأنشأني لذى الرُّمَّة :

ألماء آءٍ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَاحِجِ المَرْوِ والمَرْعَى لَهُ عَقَبٌ^(٥)

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتين بالرأس : أصمغ ،

وامرأة صَمْعَاء . ويقال : خَرَجَ السَّهْمُ مَتَصِمَعاً^(٦) : إذا ابتَلَتْ قُدُّهُ^(٧) ١١٣

(١) الإِجْل ، بكسر الحزة . س : « الأرجل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٢) في الأصل : « الحلي » ، صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) صواب : « تمد أنباجها في سورها » ، أي أضادها . ط ، س : « صوائغ »

هـ : « صوائغ » صوابها من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، هـ :

« تنوى » س « تنوى » صوابها من الديوان . وفي الأصل : « الحل » موضع

« الحلي » تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : « ويضف الحلي : مقامهم »

أذاعت : فرقت . وريمان كل شيء : أوله . « والسوَام ، كسحاب : ما يشرح من

إبل ويقر وغنم ، ولا واحد له . والمَرْب ، بتشديد الزاي المفتوحة : الذي مَرْب

من أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ،

تصحىحه من الديوان .

(٤) ط : « عقب يضرب تشبيهاً » صوابه في س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت في ٣١٢ . ط ، هـ : « آء آء » بالتكرار . صوابه

في س .

(٦) ط : « أصمغ » هـ : « صمغ » س : « صمغاً » صوابه ما أثبت من القاموس

واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .

(٧) قُدُّ السهم : جمع قُلَّة السهم ، وهي ريشة السهم .

من اللّحم وانصمت . وقال أبو ذؤيب :

• سهماً فخرٌ ورِيشُهُ مُصمَّعٌ^(١) •

ويقال : أنانا بريدةٍ مُصمَّعةٌ^(٢) : إذا دَقَّقَهَا^(٣) وحددَ رامَهَا ، وصومعة الرّاهب منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلان أصمغ القلب : إذا كان ذكياً حديداً [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمري لقد مرّت عواطسُ بجةٍ^(٤) ومَرَّ قُبَيْلُ الصُّبحِ طَبِي مُصمَّعٌ^(٥)
أراد : ماضياً .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد^(٦) :

(١) حيز بيت في صفة صائد رى أنانا بهم فتغلّ فيها بريشه ثم سقط . وصدره :

• فرى فأغلّغ من نحوس حائل •

في الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمغ) وديوان الخليلين (١ : ٨) ،
والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد التصديقة .

(٢) في الأصل : « مصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً :
« مصومة » كما في القاموس .

(٣) في الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر
اللسان والقاموس (صمغ) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى حامل عمرو بن هند
بالبحرين ، وكان قد سئحت له في الطريق غلياء وعقاب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ .
والعواطس : جمع عاطس ، وهو ما سئطك من الظياء . ورواية اللسان (مادة
عطس) : « عواطس » : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشام بها . وفي مادة
(صمغ) : « عواطس » كما هنا . والمصمغ : بكسر الميم المشددة : القاذب السريع
كما فسره الجاحظ . وروى : « مصمغ » يفتح الميم المشددة ، وهو الصغير
الأذنين . وفي الأصل يدل : « ومَرَّ » : « ومَرَّ » : « ومَرَّ » تحريف ، صوابه ما أثبت من
اللسان في موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق في (٢ : ٢٣٦) .

- أقبلت تُوَضِّعُ بِكَرًّا لَا خِطَامَ لَهَا حَسِبْتَ رَهْطَكَ عِنْدِي بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
 ويشبه عظام جهاجم الرعوس ببيض النعام. وقال الأعرج القيسي^(٢) :
 بَكَبْنَا بِالرَّمَاخِ غَدَاةَ طَرَقٍ عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةِ كِرَامِ^(٣)
 بِجَاهِمٍ غَوْدَرَتْ بِحِمَامٍ عَرَقَ كَأَنَّ قَرَاشَهَا بَيْضُ النَّعَامِ^(٤)
 وقال مقاتل بن طَلَبَةَ^(٥) :
 رَأَيْتُ سَحَابًا فَاقَدَ اللَّهَ بَيْنَهَا تَنَزَّكَ بِأَيْسَاهَا وَتَأَبَّى أَيْوَرُهَا^(٦)
 وقال السُّجَمِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ :
 مُقَاتِلُ ، بِشَرِّهَا بَبِيضِ نَعَامَةٍ وَإِنْ لَمْ تَبْشُرْهَا فَأَنْتَ أَمِيرُهَا .
 وقال أَبُو الشَّيْخِ الْخُرَازِيُّ^(٧) فِي بَيْضَةِ الْخَلْدَرِ :

(١) الهكر ، بالكسر : اللقطة لم تحمل ، أو التي ولدت بطنا واحداً . واليهكر أيضاً
 ولدعا ذكراً كان أو أنثى . وأوضع اللقطة يوضعها : جعلها تنفع في سيرها ، أي
 تعملوا خفيفاً . وفي الأصل : « توضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .
 (٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأهرج المعنى : نسبة إلى معن طيس . واسمه عدى بن عمرو
 ابن سويد . وهو شاعر مشهور أدرك الجاهلية والإسلام . وهو المقاتل :
 زَكَتِ الْقُشْرُ وَاسْتَبَدَلَتْ مَهْ إِذَا دَاعَى صَلَاةَ الصَّحْرِ قَلَامَا
 كتاب الله ليس له شريك وودعت الدمامة والنداما
 مجمع المزياني ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأهرج المعنى شعر في .
 البيان (١ : ٢٤٦) .

- (٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، سوايه في ط .
 (٤) القراش ، بالفتح : كل ظم رقيق .
 (٥) هو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كافي عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلبة ،
 بالتحريك . انظر للقاموس والسنان . هـ : « كلية » محرفة .
 (٦) سمح : بطن من بطن حنيقة . وفقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضها . ورواية .
 عيون الأخبار : « وتعباً » موضع : « وتأبى » .
 (٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعلج بن علي الخزازي . وكان معاصراً =

وَأَبْرَزَ الْخِلْدُرُ مِنْ ثَنِيَّتِهِ بَيْضَتَهُ وَأَعَجَلَ الرُّوْعُ نَصْلَ السَّيْفِ يُخَرِّطُ^(١)

فَتَمَّ تَغْدِيكَ مِنَّا كُلَّ غَانِيَةٍ وَالشَّيْخُ يَغْدِيكَ وَالْوِلْدَانُ وَالشَّمْطُ^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كَأَنَّ فَلَاقَ الْمَامِ تَحْتَ سُيُوفِنَا خَذَارِيفُ بِيضَ عَجَلِ النِّقْفِ طَائِرُهُ^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخلد :

وَتَجُولُ بِيضَاتُ الْخُلْدِ حَوَاسِرًا يَمَسَّحْنَ فَضْلَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ^(٤)

وهو وما قبله يدلان^(٥) على أنهم لا يشبهون بيض النعام إلا الأبقار .

قال الشاعر^(٦) :

= لابي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره المفضل في نكت المياني ٢٥٧ وذكر أنه توفي ست مائتين أو قبلها .

(١) الثني ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهي الحاف والمعاطف . وقد ثني وأراد الجمع ، وهو معروف في كلامهم . س : « من ثني بيضة » ، صوابه في ط ، هـ . يخرط : أي يستل من غنمه . يقول : استجبل الخوف نصل السيف في حال اختراطه . في الأصل : « عخرط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشط وشطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم لغيره ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم : جمع فلاة بالضم أيضا ، وهي القطعة . والمام : الرعوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهي كل شيء مبهر من شيء . س : « خذاريف » صوابه في ط ، هـ . ونقف الطائر البيضاء : ثقبها ليساعد الفرخ في الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات روسهن . وفي الأسميات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو اللمة ، كما في الخزائن (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيويه (٢ : ٥٦) .

وَيَبِيضُ أَفْقَانًا^(١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةَ يَبِيضُ^(٢) كَالْخَبَاءِ الْمُقْوَضِ^(٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرَمَّ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ يَبِيضُ^(٤)
يعنى بالبييض يَبْيَضُ النُّعَامُ . وَسَمَاوَةُ الشَّيْءِ : شَخْصُهُ . لِأَنَّ الظِّلْمَ لَمَّا
رَأَاهُمْ فَرَزَ وَنَهَضَ . وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرْوَقَةٌ^(٥) . ١١٤

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي بَيْضِ النُّعَامِ :

تَرَاهُ إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غُرَابِيْبُ مِنْ يَبِيضٍ هَجَانٌ دَرَدَقُ^(٦)
قَالَ : وَلِلصَّبَا وَالْجَنُوبِ تَهَيَّانُ فِي أَيَّامِ يُبْسِ الْبَقْلِ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط : « فَلَقْنَا » . وَفِي مَحَاضِرَاتِ الرَّافِعِ : « كَشَفْنَا » وَرَوَايَةُ
الْقَالَ (٢ : ٢٩٤) : « رَقْنَا »

(٢) كَذَا . وَلَمَّا : « هَيْق » وَهُوَ الظِّلْمُ . وَرَوَايَةُ الْقَالَ : « جَوْن » بِمَعْنَى ظَلَمَ
أَسْوَدَ .

(٣) الْخَبَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْبَيْتُ مِنْ وَرَى أَوْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرٍ . س ، هـ : « كَالْخَبَاءِ »
صَوَّاهُمَا فِي ط ، وَالْمَحَاضِرَاتِ وَالْأَمَالِ . وَالْمُقْوَضُ : الْمَهْدُومُ . وَبَسْطُهُ كَذَلِكَ حِينَ
حَفَّتْهُ الْبَيْضُ وَرَقَوْدَهُ عَلَيْهِ .

(٤) هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ : أَيُّ هَجَمَ عَلَى الْبَيْضِ نَفْسُهُ وَيَلْقَبُهَا حَاضِنًا لَهَا . وَقَدْ أَنْتَ الْبَيْضُ
هَذَا . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَيُوبَةُ عَلَى إِحْمَالِ صِيغَةِ فَعُولٍ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« هَجُومٌ عَلَيْنَا » وَصَوَابُهُ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَرَوَى الْقَالَ وَسَيُوبَةُ : « بِالشَّيْخِ »
مَكَانَ : « بِالشَّخْصِ » ، وَهِيَ بِمَعْنَى . وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ، لَتَانِ .

(٥) الْفَرْوَقَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْكَثِيرُ الْفَرْعِ ، يُقَالُ لِلْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ . وَلَهُ نَظْمٌ فِي
الْمَزْمَرِ (٢ : ١٣٤) وَانْظُرْ شَوَاهِدَ ذَلِكَ فِي الْبَابِ (فَرْقِ) . وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ
يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ « فَرْوَقٌ » بِزَجِّ الْمَسَاءِ . وَفِي أَصْلِ الْكِتَابِ : « وَرَوْحُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ . « ذَرَقَتْ بِهِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ دِيوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٣٩٨ وَمِنْ التَّحْرِيقِ
الْآتِي الْجَاهِظُ . وَ « دَرَدَقٌ » صِفَةُ لِكَلَّةٍ « غُرَابِيْبُ » فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَالْبَيْتُ
مِنْ قَصِيدَةٍ لِذِي الرُّمَّةِ ، أَوَّلُهَا :

أَدَارًا يَجْزَى هَجْتَ الْبَيْنِ حَبْرَةً فَأَهْ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقَّقُ

وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

بِمَشْقِيهِ الْأَرْبَاءِ يَرَى بِرُكْبِهِ يَبِيضُ الثَّرَى نَائِي الْمَنَاحِلِ أَخَوَقُ

يَتَقَبُّ النَّعَامُ فِيهِ الْبَيْضُ . يقول : درجت به رِثْلَانِ سَوْدٌ غَرَابِيبُ ، وَهِيَ مِنْ بَيْضِ هَجَائِنَ : أَيْ بَيْضُ . وَاللَّزْدَقُ : الصَّغَارُ ، وَهُوَ مِنْ صَغَرٍ ^(١) الرِّثْلَانِ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوفٍ الْغَنَوِيُّ ^(٢) ، وَذَكَرَ كَيْفَ يَأْخُذُونَ بَيْضَ النَّعَامِ :
عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ جَرِّمٍ ^(٣)
سَوَى نَارِ بَيْضِ أَوْ غَزَالٍ مُعَفَّرٍ أَغْنَى مِنَ الْخَنَسِ الْمُنَاخِرِ تَوَامٍ ^(٤)

- (١) جمع صغرى . وفي اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه : يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالالف واللام » .
(٢) طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهلي فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب فنبيل . ويقال له : طفيل الخليل ، ويسمى أيضا : المغير الغنوي . المؤلف ١٨٤ .
(٣) عوازب : من إبل عوازب لا تزوح على أهلها ، تبيت بالفقر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبل عافت جدود فلم تلق بها قطرة إلا تحلة مقسم
والنبوح ، بالقسم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون .
يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ :
« ونوح » صوابه من الديوان « : وما سبق في (١ : ٣٤٨) . هـ :
« حامة » موضع « مقامة » صوابه في س ، ط والديوان . ورواية القائل :
« نُبُوحٌ مَقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم
الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لمز أربابها ، ترى حيث شامت
لا تمتنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سعة كاملة سوى
نار ببيض نعام يصيبه راحمها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معفر : مقتول مبرغ في الظهر . س : « معفر » بالقاف . والأغن : الذى فيه
غنة ، وهو من صفة الظباء . وفي الأصل : « أفر » وصوابه من الديوان ،
والأملأ . والأغنس : التنصير الأنف . والتروام : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
لضوؤك وصفر جسمه .

هذه لمثل راعٍ معزبٍ^(١) صاحب بواذٍ^(٢) وبلوقٍ ، لا يأتي المحاضر والمياه حيث تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فإنه لا ترى نارا سوى نَارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نَارُ الصَّيْدِ)

وهذه النَّارُ هي النَّارُ التي يُصطاد بها الطَّيَاءُ والرَّثْلانُ وَيَبْضُ النِّعَامُ^(٤) لأنَّ هذه كلها تعشى إذا رأت نارا ، ويحدث لها فكرة فيها ونظر . والصبي الصغير كذلك . وأوَّلُ ما يعاين^(٥) الرُّضِيعُ ، أوَّلُ ما يناغى ، المصباح^(٦) . وقد يعترى مثل ذلك الأسدُ ، ويعترى الضُّفْدَعُ ؛ لأنَّ الضُّفْدَعُ يَنْقُ ، فإذا رأى نارا سكنت . وهذه الأجناس قد تغتر^(٧) بالنَّارِ ، ويختال لهاها .

- (١) هـ : « معرب » ، صوابه في ط ، س .
 (٢) كتبت في الأصل بِلِثْيَاتٍ الياء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيويه (٢ : ٢٨٨) : « وحديثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازي وراي وعي . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .
 (٣) ط ، هـ : « النيران » ، بالثاء . صوابه بالتون كما في س .
 (٤) تسمح الجاحظ في التعبير ؛ فإن يبيض النعام ليس ما يصطاد؛ بل هو ما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها بالنار . جاء في ثمار الغلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام أفاحيصها ومكائنها » .
 (٥) يعاين ، من الماينة ، وهي الملاعبة . وفي الأصل : « يعاين » بحرقه .
 (٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هي في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .
 (٧) تفتّر : تتفجع ؛ فالأسد يرى النار فيستظلمها فتشغله عن المايلة ، وكذا الضفدع يشغل من اللقيق . ط ، س : « تفتّر » ، صوابه في هـ .

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيوم المراكمة^(١) بأنَّ عليها نعاماً . قال الشاعر^(٢) :

كَانَ الرَّيَّابَ دُونَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعْلُقُ بِالْأَرْجُلِ^(٣)

وقال آخر :

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَيْعُ

حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلَهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاؤِ صُدُوعِ^(٤)

بِمَتْنَصِكَ^(٥) عَرِ^(٦) النَّشَاصِ كَانَهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَفُوعِ^(٧)

(١) المراكمة : المتكاثفة . ط ، هـ : المترادفة « تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما في اللسان (ريب) — عن الأصمعي — ومعجم

الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي حنيفة . ونسبه الحميري في زهر الآداب (١ : ١٧٧)

إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٥ : ٧٥٨ ، وكذا في شرح

المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمعي) إلى المازني . قلت : المازني الذي عنده هو

زهر بن عمرو بن جلهمة المازني ، كما في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عمرو بن

جلهمة ، كما في اللسان . وقوله :

إِذَا أَهْلُكُمْ يَسِقُ إِلَّا الْكَرَامَ فَاسْقُ وَجْوهَ بَنِي حَنْبَلٍ

أَجَشْ مَلِكًا غَزِيرَ السَّحَابِ هَزِيزَ الصَّلَاسِلِ وَالْأَزْمَلِ

تَكَرَّرَ خُضُفَاتُ الْجَنُوبِ وَتَفَرَّغَ هِزَةُ الشَّالِ

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .

والشظي : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفي العظم في شطاه

صدوح » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاؤِ

صُدُوعِ » ، أي وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاه . وعوى

العظم : انجبر على عظم ، أي التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه

في الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمتنصك » س : « بمتك » وكلها صور محركة . ولعلها « متنك »

وأصله البعير يجوب حيوياً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله متنكاً لثقله

وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) للنشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بقفه فوق بعض .

(استطراد لنوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرِّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضِي وَبَيْنِ مَظَلِّ^(١)
وَالنِّعَامِ فِي السَّمَاءِ^(٢) . وَالنِّعَامِ وَالنِّعَامَتَانِ مِنْ آلَاتِ الْبَعْرِ^(٣) .
و [النعامة^(٤)] : بيت الصائد^(٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مَرْة الهذلي^(٦) :

- (١) النعامة : ظلة أو حلم يتخذ من خشب ، فرجها استظل به وربما اعتنى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الثاني من الجبل . في الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبهه بلفظه قوله :
لا شيء في ريدها إلا نعلما منها هزيم ومنها قائم باقي
و « مظل » هي في الأصل « مفلل » وصوابه في المخصص .
- (٢) هي منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها في الهبرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى للصادرة .
- (٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان في الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذلك الجانب ، يصقمان بجبل ويمد طرفا الجبل إلى وتدين مئيتين في الأرض ، أو حجرين ، وتملق القامة أي اليكرة بين شقي النعامتين . قلت :
فقد يضم إلى النعامتين ثلاثة فيصرن نعائم . في الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التصحيح بما أثبت .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) ط ، هـ : « الصلبد » . صوابه ما أثبت من ص .
- (٦) البيت الآتي منسوب في اللسان (سرب) إلى أبي غرراش الهذلي . وهروة وأبو غرراش أخوان ، من عشرة إخوة أبويهم مرة الهذلي ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون هدوا . أما هروة فقتل في الجاهلية ورثاه أبو غرراش بأبيات ضادية ، في الحماسة . وأما أبو غرراش — واسمه غويله بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات في زمن عمر . الأغني (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزنة (١١ : ٤٠٠ سلفية) .

وَذَاتِ رَيْدٍ كَرْتَقِي الْفَاسَ مُشْرِقَةً طَرِيقَهَا سَرَبٌ بِالنَّاسِ مَحْبُوبٌ^(١)
١١٥. لَمْ يَبْقَ مِنْ عَرَبِهَا إِلَّا نَعَامُهَا حَالَانِ مِنْهُمُ مِنْهَا وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مَسْكَنُ النِّعَامِ)

وفى المثل : « مَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامِ^(٣) » ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَى تَسْكُنُ
الْجِبَالُ وَلَا تُسَهِّلُ^(٤) . وَالنِّعَامُ تَسْكُنُ السَّهْلَ وَلَا تَرْقَى فِي الْجِبَالِ . وَلِذَلِكَ
قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

(١) الرِّيدُ : مَا شَخَصَ مِنَ الْجِبَلِ : ط . وَذَاتُ فَرْدٍ : س ، هـ : وَذَاتُ
زَنْدٍ : صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنَ اللِّسَانِ ، وَانْظُرَ الْبَيْتَ السَّابِقَ . وَالزَّقْزَقُ ، بِالضَّمِّ :
أَصْلُهُ أَسْلَقَةُ تَصِلُ السَّهْمَ . وَالْأَسْلَقَةُ : مَصْنُوعٌ مِنَ الصِّلِ . فَيَكُونُ قَدْ أَكْسَنَ النَّوْنَ
لِفَرْدٍ لِلشَّعْرِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ الرِّيدَ يَشَبْهُ حَدَّ النَّاسِ . ط ، هـ : « بَزَلَفٌ »
س : « بَذَلَفٌ » . وَفِي اللِّسَانِ : « كَرْتَقَى الرَّخَ » . وَصَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أَثْبَتَ .
وَأَمَّا كَلِمَةُ « الرَّخَ » فِي اللِّسَانِ فَصَوَابُهَا « الرَّج » . وَالْأَرْضُ الْمَشْرِقَةُ : الْعَالِيَةُ
تَشْرِقُ عَلَى مَا حَوْلَهَا . وَالطَّرِيقُ الْمَرْبُ - كَكَيْفَ - : الَّذِي يَنْتَاجُ فِيهِ
النَّاسُ . فِي الْأَصْلِ : « طَوِيلُهَا » تَصْغِيحُهُ مِنَ اللِّسَانِ . وَالْمَحْبُوبُ ، كَأَنَّهُ الْمَهْدُ
مِنْ قَوْعِهِ : سَنَامٌ مَحْبُوبٌ ، أَيْ مَقْطُوعٌ . ط ، س : « مَحْنُوبٌ » صَوَابُهُ فِي هـ .
وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ : « دَعُوبٌ » بِضَمِّ الدَّالِ ، وَهُوَ الْمَذَلُّ الْوَاضِعُ الَّذِي يَسْلُكُهُ
النَّاسُ

(٢) الْعَرَسُ ، بِالْفَتْحِ : حَائِطٌ يَحْمِلُ بَيْنَ حَائِطِي الْبَيْتِ الشَّعْوَى لَا يَبْلُغُ بِهِ أَتْسَافُهُمْ يَصْقِفُ
لِيَكُونَ الْبَيْتُ أَدْفَأَ . وَالنِّعَامَةُ : الظِّلَّةُ . حَالَانِ أَيْ تِلْكَ النِّعَامَةُ لَهَا حَالَانِ فَيُبْضُ أَجْزَائُهَا
مِنْهُمُ أَيْ تَعَكَّرُ . تَقُولُ هَزَمْتُ الْقَوِيَّةَ فَأَهْزَمْتُ : إِذَا غَزَتْهَا فَتَطْلُغَتْ . وَمَنْصُوبٌ :
أَيْ قَائِمٌ . انْظُرْ مِثْلَ هَذَا الْبَيْتِ فِي حَوَاشِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ . فِي الْأَصْلِ : « مَعْصُوبٌ »
وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) نَصُّ الْمَثَلِ فِي الْمِيدَانِي (١ : ١٢٦) وَكُنَايَاتُ الْجَرَجَانِي ١١٨ وَالْمِصْبَرِي : « تَكَلَّمَ
فَجَعَلَ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامِ » . وَقَالُوا : أَيْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ . وَفِي اللِّسَانِ .
« وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامَةِ ؟ ! » . وَالْأَرْوَى : جَمْعُ
أَرْوِيَّةٍ ، أَوْ اسْمُ جَمْعٍ ، وَهِيَ أَنْثَى الْوَحُولِ .

(٤) أَسْهَلُ : نَزَلَ فِي السَّهْلِ مِنَ الْأَرْضِ .
(٥) هُوَ مَهْمَلٌ ، كَأَنَّهُ اللِّسَانُ (ظَهَرَ ، كَسَسَ) أَوْ عِيدٌ بِنِ الْأَرْضِ ، كَأَنَّهُ مُخْتَصَرٌ
تَهْلِيذُ الْأَلْفَاظِ ١٧١ وَاللِّسَانُ (كَسَسَ) . وَالْبَيْتُ يَلُونُ نَمِيَّةً فِي الْمَقَائِيسِ (كَسَسَ) .

وَحَبْلِي نَكَرْدِسُ بِالْدَّارِعِينَ كَشَى الْوُعُولَ عَلَى الظَّاهِرَةِ (١)
وقال كثير :

يَهْدِي مَطَايَا كَالْحَنِيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَّاطٍ أَغْبَرَ شَاخِصَ الْأُمِّيَالِ (٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُنْسَمًا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بِرِثَالِ (٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتلئ من السحاب من قطع
الرَّباب :

(١) ط : « وتبل » س ، هـ : « وتبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكرس : تمشى مشية المقي . ط :
« يكرس » س ، هـ : « مكرس » ، صوابها من سادس الحيوان .
والرواية في الخصص واللسان والمختصر : « تَكْرُسُ » أى تتكس . والتكس :
أن يعفى القوس كأنه مثقل . والدارع : لايس الدرع الحديدى . والظاهرة :
أهل الجبل حيث يسكن الوعل . وفي الأصل : « الظاهر » صوابه من الخصص
واللسان والمختصر . وانظر ما ساقى في (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كفى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالحنى في نحوها . وانظر
الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه في هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأميال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو
الشارب بين المسافرين في أنشاز الأرض وأشرافها . وفي الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسم الشيء : علاه . س : « متضا » صوابه في ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعن تسم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهلى فوهلى » صوابها ما أثبت .
وناعق : هو من نعت الراعى بالغنم : دحلهما وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هل ترى برقا على ١١ يجلن يعجني انجابه^(١)
 من ساقط الاكاف ذي زجلي ارب به سحابه^(٢)
 مثل النعام معلقا لما زقا ودنا رباه^(٣)
 وقال وشبه ناقته^(٤) بالظليم :
 وإذا أطاف لياه بسيسه^(٥) ومسافرا ولجا به وتزيدا^(٦)
 شبهته هقلا يبارى هقلا ربداه في غيط نفاق اربدا^(٧)

(١) ياعل : أى ياصاح هل . حذف المندى ، كما جاء في الكتاب : « ألا يا اسجدوا » في قراءة السكاك ، وكقوله :

يا لمة الله والأقوام كلهم والصالحين هل سمعان من جابر
 برقع « لمة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « هل هل » . والجبلان ، هما جبل
 طوى : أجأ وسلى . وانجابه : انكشافه . ويرى : انتصابه . وفي شرح
 الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انجابه »
 تصحيحه من هو والديوان .

(٢) من ساقط الاكاف : أى من سحاب ساقط النواصي . وفي الأصل : « متساقط » .
 و « الاكاف » هى فى س : « الاكاف » وصواب هذين التصريفين
 من الديوان . والتزجل ، بالتحريك : الصوت . أوب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من
 الديوان . وانظر شبهه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
 وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تمدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت
 البكرة » . ط ، ه : « وقا » ولا وجه له ، وأثبت ما فى س . ورواية الديوان :
 « لما دنا قردا رباه » القرد : المحتج . والرباب : ما تدل من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لغامه بسيسه » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، ه . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« وثى فهب هبابه وتزيدا »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفقى من النعام . ط ، س : « شبهته صلا » . والعمل ،
 بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلا » .
 والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمدا » =

وذكر زهير^(١) الظلم وأولاده ، حتى^(٢) شبه نافته بالظلم :

كأنى وردنى والقربابَ وتُمرقنى على خاضب الساقين أرفعن نِقنق^(٣)
ترامى به حبُّ الصَّحاريِّ وقد رآى سَماوةَ قشراءِ الوطيفين عَوْق^(٤)
نَحْنُ إلى مثْلِ الحبابيرِ جُم^(٥) لدى سَكَنٍ مِنْ قَبِضِها المَطلَق^(٦)
تَحَطَّم عنها [قَبِضُها] عَن خَراطِم^(٧) وعن حَدَقِ كالنَّبِخِ لم يَتلَقِ^(٨)
النَّبِخُ^(٩) : الجُدريُّ^(١٠) .

- = أى رمادية اللون . والحيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س :
« نبط » هو : « نبط » تصحيحه من الديوان . والنفاق : جمع نفق ونفقة ،
وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تمانق » والوجه من الديوان . و « أربدا »
صفة لحيط ، وجير بالفتحة لوزن أفضل . هو والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .
- (١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان
زهير ٢٤٥ أن زهيراً وكعباً اشتراكا فيها .
- (٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .
- (٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقرباب ، بالكسر : غمد السيف . ويرى :
« والفتان » وهو غشاء الرجل . والمُرق : ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب . خاضب
الساقين : هبى به ظلياً أجرت ساقاه . والنفق : النافر أو الخفيف .
- (٤) فى الديوان والأغاني : و « تراعى » ، أى تطاول . ط ، هـ : « وقد أرى » . وأثبت
مافى س ، والديوان والأغاني ، والسماوة : أهل شخص الشيء . والقشراء : البيئة
القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوطيف :
مستند الساق . وفى ط ، س : « الوطيفة » وهـ : « قشر الوطيفة » صوابه ما أثبت .
والموق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عبق » هـ : « عبق »
معرفة ما أثبت .
- (٥) فى الأصل : « ميل الجناسين » ، صوابه من الديوان والأغاني . والحبابير : جمع
حبارى ، بمعنى قراخها . والجُم : الجماعة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث
تسكن . وفى الأصل : « عن يقبضا » ، صوابه من الديوان والأغاني . والقبض :
قشر البيض .
- (٦) التكلة من الديوان والأغاني . وفى ط ، هـ : « خراطم أصبح » . والنبخ : الجدري .
س ، ط : « كالخ » هـ : « كالخ » ، صوابهما من الديوان والأغاني والمسان (نبخ) .
- (٧) س : « السح » . ط ، هـ : « السح » ، معرفة ما أثبت .
- (٨) الأصل : « الخدور » ، معرفة ما أثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسم فرس خالد بن نضلة^(١) : « النعامة » . قال :
تَدَارَكَ إِرْحَاءُ « النعامة » حَتَرًا وَدُودَانَ أَدَّتُهُ إِلَى مُكَبَّلًا^(٢)

(تشبيه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد^(٣) :

أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أَدِيبًا عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسْتَأْنِي أَهْلِي^(٤)
رَهِيئَةً قَعَرَ الْبَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ فِي الْوِلْدَانِ أَهْدِجُ كَالرَّئَالِ^(٥)

(١) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛
لذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه
في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب
٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حثرب بن الأضيض ، ودودان
ابن خالد . شرح المفصليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، وانوجه ما أثبت ،
ك : في بلوغ الأرب . و « حترًا » هي في الأصل : « جيداً » صوابه في بلوغ
الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ما أثبت .
وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الحديدة » . مكبلا : متيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان
يسمى عروة الصعاليك ، بلجمه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أحفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورأى إن سلمت الناس ، وتركت غناط الصعاليك ، أن يلحقني
الكبر فأهون ويفضجر مني أهل ؟ ! فهو يحتاج للتصملك بما ترى . س ، هـ :
« حل الصفا » س : « ويأس في » ، هـ : « ويأس أهلي » ، صواب ذلك
في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهيئة : أي ملازم لا يفرح . وهديج الشيخ في مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير
إرادة . والرئال : فرخ النعام .

شِبَّةَ هَدَجَانَ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيئِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وَقَالَ أَبُو الزُّحَيْفِ^(٢) :

أَشْكُو إِلَيْكَ^(٣) وَجَعًا بَرَكْنِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مِشْيَتِي^(٤)

• كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ الْحَقِيقَةِ^(٥) •

وَقَالَ آخَرُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهُمَا حَمَلَ عَلَى صَاحِبِهِ :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْقَتِي^(٦) وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِي

• كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقِيقِ •

وَلَمْ يَفْضَحْهُ إِلَّا قَوْلُهُ :

• أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْقَتِي •

لَأَنَّ الْأَوَّلَ حَكَى أَنَّ وَجَعَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيبُ الشُّبُوحَ ، وَوَجَعَ

الْمِرْفَقِ مِثْلُ وَجَعِ الْأُذُنِ ، وَضَرْبَانِ الضَّرْسِ ، لَيْسَ مِنْ أَوْجَاعِ الْكِبَرِ

فِي شَيْءٍ •

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَشِبَّهِ هَذَا أَنْ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْنَتْ .

(٢) أَبُو الزُّحَيْفِ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ١٩٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو الْمَرْهَفِ » ،

مَعْرُوفَةٌ . وَالرَّجَزُ فِي الشُّعْرَاءِ ٦٦٩ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الزُّحَيْفِ . وَقَدْ نَسَبَ فِي نَوَادِرِ

أَبِي زَيْدٍ ٢٥٥ إِلَى (ابْنِ عُلُقَةَ التَّيْمِيِّ) ، بِرَوَايَةِ أُخْرَى . وَأَرَادَ رَجَزًا آخَرَ

اتَّفَقَ خَاطِرَا الْقَتَاتِلَيْنِ فِيهِ . وَهُوَ يَغْنَرُ نِسْبَةً فِي أَمَالِ الْقَتَالِ (١ : ١٨٩) . وَنَسَبَ

فِي الْمَقَدِّ (٢ : ٥٢) إِلَى أَحْرَابِي .

(٣) فِي الْمَقَدِّ : « إِلَى اللَّهِ » .

(٤) فِي الشُّعْرَاءِ وَالنَّوَادِرِ وَالْأَمَالِ : « مِنْ مِشْيَتِي » .

(٥) الْحَقِيقَةُ : التَّامَّةُ الطَّوِيلَةُ . وَقَدْ أَرَادَ : « الْحَقِيقَةُ » فَصِيرُهَا التَّائِيْتُ تَاءً فِي الْمُرُودِ

عَلَيْهَا . فِي الْأَصْلِ : « النَّقِيقُ » وَلَا تَتَّفَقُ مَعَ الرَّجَزِ ، وَتَصْغِيرُهَا مِنَ اللِّسَانِ

(هَجْجٌ ، هَيْقٌ) وَسَائِرُ الْمَصَادِرِ الْمُتَضَمَّةِ مَاعِدًا الْمَقَدِّ ، فَالرَّوَايَةُ فِيهِ أَشَدُّ تَحْرِيفًا .

وَرَوَى : « خُلُقِي » مَكَانَ « حَوْلِ » فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ مَاعِدًا الْمَقَدِّ .

(٦) الْمِرْفَقُ ، كَتَبَهُ وَجَلَسَ : مُوَصَّلُ الذَّرَاعِ فِي الْعَضْدِ .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميادة ، وذكر بنى نعاماً من بنى أسد - وقد كان قَطَرِيٌّ
ابن الصجاعة يكنى أبا نعامه (١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ بِيَلْدَةٍ نَعَامَةٍ ، مِفْتَاحُ الْخِزَانِ وَبَابُهَا
وهجا دُوَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ رَجُلًا فَجَعَلَ الْبَيْضَةَ الْفَاسِدَةَ مَثَلًا لَهُ ، ثُمَّ الْحَقُّ
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكَرَامَهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِنَسْرٍ - فَقَالَ :
غُلِّقْ أَعْلَى رَغْمِ اللَّدُولِ لَنَنْزِلُ بِحَيْثُ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرٍ (٢)
أَيَا حَكَمَ السُّوءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعْ

فهل أنتَ إنْ هاجَبْتَ إِلَّا مِنْ الْخَضِرِ
وهل أنتَ إِلَّا بَيْضَةٌ مَاتَ فَرَحُهَا ثَوَتْ فِي شُلُوحِ الطَّيْرِ فِي بَلَدٍ قَهْرٍ (٣)
حَوَامَا بَقَاثُ : شَرُّ طَيْرٍ عَلِمْتُهَا وَسَلَامٌ لَيْسَتْ مِنْ عِقَابٍ وَلَا نَسْرٍ (٤)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وحرمان . وهو نسبة غير
حقيقية ؛ فإن مولده بله يقال له الأعدان . والقعقاة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قسم
أحله فجاءه فلقب بذلك . واسم قطري جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامه كنيته
في الحرب ، ونعامه فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان
بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فالتفت فضله فات وجيء برأسه إلى
الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحرري في المقامة السادسة : « فقللوه في هذا الأمر القزعامة
تقليد الخوارج أبا نعام » . ابن خلكان والعميري وشرح التبريزي الحامسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسمائيل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الخضر » هـ : « الخضر » . ولعل
صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه
ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س :
« سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الأرجلين »

(استطراد لنوى)

ويقال للأنثى من ولد النعامة : قلووس ، على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع ^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخف^{*}
والنسم ، والخرمة ^(٢) ، وغير ذلك .

قال عنترة :

تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَةٍ لِأَعْجَمٍ طِمْطِمٍ ^(٣)
وقال كهماس بن ضرار ^(٤) :

• قلووس نَعَامٍ زَفُّهَا قَدْ تَمَوَّرَا ^(٥) •

(وصف الرئال)

ووصف ليبدأ الرئالَ فقال :

(١) كلا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخرمة » معرفة .

(٣) تأوي له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظلم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنما أقص الإكلام شتى بقريب بين النسمين مصلح
وفي الأصل : « تأوي به » ، صوابه من المملقات والسان (قلووس) . والقلووس
الشيبة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ - ٣٤ .

(٥) لظف ، بالكسر : صمدار الغريش . س ، هو : « زحها » معرفة . وتمور :
سقط . وصدر البيت :

• وقد أنملتها للشمس نملًا كأنه •

فَأَضَحَّتْ قَدْ خَلَّتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزَقًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حِلَالٍ^(١)
 ١١٧ وَخِيطًا مِنْ خَوَاصِبِ مُؤَلَّفَاتٍ كَانَتْ رِثَالًا وَزُقُ الْإِفَالِ^(٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رضى الله عنه^(٣) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ لَكَ فِي قُرَيْشٍ كَلِيلَ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ^(٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظلم . يقال مريم عرارة ، وعار يمار
 معارة وعرارة . ط : « غرارة » ، صوابه في س ، هـ والسان (عرر) .
 والزنف : صوت الرياح ، وقد يحمله العرب بزعمهم صوت الجن . وفي الأصل :
 « حرفا » تصحيحه من السان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون . متجاوزون .
 يمت تلك الديار بعد ما رحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواصب : الظلمان قد احرث سوقها .
 مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مزلفات » صوابه من اللبوان . ورثالها :
 فراغها . والورق : جمع أورو ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ،
 كنمير ، وهو النصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) عيجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أريصة في ديوانه ٤٠٧ -
 ٤٠٨ . ويحده :

فإنك إن تمت إلى قريش كفلات البو جائلة المرام
 وأنت متوط بهم هجين كما تبط السرائح بالخدم
 فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كالنعام فى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد اللقاة مائة يولد . ط : « الفيل » ، س ،
 هـ : « السيف » صوابها مأثنت من اللبوان ، والمخصص (٣ : ١٥١)
 وأمالى القتلى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » .
 وهناك بيت آخر يشتهر بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن لك من قريش كليل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الخيران (١ : ١٤٦) ،
 ٧ : ٢٣٥) والخرزاة (٢ : ١٨٠ بولات) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في
 الشراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٢ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد .
 (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنوا أنه أراد التبعيد ، فذكر
شيين قد يتشابهان من وجوه . وحسان لم يرد هذا ، وإنما أراد صَغَفَ
نَسبه في قُرَيْش ، وأنه حينَ وَجَدَ أدنى نسب^(١) انتحل ذلك النسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ — وذكرَ الفرسَ الذى يقال له : « النعامة » ، وهو
فرسُ الحارث بن عباد ، التى يقول فيها :

قرباً مربطَ النعامةِ مِنى لَقِحتُ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ^(٢)
وقولُ الفرزدقِ^(٣) :

تُرِيكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً^(٤)

كِرَامُ^(٥) بناتِ الحارثِ بنِ عباد

نساءُ أبوهنَّ الأغرَّ ، ولم تَكُنْ من الحُتِّ فى أجبالها وهَدَادِ^(٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سب » .

(٢) من حِيال ، أى بمد حِيال . والحِيال ، بالكسر : ألا تحصل الثاقبة بوله . وقد قال
الحارث هذا الشعر لمناسبة تجنعا فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله النوار زوجة ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :
تزوجتها أصراية دقيقة الساقين !

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٥٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :
« أرتك » فى الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول
لها : إن بنات الحارث بن عباد يحملن إليها البقرة المصاة حتى ينظرن عليها نهارها .
والمباراة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن قتوله فقد تمتمه وترىه النجم يجرى بالظهور

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زسام » . وللمرزياني كلام
فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالقم ، وهداد : قبيلتان من الإزد . ط : « من الأزد فى جاراتها
وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩ : ٩) =

آبُوهَا الَّذِي آوَى النَّعْمَةَ بَعْدَ مَا أَبَتْ وَأَثَلُ فِي الْحَرْبِ غَيْرَ نَعْمَةٍ^(١)
 وَقَدْ مَدَحُوا بَنَاتِ الْحَارِثِ بْنِ عِبَادِ هَذَا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٢) :
 جَاءُوا بِحَارِشَةِ الضَّبَابِ كَأَنَّهُمْ جَاءُوا بِبَنَاتِ الْحَارِثِ بْنِ عِبَادِ^(٣)
 وَيَلْحَقُ^(٤) هَذَا الْبَيْتَ بِمَوْضِعِهِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : بَاضُ الصَّيْفِ^(٥) ،
 وَبَاضُ الْقَيْظِ^(٦) . وَقَالَ مَضْرُوسٌ :
 بِلَمَاعَةٍ قَدْ بَاكَرَ الصَّيْفُ مَاعَهَا وَبَاضَتْ عَلَيْهَا شَمْسُهُ وَحَرَارُهُ^(٧)

= لَكِنْ فِي س ، هـ : « مِنْ الْحَبِّ فِي إِحْلَاطِهِ » ، وَتَصَحِّحُ هَذَا التَّحْرِيفَ مِنَ
 الْبُيُوتَانِ .

(١) أَبُوهَا ، يَعْنِي أَبَا زَوْجَتِهِ . وَ« آوَى النَّعْمَةَ » إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ : قَرِيبًا مَرِيطُ
 النَّعْمَةِ . ط : « قَادَ النَّعْمَةَ » وَيُظْهَرُ أَيْضًا أَنَّهُ اعْتَادَ مِنَ الْمَصْحُوحِ عَلَى رِوَايَةِ
 الْأَغْنِيِّ (١٩ : ٩) . وَرِوَايَةُ الْبُيُوتَانِ : « أَدْنَى » . وَالتَّائِي : الْحِجَابَةُ .
 وَوَأَثَلُ هُوَ وَالِدُ بَكْرٍ وَتَقَلَّبَ التَّيْنُ أَشْطَلًا نَارَ حَرْبِ الْبُيُوتِ ، فَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا
 تَحَارِبُ الْأُخْرَى .

(٢) فِي (٦ : ١٠٢) : وَقَاتِلَةُ هَذَا الشَّعْرِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عِبَادٍ . وَنَحْوُهُ فِي
 تَحَارُ الْقُلُوبِ ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بِحَارِشَةِ الضَّبَابِ : أَيُّ بِامْرَأَةِ تَحْرُشِ الضَّبَابِ ، أَيُّ تَصَيِّدِهَا . وَقَدْ عُدَّتْ هَذِهِ
 حَرْشُ الضَّبَابِ لِوَمَا وَمِثْلِهِ ، وَلَكِنْ يَعْضُ الْعَرَبُ لَا يَرَى فِي ذَلِكَ شَيْئًا . انْظُرْ .
 تَفْصِيلُ هَذَا الْخِلَافِ فِي (٩ : ٧٧ - ١١١) . أَمَّا بَنَاتُ الْحَارِثِ بْنِ عِبَادٍ فَثَلُ فِي
 الْكَرْمِ وَالشَّرَفِ .

(٤) الْكَلَامُ مِنْ مِثْلِ هَذَا إِلَى نَهَايَةِ بَيْتِ مَضْرُوسٍ سَاقِطٌ مِنْ س . وَبِمَا دَلَّ هَذَا
 عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ دَعِيلٍ مِنْ صَنْعِ أَحَدِ الْقُرَاءِ . وَكَلِمَةُ « بِمَوْضِعِهِ » تُشِيرُ إِلَى مَا سَبَقَ
 فِي ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : وَهُوَ هَذَا ط ، هـ : « الصَّيْفِ » . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ٢٣٦ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَمِنْ بَاضِ الْقَيْظِ » ، وَكَلِمَةُ « مِنْ » مَقْصُودَةٌ .

(٧) لَمَاعَةٌ : أَيُّ فَلَاحَةٍ يَلْمَعُ فِيهَا السَّرَابُ . ط : « بِدَاعِيَةٍ » صَوَابُهُ فِي هـ ، وَاللَّسَانُ
 (حَرَرٌ) . وَفِي اللَّسَانِ أَيْضًا : « قَدْ صَادَفَ الصَّيْفُ » . وَالْحَارِثُ : جَمْعُ
 حَرُورٍ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْحَرُّ . وَبَاضَتِ الشَّمْسُ : أَخْرَجَتْ كُلَّ حَرِّهَا . وَرِوَايَةُ
 اللَّسَانِ : « فَاغْتَبَتْ » .

(ابن النعمانة ، فرس خُزَز بن لُوذَان)

وابن النعمانة : فرس خُزَز بن لُوذَان^(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين
أنكرت عليه إشارته فرسه باللبن :

كَلَبَ المَتِيقُ ومَاءَ شَنْ بَارِدُ إِنْ كُنْتَ سَائِلِي غَبُوقًا فَاذْهَبِي^(٢)
إِنِّي لَأَحْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلِي^(٣) هَذَا غِبَارُ سَاعِطٍ فَتَلَبَّبِي^(٤)

(١) خُزَزُ بَزِين وِبُوزَن عَمْر ، ابن لُوذَان ، بفتح اللام وبذال المعجمة : شاعر قديم
جائع ، كما فى الخزائة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه
فى القاموس (خُزَز ، لُوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٢١٧) . ونسبة
الشعر الآتى إلى خُزَز ، مظهرها فى الخزائة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) .
ونسب إلى عنترة فى المختص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحاشية
ابن الشجرى ٨ وأماله (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عنابة العرب يخيلهم ، وإشارتهم لما على أنفسهم وعلى أزواجهم
ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأهرج المنى (الحماسة
: ١٤٠ : ١) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدوى عظام توجع

تلوم على أن أمتح الورود لقحة وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما
تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك للفرس ساعة الفزع الحرب .

(٣) يقول لها : طيبك بأكل المتيق ، وهو يابس القتر ، ويشرب الماء البارد الذى
فى القربة الخلق ، ولا تعرضى لغبوق اللبن ، وهو شره بالمشى ؛ لأن اللبن
خصص به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإليك من الأعداء . وكذب كذا ،
وكذب عليك كذا : مغلان غريبان من أمثلة الإغراء ، لكنه جاء مسموحا
كثيرا فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحيلته زوجته . ط ، س : « خليل » وتمحيط بالتصغير وإرادة التداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُم إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَغْضَبِي^(١)
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِجَّتَهُ وَابْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي^(٢)

(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهليل :

١١٨ وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرِّجَالَ بِرِيدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَمٍ وَمُهَلَّلٍ^(٣)
وقال ذو الإصبع العدواني :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ خَالَفَ لِي أَقْلِبُهُ وَيَقْلِبُنِي^(٤)
أَزْرَى بَنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتَنَا فَخَالَي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي^(٥)

- وأثبت ماقه والبيان والسان (لب) . ورواية ابن الشجري في الحماسة :
« ظليتي » . وللظبية : المرأة . والنيار الساطع الذي تنى : هو ما يتأثر من
جوى غيل العدو المفير . والتلب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنتين والجمع ، والمثني والمذكر ، يلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمالي : « أَنْ يَأْخُذُوكَ » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حلف الخافض ، أي في أَنْ يَأْخُذُوكَ » . ثم قال : « قلدها بإرادتها أَنْ تَأْخُذَ
مسيبة ، فلذلك قال : تَكْجَلِي وَتَغْضَبِي » .

(٢) أي بمملك الأعداء حين تسير على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحلج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للنساء العدو
فرسى المسى بآبن النعامة . وقيل : أراد بآبن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هي في الأصل : « وقع » و « بريدها » هي في ط ، س « بريدها »
وفي هـ : « بريدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ٣٥١ . و « يرفعن »
هي في الأصل : « يرفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر هجر البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أي أبغضه ويغضبي .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيضان
من تصديده في المنفصلات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوَادٍ الإِيَادِيُّ فِي ذِكْرِ الصَّيْدِ ، وَذَكَرَ فَرَسَهُ :

وَأَخَذْنَا بِهِ الضَّرَارَ وَقَلْنَا بِحَقِيرٍ بِنَانِهِ أَضْهَارُ^(١)
غَاتَانَا يَسْعَى تَفَرُّشَ أُمِّ الْإِ بَيضُ شَدًّا وَقَدْ تَعَالَى النَّهَارُ^(٢)
غَيْرَ جَعْفٍ^(٣) أَوَايِدٍ وَنَعَامٍ وَنَعَامٍ خِلَالِهَا أُنُورُ
فِي حَوَالِ الْعُقَارِبِ^(٤) الْعَمْرِ فِيهَا حِينَ يَنْهَضُ^(٥) بِالصَّبَاحِ عَذَارُ
ثُمَّ قَالَ :

يَتَكَشَّفْنَ مِنْ صَرَائِعِ سَتِّ قَسَمَتِ يَنْهَضُ كَأَسُّ عُقَارُ
بَيْنَ رَبْدَاءَ كَالْمِظَلَّةِ أَفْقٍ وَظَلَمٍ مَعَ الظَّلِيمِ حَمَارُ^(٦)
وَمِهَاتَيْنِ حَرَبَيْنِ وَرِثَالٍ وَسَبُوبٍ كَأَنَّهُ أَوْتَارُ^(٧)

(١) كَذَا جَاءَ اللَّيْثُ مَحْرَفًا فِي الْأَصْلِ . س : « الضَّرَار » . هـ : « فَلْنَا » مَوْضِعٌ
« وَقَلْنَا » . س : « بِحَقِيرٍ » مَوْضِعٌ : « بِحَقِيرٍ » .

(٢) أُمُّ الْبَيْضِ ، مَعْنَى بِهَا التَّنَامَةُ . وَالتَّفَرُّشُ : أَنْ تَرَفُوفَ بِمِنْحَانِهَا . فِي الْأَصْلِ :
« وَأَنَّى يَنْهَضُ تَفَرُّسٌ » ، صَوَابُهُ فِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٥ وَالسَّانِ وَالْمَقَائِيسُ (فَرَسٌ) .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلِ .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي س ، هـ : « فِي حَوَالِ الْعُقَارِبِ » ، مَحْرَفَتَانِ .

(٥) س ، هـ : « يَنْهَضُ » .

(٦) رَبْدَاءُ : أَيْ نَعَامَةٌ رَمَادِيَّةُ اللَّوْنِ . وَالْمِظَلَّةُ : بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، الْكَبِيرُ مِنَ الْأَخْبِيَةِ ،
وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ ص ٣١١ :

« شَخْتُ الْجَزَاوَةِ مِثْلَ الْبَيْتِ سَائِرُهُ » .

وَسَيَأْتِي مِثْلُهُ لَدَى الرِّمَّةِ ص ٣٦٨ . ط : « كَالْمِصْلَةِ » س ، هـ : « كَالْمِظَلَّةِ » .

صَوَابُهُ مَا أَتَتْهُ . وَالْأَفْقُ ، بِضَمِّتَيْنِ : الرَّائِعُ ، يُقَالُ لَقَدْ كَرَّ وَالْأَفْقُ ، وَقَدْ سَكَنَ
الْفَاءَ لِلشَّعْرِ .

(٧) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط :

وَمِهَاتَيْنِ حَرَسَ وَرِثَالٍ وَسَيُوفٍ كَأَنَّهُا أَوْتَارُ

وَالْتِمَازُ مَحْرَفَانِ . وَفِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٦ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ فَقَطْ « كَأَنَّهُ أَوْتَارُ » .

بِالْثَّاءِ الْمُفْثَلَةِ . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : « قِيلَ هُوَ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ الْمُخْشَرُ ، وَقِيلَ : الْبَرْدَةُ » .

(شعر في تشبيه الناقة بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبهها بأشياء منها^(١) ثم أطنب

في تشبيه إناها بالظلم :

تلاحظ السوط شزراً وهي ضامرة كما توجس طاولي الكشح موشوم^(٢)
كانها خاضب زهر قوائمه أجنى له باللوى شرى وتوم^(٣)
يظل في الخنظل الخبطان ينقعه وما استطف من التئوم مخلوم^(٤)
فوه كشق العصا لأباً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم^(٥)
يكاد منسه يحتل مقلته^(٦) كأنه حاذر للشخص مشوم^(٧)

(١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .

(٢) نظر شزراً : أي مؤخر منه . ضامرة ، بالزاي : أي ساكنة خائفة . س ، هـ ، والديوان ١٢٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التمسع لصوت الخفى . س ، هـ : « تزجر » ، بحرف ما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذي في ذراعيه خطوط . ومعنى به الثور الوحشي . س ، هـ : « موشوم » ، بحرف .

(٣) الخاضب : الظلم قد احمرت ساقه . والزهر : القليلات الريش . هـ : « زهر » . مصحفة . روى في المفضليات : « قواده » . والشرى : الخنظل . والتئوم : نبت . وأجنى : أي أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : « أجنى » صوابه في ط : والديوان وحيون الأخيار (٢ : ٨٧) والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .

(٤) الخبطان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهي الصفراء فيها خطوط خضر . في الأصل : « الخبطان » صوابه في الديوان والمفضليات واللسان (طلف) . ينقعه : يشقه ليستخرج له . واستطف : أي بدا للاختل . والمخلوم : المقطوع هـ : « مخدوم » وأثبت ما في ط ، س ، والمفضليات . ورواية الديوان : « مخدوم » وهو المقطوع قطعاً وحيّاً .

(٥) لا يا تبينه ، أي لا تبينه إلا بجد وجهه ومشقة . ط : « لا يأتينه » . س ، هـ : « لا يأتينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الاسم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .

(٦) المنم ، كجلس : طرف خف النعامة . يحتل مقلته : ينفذ فيها وينتظها .

(٧) المشوم : القرح . س ، هـ : « موشوم » س : « حازم التحين » هـ : «

حتى تذكروا بِنِصَاتٍ وَهَيَّجَهُ يَوْمُ رَذَاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومٌ^(١)
 فلا زَيْدُهُ في مَشْيِهِ نَفِيقٌ^(٢) ولا الزَّيْفُ دُونِ الشَّدِّ مَشْثُومٌ^(٣)
 يَأْوِي إلى حِسْكَيْلٍ زَعَرٍ حَوَاصِلُهَا^(٤) كَأَنَّهَا إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومٌ^(٥)
 وَضَاعَةٌ كَعَصَى الشَّرْعِ جَوْجُوهٌ كَأَنَّهُ بِنِهَايِ الرُّوضِ عُلْجُومٌ^(٦)
 حَتَّى تَلَافَى وَقَرْنَ الشَّمْسُ مَرْتَفَعٌ أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ^(٧)

= « حارم التبختر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

- (١) في المفضليات : « عليه السج » . ه : « معتم » .
- (٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ه : « ولا تزيد وفي مشيه » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
- (٣) الزيف : الملقى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل . « مشثوم » صوابه في المصدرين السابقين . س ، ه : « إلا الزيف دون السك » ، محرف .
- (٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ه : « درحق » صوابها : « درحق » . في الديوان : « حرق » .
- (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، ه : « إذا ركن مرثوم » .
- (٦) الروض : الذى يملو وضما . والروض : علو سريع من علو الإبل . وقد زاد التاء لئلا يلفظ ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرح ، بالكسر : جمع شرعة ، وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتتاهى : جمع تنهى ، وهى الأماكن المظتنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروص : جمع روضة . والعجوم : البحر الطويل المثل بالقطران . ولعمري لقد دار حلقة على رأسه ، فنبه نائته بالظلم ثم عاد فنبه الظلم بالبحر ، وقد دسه إلى ذلك إفراطه في الاستطراد . س ، ه : « وصاعد كقصى الترع » و « يتتاهى الروس » صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .
- (٧) تلاقى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، ه والمفضليات والسان (حرس) . والأدحى : موضع يفيض النعامة . وأراد بالمعسرين الذكر والأنثى . س : « أرسى عريتين » محرف . ومركوم : راكب يمشه مضاً . ه : « محجوم » ، « لا وجه له » .

١١٤ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظُنَّ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ^(١)
صَعْلٌ ، كَانَ جَنَاحَيْهِ وَجُوجُوهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاءُ مَهْجُومٌ^(٢)
نَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْمَاءُ خَاضِبَةٌ نَجِيْبَةٌ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْزِيمٌ^(٣)

(رؤيا النعامة)

الأصمعي ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل^(١)
شبيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلمه
بكلام ، وأم ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنها تفتن ، فقال له : يا بني اذهب
إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنَّ له نعامةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يومى إليها : يشر . س ، هـ : « رعى » صواب هله : « يوحى » كما في
الدويان والمفصليات . والإنقاض : صوت مثل النقر . والنقنة : صوت كموت
الدجاجة البيض . وتراظن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من
الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تراظن . والأفدان : جمع فدن ،
بالتحريك ، وهو القصر المشيد . هـ : « أفرأها » س : « أقرأها » ، صوابها
في ط والدويان والمفصليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجوجو : الصدر . وخرقاء : أى ريع خرقاء لا تلوم
على حاله في هوجها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٤٩ : « وخرقاء :
التي لا تحسن شيئاً ، فهي نفسها ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازني في قوله :
أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا أنهدم سريعاً » .
وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهوم . وهو من صفة البيت
الذى شبه به جناحى الظليم وجوجوه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، هـ : « يحقه هقلة » محرف .
والسطماء : الطويلة المتق . س ، هـ : « صمقاء » محرفة . والزمار ،
بالكسر : صوت أثنى للنعام .

(٤) س ، هـ : « أرسلنى » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فحبَّأَهَا في بَنِي حَنيفة^(١) . قال : فجدتُ
أبني فأخبرته ، فنافرتُهُ أُمِّي ، وما زالت به حتى اعترف أن له جارية
في بَنِي حَنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أَنَّهُ من حديث الأصمعي مشهورٌ
ما ذكرته في كتابي .

(مسيلة الكذاب)

وأما قول الشاعر المثلُّ في مسيلة الكذاب ، في احتياله وعمومه
وتشبيه ما يحال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

بيضة قارورٍ ورَّايَ شادينٍ وتوصل مقصوص من الطير جادفٍ^(٢)
قال : هذا شعرُ أنشدناه أبو الزرقاء سَهْمُ الخثعمي ، هذا [منذ^(٣)]
أكثرَ من أربعين سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفظُ منها
إلا هذا البيت .

فلذكر أن مسيلة طاف ، قبلَ التنبُّي ، في الأسواق التي كانت بين دور
العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات^(٤) ، كنهو سوق الأبلَّة ،
وسوق بَقَّة^(٥) ، وسوق الأنبار ، وسوق الحيرة .

(١) أي في بني حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل
الملاح بمجدافيه . وفي الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في اللسان : « تسوق القوم : ياصوا واشتروا » . س ، هـ ، « فيه » هـ :
« لسوق » ، عرفان عما في ط . والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة .

(٥) بقَّة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزل به ذئبة الأبرش . وفيه المثل : « بقَّة خلعت
الراي » . ط ، هـ : « لقة » س : « لقة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتمس تعلم الحِيل والنيرجات^(١) ، واختيارات النجوم والمتنبئين . وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء^(٢) وأصحاب الزجر والخط^(٣) ، ومنهـب الكاهن والعيايف^(٤) والساحر ، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تايعة^(٥) .

قال : فخرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنه صبَّ على بيضة من خلٍ قاطع^(٦) - والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخل لأن قشره الأعلى ، حتَّى إذا مددته استطال واستلق وامتدَّ كما يمتدُّ العلكُ ، أو على قريب من ذلك - قال : فلما تمَّ له فيها ما حاول وأمل ، طوَلها ثمَّ أدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وزكها حتَّى جفَّت وبيست . فلما جفَّت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ » ، والمنقول من نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرجات » فهذا مذهبان في التصريب . وهو بالفارسية : « نيرنسكت » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه في ط ، هو . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الهازي فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقم حتى أخط لك . وبين يدي الهازي غلام له معه ميل له - أي قسيب - ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالمجلة ، ثلاثاً يلحقها البلد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقي من الخطوط غطان فهما علامة قضاء الحاجة والتنجيح ، وإن بقي واحد كان ذلك أمانة للخبية ، وبينما الهازي يمحو يقول : الغلام لتفاضل : ابن عيان ! أسرها البيان ! .

(٤) العيايف ، من العيافة ، بالكسر : وهي زجر الطير ، والتفاضل بأسمائها ، وأسواتها وعمرها .

(٥) هو : « تايعة » أي جنية تتجه .

(٦) خل قاطع : أي شديد الحموضة .

انضمت ، وكلم انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَة ^(١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادعى بها أعجوبة ، وأنها جعلت له آية . فأمن به في ذلك المجلس مُجَاعَة ^(٢) . وكان قد حل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام ، وقد كان يرأهن في منزل مُجَاعَة مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجَاعَة : إلى كم ١٢٠ تعذب خلق الله بالقص ؟ ! ولو أراد الله للطير خلاف الطير أن لَمَا خَلَقَ لها أجنحة ، وقد حرمت عليكم قصّ أجنحة الحمام ! فقال له مُجَاعَة كالمثنت : فسأل الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن يُنبت لك جناح هذا الطائر الذكور الساعة !

فقلت لسهم : أما كان أجود من هذا وأشبّه أن يقول : فسأل الذي أدخل لك هذه البيضة فَمَ هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأن ^(٣) القوم كانوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحان من مُجَاعَة كثير . ولعمري إن المتنبي لم يخدع ^(٤) ألفاً مثل قيس بن زهير ^(٥) ، قبل أن يخدع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلس الحنفى النخعي ، صابى جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزبانى في المعجم ٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزبانى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى غالداً يقتلنا اليوم يلقب الأصفر الكذاب
لم ندع حلقة التبي ولا نحن رجعتا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة الميمى ، كان يلقب بقيس الرأى ؛ لجودة =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما
قيسُ بسبيله .

قال مسيلمة : فإن أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه ،
أنعلمون أني رسول الله إليكم ؟ قالوا ^(١) : نعم . قال : فلأن أريد أن أناجي
ربِّي ، وللمناجاة خلوة ، فانهضوا عني ، وإن شتم فأدخلوني هذا البيت
وأدخلوه معي ^(٢) ، حتى أخرجه إليكم الساعة وافي الجناحين يطير ، وأنتم
ترونه . ولم يكن القوم سمعوا ^(٣) بتعزيز ^(٤) الحمام ، ولا كان عندهم باب
الاحتياط في أمر المحتالين . وذلك أن عبداً الكيس ^(٥) ، فإنه ^(٦) المقدم
في هذه الصناعة ، لو منعه السر والاختفاء . لما وصل إلى شيء من
عمله جلّ ولا ذقّ ؛ ولما كان واحداً ^(٧) من الناس . فلما خلا بالطائر
أخرج الريش الذي قد هيأه ، فأدخل طرف كل ريشة مما ^(٨) كان معه ،
في جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقص . وقصّب ^(٩)

= رأيه . وهو صاحب داحس التي راعى عليها حقيقة بن بدر صاحب الفراء ، فلما سبق

قيس نزهة وشبهت ناز حرب داحس والفراء في الجاهلية .

(١) في الأصل : « قاله » ، والوجه ما كتبت .

(٢) ط : « فأدخلوه هذا البيت وأدخلوني معه » ، وأثبت ما في س ، ه .
ومؤداهما واحد .

(٣) ط : « يسموا » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٤) تعزيز اجام : أي تعزيز الريش في جناحه . وأصله من تعزيز النخل ، أي نقله من موضع
إلى موضع . وهذا يقال ما يعرف في اصطلاح زراعي مصر بالثقل ، بفتح اللين . ط :
« بتعزيز » ه : « بتعزيز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا في الأصل . وفي أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس .
انظر تاج المروس (كيس) .

(٦) ط : « فاته » س : « فاته » ، وصوابه في ه .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٩) قصب الريش : أنابيه . في الأصل : « قصيب » عرفة .

الرئيس أجوف ، وأكثر الأصول حداً وصلاب . فلما وفى الطائر ريشه صار فى العين كأنه يردون موصول اللذب ، لا يعرف ذلك إلا من ارتاب به . والحمام بنفسه قد كان له أصول ريش ، فلما غرّزت تمت^(١) فلما أرسله من يده طار . وينبغى ألا يكون فعل ذلك بطائر قد كانوا قطوه^(٢) بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد من كان آمن به بصيرة وآمن به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، وتزع منهم فى أمره^(٣) كل من كان مستبصراً فى تكذيبه .

قال : ثم إنه قال لهم — وذلك فى مثل ليلة مُنكَرَةِ الرِّيحِ مُظْلِمَةٍ فى بعض زمان البوارح^(٤) — إذ الملك على أن ينزل إلى^(٥) ، والملاحكة تطير ، وهى ذوات أجنحة ، ولجىء الملك زجل وخشخشة^(٦) وقمقة ، فن كان منكم ظاهراً فليدخل منزله ؛ فإن من تأمل اغشطف بصره ! ثم صنع راية من رايات الصبيان التى تعمل من الورق الصفي^(٧) .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا فى الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أى صار فى مذهبه ، وصار فى نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التى تحمل التراب ، وغصبا بعضهم بما كان منها فى القبط .

(٥) أى حل وشك أن ينزل حل .

(٦) الخشخشة : صوت كموت السلاح . هـ : « خشخشة » بهاءتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصفي النعومة والحن والرفق والبرقة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب الممالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند فى سبى سباه زياد بن صالح فى وقته أطلع — سنة ١٢٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت المنفعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند » . وجاء فى فهرست ابن التميم ٢١ ليسك ٣١ مصر : « الورق الصفي ويعمل من الخشب » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وتُجملُ لها الأذنان والأجنحة ، وتعلّق في صدورهما

الجلجل^(٢) ، وترسل يوم الرّيح بالخيوط الطّوال الصّلاب .

قال : فبات القوم يتوقّعون نزول الملك ، ويلاحظون السّماء ، وأبطأ عنهم حتّى قام جلّ أهل النّمامة ، وأطّنت^(٣) الرّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يروّون الخيوط ، واللّيل لا يُبين عن صورة الرّق^(٤) ، وعن دقّة الكاغد . وقد توهّموا قبل ذلك الملائكة . فلمّا سمعوا ذلك ورأوه تصارّخوا وصاح : من صرّف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أبطقوا على نصرته والدّفْع عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وتوصيل مقصوص من الطير جادف^(٥)
فقلت لهم^(٦) : يكون مثل هذا الأمر العجيب ، فلا يقول فيه شاعر ، ولا يشيع به خبر ؟ قال : [أ^(٧)] وكلما كان في الأرض عجب ، أو شيء

(١) الكاغد ، يفتح التّين ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه . والكاغد لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : *καρπας* وتنطق : « خازطيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدي شير ١٣٦ .

(٢) الجلجل : جمع جلجل ، مجيئين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرقة .

(٣) أطّنت الرّيح إطناباً : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرقة في الأصل فهي في ط : « طليت » ، وفي س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » . إذ أن للرّيح الطّيبة هي الينة غير الشّديدة .

(٤) الرّق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لم » محرقة . وسيترجم الجاحظ « سبها » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجبَ أن يشيعَ ذكرُهُ ، ويقالَ فيه الشُّعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نَزْعُهمُ أنْ كسرى أبرويْز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعظم ، وسليلُ ملوكِ ، وأبو ملوك ، مع حَزْمِهِ ورأْيِهِ وكَمالِهِ ، خطبَ إلى النُّعمانِ بنِ المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأَتُهُ ظِئراً لبعضِ ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمُّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلكَ أَحَبُّهمُ أَقْبَشُهُ ، إمَّا من أَشلاء قصَى بنِ معد ، وإمَّا من عُرضِ نخم . وهو الذى قالوا : نَزَوَّجَ مومسَةً — وهى الفاجِرَةُ ، ولا يقالُ لها مومسَةٌ إلا وهى بذلكَ مشهورة — وعَرَفَها بذلكَ ، وأقامَ عليها ، ومُحِبِّىَ بها ولم يَحْضِلْ بهجاءهم . ومما زاد فى شهرتها قصَّةُ المرقش^(١) . وناكها قُرَّةُ بنُ هُبَيْرَةَ^(٢) حينَ سبَّها . فعلمَ بذلكَ وأقامَ عليها ، ثمَّ لم يَرْضَ حَتَّى قالَ لها : هل مَسَّكِ ؟ قالتَ : وأنتَ واللهِ لو قَدَّرَ عليكَ لَمَسَّكِ ! فلم يَرْضَ بها حَتَّى قالَ لها : صِفِيهِ لِي . فوصَفَتْهُ حَتَّى قالتَ : كَانَ شَعْرَ خَدَيْهِ حَلَقُ الدَّرْعِ ! ويالِ على رأسِهِ خلفَ بنِ نَوالَةَ الكِنَانِي عامَ حَجِّ ، وَنَصَرَهُ عَدُوُّ بْنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو خوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغاني (٥ : ١٨٣ — ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلقها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا أسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً مادام وصلك دائماً

(٢) قرة بن هيرة ، أحد بني قشير ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحق سبب^(١) . وخطب أخوه المنذر إلى عبيدة بن همام ، فردّه
أفجح الردّ ، وقال^(٢) :

أَتَوْنِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّنْتُوا^(٣) وَقَدْ طَرَقُونِي بِأَمْرِ نَكْرٍ
لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ خُرُجًا^(٤)

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتّى
كان ذلك سبب هربه وعلة لقتله - فهل رأيت شاعراً في ذلك الزمان
١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى^(٥) كان منهم في يوم جلّولى^(٦)
ويوم ذى قار ، وفي وقائع المثنى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقاص - فهل
سمعت في ذلك بشعر صحيح طريف^(٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفانخرهم
مما لا يداني هذا المصنّف^(٨) ؟ !

(١) نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية . وانتظر خبر تنصير على بن زيد النعمان بن المنذر
في الأضاني (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) البيتان يدرن نسبة في الكامل ٤٤٦ ليسك . ونسبا في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يفر .

(٣) ما بينوا : أي ما دبروه وفكروا فيه ليلاً . هـ : « بينوا » ، محرقة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخي المنذر لحر مثل المرأة التي
خطبها . في الأصل : « حرا بجر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذى » .

(٦) المعروف : « جلولا » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول التميمي
ابن عمرو :

ونحن قلطنا في جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولا الواقعة أنثيت بنو فارس لما حوتها الكتاب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدا أخرى » . وهي طسوج من طاسج
المراد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس المسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « طريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المختصر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من زرار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وَأَمَّ النُّعْمَانُ مَلَمَى بِنْتَ الصَّائِفِ^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثُمَّ كَانَ نَجْلَهُ^(٣) لِفَعْلٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ .

وقد قال جبلةُ بن الأَينهم^(٤) ، لحسان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عَلَى ورايتنى ، فأين أنا من النُّعْمَانِ ؟ قال : والله^(٥)

[فَالنُّعْمَانُ^(٦)] مع هذه المثالب كلها قد رَغِبَ بِنَفْسِهِ^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أَتْبَهَ الكُسُورِ^(٨) . وكما^(٩) كان أَبْرَوِيزُ أَعْظَمَ خَطَرًا ،

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحب القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمها عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « ملسى بنت عقاب » .

(٣) نجلة ، أي ولادته . ط ، هـ : « بنجله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأَينهم النُصائى ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والمقدمة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لِفَعْلِكَ غير من وجهه ، ولِفَعْلِكَ غير من يمينه ، ولِفَعْلِكَ غير من رأسه ، ولِفَعْلِكَ غير من صوابه ، ولِفَعْلِكَ غير من كلامه ، ولِفَعْلِكَ غير من أبيه ، ولِفَعْلِكَ غير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد رَغِبَ بِنَفْسِهِ » .

(٨) الكُسُور : جمع كسرى : اسم ملك الفرس ، مغرب « خَشَرَوُ » أي واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكاسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يمينه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلا » .

كَانَتْ أَنْفَتُهُ^(١) أَفْخَرَ لَعَرَبٍ ، وَأَدْلُ عَلَى مَا يَدْعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النِّسْبِ
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُوداً ظَاهِراً ، وَمُرَدِّداً^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِضاً . فَإِذْ قَدْ
تَبَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمُفْخِرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ - فَشَانَ مُسَيْلَمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأَنْشَدَنِي يَوْسُفُ لِبَعْضِ شُعَرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلَمَةَ
وَيُكْنَى أَبَا ثُمَامَةَ :

لَهْفَى عَلَيَّكَ أَبَا ثُمَامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شُمَامَةَ^(٤)
كَمْ آيَةٍ لِأَيِّهِمْ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةِ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصْلٌ
مَّا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِي) وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُتَنَبِّينَ ، وَشَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حَدِيثِهِ ، وَيَأْيُ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جَمْلَةً أَحْتِيَالِيَهُمْ ،
وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا تَحَارِيْقُهُمْ^(٦) . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاطْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ؛ فَإِنَّهُ مُوجُودٌ .

-
- (١) أَى أَنْفَةُ الثَّعْمَانِ مِنْ مَصَاهِرَةِ كَسْرَى . ط ، هـ : « أَلْفَتَهُ » ، س : « أَلْفَتَهُ » .
وَالْأَوْضَحُ مَا أَتَيْتُ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَمُورُوداً » . وَلَا تَنْجِبُ .
(٣) أَى كَانَ مُسَيْلَمَةَ .
(٤) فِي الْمَعَارِفِ ١٧٨ : « عَلَى رُكْنِي شُمَامَةَ » .
(٥) كَذَا . وَرَوَايَةُ الْمَعَارِفِ : « كَمْ آيَةٍ لَهُ فِيهِمْ » .
(٦) الْخَارِيقُ : يَرَادُ بِهَا تِلْكَ الْأَلْغَابُ الَّتِي يُلْجَأُ إِلَيْهَا لِلْهَيْمِ الْمُشْعُودُونَ . وَاحِدُهَا غَرَاقُ .
قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْمُلَقَّاتِ ٢٢١ : « قِيلَ الْخَارِيقُ : مَا مِثْلُ بَالِشَى وَلَيْسَ بِهِ
نَحْوُ مَا يُلْجَأُ بِهِ الصَّيَّانُ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ وَالْإِشْرَافَ ٢٤٠ س ١٩ وَالْخَيْرَانَ
(١٠ : ١) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبد القيس بن خُصاف البرجمي^(١) ، النعمان بن المنذر ، في الجاهلية ، وذكر ولادة الصائغ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللهُ نَمَّ ثَمَّ ثَمَّ يَلْعَنُ ابْنَ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُومَ الْجَهُولَ^(٣)
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَقْزُو ثَمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتَيْلًا^(٤)

(سهم الحنفي)

وكان سهم الحنفي^(٥) يلى طبرستان^(٦) ، لمن بن زائلة^(٧) ، مع حداثة
سنه يومئذ ، وكان له مروعة^(٨) وقدر في نفسه .

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله
شعران مع ستم الطائي والثابتة اللبديي . وانظر الأول في الأغاني (١٤٥ : ١٤٦)
ومجموع المرزبانى ٣٢٥ . وأما خبره مع الثابتة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجا في النعمان على لسان الثابتة — وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما — فأفسد
ذلك على الثابتة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزبانى باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
وتوادر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٢٨٣ والحجاسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والله الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

(٣) روى ابن قتيبة في الشعر ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارت الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : يتفقه . ط : « يرزء » ، س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

(٥) طبرستان يفتح اللام وقلب وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة للممالك الإسلامية .

(٦) ممن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتوهمهم وسط أعدائهم ، حتى كانوا وحدهم^(١) يعدلون بكراً كلها - ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفي إخوانه ١٢٣ عجل قصبه ورجز ، وشعراء ورجازون . وليس ذلك لمكان^(٢) الخصب وأنهم أهل مدر ، وأكالو تمر^(٣) ، لأن الأوس والخزرج كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عبد القيس النازلة قرى البحرين^(٤) ، فقد تعرف أن طعامهم أطيب^(٥) من طعام أهل البصرة .

وتقيد أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وإن كان شعرهم أقل ، فإن ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب . وليس ذلك من

من تغلب في الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير الدراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أهل من مع يزيد بلاد حسا . فلما قتل يزيد هرب من خوف المنصور ، ثم دخل من في شبة المنصور وصار من خواصه . وقتل من بسجستان ، إذ كان والياً عليها ، ستة اثنين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورواه مروان بن أبي حفصة بحريية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

- (١) ط : « وأحدهم » ، صوابه في س ، ه .
- (٢) ط : « المكان » ، صوابه في س ، ه .
- (٣) آكالو تمر : أي لم تخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه من س ، ه .
- (٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والتوجه ما أثبت من س ، ه .
- (٥) في الأصل : « أعيب » . وهو عكس المراد .

قَبِيلٍ رِداءةِ الْغِذاءِ ، وَلَا مِنْ قِلَّةِ الْخِصْبِ الشَّاعِلِ وَالْفَنَى ^(١) عَنْ النَّاسِ ؛
وَأَيْمَنَّا ذَلِكَ عَنْ قَدَرٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحِظُوظِ وَالْفَرَاثِرِ ، وَالْبِلَادِ
وَالْأَعْرَاقِ مَكَانَهَا .

وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَبِيلٌ شَرِيفٌ ، يَجْرُونَ تِجَارَةً مِلُوكَ الْيَمَنِ ،
وَمِجَارَةً سَادَاتِ أَعْرَابِ أَهْلِ نَجْدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَبِيرٌ حَظٌّ
فِي الشَّعْرِ . وَلَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ شَعْرَاءُ مَفْلُحُونَ .

وَبَنُو بَذْرِ كَانُوا مَفْحَمِينَ ^(٢) ، وَكَانَ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ بِهِ أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ ^(٣)
خَيْرًا لَهُمْ مِنْ تَصْيِيرِ الشَّعْرِ فِي أَنْفُسِهِمْ .

وَقَدْ يَنْعَقِي ^(٤) بِالشَّعْرِ نَاسٌ وَيُخْرِجُ ^(٥) آخَرُونَ ، وَإِنْ كَانُوا ^(٦) مِثْلَهُمْ
أَوْ فَوْقَهُمْ . وَلَمْ تُنْصَحْ ^(٧) قَبِيلَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مِنْ قُرَيْشٍ ، كَمَا مُدِّحَتْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالْفَنَى » .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : « الْمَفْحَمُ كَكَرَمٍ : الْيَسِيُّ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ يَقُولُ شَعْرَاءُ » ، كَذَا
جَاءَتِ الْبَيَانَةُ .

(٣) أَيْ مَا أَطْلَقَ بِهِ أَلْسِنَةَ الشَّعْرَاءِ فِي مَدِيحِهِمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ حَاتِمِ الطَّائِي (الْأَخَافِيُّ ١٦ : ١٠٤)
وَالدِّيَوَانُ ١١٦) :

إِنْ كُنْتَ كَارِهُةً مَعِيشَتَنَا هَاتَا فَفَعَلْ فِي بَيْتِي بِدَرٍ

جَانُورَتِهِمْ زَمَنَ الْقِسَادِ فَتَمَسَّحْ إِلَى فِي الْعِصَاءِ وَالْيَسْرِ

فَسَقَيْتَ بِالنَّاءِ الْبَحِيرَ وَلَمْ يَنْتَظِرْ إِلَى بَأْسَيْنِ شَزَرٍ

الْفَسَارِيْنَ لَدَى أَهْنَتِهِمُ وَالطَّاعَتَيْنِ وَخِيْلَهُمْ تَجَرَى

وَالْخَالَطَيْنِ نَحْيَتِهِمْ بِنَضَارِهِمْ وَذَرَى الْفَنَى مِنْهُمْ بَلَى الْفَقْرِ

وَانظُرْ مَدِيحَ دَرِيدِ بْنِ الصَّعَةِ لَمْ فِي ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : وَيَحْطَأُ ، س : وَيَحْطَأُ ، صَوَابُهُمَا مَا أَتَتْ .

(٥) كَذَا فِي س ، ط ، وَفِي هـ : « يَخْرِجُ » ، وَرَبَّمَا كَانَتْ : « يَجِدُ » أَيْ

يَسُوءُ حَظَّهُ .

(٦) س ، هـ : « كَانَ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) س ، هـ : « يَحْلَسُ » .

مغزوم . ولم يتبيأ من الشاهد والمثل لمادح في أحد من العرب ، ما تبيأ
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبه ، شعر كثير ، ك شعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر — شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبد العزيز بن مروان أحظى^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم . ولم يكن أحد من أصحابنا ، من خلفائنا وأمتنا ، أحظى

(١) هو زُرارة بن عس ، بضمين ، ابن زيد . جد جاهل . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قصاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم دحرجان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يأليت شمرى منك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميم لايل تميم لأنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام يتسع وخسين سنة . الأغانى

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شمراء كلقيط » ، س : « شمرا كثيراً ك شعر لقيط »

ه : « شمراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على
الرسول وأسلم وبث على صدقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على
مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ
الأرب (١ : ١٢٥) فهي بمئة . وعن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار
ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتل للأسود بن المنسلد دية ابنة الذي قتله
الحارث بن ظالم ، ألف بغير ، وهي دية الملوك ، ورهته بها قوسه . انظر المقد
(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجميدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس
الرقيات . ط ، س وأخطأه ، ه : « أحظاء » ، سوابها ما أثبت من المعبدة (٢ : ١٤٨)
حيث نقل من الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيّد^(٢) وعُسه^(٣) ، مَن
أخطأه^(٤) الشَّعْرُ .

وما أعلم في الأرض نعمة بَعْدَ وَلَايَةِ اللَّهِ أَعْظَمَ من أن يكونَ الرَّجُلُ
ممدوحاً .

الصَّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ
في الأنعام والنعام .

واعتد من ادعى للنعام الصَّمَّ بقول علقمة :

فَوهُ كَشَقُّ الْعَصَا لِأَيِّ تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أظنبت في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق
الموصل ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلي ،
ومندور النري ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » هـ :
« أخطأ » . والوجه فيها ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، نديه هارون الرشيد لقتال الوليد
ابن طريف الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها .
توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عه ، هو من بن زائدة الشيباني ، التي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظي يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومندور النري . ورناء أبو موسى
التيبي بمروية سمها الرشيد فيكي بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه مكرجة
للأها من دموعه . الأغاف (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عه فقد حظي
بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعمل بن غليل ، والحسين
ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أخطأ » ، صوابه ما أثبت . وأخطأه : جملة
ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . هـ : « يبينه » . س : « أمد » هـ :
« أشد » كل منهما يدل « أسك » محرف .

قال ^(١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذُكر ^(٢)
لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والتَّلج بارد ، والنَّار حارة . .
[و ^(٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسمع هذا الصَّوت ؛ لأنه
لا مسموعَ إلا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ
حَتَّى تَلَانِي وَقرْنُ الشَّمْسِ مَرْنَعُ أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومُ ^(٤)
يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظُنُّ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ ^(٥)
ثم قال : ١٢٤

تَحْفُهُ هِفْلَةٌ سَفْعَاءُ خَاذِلَةٌ تَجِيهُهُ بَرِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمُ ^(٦)
وَاحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله ^(٧) :
وَصَحْمُ صِتَامٍ بَيْنَ صَمَمٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضُ ثَوَامٍ بَيْنَ مِيبٍ وَمِذْنَبٍ ^(٨)

(١) القائل هو الجاحظ ، يتقد البيت .
(٢) س : « في موضع للى » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع الذي
ذكر » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرعى » هـ : « أرعى »
محرفان .

(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أفدائها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء :
جمع النداء ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . هـ : « أبادائها » ، محرفة
عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . هـ : « صفعاء » س :
« صمتا » ، محرفان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو لبيد . اللسان (مهم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ما في لونه غيرة . وقد عني بها الحخير ، كما في اللسان .
ط ، هـ : « صحم » س : « صحم » محرفان . والعتام : جمع صم ،
بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صتام » بالنون . وفي اللسان : -

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عِرَارًا يَفْقَرُ ^(١) يُجِيبُ زِمَارًا كَالرَّاعِ الْمُثْقَبِ ^(٢)
وقال الطِّرْمَاح :

يدعو العِرَارُ بِهَا الزِّمَارَ كَأَنَّهُ أَلَمَ نِجَاوِيَهُ النَّسَاءُ الْعُودُ ^(٣)
قال : وصَوَّتْ النِّعَامَةُ الذَّكَرَ : العِرَارُ ^(٤) . وصوت الأنثى : الزِّمَارُ .
وأَنشدَ الذي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ ^(٥) ، قولَ أسامةَ بْنِ الحَارِثِ
الهُذَلِيِّ ^(٦) :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي قَبَيْتُ مُسَهِّدًا كَمَا ذَكَرْتَ بَوًّا مِنَ اللَّيْلِ فَاقْدُ ^(٧)

= « صيام » . وأثبت تصحيح ما في الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « درجة »
بالكسر : موضعان . وفي الأصل : « بين غمر ورجله » تصحيحه من اللسان .
ويضى ثَوَام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة .
والمثقب ، ككبر : سيل الماء .
(١) العِرَارُ ، بالكسر : صياح الظلم . وفي الأصل : « عوارا » عرقه . والزمار ،
بالكسر : صوت أنثى النعام . في الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت .
وسعاد البيت في ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما في شرح الديوان ٨٩ . وفي الأصل : « العوار »
صوابها في الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما
كفرج - وفي الأصل : « ألم » ، تصحيحه من الديوان .

(٣) في الأصل : « العوار » عرقه .

(٤) في الأصل : « الذى زعم الهذلي أنها لا تسمع » . وكلمة « الهذلي » مقحمة بلا ريب .

(٥) ذكره المرزباني في مجله وقال : مخفم . الإصافة ٤٤٢ .

(٦) مسبه : من السهاد ، وهو الأرق . وأبو : ولد الناقة . والفاقة : التى فقدت
ولدها . س : « ذكر برأ » هـ : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا »
وفي الجميع : « فاقتأ » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا
لما بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمري لقد أمهلتُ في نهى خالدٍ عَنِ الشَّامِ إِنَّمَا يَعْمِدُكَ خَالِدٌ^(١)
وَأَمَهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمُشْرَدُ^(٢)
وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾. ولو عني أَنَّ عَامَهُمْ كَعَمَى الْعُمَانِ ،
وصمهم كصمهم الْعُمَانِ ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتُ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وإنما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا
تُسْمِعُ السَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾. وكيف تُسْمِعُ المُدْبِرَ عَنْكَ 1
ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمَى وَيُصِمُّ » . وقد قال المثلث :

• تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمُشْرَدُ^(٣) •

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنهى ،
وسكت - كان أبلغ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُسْمِعُ
السَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :

رِدَى رِدَى وَرَدَ قَطَاةٍ صَمًا^(٤) كُذْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا^(٥)

(١) في الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أفعال المهذنين . وأول البيت في هـ :
« وإن قد أمهلت » . وأمهل : بالفت . يقول : إن صفاتي قد بالفت في نهيه .

(٢) تسمع : أى أصغى لسمع . ويرى : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرد لا ينفى إلا ريباً
يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : « المشردا » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز في الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به عل أن المتنبي سرق
منه قوله : • وودود قلاصم تشايخن في ورد • وانظر الاضطرابات .

(٥) الكندرية : واحدة الكندري ، وهو ضرب من القطا غسب الألوان ، رقت
الظهور ، صفر الخلق . س ، هـ : « كردية » ، تحريف طيب ، صوابه في هـ -

أى لأنها [لا^(١)] تسمع صوتاً يثقبها ويرُدُّها^(٢) .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خَلِيذًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا^(٣) دعوت به ابن الطَّودِ أَوْ هُوَ أَمْرَحُ

والطَّود : الجبل . وإبْنُهُ : الحجر الذي يَتَدَهَّدُهُ^(٤) منه ، كقوله^(٥) :

كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ^(٦) مِنْ عَلِيٍّ .

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ^(٧) بَصِيرِ الْآخَرَى وَأَصَمَّ الْأُذُنَيْنِ^(٨)

= والوساطة واتسان (صم) وشرح عب الدين أفندي لشواهد السكتاف .
استشهد به الزغشري عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفي اللسان : « اسلكك أذنيها . وقيل لسمها إذا عطشت » ، ووجهه عب الدين أفندي بأنها لاتسمع صوت الفانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) في اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفي أساس البلاغة : « كليبا » س ، ط : « وكأَنَّمَا » ، وأثبت ماقى ه واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتسحرج . س ، ه : « يدهداً » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن « يتدهدى » ، وهي لغة في يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

« مكر مفتر مقبل مدبر مما »

(٦) ط : « للسيد » ، وهو على الصواب في س ، ه .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بؤران غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفي الأصل : « بصيرة » تصحيحه من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس يسمع فيه صدى الصوت . في الأصل : « أسم » يذوق واو ، وهي ضرورة لوزن الشعر . والبيت من مشطور السريع .

١٧٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْلِ يِرْكَانُ^(١) ، وَالْأَبَارُ أَعْيُنٌ ، فَتَوَرَّتْ لِوَحْدَى
الْيَرَّيْنِ^(٢) وَتَرَكْتَ الْآخَرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأَفْئِدِ » يَأْ^(٣) أَنْ كَانَ عِنْدَهُ^(٤) فِي الْأَرْضِ
فَضَاءً وَخَلَاءً^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنْ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ
صَوْتاً أَصَمٌّ ؛ لِأَنَّ كَانَ ذَلِكَ لَفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بْنُ حِلْزَةَ^(٧) قولاً يدلُّ على أنها تسمع^(٨) ،
حيث قال :

وَلَقَدْ أَسْتَعِينُ يَوْمًا عَلَى اللَّهِ مَّ إِذَا خَفَّ بِالْثَوَى الثَّوَاءُ^(٩)

(١) كذا جاءت في الأصل ، بتسهيل الهجزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه في س ، هـ .

(٤) أي عند المهل .

(٥) في الأصل : « فضل وخلاء » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أي لأن . وحذف الجار مطرد في مثل هذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما في
س ، هـ .

(٧) الحارثُ بْنُ حِلْزَةَ : شاعر جاهلي من بني يشكر . والأبيات الآتية من مطلقته المشهورة ،
التي قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيفة ضويلة : ثلاثة نفر : عمرو
ابن كلثوم ، والحارثُ بْنُ حِلْزَةَ ، وطرفة بن العبد » .

(٨) في الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاد » ، وهي السرعة .
وأما « الثواء » فهي قافية لمطلع المطلقة ؛

أَذَقْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءَ وَبِثَوَى يَمَلُّ مِنْهُ الْكِرَاءُ .

بزفوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أَمْ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(١)
ثُمَّ قَالَ :

آنَسْتُ نَبَاةً وَأَفْرَعَهَا الْقُنَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِسْمَاءُ^(٢)
فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَلَّةِ مَنِيتًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)
ولو قال : « أَفْرَعَهَا^(٤) الْقُنَاصُ » ولم يقل : « آنَسْتُ نَبَاةً » - والنَّبَاةُ
الصَّوْتُ - لكان لَكُمْ في ذلك مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصَمٌّ صِلَابٌ مَا يَفِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرُّذْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والحقلة : النعامة . والرثال : أولادها .
دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاة : السوداء .
س : « صمها » هـ : « صفعاة » عرفتان . ورواية المملقات : « سفعاة »
أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل » لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،
فحمل الصمير حل المعنى . والمئين ، بالفتح : الفبار القويق . و « إهباء » روى
بالفتح : بمعنى الفبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبي إهباء :
أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يصفقن فى سيرهن من الوجى . والوجى :
أن يجد الفرس فى حافره وجعا يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .
ط ، س : « تبين » هـ : « تبين » ، صوابها من الديوان ٦٦ والسان
(وقى) . ط : « ألوجا » س ، هـ : « الرسا » صوابها من المصدرين
السابقين . والرذف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى النقطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أنها مُصَمَّتَةٌ غير جَوَاء . وقال الآخر :
 قل ما بدا لك من زورٍ ومن كذبٍ حليمي أصمٌ وأذني غيرُ صماءٍ
 يريد أن حلمه ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
 مصمت . وقال الشاعر :

• وأسال^(١) من صماء ذاتِ صليل •

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشافةً ، تسأل^(٢) الماء : أى تريده
 وتبتله ، وهى فى ذلك صماء •

(ذكر الصَّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣)
 وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
 لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤) . وذلك
 كله على ما فسرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بهجر الرأى . والراء ، أصله الهز ، وخففه لمكان
 لقافية . وقبل البيت :

سليم الشطى حبل الشوى شج التنا له حبيبات مشرفات على النبال
 (١) س ، هـ : « وأسال » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سبق فى شرح الجاحظ ،
 وكافى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

• أَجَلٌ لَّا ، وَلَكِنْ أَنْتَ الْأَمُّ مَنْ مَثَى •

(٢) ط ، هـ : « تسال » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صَبًا وَعُمَيَانًا^(١) ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ^(٢) 》 .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنترة :

ظَلَّلْنَا نَكَرُ الْمَشْرِقَةِ فِيهِمْ وَخُرَصَانُ صَمِّ السَّهْمَرِيِّ الْمُتَّفِ^(٣)

وقال العجير السلوي :

وقد جَذَبَ الْقَوْمُ الْعَصَابَ مُؤَخَّرًا فَفِيهِ عَنْ صَلْعِ الرِّجَالِ حُسُورٌ^(٤)

فَظُلٌّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٌ نَحْتِ الرِّجَالِ عَقِيرٌ^(٥)

لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَقْنَا كَرْحَنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورٌ^(٦) ١٢٦

وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قُلْ إِنَّمَا ... » .

(٣) المشرفة : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخُرَصَان : بالكسر والقسم : جمع خرص بالقسم ويكسر ، وهو ستان الرمح . والسهري من قرامح : هو الصليب العود . والخفف : المعدل المسوي بالثقاف . هـ : « المتعب » تحريف ، صوابه في س ، هو والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

ظَلَّلْنَا نَكَرَ الْمَشْرِقَةِ فِيهِمْ وَخُرَصَانُ لَذَنُ السَّهْمَرِيِّ الْمُتَّفِ

(٤) حصور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلفة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالآلف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفي البيت إجماع .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد في تلك الحرب ، لرحن^(١) ودة : تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنسوانس . ورواية الأغاني :

(١١ : ١٥٠) :

لَوْ أَنَّ الْجِبَالَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ وَهَمَّاهَا لَعَدَنَ وَقَدْ بَازَتْ بَيْنَ فُطُورِ

(٧) والديوان لبسافي ديوان زهير .

لَيْتَنِي خَلِيفْتُ لِلأَبْدَلِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ^(١)
لَا تَشْكِي^(٢) شَرًّا جَارَتَهَا خَلِيفْتُ غَلِيظَةً الْكَبِيرِ
وَقَالَتْ جُبَلُ بَنَتُ جَعْفَرٍ :

بَنِي جَعْفَرٍ لَا يَمْلِكُ حَتَّى تَزُورَكُمُ بِكُلِّ رُدْبِيٍّ وَأَيْضُ ذِي أُنْثَرٍ^(٣)
وَحَتَّى تَزُورَا وَسَطَ الْبُيُوتِ مُغِيرَةً تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الدُّغْرِ^(٤)
تَيْنُ لِيذِي الشُّكِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُ مَا أَلَا عَمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ^(٥)
وَقَالَ حُرَيْدٌ :

مَنْ كَانَ الْمَلُوكُ لَكُمْ قَطِيبًا^(٦) عَلَى وَلايَةِ صَمَاءَ مِثْنِي^(٧)

(مثل وحديث في الصمم)

وَمِنْ الْأَمْثَالِ قَوْلُهُمْ : « صَمَّتْ حَصَاةٌ يَدَهُ »^(٨) ، قَالَ : فَاصْله أَنْ .

- (١) كَيْدٌ ، بِفَتْحِ فَكسر : اسم جبل . فِي الْأَصْلِ : « كَيْدِي » !
(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَشْكِي » ، وَيَلْكَ يَنْكسر الْوِزْنَ ؛ إِذَ الْبَيْتِ مِنْ بَحرِ الْمَدِيدِ .
(٣) الرَّدْبِيُّ : الرِّيحُ الْمُنْصَوِّبُ إِلَى أَمْرَةٍ تَدْعِي وَدِينَةً ، كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا سَمِيرًا يَقُومَانِ الْقِتْلَةَ بِحِطِّ جَبَرٍ . وَهَتَّ بِالْأَيْضِ : السَّيْفُ . وَالْأُنْثَرُ ، بِالْفَتْحِ : قِرْنَةُ السَّيْفِ . ط ، س :
« أُنْثَرٌ » هـ : « أَسْرٌ » ، صَوَاهِمَا مَا أَثْبَتَ .
(٤) مُغِيرَةٌ : أَيْ غِيلًا مُغِيرَةً هَاجَةً بِأَرْبَابِهَا . ط : « حَاشِيَةُ الدُّغْرِ » . وَأَثْبَتَ صَوَابَهُ
مِنْ س ، هـ . وَلِلْعَرَبِ بَجَازٌ فِي مِثْلِ هَذَا . يَقُولُونَ : حَشَى الرَّجُلُ غِيظًا ، وَكِبْرًا ،
كَأَقَالِ الْمَرَارِ :

وَحَشَوْتُ الْغِيظَ فِي أَضْلَاحِهِ فَهُوَ يَمْشِي حِظْلَانًا كَالنَّقْرِ
وَكَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :

- وَلَا تَأْتِنَا أَنْ تَرْبِعَا فَنَسْلُمَا فَا حَتَّى الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنَ الْكَبَرِ
(٥) تَيْنٌ : تَطْهَرُ هِيَ . وَالْوَقْرُ ، بِالْفَتْحِ : ثَقُلَ الْأُذُنُ ، أَوْ ذَهَابَ السَّمْعُ كُلُّهُ .
(٦) الْقَطِيبُ : تَبِعَ الرَّجُلُ وَمَالِيكَ وَخَلْفَهُ .
(٧) كَلَامٌ هَذَا الشُّطْرُ .
(٨) يَضْرِبُ مِثْلًا فِي الْإِسْرَافِ فِي الْقِتْلِ وَكَثْرَةِ الدَّمِ . الْمِيثَاقُ (١ : ٣٥٩) .

يَكْثُرُ الْقَتْلُ وَصَفَكَ الدِّمَاءُ ، حَتَّى لَوْ وَقَعَتْ حَصَاةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَسْمَعْ
لَهَا صَوْتٌ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَلْقَى صَلَابَةَ الْأَرْضِ .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحم بلغت الدماء
الثَّنَّ (١) » ، يعني ثُنَّ (٢) الخيل ، وهو الشعر الذي خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزبير بن عبد المطلب (٣) :

وَيَذِي نَمَخَوَةَ الْخِتَالِ عَنِّي جُرَّازُ الْحَدِّ ضَرِيئُهُ صَمُوتٌ (٤)
لَأَنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعَظْمِ مَرًّا (٥) سَرِيعًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتٌ - كَانَ
فِي مَعْنَى الصَّمَاتِ (٦) .

(١) الثَّنَّ ، بضم التاء وفتح النون : جمع ثَنَّة ، بضم التاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي
في مؤخر راس الدابة . ط ، هـ : « والسن » س : « الس » صواجها ما أثبت ،
موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت
الدماء الثَّنَّ » في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ،
وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن » س : « بين » عرفتان . وانظر التنبية السابق .
(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن .
وكان من رجالات قريش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم للفترة .
وهو القائل :

ولولا الحس لم يلبس رجال ثياب أهزة حتى يموتوا
المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعروف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .
(٤) ينبي : يبعد . ونمخوة الختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم :
ماضيه ونافله . وانظر ما سيأتي في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :
ويني الجاهل الختال عني رفاق الحد ضريئه صموت
وأنشده من ثملب على هذه الصورة :

ويلعب نمخوة الختال عني رقيق الحد ضريئه صموت

(٥) ط ، س : « مر » ، صوابه في هـ .
(٦) وقيل : لرسوبه في الشريعة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم ..
انظر اللسان .

وقال جبران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعِيسُ صَعْرٌ مِنَ الْبُرَى وَأَخْضَفَهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَهْدِفُ^(١)

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صمم شئ من الخلق : اعتلّم فى صمم النعام بقول

زهير :

[أَصَلَكَ مُصَلِّمٌ الْأَذْنَيْنِ أَجَقَى لَهُ بِالسَّيِّئِ تَنُومٌ وَآءٌ^(٢)]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى دَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزَمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرقي^(٤) أنفه ، وهو فى موضع الحرمة^(٥) من البعير .

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فلأنما خصّ بذلك النعام لأنّها تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموق وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي للحمير والدواب لكان كذلك . والمصلحة : السكّ التى ليس لآذانها حُجْم .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع برة . وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجدل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتزم الكلام ويتم . وقد أثبتته اعتماداً على ماسيق فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألياب والمقول . وفى اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل له خزم لثقب فى منقاره » . وحيز البيت فى المقائيس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر للتنبيه السابق .

(٥) فى موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبه بها . والحرمة ، بالتحريك ،

سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الحرمة . وانظر ماسيق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ تسمع وتفهم الزجر ، وتجب الدعاء . بل لو قال : وأرفع صوتي للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفع صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفع والوضع^(٣) عند الصُخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلياً ، وجعل آذان النعام مصلومةً ، لأنه ليس لآذانها حجْم فالطيء كله كذلك إلا الخفاش^(٤) . وكل شيء يبيض من الحيوان فليس لها حجْم آذان . ففى قصدهم بهذه الكلمة إلى النعام ، بين جميع ما ليس لأذنيه حجْم ، دليل على أن تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

فُوهِ كَشَقُّ الْعَصَا لَأَيَّاءُ تَبَيَّنَتْهُ أَسَلْتُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)
وَقَالَتْ كَبْشَةُ بِنْتُ مَعْدِيكَرِبٍ^(٦) :

- (١) ليست بالأصل . وبطلها يستقيم الكلام .
- (٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لوجه لوجودها .
- (٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .
- (٤) س : « لا الخفاش » ط : « الخفاش » . وأثبت الوجه من هـ .
- (٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لاياً يبينه » ، و ط : « الا يأتينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٢٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حاشية أبى تمام (١ : ٧١) والبحتري ٣٠ وأصل القائل (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزائن (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ربحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزي : « كبشة اسم مرتجل طلياً . وليس يتأنيث كبش لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد قالت الشعر حيناً قتل أخوها عبه الله ، ولم يأخذ عمرو بشأره ، بل أخذ دية أخيه ، فنضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن يدهم .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَقْتُلُوا هُمْ دِي (١)
 وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْلَةٍ مُظْلِمٍ (٢)
 جَدَعَهُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ (٣) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ (٤)
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّارُوا لِأَخِيكُمْ فَشَوْا بِأَذَانِ النِّعَامِ الْمَصْلَمِ (٥)
 فلو كانت إنما تريد أنه ليس لمسايرها حجج ، كانت الدنيا لها معرضة .
 وقال عنبرة :

(١) تَقْتُلُوا : تَحْتَوُوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « أَلَّا تَقْتُلُوا » محرفة .
 وفي ط : « لَا تَقْتُلُوا » ، ومنها لَا تَأْخُذُوا بِدَلِّ دِي حَقْلًا . والمقل ، بالفتح :
 الدية . وفي رواية الحداثة وأمال القتال (٢ : ٢٢٦) ولهب الآداب . وروي في الأمال
 (٣ : ١٩٠) : « أَلَّا تَقْتُلُوا » . وفي حاشية البصري : « أَلَّا يَمْلُوا » تحريف
 رواية هـ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما آق عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
 جمع يكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعلة : خلاف من غاليق امين . وجعلت قبره
 مظلمًا لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاع قبره ، فإن أهدر دمه أو قتل ديه
 أنلم . التبريزي . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
 من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعهم : قطعهم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلقم قومكم . ورواية الأمال :
 « قومه » ، وفي الخزائن : « سيد قومه » .

(٤) بَنِي مَازِنٍ ، أي يابن مازن . والخزم ، كذا جاء هنا بإصباح الخاء والزاي . وكذا في الأمال .
 سكن ضبطه صاحب الخزائن بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهلهلة . ومهما يكن فهو ،
 كما قالوا : — رجل من بني مازن ، كان له عبد يرحى ، وجلس عبد الله مع بني مازن
 تشرب ، فغنى ذلك العبد الحبشي بشعر ، فيه تشبيب بلرة من بني زيد ، فقلعه عبد الله
 وسبه ، فنادى الحبشي : يُنْساَزن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمال والأغاني
 (١٤ : ٣٢) . والرواية في الأغاني :

أَيَقْتُلَ عَيْدَ اللَّهِ سَيْدَ قَوْمِهِ يَبْنُو مَازِنَ أَنْ سَبَّ رَاعِي الْخَزَمِ
 (هـ) : « لَمْ تَقْتُلُوا » محرفة . وروي : « لَمْ تَتَّارُوا وَأَتَيْتُمْ » و : « لَمْ تَقْتُلُوا وَأَتَيْتُمْ » .
 و : « لَمْ تَقْتُلُوا بِأَخِيكُمْ » .

وكانما أقص الإكام عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمُنْسَمِينَ مُصَلِّمٌ^(١)
تأوى له حِرْزُ النِّعَامِ كما أَوَتْ حِرْزُ يَمَانِيَّةٍ لَأَعْجَمَ طَمَطَمٍ^(٢)
ولو كان عنرة إنما أراد عدم الحجم ، لقد كانت الدنيا له معرضة .
وقال زهير :

بَارِزَةُ الْفَقَارَةِ لَمْ يَنْهَافُ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءٌ^(٣)
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلَانِ جُؤْجُوءَ هَوَاءٍ^(٤)
أَصَكَّ مُصَلِّمٌ الْأَذْنَيْنِ ، أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّ تَنُومٌ وَأَعْي^(٥)

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإننا لا نقول ذلك ، ولكن العرب في أمثالها تقول : إِنَّ
النِّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَقَطَعُوا أَذْنَيْهَا^(٦) . ليجعلوها مثلاً في الموقِ
وسوء التدبير . فإذا ذكر الشاعر الظِّلِمَ ، وذكر أنه مُصَلِّمٌ الْأَذْنَيْنِ ،

(١) يقول : كأنما أكر الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كبلس :
الظفران المقدسان في الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً . و « بين »
تقرأ بالجر . ورواها بعض القويين بالنصب على تقدير « ما » وهو وجه
ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدنية .
س : « يبارزة » ، هـ : « النقاوة لم يجها » ، صوابه هـ و « وديوان
زهير ٦٧ والسان (أرز ، قطف ، غلا) والمقصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
٣٨ . والقطف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من يابى ضرب ودخل - :
أسادت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر غلات الناقة خلاء : حرنت
من غير حلة .

(٤) جؤجؤ هواء : أى صدره فارغ لا قلب فيه ، فهو كالمدور يسرح العدو هرباً .

(٥) الأصك : المتضارب العرويين . وأجنى الشجر : أدرك . والتهوم والآء : نباتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فلما يريد هذا المعنى . فكثيرَ ذلكَ حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صَكَاءَ . وسواءُ قال صَكَاءَ ، أو قال نعاماً ، كما أنَّه سواءُ قال خُنْساءَ أو قال مهاةً وَنَعَجَةً وبقرةً وظبيةً ؛ لأنَّ^(١) الظُّباءَ والبقرَ كلها قُطُسٌ خُنْساءٌ . وإذا سَمُوا امرأةً خُنْساءً فليسَ الخُنْساءَ والْفُطُسَ يُريدونَ ، بل كأنهم قالوا : مهاةً وظبيةً . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ عَلسٍ^(٢) في صفة الناقة :

صَكَاءَ ذِئْلِيَّةٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهَا هِلَوَاعٌ^(٣)

فتفهَّمْ هذا البيتَ ، فإنَّه قد أَحَسَّنَ فيه جداً .

والصَّكَّاءُ في الناسَ ، والاصطكاكُ في رجلٍ الناقة عيب^(٤) . فهو لم يكن ليصفها بما فيه عيب^(٥) ، ولكنه لا يفرق بين قوله [صَكَاءَ ، وبين

(١) من ميل : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيب ، كعظم ، بدأ ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوهده بني عامر بن ذهل ، فقاتل له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزاعة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن عامر كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزاعة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذئبية ، بكسر الذال واللام : الناقة السريمة . والهرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات الترق والخلقة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وصواب إنشاده ، كما في اللسان (ملح) والمفضليات ١٦ :

صكاء ذئبية إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع
إذ أن جسامتها وطولها وزرقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقيل هذا البيت :

قتل حاجتها إذا هي أعرفت بخبيصة سرح اليدين وساع
(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب في ط ، س . وفي هـ : « فلولم يكن يصفها » . الخ .

قَوْلِهِ^(١) [نعمة^(٢)] ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :
بَعِيرٌ^(٣) . قال الراجز :

لَمَنِ لَيْنٌ أَنْكَرَ أَوْ تَوَسَّما أَخُو خَنَائِرٍ يَقُودُ الْأَعْلَمَا^(٤)
كأنه يقول : يقودُ بعيراً . وهو كقول عنترة :

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَسْتُ مَجْدَلًا تَمْكُرُ فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ^(٥)

(رد مدعى الصمم)

فقال مَنْ ادَّعى لِلنَّعَامِ الصَّمَمَ : أمّا قولكم : من الدليل على أن النعام
تسمع قول الشاعر :

• تدعو النعام به العرار^(٦) •

وقوله :

مَنْ مَاتَشَا^(٧) تسمع عِرَاراً بِقَفْرَةٍ يَجِيبُ زِمَاراً كَالْبِرَاعِ الْمُتَقَبِّ
وقوله^(٨) :

آتَسْتُ نَبَاةً وَأَفْزَعَهَا الْقَسْنَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِنْسَاءُ
فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرس من الناس - والأخرس أصم -

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخنائير : القواهي . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقله في (٣ : ٣٠٩) . هـ : و غليل
بالهاء المعجمة .

(٦) سبق البيت يتأمله في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) في الأصل : « متى تأتينا » . وصوابه بما سبق في ٣٨٥ .

(٨) هو الحادث بن حلزة للشكري ، من مملته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ما نقول ، بما يرى مِنْ صُورَةِ حَرَكَتِكَ^(١) ، كما يعرف معانيك من إشارتك ، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمع صوتك قطُّ فيقصدُ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولّد الصوت ، أرادته هو أو لم يرده^(٢) . وَيُضْرَبُ فيصبح ، وهو لم يقصدُ إلى الصباح ، ولكنه متى أدار لسانه في جَوْبَةٍ^(٣) القم بالمهواء الذي فيه . والنفس الذي يُخَضِرُهُ جُمَاعُ القم^(٤) ، حَدَثَ الصوت . وهذا إنما غَايَتُهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والآخرس يرى^(٥) الناس يصفقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والخذل^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول ترديدِها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجّبَ ضربَ يديه كما يضربون . فالنعامَة تعرف^(٧) صورة إشارة الرّثلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التّفاهُم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يرده » .

(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد بطن القم . س : « حوجة » . ط ، هـ : « جوة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريل .

(٤) الجماع ، كمران : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والآخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابها ما أثبت من س .

(٦) الخذل : يفتح الحاء : الحفة والغضب . وفي الأصل ، « الخذل » بالجيم ، محرف .

(٧) ط : « تفرق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتعقل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالتهما » .

(شم النامة)

والعرب تقول : « أَشْمٌ مِنْ نَعَامَةٍ » و : « أَشْمٌ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الرَّاجِزُ :

• أَشْمٌ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْلَى مِنْ جَمَلٍ^(١) •

وقال الحرّمازى ، فى أرجوزته :

• وَهُوَ يَشْتَمُّ اشْتِامَ الْهَيْقِ^(٢) •

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابى أَنَّ أعرابياً كلمَ صَاحِبَهُ ، فَرَأَاهُ لَا يَفْهَمُ حَتَّى

وَلَا يَسْمَعُ كَلَامَهُ فَقَالَ : « أَصْلَحْ كَصَلَحِ^(٣) النَّعَامَةِ » !

(شم الفرس والذئب والذرة)

وقد يكون الفرسُ فى الموكب وخلفه ، على قابِ غُلُوتَيْنِ ، حَجَرٌ أَوْ

رَمَكَةٌ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ^(٥) تَحْتَ رَاكِبِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ صَهْلَتْ :

وَالذَّئْبُ يَشْتَمُّ وَيَسْتَرُوحُ مِنْ مِيلٍ ، وَالذَّرَّةُ تَشْتَمُّ مَا لَيْسَ لَهُ رِيحٌ ، مِمَّا

لَوْ وَضَعْتَهُ عَلَى أَنْفِكَ مَا وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً وَإِنْ أَجْدَلْتَ التَّشْتَمَّ ، كَرَجُلٍ

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظلم . وأهلى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكان الماء فى الصحراء ، فيجده إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلح ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلح . قال :

لَوْ أَيْسَرْتَ أَيْكُمُ أَحْمَى أَصْلَحًا إِذَا لَمْ يَ وَاهْتَدَى أَفَى وَغَى

وفى اللسان : « وَإِذَا دُعِيَ عَلَى الرَّجُلِ قِيلَ : صَلَحًا كَصَلَحِ النَّعَامَةِ » . ط :

« أَصْلَحُ كَعَلَمٍ » ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأثنى من الخيل . والرَمَكَةُ ، بالتحريك : البرفونة

تصنَعُ للفيل .

(٥) يتحصن : يقيمه من أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ ص ٨٠) .

ط ، س : « فَيَشْخَصُ » وليس بذلك . والأوفى ما أثبت من هو والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا^(١) من يدك في موضع لم ترفيه ذرة قط ، فلا تلبث أن ترى
النَّزْرَ إليها كالخيط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استبرواح الناس :

وجاء كَيْثَلُ الرِّئَالِ يَنْبِيعُ أَنْفَهُ لِعَقْبِيهِ مِنْ وَفَعِ الصُّخُورِ قَعَاقِعُ^(٢)
فَإِنَّ الرِّئَالَ يَشْتُمُ^(٣) رائحة أبيه وأمه والسَّيْعِ وَالْإِنْسَانِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .
وشبهه بِرَجُلٍ أَجَاءَ يَتَّبِعُ الرِّيحَ فَيَشْتُمُ^(٤) .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يَغْضَبْ لِمَطْلَبِ أَنْفِهِ أَوْ عِرْسِهِ لِكَرْهِيهِ لَمْ يَغْضَبْ^(٥)
ومطلب أنفه : فَرَجُ أُمِّهِ ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ إِذَا تَمَّتْ أُمُّهُ فِي الرَّحِمِ ، قَلَّ
مَكَانُهُ^(٦) وَكَرِهَهُ ، وَضَاقَ بِهِ مَوْضِعُهُ ، فَطَلَبَ بِأَنْفِهِ مَوْضِعَ الْخُرْجِ رِمًا
هُوَ فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى يَصِيرَ أَنْفُهُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَمِ الرَّحِمِ ، يَلْقَاهُ فَمُ الْخُرْجِ .
فَالْأَنَاءُ^(٧) وَالْمَكَانُ يَرْفَعَانِ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ، وَالْوَلَدُ يَلْتَمِسُ تِلْكَ الْجِهَةَ بِأَنْفِهِ

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألق ورمى . ط : هو : « ينفذها » ، صوابه في س وفي أمثال
الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرئال : فرج النمام . هو : « لعقبه » محرفة .

(٣) سم : « يشتم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كُنَايَاتِ الْجُرْجَانِ ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب
أنفه » ، وَكُنَايَاتِ الثَّمَالِيِّ ٧ : « وإذا الكرم أصاح مطلب أنفه » ، وَاللَّسَانِ
(أنف) : « وإذا الكرم أصاح موضع أنفه » . وهجره عند الجرجاني « من
أمه أو عرسه » ، وَالثَّمَالِيُّ : « أو عرسه لكربة » أي كاعنه الجاحظ . وَاللَّسَانِ :
« أو عرسه لكربة » .

(٥) قلاه ، كرماء ورويه ، قَلَّى وَقَلَّاهُ وَمَقْلِيَّةٌ : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يمين اللثي .

ولولا أنه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَهُ من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آتَرَخَ خلافَ عالمه الذى رُبِّي فيه ، كَمَاتَ ، كما يموت السمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لما كانَ قابلاً لطباعِ السمك [غاذياً^(١)] لها ، والسمكُ^(٢) [مريداً له ، كان فى مفارقتِهِ له عطْبُهُ . وكان فى مفارقة الولدِ بَحْوَفِ البطنِ واغتذائه فضلاتِ الدَّمِ ، [مَالاً يَنْقُصُ^(٣)] شيئاً من طباعِهِ وطباعِ المكان الذى كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهليّ :

والمرءُ لم يغضب لمطلبِ أنفه أو عرسه لكربةٍ لمْ يغضبِ^(٤)

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّه وامراتِهِ ، فليس يَحْمِنُ يغضب من شئٍ

يُوُولُ إليه .

(قول المتكلمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلمون أنَّ الأخرسَ أصمٌ ، وأنه لم يَوتَ من العجز عن المنطق لشيءٍ فى لسانه ، ولكنه إنما أبى فى ذلك ، لأنه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كيفيته فيقصده إليه . وأنَّ جميع الصُّمِّ ليس فيهم مُصَنَّتٌ^(٥) ، وإنما يَفْضَلُونَ^(٦) فى الشَّلَّةِ واللِّينِ ، فبعضهم يَسْمَعُ الهدَّةَ والصَّاعِقَةَ ، ونهيقَ^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عارياً » صوابه فى هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) ليست بالأصل . وبمطالعها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع حيزه فى كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .

(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، هـ : « ونهيق » ، وإنما التيق للفراب والجرم . وصوابه فى س .

والرَّعد الشديد ، لا يَسْمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسْمَعُ السَّرار^(١) ، وإذا رَفَعْتَ له الصَّوْتَ لم يَسْمَعْ . ومنى كَلَّمْتَهُ وَفَرَّتِ الشَّكَايَةُ^(٢) في أذنه ، فَهَيَّمْ عَنْكَ كُلَّ الْفَهْمِ . وإن تَكَلَّمْتِ عَلَى ذَلِكَ الْمَقْدَارِ فِي الْهَوَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُ فِي قَنَاقَةِ تَحْصُرِهِ وَتَجْمَعُهُ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إِلَى دِمَاغِهِ - لَمْ يَفْهَمْهُ .

فَالْأَصَمُّ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَخْرَسُ ، وَالْأَخْرَسُ إِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالْقَرَابَةِ . وَمَنْ ضَرَبَ الْأَصَمُّ مِنَ النَّاسِ إِنْسَانًا أَوْ شَيْئًا غَيْرَهُ ، ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يَبَالِغْ ، حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ الضَّرْبَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :

أَشَارَ بِهِمْ لَمَعَ الْأَصَمُّ فَأَقْبَلُوا عَرَّانِينَ ، لَا يَأْتِيهِ لِلتَّصَرُّ مُخْلَبٌ^(٤)
وَقَالَ الْأَمْسِيُّ :

وَأَوْصِيكُمْ بِطِعَانِ الْكُفَاةِ فَقَدْ تَعْلَمُونَ بَأْنَ لَا خُلُودًا^(٥)

(١) السَّرار ، بالكسر : مصدر سارَه يساره : حدثه في أذنه .

(٢) كَذَا فِي ط . وَفِي س : « وَطَرَتِ الشَّكَايَةُ » ، هـ : « وَطَرَتِ الشَّكَايَةُ » .

(٣) هُوَ بِشَرِّ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مَم) . يَعْنِي بِشَرِّ بْنِ أَبِي خَازِمٍ . وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ . وَبِشَرِّ بِكَمَرِ الْمَوْحِدَةِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ . وَخَازِمٌ بِأَنَاءٍ وَالزَّيُّ الْمُعْجَمَتَيْنِ . الْخُزَّانَةُ (٤ : ٣٣٦ سَلْفِيَّة) .

(٤) فِي اللِّسَانِ : « وَيُقَالُ لِلنَّذِيرِ إِذَا أُنْذِرَ قَوْمًا مِنْ بَعِيدٍ ، وَلَمَعَ لَمْ يَثْوِبْ : لَمَعَ بِهِمْ لَمَعَ الْأَصَمِّ . وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِمَا هُوَ بِشَوْبِهِ كَانَ كَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ الْجَوَابَ ، فَهُوَ يَدْمِ الْبَحْ . وَعَرَّانِينَ النَّاسُ : وَجُوهُهُمْ وَسَادَتُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ ، مَاخُذٌ مِنْ عَرْنَيْنِ الْأَنْفِ ، وَهُوَ رَأْسُهُ . وَالْمُخْلَبُ : مَنْ يَمِينُ الْمَرْءِ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ . يَقُولُ : هُوَ لَا يَمِينُهُ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ . فِي الْأَصْلِ : « مُخْلَبٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ اللِّسَانِ (حَلَب) . وَرَوَى أَيْضًا : « مُجْلَبٌ » بِالْجِيمِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مَم) وَفِي اللِّسَانِ (جَلَب) : « وَأَجْلَبِي : أَعَانَهُ » . وَالرَّوَايَةُ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ أَجُودَ وَأَصَحُّ . وَقِيلَ لِلْبَيْتِ :

وَيَنْصَرُهُ قَوْمٌ غَضَابٌ عَلَيْكُمْ مَنِ تَدْعُهُمْ يَوْمًا إِلَى الرُّوحِ يَرْكَبُوا

(٥) رَوَايَةُ اللِّسَانِ (مَم) : « فَأَوْصِيكُمْ » . وَقِيلَ هَذَا الْبَيْتُ :

فَأَيْلَغُ بْنُ أَسَدٍ آيَةُ إِذَا جِئْتَ سَيْلَهُمُ وَالْمُسَوْدَا

وَضَرَبَ الْجَاهِجَ ضَرْبَ الْأَصِّ مَّ حَنْظَلُ شَابَةٍ يَنْجَى الْغَيْبِ^(١)
وقال المثل^(٢) :

فَالطَّنُ شَغْفَةٌ وَالضَّرْبُ مَقَمَّةٌ ضَرْبُ الْمَعُولِ تَحْتَ الدِّبْمَةِ الْعَصْدَا^(٣)
وإنما جعله تحت الدِّبْمَةِ ، لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصير اللَّذَنَ
وأَعْلَكَ ، فيحتاج الذي يضربُ تلكَ الأصولَ قبلَ المطرِ ، إلى عشرِ ضَرَبَاتٍ
حتى يقطعَ ذلكَ المضروبَ ، فإذا أصابه المطرُ احتاجَ إلى أكثرَ من ذلك .

(١) وضرب الجاهج : أى وأوصيك بضرب رموس الأعداء . والأصم الذى عفى ، هو الظلم
من النعام . وشاة : موضع يتجدد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصمم) . والمهيد : حب المختل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجري ، شاعر جاهل من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بمعناه موحدة ساكنة . والجري ، كقريش : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بعن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها الهمداني فى الخزنة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب المصنف : (١ : ٢٠١) البيت إلى أقي كبير
الهذيل . وليس بذلك . وقد نسب السكري فى ديوان المعاني (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيع . صوابه « ربيع » كما فى الخزنة واللسان (شغف ، هقع ، حول ،
ضد) . وفى اللسان (حول) : « قال ابن روى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذيل » .

(٣) الشغفة بنتين مجتمعتين : تحريك اللسان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزنة :
« شغفة » . وفى الأصل وديوان المعاني : « شغمة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والمختص (٥ : ١٣٥) والمعدة . والمعدة : شدة الحرب والجدة فى القتال . والمعدة
أيضاً : الشغفة ، وهى عمل فى جبل . ط ، هـ : « مقعة » وأثبت ساقى س . والرواية
فى جميع المصادر : « حقيقة » . والحقيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الراء
المشددة : الذى يخذل المالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الراى فيستظل به من المطر .
« ضد ، بالتحريك : ما قطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأشدنى يحيى الآخر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيُونِ سَبِيكَ الْحَدِيدِ يَوْمَ الْجَنَائِبِ ضَرْباً وَكَيْداً^(٢)
فلم أعرفه ، فسألتُ بعضَ الصَّيَاقِلَةِ فقال : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف .
إذا أَخْرَجْنَا الْحَدِيدَةَ مِنَ الْكَبِيرِ فِي يَوْمِ شَمَالٍ^(٣) ، واحتاجتُ فى الْقَطْعِ
إلى مائة ضَرْبَةٍ ، احتاجتُ فى قَطْعِهَا يَوْمَ الْجَنُوبِ إلى أَكْثَرِ من ذلك ،
ولكى أَشَدُّ من ذلك الضَّرْبِ ، لِأَنَّ الشَّمَالَ يُبْبِسُ وَيَقْصِفُ ، وَالْجَنُوبُ
يَرْطَبُ وَيَلْدُنُ .

(الأخرى)

والإنسان أبداً أخْرَسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يَتَبَيَّنُ الأصواتَ التى
تُخْرَجُ من فيه ، على معناه^(٤) . ويقالُ فى غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثير :

أَلَمْ تَسْأَلِ يَا أُمَّ تَمْخِرُو فَتَخْبِرِى سَكِمْتُ وَأَسْقَلَكِ السَّحَابُ الْبَوَارِقُ ١٣١
بُكَيْكَا أَصَوْتُ الرَّعْدِ خُرْسٌ رَوَائِحِ وَنَقَى وَلَمْ يُسْمَعْ لَهْنُ صَوَاعِقِ^(٥)

(١) هـ : « الآخر » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى
تقابل الشمال . والركيد : الشديد السائب .

(٣) أى يوم دبح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيق للخرس .

(٥) هـ : « روائج » بدل « روائح » . ونقى ، كذا وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « مازلت تحت عين خرساء » . والعين : السحابة
تبقى أيتاماً تمطر . وإذا كثرت ماؤها وكثفت ، ولم يكن فيها مخارق لم
تملح ببرد^(١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومنى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في الأصل قبله
ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ، لأن البارق والبصر أشد
تقارباً من الصوت والسَّمْع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رخله فيضرب
بعضاً إما حجراً ، وإما دابةً ، وإما ثوباً ، فترى الضرب^(٢) ثم تسمت وقتاً
إلى أن يأتيك الصوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوت السحابة لم تبشر بشيء ، و [إذا^(٣)] لم يكن لها رز^(٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصخرة في هذه الصفة سميت صماء . قال الأعشى :
وإذا تجيء كتيبة ملمومة مكرومة يخشى الكمأة نزالها
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأنى أنادى صخرة ، حين أعرضت ، من الصم لو تمشى بها العضم زلت

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قولُ زهير :

وَتُنُوفَةٌ عُمِيَاءٌ لَا يَخْجَازُهَا إِلَّا الْمَشِيعُ ذُو الْفُرَادِ الْمَهَادِي^(١)
قَفَرٍ هَجَعْتُ بِهَا ، وَلَسْتُ بِنَائِمٍ ، وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي^(٢)
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قَتُودِ عُنُسٍ ضُلَمِيرٍ لِحَاطَةِ طِفْلِ الْعَشْيِ سِنَادِي^(٣)
فَجَعَلَ التَّنُوفَةُ عُمِيَاءَ^(٤) ، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أَمَارَاتٍ .

(الزِّيَابَةُ)

ودَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزِّيَابَةُ^(٥) ، عُمِيَاءٌ [صِيَاءٌ^(٦)] ، تشبه القفارة ، وليست

(١) المشيع ، ينفع الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لا يخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد
المهادى : المهدى ، أو الذى يهوى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهو ما يوصف به الملوثة ،
صفة لتنوفة . والمهجوع ، هنا ، مبنى الانصباج ، نوما كان ، أو غير نوم .
المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جراتها : وضعت
باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت فى معناه قول الآخر
(الخزائن ٤ : ٨٠ بولاق) :

يارب سار يات ما توسلأ إلا ذراع الطس أو كف اليد

(٣) القفود : جمع قفد ، بالتحريك ، وهو أداة الرجل . والمنس ، بالفتح وبالنون الساكنة :
الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقمة ، بالفتح : وهى النومة فى آخر الليل .
وطفل البشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكرّر الحظ فى ذلك الوقت
لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتسجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر :
الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يملها وظيف أزج انطو ظمآن سهول

وفى الأصل : « ستادى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « عُمِيَاء » ، تحريف .

(٥) الزِّيَابَةُ بفتح الزى ، بمعناه موحدة . ط ، س : الزِّيَابَةُ هـ : « الزِّيَابَةُ » ،
صوابها ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ما تقتضيه المقارنة الآتية .

بالتخلد ، لأنَّ التخلدَ أعمى وليس بأصم .

والزَّبَابُ^(١) يكون في الرمل .

وقال الشاعر^(٢) :

وَهُمْ زَبَابٌ حَاطِرٌ لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعَسَدًا^(٣)

(الاعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ في الأرض يُولد أعمى ، إن كان تأويل العمى^(٤) أنه

لا يبصر إلا بعد أيام . فنه ما يفتح عينه بعد أيام كالجُرْوِ^(٥) ، إلا أولاد

الذجاج ، فإنَّ فراريجها تخرج من البيض كاسية كاسية :

(شعر فيه عيون)

وقال أبو الشمقمق - وجعل الأثر أعمى أصم^(٦) على التشبيه - فقال :

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَاتَرَ الطَّرْفِ ضَلَحِكًا وَصَوَّتْ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ

(١) ط ، هـ : « اللباب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حنظل ، كما في جود الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :

والسان (زب) .

(٣) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو

زباب » ط : « فهو زباب » ، وفي الجيع : « لا يسمع » و هـ : « الأذنان »

مكان : « الأذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون

الأخبار والسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لمسى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مظنة : ولد الكلب والأسد والسيح . ط ، هـ : « كالجرو » س :

« كالجرو » ، صوابها ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى

حشرة أعمى وأكثر . وقد يمرض شيء بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلَعٍ مِثْلِ الْجُرُجِ جَهْمٌ غَضَنْفَرٌ مَعَاوِدِ طَعْنٍ جَائِفٍ وَمِنَادٍ^(١)
أَصَمٌّ وَأَعْمَى يُنْفِضُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يَسِيرُ عَلَى مِثْلٍ بِغَيْرِ قِيَادٍ^(٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعامة تسمع ، ورد عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ نَوَلُ طَرَفَةٍ :
هَلْ بِالدِّيَارِ الْغَدَاةِ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أُنْسٍ^(٣)
سِيَّوَى مَهَاةٍ تَقْرَوُ أَيْرُثَهُ وَجُوذُرٍ يَزْتَعِي عَلَى كُنُسٍ^(٤)
أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهَيْفَلَتِهِ مَتَى تَرْعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ^(٥)
فَقَدْ قَالَ طَرَفَةٌ كَمَا تَرَى :

• مَتَى تَرْعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ •

وقال الآخر : جوابنا في هذا هو جوابنا فيما قبله .

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنفص رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالغاء ، وأراها محرفة .

ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى هـ ، وهو أجود .

(٣) الأتس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأمرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجوذور : ولد البقرة للوحشية . وفيه مع الهمز لثلاثان : الجوذور يشم الجيم والذال ، وبشم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر القلعات فى القاموس . والكنس ، بضمين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت للوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبى . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شيء يستلذه الطيلاء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احترت ساقاه . يرتعى بهتله : يرتعى مع أثنائه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « يشمه » رده عن الأمر فانهجس . ونحوه فى اللسان . فاعلم يهتجس ويهتجس فتلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاكة)

وروى الميّم بن عديّ ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيان عند خالد بن عبد الله ^(١) ، أحدهما تميمي والآخر أزدّي ،
فضرط الأزدّي ضرطه ضئيلة ، فقال التميمي :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحَلَّلًا وَلَوْ أَنِّي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشَرْدَا ^(٢)
فَرَّ كَرَّ الْمُنَجْنِقِ وَصَوْتُهُ يَبْذُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدْءًا عَرْدَا ^(٣)

(مَنْ لَقَبَهُ : نَعَامَة)

وزعم أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب ، أن كلّ عربي [وأعرابي]
كان يلقب نعامه ، فإنما يلقب بذلك لشدة صَمَمِهِ . وأنه سأله عن الظلم :
هل يسمع ؟ فقال : يَعْرِفُ بَأْفَهُ وَعَيْنِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى سَمْعٍ .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الْهَقْلِ يَشْتُمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَبِيعَهَا ^(٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (ع ج ف) . والمحلل ، بالحاء
المهمله بعدها مثله مفتوحة : المحزول . وفي الأصل : « مجتل » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيها : من
جه نيك ، أي أناما أجودف . يبذ : يقلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ،
بالفتح : أصل مناه السيد والشاب الماقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « بدء » هـ : « بدء » محرفتان عما أثبت . والعرد ، كعلمي : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الثم . وفي
ط ، هـ : « شومها » س : « شومها » . وهما كلمتان محرفتان لا تبدان معنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أن لَقَبَ بَيْس^(١) نَعَامَةً ، وأنه لَقِبَ بذلك لأنه كان في خلق
نعامَةٍ ، وكان شديد الصَّمَمِ مَاتِقاً^(٢) . فَأَنْشَدَ لَعْدَى بْنِ زَيْدٍ^(٣) :
وَمِنْ حَلَدِرِ الْأَيَّامِ مَاحِزٌ أَنْفُهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْسُ^(٤)
نَعَامَةٍ لَمَّا صَرَعَ الْقَوْمُ رَهْطُهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ^(٥)
وقال المنتخل المذل^(٦) ، وذكر سَيْفًا :

مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَذْبَاءُ كَالْعَطْرِ مِنْ الْخِلْدَعِلِ^(٧)

(١) بَيْس : رجل من بني غزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ -
١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزائن (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني
في مثل : « فكل أرامها ولدا » .
(٢) مَاتِقاً : أى أحق . والموق بالضم والفتح : الحق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما
سمى نعامَةً بقوله :

فَلَا طَرْقَنُ قَوْمًا وَهُمْ نَيْيَامٌ وَأَبْرُكُنْ بِرُكَّةِ النَّعَامَةِ

(٣) الحق أن قاتل الشعر هو المتلمس الضمى ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكافى الأغاني
وحسانة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبحرئى ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٣٨ ، ٢١٦)
ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزائن ، ومما جاء التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر
الجاحظ البيهقي في البيان (٤ : ١٧) ولم ينسجها .

(٤) قصة قصير متداولة في السكت . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد النخعي .
ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزائن ، والميداني :
« ورام الموت » . رام : طلب .

(٥) المنتخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن حويمير المذل شاعر
من شعراء هذيل . وهو جاهل كما فى الخزائن (٤ : ١١٠ سلفية) . وفى الشعراء من
يقال له : (المنتخل السملى) ذكره الأملئ فى المؤلفات ١٧٩ .

(٦) منتخب الب : أى متزج الثقل ، فهو فى هوجه كالجنون . ورواية اللسان :
(خنعل) : « تنتخب الب » . والخنلاء ، يفتح الخاء : الهوجاء . وفى الأصل :
« حنلاء » ، تصحيفه من اللسان . كالعط من الخذل : أى كالشئ من ثوب الخذل
وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يليسها الرهن =

يقول : هذا السيف أهوجُ لا عقل له . والخَدَبُ^(١) في هذا الموضع :
المَوْجُ^(٢) ، وتهاوى الشيء لآبَتَاكَ . ويقال للسيف : لا يُبَالِي مَاتَقِي .

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي جَرَبِهَا إِذَا جُلِبَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا^(٣)
١٣٣ « كحوصلة الرأل » يصف الخمر بالحمرة . جابت : أخرجت ، وهو
مأخوذ من جلوة العروس القاعدة ، إِذَا قَعَدَتْ عَنِ الطَّلَبِ^(٤) . ومثله
في [غير^(٥)] النحر قول علقمة :

تَأْوَى إِلَى حِسْكِلٍ حُمْرِ حَوَاصِلُهُ كَأَنَّهَا إِذَا بَرَّكُنْ جُرْثُومُ^(٦)
وقال الأخنس بن شهاب^(٧) :

تَنْظُلُ بِهَا رُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تَزْجِي بِالمَسَاوِ حَوَاطِبُ^(٨)

= لتحمل صيهم وحققهم . ط ، هـ : « الخزل » صوابه بالذال ، كما في
س ، والقان .

(١) في الأصل : « الخنب » بالخاء ، صوابه بالمجمة .

(٢) الموج ، بالتحريك : الحق والرخصة . هـ : « الحج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جربها : أي عند سيلانها وتفتقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلة
حمراء ؛ لتبردها من الريش .

(٤) أي عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلي قبل الإسلام بدر . الخرافة (٣ : ١٦٩ بولاق)
نقلنا عن شرح المفصليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أربه وربداء ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك
وهي الملوكة . والحواطب : اللاتي يجمعن الحطب . وغص المساء : لأن الإماء =

تَزَجَّى : نَذَفْعُ^(١) ، وذلك أَنَّهُ يَنْقُلُ جِلْهَافَهُ مِثْلَ النُّعَامَةِ .

وقال الرَّاجِزُ^(٢) :

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّتِهِ رَتَكَ النُّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرَفِجِ^(٣) .

وَالرَّتْكَ : مَشَى سَرِيعًا . يَقُولُ تَبَادُرُ إِلَى الْكَثِيفِ^(٤) تَسْتَرُّ بِهِ^(٥)

مِنَ الْبَرْدِ . وقال :

• رَتَكَ النُّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ^(٦) •

— المصطلحات يرجع فيه إلى أماليين وقد أميين ، فمن يمشي على تودة . انظر شرح المفصليات . ورواية المفصليات : « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفصليات ٤١١ . ويرى : « تَزَجَّى » ينزع إحدى التانين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حنظل الشكري ، من قصيدة مفصلة ٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كلفة مدح سدا بأرحلنا ولم يصريح
(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتي يشهد لصحة هذا النص منه هو ، وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية وال ضبط ، هو كما في المفصليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللَّفَّاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّتِهِ رَتَكَ النُّعَامِ إِلَى كَثِيفِ الْعَرَفِجِ .

وبعده :

أَلْقَيْنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُدْمَجِ

اللفاح : الإبل ، وأصلها لقوق ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت في آخر النهار راجعة إلى حواها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح والتشريك : مقاربة الخطو . والكثيف : المتن . وأما الكثيف ، بالو ، فهو حظيرة تصل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيف » محرف . وفي الكلام نقص ، لعله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحبة . وقالوا : انسرب الوحش : دخل في مكانه .

(٦) طريق سام : أى حى دله عما ضريت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظلم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعمَ أنَّ الظلمَ إذا عدا استقبلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك غافّةٌ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكّيته ^(١) - معنًى ؛ لأنّا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعونهُ ^(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عبيدة بن الطيّب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفو وهو مبركٌ لسانهُ عن شِمالِ الشّدقِ معدولٌ ^(٣)
ووصف الذّيبَ طفيلُ الغنوى ، فقال :

كسيدِ الغنصا العادي أضلّ جراحهُ على شرفِ مُستقبلِ الرِّيحِ يلحِب ^(٤)

(١) تسكّيته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبتاً فانسكبت . ومن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الرّيح ، لأنها إذا استبرتها كسبتها وألقها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستدعونهُ » ، أى يدعونهُ سريماً . وقد حلل الأمر صاحب اللسان بقوله : « واستخر الفرس الرّيح واستخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشهد عذوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشَبِّهُ شَخْصاً وَالْخَيْلُ تَهْفُو هُفْوًا ظِلٌّ فَتَحَاهُ الْجَنَاحُ

وابترك : انتهى حل أحد شقيه في عدوه . ط : ه : « مشبك » س : « مشترك » صوابها من المفضليات ١٤٠ . والشّدق هي في س : « الشّدق » ه : « السّدق » صوابها في ط والمفضليات . وأول البيت في كل من ط ، ه : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) سيد ، بالكسر : الذّيب . والغنصا : نبت تلجأ إليه الذّئاب . وذئباب الغنصا : أنيث الثّياب . ط : « الماوى » ه : « المارى » ، صوابها في س . ورواية الديوان : « الغنصا » . أضلّ جراحهُ : فقد أولاده ، فهو يسرح في عدوه بجهدا ليحس عنها . والفرد : الأرض العالية . ورواية الفيوان : « عللاً شرفاً » . يلحِب : =

(استطراد)

وَيُلْحَقُ^(١) بموضع ذِكر الضرب الشديد ، قولهم في المثل : « ضَرْبُنَاهُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ » . قال أبو حية :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْ يَنْخَضِبُوا الْقَنَا

وَأَنْ يَرْكُوا الْكَبْشَ الْمَدْجَجَ ثَاوِيًا^(٢)

ضَرْبُنَاهُمْ ضرب الحساما غرائب

وإذا جاءك عطاشا لعا حرا را ضواريًا^(٣)

وإذا جاءت عطاشاً قَدْ بَلَغَ مِنْهَا الْعَطَشُ وَالْبَيْسُ ، قيل : جاءت تَصِلُ

= يمر مرارياً . وفي الأصل : « يلهث » ، صوابه مألثت . والبيت من قصيدة بائية لطفيل ، أولها :

تَلَوَّبَنِي هُمٌ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ

وهو قد نمت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرسا شبه بالذئب . وقبل البيت :

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجِلَامِهِ سَنًا ضَرَمَ مِنْ عَرْفَجٍ يَتْلَهُبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبي العجوز » ، استطراد من الجاحظ لاعتلاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يَنْخَضِبُونَهَا : أي يلعاء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس .

المدجج : ذو السلاح . ثاويًا : مقتولا . هـ : « الكيس » س : « الكيس » س ، هـ : « المحدث » مكان : « المدجج » هـ : « قاويا » . و صواب رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . هـ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشيأ ، لم أجد له مرجعا يمين على تحقيقه .

أجوافها صليلا . قال الراعي :

فَسَقَوْا صَوَادِي يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجْوَابِهِنَّ صَلِيلًا
قال : وأنشدنا أبو مهديّة ، لمزاحم العقيلي^(١) :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَاتٍ ظَمُوءُهَا تَصِيلٌ ، وَعَنْ قَيْضٍ بَزِيرًا مَجْهَلٌ^(٢)
قال : الرزّاء^(٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر^(٤) :

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنَّنِي إِذَا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَجَلَّتِ^(٥)
١٣٤ رَجَعْتُ إِلَى صَدْرٍ كَجِرَّةٍ حَتَمَ إِذَا قُرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتِ^(٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر يهودي إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أي أفاقت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطاروت لذلك عند تمام ظمئها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردتين . وروي في الكامل والمختص (١٤ : ٥٧) : « تمّ خبها » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلاً . ابن السيد في الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبيدادي (٤ : ٢٥٣ يولاق) واللسان (صلل) . ط : « علسا » تحريف . والقَيْض : بالفتح : قشر الليضة الأمل . والزيراء ، بالكسر والفتح : ما يلفظ من الأرض . هـ : « من قَيْضٍ بَزِيرًا » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا نغوة ؟ فقال : لم يرد القدو ، وإنما هذا مثل التصجيل . والمرب تقول : يكر إلى المشية ، ولا يكر هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حتم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤٩ يولاق) .

(٥) أم حسان هي زوجة . والميرة ، بالفتح : القصة . نهنيها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فصلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحتم : جزار خضر تقرب إلى الحمرة ، وقد يقال الخنزف كله حتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الخوَّاء)

وزعمَ ابن أبي العجوز الخوَّاء ، أنَّ الأفاعى صُمٌ ، فلذلك لا تجيب
الرَّقَى ، ثُمَّ زعمَ لى فى ذلك المجلس ^(١) أنَّ أمير المؤمنين المنصورَ ، أراد
امتحان رُقَى حَيَّةٍ ^(٢) وأنَّ يتعرَّفَ صَحَّتْها من سُقْمِها ، وأنَّه أَمَرَ ^(٣) فصاغوا
له أَفْعَى من رصاص ، فجاءت ولا يَشْكُ الناظر فيها ؛ وأنَّه أَمَرَ ^(٤)
بإلزاقها فى موضعٍ من السَّقْفِ ؛ وأنَّه أحضرهُ وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى
قد صارتْ فى هذه الدَّارِ ، وقد كرَّهتُها لمكانِها ، فإنَّ اختَلَّتْ لى برُقِيَّةٍ ،
أو بما أَحَبَبْتَ ^(٥) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . قال : إنَّ أَرَدْتُ أَنْ أَخْذُهَا هَرَبْتُ ^(٦)
ولكنَّ أَرْقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لاتتحركُ زادَ فى رَفْعِ صوته
وَأَلْقَى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لاتتحركُ نَزَعَ عِمَامَتَهُ وزادَ فى رَفْعِ صوته ،
فلما رآها لاتتحركُ نَزَعَ قَلَنُوتَهُ وزادَ فى رَفْعِ صوته . فلما رآها
لاتتحركُ نَزَعَ ثِيَابَهُ ، وزادَ فى رَفْعِ صَوْتِهِ ^(٧) ، حَتَّى أَزِيدَ ^(٨) ، وتَمَرَّغَ

== انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : عالية منه . وجعل صدره كالجرة من
الحُمِّ ، فى صلابتها وشدتها .

(١) يدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبي العجوز فى
ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جله » ط : « جد » ، صوابها ما أثبت . وانظر ٢٠ : ص ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فلت » .

(٧) الكلام من مبدأ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . هـ : « أزيد » ، صوابها ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر

منه الزيد على جانبى الشفتين .

في الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذاب ، حتى صار بين أيديهم ، فأقر عند ذلك المنصورُ بجوذة رقيقته .

فقلت له : ويحك ! زعمت قبيلُ أن الأفاعي لا يجيب الرقي ، لأنها لا تسمع ، وهي حيوان ، ثم زعمت أنها أجابت ، وهي جماد ! !

(شعر وخبر في نثار النعامة)

وقال الشاعر :

وربداء يكفيها الشميمُ وملها سوى الربذ من أنسٍ بتلك المجاهل
يخبر أن النعامة لا تستأنسُ بشئ من الوحش ، وأن الشم يغنيها في فهم
ما تحتاج إليه .

وهي مع ذلك إذا صارت إلى دور الناس ، فليس معها من الوحشة
منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفي الوحش ما يأنس ، وفيها ^(١) ما لا يأنس . وقال كثير :

فأفسنتُ لا أنساك ماعشتُ ليلةً وإن شحطت دارُ وشط مزارها ^(٢)
وما استن ررقاق السراب وما جرت بيض الربا أنسيها ودوارها ^(٣)

(١) س : « وفيها » .

(٢) شحطت : بحت . وشط مزارها : بهد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب : كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو في القلوات فيندفع السفر يظنونه ماء . وفي الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد مله العلماء بما يكون من الانكساعات الضوئية ، فظهر صورة الساء في صفحة الأرض ، أو تبدو صورة للتخيل البعيدة ، في وضع مغلوب يتحد الناظر ، فيحسبها ظلالاً مرتسة في ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال يقع الهزة والنون ، نسبة إلى الأنس -

ووصف بلاداً فقاراً^(١) غيرَ مأنوسة فقال :

مَا تَرَى الْعَيْنُ حَوْسًا مِنْ أُنَيْسٍ قُرْبَهَا غَيْرَ رَابِدَاتِ الرَّثَالِ^(٢)
خَصَهَا بِالذُّكْرِ ، لَأَنهَا أَنْفَرُ وَأَشْرَدُ ، وَأَقْلُّ أُنْسًا مِنْ جَمِيعِ الْوَحْشِ .
وقال الأحيمر^(٣) : كُنْتُ آتِي الظُّبْيَ حَتَّى أَخْذَ بِنِزَاعِيهِ ، وَمَا كَانَ شَيْءٌ
مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ يَنْكُرُنِي إِلَّا النَّعَامَ^(٤) .
وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :

وَكُلُّ أَحَمٍّ الْمُفْلِسِينَ كَأَنَّهُ أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمُفْضِلِ^(٥)

= والأُنْسُ بالصَّوْكَ في كلِّ منهما بمعنى الالتئاس . ويقال يكرها نسيبة إلى الإنسان
بالسكر ، وهم بنو آدم . ويقال يفسها نسيبة إلى الأُنْسِ ، بالهم ، وهو ضد
الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد التفسير في «أنصبا» إلى الحيوان
ولم يذكره ، ولكنه مفهوم غسنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذي لا يستأمن
من الحيوان . والرواية في ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشها ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيصات . ربد ربودا : أقام . والرثال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو وله
التمام . وفسرت « الرابدات » في شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى
الربد جمع ريداء ، وهي التي في سوادها نقط بيض أو حر » . ولعل ما فسرت به أقرب
إلى الاشتقاق . فليس في المعاجم التي بأيدينا « رابد » بمعنى « أريد » .

(٣) سبق ترجمته في (١ : ١٣٣) . والتبر في المقد (٤ : ٢٣٨) وحيون الأغهار (٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ التبر مقتضبا ، وهو بتمامه ، كما في حيون الأغهار (٢ : ٨٨)
« كنت حين غلني قوى ، وأطل السلطان دى ، وهربت وترددت في البراري
غلنت أني قد جرت نخل ويار ، أو قريه منها . وذلك أني كنت أرى النوى
في ربيع الزئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ،
لأنها لم تر أحدا قبل . وكنت أمشي إلى الطيب السمين فأخذه ؛ ودل ذلك رأيت
جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإني لم أره قط إلا نافراً فرعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقللة : بالضم : حقة العين . لا وأراد به الطيب . والخلاء المغفل :
الذي لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبيل البيت كما
في الديوان ٥٠٥ :

(نِزَارُ الْوَحْشِ وَهَرَبُهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قدرٍ ما شاهدنا أنّهم يخرجسون إلى الصَّحَارَى الْأَغْفَالِ^(١) ، التي لم يُذْعَرْ صَيْدُهَا ، وَلَا يَطْوُهَا النَّاسُ ، فَيَأْتُونَ الْوَحْشَ فَوْضَى مَهْلًا ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوى^(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التي لو كانوا ابتدعوا الصَّيْدَ مِنْ جِهَتِهَا لَأَخْلَوْا مَا أَخْلَوْا . فإذا نفرت وحوشُ هذه الْأَرْضِ ، ومرّت بالأَرْضِ الْخَاوِرَةِ لها ، نفرت سُكَّانُ تلك الْأَرْضِ مع هذه الثَّوَاغِرِ ، ولا تعودُ تلك الصَّحَارَى إلى مثل ما كانت عليه ، مِنْ كَثَرَةِ الْوَحْشِ حِينَ .

ومتى لم تنفّرْهَا الْأَعْرَابُ بِالْكِلَابِ وَالْقِيَى ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ ، رَعَتْ بِقُرْمِهِمْ ، ثُمَّ دَنَتْ مِنْهُمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، حَتَّى تَطَأَ أَكْنَافَ بُيُوتِهِمْ . وَهِيَ الْيَوْمَ فِي حَيْرٍ^(٣) الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ^(٤) وَالْوَاتِقِ بِاللَّهِ^(٥) عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ .

= دعت مية الأعداء فاستبدلت بها خناطيل آجال من العين خذل
ويعد مية أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نمجة ط' ذوع قد أحرزته ومطفل

ترجع له ربيع الهجان وأقبلت ط' فوق الآجال من كل مقبل

ثم البيت : « وكل أمم الملقين » .

(١) الْأَغْفَالُ : التي لا علامة فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » ! .

(٣) الْخَيْرُ ، بِالْفَتْحِ : البستان ، أو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف . ومثله

الخائر . جاء في اللسان : « وبالبصرة حائر الخيلج » ، معروف ، يابس لاماء فيه .

وأكثر الناس يسميه الخير ، كما يقولون لعائشة : عَيْشَةُ . يستحسنون التخفيف

وطرح الألف . في ط ، س : « حيز » هـ : « حد » صوابهما ما أثبت .

(٤) الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ ، هو محمد بن هارون الرشيد ، يبيع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة

المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى .

توفي بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الْوَاتِقُ بِاللَّهِ ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . وله

بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هجرة الطَّيِّبِ إِلَى النَّاسِ)

وخبرني إبراهيم بن السُّنْدِيِّ^(١) قال : خبرني عبدُ الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحبُ الموصِل ، أنَّ خالد بنَ برمك ، بينا هو على سطحٍ من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغدّون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خُراسانَ إلى الجبل . قال : وبين قحطبةَ وبينَ الأعداءِ مسيرةَ أيَّامٍ وليالٍ . قال : فبينما خالد يتغدّى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلالُ السير ، وحينَ علَّقُوا على دوابِّهم^(٥) ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وقَرَّبُوا سَفَرَهُمْ^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندي بن شاذك ، روى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السدي ابن شاذك ، كان يلى الحسين بنسداد الرشيد . انظر الجهشاري ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الثاني ، صاحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظهرًا ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، يفتح التاء والثاء .

(٣) أي يتناولون الغداء ، بالفصح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهي البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « ينفطون » بالذال المحجمة .

(٤) بعد هذا في س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقعم سيأتي في موضعه قريبًا .

(٥) في اللسان : « والباقي : التقسيم يطلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : التضمير . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر ، يستعملها سواسي البهايم . هـ : « علّفوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهي طعام المسافرين ، وتقال لتلك التي تيسط ويؤكل عليها . والقي يوضع فيها طعام المسافرين .

قال : فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى الصَّعْرَاءِ ، فَرَأَى أَقَاطِيعَ الظَّبَاءِ قَدْ أَقْبَلَتْ
 مِنْ جِهَةِ الصَّعْرَارِيِّ ، حَتَّى كَادَتْ تَخَالِطُ السَّكْرَ ، فَقَالَ لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ ! نَادِ فِي النَّاسِ : « يَا خَبِيلَ اللَّهِ ارْجُبِي ^(١) » ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ حَثَّ
 إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وَعَامَّةُ أَصْحَابِكَ لَنْ يَسْرِعُوا وَيُلْجِمُوا قَبْلَ أَنْ يَرَوْا سَرْعَانَ
 الْخَبِيلِ ^(٢) . فَقَامَ قَحْطَبَةُ مَذْعُورًا ، فَلَمَّا لَمْ يَرِ شَيْئًا يَرُوعُهُ ، وَلَمْ يَرَ غُبَارًا
 قَالَ لَخَالِدٍ : مَا هَذَا الرَّأْيُ ! قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! لَا تَتَشَاغَلْ بِي وَبِكَلَايَ ، وَنَادِ
 فِي النَّاسِ ^(٣) . أَمَا تَرَى أَقَاطِيعَ الْوَحْشِ قَدْ أَقْبَلَتْ ، فَارْقَتْ ^(٤) مَوَاضِعَهَا
 حَتَّى خَالَطَتْ النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وَرَاءَهُمَا جَمْعًا عَظِيمًا ^(٥) ! . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَلْجَمُوا
 وَأَسْرَجُوا ^(٦) حَتَّى رَأَوْا سَاطِيعَ الْغُبَارِ ، وَلَا تَلَبَّسُوا ^(٧) وَتَسْلَحُوا حَتَّى رَأَوْا
 الطَّلِيعَةَ ^(٨) . فَمَا التَّأَمُّوا حَتَّى اسْتَوَى أَصْحَابُ قَحْطَبَةَ عَلَى ظُهُورِ خَيْبُولِهِمْ .
 وَلَوْلَا نَظَرَةُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَفِرَاسَتُهُ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْجَيْشُ اصْطِلَمَ ^(٩) .

(١) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره « من كلام الرسول » ، ما لم يسبقه إليه
 عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستملا
 ومثلا سائرًا . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أو التلها . وفي الأصل : « رعاية أصحابك أن
 يسرجوا » ، صوايه من ابن أبي الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا في هـ . وفي س : « نادى في الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى
 في الناس » بحرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفي ابن أبي الحديد بالواو .

(٥) س : « عظيماً » . وفي ابن أبي الحديد : « وإن وراءها لجما كثيراً » .

(٦) أي وضعوا النجم والسرور على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طلعة الجيش : أولهم . س : « الطليعة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أييد ، واستحصل .

(قصة في قوة الشم)

وكان إبراهيم [بن ^(١)] السَّنْدِيُّ يَحْدُثُنَا مِنْ صَدَقِ حَسِّ أَبِيهِ فِي الشَّمِّ ،
بشئ ما يحكى مثله إلا عن السَّبَاعِ وَالذَّرِّ وَالنَّعَامِ . وزعم أن أباه قال ذات
يوم : أجد ريح بول فارة ! ثم تَشَمَّمْ وَأَجَالَ أَنْفَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، فقال : هو
في تلك الزَّاوِيَةِ ! فَنَظَرُوا فَإِذَا عَلَى طَرَفِ الْبَسَاطِ مِنَ الْبَلَلِ يَقْدِرُ الذَّرَّهْمُ ،
أو أَوْصَعُ شَيْئًا ، فَقَضَوْا أَنَّهُ بُولُ فَاَرَةٍ .

٩٣٦

قال : وشبهته مرةً وأُشْرَاطُهُ ^(٢) قِيَامٌ عَلَى رَأْسِهِ فِي السَّمَاءِ ^(٣) ،
فقال : أجد ريحَ جَوْرَبٍ عَيْنٍ مُنْتِنٍ ! فَتَشَمَّمْنَا بِأَجْمَعِنَا ، فلم نجدَ شَيْئًا ،
ثم تَشَمَّمْ وقال : ازْعُرُوا خُفَّ ذَاكَ . فَزَعَرُوا خُفَّهُ ، فَكَلَّمَا مَدَّ النَّازِعُ لَهُ
شَيْئًا بَدَأَ مِنْ لِفَافَتِهِ . فَاِزَالَ النَّتْنُ يَكْتُفُ وَيَزْدَادُ ، حَتَّى خَلَعَ خُفَّهُ وَزَعَهُ
مِنْ رِجْلِهِ ، فَظَهَرَ مِنْ نَتْنٍ لِفَافَتِهِ مَا عُرِفَ بِهِ صِدْقُ حَسِّهِ . ثم قال : ازْعُرُوا
الآنَ أَخْصَافَكُمْ بِأَجْمَعِكُمْ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيكُونِ فِي جَمِيعِ الْفَائِفِ مُنْتِنٍ
غَيْرِ لِفَافَتِهِ ، أو تَكُونُ لِفَافَتُهُ أَتْنَهَا ، فَزَعَرُوا ، فلم يجدوا في جميعها لِفَافَةً
مُنْتِنَةً غَيْرَهَا .

وَأَنْشَدُوا :

غزا ابنُ عُمَيْرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَنَا شَنَاةً كَنَنْتِ الْجَوْرَبِ الْمُنْخَرِقِ ^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأُشْرَاطُ : الخرس ، مظهر ما جاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

في فداى يبيض الوجوه كرام نهوا به هجمة الأشراف

(٣) السَّامِطِينَ : مفتي سباط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عُمَيْرٍ هَذَا ، اسمه عبد الله بن عُمَيْرٍ ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وقف

تجار القلوب ٤٨٦ : تركت له . ورواية الواسطة ٢٩٩ : لها . -

(أقوى درجات التَّشَمُّمِ)

وليس الذى يُحَكِّى من رِصدى الحسُّ فى التَّشَمُّمِ -- عن بعض النَّاسِ ،
وعن النَّعام والسَّباع ، والفأر والذَّئْبُ ، وضروبٍ من الحشرات -- من شكل
مانطق^(١) به القرآن العظيمُ ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسلام
حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ لَنِى لَاجِدٌ رِّيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ .
قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لِنِى ضَلَالِكِ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال
يوسفُ : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بِصَبْرًا وَاتَّبُونِى
بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ لَنِى
لَاجِدٌ رِّيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ
أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامة ظهرت له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتمون
أرواحَ أولادهم^(٢) إذا تباعدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجذُّ
ريحَ الحجرِ ممَّا يجوز الغلوتين والثلاث^(٣) . فكيف يجذُّ الإنسانُ وهو
بالشَّام ريحَ ابنه فى قيصره ، ساعة فصلَ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال :
﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَنِى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثَّاءُ ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من ملح أو ذم ، وخص به بعضهم
المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتنزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مانطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل .
يجوز : يزيد . والغلاة ، بالفتح : قدر دمية بهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشم

الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٧ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عَاماً^(١) ، لَا يَذُوقُ ذَوْاقاً^(٢) . وجاء أهل المدينة في تلك الحَظْمَةِ^(٣) ، حَتَّى كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْدُونُ الْحَجَرَ عَلَى بُطُونِهِمْ ، مِنَ الْجُوعِ وَالْجَهْلِ . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يَقُولُ : « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمَنِي وَيَسْقِينِي » .

(حِجَاجٌ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِهِ)

وَرَجَالٌ يَمْنُ بِنَتْحِلِ الْإِسْلَامِ ، يُظْهِرُونَ التَّقَدَّرَ مِنَ الصَّبْرِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّبْرِ لَتَوَدِّعُهُمُ الْفِرَاقَ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غير : مكث . س . هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسر لا يكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » . فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقا : أى شيئاً .

(٣) الحظمة ، بالفتح والقسم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تعظم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر وابعث عليهم منسين كفى يوسف » . فتابع عليهم الجذوبة والتقصير سبع سنين ، حتى أكلوا القند والنظام والمهلز . فقال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبذعاه عوقبا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل يختلف الحايث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح لأبي زيد (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخاري : « فأخذتهم سنة حست كل شيء » . عمدة القاري (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القاري (٧ : ٤٦ ص ١٣) .

مِنْ طُرُقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ لِلطُّبَاءِ ، الَّتِي تَنْقَطِعُ عَنِ
الْخِشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ هَزْلاً وَجُوعاً ، وَإِسْلَاءَ السَّبَاعِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ
١٣٧ وَسَتْسِلُ (٢) أَهْلِهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاوُنِ بِدِمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الظِّيَّ .
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الظِّيَّ لَمْ يَرْحَمْ الْجِلْدَى ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
النَّصْبِيَّ . وَصِفَاتُ الْأُمُورِ تَوْدِي إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ بِشَيْءٍ عَمَّا يَوْدِي إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمَئِذٍ مَا .
وَأَكْثَرُ مَا مَجِئَتْ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمَنِ النَّصَارَى ،
مُضَاهَاةَ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ : فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبَغْضِ لِلْإِرَاقَةِ
الدَّمَاءِ : وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ الْخَمَانِ .

وَقَدْ - كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنْدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سَبَاعِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَاعِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْمَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ
الْبَيْتَةُ أَنْ يَقْفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرَفَةً حِينَ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ
شَرًّا صِرَافًا ، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْشُورًا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتَحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً لِلنُّورِ لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالنَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ .

(١) الْخِشْفَانُ : جَمْعُ غَرِيبٍ لَمُشَفٍّ ، بِتَثْنِيتِ الْهَاءِ ، وَهُوَ وَلَدُ الظُّلْمَةِ حَتَّى مَا يَتَحَرَّكُ
لِقَشْيٍ . وَلَمْ أَرِ هَذَا الْجَمْعَ فِي مَجْمَعٍ ، وَجَمْعُهُ فِي السَّانِ وَالْقَامُوسِ عَلَى «عَشْفَةٍ» .
يَكْسَرُ فَتَحَ .

(٢) أَيْ ، وَسَتْسِلُ الْفَرَاوَةَ . فِي الْأَصْلِ : «سَتْسِلُ» يَفْعُلُ وَارٍ . وَالْمُرَادُ بِالسَّبَاعِ هُنَا الْحَيَوَانُ
الْمَغْتَرِسُ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ، كَالْكَلَابِ وَالْقَهُودِ وَالْبَزَاةِ .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذا ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتتها ، والقون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والهيمه التي برؤن أن يدفعوا عنها أيضاً ممزوجة^(١) ، إلا أن^(٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ، لأن الأغلب على طبايعها النور فليفتروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيها من أجزاء الشر^(٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والشرور^(٤) على مافي الهيمه من أجزاء الظلمه لدفعهم عن الهيمه ، إذ كان أكثر أجزائها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ، لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أتم فيه ، من أكل الحيوان كل يوم من^(٥) الذبائح ، مكروه عند الله ، أنكم لم تروا قط ذبائح^(٦) الحيوان ولا قتلى^(٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون^(٨) أبداً . ويستغنون^(٩) ، كندجو صيادي السمك وصيادي الوحش^(١٠) وأصناف الجزأرين والقصائين ، والشوائين والطهائين

(١) أي مزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صواب في ط ، هـ .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضيه الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « الشرور » هي في أصلها « الشرور » مصفنة .

(٥) ط : هـ : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) هـ : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملاسته نبح الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، هـ : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جهات كلمة « صياد » في الموضعين : « صيادي » بحذف الياء الآخرة .

والوجه إثباتها .

والفهادين^(١) واليَّازرة^(٢) والصَّقَّارين والكلايين ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غنى ويُسَرَّ ، ولا تراه أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى حالٍ مشبهة بحاله الأولى .

وكذلك الجلَّادون ، ومن يضربُ الأعناق بين يَدَيِ المُلوك . وكذلك ١٣٨ أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وَحَى ترى بعضهم وإن خَرَجَ نادراً خارجياً ، ونال منهم رُوءَ وجَّاهٍ وسلطاناً ، فإمَّا أن يُقْتَلَ ، وإمَّا أن يُقْتَصَبَ^(٥) نفسهُ بِمِيتَةٍ عاجلة ، عندَ سروره بالثروة ؛ أو يبعث الله عليه الحق^(٦) فلا يَنُمُو له شيء ، وإمَّا ألاَّ يجعل مِنْ نسلهم عَقِيباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبياً وذُرِّيَّةً طَيِّبَةً مثل الحجاج بن يوسف ، وأبي مسلم^(٧) ، ويزيد بن أبي

(١) الفهاد : الذي يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) اليَّازرة ، بتقديم الهمزة : جمع يزار . ويزار : محراب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازي . انظر الصحاح واللسان . ط : « اليَّازرة » ه : « اليَّازرة » س : « اليَّازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب في ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحمود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشي البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يقصب » ، وأثبت ما في س .

(٦) الحق ، بالفتح : التمتع ، وذهب البركة . س : « الحق » .

(٧) يعني أبا مسلم الخراساني . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائل المشهور ، الذي قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفي سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، قتله أبو جعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانتخب أن نسيمهم .
 قال : فإن هؤلاء مع كثرة الطروقة^(٣) وظهور القدرة ، مع كثرة
 الأنسال ، قد قبح الله أمرهم ، وأنحل أولادهم . فهم بين من لم يعقب ،
 أو بين من هو في معنى من لم يعقب .
 فقلت للنصارى بدياً : كيف كان الناس أيام الحكم بما في التوراة
 أيام^(٤) موسى ودَاوَدَ ، وهما صاحبا حروبٍ وقتلٍ ، وسبائكٍ وذبائح ؟ نعم
 حتى كان القريان كله أو عامته حيواناً مذبوحاً ، لذلك سميت بيت المذبح .
 ولسنا نسألكم عن سيرة النصارى اليوم ، ولكننا نسألكم عن دين .
 موسى وحُكْمُ التوراة ، وحُكْمُ صاحب الزبور . وما زالوا عندكم إلى أن
 أنكروا ربوبيّة المسيح ، على أكثر من حالنا اليوم في الذبائح .
 وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تغفلون علينا السّمك حتى نتوخى أياماً
 بأعيانها ، فلا نشترى السّمك إلا فيها ؛ طلباً للإمكان والامتنان خاص
 وهي يوم الخميس ، ويوم السبت ويوم الثلاثاء ؛ لأن شرائكم في ذلك .

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار التقي ، كان مولد الحجاج بن يوسف وكتابه ،
 ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن
 عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه
 درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيها الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
 وفي س : ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسبق .
 على الصواب في ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجده له تعريفاً .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « أيام » .

اليوم يَقِلُّ . على أنكم تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ فِي أَيَّامِ الْقِيَصِ (١) وهل تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَيَّاماً مَعْلُودَةً ، وساعاتٍ مَعْلُومَةٍ ؟ !

فإذا كانت الحِرْفَةُ وَالْحَنُّ إنما لَزِمَا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَاتِينَ ، وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، من جهة العقوبة - فأنتم شركاء صيَّادِي السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لأنكم آكلُ الْخَلْقِ له ، وأنتم أيضاً شركاء الْقَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ الدَّفْرِ . فلا أنتم تَدِينُونَ لِلإِسْلَامِ فتعرفوا ما عليكم ولكم ، وفصل (٣) ما بين الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وما الرَّحْمَةُ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ ذَلِكَ الْقَتْلُ رَحْمَةً ؟ فقد أجمعوا على أَنَّ قَتْلَ الْبَغْضِ إِحْيَاءٌ لِلْجَمِيعِ ، وأنَّ إِصْلَاحَ النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جِزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) . وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وهذا شيءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا ، غَيْرَ الزَّناذِقَةِ . وَالزَّناذِقَةُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، وَلَا كَانَ لَهَا مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمُنَافِقٍ . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك مَذْهَبُهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فأنتم لَادَهْرِيَّةٌ (٤) ، وَلَا زَنَادِقَةٌ ، وَلَا مُسْلِمُونَ ؛ وَلَا أنتم رَاضُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

١٣٩١ فإن كان هذا الْحُكْمُ قد أَمَرَ اللَّهُ بِهِ -- وهو عَدْلٌ -- فليس بين

الزَّمانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الْقِيَصُ ، بالكسر : عيد لقتل صاري . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٢٥٧)

والنبي والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أي فرق . في الأصل : « فصل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) ﴿ : ﴾ « ولكم في القصاص » . وهو سهو من الكتّاب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة في ص ٧٩ - ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وَتَقْلِدُونَ مِنْ
الْمَحَانِ ! أَفَلَا تَسْمَكُ لَا يَأْلُمُ الْقَتْلَ ، أَمْ لَأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بَلَا سَكِينٍ
لَمْ يُحْسَ ^(١) قَتْلُهُ ؟ ! فَالْجَمِيعُ حَيَوَانٌ ، وَكُلُّ مُقْتُولٍ يَأْلُمُ ، وَكُلُّ يُحْسَ .
فَكَيْفَ صَارَ أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الْبَهَائِمِ قَسْوَةً ، وَلَا تَكُونُ تَفْرِقَةٌ مَا بَيْنَ السَّمَكِ وَالْمَاءِ حَتَّى
تَمُوتَ ^(٢) قَسْوَةً ! وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وَصَيْدُ السَّمَكِ بِالسَّنَانِيرِ
الْمَذْرُوبَةِ الْمَقْفَةِ ^(٣) لَيْسَ لَهَا شَعَائِرُ تَخَالَفُ الْعُقَابِ الْمَنْصُوصِ ^(٤) فِي جِهَاتِهَا .
وَكَيْفَ وَهِيَ وَإِنْ لَمْ تَنْشَبْ فِي أَجْوَاهِهَا ، وَتَقْبِضَ عَلَى جَمَاعِ أَرْوَاحِهَا ، لَمْ تَقْلِبْ
عَلَى أَخْلَافِهَا ؟ !

وَكَيْفَ صَارَ وَجَعُ اللَّبَّةِ ^(٥) مِنَ الْجَزُورِ أَقْسَى مِنْ ضَرْبِ النَّبَائِلِ ^(٦) ؟ !
أَمْ كَيْفَ صَارَ طَعْنُ الْعَبْرِ ^(٧) بِالرُّمَحِ ، وَنَصْبُ الْحَبَائِلِ لِلظُّبْيَاءِ ، وَإِرْسَالُ
الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدَّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ ^(٨) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

-
- (١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، هـ .
(٢) المراد بالتفرقة السية . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .
(٣) المذوبة : المهددة . والمقفية : الملوقة .
(٤) كذا جعلت العبارة محركة في الأصل . بيد أنه في ط : « العقاب » مكان
« العقاب » .
(٥) وجع اللبة : طعنها بالسكين . واللبة : بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
هـ : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محركة .
ط : « لبة » ، صوابها في س ، هـ .
(٦) كذا في ط ، هـ . وفي س : « الحبال » بهذا الإعمال .
(٧) العبير ، بالفتح : اخمار الوحشى .
(٨) كذا . ولعلها : « النبائل » . « نبأ » بمعنى السهام .

وَلَا تُنْكِمُ تَكْثِيرُونَ قَوْلَكُمْ : لَا نَأْكُلُ شَيْئاً فِيهِ دَمٌ أَيَّامَ صَوْمِنَا ،
ذَلَّعْتُمْ دَمَ ، وَلَا بَدَّ لَجَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِنْ دَمٍ أَوْ شَيْءٍ يُشَاكِلُ الدَّمَ ، فَمَا وَجْهُ
اعْتِلَابِكُمْ بِالذَّمِّ ؟! الْإِنَّ (١) كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ دَمٌ فَهُوَ أَشَدُّ الْمَاءِ ؟ فَكَيْفَ نَعْلَمُ ذَلِكَ ؟
وَمَا (٢) الدَّلِيلُ عَلَيْهِ ؟

فَإِنْ زَعِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي بَابِ التَّجَبُّرِ وَالْمُصْلَحَةِ ، لَا فِي بَابِ
الْقِيَامِ وَالرَّحْمَةِ وَالْقِسْوَةِ ؛ فَهَذَا بَابٌ آخَرٌ . إِلَّا أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ ذَوَاتِ الدِّمَاءِ (٣)
أَقْوَى لِلْأَبْدَانِ ، وَأَثَرُ (٤) لِلنَّفُوسِ ، فَأَرَدْتُمْ بِذَلِكَ قَلَّةَ الْأَثَرِ وَضَعْفَ الْبَدَنِ .
فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَبِيناً فِي آكِلِ السَّمَكِ
مِنَ الْبَحْرِينَ (٥)

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مُلَازِمَةِ الْحِرْفَةِ لِهَوْلَاءِ الْأَصْنَافِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ
نَزَلَتْ صِنَاعَتُهُ ، وَدَقَّ خَطَرُ نِجَارَتِهِ ، كَذَلِكَ سَبِيلُهُ .

وَأَحْلُ الْكَسْبِ كُلَّهُ وَأَطْيَبُهُ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ سَقْيُ الْمَاءِ ، إِمَّا عَلَى
الظَّهْرِ ، وَإِمَّا عَلَى ذَاتِهِ . وَلَمْ أَرِ سَقَاةً قَطُّ بَلَغَ حَالَ الْيَسَارِ وَالْأَثَرِ . وَكَذَلِكَ
ضَرْبُ اللَّابِنِ ، وَالطَّيَّانُ وَالْحَرَاثُ . وَكَذَلِكَ مَا صَغُرَ مِنَ التَّجَارَاتِ
وَالصَّنَاعَاتِ .

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْوَالَ كَثِيراً مَا تَكُونُ عِنْدَ الْكُتَّابِ ، وَعِنْدَ أَهْوَابِ
الْجَوْهَرِ ، وَعِنْدَ أَهْوَابِ الْوُثْئِ وَالْأَنْطَا (٦) ، وَعِنْدَ الصَّيَّارِفَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَلَا أَنْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَأَمَّا » .

(٣) يَعْنِي يَذْوَاتِ الدِّمَاءِ : مِثْلُ مِثْلِ السَّمَكِ . وَفِي الْأَصْلِ : « ذَوَاتِ الْمَاءِ » .

(٤) أَثَرٌ : أَفْعَلٌ مِنَ الْأَثَرِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْمَرْحُ وَالنَّشَاطُ . فِي الْأَصْلِ : « أَسَرٌ » .

وَانْظُرِ السِّيَاقَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فِي أَكْلِ السَّمَكِ مِنَ الْبَحْرِينَ » ، عَمْرُةٌ .

(٦) الْأَنْطَا : ضَرْبٌ مِنَ الْقَبْطِ .

والحنَّاطين^(١) ، وعند البصريين^(٢) . والجلابُ أبدا^(٣) ، والبيازرة^(٤) أيسرَ ممن يبتاع منهم .

وجملُ الأموالِ حقٌّ^(٥) بأن تُربحَ الجملَ بينَ تفريقِ الأموالِ . وكذلك مبيعُ القصابِ والجزارِ ، والشَّوَاءُ ، والبايزار^(٦) ، والفَهَّاد .

وأما ما ذكرتم من انقطاعِ نَسْلِ القَسَاةِ ، وخولِ^(٧) أولادِهِم ، كانقطاعِ نَسْلِ فِرْعَوْنَ ، وهامانَ ، ونُمرودَ^(٨) ، ونُحْتِ نَصْر^(٩) ، وأشباهِهِم ، فإنَّ اللهَ يقولُ : ﴿ وَلَا تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدُّوا من المذكورين بالصِّلَاحِ أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَن كَانَ عَقِيًّا أَوْ كَانَ مَيِّتًا^(١٠) ، أَوْ يَكُونُ مِمَّنْ نَبِيتَ لَهُمْ أَوْلَادٌ سَوَاءٌ عَقَوْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ ، وَهَرَضَوْهُمْ لِلْسَّبِّ بَعْدَ مَوْتِهِمْ - لَوْجَدْتُمُوهُمْ .

وعلى أنى لم أَنْصِبْ نَفْسِي حَرْبًا لِلْحِجَاجِ^(١١) . بن يوسف ، ويزيد

(١) الحنَّاط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون الرقيق والعميد فتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أبدا » من التراء ، وهو التنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) للبايزار : من يتهمد البازى ويعتق به . وفى الأصل : « البازياز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبيع : « وجملُ الأموالِ حقٌّ » إلى هنا ، ساقط من هو .

(٨) نمرود ، بالقلم : جبار من الجبابرة ، ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطائفة المشهورة التى خرب بيت المقدس . ول ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمثلثات : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولله يريد بذلك : مدافعا عن الحجج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم^(١) ، أخرى بهما^(٢) ، وهما عندي من أهل الثَّارِ . ولكني
عرفتُ مَنزَاجَكم .
وعلى أنَكم ليسَ بالقَصَّايينَ أَرَدْتُمْ ، وَلَكِنَّكُمْ أَرَدْتُمْ
دينَ المسلمين .

وَقَدْ خَرَجَ الْحِجَاجُ مِنَ الدُّنْيَا سَلِيماً فِي بَدَنِهِ ، وَظَاهِرِ نَعْمَتِهِ ، وَعَلَى
مَرْتَبَتِهِ مِنَ الْمَلِكِ ، وَمَكَانِهِ مِنْ جَوَارِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ^(٣) .
فَإِنْ كَانَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ سَلَمَةً وَعَاقِبَ أَوْلَادِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ دِينَكُمْ
فَإِنَّ هَذَا قَوْلٌ إِنْ خَاطَبْتُمْ بِهِ الْجَبَرِيَّةَ^(٤) فَعَسَى أَنْ تَتَلَقَّوْا مِنْهُمْ بِسَبَبٍ ،
فَأَمَّا مَنْ صَحَّحَ الْقَوْلَ بِالْعَدْلِ^(٥) فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَطَأِ الْفَاحِشِ
الَّذِي لَا شَبَهَ فِيهِ .

(شعر في القانص وقره)

وكانَ مَّا أَنشَدُوا مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَانِصَ لَا يَزَالُ فَقِيراً — قَوْلُ
ذِي الرِّمَّةِ :

(١) سبقَت ترجمته في ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : هِ أَعْنَدِي بِهِمَا ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ،
أو يدافع عنهما .

(٣) جوار الأمر والنهي : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن اليد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية
أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً .
والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة
الحادثة أنرا ما في الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس يجبري . والمتوسطة يسمون من لم
يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً — جبرياً . الملل والنحل
(١ : ١٠٨) .

(٥) يعني للمتوسطة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه —

حَتَّى إِذَا مَا لَمَّا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طَيْبٌ^(١)
وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ يَنْقَبِيبُو كَانَهُ حِينَ يَطْلُو عَاقِرًا لَبٌ^(٢)
هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسَ مُحْصَرَةٌ شَوَازِبَ لَاحَهَا التَّقْرِيبِ وَالْخَيْبِ^(٣)
جَرْدٌ مُهَرَّتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبِ^(٤)

= ثر وظلم ، ونمل هو كافر ومصيبة ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظلما ، كما لو خلق العدل كان عادلا . الملل والنمل (١ : ٥٦) .

(١) طا : غفل . يعني ثورا وحشيا . والجدر ، بالفتح : نبت دمل . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذي تراه عند ذرونها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطيب ، كمنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهي الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السبر الذي يخرزه . س : « إذا راجها » ه : « إذا نأها » ، معروفان صوابهما في ط والديوان ٢٣ ، وجهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طيب) . س ، ه : « في الجدر » وانحدرت : تصحبه من الديوان واللسان . وفي اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهي مصيبة . س ، ط : « قب » ه : « طنب » ، صوابهما في الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ناهر ، وأشرق . س ، ه : « ناب » محرفة . وأثبت ما في ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : الفون . في الجمهرة : « معروف ينقبته » . يطلو عاقرا : أي يرتفع في رمل لا تنبت شيئا ، شبهت بالعافر من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء في جمهرة أشعار العرب : « مهم من يقول إنه يعني الفجر ، ومن يقول إنه يعني به الثور » .

قلت : بمن جملة يعني الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثورا » .

(٣) يقول : أولت بذلك الثور كلاب جائئة ، في لونها غيرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفي الجمهرة والديوان : « زوق محصرة » . والشاذب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلا وغيرها . والتقريب والخيب : ضريان من العدو . وفي الديوان : « التفريث والجنب » . التفريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلتزق دنته بجنبه . وأصله في الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفي الديوان واللسان (طنب) : =

وَمُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ هَبَالٌ لِيُبَيِّنَتْهُ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَلِكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ^(١)
مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفُرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ^(٢)
فَانصَاعَ جَانِبَهُ الْوَحْشِيُّ^(٣) وَأَنْكَدَرَتْ

يلحبن لا يأتلى المطلوب والطلب^(٣)

قال : فجعله كما ترى مقْرَعاً أطلسَ الأطمار ، وخَبَرٌ أَنَّ كِلَابَهُ نَشَبُهُ ،
وَأَنَّ أَلْفَى أَبَاهُ كَلَيْكَ .

وَأَنْشَدُونِي ذَلِكَ قَوْلَ الْآخَرِ :

= « خُفِّفَ » . مهرة الأثدق : واسمها . والسراحين : اللذائب ، واحدا
سرحان ، بالكسر . والمذب : سيور تشد في أحناق الكلاب ، واحدا
علبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أي رجل طعمه وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم : يضم الميم
وصح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كَيْبِهِ

هبال ، من الإهتبال ، وهو سرعة الأحذ . والهبية ، بالضم : الطلبة . والطلبة
بفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، هـ : « هناك لنقطة » محرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبغيت » . ألقى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذلك أسهر له .

(٢) مقْرَع : مخيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو
اللوب الخلق البالي . والفراء : بالكسر : جمع ضرر بالكسر أيضاً ، وهو
الفارسي . حتى جاز الكلاب . وصيدها : أي ما تصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعاً . جانبه : أي حل جانبه . والجانب للوحش : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أي انتفضت . وصييره الكلاب . يلحبن : يسلكن
طريقاً لاحقاً مهيأ . أو يمررن مرأ سريعاً . لا يأتلى : أي لا يترك جهداً ولا يخفض من
جره . والمطلوب ، حتى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يأباه »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب ، واللسان (صوغ ،
حب ، للب) .

وَأَعَصَمَ أَنْسَتَهُ الْمَيْتَةُ نَفْسُهُ رَعَى النَّبْعَ وَالظَّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَغَيْرِ^(١)
مَوَارِدُهُ قَلْتُ تَصَفَّقُهُ الصَّبَا بَنِي مُرْلٍ ، غَيْرُ كَلْبٍ وَلَا نَزْرٍ^(٢)
قَرَنَتْهُ السَّحَابُ مَاءَهَا ، وَتَهْدَلَتْ عَلَيْهِ غُصُونُ دَانِيَاتٍ مِنَ السَّمْرِ^(٣)
أُتِيحَ لَهُ طَلْحٌ إِزَاهُ بِكَفِّهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخْفِرْنَ مِنْ حَجَرٍ^(٤)
أَبُو صَبِيئَةٍ لَا يَسْتَلِيرُ إِذَا شَتَا لَقُوحًا ، وَلَا عَزْرًا ، وَلَيْسَ يَذِي وَفْرٍ^(٥)

(١) أعصم : يئى وعلا بإحدى يديه يياض . س : « وأظم » مصحفة . أنسته الميتة نفسه ،
أى أعماه قدر الموت من الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . رعى الأصل :
« النبت والظيان » عرف .

(٢) القلت : نفرة في الجبل تملك الماء . تصفقه : تضرعه . والصبا : ريح شرقية .
والنبق ، بالكسر : أصل موضع في الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س :
« مزل » ، « وغير كلب » صفة القلب . وقد أسكن الدال للشمس .

(٣) تهملت : تملت . والسمر : نبات ، وهو يفهم الميم . وأسكنها للشمس .
(٤) أتيح له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : الميسى . أراد سائلاً . وإزاه : أى سبب
هيشه . والإزاه ، بكسر الهمزة والمه ، وقصره تشر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة .
والهتوف : القوس المرنّة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من اللس المتون زينها رصائع قد نبطت إليها وعمل

وقال الشياخ :

هتوف إذا ما جامع القلبى سهمها وإن ريع منها أسلمت للثوائر
ط ، س : « هتوف » ه : « هتوف » صواجها ما أثبت . وأشباه :
أى سهام متشابهة طبت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبه البهامة ،
تنسب إليها السهام والتصال ، قال الفراهى :

تَوْخَى حَيْثُ قَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ بِحَجَرِي تَرَى فِيهِ اضْطِمَارًا

أى تصل مندوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحده حجر مقامة في الجودة » .
وقال رؤبة :

حَيَّ إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنَ الزَّرْقِ حَجَرِيَّةٌ كَالْجَمْرِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقِ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسمى بجاهدٍ ليحصل على ما يفتونهم به من صيد . والقوح =

- ١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شُمْطَاءٌ يَذْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيبٌ تَنْجِيهِ ، وَآخَرُ فِي الْحِجْرِ (١)
 مُشَوَّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيْباً وَلَمْ تَنْبِتْ تَقَرَّ هَنْدِيًّا بِلَيْلٍ عَلَى بَحْرِ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعُرْقُوبِ نَسِمَ نَابَهَا تَعْرِفُهَا الْأَوْدَارُ مِنْ فِقْرِ الْحَمْرِ (٣)
 مَسْفَعَةُ الْخَلْدَيْنِ ، سَوْدَ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخْذُ بِالْقَدْرِ (٤)
 كَقَوْلِ الْفَلَاحِ لَمْ تَخْضَبْ بَنَابَهَا وَلَمْ تَدْرِ مَا زِيَّ الْخِرَائِدِ بِالْمَصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمَ أَرْهَفَ الْقَيْنِ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِصْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّخْرِ (٦)

- = بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء لما أنه وقت المبهدة والصبر عندكم . وإنما يخصبون في الربيع . ط : « يستدروا » صوابه في س ، هـ ، الوفر ، بالفتح : النخى .
 (١) أي في حجرها . والشمطاء : التي يتخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .
 (٢) لم تعب طيباً : لم تهيه ولم تخلطه . يقال عاب الطيب يعبؤه ، من باب منع : صمنه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سبها بالألف ، مالمه كالعتل . والهندي : أراد به العمود الهندي الذي يتبخر به . والتفتير : تهيج القطار ، وهو بالضم : ريح البخور .
 (٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ما حل المظلم من اللحم . والأودار : القطع الصغيرة من اللحم . وفي الأصل : « الأوزار » صوابه بالدال كما أثبت . والفقر ، كمنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهي الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نقر » محرفة . والحمر : أصله الحمر بضمين : جمع حمار . حتى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .
 (٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفعة » محرفة . والدروع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ في القدر ، ولم يذكره صاحبنا اللسان والقاموس . وفي اللسان : « قدر التقدر يقدرها ويقدرها قدراً . راقدر أيضاً بمعنى قدر » . ط ، س : « تقدرها » ، وأثبت ما في هـ .
 (٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرايد : جمع خريفة ، وهي البكر لم تحمس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المستترة .
 (٦) القَيْن ، بالفتح : الحداد . أنفذ حصنيه : غرق جنبيه . والحصن ، بالكسر : الحنب . النحر ، بالفتح : أهل الصدر .

(مسألة المناجاة)

كان أبو إسحاق يسأل المناجاة^(١) ، عن مسألة قرية المأخوذ قاطعة ، وكان يزعم أنها ليست له .

وذلك أن المناجاة تزعم أن العالم بما فيه ، من عشرة أجناس : خمسة منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌ وظلمة . وكلها حاسةٌ وحارة .

وأن الإنسان مركَّبٌ من جميعها على قدر ما يكون في كلِّ إنسان من رُجحانٍ أجناس الخيرِ على أجناس الشرِّ ، [ورُجحانٍ^(٢)] أجناس^(٣) الشرِّ على أجناس الخير .

وأن الإنسان وإن كان ذا حواسٍ خمسة^(٤) ، فإن في كلِّ حاسةٍ متوناً^(٥) من ضده من الأجناس الخمسة . ففني نظراً الإنسان نظراً رحمة فتلك النظرة من النور ، ومن الخير . ومفني نظراً نظراً وعيد ، فتلك النظرة من الظلمة . وكذلك جميع الحواس .

وأن حاسة السمعِ جنسٌ على حدةٍ ، وأن الذي في حاسة البصر من الخير والنور ، لا يعين الذي في حاسة السمع من الخير ولكنه لا يضاده^(٦) ،

(١) المناجاة : أتباع ماف . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن التيم في تفصيل مذهبهِ . الفهرست ٣٢٧ — ٣٣٧ ليملك ٤٥٦ — ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) في الأصل : « فاحتاج » . ووجه ما أثبت .

(٤) كلا . وهي صحيحة ؛ فإن الملود إذا وصف بالعدد جاز في العدد المطابقة ومنها .

الصبيان ٤ : ٦١ .

(٥) كلا في الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاده » بالراء . وأثبت ما في س .

ولا يُفاسدُهُ ، ولا يعممه . فهو لا يعينه ^(١) لكان الخِلاف والجِنس ، ولا يعين عليه ، لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وَأَنَّ أَجْنَاسَ الشَّرِّ خِلَافٌ لِأَجْنَاسِ الشَّرِّ ، ضِدٌّ لِأَجْنَاسِ الْخَيْرِ . وَأَجْنَاسُ الْخَيْرِ يَخَالَفُ بَعْضُهُا بَعْضًا وَلَا يَضَادُّ . وَأَنَّ التَّعَاوُنَ وَالتَّادِي ^(٢) لَا يَقَعُ بَيْنَ مُخْتَلِفِيهَا ، وَلَا بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ^(٣) ، وَإِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مُتَقَرِّبِيهَا .

قال : فيقال للمنانى : ما تقول في رَجُلٍ قال لِرَجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المستول : نعم قد رأيته . أليس السامعُ قد أدَّى إلى التناظرِ ، وَالتناظرُ قد أدَّى إلى الدَّائِقِ ؟ ! وَإِلَّا فَلِمَ قال اللسانُ نَعَمْ ! إِلَّا وَقَدْ سَمِعَ الصَّوْتُ صَاحِبُ اللِّسَانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرة كما ترى ، ولا حيلةَ له بأنْ يذفعَ قَوْلَهُ .

(مُسْأَلَةٌ زَنْدِيقِ)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنين ^(٤) الزُّنْدِيقَ الذي كان يكنى بأبي عليٍّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ ^(٥) وعجزِ العُشْبِيِّ ^(٦) . وسوءِ فهمِ ^(٧) القاسمِ بْنِ سَيَّارٍ ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألكَ عن حَرْفَيْنِ

(١) س : « يمينه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يمينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التَّادِي : التعاون . وفي الأصل : « التناذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « متضادها » .

(٤) يعني الخليفة « المأمون » كما سيأتي في الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكي ، الذي أسلفت ترجمته في (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العُشْبِيُّ . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٥٤) .

(٧) في الأصل : « وسوءهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ في الرسائل ٢٤ ساسي ، فيمن كانوا يفتشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً في ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبرني : هل ندم مُسيءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندم على شيءٍ كان منّا قَطُّ ؟ ! قال : بل ندم كثيرٌ من المسيئين على إساءتهم . ١٤٢
قال : فخبّرني عن الندم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيرُهُ ؟ قال : الذي ندم هو الذي أساء .
قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشرِّ ، وقد بطل قولكم : إن الذي ينظر نظراً الوعيد غيرُ الذي ينظر نظراً الرحمة . قال : فإني أزعمُ أنَّ الذي أساء غيرُ الذي ندم . قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من غيره ؟ فقطعه (١) بمألفته ، ولم ينبُ ولم يرجع ، حتى مات ، وأصله الله نارَ جهنم .

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادُ عمردٍ ناساً في هجائه لعمارة (٢) ، فقال :

لو كنتُ زنديقاً ، عمارُ ، حبوتني أو كنتُ أعبدُ غيرَ ربِّ محمدٍ (٣)
أو كنتُ عندك أو تراك عرفتني كالنصر أو ألفتُ كابن المقعد (٤)
أو كابن حمادٍ ربيثة دينكم جبل وما جبل القوي بمروشد (٥)
لكنتني وحدث ربِّي مخلصاً فجعوتني بغضاً لكلِّ موحد

(١) قطعه : أي غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) في الأصل : « لشار » ، ونص الشعر والتصويب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أي ياعمار . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأول .

(٤) هـ : هـ أو تراك عرفتني .

(٥) الربيثة : الطينة ، وعين القوم . والقوي : الضال . ط ، هـ : « القوي »

ووجه ما أثبت من س .

وَحَيَوْتُ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكُونْتُ

والأرضَ خالقها لها لم يَمَهْدُ^(١)
والتَّسْمَ مثلَ الزَّرْعِ أَنْ حَصَادُهُ مِنْه الحَصِيدُ ومنه مَالَمُ يُحْصَدُ^(٢)
وحَادٌ هذا أشهرُ بِالزَّنْدَقَةِ مِنْ عُمَارَةَ بْنِ حَرِيبةَ^(٣) ، الذي هجَاهُ
بهذه الأبيات .

وأما قوله :

وحَيَوْتُ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكُونْتُ (الييت)

فليس يقول أحد : إِنَّ الفَلَكَ بما فيه من التَّدْبِيرِ . تَكُونُ بنفسه
وَمِنْ نفسه ! فَجَبَلُ^(٤) حَادٍ بهذا المقدارِ مِنْ مَقَالَةِ القَوْمِ^(٥) . كَأَنَّهُ عِنْدِي
تَمَّا يَعْرِفُهُ مِنْ بَرَاةِ السَّاحَةِ^(٦) . فَإِنْ كَانَ قَدْ أَجَابَهُمْ فَأَمَّا هُوَ مِنْ
مَقْلَدِهِمْ .

(١) الأرض صُفِّ على السماء .

(٢) أي : وحَيَوْتُ مَنْ زَعَمَ التَّسْمَ . . . الخ . والتَّسْمَ ، بالتحريك : جمع نَسْمَةٍ ،
بالتحريك . والنَسْمَةُ : الإنسان . وقد أَسْكَنَ السَّيْنَ لِمُضَرَّةِ اشعر . وفي الأصل :
« التَّسْمَ » تحريف ما أثبت . وجاء في الأغاني (١١ : ٧١) في أثناء الحديث عن
عمارة بن حَزْزَةَ ، التي هو حَتَا : عمارة بن حَرِيبة : « وكان له نديم يعرف بمطبع
ابن لِيَّاس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف باليقل . ولأما سمى
بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص
يفسر ما جاء في الييت ، ويدل على التصحيح الذي أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ، بجاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تطلوها
ياء مشناة تحتية . وفي الأغاني (١١ : ٧١) : « عمارة بن حَزْزَةَ » . وآمال المرتضى
(٩٠ : ١) نقلاً عن الجاحظ « عمارة بن حَزْزَةَ » .

(٤) في الأصل : « فجبل » .

(٥) يعني بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا في ط . وفي س : « من براءة الساحة » ، وفي هـ : « ما نعرفه من برأته
الساحة » وكل محرف .

وهجاحماد بن الزبير^(١) ، حماد^(٢) الراوية فقال :
نعمَ الفتى لو كانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقْسِمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَادُ
هَدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْتَهَا الْحَدَادُ^(٣)
وَابْيَضَ مِنْ شَرْبِ الْمَدَامَةِ وَجْهَهُ فَبَيَّاضَهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ
فقد كان^(٤) كما ترى :

هَدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فقد رأيتُ جماعةً مَن يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قد عظمت آنفُهُم^(٥)
وصارت لهم خراطيمٌ ، منهم رُوح الصَّائِغِ^(٦) ، وعبد الواحد صاحب اللؤلؤ^(٧)

(١) : نسبة صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إل أبي الفول ، وكان حماد قد عاب شراً له .
وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢) بولاق) والخصم (١٧ : ٦) والمقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان نلماني (١ : ٣١٤) والشراء ٧٥٤ .
(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأروية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خنزق مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قديم النجار ، مؤنثة . في الخصم :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والمسكرى :
« هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « آنفهم » بالإنفراد . وهو جائر . والمرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أي أطفالا .
و : « لا نفرق بين أحد ، منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالملئى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر المريية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) : كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . والقوازي ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٢٠١) .

وجماعة من نذمان^(١) حماد بن الصباح ، وعبد الله أخو نهر^(٢) ابن عسكر وناس كثير^(٣) .

ويدلُّ على ذلك من المناقرة قول جبرير للأخطل :

١٤٣ وشربتَ بعد أبي ظهير وابنه سكرَ الدنانِ كأنَّ أنفك دُمْلُ^(٤)
وكان منهم يونس بن فروة^(٥) . وفي يونس يقول حماد عجرد :

أما ابنُ فروةَ يونسُ فكأنَّه مِنْ كِبَرِهِ أيرُ الحمارِ القائمِ^(٦)
ما النَّاسُ عِنْدَكَ غيرَ نفسِكَ وحَدها والخلقُ عِنْدَكَ ما خَلَكَ بِهِمُ^(٧)
إنَّ الذي أَصْبَحْتَ مَفْتُوناً به سِرُّولُ عَنكَ وَأَنْفُ جَارِكَ رَاغِمُ
فَتَمُضُّ مِنْ نَدَمٍ يَدَبُكَ عَلَى الذي فَرَطْتُ فِيهِ ، كَمَا يَعِضُّ النَّادِمُ

(١) النذمان ، بالفتح : التذم على الشراب . والمراد هنا جماعة النذام . وفي اللسان : « وقد يكون النذمان واحداً وجمعاً » . ومثله في القاموس .

(٢) هو فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هي في الأصل : « أخوا » .

(٣) في الأصل : « وناساً كثيراً » ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : التسكر ، أو نية يتخذ من الخمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ، ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ،

٦ : ٢٣٤ ، ٢٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ . وما في الشعر

يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة

لخوارزمي ، والمعلقة (٢ : ١٨٥) والطبري (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢)

والمعلقة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) في صهرن الأخبار والمعلقة : « والناس » موضع « والخلق » . والبيت

ساقط من س .

فَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُصْبَةٍ أَخِيهِمْ وَإِعْلَمُ لَكَ بِالْمَعْرِفَةِ لَازِمٌ^(١)
فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أَنِّي لِعَرَضِكَ فِي إِخْلَاكَ ظَالِمٌ
(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحمادُ الرَّأوية^(٤) ، وحمادُ بنُ الزُّبرقان^(٥) ،
ويونسُ بنُ هارون^(٦) ، وعلى بنُ الحُليل^(٧) ، وزيد بنُ الفيض^(٨) ، وهُبادة
وجميل بنُ محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بنُ الحباب ، وأبانُ .

(١) وإعْلَم ، أراد : وإعْلَمُهُمْ ، أى صَحَّبَهُمْ . قصر الكلمة لشمس . ط : « أوْعَلَم »
تصحيحه من س ، هـ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثنية الدال : بطنائه .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من عُضَرَى
الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية . وكان يهتبه وبين يشار أمّاج
فاشحة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبي ليل ، عرف بكثرة روايته لشمس والغلب ، وكان يصنع
فيها . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) « وهو من
أهم بالزندقة » .

(٦) كذا في الأصل ، وهو كذلك في الأوراق المصولة ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل من
الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت
ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولد لمن بن زائدة ، وكان يماشر صالح بن عبد القدوس ،
لا يكاد يفارقه ، فأنهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشيدي . انظر الأغاني (١٣ :
١٣ - ١٨) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا في الأصل وأما المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ .
والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر في لسان الميزان : « حميد بن
محفوظ » . في رسم خاص . ولعله تصحيف عليه .

(١٠) في أمالي المرتضى : « قاسم بن زنفلة » .

(١١) هو مطيع بن ليث السكتاني ، من عُضَرَى الدولتين ، كان ظريفاً خليفاً . وله -

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمارة بن حريية^(٢) ، يتواصلون ، وكانهم نفس واحدة وكان بشراً ينكر عليهم .

ويونس^(٣) الذي زعم حمادُ عَجْرِدَ أَنَّهُ قد غرَّ نفسه بهؤلاء ، كان أشهرَ بهذا الرأي منهم ، وقد كان كتب كتاباً للملك الروم في مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه^(٤) .

(هجائية في أبان والزانادقة)

وذكر أبو نواس أبانَ بْنَ عبد الحميد اللّاحق ، وبعض هؤلاء ، ذَكَرَ
إِنْسَانٍ يَرَى لَمْ قَدَرًا وَخَطَرًا ، فِي هَجَائِيَّةٍ لِأَبَانَ^(٥) ، وهو قوله :
جَالَسْتُ يَوْمًا أَبَانًا لَا ذَرَّ ذَرًّا أَبَانَ
وَنَحْنُ حَضَرُ رَوَاقِ^(٦) أَمِيرِ النَّهْرَوَانِ^(٧)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره منسوبة في الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللّاحق ، شاعر من طراف الشعراء . نقل لبرامكة كتاب كلية وخدمة فجملة شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفصل خمسة آلاف دينار ، ولم يسله جعفر وقال : ألا يكفيك أن أسلفه فأكون راييتك ؟ !

(٢) في الأغاني ولسان الميزان : « عمارة بن حريية » ، وما في أوراق الصول يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد في أمال المرتضى : « فأثبتته مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الجلاء ، أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد الليرمي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرش أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان ، فقال يحبره بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قرىه ومحضرته . وانتصب على الظرفية . وأصله يتحريك المخاء الفساد . وسكن الفساد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فعلت يله يوم يحبل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

- حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةٌ أَلَّ أَوَّلَى أَتَتْ لِأَوَّانٍ^(١)
 فِقَامٌ ثُمَّ بِهَا دَوَّ فَصَاحَةٌ وَيَسْلَنُ^(٢)
 فَكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَذَانِ^(٣)
 فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ يَذَا ، بِغَيْرِ عِيَانٍ^(٤) !
 لَا أَشْهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى تُعْصَيْنَ الْعَيْنَانِ !
 فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فَقَالَ : سُبْحَانَ مَالِي !^(٥)
 فَقُلْتُ : عَيْسَى رَسُولٌ فَقَالَ : مِنْ شَيْطَانٍ !^(٦)
 فَقُلْتُ : مُوسَى كَلِمٌ أَلَّ مَهْمِينَ الْمُنَانِ^(٧)

١٤٤

= والأوراق ، بالكسر : مقم البيت ، أو سقف في مقامه . ط ، س :
 ونحن وحضروا ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصول (قسم أخبار
 الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، حتى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها وقتها . س ، ط : « الأذان » ،
 وأثبت ما في الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفي هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ : بولاق)
 نقلا عن الأغاني : « لأذان » ، وإعلما تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رَجَلُ ذُو فَصَاحَةٍ وَيَسْلَنُ . فللراد الأذان ،
 لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

(٤) يذَا : أى يقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير
 عِيَان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) مَالِي : صاحب دين الماتورية للزنادقة . انظر ما كتبت عنهم في ص ٨١ .

(٦) في الأصل : « من شيطاني » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال :
 رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المطلق ابتداء . وفي الأصل : « المناني » ، تصحيحه
 من الديوان والأوراق .

قَالَ : رَبُّكَ ذُو مُقَّةٍ لَمَّا إِذَا وَلِسَانٍ !
 فَتَنَّهُ خَلَقْتَهُ أَمْ مَنْ ؟ ! فَكُنْتُ مَكَانِي
 عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
 يَرِيدُ أَنْ يَنْسَوِيَ بِالْعَصْبَةِ الْمَجَانِ
 بِعَجْرَدٍ وَعُجَادٍ وَالْوَالِيَّ الْمَجَانِ (٢)
 وَقَاسِمٍ وَمُطِيعٍ رَيْحَانَةَ النَّدْمَانِ (٣)

وَتَعَجَّبِي مِنْ أَبِي نَوَاسٍ ، وَقَدْ كَانَ (١) جَالِسَ الْمُسْكِلِينَ أَشَدَّ مِنْ تَعَجَّبِي
 مِنْ حَمَّادٍ ، حِينَ يَحْكِي عَنْ قَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ قَوْلًا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ (٢) . وَهَذِهِ قُرَّةُ (٣)
 عَيْنِ الْمُهَجَّرِ . وَالَّذِي يَقُولُ : سَبْحَانَ مَا نِي ، يَعْظُمُ أَمْرَ عَيْسَى تَعْظِيمًا شَدِيدًا (٤)

(١) يَتَمَرَّى : يَتَزَيَّن . يَقُولُ : هُوَ يَتَخَذُ الْكَفْرَ زِينَةً لَهُ . وَهِيَ الزَّيْنَةُ ! . ط
 وَالْأَوَّلُ : « يَهَارِي » بِمَعْنَى يَشْكُ ، وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ صَالِحٌ . وَأَثْبَتَ مَا نِي مِنْ
 وَالْهَيَوَانِ . وَفِي هُوَ : « مَعْتَرِي » تَحْرِيفٌ مَا نِي . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَسَابِقِهِ
 بَيَانٌ فِي الدِّهَوَانِ ، هَا :

وَقُلْتُ رَبِّي ذُو رَحَةٍ حَمِيٍّ وَذُو غُفْرَانٍ
 وَقُمْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِي عَنْ هَازِيٍّ بِالْقُرْآنِ

(٢) فِي الصَّفْحَةِ ٤٤٧ ، مِنْ اسْمِهِ : « عِبَادَةٌ » ، فَطْلَعُ هُوَ بِهَذَا تَقْيِيرٍ يَحْسُرُ ، لَمَّا يَقْتَضِي
 الشَّمْرُ . أَمَّا الرَّأْيُ فَهُوَ وَاقِعٌ بَيْنَ الْخِيَابِ . شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
 هَاجِيَ بِإِشَارَةِ وَأَبَا السَّيَّاحِ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَفَضَحَاهُ . وَهُوَ أَسَازُ أَبِي نَوَاسٍ .
 الْأَخَانِي (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سَبَقَ تَقْسِيرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وَهُوَ كَانَ » .

(٥) إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ فِي ص ٤٤٣ .

(٦) هُوَ : « قُوَّةٌ » تَحْرِيفٌ .

(٧) هَذَا مَا فَهَمَهُ الْمُبَاحِظُ . وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ فِي فَهْرَسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ ٣٢٨ لَيْسَ ٤٥٨
 حَصْرٌ : « زَعَمَ مَا نِي أَنَّهُ الْفَارَقْلِيطُ الْمُبَشِّرُ بِهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ » . وَاسْتَخْرَجَ مَا نِي -

فكيف يقول : إنه من قِبَلِ شيطان ! ؟

وأما قوله : « نفسه خلقته أم من » فإن هذه مسألة نجدها ظاهرة على
السُّنَنِ العَوَامِّ . والمتكلمون لا يحْكُون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالدُ الهِجَانُ » دليلٌ على أنه من شكلهم .

والعجب أنه يقول في أبان : إنه مُنْ ينشبه بعُجْرَد ومُطِيع . واللبّة

ابن الحباب ، وعلى بن الخليل . وأصبغ ^(١) - وأبانُ فوقَ ملء الأرض

من هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم

حصاة ^(٢) . فأما اعتقاده فلا أدنى ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاسَ لم يُوْتُوا

في اعتقادهم الخطأ المكشوفَ ، من جهة النظر ^(٣) . ولكنَّ للنَّاسَ تَأْسَنُ

وعاداتُ ، وتقليدُ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق

إلى القلوب ، ويستقلّون التَّحْصِيلَ ، ويَهْمِلُونَ النَّظَرَ ، حتى يصيروا

في حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار كليلية ^(٤) ، وأذهان مدخولة ،

[و] مع سوء عادة . والنَّفْسُ لا ^(٥) تجيبُ وهي مُسْتَكْرَهَةٌ . وكان

= مذنبه من الهوسية والنصرانية . لكن جاء في الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فهمه
أبو نواس . ففيه : « وما نى ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ، ويرى عليهم ،
وربهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم
بل يقول في مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا ومنه
النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك
الخلاف إلى ما في أقوال ما من التناقض والتناقض .

(١) لم يذكر هؤلاء جيماً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلعله سقط منها شيء .
وأنظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة في الشعر .

(٢) الصحابة : جمع صالح ، من صحا يصحوا . س : « أحماء » ، صوابه في ط ، هـ ،
والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « التنظير » ، صوابه في س .

(٤) كليلية : ضيقة . س : « قليلة » تحريف . وفي الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لا » .

يقال : « العقل »^(١) إذا أكره^(٢) عَمِي . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ^(٣) [و] جَسَأَ وغلظ وأهمل ، حتى يألف الجهل ، لم يكد^(٤) يفهم ما عليه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسابق إلى القلب .

(شعر لحاد عجرد)

وقال حمادُ عَجْرَدُ :

اعْلَمُوا أَنَّ لُودَى ثَمْنَا عِنْدِي ثَمِينًا
لَبِثْتُ شِعْرِي أَيْ حَكْمِي قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِي نَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا^(٥)
ابْنُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فِي أَسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَا^(٦)

١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عادٍ في هذا الموضع . غيره ! وقال
حمادُ عَجْرَدُ في بشار :

يَا ابْنَ الْحَيَّةِ إِنَّ أُمَّ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ اكْتَامٍ^(٧)
وَتَبَدَّلَتْ ثَوْبَانِ ذَا الْأَيْمِرِ الْمُضْبَرِّ وَالْعَرَامِ^(٨)

(١) ط ، هـ : « العقل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : ولم يكد » بإثبات الواو قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من يهين . ط ، س : « أين » وصوابه في هـ . ولقمان :

أى يالْقَمَانَ ، حذف حرف التثنية .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان

ثَوْبَانَ دَقَاقَ الْأَرْزِ بِأَرْوَاثِ حَامٍ^(١)
عَرَدَ كَهَاقَةَ السَّرِّ بِرِيبِيلِهَا عِنْدَ الرُّطَامِ^(٢)
وَأَتَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْمَلَاتِ الْوِظَامِ^(٣)
أَخْتُ لَهْمٍ كَانَتْ تَكَا بِرُ أَنْ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ^(٤)
وَقَالَ حَمَادٌ يَذْكُرُ بَشَارًا .

غَزَالَةٌ لِلرَّجْسَةِ أَوْ بَنَتِهَا سُمَيْعَةُ النَّاعِيَةِ الْفَهْرَا^(٥)
وَقَالَ وَذَكَرَ أُمَّهُ^(٦)

أَبَى غَزَالَةً يَا بَنِي جُثَمِ اسْتَهَا لِيَحْكُمَكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَنْجِرْعُوا^(٧)

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] يَبْنِي لبشارٍ أَنْ يَنَاطِرَ حَمَادًا مِنْ جِهَةِ الشَّعْرِ وَمَا يَتَعَلَّقُ

= يابن لقي فشرت من شيخ صبيها لأير ثوبان ذي الهامات والمجر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
في س ، هـ .

(١) ط : « دَقَاقًا » صوابه في س ، هـ . ط : « الْأَرْزِ » وأثبت ما في س ،
هـ ، وعما حرقان . س : « يَلْقَاهَا أَرْزَبُ غَامٍ » وأثبت ما في ط ، هـ .
عل تحريفهما .

(٢) للرَد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كَهَاقَةَ السَّرِّ » صوابه في س ، هـ .
يبيلها : يميلها ببول . ط ، س : « يِيلُهَا » ووجه ما أثبت من س .
والرُّطَام : أَنْ يَخَالِطَهَا مَسْرُوحًا . هـ : « الرُّكَام » صوابه في ط ، س .

(٣) ضبطت « سُمَيْعَةَ » هيئة الصنير في س . والمصملات : الدوامي .

(٤) تكابر ، هي في ط : « لِكَابِر » بحرقه .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أي أم بشار . ط ، س : « وَقَالَ ذُو الرِّمَةِ » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبى ، أي يابن . والجثم ، كعرد : الجوف : ط ، هـ : « يَا جُثَمِ »
وإكالة من س .

بالشعر ، لأن حماداً في الحفيظ ، وبشاراً مع العيوق^(١) . وليس في الأرض مولدٌ قروري يُعدُّ شعره في المحدث إلا وبشارٌ أشعر منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمحق في جميل بن مفضول^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وقد كان يعدو على رجليه
بروحٍ وبغلو كأيبر الحمار ويرجع صفرألى أهله^(٣)
وقد زعوا أنه كافرٌ وأن التزندق من شكله
كأن به قد دعاه الإمام وأذن ربك في قتله

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرض للقتل بمجده . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كيف لا يذنيك من أمل من رسول الله من نفره^(٤)

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحر مضى في طرف الهجرة

الأيمن ، يطرأ ثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « روح وبغله » صوابه في س ، هـ . صفرأ : خال اليمين .

(٤) من نفره : من قومه وأتباعه : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة

رائية مشهورة مطلعها :

أما الكتاب من نفره لست من ليل ولا سحره

يلج بها النباس بن هيب الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار

هذا البيت عجة كبيرة بين الأدباء ، فأعفوا عليه قوله : « من رسول الله من

نفره » . انظر السكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ ليسك والنفد (٣) ٤٣٦ - ٤٣٧ =

فلما قال :

فأخِيبْ قُرَيْشًا حُبَّ أَحَدِهَا واشكُرْ لها الجَزَلَ مِنْ مواهبها^(١)
جاء بشيء غطى على الأول .
وأنكروا عليه قوله :

• لو أكثر التَّنْسِيحَ ما نَجَّاه •

== حيث تجد التثنية والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أباً على الضرب ، أحد رواة أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبد الله ؛ مدحبه الذي يقول فيه :
كيف لا يدينك من أمل من رسول الله من نفره
فعلت أنه كلام رديء مستهجن ، وضوح في غير موضعه ، وأنه مما يعطى به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لي : ويحك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دسائم عز لا ترام ومغفر
جباليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحد المختير
فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أي من النفر الذين العباس منهم ، فأتعيب
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية اللطويان ١٥٧ : « أحب » بقطع المعزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يحب . ورواية الجاسط هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن القراء ، أن
حييته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حييته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لفصح » . وفيه : « وحكى سيويي : حييته وأحييته بمعنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« وأحب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفخر فيها بقسطان وججو
مدنان ، وقد أبدع في صنعتها إبداعاً ، وأتى بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شؤماً بما حبه الرشيد وأطال من حبه . ومطلعها :

ليست يدان صفت وضيها ضريان من قطرها وحاصبا

وفيها يقول :

خلع نزاراً وافر جللتها وامتك السر من مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أَحَدَ الْمُتَرَجِّى فِي كُلِّ نَائِيَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعَصِرْ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ (١)
غَطَّى هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ (٢) . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ كَفَرِهِ مَقْبُوتٌ جَدًّا . وَكَانَ
يُكْتَبَرُ فِي هَذَا الْبَابِ (٣) .

(خَطَا أُمِّي نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ)

وَأَمَّا سَوَى هَذَا الْفَنِّ فَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ مِنَ الْخَطَا إِلَّا قَوْلَهُ :

أَمَسْتَجْبِرَ الدَّارِ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ (١)
كَأَنَّهُ إِذْ خَرَسَتْ جَارِمُ بَيْنَ ذَوَى تَفْنِينِيهِ مُطَرِّقُ (٢)
فَعَابَهُ بِذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا يَقُولُ أَحَدٌ : لَقَدْ سَكَتَ هَذَا الْحَجَرُ ، كَأَنَّهُ

(١) أَحَدُ هَذَا ، هُوَ أَحَدُ بَنِي أَبِي صَالِحٍ ، كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَعْشَقُهُ . أَخْبَارُ أَبِي نَوَاسٍ ١٤٥ .
وَأَيَّاتُ الْقَصِيدَةِ فِيهَا ، رَفِي دِيْوَانُهُ ٢٤٩ - ٢٥٠ . وَقَبْلَهُ :

فَقُلْتُ وَاللَّيْلِ يَجْلُوهِ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو السَّجَمُ عَنْ شَرِّ التَّنَائِيَاتِ

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَوَّلُ » . وَانْظُرْ مِثْلَ هَذَا التَّعْقِيبِ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .
و « غَطَّى » رَسَمَتْ بِالْأَلْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَسَابِقُهُ فِي كُلِّ مَنْ ط ، هُوَ وَهُوَ
رِسْمٌ قَدِيمٌ . وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٣) أَيْ كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَكْثُرُ مِنَ الْقَوْلِ فِي مِثْلِ الْمَعْنَى السَّابِقِ . وَمَا قَالَ فِي ذَلِكَ
(الصَّنَاعَتَيْنِ ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّهَا فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَّاءُ كَانَ

قَالَ الْعُسْكُرِيُّ : « قَرَعَمَ أَنَّ ابْنَ زُبَيْدَةَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي خُلُقِهِ وَخُلُقِهِ » .

(٤) ط : « أَغْبَرَ الدِّيَارِ » س : « أَمَسْتَجْبِرَ الدِّيَارِ » ه : « يَامَسْتَجْبِرُ الدِّيَارِ » ،
وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتَ . وَحِجْرُ الْبَيْتِ هَكَذَا وَرَدَ بِالْأَصْلِ .

(٥) الْجَارِمُ : الْجَانِي . وَالتَّفْنِيدُ : الْمَرَادُ بِهِ : الْقَوْمُ وَالْبَدَلُ . وَالتَّقْنِيدُ : التَّكْلِيدُ وَالتَّصْمِيمُ
وَتَغْطِيهِ الرَّأْيُ وَتَضْمِينُهُ . وَالْبَيْتُ عِنْدَ الْعُسْكُرِيِّ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإعاً يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ ، وَشِبْهُ صَمَمِهِ بِصَمَمِ الصَّخَرِ .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسدِ بالـمَحْظُورِ ، فقال :
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا تَهَيَّتْ بَارِزَةٌ الْبُغْيِ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْمَحْظُورِ . قال الرَّاجِزُ :
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ^(٢) .

وقال أبو زَيْدٍ^(٣) :
كَأَنَّ عَيْنِيهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قَيْضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمُنَاقِيرِ^(٤)
ومع هذا فإننا لا نعرف بَعْدَ بَشَائِرِ أَشْعَرَ مِنْهُ^(٥) .
وقال أبو زَيْدٍ :

وَعَيْنَانِ كَالْوَقَبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعُرُ^(٦)

(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدثنى أبو شُعَيْبٍ الْقَلَالُ ، وَهُوَ صُفْرِيُّ^(٧) ، قال : رهبان الزنادقة

(١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما في ط ، س والصناعتين ١١٥ .

(٢) في الصناعتين : « من عرق حجر » .

(٣) هو أبو زيد الطائي ، الذي نقلت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .

(٤) الوقب ، بالنصب : النقرة في الصخر . قَيْضًا : شقا وحفرا . اقْتِيَاضًا : استحصالا .

في الأصل : « قَيْضًا اقْتِيَاضًا » محرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناقير :

جمع منقار ، وهو حفيدة كالفأس ينقر بها .

(٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التصويب أن يكون بعد البيت الآتي .

(٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة » يرى فيها « .

(٧) الصفري ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفريه . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى

زيد بن الأسفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لغللوهم من -

سَيَّاحُونَ^(١) ؛ كَانَهُمْ^(٢) جَعَلُوا السَّيَّاحَةَ بَدَلًا تَعْلَقِ السُّسْطُورَى^(٣) فِي الْمَطَامِيرِ .
و [مَقَامٌ^(٤)] الْمَلِكَانِي^(٥) فِي الصَّوَامِعِ . وَمَقَامُ السُّسْطُورِيِّ

= الذين . انظر القاموس . وتفصيل ملهجم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبهم إلى زياد بن الأصغر ، كما في الفرق

والمثل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

(١) السباحة : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسيقي من قول الجاحظ .

(٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبتت ماني س .

(٣) في القاموس : « السطورية ، بالفهم وتفتح : أمة من النصارى تحالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرّف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو ألقاب ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أعطى صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودي في الغنية والإشراف ١٢٧ أن السبوس الثالث بمدينة أفسس قور لمن نسطورس والتبرؤ منه وتغيبه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخيم والبليتا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السبوس في سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطه هذا ، ما ذكره الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « السطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في الكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلثم الكلام .

(٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكانيّة ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣ وملكي وملكية كما في التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أنفسهم » . يعني أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

في المطامير^(١) .

قال : ولا يسيحون إلا أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالضئ^٢ .
رأيت صاحبه^(٣) » والسباحة عندهم ألا يبيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال :
ويسيحون على أربع خصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة .
فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة^(٤) ، ومما طابت به أنفُسُ الناس له .
حتى يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأما الطهر
فترك الجِماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتم
ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال : فندخل الأهواز منهم رجلاً ، ففسي أحدهما نحو المقابر للغائط
وجلس الآخرُ بقرب حانوتٍ صائغٍ ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصُور
ومعها حق^(٥) فيه أحجارٌ نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان
الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم ليعرض أهل تلك الدور يتردّد^٦
فلما سقط الحق وبأينه الطبق^(٧) ، تبدّد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

« ومعناه » الملك بالريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى
أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع المقدس في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ
الامة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تبياً تحت الأرض . وهي في أصلها الغوري : حفر أو أماكن
تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أي يخبئ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت
الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : ترى صاحبه .

(٣) أي سؤال الناس الطعام . س : فأنه مكان : فأن .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحققة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً
لحققة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجاب النور » ، لو كشف
طبقة لأشرفت سموات وجهه كل شيء أدركه . سمي طبقاً لأنه يطابق ويسوي
ما هو غطاء له .

ذلك الظلم أعظم حَجَرٍ فيه وأنفسه ، وذلك يَعتَرِ السَّائِحَ ^(١) ؛ ووثب الصَّائِغُ وعلمانه فجمَعُوا تلك الأحجارَ ، ونَحَوُا النَّاسَ ^(٢) وصاحُوا بهم فلم يَذْنُ منهم أحدٌ ، وقعدوا ذلك الحجرَ ، فصرخت المرأةُ ، فكشف القَوْمُ وتناحَوْا ^(٣) ، فلم يصيبوا الحجرَ ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الرَّاهِبُ الجالسُ ، وما ينبغي أن يكون إلا معه ! فسألوه عن الحجر فكَرِهَ أن يخبرهم أنه في جوف الظلم فيَذْبَحُ الظلمُ ، فيكون قد شارك في ذم بعض الحيوان ، فقال : ما أخذتُ شيئاً ! وبحشه وفَقَشُوا كلَّ شيء معه والْحَوْا عليه بالضرب ، وأقبل صاحِبُهُ وقال اتَّقُوا اللَّهَ ! فَأَخَذُوهُ وقالوا ^(٤) دفعته إلى هذا حَتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبُوهُما ليقْرَأَ ^(٥) فيينا هما كذلك إذ مرَّ رَجُلٌ يَعْزِلُ ، ففهم عنهُم القِصَّةَ ، وراى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم أكان هذا الظلمُ يتردَّدُ في الطريق حينَ سَقَطَ الحجرُ ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوضوا أصحاب الظلم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجرَ وقد نَقَصَ في ذلك المقدارِ من الزَّمانِ شبيهاً بِشَطْرِهِ ^(٦) ، إلا أنها أعطته لَوْناً صارَ الذي استفادوه من جهة اللون أربَعَ لهم من وزنِ ذلك الشطرِ أن لو كان لم يَذْهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرِ ^(٧) .

(١) العين ، بالفتح : المايمة . ومث قولم في المثل : « تطلب أماً بعد عين » . انظر أمثال الميداني في هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدها . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، هـ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالميم ، صوابها في س ، هـ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من هـ .

(٥) في الأصل : « يموتاً » . وفي الجواهر البيروني ٤١ : « فضرَبوا ضرب التقرير » .

(٦) أي قريبا من نصفه .

(٧) أي النار التي تنقدح من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُونَ جُلًّا في القولِ في النيرانِ وأقسامها ، ومَواضعِها ، وأَيُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العِجَمِ ، وأَيُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَرَبِ . ونُخَبِّرُ عن نيرانِ الدُّباناتِ وغيرِ الدُّباناتِ . وعن عِظَمِها وعن استِهانِ بها . وعن أَفْراطِ في تعظيمِها حتَّى عَبَدَها . ونُخَبِّرُ عن المَواضعِ التي عُظِّمَ فيها مِنْ شَأْنِ النَّارِ .

(نارِ القربانِ)

فمن مَواضعِها التي عُظِّمَتْ بها أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جعلها لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ في مَوضعِ امتِحانِ إِخْلاصِهِمْ ، وَتَعَرُّفِ صِدْقِ نَبِيِّائِهِمْ ، فَكَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِالْقُرْبَانِ . فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ^(١) مُخْلِصًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ حَتَّى تُحِيطَ بِهِ ^(٢) فَتَأْكُلُهُ ، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الْقُرْبَانِ مُخْلِصًا فِي تَقَرُّبِهِ . وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ عَلَى حَالِهِ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِيدَ النَّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ ١٤٨ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ قَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) ﴾ .

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ مَعْلُومًا ، قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) « فمن كان منهم » سابقة من هو .

(٢) أي بالقربان . وفي الأصل : « جم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَرَّ عَلَى عِبَادِهِ ، وَجَعَلَ بَيَانَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ . وكان ذلك التذبيرُ مصلحةً ذلك الزَّمانِ^(١) ، ووفق^(٢) طبائعهم وعِلَلهم . وقد كان القومُ من المعاندةِ والغباوةِ على مقدارٍ لم يكن لينجح^(٣) فيهم وَيَكْمُلَ لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزن . فهذا بابٌ من عظم شأن النار في صدور الناس .

ومما زاد في تعظيم شأن النار في صدور الناس^(٤) قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ^(٥) أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَنَا هَانُودَى يَامُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ^(٦) إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد في قَدْرِ النارِ في صدور الناس .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلًا عن الجاحظ : « وكان ذلك التذبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في ه و ثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجح » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إل هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي الماثرة من سورة طه .

(٦) ط ، ه : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق التصحيح .

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا مِمَّنْ هَؤُلَاءِ الَّيْسَ لَهُ بَدَأُ الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ . قَالُوا فَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى أَعْيُنِنَا . قَالُوا لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿ ثُمَّ قَالَ ﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِيَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك مما زاد في نبأه النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِلُونَ ^(١) ﴾ .

والنار من أجبر الماعون ^(٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك مما يزيد في قدرها ، وفي نبأه ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ الشَّجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ^(٣) ﴾ ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا . لِلْمُقْوِينَ ^(٤) ﴾ . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾ .

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الأيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرها ، ثم توهم مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩. وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالفرق ، والرياح ، وبالخاصيب ^(١) ، والرجم ^(٢) ، وبالصواعق ، وبالخشف ^(٣) ، والمسح ، والجوع ، والنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نارا ، كما بعث [عليهم ^(٤)] ماء يريحا وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يحرق بها شيء من الموام وقال ^(٥) : « لا تتعذبوا بعذاب الله » . فقد عظمها كما ترى . فضمهم - رحك الله - فقد أراد الله إفهامك .

وقال الله تعالى للثقلين ^(٦) : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواظ والنحاس ، وهما النار واللحان ، من الآية . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها ^(٧) ، غير إدخال الناس ^(٨) فيها ، وإحراقهم بها .

(١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والخصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقائق البرد والثلج ، أو الريح التي تطلع الخصباء .

(٢) الرجم ، بضمين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الخسف : تقييب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فنفشنا به وبداوه الأرض » .

(٤) الزيادة من ص ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبوداود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجلس الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في ص . وفي ط ، هـ : « والوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

. وقال المرار بن منقذ^(١) :

وَكأنَّ أَرَحُنًا بِجَوْ مُحَصَّبٍ يَلْوِي عُنَيْزَةً مِنْ مَقِيلِ الثَّرْمَسِ^(٢)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَايَ عَرَفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسٌ أَهْلُهَا لَمْ يُقْبَسِ^(٣)
أَرَادَ حِصْبَ الْوَادِي وَرُطوبَتَهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانَهُ ،
فَإِنْ دَخَلَهَا^(٤) مُسْتَقْبَسٌ لَمْ يُورِ نَارًا .

وقال كَثِيرٌ :

لَهُ حِسْبٌ فِي الْحَيِّ ، وَارٍ زِنَادُهُ عَفَارٌ وَمَرَحٌ حَتَّى الْوَرَى عَاجِلُ^(٥)

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار المخطئ ، وهو الذي سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الغباء بينه وبين جرير . معجم المرزبان ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرحنا » صوابه في س . ط : « محصب » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعليق الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدسها » .

(٥) وار : منقذ . ولزناد : جمع زناد ، أو الزناد مفرد كالزناد ، عن كراع ، وهو ذاك الذي يفتح به . وهي كناية عن الكرم وغيره من الخصال الحمودة . ط ، س : « واري » صوابه في هـ والمخصص . حته : أراد : هيجل بإشما . وفي الأصل « حته » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره في المخصص : « لم حسب » وإنما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعمش :

زنادك خير زناد الماوك خالط فيمن مرخ عفار
ولو بت تفتح في ثلثة حصاة يتبع لأوريت نارا

والعفار والمَرْخ ، من بين جميع العيدان التي تُقَدِّحُ ، أَكْثَرُهَا
في ذلك وأسرعها .
قال : ومن أمثالهم : « في كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، واستمجدَ المَرْخُ
والعفار (١) » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهي النَّارُ التي كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها في الجاهليَّة الأولى ؛
فلهم كانوا إذا تابعت عليهم الأَزْمَاتُ (٢) وَرَكَدَ عليهم البلاء ، واشتدَّ
الجدبُ ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمَّعوا ما قَدَرُوا عليه من البقر
ثمَّ عَقَدُوا في أَذْنَابِهَا وَبَيْنَ عَرَاقِيهَا ، السَّلْعَ والعُشْرَ (٣) ، ثمَّ صعدوا بها
في جبلٍ وغيره (٤) ، وأشعلوا فيها النَّيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا
يَروُنَ أَنَّ ذلك من أسباب السُّقيا . ولذلك قال أُمَيَّةٌ :
سَنَةَ أَزْمَةٍ تَحْمِلُ بالنَّارِ مَرَّ تَرَى لِلْعِضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا

(١) استمجد : أسرع الوری ؛ فهو في منته النار بسرعة ، شبهه بمن يكثر من العطاء
طلباً للمجد . ط ، س : « استجمده » هـ : « استمحر » صوابهما في اللسان وأمثال الميداني
(٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٩ ، ٤ :
٤٩ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمات ، بالصرك : جمع أزمة بالفتح ، وهي الشدة . وفي الأصل :
« الأزمان » محرقة .

(٣) السَّلْع ، بالصرك ، والعشْر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون
حطبهما للفرض الذي ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عنه ، أي أنهم كانوا يحذرونها من الجبال . انظر شرح شواهد
المفاتيح ٣٤٧ .

- إِذْ يَسْفُونَ بِالذَّقِيقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فَطَبِيراً^(١)
وَيَسْوَقُونَ بِأَقْرَأَ يَطْرُدُ السَّمَّ لِيَ مَهَازِيلَ خَشْيَةً أَنْ يَبُورَا^(٢)
عَاقِدِينَ النَّيِّرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَمَا تَهْبِجُ الْبُحُورَا^(٣)
فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرَا^(٤) ١٥٠
فَرَأَاهَا إِلَهِهُ تَرْشِمُ بِأَلْقَطَ رِ وَأَمْسَى جَنَابُهُمْ مَمْطُورَا^(٥)
فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ وَاكْفَ الْغَيْثِ مِثْ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرَا^(٦)
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتْ الْبِنَقُورَا^(٧)

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين .
والباء في : « بالذقيق » زائدة . أي يسفون الذقيق . انظر أدب الكاتب
٣٩٧ والافتصاب ٤٥٦ . والقطير : ما جعل يحزه من ساحة ، ولم يترك
حق يحضر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية السان (ميل) : « ويسوقون بأقر السبل للطود » وهي رواية
الألوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هنالك
الأزمة . يبور : يهلك ، أي الباقر . س : « قبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عدا » مكان « عدا »
هو : « عدا » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارها . يقال : هاجه
وأهاجه . وروي في السان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذنب » .

(٤) كلها : أي كل الأذنب ، أو كل الباقر . والصير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا
يمرح ، كأنه يصير أي يحبس .

(٥) صير : رما للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : يذا نبتها . في الأصل
والديوان : « رسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والفيث الواكف : المطر الغاطل . وفي
الأصل : « فسقاها نشاطه واكف التبت » تحريف . منه : أي من النشاص .
وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . هو : « إذ رأى دعوة »
وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشمر أمية مفعم
بالتحريف والتصحيح .

(٧) السلق والمشر معنى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من -

هكذا كان الأصمى ينشد هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :
صَحَّتْ ، إنما هي اليقور ، مأخوذة من البقر .
وأنشد ^(١) القحطى ^(٢) للورل الطائي ^(٣) :

لَا دَرُّ دُرِّ رِجَالٍ خَابَ سَمِيُّهُمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ ^(٤)
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا مُسْلَعًا ذُرِيعةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ ^(٥)

« الجحظ لصحيف الأصمى ، كما سياتى والرواية : « اليقورا » بمعنى البقر ،
كانه ركا في اللسان (بقر - ميل) والديوان . ويقال حال الفئ فلانا : ثقل عليه .
القلموس . يقول : أثقلت البقر بما حلت من السلع والمشر . انظر اللسان (ميل)
وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (حل) به أن قال : « وعالٍ على »
أى إجل » فكانه جبل « حالت » مرة أخرى من الحالة . والبيت استشهد
به ابن هشام في المعنى حل زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى في الزهر
(٢ : ٢٢٢) ما كتبه الجاحظ هنا من تصحيف الأصمى . وفيه : « النيقورا » .
وليس أحد الصحيفين بأول في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى في بلوغ
الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمى هو : « وغالت اليقورا » بالعين
المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه في س ، هـ .

(٢) القحطى هو الوليد بن هشام القحطى ، كما في البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) .
وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قال ابن حبان في الطبقة الثالثة من النقات : الوليد بن
هشام بن قسطن ، أبو عبد الرحمن القحطى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن
عبدان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجيسى . مات سنة الثنتين وعشرين
وماثلين » . والقحطى ، يفتح اللقاف يملأ حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة :
نسبة إلى جده قسطن ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحطى » بالذال ، تصحيف ،
صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كلا في الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيت . وفى اللسان
(سلج) : « الورل » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه في ط واللسان (بقر ، وسلج) .

(٥) مسلة : وضع في أذناها وبين عراقيها السلج . والسلج ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بقر ، ويغير . ويقور ، وبقر^(١) . ويقال للجاعة منه :
 قطع وإجل - وكور^(٢) . وأنشد^(٣) :
 فسكنهم بالقول حتى كأنهم بواقِرٌ جُلُحٌ أسكنها المرائع^(٤)
 وأنشد^(٥) :
 ولا شُبُوبٌ مِنَ الثيرانِ أفردَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإغْراءِ والطَّرْدُ^(٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : بانقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .
 (٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل وجعل أبو ذؤيب في البقر أيضاً » .
 (٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي ، كان في اللسان (جلع) . وله ترجمة في معجم المرزباني ٣٢٦ . والمعزارة أنه ، وهو قيس بن عويله .
 (٤) جلع : جمع أجلع وجلعاء ، وهو الذي لا قرن له . أسكنها : جعلها مسكن . وفي اللسان (جلع) : « سكنها » ، وروى في (بقر) : « أسكنها » . وفي س : « وأسكنها » .
 (٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي ، كان في ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ والسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَأْتِي بَيْتِي عَلَى الْأَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رِبَاعٌ مِنْهُ غَرْدٌ

يقول : تأتئ لا يبق حل الأيام مبتقل : أي الذي يرمى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أي : ولا يبق شوب . والشوب ، كسبور : التام الشباب . ومثله الشوب ، بالصرير . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهرى : « ولا مشب » وهي كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شوب » . وقد ضبط في اللسان : « ولا شُبُوبٌ » بالبناء حل الفتح « وهو خطأ ، فإنه صلف حل : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً من جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ، فلا يعقدون حلفهم إلا عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم النّم ، والمدم المدمم ^(٣) (يمحرون الدال في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلا شدا . وطول الليالي إلا مدا ، ما بل البحر صوفة ^(٥) ، وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) . (إن كان جبلهم رضوى) .

= أي إضراء الكلاب الصائحات به . والطرء ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : هـ من النيران هـ محرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخضض والمصاح .

(١) هـ : هـ عند ذكر .

(٢) خاس بالهذ : أغلفه وتقفه .

(٣) المدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والممنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمتا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمتا . وقيل : المدم ، بالتحريك : القبر . أي قبرنا قبركم . أي لا تزال معكم حتى نموت هنكم . والعبارة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيدة .

(٤) أي لا يزيده الحلف .

(٥) في الأصل : هـ وما يل البحر صوفة « والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني . ويروى : « ما يل بحر صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالهذبة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم .
 وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم ^(١) .
 ويهولون على من يُخافُ عليه الغدرُ . بحقوقها ومنافعها . والتخويف
 من حِرْمَانٍ منفعتها . وقال الكُمَيْتُ :
 كهولُهُ ما أوقدَ الحلقُوه ن للحالِفينَ وما هَوَّلوا ^(٢)
 وأصلُ ^(٣) الحِلْفِ والتَّحَالِفِ ، إنما هو من الحَلِفِ والأَيْمانِ ^(٤)
 ولقد تحالفت قبائلُ من قبائلِ مُرَّةَ بنِ عوف ، فتحالفوا عند نارٍ فدَنَوْا منها .
 وعشُّوا بها ^(٥) . حَتَّى مَحَشَتَهُمْ . فَسَمُّوا : المحاشِ ^(٦) .
 وكان سيدهم والمطاعُ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة ^(٧) .
 ولذلك يقول النُّابِغةُ :

جَمْعٌ مَحَشَكَ يَا زَيْدُ فَلِئَنِّي جَمَعْتُ يَرْبُوعاً لَكُمْ وَتَمِيماً ^(٨)

- (١) هـ : تحرقهم ، مصطفة .
 (٢) الهولة ، بالضم : مايهول . ط ، س : الهولة صوابه في هـ والسان (هول) .
 وكانوا يطرسون في النار ملحا يفتق يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة
 (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلاً أوسع . وقيل اليهت كما في الخزانة :
 فَقَدْ صرْتُ عَمَّا لَهَا بِالْمَشِيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزْوَلُ
 (٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجه ما أثبت .
 (٤) الأيمان : جمع يمين ، وهي القدم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من
 س ، هـ .
 (٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالالف وبالياء .
 (٦) المحاشى ، بالكسر . وعشته النار : أحرقتها . والمحاشى : هم صرمة وسهم وماك بغومرة
 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (عشى) . وفي شرح
 ديوان النابغة البجليوسي ٦٩ أنهم بنو غصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيث بن مرة ،
 تحالفوا على بني يربوع بن غيث بن مرة ، وهبط النابغة .
 (٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما
 سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .
 (٨) رواية اللسان والديوان : « أهددت يربوعاً » :

١٥١ ولِحِثْتُ بِالنَّسَبِ الَّذِي عَصَيْتَنِي وَتَرَكْتُ أَصْلًا يَا زَيْدُ ذَمِيَا^(١)

وقوله : « نعيم » يريد : نعيمة^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتماقد على الملح)

وَرَبِّمَا تَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْمَلْحِ . وَالْمَلْحُ شَيْئَانِ : أَحَدُهُمَا الْمَرْقَةُ^(٣) ،

وَالْآخَرُ اللَّبَنُ . وَأَنْشَدُوا لَشَيْمِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْفَزَارِيِّ^(٤) :

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَالْمِلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً^(٥)

(١) كان يزيد يقتصر بنسبه في قيس ويقول :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ صُلْبِ قَيْسٍ حَاجِدٍ لَامِلِحٍ نَسَبًا وَلَا مُسْتَكِرٍ

وكان يقول للثأفة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة . فقال

الثأفة له : أنا لاحق بمن جرتني وتحقق بهم ، ولست مثلك تتننى من أصلك .

وقيس من العدنانية . وأما قضاة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .

انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي الديوان :

« وَتَرَكْتُ أَصْلَكَ » و « ذَمِيَا » حال من فاعل « تَرَكْتُ » أي فعلت ذلك

وأنت مفعول .

(٢) أي استعمل الترخيم فحذف الهاء . ونعيمة هي ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما

في شرح ديوان الثأفة ٧٠ . قال : « قوله ونعيما ، لم يرد نعيم بن مر . إنما أراد :

نعيمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم في غير التداء » . وكلمة :

« مر » هي في أصل التشرح : « مرة » . و « نعيمة بن ضبة » هي في أصلها : « نعيم

ابن ضبة » . وقد أصلحت التصريفين .

(٣) كلما . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفي اللسان عن ابن الأثير والخرزانة

(٤ : ١٦٤ بولاق) عن المغفل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها

بأنها المرقطة .

(٤) شعيم ، هجعة التصغير ، شاعر جاهلي كما في الخرزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى في

الخرزانة أيضاً من نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى هيككة بن الحارث المازني من حازن فزارة .

ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبيري .

وفي مقطعات المراثي ١٠٦ نسبته إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرقى بني خالدة : كردمة

وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاخر ٩ والكمال ٢٨٤ ليسك . صلب على لفظ الجلالة -

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطمّحان ^(٢) :

وإني لأرجو يُلحها في بطونكم وما بسطت من جلدٍ أشعثٍ أغبر ^(٣)

وذلك أنّه كان جاورهم ، فكان يسقيهم اللبن ، فقال : أرجو أن

تشكروا لي ردّ إبلي ^(٤) ، على ما شربتم من ألبانها ، وما بسطت من جلدٍ

أشعثٍ أغبر . كأنه يقول : كنتم مهازيل - والمهزول يتشّف جلدُه

ويقبض - فبسط ذلك من جلودكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى ^(٥) ، وهي النار التي كانوا ربّما أوقدوها خلف المسافر ،

= وروى بالجر صفحا على « العباد » أو يجعل الواو واد القسم . انظر اللسان (٣) :

٤٤٤ س (٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حروتها . وغالدة هي بنت أرقم ،

أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أي في الملح . وفي الأصل : « في » محرفة .

(٢) أبو الطمّحان ، بالصحرى ، هو حنظلة بن الشرق . كان نديما للزبير بن عبد المطلب

في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني .

(١١ : ١٢٥) والشراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفي الكامل ٢٨٤ ليسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف

٤٩٤ والمخصص (١ : ٧٦) بالجر . والقصة مكسورة الروى . وأولها :

ألا حنّ المرقال واشتاق ربّها تذكّر أزمانا وأذكّر معشري

انظر اللسان (ملح) والشراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم

نزلوا عليه فشرّبوا من ألبانها ثم أغادروا عليها فأغلوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفخ . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائل » س :

« ردائل » هذا الإجمال . وصوابها ما أثبت .

(٥) سملما السكري في كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبيح الأضنى (١) :

٤٠٩ (٤) وتنزيل الآيات لمح الدين أفتى . وصوابها التمالى في ثمار القلوب ٤٠٩ :

« نار المسافر » .

وَحَلَفَ الزَّائِرَ الَّذِي لَا يَجِبُونَ رُجُوعَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقَدْ نَارًا خَلَقَهُ ، وَفِي إِثْرِهِ ! وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارٍ - وَضَرْبُهُ مِثْلًا - :

صَوْتٌ وَأَوْقَذْتَ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا^(١)
وَأَنْشَدُوا :

وَجَعَلَتْ أَقْوَامٌ حَلَّتْ وَلَمْ تَكُنْ لَتَوْقِدَ نَارًا لِإِثْرِهِمُ لِلتَّنْدِمِ^(٢)
وَالْجَمَّةُ : الْجَمَاعَةُ يَمْشُونَ فِي الصَّلْحِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي إِبْلِهِ :
• تَقَسَّمُ فِي الْحَقِّ وَتُعْطَى فِي الْجَمَمِ^(٣) •

يقول^(٤) لا تندم على ما أعطيت في الحالة^(٥) ، عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم نارا كي لا يعودوا .

(نَارُ الْحَرْبِ)

ونار أخرى^(٦) وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم نارا ، ليبليح الخبير أصحابهم .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٥٧) .
واللسان (وقد) .

(٢) مثل حله للرواية في ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى في اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد نارا » . والجمعة ،
يفتح الجيم وتقم .

(٣) في الحق : أي في حق الأضياف إذ ينحرفها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق »
صوابها في ط . س : « بالجم » صوابه في ط ، هـ .

(٤) أي الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحالة ، كسلبية : الدية يحلها قوم عن قوم .

(٦) سماها الفصاحي في ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والسكري فيما نقل منه
محب الدين الأندلسي : « نار الأهية للحرب » ، وفيما نقل عنه القلشاشي : « نار الحرب » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداةً أوقدَ في خِزَازٍ رَفَدْنَا فوقَ رَفَدِ الرَّافِدِيَّاتِ^(١)
وإذا جَدُّوا في بَجمِ عِشارِهم إليهم^(٢) أوقدُوا نارَينِ : وهو قول
الفرزدق^(٣) :

لولا فوارِسُ تُغَلِّبَ ابْنَةُ وائِلٍ سَدَّ العدوُّ عليكَ كلَّ مكانٍ^(٤)
ضربُوا الصَّنَائِعَ والملوكَ أوقدُوا نارَينِ أشرقتا على النَّيرانِ^(٥)

(١) خِزَازٌ وخِزَازِي ، بالفتح : جبل . ودوى البيت بالروايين . س ، هـ ،
« خِزَاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خِزَاز في مجمل البلدان والميداني (٢ :
٣٥٣) والمقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٢١٠) والعمدة
(٢ : ١٦٦) . رَفَدْنَا : أَعْتَا .

(٢) في الأصل : « في بَجمِ » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ :
« ولما جدوا » وما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد
الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزاعة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن تيمية :
« فإذا جدوا وأصطلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين ردهم الأخطال . الديوان
٨٨٣ - ٨٨٢ .

(٤) روى في الديوان وتنازل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة
من الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان لثعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ،
والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمائة رجل رهائن لقتال
العرب يقيمون سنة كل باب الملك طوح أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) :
بنو قيس وبنو تميم الثلاث أبنى ثعلبة . وكانوا خرواص الملك لا يبرحون بابيه .
والوضائع : ألف رجل من الفرس يضمهم ملك الملوك بالحيرة نجدة للملوك العرب ،
يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه .
وأما دوسر فكانت أعشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب :
وأكثرهم من دبيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأسفل :
« ضربوا الصنائع والتلول » وليت شعري ماذا يحدى عليهم ضرب التلول ؟ ! -

(نار الحرتين)

ونار أخرى ، وهي « نار الحرتين »^(١) ، وهي نار خالد بن مسنان ، أحد بني مخزوم - من بني قطيعة بن عيس^(٢) . ولم يكن في بني إسماعيل . ١٥٢ نبي قبله ، وهو الذي أطفأ الله به نار الحرتين . وكانت بيلاد بني عيس^(٣) ، فإذا كان الليلُ فهي نار تسطع في السماء ، وكانت طيئُ تنفثُ بها إبلها من مسيرة ثلاث^(٤) . وربما ندرت منها العنق^(٥) فتأتي على كل شيء فتحرقه . وإذا كان النهار فلإنما هي دخانٌ يفور . فبعث الله خالد بن مسنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزائن ومحاضرات الراجب (٢ : ٢٧٨) ، وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قطوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأفرقتا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة تحرق سود . والحرتان ، من حرة ليل ، ليلي مرة ، وحرة النار لطفان ، كما في المزه (٢ : ١١٩) . أما حرة ليل فهي من وراء وادي القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليل قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجبهة ، بهيئة التصغير .

(٣) في الأصل : « وكانت حرة بيلاد بني عيس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضير « كانت » راح إلى : « نار الحرتين » فالصواب حلفها ، كما جاء في نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٤٥٦ . وكذا في صحيح الأصب (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفث الراعي إبله : جعلها ترحى ليلادون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أي ثلاث ليال ، كما جاء في ثمار القلوب نقلاً عن الجاحظ ، وكذا في صحيح الأصب (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أي ثلاثة أيام . في الأصل : « تبتين بها إبلها » . وفي ثمار القلوب : « تنمش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراجب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنمش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنمش » بالفتح ، كما أثبت موافقاً لما في عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتَفَرَ لَهَا بَثْرًا ، ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِيهَا ، وَالنَّاسُ يُنْظَرُونَ ، ثُمَّ اقْتَحَمَ فِيهَا حَتَّى غِيَّبَهَا . وَسَمِعَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهُوَ يَقُولُ [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ ^(١)] : كَذَبَ ابْنُ رَاعِيَةِ الْمَعَزِ ، لِأَخْرَجْنَاهَا وَجِئِنِي يَنْدَى ^(٢) ! فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوُفَاةُ ، قَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ دَفَنْتُمُونِي ، فَاحْضَرُونِي بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَلَا تَسْكُمُ تَرَوْنَ عَيْرًا أَبْتَرَّ يَطُوفُ بِقَبْرِى ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَانْبِشُونِي ، فَإِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَاجْتَمَعُوا لِلذَّكَاءِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ^(٣) ، فَلَمَّا رَأَوْا الْعَيْرَ ^(٤) وَذَهَبُوا يَنْبِشُونَهُ ، اخْتَلَفُوا ، فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ ، وَابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْفِرْقَةِ الَّتِي أَبْتَرَّ أَنْ تَنْبِشَهُ وَهُوَ يَقُولُ : [لَا أَفْعَلُ ! إِنِّي ^(٥)] إِذَا أَدْعَى ابْنَ الْمُنْبِشِ ! فَتَرْكُوهُ .

وَقَدْ قَدِمَتْ ابْنَتُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاعَهُ وَقَالَ . هَذِهِ ابْنَةُ نَبِيِِّّ ضَيْعَةٍ قَوْمَةٍ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ سُورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ أَبِي يَتْلُو هَذِهِ السُّورَةَ .

(١) هذه الحكاية من الإصابة ٢٣٥١ في ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب في محاضرات الغرائب ، والمباراة محرفة في الأصل . في ط : « وجئني تندل » هـ : « وجئني يندأ » س : « وجئني تندی » . ويتننى : أى عليه ندى المرقى . كناية عن سلامته من أذى النار ولحمها .

(٣) كذا في س ، وعمار القلوب . وفي ط هـ : « فاجتمعوا له في ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الغرائب . وانظر الخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمشكّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنّ خالداً هذا كان أعرابياً
وبرّياً ، من أهل شَرْجٍ وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبياً قطّ من الأعرابِ
ولا من القُدّادين^(٢) أهل الوَبْرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسُكَّانِ
المُدُنِ .

وقال خُلَيْدٌ عَيْنَيْنِ^(٣) :

وأيّ نبيٍّ كان في غير قَوْمِي وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَّا مَعَ النَّحْلِ^(٤)
وَأَنْشُدُوا :

كَنَارِ الْحَرَّتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ يَصُمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(٥)

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زال النَّاسُ كَافَّةً ، والأُممُ قاطبةً - حتى جاء الله بالحقِّ - مُولَعِينَ
بتعظيم النار ، حتى ضلَّ كثيرٌ من النَّاسِ لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدها^(٦) .

(١) شرج وناظرة : مادن لبس . من معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين
وسكون الراء يملأ جيم . وناظرة ، بالظاء للمجمة . وفي ط ، ص : « سرح
وناصرة » هـ : « سرح وناصر » محرفان صوابهما ما أثبت .

(٢) القُدّادون : أهل الوبر ، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خُلَيْد . وقد ترجمته في (١ : ٢٦٦) .
وفي الأصل : « خُلَيْد عيس » محرف .

(٤) يقوله جرير في قصيدة يحجوه بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقعتها واضطرابها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت
في ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لحوه الرجل السميع

(٦) في ثمار القلوب : « حتى غلَّ كثيرٌ من النَّاسِ لإفراطهم أنهم يعبدها » .

فأما النار العلوية ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبِدَت أَلْبَتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .
وقد يَجِيءُ في الأثر وفي سُنَّة بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التبعيد والحنّة ، وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من الناس ، فيجوزون الخلد .

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لَا تُطْفِئُوا النِّيرانَ مِنْ بَيْوتِي » . فلذلك لا تُمَدُّ الكنائس والبُيُوت (١) ، وبيوت العبادات ، إلّا وهي لا تخلو من نار أبداً . ليلاً ولا نهاراً ؛ حتّى اتَّخَذَتِ للنيرانِ ٦٥٣ البُيُوتَ وَالسُّدُنَ . ووقّفوا عليها الغلات الكثيرة .

(إطفاء نيران الجوس)

أبو الحسن عن مسلمة (٢) وقحدم (٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكر (٤) ، وأمره أن يُطْفِئَ النيران ، فأراد عبد الله أن يَبْدَأَ بنار

(١) التيج بكسر ففتح : جمع بية ، بالكسر ، وهي كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالمدال المهملة . والمعروف في أمثالهم : « تعلم بالمدال » ، و : « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكر الأريبعين ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ١٢٥ . وأبو بكر اسمه قحزم بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان يعمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكر . الإصابة ٨٧٩٤ .

جور^(١) فيطيرتها ، فقيل له : ليست للمجوس نَارُ أعظمَ من نار الكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عليك أحدٌ ، وإن أطفأت سافلتها استعدوا للحرب وامتنعوا ، فأبدا بها . فخرج إلى الكاريان فتحصن أهلها في القلعة . وكان رجُلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدة ، لا يقدر عليه أحدٌ ، وكان يمر كلَّ عشيةٍ بباب منزله^(٥) استخفافاً وإذلالاً بنفسه ، ففهم ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أحدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكرة^(٦) رجلٌ من عبد القيس : من أشدَّ الناس بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديدٌ جبان . وإن أمرته به خافَ القتالَ فلم يعرض له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مرَّ الفارسيُّ . فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلَ خلقٍ هذا ، وما في الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها مأثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد المجوى . وإليه يضاف بيت النار ، بناء أودشير بن هابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاتها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، عل الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروف » عل الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتي منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « المنولى » ، نسبة إلى عدول يفتحون فسكون ففتح ، مقصور ، وهي قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما يجلبون لى إن احتملته حتى أدخله الدار وأخبرته ؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تفون لى بألف ؟ قال : نعم ! فلما كان الغد مر القارسى^(٢) ، ققام إليه العبدى فاحتمله فما امتنع ولا قدر أن يتحرك ، حتى أدخله الدار وضرب به الأرض ووئب عليه الناس فقتلوه ، وغشى على العبدى^(٣) حين قتلوه . فلما قتل أعطى أهل القلعة بأيديهم^(٤) . فقتل ابن أبى بكره الهرايلة^(٥) ، وأطفأ النار ، ومضى يطفى^(٦) الثيران حتى بلغ سيجستان .

(تعظيم الجوس للنار)

والجوس تقدم النار فى التعظيم على الماء ، وتقدم الماء فى التعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء^(٧) .

(نار السعالى والجن والفيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السعالى^(٨) والجن ، وهى غير نار الفيلان^(٩) . وأتشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(١٠) :

(١) س : العبدى . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : العبدى ، محرف .

(٣) أطفوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرايلة : جمع هريه ، بكسر الهاء وإلواء ، كزبرج ، وهو خادم نار الجوس .
وفى مصحح استينجاس أنه قيم معبد لنار : أو الرئيس من رؤساء كهنة الجوس .

(٥) فى الأصل : الهوى ، محرف .

(٦) السعال : جمع سلاء ، بالكسر ، وهى أنف الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الفيلان نوع مغاير لسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض القويين يحملها نوعاً واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : وشير بن الحارث الضبى ، وضبط : شير ، -

وَنَارٍ قَدْ حَضَبَتْ بُعَيْدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بها مُقَامًا^(١)
 سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَالَتْهَا غَخَافَةٌ أَنْ تَنَامًا^(٢)
 أَتَوْا نَارِي ، قَلْتُ مَنْونَ أَنْتُمْ قَالُوا: الْجِنَّ أَقَلْتُ . عُرُوا ظَلَامًا^(٣)
 قَلْتُ : إِلَى الطَّعَامِ ، قَالِ مِنْهُمْ زَعِيمٌ : نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامًا^(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنضعه في موضعه إن شاء الله تعالى^(٥) . بل الذي يقع ههنا قولُ أبي المطراب عبيد بن أيوب^(٦) :

بيتة التصغير . وقال أبو الحسن في ١٢٤ : « حفظي سمر » أي بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ يولاق) . وجاء في الحيوان (٦ : ١٩٦) : « سمر بن الحارث القسبي » ومثله في اللسان (من) . ونسبه في (سير) إلى تأبط شرأ .
 (١) حضأت : أشعلت . هـ : « حضأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل والليل . س : « هذا » معرفة .
 (٢) في شرح نوادر أبي زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة » أراد سوى راحلة أقت بها فيها بقدر تحلة العين . « وتحلة العين » : مثل في القليل المفرط القلة . وهو أن يهاجر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يبربه قسمه ويحمله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أي إزالة الرجل من ظهرها . وروى في التخصص (١ : ٩٤) للميداني (١ : ٢٢٠) مع نسبه في الأخير إلى تأبط شرأ : « وسير » أكالته غخافة أن تناما . وفي الخزانة من المفضل « وسير أكالها غخافة أن تناما » . والمير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أي من أنتم . وانظر تفصيل القول في هذه اللفظة في لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أي علموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ يوعده . وأعاد ذكر الأبيات في موضعها . انظر الحيوان (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بني النضر . كان يخبر في شعره أنه يرافق القوم والسحابة ، ويأيت الذئاب والأفامى ، ويؤاكل الطيلاء والوحش . الشعراء ٧٥٨ — ٧٦١ .

فَلَهُ دُرُّ الْفُؤُولِ أَيْ رَفِيقَةُ لِصَاحِبِ قَهْرٍ خَالِفٍ مُتَقَفِّرٍ ^(١) ١٥٤
أَرْنَتْ يَلْمَحُنِ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَائِيَّ نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ ^(٢)

(نار الاحتیال)

وما زالت السُّدْنَةُ تَحْتَالُ لِلنَّاسِ جَهَةَ النَّبِرَانِ بِأَنْوَاعِ الْحِيلِ ، كاحتیال
رُهبَانِ كَنْتِسَةِ الْقَمَامَةِ ^(٣) ببيت المقدس بمصايبِهَا ، وَأَنَّ زَيْتَ قَنَادِيلِهَا
يَسْتَوْقِدُ لَمْ ^(٤) من غير نَارٍ ، في بعض ليالي أعيادِهِمْ .

قال : ويمثل احتیال السَّادِنِ ^(٥) لخالد بن الوليد - حين رماه بالشرَر ٤

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ويحمله . في الأصل : « در للقول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (١٢٣ : ٥) والشمراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إحصاز القرآن
للباقلافي ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رقيقة » أى
صاحبه ، كما في هـ والمراجع المتقدمة . وفي الشمراء « ينثر » بدل « متقفر » .

(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . في الأصل : « أذنت » صوابه في المراجع . ط :
« حوالى نيران » صوابه في س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت
العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران لمبث والتخيل واعتلال السابلة » .
وانظر الحيوان (١٢٣ : ٥) . تبوخ : تسكن وتقفز . زهر : تفسى ، وبابه منع .
والمعنى : أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشمراء وإحصاز القرآن
وتنزيل الآيات . وفي مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهر » . وفي هذا
البيت إقواء ، فإنه مروي مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان
(٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة القيامة : أعظم كنيسة لقنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت في معجم البلدان
تسميتها : كنيسة القمامة ، بالنظم . في الأصل : « القصة » محرفة . صوابها من الحيوان
(٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلافى ،
بيليليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت ، التى يظهر منها النار في يوم السبت
الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقعدت النار وتوقعت واستوقعت . القماموس . في الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمير ، فأرسل النبى -

ليومه أن ذلك من الأوثان ، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ، حتى قال .

يَا عَزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(١)
حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى : وهى النار التى توقد للظباء وصيدها . لتعشى إذا أدامت
النظر . وتجعل من ورائها . ويطلب بها بيض النعام فى أفاحيصها ومكناتها^(٢) .
ولذلك قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيُّ :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا نِمْ حَوْلَ مُجْرَمٍ^(٣)
مِوَى نَارٍ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ بِقَفْرَةٍ أَغْنَى مِنَ الْخُنُفِ الْمُنَاخِرِ تَوَامٍ^(٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليضلهما ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البقاعى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والنزى ، فى لفظها : تأنيث الأعر .

(١) روى فى المختصر (١٥ : ١٩٠) :

كُفْرَانِكَ الْيَوْمَ وَلَا سُبْحَانَكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَهَانَكَ

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمسكنات : الأبنية ومنه
الحديث : « أَقْرُوا الطَّيْرَ عَلَى مَكْنَتَيْهَا » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .
قال الزنجبى : « وَرَوَى : مُكْنَتَيْهَا ، جَمْعُ مُكْنٍ . وَمُكْنٌ : جَمْعُ مَكَانٍ
كَصُعْدَاتٍ فِى صُعْدٍ ، وَحُمُرَاتٍ فِى حُمْرٍ » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدُونَ النَّيرانَ يَهْوِلُونَ بِهَا عَلَى الْأَسَدِ إِذَا خَافُوهَا . وَالْأَسَدُ إِذَا
هَاجَرَ النَّارَ حَذَقَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَشَعَّلُهُ عَنِ السَّابِلَةِ ^(١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثَعْلَبٍ ^(٢) الْأَعْرَجُ ، عَلَى وَادِي السَّبَاعِ ، فَعَرَضَ لَهُ سَبْعٌ ، فَقَالَ
لَهُ الْمُكَارِي : لَوْ أَمَرْتُ غُلْمَانَكَ فَأَوْقَدُوا نَارًا ، وَضَرَبُوا عَلَى الطَّسَاسِ ^(٣) !
فَفَعَلُوا فَأَحْجَمَ عَنْهَا ^(٤) . فَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، فِي حَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّارِ ،
وَمَدْحِهِ لَهَا وَلِلصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِهِ لَهُمَا ^(٥) وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَأَحْبَبْتُهَا ^(٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلَاطَهَا وَلَوْ فِي صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَحَيْرَتُ أَلَدَ الصَّوْتِ لَوْ كَانَ صَاعِقًا وَأَطْرَبْتُ مِنْ صَوْتِ الْحِمَارِ الْمُرْقَمِ ^(٧)
وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ ، فَأَصَابَ نَارًا ، فَدَنَّا مِنْهَا لِيَصْطَلَّ
بِهَا ^(٨) ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْ نِيهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ !

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي السابلية هذه النار : « نار التهويل » . ثمار
القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو ثعلب » . وجاء في الحيوان
(٦ : ١٦٦) : « وكان من البرجان الشراء أبو ثعلب » وهو كليب بن القول
وانظر ما كتب في هامش أصل مجمع المرزباني ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ما جاء في نهاية مادة
(ا ي ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبتت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في ص ، هو وثمار القلوب .

(٧) ينمت الحمار الوحشي بالمرقم ، لأنه غطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطل منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أَبْصَرَ النَّارَ اعْتَرَتْهُ الْحِيرَةُ ، الضَّفْدَعُ ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْقُ
فَلَمَّا أَبْصَرَ النَّارَ سَكَتَ .

(نار الحياح)

ومن الثَّيْرَانِ « نار الحياح »^(١) ، وهى أيضاً « نارُ أُنَى الحياح » .
وقال أبو حَيَّةَ :

تَصْرَفُ فِي تَفْرِيبِهِ فَلَمَّا انْخَفَى عَلَيْنَ فِي قَفٍّ أَرْنَتْ جَنَادِلَهُ^(٢)
١٥٥ وَأَوْقَدَ نِيرَانَ الْحَيَاحِ وَالْتَقَى غَضًى تَرَاقَى بَيْنَهُنَّ وَلَوْلَهُ^(٣)

وقال القطاميُّ في نارِ أُنَى الحياحِ :

تُخَوِّدُ تَحْوِيدَ النَّعَامَةِ بَعْدَ مَا تَصَوَّبَتْ الْجُوزَاءُ قَصْدَ الْمَغَارِبِ^(٤)

(١) الحياح ، يضم الحاء الأولى ، سبغها الجاحظ .

(٢) في الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنّت : صوَّتت . ط ، هـ : « أرنّت » س : « أرتنا » محرفان . والجنادل : الحياح الكبيرة . جعلها تصوت بما يضرب بعضها في بعض .

(٣) القفى : نبت شديد النار يبق ناره طويلا . وفي الأصل : و صاه : صواه في تنزيل الآيات ٩٣ . تراقى : تتصاعد . ولولولة : الأصوات ، جمع ولولة .

(٤) خود البحر والظلم : أسرع واعتز في مشيه . وفي الأصل ، وهو هنا ط ، هـ : لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من اللهيان ٥٣ وأمال ابن السجري (٢ : ٦٠ حيدر آباد) . والجوزاء : نجم . تصويت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغرب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليتها وهي بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يمتري السكائل كل شيء ، فهي محظوظة أبداً بنشاطها . وإنما تصوب الجوزاء وقت الفداة . ط : « تصوت » صواه في هـ والمرجعين السابقين . وفي الأصل : « تصر » صواه في اللهيان والأمال .

ألا إنما نيران قيس إذا اشتوت لطارق ليل مثل نار الحجاب^(١)
ويصفون نارا أخرى ، وهي قريبة من نار أبي الحجاب . وكل نار
تراها العين لا حقيقة لها عند التقاسم ، فهي نار أبي الحجاب . ولم أسمع
في أبي حجاب نفسه شيئا^(٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابي ، وذكر البرق :

نَارٌ تُعَوِّدُ بِهِ لِلْعَوْدِ جِدَّتُهُ وَالنَّارُ تُشِيلُ نِيرَانًا فَتَحْتَرِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من
الديوان وأمال ابن الشجري وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨)
واللسان (حجب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمال الميداني (٢ : ٨٦) .
وأما « استوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صمت سواء . ومثل هذه
للرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتوا » . وقيس ثلاث
باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا اشتوا » أي أقاموا شتاء . وهي رواية
جميع المصادر السالفة وكذلك المقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف .
وهو قد حجا قيس حيلان ؛ لأنه مرفى بمضى أسفاره بامرأة من محارب بن قيس
فاستقراها — أي طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتون القد من الجوع .
قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها
بأثر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمال ابن الشجري (٢ : ٥٨) والخزانة
(٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حجب) إلى النافقة .
وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون آداة العلم . ومثله ما قال أبو حنيفة : « لا يعرف حجاب ولا
أبو حجاب . ولم نسمع فيه من العرب شيئا » . لكن جاء في المخصص (١١ :
٢٨) نقلا عن صاحب العين : « كان أبو حجاب رجلا من محارب خصفة .
وكان بجيلة لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد :
« لتلا ترى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حجاب ففرض بناره المثل ؛ لأنه
كان لا يوقد إلا نارا ضميقة مخافة السيفين » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن —

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرقُ العِبدانَ وتُبطِلُها وتُهْلِكُها ،
«لأَنَّ نارَ البرقِ» ؛ فإِنَّها تَحْيِيءُ بالغَيْثِ . وإذا غِيثَتِ (١) الأرضُ ومُطِرَتِ
أَحَدَثَ اللهُ للعِبدانِ جِدَّةً ، ولِلأَشْجارِ أَغْصاناً لم تَكُنْ .

(نار البراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شِبْهُ بنارِ البرقِ ، ونارٌ أبى حِجابٍ ، وهي
« نار البراعة » . والبراعة : طائرٌ صَغيرٌ ، إِنْ طارَ بالنَّهارِ كانَ كِبْعُضَ الطَّيْرِ ،
وإن طارَ بالليلِ كانَ كَأَنَّهُ شهابٌ قَذِفَ (٢) أو مصباحٌ يعطِرُ .

(الدفء برؤية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرةِ المذكورةِ في السَّكَبِ ، أَنَّ رَجُلًا أُلْقِيَ فِي مَاءٍ
رَاكِبًا (٣) فِي شتاءٍ باردٍ ، فِي لَيْلَةٍ مِنَ الْخَنَادِسِ (٤) ، لَا قَرَّ وَلَا سَاهُورَ (٥) —
وإنما ذَكَرَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ لَيْلَةَ الْعَشْرِ (٦) وَالْبَدْرَ وَالطُّلُوقَ الَّذِي يَسْتَدِيرُ حَوْلَ
الْقَمَرِ ، يَكُونُ كَأَسِرًا (٧) مِنْ بَرْدِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ — قالوا : فإِذَا زَالَ الرَّجُلُ حَيًّا

— أبا حِجابٍ وحِجابِ البراعِ ، وهو فراشةٌ إِذَا طَارَتْ بِاللَّيْلِ لَمْ يَشْكُ مِنْ لَمْ يَعْرِفْهَا
أَنَّهَا شُرَّةٌ طَارَتْ مِنْ نَارٍ .

(١) غِيثَتِ الْأَرْضُ : أَصَابَهَا الْغَيْثُ . وَالْغَيْثُ : بِالْفَتْحِ : الْمَطَرُ . ط ، هـ : « غِيثَتِ »
صَوَاهِبُهُ فِي س .

(٢) أَيْ السَّكُوبُ الَّذِي يَنْتَفِضُ حُلٌّ إِثْرَ الشَّيْطَانِ بِاللَّيْلِ وَيَقْدَفُ بِهِ . وَفِي السَّكَبِ : « إِلَّا مِنْ
خِطَفِ الْخَطْفَةِ فَأَتَتْهُ شَهَابٌ ثاقِبٌ » .

(٣) وَكَادَ : سَاكِنٌ لَا يَتَحَرَّكُ . س : « وَبَارِدٌ » .

(٤) الْخَنَادِسُ : ثَلَاثُ لَيَالٍ مِنَ الشَّهْرِ مَظْلُمَاتٍ .

(٥) السَّاهُورُ : التَّسْبِيحُ الْبَرَّاقُ مِنَ الشَّهْرِ .

(٦) أَيْ الشَّهْرُ الْيَالِي . س ، هـ : « السَّرَّ » ، صَوَاهِبُهُمَا فِي ط .

(٧) كَأَسِرًا : أَيْ مُضْطَفًّا وَمُخَفَّفًا . ط ، هـ : « كَأَسَدًا » بِالذَّالِ ، صَوَاهِبُهُ فِي س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت رِجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباح . فلما طَفِئَتْ انتَفَضَ^(٢) .

(نار الخلماء والهرَّاب)

وقال الشاعر :

ونارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ بَادَرَتْ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدَتْهَا لِلْمُسَافِرِ^(٣)

يقول : بادرت اللَّيْلُ ، لَأَنَّ النَّارَ لَا تُرَى بالنَّهَارِ ، كأنه كان خَلِيعاً أو مَطْلُوباً^(٤) :

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٌ لَا يَتَقَبَّ النَّارَ سَفَرُهَا وَتَضْحِي بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ لَهَيْدٌ^(٥)
كَأَنَّهُمْ كَانُوا هُرَّاباً ، فَنُ^(٦) حَتْمُ السَّيْرِ لَا يُوقِدُونَ لِبُرْمَةٍ وَلَا مَلَّةٍ ،

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « يارد » ، وذا يفقد المني ، ووجه ما أثبت .

(٢) طفتت النار ، كسبح ، طفوا : ذهب لها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أي من البرد . وفي الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشده هذا البيت صاحب السان في (١٨ : ٢٢٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا النار : أراد حياة النار ، فحذف الهمزة » . ط ، هـ : « غيا » ، صوابه من س والقان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلمه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) ألقب النار : أشعلها . س : « ثقب » . والسفر : المسافرون . والقوجناء : الناقة الشديدة . والهيدي : المعجدة المتعبة . في الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . والهيدي ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث : لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، هـ .

لأنّ ذلك لا يكون إلّا بالنزول والتمكث ، وإنما يجازون بالبسيّة^(١) ،
أو بأدنى عُلقة^(٢) . وقال بعضُ النُّصوص^(٣) :

ملسا بِلودِ الحَلْيِيّ مَلْسًا^(٤) نَبْهَتْ عَنْهُن غَلَامًا غُصًا^(٥)
لَمَّا تَغَشَّى قَرَوَةً وَحِلْسًا^(٦) مِنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى كَانَ الشَّمْسًا^(٧)
بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تُكْسَى وَرَمًا لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَبُسًا بَسًا^(٨) ١٥٦

(١) البسيّة: بالفتح، سيفرها الجاحظ. يقال بس البسيّة: صنعها. ط، س، و بالبسيّة .
هـ : « بالبسيّة » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بس) .

(٢) العُلقة ، بالضم : كل شيء يتعلّق به .

(٣) هو المحفوظان الثقيل ، أحد نبي المتتق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإيل ملسا : ساقها في خفية . والنود ، بالفتح : جماعة الإيل . والحلي
يعني الرجل الحلي الذي سرقوا إيله . والحلي ، بالتحريك : نسبة إلى بني
حلي ، حلي من اليمن . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود
الحلي مني » س : « برود الحلي مني » صوابها في اللسان (حلي) ومجمع
المرزباني ٩٢ : والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بِلود
الحلي » محرف .

(٥) عنهن : أي من الإيل . والنس ، بضم النين : الضميف التميم . وفي الأصل : « قلسا »
صوابه من نوادر أبي زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي مجمع المرزباني : « جيسا » . والجيس ،
بالكسر : التزوم الكيلان .

(٦) تَغَشَّى الشيء : غطى به . والحلس ، بالكسر والفتح ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .
وهو ما يسط تحت حر المناخ من مسح ونحوه ، أو الكساء الذي حل ظهر البعير
تحت القتب .

(٧) مثله في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي مجمع المرزباني : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالآفق الشرق » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي مجمع المرزباني
وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالآفق الغربي » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة
بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تسكسا »
س ، هـ : « تسكا » صوابه في مجمع المرزباني ونوادر أبي زيد ١١ . ورواية المخصص
ونوادر أبي زيد : « تطل ورما » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس - وقد
سبق في (٣ : ٨٨) - :

وطلوعها يضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزباني : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتخبزا فتبنا -

ولا تُطِيلَا بُخَاخَ حَبَسَا وَجَبَّاهَا أَسَدًا وَعَبَسَا^(١)

قال : وللبسيسة^(٢) . أن يبلّ الذئبق بشيء حتى يجمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسم^(٣) والميسم » يقال للرجل : ما نار

إيلك ؟ فيقول عِلَاط^(٤) ، أو خِبَاط^(٥) أو حَلَقَة^(٦) أو كَذَا وكَذَا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللصوص إيلًا من المُواشاة^(٧) ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويرف موشكا - فى الأصل : موضعيها - واقتصرا على الإيهاس وهو الحلب .

وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الخلبى : « لا تَحْبِرْ أَخْبِرًا وَنَسًا نَسًا » وهى إحدى

روايتى ابن سيدة فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية السان (مادة خبز) . وفسر

الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى :

« لا تَحْبِرْ أَخْبِرًا وَبَسًا بَسًا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كذا جاء

فى المخصص .

(١) أسد وهيس : قبيلتان .

(٢) البيسة ، بالفتح . والمراد عمل البيسة . وفى الأصل : « البيسة » تحريف .

(٣) الوسم : التسليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العِلَاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والمطاع بالطول . وربما كان العِلَاط

خطأ ، وربما كان عطلين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخِبَاط ، بكسر الخاء المسجدة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لينة سعدة .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيدييه . ط ، هـ : « وخِبَاط » صوابه « أو » .

س : « أو حِبَاط » و « حِبَاط » عرقه مما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س

« جِلْفَة » صوابه فى هـ . وانظر باباً مفصلاً فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ :

١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أغلث =

جانب ، وجمَعَهَا من قبائل شَتَّى ، فقَرَّبَهَا إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التجَّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ، لأنهم يعرفون بمسمى كل قوم كَرَّمَ إبلهم من لؤمها . فقال :

تَسألني البَاعَةَ ما نِجَارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَتْ أَبْصَارُهَا^(١)
فكلُّ دارٍ لِأَناسٍ دَارُهَا وَكلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
وقال الكرَدوس المَرادى^(٢) :

تسألني عن نارها ونِجَارُهَا وذلك عِلْمٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الطَّمْشُ^(٣)
والطَّمْشُ^(٤) : الخَلْقُ . والوَرَى^(٥) : النَّاسُ خاصَّة .

ثمَّ المصحفُ^(٦) الرَّابِعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى المصحفُ الخامسُ . وأوله نبدأ في [هذا] الجزء بنهاج القول في نيران العجم والعرب ، ونيران الدنيا ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والمواشيت ، بالضم : الجماعات من الناس

ومن الإبل ، إذا جمَعَهَا فاختلط بعضها ببعض . وفي الأصل : « التواشيت » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقاً شديداً . وفي الخزائن (٣ : ٢١٣ يولاق) : « إذ زعزعها ، أى زعزعها الياسة . وانظر رواية الرجز في الخزائن ، وأشكال الميداني (٢ : ٧٤) ومحاضرات الرافعي (٣ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المَرادى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفرس . وفي ط : « الطمش » بالسين ، صوابه في س ، هو .

(٤) ط : « الطمش » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هو : « الودى » ، صوابه بالراء كما في س .

(٦) ط فقط : « ثم هذا المصحف » .

تذييل وامستدراك

صفحة مطر

٢٧ ١ كلمة « الشُّبُور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبرية (שִׁבּוּר) : شَوْقَار . ومعناه عندهم : البُوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى كمراس السنة . والعيد الأكبر (عيد الصَّيَّام) .

٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أغنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم بيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . ونزعهم عامَّتْهم أنه لا يرأس حتى يكونَ طويلَ الباع تبلغ أناملُ يديه ركبتيه إذا مَدَّهما . قلت : وهو بالعبرية : (גִּלְגָּם) : رُوش جالويوت .

٨٩ ٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعضُ من ألف في الصحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعود فلم يُتَبَّ ، فقتله على كفره وردَّته . والنواحة : الكثيرة النوح » .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صحح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول العوام ، أوجريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون : ضربتيه . فيلحقون الياء » .

٩ « ربيعة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم ينج من بنى المغيرة فى طاعون عواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول . وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أنشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعائى لشروحك القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرفقة بثلاثة على قولك « الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل . فإذا تنازلت فلنى أقول لكم إماما للقاعدة : إن هذه الكلمة تكتب بالفارسية : أردها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال) وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بحجم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أَرْدِهَاء » بهزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهزة براء « أَرْدِهَار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أَرْدِهَاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلاً كريماً

٤ ١٧٤ روى في اللسان (حرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

٣ ١٨٤ « وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منثوراً أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً » . وقد يظن بعض الناس أن في العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفة للمذهب المشهور ، وهو أن يكون في الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء في المعنى (١ : ٤٧) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف في الأول بأم وفي الثانى بالواو . وفي الصحاح تقول سواء على قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفي كامل المثل أن ابن عيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواء عليهم أن نذرتهم

صفحة سطر

أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ . وهذا من الشنوذ بمكان . قلت . شنوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرة أخرى في ٣٩٩ ص ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٨ ٢٠٣ « المصلح باقره » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

فهل كنتُ إلّا نائياً إذ دعوتني

مُنَادَى عَيْدَانَ المصلح باقره

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف

رواية بيت النابغة .

١٠ ٢١٨ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف

ما سمى من الذكور بأسماء الإناث ، في معجم المواع (١ : ٣٤) .

لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا

عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ،

وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

٣ ٢٢١ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين

المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب

(١٠ : ١٤٨٠) .

١٥ ٢٢٢ ولادة الدّساس ، ثبت علمياً أن الدّساس وأنواعاً أخرى

من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية^١ ص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

٨ ٢٤٣ « دون صفاتها » أى دونه إرادة صفاتها وملاحظتها .
٧ ٢٧٠ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاهى
نكش^٢ خلا الأسود ، فإنه يصفر وينبش وينبش . ونبح ،
يقال من باى منع وضرب .

١١ ٣٢٣ « وكنت كالحق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى »
وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد وللتنقيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا قآب وماله أذنان » اهـ
وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟
ومن العجيب أن يتغافل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا قآب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن « الحقيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا
العير بـ « الحمار : فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

خمس سطر

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني - عند قولهم :

« كطالب القرن جدعت أذنه » - :

مثل النعامة كانت وهي سائمة

أذنائه حتى زهاها الحسين والجنُّ

جاءتْ لتُشْرِى قرناً أو تعوضه

والدَّهرُ فيه رباحُ البيع والغبنُ

فقليلُ أذنالكِ ظلمٌ مُنَّمتِ اصطلمت

إلى الصَّباح ، فلا قرناً ولا أذن

والجنُّ ، بضمّتين : الجنون ، كما في اللسان (جن ٢٤٩)

عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسي في نحوها » . وما يستشهد به على تشبيه

الإبل المَهْزولة بالقسي ، قول البحترى - (انظر معاهد التنصيص

١ : ٢١٦) - :

كالقسيِّ المعطَّفاتِ بل الأذْهُمِ مَبْرِيَّةٌ بل الأوتارِ

وقول الشريف :

خوص كأمثالِ القسيِّ نواحلاً وَإِذَا مَتَّما خُطِبُ فهُنَّ سِهامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .

ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصَّد

ولا خفراً زادت به حرّة الخلد

ورواية الليث بن عامر عند العكبري (١: ٢٧٧) :

وتلقى تواسيها المنايا مشيحة ورود قطا صم تشايخن في ورد
وكلمة «تشايخن» تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

١ ٤٠٨ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة
يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لا رعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ،
لأن شدة البرد تحرس البرد وتطفىء البرق » .

١ ٤١٣ خُلِقَ ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خَلِقَ . بمعنى
خَلَقَ .

٢ ٤٢٧ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه
« أربعين يوماً » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحى الحجر ، لوحى
العهد الذى قطعه الرب معكم ، أقمت في الجبل أربعين يوماً ،
وأربعين ليلة ، لا أكل خُبْزاً ولا أشرب ماء » .

١ ٤٣٢ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى في أصلها :
(פסח) وتنطق : پَسَحَ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .
والعلة في تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء في سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

لرب الذي عَبَّرَ عن ييوت بني إسرائيل في مصر ، لما ضرب
المصريين وخلَّص ييوتنا . ومعنى عبر عن ييوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وخدمهم بالضرب ، متجاوزاً ييوت بني إسرائيل
لم يمسه بسوء . والضربة التي تشير إليها التوراة ، هي أن الله
قد أَمَات كل بكر من أبكار المصريين ، وكلَّ بَكر من حيوانهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هي في النص
العبري للتوراة : { מָדַד } بِاسْمَاح . وهذا هو الفعل العبري
الذي أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعندهم أخذ المسيحيون .

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبها
عربية للملازمة نسجها للنسج العربي ، وهي ليست من ذلك .

٦ ٤٣٥
نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما في القاموس
والتنبيه والإشراف ٨٢، ٣٤ . ويقال : نمرود بذال معجمة في آخره
كما في كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
سامي . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيقي :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى

وبك استعنتُ على الزَّمان المودى

مَالِي بَحَثَ إِلَى أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثَ وَاحِدَةً عَلَى نَمْرُودِ

انظر شرح القاموس .

صفحة سطر

- ٢ ٤٥٦ « يا أحمد المرتضى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بأي صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر مع الموامع (١: ١٧٦) .
- ٧ ٤٨٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده في المخصص (٩: ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

أول صفر سنة ١٣٨٦
مصر الجديدة في ٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦

كتبه

عبد السلام محمد قاروه

أبواب الكتاب

صفحة

- ٥ القول في الذرة والنمل
٣٦ باب جملة القول في القرد والخنزير
٦٠ رجوع القول إلى ذكر الخنزير
١٠٧ القول في الحيات
١٢٠ ومن أعاجيب الحيات
٢٣٢ أصوات خشاش الأرض
٢٣٣ باب من ضرب المثل للرجل اللداهية والحي المتعم بالحية
٢٩٢ ماجاء في الحديث من الحيات
٣١٠ جملة القول في الظليم
٣٢٠ باب آخر وهو أعجب من الأول
٣٣٥ القول فيما اشفق له من البيض اسم
٤٦١ القول في النيران
٤٦٣ باب آخر
-



Universitäts- und
Landesbibliothek Bonn



0580811